جَامِعُ البَيَان
عَنْ تَأْوِيلِ آيِ القُرْآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف
الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفاسير
الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الثالث

ضبط وتعليق
محمود شاكر الحرستاني

تصحيح
علي عاشور

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(٢) سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ**﴾ الذين قصّ الله قصصهم في هذه السورة، كموسى بن عمران وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وشمويل وداود، وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة. يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسلي فضلت بعضهم على بعض، فكلمت بعضهم. والذي كلمته منهم موسى ﷺ. ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة.] كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى ذكره: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ**﴾ قال: يقول: منهم من كلّم الله ورفع بعضهم على بعض درجات. يقول: كلم الله موسى، وأرسل محمداً إلى الناس كافة. مق

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

ومما يدل على صحة ما قلنا في ذلك قول النبيّ ﷺ: «أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إلى الأحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، وَنُصِرْتُ بالرُّعْبِ، فإنَّ العَدُوَّ لَيُرْعَبُ مِنّي على مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ كانَ قَبْلِي، وَقِيلَ لي: سَلْ تُعْطَهْ، فاخْتَبأْتُها شَفاعَةً لأُمَّتِي، فَهِيَ نائِلَةٌ مِنْكُمْ إنْ شاءَ اللَّهُ مَنْ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شَيْئاً».

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وآتَيْنا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ البَيِّناتِ وَأيَّدْناهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: ﴿وآتَينَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ﴾ وآتينا عيسى ابن مريم الحجج والأدلة على نبوّته: من إبراء الأكْمَهِ والأبرص، وإحياء الموتى، وما أشبه ذلك، مع الإنجيل الذي أنزلته إليه، فبينت فيه ما فرضت عليه.

ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وأيَّدْناهُ﴾ وقوّيناه وأعنّاه﴿بِرُوحِ القُدُسِ﴾ يعني بروح الله، وهو جبريل. وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم في معنى روح القدس والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: ولو أراد الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات، يعني من بعد الرسل الذين وصفهم بأنه فضل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وبعد عيسى ابن مريم، وقد جاءهم من الآيات بما فيه مُزْدَجَرٌ لمن هداه الله ووفقه.

ويعني بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ﴾ يعني من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق، وأوضح لهم السبيل.

وقد قيل: إن الهاء والميم في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من ذكر موسى وعيسى: ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ﴾ يقول: من بعد موسى وعيسى.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما اقتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِنْ بعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّناتُ﴾ يقول: من بعد موسى وعيسى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتتلوا، فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتتال والاختلاف، وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحدانية الله ورسالة رسله ووحي كتابه، فكفر بالله وبآياته بعضهم، وآمن بذلك بعضهم. فأخبر تعالى ذكره: أنهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصي بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطأ، تعمداً منهم للكفر بالله وآياته. ثم قال تعالى ذكره لعباده: ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما اقْتَتَلُوا﴾ يقول: ولو أراد الله أن يحجزهم بعصمته وتوفيقه إياهم عن

معصيته فلا يقتتلوا ما اقتتلوا ولا اختلفوا، ﴿وَلَكِنَّ الله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ﴾ بأن يوفق هذا لطاعته والإيمان به فيؤمن به ويطيعه، ويخذل هذا فيكفر به ويعصيه. **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم من أموالكم، وتصدقوا منها، وآتوا منها الحقوق التي فرضناها عليكم. وكذلك كان ابن جريج يقول فيما بلغنا عنه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ﴾ قال: من الزكاة والتطوّع.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ يقول: ادّخروا لأنفسكم عند الله في دنياكم من أموالكم بالنفقة منها في سبيل الله، والصدقة على أهل المسكنة والحاجة، وإيتاء ما فرض الله عليكم فيها، وابتاعوا بها ما عنده مما أعدّه لأوليائه من الكرامة، بتقديم ذلك لأنفسكم، ما دام لكم السبيل إلى ابتياعه، بما ندبتكم إليه، وأمرتكم به من النفقة من أموالكم. ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ﴾ يعني من قبل مجيء يوم لا بيع فيه، يقول: لا تقدرون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه بالنفقة من أموالكم التي أمرتكم به[1]، أو ندبتكم إليه في الدنيا قادرين، لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب، لا يوم عمل وإكتساب وطاعة ومعصية، فيكون لكم إلى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ، أو بالعمل بطاعة الله، سبيلٌ؛ ثم أعلمهم تعالى ذكره أن ذلك اليوم. مع ارتفاع العمل الذي ينال به رضا الله، أو الوصول إلى كرامته بالنفقة من الأموال، إذ كان لا مال هنالك يمكن إدراك ذلك به. يومٌ لا مُخالّة فيه نافعة كما كانت في الدنيا، فإن خليل الرجل في الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة له على من حاوله بمكروه وأراده بسوء، والمظاهرة له على ذلك. فآيسهم تعالى ذكره أيضاً من ذلك، لأنه لا أحد يوم القيامة ينصر أحداً من الله، بل الأخلاّء بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين، كما قال الله تعالى ذكره. وأخبرهم أيضاً أنهم يومئذ مع فقدهم السبيل إلى ابتياع ما كان لهم إلى ابتياعه سبيل في الدنيا بالنفقة من أموالهم، والعمل بأبدانهم، وعدمهم النصراء من الخلان، والظهراء من الإخوان، لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم في

---

(١) قوله بالنفقة من أموالكم التي أمرتكم به... الخ، كذا في النسخ، ولعله تحريف مع الناسخ، وأصل الكلام «الذي» في موضع «التي» صفة للابتياع، أو تأنيث الضمير في «به» و «إليه».

الدنيا، فقد كان بعضهم يشفع في الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخُلَّة، وغير ذلك من الأسباب، فبطل ذلك كله يومئذ، كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم في الآخرة إذا صاروا فيها: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص. وإنما معناه: من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان به يشفع بعضهم لبعض. وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وكان قتادة يقول في ذلك بما:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفاعَةٌ﴾ قد علم الله أن ناساً يتحابون في الدنيا، ويشفع بعضهم لبعض، فأما يوم القيامة فلا خُلّة إلا خُلَّة المتقين.

وأما قوله: ﴿وَالكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره بذلك: والجاحدون لله المكذبون به وبرسله هم الظالمون. يقول: هم الواضعون جحودهم في غير موضعه، والفاعلون غير ما لهم فعله، والقائلون ما ليس لهم قوله. وقد دللنا على معنى الظلم بشواهده فيما مضى قبلُ بما أغنى عن إعادته. وفي قوله تعالى ذكره في هذا الموضع: ﴿وَالكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ دلالة واضحة على صحة ما قلناه، وأن قوله: ﴿وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ﴾ إنما هو مراد به أهل الكفر؛ فلذلك أتبع قوله ذلك: ﴿وَالكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فدل بذلك على أن معنى ذلك: حرمنا الكفار النصرة من الأخلاء، والشفاعة من الأولياء والأقرباء، ولم نكن لهم في فعلنا ذلك بهم ظالمين، إذ كان ذلك جزاء منا لما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا، بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتَوْا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم.

فإن قال قائل: وكيف صرف الوعيد إلى الكفار والآية مبتدأة بذكر أهل الإيمان؟ قيل له: إن الآية قد تقدمها ذكر صنفين من الناس: أحدهما أهل كفر، والآخر أهل إيمان، وذلك قوله: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ ثم عقب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به، فحض أهل الإيمان به على ما يقرّبهم إليه من النفقة في طاعته وفي جهاد أعدائه من أهل الكفر به قبل مجيء اليوم الذي وصف صفته وأخبر فيه عن حال أعدائه من أهل الكفر به، إذ كان قتال أهل الكفر به في معصيته ونفقتهم في الصدّ عن سبيله، فقال تعالى ذكره: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا﴾ أنتم﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في طاعتي، إذ كان أهل الكفر بي ينفقون في معصيتي، ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيدرك أهل الكفر فيه ابتياع ما فرطوا في ابتياعه في دنياهم، ﴿وَلاَ خُلَّةٌ﴾ لهم يومئذ تنصرهم مني، ولا شافع لهم يشفع عندي فتنجيهم شفاعته لهم من عقابي؛ وهذا يومئذ فعلي بهم جزاء لهم على كفرهم، وهم الظالمون أنفسهم دوني، لأني غير ظلام لعبيدي. وقد:

حدثني محمد بن عبد الرحيم، قال: ثني عمرو بن أبي سلمة، قال: سمعت عمر بن سليمان، يحدّث عن عطاء بن دينار أنه قال: الحمد لله الذي قال: **﴿وَالكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** ولم يقل: «الظالمون هم الكافرون».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

قد دللنا فيما مضى على تأويل قوله: «اللَّهُ».

وأما تأويل قوله: **﴿لا إلَهَ إلاَّ هُوَ﴾** فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله **﴿الحيّ القيوم﴾** الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية. يقول: **﴿الله﴾** الذي له عبادة الخلق **﴿الحيّ القيوم﴾**، لا إله سواه، لا معبود سواه، يعني: ولا تعبدوا شيئاً سوى الحَيّ القَيُّوم الذي **﴿لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾**، والذي صفته ما وصف في هذه الآية. وهذه الآية إبانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به أقوال المختلفين في البيّنات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضل بعضهم على بعض، واختلفوا فيه، فاقتتلوا فيه كفراً به من بعض، وإيماناً به من بعض. فالحمد لله الذي هدانا للتصديق به ووفقنا للإقرار به.

وأما قوله: **﴿الحَيُّ﴾** فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أوّل له يحدّ، ولا آخر له يُؤمَد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حياً فلحياته أول محدود وآخر مأمود، ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها.

وبما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: **﴿الحَيّ﴾** حيّ لا يموت.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

وقد اختلف أهل البحث في تأويل ذلك، فقال بعضهم: إنما سمى الله نفسه حياً لصرفه الأمور مصارفها وتقديره الأشياء مقاديرها، فهو حيّ بالتدبير لا بحياة.

وقال آخرون: بل هو حيّ بحياة هي له صفة.

وقال آخرون: بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به، فقلناه تسليماً لأمره.

وأما قوله: ﴿القَيُّومُ﴾ فإنه «الفيعول» من القيام، وأصله «القيووم»: سبق عين الفعل وهي واو ياء ساكنة، فاندغمتا فصارتا ياء مشددة؛ وكذلك تفعل العرب في كل واو كانت للفعل عيناً سبقتها ياء ساكنة. ومعنى قوله: ﴿القَيُّومُ﴾: القائم برزق ما خلق وحفظه، كما قال أمية:(١)

لَمْ يُخْلَقِ السَّماءُ والنُّجُومُ ... والشَّمْسُ مَعْهَا قَمَرٌ يقومُ
قَدَّرَهُ المُهَيْمِنُ القَيُّومُ ... والحَشْرُ والجَنَّةُ والجحيمُ
إلا لأمرٍ شأنُهُ عَظِيمُ(٢)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿القَيُّومُ﴾ قال: القائم على كل شيء.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿القَيُّومُ﴾ قيم كل شيء، يكلؤه ويرزقه ويحفظه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿القَيُّومُ﴾ وهو القائم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾ قال: القائم الدائم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ لا يأخذه نعاس فينعس، ولا نوم فيستثقل نوماً. والوسن: خثورة النوم، ومنه قول عديّ بن الرقاع:

وَسْنانُ أقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ ... في عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنائِمِ(٣)

ومن الدليل على ما قلنا من أنها خثورة النوم في عين الإنسان، قول الأعشى ميمون بن قيس:

---

(١) يؤمد: يريد: ينتهي إليه. ولم أجد أمد إلا بمعنى: غضب.

(٢) هذه خمسة أبيات من مشطور الرجز، نسبها المؤلف لأمية، يعني أمية بن أبي الصلت الثقفي، الذي كان يتكلم في شؤون الدين، وهي في ديوانه المطبوع في ليبزج سنة ١٩١١ (ص ـ ٢٥) نقلاً عن المؤلف. وفي «اللسان»: (قام): قال الزجاج: القيوم والقيام، في صفة الله تعالى وأسمائه الحسنى: القائم بتدبير أمر خلقه، في إنشائهم ورزقهم، وعلمه بأمكنتهم ولعل كلمة «يقوم» في البيت الثاني محرفة عن «يعوم».

(٣) البيت لعدي بن الرقاع كما في «اللسان»: (رنق، وسن) قال: فرق بين السنة والنوم كما ترى، وقال: رنق النوم في عينه: خالطها. وأقصده النوم: رماه بسهم.

تُعاطِي الضَّجِيعَ إذَا أقْبَلَتْ بُعَيْدَ النُّعاسِ وَقَبْلَ الوَسَنْ[(١)]

وقال آخر:

باكَرَتْها الأغْرَابُ في سِنَةِ النَّوْ مِ فَتَجْرِي خِلالَ شَوْكِ السَّيالِ[(٢)]

يعني عند هبوبها من النوم ووسن النوم في عينها، يقال منه: وسن فلان فهو يَوْسَنُ وَسَناً وسِنَةً وهو وسنان، إذا كان كذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**﴾ قال: السنة: النعاس، والنوم: هو النوم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**﴾ السنة: النعاس.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن في قوله: ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**﴾ قالا: نعسة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ قال: السنة: الوسنة، وهو دون النوم، والنوم: الاستثقال.

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه طبعة القاهرة (ص ـ ١٧)، والرواية فيه: «وعند الوسن». وبعد البيت:

صَلِيفِيَّةً طَيِّباً طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ ودَنْ

وتعاطيه: تناوله. والضجيج من ينام معها في فراشها. والنعاس والوسن: ما يخالط الإنسان من النوم. والصليفية: الخمر. وكأنه يشبه ريقتها في ذلك الوقت بطعم الخمر الصليفية، وهو معنى أغرم الشعراء بالقول فيه.

يقول (على رواية الديوان): إنها حين تستيقظ من نومها آخر الليل، وهي لا تزال وسنى، تعطي حبيبها كل ما يشتهيه من تقبيلها وريقتها التي تشبه الخمر.

(٢) وهذا البيت للأعشى أيضاً كما في «**اللسان**»: في (سيل) وروايته «الأعراب» بالعين المهملة. خطأ وفي (غرب) والديوان (ص ـ ٥) (الأغراب)، وجعله في «**اللسان**» جمعاً لغرب بالسكون، وهو القدح. والمراد به في البيت: مناقع ريق الأسنان أو أطرافها وحدتها وماؤها. والسيال: شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه مثل اللبن. والهاء في باكرتها: راجعة إلى الخمر. وفي رواية «**اللسان**» في (غرب) باكرته، والهاء ضمير الإسفنط في البيت الذي قبله. يشبه الأعشى طيب ريق المرأة بالخمر، ويشبه أسنانها في بياضها وحدتها بشوك السيال، فأن ريقها خمر تجري في فمها بين شوك السيال.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾** السنة: النعاس، والنوم: الاستثقال.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، مثله سواء.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾** أما سنة: فهو ريح النوم الذي يأخذ في الوجه فينعس الإنسان.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾** قال: السنة: الوسنان بين النائم واليقظان.

حدثني عباس بن أبي طالب، قال: ثنا منجاب بن الحرث، قال: ثنا عليّ بن مسهر، عن إسماعيل عن يحيى بن رافع: **﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾** قال: النعاس.

حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾** قال: الوسنان: الذي يقوم من النوم لا يعقل، حتى ربما أخذ السيف على أهله.

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله: **﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾** لا تحله الآفات، ولا تناله العاهات. وذلك أن السِنَة والنوم معنيان يغمران فهم ذي الفهم، ويزيلان من أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه.

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا: الله لا إله إلا هو الحيّ الذي لا يموت، القيوم على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال إلى حال، لا تأخذه سنة ولا نوم، لا يغيره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال وتصريف الليالي والأيام، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام كان مغلوباً مقهوراً، لأن النوم غالب النائم قاهره، ولو وسن لكانت السموات والأرض وما فيهما دكًا، لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته، والنوم شاغل المدبر عن التدبير، والنعاس مانعٌ المقدّر عن التقدير بوسنه. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: وأخبرني الحكم بن أبان، عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله: **﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾** أن موسى سأل الملائكة: هل ينام الله؟ فأوحى الله إلى الملائكة، وأمرهم أن يؤرّقوه ثلاثاً فلا يتركوه ينام. ففعلوا، ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه، ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما. قال: فجعل ينعس وهما في يديه، في كل يد واحدة. قال: فجعل ينعس وينتبه، وينعس وينتبه، حتى نعس نعسة، فضرب بإحداهما الأخرى فكسرهما. قال معمر: إنما هو مثل ضربه الله، يقول: فكذلك السموات والأرض في يديه.

حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: ثنا هشام بن يوسف، عن أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى ﷺ على المنبر، قال: «وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَى هَلْ يَنامُ اللَّهُ تَعالى ذِكْرُهُ؟ فأرْسَلَ اللَّهُ إلَيْهِ مَلَكاً فَأرَّقَهُ ثَلاثاً، ثُمَّ أعْطَاهُ قارُورَتَيْنِ، فِي كُلِّ يَدٍ قارُورَةٌ، وأمَرَهُ أنْ يَحْتَفِظَ بِهِما» قال: «فَجَعَلَ يَنامُ وَتَكادُ يَدَاهُ تَلْتَقِيانِ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ فَيَحْبِسُ إحْدَاهُمَا عَنِ الأُخْرَى، ثُمَّ نَامَ نَوْمَةً فَاصْطَفَقَتْ يَدَاهُ وَانْكَسَرَتِ القارُورَتَانِ». قال: ضرب الله مثلاً له، أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإذْنِهِ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ﴾ أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد، وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود. وإنما يعني بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيء سواه، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكه، وليس له خدمة غيره إلا بأمره. يقول: فجميع ما في السموات والأرض ملكي وخلقي، فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه، لأنه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه، ولا يطيع سوى مولاه.

وأما قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإذْنِهِ﴾ يعني بذلك: من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم إلا أن يخليه، ويأذن له بالشفاعة لهم. وإنما قال ذلك تعالى ذكره لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى، فقال الله تعالى ذكره لهم: لي ما في السموات وما في الأرض مع السموات والأرض ملكاً، فلا ينبغي العبادة لغيري، فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى، فإنها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئاً، ولا يشفع عندي أحد لأحد إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له، من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شاءَ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علماً، لا يخفى عليه شيء منه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم: ﴿وَيَعْلَمُ مَا بَيْنَ أيْدِيهِمْ﴾ الدنيا ﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ الآخرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما مضى من الدنيا﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ من الآخرة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما مضى أمامهم من الدنيا﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: ما بين أيديهم فالدنيا﴿وَما خَلْفَهُمْ﴾ فالآخرة.

وأما قوله: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شاءَ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء محيط بذلك كله مُحْصٍ له دون سائر من دونه، وأنه لا يعلم أحد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يُعْلِمه فأراد فعلمه.

وإنما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً فكيف يعبد من لا يعقل شيئاً البتة من وثن وصنم، يقول: أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها يعلمها، لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ يقول: لا يعلمون بشيء من علمه إلا بما شاء هو أن يُعْلمهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنه وسع السموات والأرض، فقال بعضهم: هو علم الله تعالى ذكره. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب وسلم بن جنادة، قالا: ثنا ابن إدريس، عن مطرف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال: كرسيه: علمه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مطرِّف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله، وزاد فيه: ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾؟

وقال آخرون: الكرسي: موضع القدمين. ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن مسلم الطوسي، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثني أبي، قال: ثني محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن عمارة بن عمير، عن أبي موسى، قال: الكرسي: موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ فإن السموات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش، الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، قال: الكرسي: موضع القدمين[1].

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قال: لما نزلت: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قال أصحاب النبيّ ﷺ: يا رسول الله هذا الكرسي وسع السموات والأرض، فكيف العرش؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى قوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ﴾ قال ابن زيد: فحدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إلاَّ كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ». قال: وقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكُرْسِيُّ في العَرْشِ إلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ».

وقال آخرون: الكرسي: هو العرش نفسه. ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: كان الحسن يقول: الكرسي: هو العرش.

قال أبو جعفر: ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ، وهو ما:

حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، قال: أتت امرأة النبيّ ﷺ، فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة! فعظم الربَّ تعالى ذكره، ثم قال: «إنَّ كُرْسِيَّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَإِنَّهُ لَيَقْعُدُ

---

(١) أشار في «اللسان»: (كرس) إلى حديث عمار الدهني، وقال قال أبو منصور إنه الصحيح، وقال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها. قال: ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل، قلت: ولعل أبا منصور: هو الأزهري صاحب «التهذيب في اللغة».

عَلَيْهِ فَمَا يَفْضُلُ مِنْهُ مِقْدَارُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ» ثم قال بأصابعه فجمعها: «وَإِنَّ لَهُ أَطِيطاً كأَطِيطِ الرَّحْلِ الجَدِيدِ إِذَا رُكِبَ مِنْ ثِقَلِه».

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا يحيى بن أبي بكر، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، عن عمر، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة، قال: جاءت امرأة، فذكر نحوه.

وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه أنه قال: هو علمه، وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُما﴾ على أن ذلك كذلك، فأخبر أنه لا يؤوده حِفظ ما علم، وأحاط به مما في السموات والأرض، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحمَةً وَعِلْماً﴾ فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء، فكذلك قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾. وأصل الكرسي: العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كُرّاسة، ومنه قول الراجز في صفة قانص:

حَتَّى إِذَا مَا احْتَازَهَا تَكَرَّسَا(١)

يعني علم. ومنه يقال للعلماء: الكراسي، لأنهم المعتمد عليهم، كما يقال: أوتاد الأرض، يعني بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض؛ ومنه قول الشاعر:

يَحُفُّ بِهِمْ بِيضُ الوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ ... كَرَاسِيُّ بالأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ(٢)

يعني بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازلها.

والعرب تسمي أصل كل شيء: الكِرْس، يقال منه: فلان كريم الكِرْس: أي كريم الأرض، قال العجاج:

قَدْ عَلِمَ القُدُّوسُ مَوْلَى القُدْسِ ... أَنَّ أَبَا العَبَّاسِ أَوْلَى نَفْسِ
بِمَعْدِنِ المُلْكِ الكَرِيمِ الكِرْسِ(٣)

---

(١) لم أعرف قائل البيت.

(٢) رواية هذا البيت في أساس البلاغة للزمخشري، عن قطرب: (به) في موضع (بهم) ولم ينسبه. قال: ويقال للعلماء: «الكراسي» عن قطرب، وأنشد... (البيت).

(٣) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الراجز، ولم نجدها في ديوانه طبعة ليبسك، ووجدناها في «أراجيز العرب» للسيد «محمد توفيق البكري» طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ (ص - ١١٣). وهي في ختام أرجوزة له يمدح بها الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، وكنيته: «أبو العباس». والقدوس: صيغة مبالغة من القدس، وهو الطهارة.

يعني بذلك: الكريم الأصل، ويُروى:

فِـي مَـعْـدِنِ الـعِـزِّ الـكَـرِيـم الـكِـرْسِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفظُهُمَا﴾ ولا يشقّ عليه ولا يثقله، يقال منه: قد آدى هذا الأمر فهو يؤودني أَوْداً وإياداً، ويقال: ما آدك فهو لي آئد، يعني بذلك: ما أثقلك فهو لي مثقل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ يقول: لا يثقل عليه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهما﴾ قال: لا يثقل عليه حفظهما.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقل عليه لا يجهده حفظهما.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال: لا يثقل عليه شيء.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا يوسف بن خالد السمتي، قال: ثنا نافع بن مالك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال: لا يثقل عليه حفظهما.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، وحدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قالا جميعاً: أخبرنا جويبر، عن الضحاك: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال: لا يثقل عليه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن عبيد، عن الضحاك، مثله.

والراوية فيه وفي «**لسان العرب**» (قدس، كرس: القديم) في موضع (الكريم) والكرس بكسر الكاف: الأصل والمعدن. وفي «**اللسان**» (قدم): (الكرسي)، بياء مشددة في آخره. وقال العجاج يمدح الوليد بن عبد الملك. أراد أنه أحق نفس بالخلافة. وأنشد البيتين الأخيرين في كرس هكذا:

أنـتَ أبـا الـعَـبَّـاسِ أَوْلـى نَـفْـسِ   بِـمـعـدن الـمُـلْـكِ الـقَـديـم الـكِـرْسِ

والكرس: الأصل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعته. يعني خلاداً. يقول: سمعت أبا عبد الرحمن المديني يقول في هذه الآية: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال: لا يكثر عليه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال: لا يَكْرُثُهُ.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال: لا يثقل عليه.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ يقول: لا يثقل عليه حفظهما.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ قال: لا يعزّ عليه حفظهما.

قال أبو جعفر: والهاء والميم والألف في قوله: ﴿حِفْظُهُمَا﴾ من ذكر السموات والأرض؛ فتأويل الكلام: وسع كرسيه السموات والأرض، ولا يثقل عليه حفظ السموات والأرض.

وأما تأويل قوله: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ﴾ فإنه يعني: والله العليّ. والعلِيّ: الفعيل من قولك علا يعلو علوًّا: إذا ارتفع، فهو عالٍ وعليّ، والعليّ: ذو العلوّ والارتفاع على خلقه بقدرته. وكذلك قوله: ﴿العَظِيمُ﴾ ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: العظيم الذي قد كمل في عظمته.

واختلف أهل البحث في معنى قوله: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ﴾ فقال بعضهم: يعني بذلك؛ وهو العليّ عن النظير والأشباه. وأنكروا أن يكون معنى ذلك: وهو العليّ المكان، وقالوا: غير جائز أن يخلو مِنهِ مكان، ولا معنى لوصفه بعلوّ المكان؛ لأن ذلك وصفه بأنه في مكان دون مكان.

وقال آخرون: معنى ذلك: وهو العليّ على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه، لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه، كما وصف به نفسه أنه على العرش، فهو عالٍ بذلك عليهم.

وكذلك اختلفوا في معنى قوله: ﴿العَظِيمُ﴾ فقال بعضهم: معنى العظيم في هذا الموضع: المعظم صرف المُفَعَّل إلى فعيل، كما قيل للخمر المعتقة: خمر عتيق، كما قال الشاعر:

وكأنَّ الخَمْرَ العَتِيقَ مِنَ الإسْـ ... فَنْطِ مَمْزُوجَةً بِمَاءٍ زُلالِ[(١)]

وإنما هي معتقة. قالوا: فقوله «العظيم» معناه: المعظم الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه. قالوا: وإما يحتمل قول القائل: هو عظيم أحد معنيين: أحدهما: ما وصفنا من أنه معظم؛ والآخر: أنه عظيم في المساحة والوزن. قالوا: وفي بطول القول بأن يكون معنى ذلك: أنه عظيم في المساحة والوزن صحة القول بما قلنا.

وقال آخرون: بل تأويل قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾ هو أن له عظمة هي له صفة. وقالوا: لا نصف عظمته بكيفية، ولكنا نضيف ذلك إليه من جهة الإثبات، وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظم المعروف من العباد، لأن ذلك تشبيه له بخلقه، وليس كذلك. وأنكر هؤلاء ما قاله أهل المقالة التي قدمنا ذكرها، وقالوا: لو كان معنى ذلك أنه معظم، لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق، وأن يبطل معنى ذلك عند فناء الخلق، لأنه لا معظم له في هذه الأحوال.

وقال آخرون: بل قوله: إنه العظيم وصف منه نفسه بالعِظَم. وقالوا: كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصغر لصغرهم عن عظمته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار، أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هوّدوهم أو نصروهم؛ فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم

(١) هذا البيت من لامية الأعشى المشهورة (ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين). والعتيق القديم. والإسفنط بفتح الفاء، قال الجوهري: ضرب من الأشربة. فارسي معرب. يشبه طعم ريقها في آخر الليل بخمر معتقة ممزوجة بالماء الزلال في فمها. وخبر كأن في البيت بعده، وممزوجة: منصوب على الحال. والشاهد في العتيق بمعنى اسم المفعول.

عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مِقلاتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده؛ فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا! فأنزل الله تعالى ذكره: **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾**.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: كانت المرأة تكون مِقْلى ولا يعيش لها ولد. قال شعبة: وإنما هو مقلات(١) ـ، فتجعل عليها إن بقي لها ولد لتهوّدنه. قال: فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم، فقالت الأنصار: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية: **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾** قال: من شاء أن يقيم أقام، ومن شاء أن يذهب ذهب.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن عامر، قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاتاً لا يعيش لها ولد، فتنذر إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم. فجاء الإسلام وطوائف من أبناء الأنصار على دينهم، فقالوا: إنما جعلناهم على دينهم، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، وإذ جاء الله بالإسلام فلنكرهنهم! فنزلت: **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾** فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والإسلام، فمن لحق بهم اختار اليهودية، ومن أقام اختار الإسلام. ولفظ الحديث لحميد.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت داود، عن عامر، بنحو معناه، إلا أنه قال: فكان فصل ما بينهم إجلاء رسول الله ﷺ بني النضير، فلحق بهم من كان يهودياً ولم يسلم منهم، وبقي من أسلم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر بنحوه، إلا أنه قال: إجلاء النضير إلى خيبر، فمن اختار الإسلام أقام، ومن كره لحق بخيبر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن أبي إسحاق، عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾** قال: نزلت في رجلٍ من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين؛ كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبيّ ﷺ: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك.

---

(١) اشتقاق المقلات: من قلت لامن قلا. فالصواب ما قاله شعبة بن الحجاج.

حدثني المثنى قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ قال: نزلت هذه في الأنصار. قال: قلت خاصة؟ قال: خاصة. قال: كانت المرأة في الجاهلية تنذر إن ولدت ولداً أن تجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه. قال: فجاء الإسلام وفيهم منهم؛ فلما أجليت النضير، قالوا: يا رسول الله، أبناؤنا وإخواننا فيهم، قال: فسكت عنهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ قال: فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ خُيِّرَ أَصْحَابُكُمْ، فإِن اخْتارُوكُمْ فَهُمْ مِنْكُمْ، وَإِنِ اخْتارُوهُمْ فَهُمْ مِنْهُمْ» قال: فأجلوهم معهم.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ إلى: ﴿**لاَ انْفِصَامَ لَهَا**﴾ قال: نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين: كان له ابنان، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت؛ فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين، فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا، فرجعا إلى الشام معهم. فأتى أبوهما إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن ابنيّ تنصرا وخرجا، فأطلبهما؟ فقال: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب. وقال: «أَبْعَدَهُما اللهُ! هما أوّل من كَفَرَ». فوجد أبو الحصين في نفسه على النبيّ ﷺ حين لم يبعث في طلبهما، فنزلت: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ ثم إنه نسخ: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ قال: كانت في اليهود يهود أرضعوا[1] رجالاً من الأوس، فلما أمر النبيّ ﷺ بإجلائهم، قال أبناؤهم من الأوس: لنذهبنّ معهم، ولندينن بدينهم! فمنعهم أهلوهم، وأكرهوهم على الإسلام، ففيهم نزلت هذه الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد جميعاً، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ قال: كان ناس من الأنصار مسترضعين في بني قريظة، فأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام، فنزلت: ﴿**لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني الحجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: كانت النضير يهوداً فأرضعوا. ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو، عن أبي عاصم. قال

(١) عبارة «**الدر المنثور**»: كانت النضير أرضعت رجالاً... الخ.

ابن جريج: وأخبرني عبد الكريم، عن مجاهد أنهم كانوا قد دان بدينهم أبناءُ الأوس، دانوا بدين النضير.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: أن المرأة من الأنصار كانت تنذر إن عاش ولدها لتجعلنّه في أهل الكتاب فلما جاء الإسلام قالت الأنصار: يا رسول الله ألا نُكره أولادنا الذين هم في يهود على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم فيها ونحن نرى أن اليهودية أفضل الأديان؟ فلما إذ جاء الله بالإسلام، أفلا نكرههم على الإسلام؟ فأنزل الله تعالى ذكره: **﴿لا إكْرَاهَ فِي الدّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيّ﴾**.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن داود، عن الشعبي مثله، وزاد: قال: كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الإسلام، إجلاء بني النضير؛ فمن خرج مع بني النضير كان منهم، ومن تركهم اختار الإسلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿لا إكْرَاهَ فِي الدّينِ﴾** إلى قوله: **﴿العُرْوَةِ الوُثْقَى﴾** قال: هذا منسوخ.

حدثني سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ووائل، عن الحسن: أن أناساً من الأنصار كانوا مسترضَعين في بني النضير، فلما أُجلُوا، أراد أهلوهم أن يلحقوهم بدينهم، فنزلت: **﴿لا إكْرَاهَ فِي الدّينِ﴾**.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يُكره أهلُ الكتاب على الدين إذا بذلوا الجزية، ولكنهم يُقرّون على دينهم. وقالوا: الآية في خاصّ من الكفار، ولم ينسخ منها شيء. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿لا إكْرَاهَ فِي الدّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيّ﴾** قال: أكره عليه هذا الحيّ من العرب، لأنهم كانوا أمة أمية، ليس لهم كتاب يعرفونه، فلم يقبل منهم غير الإسلام، ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقرّوا بالجزية أو بالخراج، ولم يفتنوا عن دينهم، فيُخلّى عنهم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة في قوله: **﴿لا إكْرَاهَ فِي الدّينِ﴾** قال: هو هذا الحيّ من العرب أكرهوا على الدين، لم يقبل منهم إلا القتل أو الإسلام، وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ولم يقتلوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: **﴿لا إكْرَاهَ فِي الدّينِ﴾** قال: أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان، فلم يقبل منهم إلا «لا إله إلاّ الله»، أو السيف. ثم أُمِرَ فيمن سواهم بأن يقبل منهم الجزية؛ فقال: **﴿لا إكْرَاهَ فِي الدّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيّ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ قال: كانت العرب ليس لها دين، فأكرهوا على الدين بالسيف، قال: ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس إذا أعطوا الجزية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، قال: سمعت مجاهداً يقول لغلام له نصراني: يا جرير أسلِم! ثم قال: هكذا كان يقال لهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ قال: وذلك لما دخل الناس في الإسلام، وأعطى أهل الكتاب الجزية.

وقال آخرون: هذه الآية منسوخة، وإنما نزلت قبل أن يفرض القتال. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال: سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ قال: كان رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين لا يُكره أحداً في الدين، فأبى المشركون إلا أن يقاتلوهم، فاستأذن الله في قتالهم، فأذن له.

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس، وقال: عنى بقوله تعالى ذكره: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ أهل الكتابين والمجوس، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق، وأخذ الجزية منه. وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخاً.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا كتاب «اللطيف من البيان عن أصول الأحكام» من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ، فلم يجز اجتماعهما. فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص، فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل. وإذ كان ذلك كذلك، وكان غير مستحيل أن يقال: لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً، فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتدّ عن دينه دين الحقّ إلى الكفر ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه، وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين، ومن أشبههم؛ كان بيّناً بذلك أن معنى قوله: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حلّ قبول الجزية منه بأدائه الجزية، ورضاه بحكم الإسلام. ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالإذن بالمحاربة.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما رُوي عن ابن عباس وعمن رُوي عنه: من أنها نزلت في قوم من الأنصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام؟ قلنا: ذلك غير مدفوعة صحته، ولكن الآية قد تنزل في خاصّ من الأمر، ثم يكون حكمها عاماً في كل ما جانس المعنى الذي أنزلت فيه. فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما ذكر ابن عباس وغيره، إنما كانوا قوماً دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الإسلام لهم، فنهى الله تعالى ذكره عن إكراههم على الإسلام، وأنزل بالنهي عن ذلك آية يعمّ حكمها كل من كان في مثل معناهم ممن كان على دين من الأديان التي يجوز أخذ الجزية من أهلها، وإقرارهم عليها على النحو الذي قلنا في ذلك.

ومعنى قوله: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ لا يكره أحد في دين الإسلام عليه، وإنما أدخلت الألف واللام في الدين تعريفاً للدين الذي عنى الله بقوله: لا إكراه فيه، وأنه هو الإسلام. وقد يحتمل أن يكون أُدخلتا عقيباً من الهاء المنوية في الدين، فيكون معنى الكلام حينئذ: وهو العليّ العظيم لا إكراه في دينه، قد تبيّن الرشد من الغيّ. وكأنّ هذا القول أشبه بتأويل الآية عندي.

وأما قوله: ﴿**قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ**﴾ فإنه مصدر من قول القائل: رَشِدتُ فأنا أرْشَدُ رَشَداً ورُشْداً وَرَشاداً، وذلك إذا أصاب الحقّ والصواب. وأما الغيّ، فإنه مصدر من قول القائل: قد غَوَى فلان فهو يَغْوَى غَيّاً وغَوَايَةً. وبعض العرب يقول: غَوَى فلان يَغْوَى. والذي عليه قراءة القراء: ﴿**ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَما غَوَى**﴾ بالفتح، وهي أفصح اللغتين، وذلك إذا عدا الحقّ وتجاوزه فضلّ.

فتأويل الكلام إذاً: قد وضح الحقّ من الباطل، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه، فتميز من الضلالة والغواية، فلا تكرهوا من أهل الكتابين، ومن أبَحتُ لكم أخذ الجزية منه، على دينكم، دين الحق؛ فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته له، فإلى ربه أمره، وهو وليّ عقوبته في معاده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤْمِنْ باللَّهِ﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى الطاغوت، فقال بعضهم: هو الشيطان. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد العبسي قال: قال عمر بن الخطاب: الطاغوت: الشيطان.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثني ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر، مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك، عمن حدثه، عن مجاهد، قال: الطاغوت: الشيطان.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا زكريا، عن الشعبي، قال: الطاغوت: الشيطان.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ﴾ قال: الشيطان.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، الطاغوت: الشيطان.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي في قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ﴾ بالشيطان.

وقال آخرون: الطاغوت: هو الساحر. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى قال: ثنا داود، عن أبي العالية، أنه قال: الطاغوت: الساحر. وقد خولف عبد الأعلى في هذه الرواية، وأنا أذكر الخلاف بعد.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا عوف، عن محمد، قال: الطاغوت: الساحر. وقال آخرون: بل الطاغوت: هو الكاهن. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا سعيد، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: الطاغوت: الكاهن.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن رفيع، قال: الطاغوت: الكاهن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ﴾ قال: كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم. أخبرني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله، أنه سمعه يقول: وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، فقال: كان في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حيّ واحد، وهي كهان ينزل عليها الشيطان.

والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء. وأرى أن أصل الطاغوت: الطَّغَوُوت، من قول القائل: طغا فلان يطغو: إذا عدا قدره فتجاوز حدّه، كالجبروت من التجبر، والخلبوت من الخَلْب، ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء. ثم نقلت لامه أعني لام الطغووت، فجعلت له عيناً، وحوّلت عينه فجعلت مكان لامه، كما قيل جذب وجبذ وجابذ وجاذب وصاعقة وصاقعة، وما أشبه ذلك من الأسماء التي على هذا المثال.

فتأويل الكلام إذاً: فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به؛ ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يقول: ويصدق بالله أنه إلهه وربه ومعبوده، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ يقول: فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه. كما:

حدثني أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندي، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا ابن أبي مريم، عن حميد بن عقبة، عن أبي الدرداء: أنه عاد مريضاً من جيرته فوجده في السَّوْق وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد، فسألهم: يريد أن ينطق؟ قالوا: نعم يريد أن يقول: آمنت بالله وكفرت بالطاغوت. قال أبو الدرداء: وما علمكم بذلك؟ قالوا: لم يزل يرددها حتى انكسر لسانه، فنحن نعلم أنه إنما يريد أن ينطق بها. فقال أبو الدرداء: أفلح صاحبكم، إن الله يقول: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

القول في تاويل قوله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

والعروة في هذا المكان مثل للإيمان الذي اعتصم به المؤمن، فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها، إذ كان كل ذي عروة، فإنما يتعلق من أراده بعروته، وجعل تعالى ذكره الإيمان الذي تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله، من أوثق عرى الأشياء بقوله: ﴿الْوُثْقَى﴾ والوثقى: فعلى من الوثاقة، يقال في الذكر: هو الأوثق، وفي الأنثى: هي الوثقى، كما يقال فلان الأفضل وفلانة الفضلى.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قال: الإيمان.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: العروة الوثقى: هو الإسلام.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي السوداء، عن جعفر، يعني ابن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير قوله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قال: لا إله إلا الله، ثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي السوداء النهدي، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾ مثله.

القول في تأويل قوله: ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسار لها، والهاء والألف في قوله لها عائد على العروة.

ومعنى الكلام: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه إياه، وإسلامه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها، وأصل الفصم: الكسر، ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

وَمَبْسِمُها عَنْ شَتِيتِ النَّبا تِ غيرُ أكسَّ ولا مُنْقَصِمْ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا﴾ قال: لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا﴾ قال: لا انقطاع لها.

القول في تأويل قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

يعني تعالى ذكره: والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده، الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله، وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سرّ، ولا يخفى عليه أمر، حتى يجازى كلا

(١) البيت لأعشى بني ثعلبة وهو أبو بصير في ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين، (ص ـ ٣٥). والشتيت: المفلج. والأكس: صفة من كس يكس كسساً من باب فرح، وهو القصير الأسنان، أو الذي يكون حنكه الأعلى أقصر من الأسفل. فتكون الثنيتان العليان وراء السفليين من داخل الفم. والمنقضم: اسم فاعل وهو الذي فيه القضم (قضم يقضم قضماً من باب فرح) وهو انصداع في السن، أو تثلم وتكسر في أطراف الأسنان وتفلل وأسوداد ورواية المؤلف: منفصم، وهي صحيحة بمعنى الأولى.

يوم القيامة بما نطق به لسانه، وأضمرته نفسه، إن خيراً فخيراً، وإن شرّا فشرّا.

القول في تأويل قوله

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه، **﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ﴾** يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وإنما عنى بالظلمات في هذا الموضع: الكفر، وإنما جعل الظلمات للكفر مثلا، لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان، والعلم بصحته وصحة أسبابه، فأخبر تعالى ذكره عباده أنه وليّ المؤمنين ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم؛ فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب.

ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به، فقال: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾** يعني الجاحدين وحدانيته أولياؤهم يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم الطاغوت، يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله **﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلى الظُّلُماتِ﴾** يعني بالنور: الإيمان على نحو ما بينا إلى الظلمات، ويعني بالظلمات: ظلمات الكفر وشكوكه، الحائلة دون أبصار القلوب، ورؤية ضياء الإيمان، وحقائق أدلته وسبله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ﴾** يقول: من الضلالة إلى الهدى **﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾** الشيطان **﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلى الظُّلُماتِ﴾** يقول: من الهدى إلى الضلالة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ﴾** الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلى الظُّلُماتِ﴾** يخرجونهم من الإيمان إلى الكفر.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله تعالى ذكره **﴿اللَّهُ**

وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾ يقول: من الكفر إلى الإيمان **﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ﴾** يقول: من الإيمان إلى الكفر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن عبدة[١] بن أبي لبابة، عن مجاهد أو مقسم في قول الله **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ﴾** قال: كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به؛ فلما بعث الله محمداً ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى، أي يخرج الذين آمنوا إلى الإيمان بمحمد ﷺ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد ﷺ، قال: يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت منصوراً، عن رجل، عن عبدة[١] بن أبي لبابة قال في هذه الآية **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾** إلى **﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** قال: هم الذين كانوا آمنوا بعيسى ابن مريم، فلما جاؤهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية.

وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد وعبدة[١] بن أبي لبابة يدل على أن الآية معناها الخصوص، وأنها إن كان الأمر كما وصفنا نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد ﷺ، وفيمن آمن بمحمد ﷺ من عبدة الأوثان الذين لم يكونوا مقرّين بنبوّة عيسى وسائر الملل التي كان أهلها تكذّب بعيسى.

فإن قال قائل: أو كانت النصارء على حقّ قبل أن يبعث محمد ﷺ، فكذبوا به؟ قيل: من كان منهم على ملة عيسى بن مريم ﷺ فكان على حق وإياهم عنى الله تعالى ذكره بقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**.

فإن قال قائل: فهل يحتمل أن يكون قوله: **﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ﴾** أن يكون معنيا به غير الذين مجاهد وغيره أنهم عنوا به من المؤمنين بعيسى أو غير أهل الردة والإسلام؟ قيل: نعم يحتمل أن يكون معنى ذلك: والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم وبين الإيمان، ويضلونهم فيكفرون، فيكون تضليلهم إياهم حتى يكفروا إخراجاً منهم لهم من الإيمان، يعنء صدّهم إياهم عنه وحرمانهم إياهم خيره، وإن لم يكونوا كانوا فيه قبل كقول الرجل: أخرجني والدي من ميراثه: إذا ملك ذلك في حياته غيره، فحرمه منه خطيئة، ولم

(١) في الأصل: عبد الله في الموضع الأول، وعبدة في الثاني والثالث. والصواب: عبدة فيها، انظر خلاصة الخزرجي.

يملك ذلك القائل هذا الميراث قط فيخرج منه، ولكنه لما حرمه، وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يحرمه، قيل: أخرجه منه، وكقول القائل: أخرجني فلان من كتيبته، يعني لم يجعلني من أهلها، ولم يكن فيها قط قبل ذلك، فكذلك قوله: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ إِلى الظُّلُماتِ﴾ يحتمل أن يكون إخراجهم إياهم من الإيمان إلى الكفر على هذا المعنى، وإن كان الذي قاله مجاهد وغيره أشبه بتأويل الآية.

فإن قال لنا قائل: وكيف قال: ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ فجمع خبر الطاغوت بقوله يخرجونهم، والطاغوت واحد. قيل: إن الطاغوت اسم لجماع وواحد وقد يجمع طواغيت، وإذا جعل واحده وجمعه لفظ واحد كان نظير قولهم: رجل عدل، وقوم عدل، ورجل فطر، وقوم فطر، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تأتي موحدة في اللفظ واحدها وجمعها، وكما قال العباس بن مرداس:

فَقُلْنا أَسْلِمُوا إنا أَخُوكُمْ ... فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ(١)

القول في تأويل قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: هؤلاء الذين كفروا أصحاب النار، أهل النار الذين يخلدون فيها، يعني في نار جهنم دون غيرهم من أهل الإيمان إلى غير غاية ولا نهاية أبداً.

القول في تأويل قوله

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ ألم تر يا محمد بقلبك الذي حاجّ إبراهيم؟ يعني الذي خاصم إبراهيم، يعني إبراهيم نبيّ الله ﷺ في ربه، ﴿أَنْ آتاهُ اللَّهُ المُلْكَ﴾ يعني بذلك: حاجه فخاصمه في ربه، لأن الله آتاه الملك، وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، من الذي حاجّ إبراهيم في ربه، ولذلك أدخلت إلى في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِي حاجَّ﴾ وكذلك تفعل العرب إذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله، قالوا: ما ترى إلى هذا، والمعنى: هل رأيت مثل هذا، أو كهذا؟ وقيل: إن الذي حاجّ إبراهيم في

---

(١) البيت في «اللسان» (أخو) ونسبه للعباس بن مرداس السلمي، واستشهد به على أن الأخ قد يجمع بالواو والنون، وحذفت منه النون للإضافة. وأما المؤلف فقد جعله مفرداً بمعنى الجمع. والإحن: العداوات.

ربه جبار كان ببابل يقال له نمروذ بن كنعان، بن كوش بن سام بن نوح، وقيل: إنه نمروذ بن فالخ بن عابر بن شالَخ بن أرفخْشذ ابن سام بن نوح.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ المُلْكَ**﴾ قال: هو نمروذ بن كنعان.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن النضر بن عديّ، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾ قال: كنا نتحدث أنه ملك يقال له نمروذ، وهو أول ملك تجبر في الأرض، وهو صاحب الصرح ببابل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: هو اسمه نمروذ، وهو أول ملك تجبر في الأرض حاجّ إبراهيم في ربه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ المُلْكَ**﴾ قال: ذكر لنا أن الذي حاجّ إبراهيم في ربه كان ملكاً يقال له نمروذ، وهو أول جبار تجبر في الأرض، وهو صاحب الصرح ببابل.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: هو نمروذ[١] بن كنعان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: هو نمروذ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني زيد بن أسلم، بمثله.

(١) نمروذ: بضم النون، وإهمال الدال وإعجامها. وصرح العصام وغيره بأنه بالمعجمة (انظر تاج العروس).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: هو نمروذ. قال ابن جريج: هو نمروذ، ويقال إنه أول ملك في الأرض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قالَ إبرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ. قالَ أنا أُحْيِي وأُمِيتُ قالَ إبْرَاهِيمُ فإنَّ اللَّهَ يأتي بالشَّمْسِ مِنَ المَشرِقِ فأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظالِمِينَ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: ألم تر يا محمد إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه حين قال له إبراهيم: ربيَ الذي يحيي ويميت، يعني بذلك: ربي الذي بيده الحياة والموت يحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء، قال: أنا أفعل ذلك، فأحيي وأميت، أستحيي من أردت قتله، فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء له. وذلك عند العرب يسمى إحياء، كما قال تعالى ذكره: **﴿وَمَنْ أحْيَاها فَكأنَّمَا أحْيا النَّاسَ جَمِيعاً﴾** وأقتل آخر فيكون ذلك مني إماتة له. قال إبراهيم ﷺ: فإن الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها، فأت بها إن كنت صادقاً أنك إله من مغربها! قال الله تعالى ذكره: **﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾** يعني انقطع وبطلت حجته، يقال منه: بُهت يُبْهَتُ بَهْتاً، وقد حكي عن بعض العرب أنها تقول بهذا المعنى: بَهِتَ، ويقال: بَهَتُّ الرجل إذا افتريت عليه كذباً بَهْتاً وَبُهْتاناً وبَهَاتةً. وقد روي عن بعض القرءة أنه قرأ: «فَبَهَتَ الَّذِي كَفَرَ» بمعنى: فبهت إبراهيم الذي كفر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: **﴿إذْ قال إبْرَاهِيمُ رَبيَ الَّذِي يُحْيي ويُمِيتُ، قال أنا أُحْيِي وأُمِيتُ﴾** وذكر لنا أنه دعا برجلين، فقتل أحدهما، واستحيا الآخر، فقال: أنا أحيي هذا، أنا أستحيي من شئت، وأقتل من شئت، قال إبراهيم عند ذلك: **﴿فإنَّ اللَّه يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ المَشرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أنا أحيي وأميت: أقتل من شئت، وأستحيي من شئت، أدعه حياً فلا أقتله. وقال: ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر: مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين؛ والكافرون: بختنصر[1] ونمروذ بن كنعان، لم يملكها غيرهم.

(١) أصل اسم بختنصر كما في سفر إرميا (٢٨/١٠) نبوخذ ناصر. وقد يبدلون النون الثانية راء كما في إرمياء (٣٢/٢٩).

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم: أول جبار كان في الأرض نمروذ، فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار، فإذا مرّ به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت. حتى مرّ إبراهيم، قال: من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت، **﴿قالَ إبراهيمُ فإنَّ اللَّهَ يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾** قال: فردّه بغير طعام. قال: فرجع إبراهيم على أهله فمرّ على كثيب من رمل أعفر، فقال: ألا آخذ من هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم؟ فأخذ منه فأتى أهله، قال: فوضع متاعه ثم نام، فقامت امرأته إلى متاعه، ففتحته، فإذا هي بأجود طعام رأته، فصنعت له منه، فقرّبته إليه. وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذي جئت به. فعلم أن الله رزقه، فحمد الله. ثم بعث الله إلى الجبار ملكاً أن آمن بي وأتركك على ملكك! قال: وهل ربٌ غيري؟ فجاءه الثانية، فقال له ذلك، فأبى عليه. ثم أتاه الثالثة فأبى عليه، فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام! فجمع الجبار جموعه، فأمر الله الملك، ففتح عليه باباً من البعوض، فطلعت الشمس، فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم، وشربت دماءهم، فلم يبق إلاّ العظام، والملك كما هو لم يصبه من ذلك شيء. فبعث الله عليه بعوضة، فدخلت في منخره، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرْحَمُ الناس به من جَمَعَ يديه وضرب بهما رأسه. وكان جباراً أربعمائة عام، فعذّبه الله أربعمائة سنة كملكه، ثم أماته الله. وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذي قال الله: **﴿فأتى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله: **﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حاجَّ إبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾** قال: هو نمروذ كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه، قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت، فيقول: ميروهم! فلما دخل إبراهيم، ومعه بعير خرج يمتار به لولده قال: فعرضهم كلهم، فيقول: من ربكم؟ فيقولون: أنت، فيقول: ميروهم! حتى عرض إبراهيم مرّتين، فقال: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت، إن شئت قتلتك فأمتك، وإن شئت استحييتك. **﴿قالَ إبرَاهِيمُ فإنَّ اللَّهَ يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** قال: أخرجوا هذا عني فلا تميروه شيئاً! فخرج القوم كلهم قد امتاروا. وجُوَالِقا إبراهيم يصطفقان، حتى إذا نظر إلى سواد جبال أهله، قال: ليحزنني صبياي إسماعيل وإسحاق، لو أني ملأت هذين الجوالقين من هذه البطحاء فذهبت بهما قرّت عينا صبيَّيَّ، حتى إذا كان الليل أهرقته. قال: فملأهما ثم خيطهما، ثم جاء بهما، فترامى عليهما الصبيان فرحاً، وألقى رأسه في حجر سارة ساعة، ثم قالت: ما يجلسني! قد جاء إبراهيم تَعِباً لغباً، لو قمت صنعت له طعاماً إلى أن يقوم! قال: فأخذت وسادة فأدخلتها مكانها، وانسلت قليلاً قليلاً لئلا توقظه. قال: فجاءت إلى إحدى

الغِرارتين ففتقتها، فإذا حوّاري[1] من النقي لم يروا مثله عند أحد قط، فأخذت منه فطحنته وعجنته. فلما أتت توقظ إبراهيم جاءته حتى وضعته بين يديه، فقال: أيّ شيء هذا يا سارة؟ قالت: من جُوالقك، لقد جئت وما عندنا قليل ولا كثير. قال: فذهب ينظر إلى الجوالق الآخر فإذا هو مثله، فعرف من أين ذاك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: لما قال له إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، قال هو، يعني نمروذ: فأنا أحيي وأميت، فدعا برجلين، فاستحياأحدهما، وقتل الآخر، قال: أنا أحيي وأميت، قال: أي أستحيي من شئت، فقال إبراهيم: **﴿فإنَّ اللَّهَ يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما خرج إبراهيم من النار، أدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه، وقال له: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، قال نمروذ: أنا أحيي وأميت، أنا أدخل أربعة نفر بيتاً، فلا يطعمون ولا يسقون، حتى إذا هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا، وتركت اثنين فماتا! فعرف إبراهيم أن له قدرة بسلطانه وملكه على أن يفعل ذلك. قال له إبراهيم: فإن ربي الذي يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب! فبهت الذي كفر، وقال: إن هذا إنسان مجنون، فأخرجوه! ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها، وأن النار لم تأكله؟ وخشي أن يفتضح في قومه. أعني نمروذ. وهو قول الله تعالى ذكره: **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاها إبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾** فكان يزعم أنه ربّ. وأُمِرَ بإبراهيم فأُخرج.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: قال: أنا أحيي وأميت، أحيي فلا أقتل، وأميت من قتلت. قال ابن جريج، كان أتى برجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فقال: أنا أحيي وأميت، قال: أقتل فأميت من قتلت، وأحيي، قال: أستحيي فلا أقتل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: ذكر لنا والله أعلم. أن نمروذ قال لإبراهيم فيما يقول: أرأيت إلهك هذا الذي تعبده، وتدعو إلى عبادته، وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره، ما هو؟ قال له إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمروذ: فأنا أحيي وأميت. فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي، فأقتل أحدهما فأكون قد أمّته، وأعفو عن الآخر فأتركه وأكون قد

(١) الحواري: الدقيق الأبيض الخالص، وهو اللباب النقي.

أحييته. فقال له إبراهيم عند ذلك: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، أعرفُ[1] أنه كما تقول! فبهت عند ذلك نمروذ، ولم يرجع إليه شيئاً، وعرف أنه لا يطيق ذلك. يقول تعالى ذكره: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ يعني وقعت عليه الحجة، يعني نمروذ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: والله لا يهدي أهل الكفر إلى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة، لأن أهل الباطل حججهم داحضة. وقد بيّنا أن معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والكافر: وضع جحوده ما جحد في غير موضعه، فهو بذلك من فعله ظالم لنفسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن إسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق: ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يهديهم في الحجة عند الخصومة لما هم عليه من الضلالة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ﴾ نظير الذي عنى بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهَ﴾ من تعجيب محمد ﷺ منه. وقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ﴾ عطف على قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾. وإنما عطف قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ على قوله: ﴿إلى الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وإن اختلف لفظاهما، لتشابه معنييهما، لأن قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ بمعنى: هل رأيت يا محمد كالذي حاجّ إبراهيم في ربه، ثم عطف عليه بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ﴾ لأن من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه وإن خالف لفظه لفظه. وقد زعم بعض نحويي البصرة أن «الكاف» في قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ﴾ زائدة، وأن المعنى: ألم ترى إلى الذي حاجّ إبراهيم، أو الذي مرّ على قرية. وقد بيّنا قَبْلُ فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

---

(١) قوله «أعرف». . الخ هذه العابرة إن كانت من قول إبراهيم، فهي إشارة إلى ما رد به نمروذ من الإحياء والإماتة المجازيين. وإن كانت من كلام نمروذ، احتيج إلى لفظ قبلها. مثل: قال أو نحوه

واختلف أهل التأويل في الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، فقال بعضهم: هو عُزَيْر. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن ناجية بن كعب: **﴿أوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾** قال: عزير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو خزيمة، قال: سمعت سليمان بن بريدة في قوله: **﴿أوْ كالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾** قال: هو عزير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿أوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾** قال: ذكر لنا أنه عزير.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج، عن عكرمة: **﴿أوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِها﴾** قال: عزير.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي: **﴿أوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ﴾** قال: عزير.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿أوْ كالَّذي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا﴾** إنه هو عزير.

حدثني يونس، قال: قال لنا سلم الخواص: كان ابن عباس يقول: هو عزير.

وقال آخرون: هو إرميا بن حلقيّا[1] وزعم محمد بن إسحاق أن إرميا هو الخضر.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: اسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل، إرميا بن حلَقيّا، وكان من سبط هارون بن عمران.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: ثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله: **﴿أنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾** أن إرميا لما خرِب بيت المقدس وحرقت الكتب، وقف في ناحية الجبل، فقال: **﴿أنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**.

(١) كذا ضبط في سفر إرميا (١/١).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: هو إرميا.

حدثني محمد بن عسكر، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: سمعت عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن قيس بن سعد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير في قول الله: **﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾** قال: كان نبياً وكان اسمه إرميا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن قيس بن سعد، عن عبد الله بن عبيد، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني بكر بن مضر[1] قال: يقولون والله أعلم: إنه إرميا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عجّب نبيه ﷺ ممن قال إذ رأى قرية خاوية على عروشها: **﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾** مع علمه أنه ابتدأ خلقها من غير شيء، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها، حتى قال: أنى يحييها الله بعد موتها! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصحّ من قبله البيان على اسم قائل ذلك، وجائز أن يكون ذلك عزيراً، وجائز أن يكون إرميَا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك. وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت من قريش، ومن كان يكذّب بذلك من سائر العرب، وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل بإطلاعه نبيه محمد ﷺ على ما يزيل شكهم في نبوّته، ويقطع عذرهم في رسالته، إذ كانت هذه الأنباء التي أوحاها إلى نبيه محمد ﷺ في كتابه من الأنباء التي لم يكن يعلمها محمد ﷺ وقومه، ولم يكن علم ذلك إلا عند أهل الكتاب، ولم يكن محمد ﷺ وقومه منهم، بل كان أمياً وقومه أميون، فكان معلوماً بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره أن محمداً ﷺ لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله إليه. ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصوبة عليه نصباً يقطع العذر ويزيل الشك، ولكن القصد كان إلى ذمّ قيله، فأبان تعالى ذكره ذلك لخلقه.

---

(١) مضر: ساقط من الأصول. وسيأتي التصريح به فيما ينقله المؤلف من أحاديث يونس عن ابن وهب عن بكر بن مضر.

واختلف أهل التأويل في القرية التي مرّ عليها القائل: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾ فقال بعضهم: هي بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك، قالا: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه، قال: لما رأى إرميا هدم بيت المقدس كالجبل العظيم، قال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾.

ثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه، قال: هي بيت المقدس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق عمن لا يتهم أنه سمع وهب بن منبه يقول ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنه بيت المقدس، أتى عزير بعد ما خرّبه بختنصر البابلي.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَوْ كالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾ أنه مرّ على الأرض المقدسة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة في قوله: ﴿أَوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ﴾ قال: القرية: بيت المقدس، مرّ بها عُزَيْر بعد إذ خرّبها بختنصر.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿أَوْ كالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ﴾ قال: القرية بيت المقدس، مرّ عليها عزير وقد خرّبها بختنصر.

وقال آخرون: بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم [الله] موتوا. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَى إلى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ قال: قرية كان نزل بها الطاعون، ثم اقتصّ قصتهم التي ذكرناها في موضعها عنه، إلى أن بلغ فقال لهم الله موتوا في المكان الذي ذهبوا يبتغون فيه الحياة، فماتوا ثم أحياهم الله ﴿إنّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ على النَّاسِ ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾. قال: ومرّ بها رجل وهي عظام تلوح، فوقف ينظر، فقال﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها، فَأماتَهُ اللَّهُ مائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ إلى قوله﴿لَمْ يَتَسَنَّه﴾.

والصواب من القول في ذلك كالقول في اسم القائل: ﴿أنّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾ سواء لا يختلفان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ وهي خالية من أهلها وسكانها، يقال من ذلك: خوت الدار تَخْوي خَواءً وخُوِيًّا، وقد يقال للقرية: خَوِيَت، والأول أعرب وأفصح. وأما في المرأة إذا كانت نفساء فإنه يقال: خَوِيَتْ تَخْوَى خَوًى منقوصاً، وقد يقال فيها: خَوَتْ تَخْوِي، كما يقال في الدار، وكذلك خَوِيَ الجوف يَخْوَى خَواءً شَديداً، ولو قيل في الجوف ما قيل في الدار وفي الدار ما قيل في الجوف كان صواباً، غير أن الفصيح ما ذكرت. وأما العروش: فإنها الأبنية والبيوت، واحدها عَرْش، وجمع قليله أَعْرُش، وكل بناء فإنه عرش، ويقال: عرش فلان [داراً] يعرِش ويعرُش، وعرّش تعريشاً، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿وَما كانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يعني يبنون، ومنه قيل عريش مكة، يعني به: خيامها وأبنيتها.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس: خاوية: خراب. قال ابن جريج: بلغنا أن عزيراً خرج فوقف على بيت المقدس وقد خرّبه بختنصر، فوقف فقال: أبعد ما كان لك من القدس والمقاتِلة والمال ما كان! فحزن.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾ قال: هي خراب.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: مرّ عليها عزير وقد خرّبها بختنصر.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾ يقول: ساقطة على سقفها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قالَ أنّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فأماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ﴾.

ومعنى ذلك فيما ذكرت: أن قائله لما مرّ ببيت المقدس، أو بالموضع الذي ذكر الله أنه مرّ به خرابا بعد ما عهده عامراً، قال: ﴿أنّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾؟ فقال بعضهم: كان قيله ما قال من ذلك شكًّا في قدرة الله على إحيائه. فأراه الله قدرته على ذلك بضربه المثل له في نفسه، ثم أراه الموضع الذي أنكر قدرته على عمارته وإحيائه، أحيا ما رآه قبل خرابه، وأعمر ما كان قبل خرابه. وذلك أن قائل ذلك كان فيما ذكر لنا عهده عامراً بأهله وسكانه، ثم رآه خاوياً على عروشه، قد باد أهله وشتتهم القتل والسباء، فلم يبق منهم بذلك المكان أحد، وخربت منازلهم

ودورهم، فلم يبق إلا الأثر. فلما رآه كذلك بعد الحال التي عهده عليها، قال: على أيّ وجه يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها! استنكاراً فيما قاله بعض أهل التأويل. فأراه كيفية إحيائه ذلك بما ضربه له في نفسه، وفيما كان من شرابه وطعامه، ثم عرّفه قدرته على ذلك وعلى غيره بإظهاره إحياء ما كان عجباً عنده في قدرة الله إحياؤه لرأى عينه حتى أبصره ببصره، فلما رأى ذلك قال: ﴿**أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

وكان سبب قيله ذلك كالذي:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول: قال الله لإرميا حين بعثه نبياً إلى بني إسرائيل: يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصوّرك في رحم أمك قدستك، ومن قبل أن أخرجك من بطنها طهرتك، ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك، ولأمر عظيم اجتبيتك، فبعث الله تعالى ذكره إرميا إلى ملك بني إسرائيل يسدّده ويرشده، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبينه؛ قال: ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم، ونسوا ما كان الله صنع بهم، وما نجاهم من عدوّهم سنحاريب، فأوحى الله إلى إرميا: أن ائت قومك من بني إسرائيل، فاقصص عليهم ما آمرك به، وذكرهم نعمتي عليهم وعرّفهم أحداثهم، ثم ذكر ما أرسل الله به إرميا إلى قومه من بني إسرائيل، قال: ثم أوحى الله إلى إرميا: إني مهلك بني إسرائيل بيافث، ويافث أهل بابل، وهم من ولد يافث بن نوح؛ فلما سمع إرميا وحي ربه، صاح وبكى وشقّ ثيابه، ونبذ[1] الرماد على رأسه، فقال: ملعون يوم ولدت فيه، ويوم لقيت التوراة، ومن شرّ أيامي يوم ولدت فيه، فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو شرّ عليّ، لو أراد بي خيراً ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل، فمن أجلي تصيبهم الشقوة والهلاك؛ فلما سمع الله تضرّع الخضر وبكاءه وكيف يقول: ناداه: إرميا أشقّ عليك ما أوحيت إليك؟ قال: نعم يا ربّ أهلكني في بني إسرائيل ما لا أسرّ به، فقال الله: وعزتي العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك، ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه، وطابت نفسه، وقال: لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحقّ، لا آمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبداً، ثم أتى ملك بني إسرائيل، وأخبره بما أوحى الله إليه، ففرح واستبشر، وقال: إن يعذّبنا ربنا فبذنوبٍ كثيرة قدمناها لأنفسنا، وإن عفا عنا فبقدرته؛ ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية، وتمادوا في الشرّ، وذلك حين اقترب هلاكهم، فقلّ الوحي، حتى لم يكونوا يتذكرون الآخرة، وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها، فقال ملكهم: يا بني إسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس من

(١) في الثعلبي: وحثى التراب، أي ألقاه.

الله، وقبل أن يبعث عليكم ملوك لا رحمة لهم بكم، فإنَّ ربكم قريب التوبة، مبسوط اليدين بالخير، رحيم من تاب إليه، فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه، وإن الله ألقى في قلب بختنصر بن نعون بن زادان أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعله، فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس؛ فلما فصل سائراً أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر أقبل هو وجنوده يريدكم، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا أين ما زعمت لنا أن ربنا أوحى إليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك، فقال إرميا للملك: إن ربي لا يخلف الميعاد، وأنا به واثق؛ فلما اقترب الأجل، ودنا انقطاع ملكهم، وعزم الله على هلاكهم، بعث الله ملكاً من عنده، فقال له: اذهب إلى إرميا فاستفته، وأمره بالذي يستفتيه فيه، فأقبل المَلك إلى إرميا، وقد تمثل له رجلاً من بني إسرائيل، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري، فأذن له، فقال الملك: يا نبيّ الله أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به، لم آت إليهم إلا حسَناً، ولم آلهم كرامة، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا إسخاطاً لي، فأفتني فيهم يا نبيّ الله، فقال له: أحسن فيما بينك وبين الله، وصل ما أمرك الله به أن تصل، وأبشر بخير، فانصرف عنه الملك؛ فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي جاءه، فقعد بين يديه، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك في شأن أهلي، فقال له نبيّ الله، أو ما طَهُرَت لك أخلاقهم بعد، ولم تر منهم الذي تحب، فقال: يا نبيّ الله، والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمه إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك، فقال النبيّ عليه السلام: ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم، اسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم، وأن يجمعكم على مرضاته، ويجنبكم سخطه، فقال الملك من عنده، فلبث أياماً، وقد نزل بختنصر بجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد، ففزع بنو إسرائيل فزعاً شديداً، وشقّ ذلك على ملك بني إسرائيل، فدعا إرميا، فقال: يا نبيّ الله، أين ما وعدك الله، إني بربي واثق، ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده، فقعد بين يديه، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الذي كنت استفتيك في شأن أهلي مرتين، فقال له النبيّ عليه السلام: أو لم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال الملك: يا نبيّ الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، وأعلم أنما قصدهم في ذلك سخطي، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله، ولا يحبه الله، فقال النبيّ عليه السلام: على أيّ عمل رأيتهم؟ قال: يا نبيّ الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله، ولو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتدّ عليهم غضبي، وصبرت لهم ورجوتهم، ولكن غضبت اليوم لله ولك، فأتيتك لأخبرك خبرهم، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحقّ إلا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم، فقال إرميا: يا مالك السموات والأرض، إن كانوا على حقّ وصواب فأبقهم، وإن كانوا

على سخطك وعمل لا ترضاه، فأهلكهم؛ فلما خرجت الكلمة من في إرميا أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان وخُسف بسبعة أبواب من أبوابها؛ فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه، ونبذ الرماد على رأسه، فقال: يا ملك السماء، ويا أرحم الراحمين أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي إرميا إنه لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا، فاستيقن النبيّ عليه السلام أنها فتياه التي أفتى بها ثلاث مرات، وأنه رسول ربه، فطار إرميا حتى خالط الوحوش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس، فوطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرّب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، فقذفوا فيه التراب حتى ملئوه، ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختار منهم تسعين ألف صبيّ؛ فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمهم فيهم، قالت له الملوك الذي كانوا معه: أيها الملك، لك غنائمنا كلها، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، ففعل، فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمة، وكان من أولئك الغلمان: دانيال، وعزاريا، ومسايل، وحنانيا.(١) وجعلهم بختنصر ثلاث فرق: فثلثاً أقرّ بالشام، وثلثاً سبي، وثلثاً قتل، وذهب بأسبية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وبالصبيان التسعين الألف(٢) حتى أقدمهم بابل، فكانت هذه الواقعة الأولى التي ذكر الله تعالى ذكره نبيّ الله بأحداثهم وظلمهم، فلما ولى بختنصر عنه راجعاً إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل، أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في زكرة وسلة تين، حتى أتى إيليا، فلما وقف عليها، ورأى ما بها من الخراب دخله شك، فقال: ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ**﴾ وحماره وعصيره وسلة تينه عنده حيث أماته الله، ومات حماره معه، فأعمى الله عنه العيون، فلم يره أحد، ثم بعثه الله تعالى، فقال له: ﴿**كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ يقول: لم يتغير ﴿**وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً**﴾ فنظر إلى حماره يتصل بعضه إلى بعض، وقد مات معه بالعروق والعصب، ثم كيف كسي ذلك منه اللحم، حتى استوى، ثم جرى فيه الروح، فقام ينهق، ونظر إلى عصيره وتينه، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير. فلما عاين من قدرة الله ما عاين ﴿**قال أعلم أن الله على كل شيء قدير**﴾، ثم عمر الله إرميا بعد ذلك، فهو الذي يرى بفلوات الأرض والبلدان.

حدثني محمد بن عسكر وابن زَنْجُوَيْه، قالا: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني

---

(١) في سفر دانيال (١/ ٦) وكان بينهم من بني يهوذا: دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا.

(٢) كذا بتعريف الألف في الأصول.

عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: أوحى الله إلى إرميا وهو بأرض مصر أن الحق بأرض إيليا، فإن هذه ليست لك بأرض مقام، فركب حماره، حتى إذا كان ببعض الطريق، ومعه سلة من عنب وتين، وكان معه سقاء جديد، فملأه ماء، فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى والمساجد، ونظر إلى خراب لا يوصف، ورأى هَدم[1] بيت المقدس كالجبل العظيم، قال: ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ وسار حتى تبوأ منها منزلاً، فربط حماره بحبل جديد. وعلق سقاءه، وألقى الله عليه السبات؛ فلما نام نزع الله روحه مائة عام؛ فلما مرّت من المائة سبعون عاماً، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوسك[2]، فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها، حتى تعود أعمر ما كانت، فقال الملك: أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل ولما يصلحه من أداء العمل، فأنظره ثلاثة أيام، فانتدب ثلاثمائة قهرمان، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل، وما يصلحه من أداة العمل، فسار إليها قهارمته، ومعهم ثلاثمائة ألف عامل؛ فلما وقعوا في العمل ردّ الله روح الحياة في عين إرميا، وأخر جسده ميتاً، فنظر إلى إيليا وما حولها من القرى والمساجد والأنهار والحروث تعمل وتعمر وتجدّد، حتى صارتا كما كانت. وبعد ثلاثين سنة تمام المائة، ردّ إليه الروح، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنّه، ونظر إلى حماره واقفاً كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلى الرُّمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة، وقد أتى على ذلك ريح مائة عام وبرد مائة عام وحرّ مائة عام، لم تتغير ولم تنتقض شيئاً، وقد نحل جسم إرميا من البلى، فأنبت الله له لحماً جديداً، ونشزَ عظامه وهو ينظر، فقال له الله: ﴿**انظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله: ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ إن إرميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب، وقف في ناحية الجبل، فقال: ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ**﴾ ثم ردّ الله من ردّ من بني إسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته يعمرونها ثلاثين سنة تَمام المائة؛ فلما ذهبت المائة ردّ الله روحه وقد عُمّرت على حالها الأولى، فجعل ينظر إلى العظام كيف تلتام[3] بعضها إلى بعض، ثم نظر إلى العظام كيف تكسى عَصَباً

---

(١) الهدم، بوزن جبل: البناء المنهدم.
(٢) الثعلبي: يوشك، بالشين. وفي القرطبي: كوشك.
(٣) في الأصل: قهرمته. تحريف والقهرمان: من أمناء الملك وخاصته.
(٤) تلتام: يريد تلتئم. أصله الهمز فسهل.

ولحماً. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ﴾ له ذلك ﴿قالَ أعْلَمُ أنَّ اللَّهَ عَلى كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾ فقال الله تعالى ذكره: ﴿انْظُرْ إلى طعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قال: فكان طعامه تيناً في مكتل، وقُلّة فيها ماء.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿أوْ كالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِها﴾ وذلك أن عزيراً مرّ جائياً من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين؛ فلما مرّ بالقرية فرآها، وقف عليها وقلب يده وقال: كيف يحيي هذه الله بعد موتها؟ ليس تكذيباً منه وشكًّا. فأماته الله وأمات حماره، فهلكا ومرّ عليهما مائة سنة. ثم إن الله أحيا عزيراً فقال له: كم لبثت؟ قال له: لبثت يوماً أو بعض. قيل له: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك من التين والعنب، وشرابك من العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾... الآية.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ قال بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ثم أثاره حياً من بعد مماته. وقد دللنا على معنى البعث فيما مضى قبل.

وأما معنى قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ فإن كم استفهام في كلام العرب عن مبلغ العدد، وهو في هذا الموضع نصب بـ «لبثت»، وتأويله: قال الله له: كم قدر الزمان الذي لبثت ميتاً قبل أن أبعثك من مماتك حياً؟ قال المبعوث بعد مماته: لبثت ميتاً إلى أن بعثتني حياً يوماً واحداً أو بعض يوم. وذكر أن المبعوث هو إرميا أو عزير، أو من كان ممن أخبر الله عنه هذا الخبر. وإنما قال: ﴿لَبِثْتُ يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأن الله تعالى ذكره كان قبض روحه أول النهار، ثم ردّ روحه آخر النهار بعد المائة عام فقيل له: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً؛ وهو يرى أن الشمس قد غربت فكان ذلك عنده يوماً، لأنه ذكر أنه قبض روحه أول النهار وسئل عن مقدار لبثه ميتاً آخر النهار وهو يرى أن الشمس قد غربت، فقال: لبثت يوماً، ثم رأى بقية من الشمس قد بقيت لم تغرب، فقال: أو بعض يوم، بمعنى: بل بعض يوم، كما قال تعالى ذكره: ﴿وأرْسَلْنَاهُ إلى مِائَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ﴾ بمعنى: بل يزيدون. فكان قوله: ﴿أوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ رجوعاً منه عن قوله: ﴿لَبِثْتُ يَوْماً﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال: ذكر لنا أنه مات ضحى، ثم بعثه قبل غيبوبة الشمس، فقال: لبثت يوماً. ثم إلتفت فرأى بقية من الشمس، فقال: أو بعض يوم. فقال: بل لبثت مائة عام.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿أنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال: مرّ على قرية فتعجب، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها!

فأماته الله أوّل النهار، فلبث مائة عام، ثم بعثه في آخر النهار، فقال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام.

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، قال: قال الربيع: أماته الله مائة عام، ثم بعثه، قال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم. قال: بل لبثت مائة عام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: لما وقف على بيت المقدس وقد خرّبه بختنصر، قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها! كيف يعيدها كما كانت؟ فأماته الله. قال: وذكر لنا أنه مات ضحى، وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام، فقال: كم لبثت؟ قال: يوماً. فلما رأى الشمس، قال: أو بعض يوم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فانْظُرْ إلى طَعامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فانْظُرْ إلى طَعامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم تغيّره السنون التي أتت عليه. وكان طعامه فيما ذكر بعضهم سلة تين وعنب وشرابه قلة ماء. وقال بعضهم: بل كان طعامه سلة عنب وسلة تين وشرابه زقّ من عصير. وقال آخرون: بل كان طعامه سلة تين، وشرابه دن خمر أو زُكْرَة خمر. وقد ذكرنا فيما مضى قول بعضهم في ذلك ونذكر ما فيه فيما يستقبل إن شاء الله.

وأما قوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ففيه وجهان من القراءة: أحدهما: «لم يتسنّ» بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف. ومن قرأه كذلك فإنه يجعل الهاء في يتسنه زائدة صلة كقوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ وجعل فعلت[1] منه: تسنيت تسنياً، واعتلّ في ذلك بأن السنة تجمع سنوات، فيكون تفعلت على نهجه. ومن قال في السنة سنينة فجائز على ذلك وإن كان قليلاً أن يكون تسننت تفعلت، أبدلت النون ياء لما كثرت النونات كما قالوا: تظنيت وأصله الظن؛ وقد قال قوم: هو مأخوذ من قوله: ﴿من حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ وهو المتغير. وذلك أيضاً إذا كان كذلك، فهو أيضاً مما بدلت نونه ياء، وهو قراءة عامة قرّاء الكوفة. والآخر منهما: إثبات الهاء في الوصل والوقف، ومن قرأه كذلك فإنه يجعل الهاء في يتسنه لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم، ويجعل فعلت منه تسنّهت، ويفعل: أتسنّه تسنُّهاً، وقال في تصغير السنة: سُنَيْهة، ومنه: أسنهت عند القوم، وتسنهت عندهم: إذا أقمت سنة، هذه قراءة عامة قراء أهل المدينة والحجاز.

والصواب من القراءة عندي في ذلك، إثبات الهاء في الوصل والوقف، لأنها مثبتة في مصحف المسلمين، ولإثباتها وجه صحيح في كلتا الحالتين في ذلك.

(١) عبر «بفعلت» هنا وفيما يأتي قريباً، عن الفعل الماضي، و«بيفعل» عن المضارع.

ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يأت عليه السنون فيتغير، على لغة من قال: أسنهتُ عندكم أَسْنِهُ: إذا أقام سنة، وكما قال الشاعر:

وَلَيْسَتْ بِسَنْهَاءٍ وَلا رُجَّبِيَّةٍ ولكنْ عَرايا في السِّنِينَ الجوائِحِ[1]

فجعل الهاء في السنة أصلاً، وهي اللغة الفصحى، وغير جائز حذف حرف من كتاب الله في حال وقف أو وصل لإثباته وجهٌ معروف في كلامها.

فإن اعتلّ معتلّ بأن المصحف قد ألحقت فيه حروف هنّ زوائد على نية الوقف، والوجه في الأصل عند القراءة حذفهن، وذلك كقوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ وقوله: ﴿يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ﴾ فإن ذلك هو مما لم يكن فيه شك أنه من الزوائد، وأنه ألحق على نية الوقف. فأما ما كان محتملاً أن يكون أصلاً للحرف غير زائد فغير جائز، وهو في مصحف المسلمين مثبت صرفه إلى أنه من الزوائد والصلات. على أن ذلك وإن كان زائداً فيما لا شك أنه من الزوائد، فإن العرب قد تصل الكلام بزائد، فتنطق به على نحو منطقها به في حال القطع، فيكون وصلها إياه وقطعها سواء. وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك بإثبات الهاء في الوصل والوقف، غير أن ذلك وإن كان كذلك فلقوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ حكم مفارق، حكم ما كان هاؤه زائداً لا شك في زيادته فيه.

ومما يدلّ على صحة ما قلنا، من أن الهاء في يتسنه من لغة من قال: «قد أسنهت» و «المسانهة»، ما:

حدثت به عن القاسم بن سلام، قال: ثنا ابن مهدي، عن أبي الجراح، عن سليمان بن عمير، قال: ثني هانىء مولى عثمان، قال: كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد: سله عن قوله: لم يتسنّ، أو لم يتسنه؟ فقال عثمان: اجعلوا فيها هاء.

---

(١) البيت لسويد بن الصامت الأنصاري «اللسان» (سنه) وقال: السنهاء: التي أصابتها السنة المجدبة. أو النخلة حملت عاماً ولم تحمل الآخر. أو التي أصابها الجدب، وأضربها، فنفى ذلك عنها. وقد توصف به السنة التي تفعل ذلك، والتي لا نبات بها ولا مطر. وهي لفظة مبنية من السنة، كما يقال: ليلة ليلاء، ويوم أيوم. وعن أبي زيد: طعام سنه وسن: إذا أتت عليه السنون. وسنه الطعام والشراب سنها وتسنه: تغير. وعليه وجه بعضهم قوله تعالى: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ واختاره المؤلف هنا.

وأنشد البيت صاحب «اللسان» في (رجب) وقال: نخلة رجبية ورجبية (بفتح الجيم مخففة ومثقله): بنى تحتها رجبة، لتعضدها وتمنعها من السقوط كلاهما نسب نادر. والرجبه أن تعمد النخلة بخشبة ذات شعبتين - يصف نخلة بالجودة، وأنه ليس فيها سنهاء، وهي التي أصابتها السنة، يعني أضر بها الجدب. وقيل: هي التي تحمل سنة وتترك أخرى. والعرايا: جمع عرية، وهي التي يذهب ثمرها. والجوائح: السنون الشداد التي تجيح المال. أي تهلكه.

حدثت عن القاسم، وحدثنا محمد بن محمد العطار، عن القاسم، وحدثنا أحمد والعطار جميعاً، عن القاسم، قال: ثنا ابن مهدي، عن ابن المبارك، قال: ثني أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن هانىء البربري، قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أُبيّ بن كعب فيها: «لم يَتَسَنَّ» و «فَأَمْهِل الكَافِرِينَ» و «لا تَبْدِيلَ للخَلْقِ». قال: فدعا بالدواة، فمحا إحدى اللامين وكتب: ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ ومحا «فأمهل» وكتب: ﴿**فمهل الكافرين**﴾ وكتب: «لم يتسنه» ألحق فيها الهاء.

ولو كان ذلك من «يتسنى» أو «يتسنن» لما ألحق فيه أُبيّ هاء لا موضع لها فيه، ولا أمر عثمان بإلحاقها فيها. وقد رُوي عن زيد بن ثابت في ذلك نحوُ الذي رُوِي فيه عن أُبيّ بن كعب.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله﴿**لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ فقال بعضهم بمثل الذي قلنا فيه من أن معناه لم يتغير. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن المفضل، عن محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه: ﴿**لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ لم يتغير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ لم يتغير.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**فانْظُرْ إلى طَعامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ يقول: فانظر إلى طعامك من التين والعنب، وشرابك من العصير لم يتسنه، يقول: لم يتغير فيمحض التين والعنب، ولم يختمر العصير هما حلوان كما هما. وذلك أنه مرّ جائياً من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين، فأماته الله، وأمات حماره، ومرّ عليهما مائة سنة.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**فانْظُرْ إلى طَعامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ يقول: لم يتغير، وقد أتى عليه مائة عام.

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك، بنحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿**لَمْ يَتَسَنَّهْ**﴾ لم يتغير.

حدثنا سفيان، قال: ثنا أبي، عن النضر، عن عكرمة: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير في مائة سنة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني بكر بن مضر، قال: يزعمون في بعض الكتب أن إرميا كان بإيليا حين خرّبها بختنصر، فخرج منها إلى مصر فكان بها، فأوحى الله إليه أن اخرج منها إلى بيت المقدس. فأتاها فإذا هي خربة، فنظر إليها فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها! فأماته الله مائة عام ثم بعثه، فإذا حماره حيّ قائم على رباطه، وإذا طعامه سلّ عنب وسلّ تين لم يتغير عن حاله. قال يونس: قال لنا سلم الخواص: كان طعامه وشرابه سَلّ عنب وسَلّ تين وزِقّ عصير.

وقال آخرون: معنى ذلك: لم ينتن. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم ينتن.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسن، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد قوله: ﴿إلى طَعامِكَ﴾ قال: سلّ تين، ﴿وَشَرَابِكَ﴾ دنّ خمر، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يقول: لم ينتن.

وأحسب أن مجاهداً والربيع ومن قال في ذلك بقولهما رأوا أن قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ من قول الله تعالى ذكره: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ بمعنى المتغير الريح بالنتن من قول القائل: تسنّن. وقد بينت الدلالة فيما مضى على أن ذلك ليس كذلك.

فإن ظنّ ظانّ أنه من الأَسَن من قول القائل: أسن هذا الماء يَأْسَنُ أَسَنًا، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿فِيهَا أنهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرَ آسِنٍ﴾ فإن ذلك لو كان كذلك لكان الكلام: فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتأسن، ولم يكن يتسنه. فإنه منه[١]، غير أنه ترك همزه، قيل: فإنه وإن ترك همزه فغير جائز تشديد نونه، لأن النون غير مشددة، وهي في يتسنه مشددة، ولو نطق من يتأسن بترك الهمزة لقيل يَتَسَّنْ بتخفيف نونه بغير هاء تلحق فيه، ففي ذلك بيان واضح أنه غير جائز أن يكون من الأَسَن.

---

(١) قوله «فإنه منه» هكذا بالأصل، ولعل فيه سقطاً، ووجه الكلام: فإن قيل فإنه منه غير... الخ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إلى حِمَارِكَ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَانْظُرْ إلى حِمارِكَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: وانظر إلى إحيائي حمارك، وإلى عظامه كيف أنشزها ثم أكسوها لحماً.

ثم اختلف متأوّلو ذلك في هذا التأويل، فقال بعضهم: قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد أن أحياه خلقاً سويًا، ثم أراد أن يحيي حماره؛ تعريفاً منه تعالى ذكره له كيفية إحيائه القرية التي رآها خاوية على عروشها، فقال: ﴿أنّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾ مستنكراً إحياء الله إياها. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: بعثه الله فقال: ﴿كَمْ لَبِثتَ قالَ لبثتُ يوماً أوْ بعضَ يومٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحماً﴾ قال: فنظر إلى حماره يتصل بعض إلى بعض، وقد كان مات معه بالعروق والعصب، ثم كسا ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح، فقام ينهق. ونظر إلى عصيره وتينه، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير. فلما عاين من قدرة الله ما عاين، قال: ﴿أعْلَمُ أنَّ اللَّهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ثم إن الله أحيا عزيراً، فقال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم. قال: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه، وانظر إلى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً. فبعث الله ريحاً، فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع، فاجتمعت، فركب بعضها في بعض وهو ينظر، فصار حماراً من عظام ليس له لحم ولا دم. ثم إن الله كسا العظام لحماً ودماً، فقام حماراً من لحم ودم وليس فيه روح. ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار، فنفخ فيه فنهق الحمار، فقال: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

فتأويل الكلام على ما تأوله قائل هذا القول: وانظر إلى إحيائنا حمارك، وإلى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً، ولنجعلك آية للناس. فيكون في قوله: ﴿وَانْظُرْ إلى حِمَارِكَ﴾ متروك من الكلام، استغني بدلالة ظاهره عليه من ذكره، وتكون الألف واللام في قوله: ﴿وَانْظُرْ إلى العِظامِ﴾ بدلاً من الهاء المرادة في المعنى، لأن معناه: وانظر إلى عظامه: يعني إلى عظام الحمار.

وقال آخرون منهم: بل قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد أن نفخ فيه الروح في عينه، قالوا:

وهي أول عضو من أعضائه نفخ الله فيه الروح، وذلك بعد أن سوّاه خلقاً سوياً، وقبل أن يحيى حماره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: كان هذا رجلاً من بني إسرائيل نفخ الروح في عينيه، فنظر إلى خلقه كله حين يحييه الله، وإلى حماره حين يحييه الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: بدأ بعينيه فنفخ فيهما الروح، ثم بعظامه فأنشزها، ثم وصل بعضها إلى بعض، ثم كساها العصب، ثم العروق، ثم اللحم. ثم نظر إلى حماره، فإذا حماره قد بلي وابيضت عظامه في المكان الذي ربطه فيه، فنودي: يا عظام اجتمعي، فإن الله منزل عليك روحاً! فسعى كل عظم إلى صاحبه، فوصل العظام، ثم العصب، ثم العروق. ثم اللحم، ثم الجلد، ثم الشعر، وكان حماره جَذَعاً، فأحياه الله كبيراً قد تشنن[1]، فلم يبق منه إلا الجلد من طول الزمن، وكان طعامه سلّ عنب وشرابه دنّ خمر. قال ابن جريج عن مجاهد: نفخ الروح في عينيه، ثم نظر بهما إلى خلقه كله حين نشره الله، وإلى حماره حين يحييه الله.

وقال آخرون: بل جعل الله الروح في رأسه وبصره وجسده ميتاً، فرأى حماره قائماً كهيئته يوم ربطه وطعامه وشرابه كهيئته يوم حلّ البقعة، ثم قال الله له: انظر إلى عظام نفسك كيف ننشزها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: ردّ الله روح الحياة في عين إرمياء وآخر جسده ميت، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه، ونظر إلى حماره واقفاً كهيئته يوم ربطه، لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت

---

(١) تشنن: تقبض ويبس من الهرم.

الضحاك يقول في قوله: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عام ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ فنظر إلى حماره قائماً قد مكث مائة عام، وإلى طعامه لم يتغير قد أتى عليه مائة عام. ﴿وَانْظُرْ إلى العِظامِ كَيفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحماً﴾ فكان أول شيء أحيا الله منه رأسه، فجعل ينظر إلى سائر خلقه يخلق.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿فأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ فنظر إلى حماره قائماً، وإلى طعامه وشرابه لم يتغير، فكان أول شيء خلق منه رأسه، فجعل ينظر إلى كل شيء منه يوصل بعضه إلى بعض. فلمّا تبين له، قال: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أنه أول ما خلق الله منه رأسه، ثم ركبت فيه عيناه، ثم قيل له: انظر! فجعل ينظر، فجعلت عظامه تواصل بعضها إلى بعض، وبعين نبيّ الله عليه السلام كان ذلك. فقال: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَانظُرْ إلى طَعامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إلى حِمَارِكَ﴾ وكان حماره عنده كما هو، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً للنَّاسِ وَانظُرْ إلى العِظامِ كَيفَ نُنشِزُها﴾. قال الربيع: ذكر لنا والله أعلم أنه أول ما خلق منه عيناه، ثم قيل انظر، فجعل ينظر إلى العظام يتواصل بعضها إلى بعض وذلك بعينيه. فقال: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا ابن زيد قال قوله: ﴿وَانْظُرْ إلى طَعامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إلى حِمارِكَ﴾ واقفاً عليك منذ مائة سنة، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إلى العِظامِ﴾ يقول: وانظر إلى عظامك كيف نحييها حين سألتنا كيف نحيي هذه الأرض بعد موتها. قال: فجعل اللَّهُ الروح في بصره وفي لسانه، ثم قال: ادع الآن بلسانك الذي جعل الله فيه الروح، وانظر ببصرك! قال: فكان ينظر إلى الجمجمة، قال: فنادى: ليلحق كل عظم بأليفه، قال: فجاء كل عظم إلى صاحبه، حتى اتصلت وهو يراها، حتى إن الكسرة من العظم لتأتي إلى الموضع الذي انكسرت منه، فتلصق به حتى وصل إلى جمجمته، وهو يرى ذلك. فلما اتصلت شدّها بالعصب والعروق، وأجرى عليها اللحم والجلد، ثم نفخ فيها الروح، ثم قال: ﴿انظُرْ إلى العِظَامِ كَيفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك ﴿قالَ أعْلَمُ أنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال: ثم أمر فنادى تلك العظام التي قال: ﴿أنَّى يُحيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ كما نادى عظام نفسه، ثم أحياها الله كما أحياه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني بكر بن مضر، قال: يزعمون في بعض الكتب أن الله أمات إرمياء مائة عام، ثم بعثه، فإذا حماره حيّ قائم على رباطه. قال: وردّ

الله إليه بصره وجعل الروح فيه قبل أن يبعث بثلاثين سنة، ثم نظر إلى بيت المقدس وكيف عمر وما حوله. قال: فيقولون والله أعلم: إنه الذي قال الله تعالى ذكره: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ**﴾. . . الآية.

ومعنى الآية على تأويل هؤلاء: وانظر إلى حمارك، ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى عظامك كيف ننشزها بعد بلاها، ثم نكسوها لحماً، فنحييها بحياتك، فتعلم كيف يحيي الله القرى وأهلها بعد مماتها.

وأولى الأقوال في هذه الآية بالصواب قول من قال: إن الله تعالى ذكره بعث قائلَ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ من مماته، ثم أراه نظير ما استنكر من إحياء الله القرية التي مرّ بها بعد مماتها عياناً من نفسه وطعامه وحماره، فجعل تعالى ذكره ما أراه من إحيائه نفسه وحماره مثلاً لما استنكر من إحيائه أهل القرية التي مرّ بها خاوية على عروشها، وجعل ما أراه من العبرة في طعامه وشرابه عبرة له وحجة عليه في كيفية إحيائه منازل القرية وجنانها، وذلك هو معنى قول مجاهد الذي ذكرناه قبل.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن قوله: ﴿**وَانْظُرْ إلى العِظَامِ**﴾ إنما هو بمعنى: وانظر إلى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشزها، ثم نكسوها لحماً، وقد كان حماره أدركه من البلى في قول أهل التأويل جميعاً نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب، فلم يمكن صرف معنى قوله: ﴿**وَانْظُرْ إلى العِظَامِ**﴾ إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر إليها، ولا إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام نفسه دون عظام الحمار.

وإذا كان ذلك كذلك، وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره، كان الأولى بالتأويل أن يكون الأمر بالنظر إلى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه لأن الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ**﴾ أمتناك مائة عام ثم بعثناك. وإنما أدخلت الواو مع اللام التي في قوله: ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ**﴾ وهو بمعنى «كي»، لأن في دخولها في كي وأخواتها دلالة على أنها شرط لفعل بعدها، بمعنى: ولنجعلك كذا وكذا فعلنا ذلك، ولو لم تكن قبل اللام أعني لام كي واو كانت اللام شرطاً للفعل الذي قبلها، وكان يكون معناه: وانظر إلى حمارك، لنجعلك آية للناس. وإنما عنى بقوله: ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً**﴾ ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي، وشكّ في عظمتي، وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتةٍ وإحياء، وإفناء وإنشاء، وإنعام وإذلال، وإقتار وإغناء، بيدي ذلك كله، لا يملكه أحد دوني، ولا يقدر عليه غيري.

وكان بعض أهل التأويل يقول: كان آية للناس بأنه جاء بعد مائة عام إلى ولده وولد ولده شاباً وهم شيوخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، عن سفيان، قال: سمعت الأعمش يقول: ﴿**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ**﴾ قال: جاء شاباً وولده شيوخ.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه جاء وقد هلك من يعرفه، فكان آية لمن قدم عليه من قومه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: رجع إلى أهله، فوجد داره قد بيعت وبنيت، وهلك من كان يعرفه، فقال: اخرجوا من داري! قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عزير. قالوا: أليس قد هلك عزير منذ كذا وكذا؟ قال: فإن عزيراً أنا هو، كان من حالي وكان. فلما عرفوا ذلك، خرجوا له من الدار ودفعوها إليه.

والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، أن يقال: إن الله تعالى ذكره، أخبر أنه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس، فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موته، وإحياء الله إياه بعد مماته، وعلى من بعث إليه منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُها﴾.

قد دللنا فيما مضى قبل على أن العظام التي أمر بالنظر إليها هي عظام نفسه وحماره، وذكرنا اختلاف المختلفين في تأويل ذلك وما يعني كل قائل بما قاله في ذلك بما أغنى عن إعادته.

وأما قوله: ﴿**كَيْفَ نُنْشِزُها**﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته، فقرأ بعضهم: ﴿**وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُها**﴾ بضم النون والزاي، وذلك قراءة عامة قراءة الكوفيين، بمعنى: وانظر كيف نركب بعضها على بعض، وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم. وأصل النشز[1]: الارتفاع، ومنه قيل: قد نشز الغلام إذا ارتفع طوله وشبّ، ومنه نشوز المرأة على زوجها، ومن ذلك قيل للمكان المرتفع من الأرض: نَشَزٌ وَنَشْزٌ وَنَشاز[2]، فإذا أردت أنك رفعته، قلت: أنشزته إنشازاً، ونشز

---

(١) الصواب: النشوز، إذا أراد المصدر.

(٢) في الأصل: نشز ونشزة ونشازة: والذي في «اللسان»: النشز بتسكين النون وفتحها، والنشاز مثله.

هو: إذا ارتفع. فمعنى قوله: ﴿وَانْظُرْ إلى العِظام كَيْفَ نُنْشِزُها﴾ في قراءة من قرأ ذلك بالزاي: كيف نرفعها من أماكنها من الأرض فنردّها إلى أماكنها من الجسم.

وممن تأول ذلك هذا التأويل جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَيْفَ نُنْشِزُها﴾ كيف نخرجها.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿كَيْفَ نُنْشِزُها﴾ قال: نحركها.

وقرأ ذلك آخرون: «وَانْظُرْ إلى العِظامِ كَيْفَ نُنْشِرُها» بضم النون، قالوا من قول القائل: أنشر الله الموتى فهو ينشرهم إنشاراً. وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة، بمعنى: وانظر إلى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «كَيْفَ نُنْشِرُها» قال: انظر إليها حين يحييها الله.

حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: «وَانْظُرْ إلى العِظامِ كَيْفَ نُنْشِرُها» قال: كيف نحييها.

واحتجّ بعض قراء ذلك بالراء وضم نون أوله بقوله: ﴿ثُمَّ إذَا شاءَ أنْشَرَهُ﴾ فرأى أن من الصواب إلحاق قوله: «وَانْظُرْ إلى العِظامِ كَيْفَ نُنْشِرُها» به. وقرأ ذلك بعضهم: «وَانْظُرْ إلى العِظامِ كَيْفَ نَنْشُرُها» بفتح النون من أوله وبالراء؛ كأنه وجّه ذلك إلى مثل معنى نشر الشيء وطيّه. وذلك قراءة غير محمودة، لأن العرب لا تقول: نشر الموتى، وإنما تقول: أنشر الله الموتى، فَنَشَرُوا هم بمعنى: أحياهم فحيوا هم. ويدلّ على ذلك قوله: ﴿ثُمَّ إذَا شاءَ أنْشَرَهُ﴾ وقوله: ﴿آلِهَةً مِنَ الأرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾. وعلى أنه إذا أريد به حي الميت وعاش بعد مماته، قيل: نشر، ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

حتى يقولَ الناسُ مما رَأَوْا يا عَجَبًا للمَيّتِ النّاشِرِ[١]

وروي سماعاً من العرب: كان به جربٌ فنشر، إذا عاد وحيي.

والقول في ذلك عندي أن معنى الإنشار ومعنى الإنشاز متقاربان، لأن معنى الإنشاز: التركيب والإثبات وردّ العظام من العظام، وإعادتُها لا شك أنه ردّها إلى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها إياها. فهما وإن اختلفا في اللفظ، فمتقاربا المعنى، وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئاً يقطع العذر ويوجب الحجة، فبأيهما قرأ القارىء فمصيب لانقياد معنييهما، ولا حجة توجب لإحداهما من القضاء بالصواب على الأخرى.

فإن ظنّ ظان أن الإنشار إذا كان إحياء فهو بالصواب أولى، لأن المأمور بالنظر إلى العظام وهي تنشر إنما أمر به ليرى عياناً ما أنكره بقوله: **﴿أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾** فإن إحياء العظام[٢] لا شك في هذا الموضع إنما عنى به ردّها إلى أماكنها من جسد المنظور إليه، وهو يحيا، لا إعادة الروح التي كانت فارقتها عند الممات. والذي يدل على ذلك قوله: **﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾** ولا شك أن الروح إنما نفخت في العظام التي أنشرت بعد أن كسيت اللحم. وإذا كان ذلك كذلك، وكان معنى الإنشاز تركيب العظام وردّها إلى أماكنها من الجسد، وكان ذلك معنى الإنشار، وكان معلوماً استواء معنييهما، وأنهما متفقا المعنى لا مختلفاه، ففي ذلك إبانة عن صحة ما قلنا فيه. وأما القراءة الثالثة فغير جائزة القراءة بها عندي، وهي قراءة من قرأ: «كَيْفَ نَنْشُرُها» بفتح النون وبالراء، لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: **﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا﴾** أي العظام لحماً. والهاء التي في قوله: **﴿ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً﴾** من ذكر العظام. ومعنى نكسوها: نلبسها ونواريها به كما يواري جسد الإنسان كسوته التي يلبسها، وكذلك تفعل العرب، تجعل كل شيء غطى شيئاً وواراه لباساً له وكسوة، ومنه قول النابغة الجعديّ:

---

(١) البيت في ديوان الأعشى أبي بصير طبعة القاهرة (ص ـ ١٤١) والناشر: الحي. وقبله:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِها عاش ولَمْ يُنْقَلْ إلى قابِرِ

والقابر: من يدخل الميت في قبره.

وأنشد البيت في «اللسان» قال: ونشر الله الميت ينشره نشراً ونشوراً أنشره، فنشر الميت لا غير. قال الأعشى.. (البيت).

(٢) قوله «فإن إحياء العظام الخ» هذا في الحقيقة جواب، فإن ظن ظان، وإن كان تركيب العبارة يوهم اتصاله بما قبله.

فَالحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجَلِي حتى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإِسْلامِ سِرْبالا[1]

فجعل الإسلام إذ غطى الذي كان عليه فواراه وأذهبه كسوة له وسربالاً.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ فلما اتضح له عياناً ما كان مستنكراً من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك، قال: أعلم الآن بعد المعاينة والإيضاح والبيان أن الله على كل شيء قدير.

ثم اختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ﴾. فقرأه بعضهم: «قال اعْلَمْ» على معنى الأمر بوصل الألف من «اعلم»، وجزم الميم منها. وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة، ويذكرون أنها في قراءة عبد الله: «قيل اعْلَمْ» على وجه الأمر من الله للذي أُحيي بعد مماته، فأمر بالنظر إلى ما يحييه الله بعد مماته. وكذلك رُوي عن ابن عباس.

حدثني أحمد بن يوسف التغلبي، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثني حجاج، عن هارون، قال: هي في قراءة عبد الله: «قيل اعْلَمْ أن الله» على وجه الأمر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه ـ أحسبه، شك أبو جعفر الطبري. سمعت ابن عباس يقرأ: «فَلَمَا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ اعْلَمْ» قال: إنما قيل ذلك له.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ذكر لنا والله أعلم أنه قيل له انظر! فجعل ينظر إلى العظام كيف يتواصل بعضها إلى بعض وذلك بعينيه، فقيل: اعلم أن الله على كل شيء قدير.

فعلى هذا القول تأويل ذلك: فلما تبين من أمر الله وقدرته، قال الله له: اعلم الآن أن الله على كل شيء قدير. ولو صرف متأول قوله: «قال اعلم» وقد قرأه على وجه الأمر إلى أنه من قِبَل المخبر عنه بما اقتصّ في هذه الآية من قصته كان وجهاً صحيحاً، وكان ذلك كما يقول القائل: اعلم أن قد كان كذا وكذا، على وجه الأمر منه لغيره وهو يعني به نفسه.

---

(١) البيت: نسبه ابن قتيبة في «**الشعر والشعراء**» طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ (ص ـ ١٤٩) إلى لبيد بن ربيعة العامري، وليس في ترجمة النابغة الجعدي. قال: ولم يقل (لبيد) في الإسلام إلا بيتاً واحداً. واختلف في البيت: قال أبو اليقظان هو: (وذكر البيت)، وقال غيره: بل هو قوله:

مَا عَاتَبَ المَرْءَ الكَرِيمَ كَنَفْسِهِ والمرءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

وفي رواية أبي اليقظان والديوان (ص ـ ٥٦) و «**الأغاني**» (١٤/ ٩٧) و«**الخزانة**» (١/ ٣٣٧) حتى كساني.

وقرأ ذلك آخرون: ﴿قالَ أعْلَمُ﴾ على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به بهمز ألف أعلم وقطعها ورفع الميم. بمعنى: فلما تبين له من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه، قال أليس ذلك: أعلم الآن أنا أن الله على كل شيء قدير. وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قراء أهل العراق، وبذلك من التأويل تأوله جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: لما عاين من قدرة الله ما عاين، قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: يعني نبيّ الله عليه السلام، يعني إنشاز العظام، فقال: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: قال عزير عند ذلك . يعني عند معاينة إحياء الله حماره .: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: جعل ينظر إلى كل شيء منه يوصل بعضه إلى بعض،﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، نحوه[(١)].

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: «اعْلَمْ» بوصل الألف وجزم الميم على وجه الأمر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته بالأمر بأن يعلم أن الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه من إحيائه إياه وحماره بعد موت مائة عام وبلائه حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما، وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى ردّه عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شيء قادر كذلك.

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره؛ لأن ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره قولاً للذي أحياه الله بعد مماته وخطاباً له به، وذلك قوله: ﴿فانْظُرْ إلى طَعامِكَ

(١) كذا وردت هذه العبارة في الأصل.

وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إلى حِمَارِكَ... وَانْظُرْ إلى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُها﴾ فلما تبين له ذلك جواباً عن مسألته ربه: ﴿أنّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾! قال الله له: اعلم أن الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت على غير ذلك من الأشياء قدير كقدرته على ما رأيت وأمثاله، كما قال تعالى ذكره لخليله إبراهيم عليه السلام، بعد أن أجابه عن مسألته إياه في قوله: ﴿رَبِّ أرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى﴾: ﴿وَاعْلَمْ أنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأمر إبراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى أنه عزيز حكيم، فكذلك أمر الذي سأل فقال: ﴿أنّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها﴾ بعد أن أراه كيفية إحيائه إياها أن يعلم أن الله على كل شيء قدير.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: ألم تر إذ قال إبراهيم ربّ أرني. وإنما صلح أن يعطف بقوله: ﴿وَإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ﴾ على قوله: ﴿أوْ كالَّذِي مَرَّ على قَرْيَةٍ﴾ وقوله: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الَّذِي حَاجَّ إبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لأن قوله: ﴿ألَمْ تَرَ﴾ ليس معناه: ألم تر بعينيك، وإنما معناه: ألم تر بقلبك، فمعناه: ألم تعلم فتذكر، فهو وإن كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحياناً بما يوافق لفظه من الكلام، وأحياناً بما يوافق معناه.

واختلف أهل التأويل في سبب مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموت؟ فقال بعضهم: كانت مسألته ذلك ربه، أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير، فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها مع تفرّق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الأرض ليرى ذلك عياناً، فيزداد يقيناً برؤيته ذلك عياناً إلى علمه به خبراً، فأراه الله ذلك مثلاً بما أخبر أنه أمره به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ أرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى﴾ ذكر لنا أن خليل الله إبراهيم عليه السلام أتى على دابة توزّعتها الدوابّ والسباع، فقال: ﴿رَبِّ أرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتى قَالَ أوَلَمْ تُوءْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

حدثت عن الحسن، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿رَبِّ أرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى﴾ قال: مرّ إبراهيم على دابة ميت قد بلي

وتقسمته الرياح والسباع، فقام ينظر، فقال: سبحان الله، كيف يحيي الله هذا؟ وقد علم أن الله قادر على ذلك، فذلك قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: بلغني أن إبرهيم بينا هو يسير على الطريق، إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد توزعت لحمها وبقي عظامها. فلما ذهبت السباع، وطارت الطير على الجبال والآكام، فوقف وتعجب ثم قال: ربّ قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطير﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى﴾ ولكن ليس الخبر كالمعاينة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: مرّ إبراهيم بحوت نصفه في البرّ، ونصفه في البحر، فما كان منه في البحر فدوابّ البحر تأكله، وما كان منه في البرّ فالسباع ودوابّ البرّ تأكله، فقال له الخبيث: يا إبراهيم متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء؟ فقال: يا ﴿ربّ أرني كيف تحيي الموتى! قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي﴾.

وقال آخرون: بل كان سبب مسألته ربه ذلك، المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمروذ في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: لما جرى بين إبراهيم وبين قومه ما جرى مما قصه الله في سورة الأنبياء، قال نمروذ فيما يذكرون لإبراهيم: أرأيت إلٰهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو؟ قال له إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمروذ: أنا أحيي وأميت. فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ ثم ذكر ما قصّ الله من محاجته إياه. قال: فقال إبراهيم عند ذلك: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ من غير شكّ في الله تعالى ذكره ولا في قدرته، ولكنه أحبّ أن يعلم ذلك وتاق إليه قلبه، فقال: ليطمئنّ قلبي، أي ما تاق إليه إذا هو علمه.

وهذان القولان، أعني الأول وهذا الآخر، متقاربا المعنى في أن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عياناً ما كان عنده من علم ذلك خبراً.

وقال آخرون: بل كانت مسألته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلاً، فسأل ربه أن يريه عاجلاً من العلامة له على ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلاً، ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيداً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له أن يبشر إبراهيم بذلك، فأذن له، فأتى إبراهيم وليس في البيت فدخل داره، وكان إبراهيم أغير الناس، إن خرج أغلق الباب؛ فلما جاء وجد في داره رجلاً، فثار إليه ليأخذه، قال: من أذن لك أن تدخل داري؟ قال ملك الموت: أذن لي ربّ هذه الدار، قال إبراهيم: صدقت! وعرف أنه ملك الموت، قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت جئتك أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلاً. فحمد الله وقال: يا ملك الموت أرني الصورة التي تقبض فيها أنفاس الكفار. قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فأعرِضْ! فأعرض إبراهيم ثم نظر إليه، فإذا هو برجلٍ أسود تنال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهب النار. فغشي على إبراهيم، ثم أفاق وقد تحوّل ملك الموت في الصورة الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم يلقَ الكافر عند الموت من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين! قال: فأعرِضْ! فأعرض إبراهيم ثم التفت، فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبه ريحاً، في ثياب بيض، فقال: يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عند ربه من قرّة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه. فانطلق ملك الموت، وقام إبراهيم يدعو ربه يقول: **﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾** حتى أعلم أني خليلك**﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾** بأني خليلك، يقول تُصدّق، **﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** بخلولتك.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير: **﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** قال: بالخُلة.

وقال آخرون: قال ذلك لربه لأنه شكّ في قدرة الله على إحياء الموتى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب في قوله: **﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** قال: قال ابن عباس: ما في القرآن آية أرجى عندي منها.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل، عن سعيد بن المسيب، قال: اتَّعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو أن يجتمعا، قال: ونحن يومئذٍ شَبَبَةٌ، فقال أحدهما لصاحبه: أيّ آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمة؟ فقال عبد الله بن عمرو **﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ﴾** حتى ختم الآية، فقال

ابن عباس: أما إن كنت تقول إنها[1]، وإنَّ أرجى منها لهذه الأمة قول إبرهيم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء بن أبي رباح، عن قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى... قال فخذ أربعة من الطير﴾ ليريه.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا سعيد بن تليد، قال: ثنا عبد الرحمن بن القاسم، قال: ثني بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ[2]، قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: فذكر نحوه.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، ما صحّ به الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال، وهو قوله: «نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ» وأن تكون مسألته ربه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان[3] عرض في قلبه، كالذي ذكرنا عن ابن زيد آنفاً من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البرّ وبعضه في البحر قد تعاوره دوابّ البرّ ودوابّ البحر وطير الهواء، ألقى الشيطان في نفسه فقال: متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء؟ فسأل إبراهيم حينئذٍ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليعاين ذلك عياناً، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك، فقال له ربه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ يقول: أولم تصدق يا إبراهيم بأني على ذلك قادر؟ قال: بلى يا ربّ، لكن سألتك أن تريني ذلك ليطمئنّ قلبي، فلا يقدر الشيطان أن يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت.

حدثني بذلك يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد.

---

(١) الذي في «الدر المنثور» فقال ابن عباس: لكن أنا أقول قول الله لإبراهيم: أو لم تؤمن الخ.

(٢) قال ابن عطية: أي لو كان شاكاً.

(٣) في القرطبي نقلاً عن ابن عطية الأندلسي كلام نفيس في الرد على الطبري في هذا الموضع. فراجعه فيه.

ومعنى قوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه. وهذا التأويل الذي قلناه في ذلك هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ إلى أنه ليزداد إيماناً، أو إلى أنه ليوفق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن قيس بن مسلم، عن سعيد بن جبير: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: ليوفق.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان. وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: ليزداد يقيني.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ يقول: ليزداد يقيناً.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: وأراد نبيّ الله إبراهيم ليزداد يقيناً إلى يقينه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: قال معمر وقال قتادة: ليزداد يقيناً.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: أراد إبراهيم أن يزداد يقيناً.

حدثني المثنى، قال: ثنا محمد بن كثير البصري، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا أبو الهيثم، عن سعيد بن جبير: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: ليزداد يقيني.

حدثني المثنى، قال: ثنا الفضل بن دكين، قال: ثنا سفيان، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: ليزداد يقيناً.

حدثنا صالح بن مسمار، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا خلف بن خليفة، قال: ثنا ليث بن أبي سليم، عن مجاهد وإبراهيم في قوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: لأزداد إيماناً مع إيماني.

حدثنا صالح، قال: ثنا زيد، قال: أخبرنا زياد، عن عبد الله العامري، قال: ثنا

ليث، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جبير في قول الله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: لأزداد إيماناً مع إيماني.

وقد ذكرنا فيما مضى قول من قال: معنى قوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بأني خليلك.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك وتعطيني إذا سألتك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال: أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك.

وأما تأويل قوله: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ فإنه: أولم تصدّق؟ كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن سعيد بن جبير قوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ قال: أولم توقن بأني خليلك؟

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ قال: أولم توقن.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: قال الله له: فخذ أربعة من الطير. فَذُكِرَ أن الأربعة من الطير: الديك، والطاووس، والغراب، والحمام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم: أن أهل الكتاب الأول يذكرون أنه أخذ طاووساً، وديكاً، وغراباً، وحماماً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الأربعة من الطير: الديك، والطاووس، والغراب، والحمام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ قال ابن جريج: زعموا أنه ديك، وغراب، وطاووس، وحمامة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ قال: فأخذ طاووساً، وحماماً، وغراباً، وديكاً؛ مخالفة أجناسها وألوانها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة: **﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾** بضم الصاد من قول القائل: صُرْت إلى هذا الأمر: إذا ملت إليه أَصُور صَوَراً، ويقال: إني إليكم لأَصْوَرُ أي مشتاق مائل، ومنه قول الشاعر:

اللّه يَعْلَمُ أنّا في تَلَفُّتِنا ... يَوْمَ الفِرَاقِ إلى أحْبابِنا صُورُ(١)

وهو جمع أَصْوَر وصَوْرَاء وصُور، مثل أسود وسوداء وسود. ومنه قول الطرماح:

عَفَائِفُ إلاّ ذَاكَ أوْ أنْ يَصُورَها ... هَوًى والهَوَى للعاشِقِينَ صَرُوعُ(٢)

يعني بقوله: «أو أن يصورها هوى»: يميلها.

فمعنى قوله: **﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾** اضممهنّ إليك ووجههنّ نحوك، كما يقال: صُرْ وجهك إليّ، أي أقبل به إليّ. ومن وجه قوله: **﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾** إلى هذا التأويل كان في الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه، ويكون معناه حينئذٍ عنده، قال: فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك، ثم قطعهنّ، ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً. وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك إذا قرىء كذلك بضم الصاد: قَطّعهن، كما قال تَوْبَة بن الحُمَيِّر:

فلمّا جَذَبْتُ الحبْلَ أطّتْ نُسُوعُهُ ... بأطْرافِ عِيدان شَديدٍ أُسُورُهَا

فأذْنَتْ لِيَ الأسْبابَ حتى بلغْتُها ... بنَهْضِي وقَد كانَ ارتقائي يَصُورُها(٣)

يعني يقطعها. وإذا كان ذلك تأويل قوله: **﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾** كان في الكلام تقديم وتأخير، ويكون معناه: فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن، ويكون إليك من صلة «خذ».

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: «فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ» بالكسر، بمعنى قطعهن.

---

(١) البيت من شواهد النحويين، وهو غير منسوب. وصور: جمع أصور. وهو المائل العنق من الشوق، من صور يصور صوراً: إذا مال نحوه بعنقه. يريد أنهم كانوا يوم الفراق دائمي التلفت نحو أحبابهم عن هامش سر صناعة الإعراب لابن جني (٢٩/١) طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده سنة ١٩٥٤.

(٢) البيت للطرماح كما نسبه المؤلف. ويصورها: يميل أعناقها نحو من تحب شوقاً. والصرع بفتح الصاد المشددة وكسرها، وبالضاد: الضرب والفن من الشيء. والجمع: أصرع وصروع «اللسان» يصفهن بأنهن عفيفات، ليس بهن إلا ميل أعناقهن أحياناً من الشوق إلى الحبيب، والهوى فنون، منه القوى الذي يذهب بالعقل أو يقتل، ومنه الضعيف الذي لا يقتل، ولا يذهب باللب.

(٣) البيتان لتوبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية. وأطت المحامل والرحال تئط أطا وأطيطاً: كان لها صوت إذا ثقل عليها الركبان. والنسوع: جمع نسع، وهو سير يضفر على هيئة أعنة النعال، تشد به الرحال. ويجمع على نسوع وأنساع ونسع بوزن حمر وأسورها جمع أسر، وهو شدة الخلق، يريد أن عيدان الرحل قوية متينة، والأسباب: جمع سبب، وهو الحبل، ويصورها: يقطعها، كما فسره المؤلف.

وقد زعم جماعة من نحويي الكوفة أنهم لا يعرفون فصُرهنّ ولا فصِرْهُن، بمعنى قطعهن في كلام العرب، وأنهم لا يعرفون كسر الصاد وضمها في ذلك إلا بمعنى واحد، وأنهما جميعاً لغتان بمعنى الإمالة، وأن كسر الصاد منها لغة في هذيل وسليم؛ وأنشدوا لبعض بني سليم:

وَفَـرْعٍ يَـصِـيـرُ الـجِـيـدَ وَحْـفٍ كـأنَّـهُ على اللِّيتِ قِنْوَانُ الكُرُومِ الدَّوَالِحُ(١)

يعني بقوله يصير: يميل، وأن أهل هذه اللغة يقولون: صاره وهو يصيره صَيْراً، وصِرْ وجهك إليّ: أي أمله، كما تقول: صُرْه.

وزعم بعض نحويي الكوفة أنه لا يعرف لقوله: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ ولا لقراءة من قرأ: «فَصِرْهُنَّ» بضم الصاد وكسرها وجهاً في التقطيع، إلا أن يكون «فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ» في قراءة من قرأه بكسر الصاد من المقلوب، وذلك أن تكون لام فعله جعلت مكان عينه، وعينه مكان لامه، فيكون من صَرَى يَصْرِي صَرْياً، فإن العرب تقول: بات يَصْري في حوضه: إذا استقى، ثم قطع واستقى، ومن ذلك قول الشاعر:

صَـرَتْ نَـظْـرَةً لَـوْ صَـادَفَـتْ جَـوزَ دارعٍ غَدَا والعَواصِي منْ دَمِ الجوفِ تَنْعَرُ(٢)

صرت: قطعت نظرة. ومنه قول الآخر:

يـقـولـونَ إنَّ الـشَّـام يـقْـتُـلُ أهْـلَـهُ فَـمَـنْ لـي إذا لـم آتِـهِ بـخُـلُـودِ
تَـعَـرَّبَ آبـائـي فـهـلاَّ صَـرَاهُـمُ مِنَ المَوْتِ أنْ لم يذهَبوا وجُدودي(٣)

---

(١) البيت لبعض بني سليم. وفي «اللسان»: صير وصرت الشيء (بكسر الصاد): قطعته. وفي قراءة ابن مسعود وأبي جعفر المدني «فصرهن إليك» بالكسر: أي قطعهن وشققهن. وقيل: وجههن. وقال الفراء ضمت العامة الصاد، وكان أصحاب عبد الله يكسرونها، وهما لغتان. فأما الضم فكثير. وأما الكسر ففي هذيل وسليم. قال: وأنشد الكسائي. . . (البيت). ثم قال بعده: يصير: يميل. ويروى: يزيد الجيد. وكلهم فسروا فصرهن: أملهن. وأما فصرهن بالكسر، فإنه فسر بمعنى: قطعهن. قال: ولم نجد قطعهن معروفة. قال الأزهري: وأراها إن كانت كذلك من صريت أصرى، أي قطعت، فقدمت ياؤها. والوجف: من النبات والشعر: ما غزر، وأثت أصوله وأسود: والليت: صفحة من العنق، وهما ليتان والقنوان: جمع قنو، وهو العذق بما فيه والكروم: جمع كرم، وهو شجرة العنب. والدوالح: جمع دالح أو دالحة، وهي المثقلة بما تحمل من العنب.

(٢) البيت: أنشده الجوهري في (عصى) وصاحب «اللسان» في (نعر، عصى). ومنعه ولم ينسباه لشاعر معين. وصرى الشيء: قطعه ومنعه. والجوز من كل شيء: وسطه. والدارع: لابس الدرع. والعواصى: جمع العاصي، وهو العرق الذي لا يرقأ ولا ينقطع دمه. وتنعر بفتح العين وبكسرها: يفور الدم منها. يصفها بأن نظراتها قاتلة، ولو نظرت إلى بطل ذي درع لمزقت عروقه في جوفه، ففار الدم منه وانصب.

(٣) لم ينسب المؤلف هذين البيتين. تعرب آبائي: أي سكنوا أرض العرب، ولم يخرجوا منها لسكني الشام وهي من بلاد الروم. وصراهم: منعهم وقطعهم. والمصدر من أن وما بعدها فاعل صرى.

وذكرهما البكري في معجم ما استعجم، طبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر (ص ـ ٧٧٣) في رسم «الشأم» =

يعني قطعهم، ثم نقلت ياؤها التي هي لام الفعل فجعلت عيناً للفعل، وحولت عينها فجعلت لامها، فقيل صار يصير، كما قيل: عَثِي يَعْثَى عَثاً، ثم حوّلت لامها، فجعلت عينها، فقيل عاث يعيث.

فأما نحويو البصرة فإنهم قالوا: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ سواء معناه إذا قرىء بالضم من الصاد وبالكسر في أنه معنيّ به في هذا الموضع التقطيع، قالوا: وهما لغتان: إحداهما صَار يَصُور، والأخرى صَار يَصِير، واستشهدوا على ذلك ببيت توبة بن الحمير الذي ذكرنا قبل، وببيت المعلى بن جمّال العبدي:

وجاءَتْ خِلْعَةٌ دُهْسٌ صَفايَا   يَصُورُ عُنُوقَها أَحْوَى زَنِيمُ(١)

بمعنى يفرق عنوقها ويقطعها، وببيت خنساء:

لظَلَّت الشُّمُ منها وَهْيَ تَنْصارُ(٢)

يعني بالشمّ: الجبال أنها تتصدّع وتتفرّق. وببيت أبي ذؤيب:

فانْصَرْنَ مِنْ فَزَعٍ وسَدَّ فُرُوجَهُ   غُبْرٌ ضَوَارٍ وافِيانِ وأَجْدَعُ(٣)

= وهما:

يقولون إن الشام يقتل أهله   فمن لي إن لم آته بخلود

تفرق آبائي فهلا صراهم   عن الموت أن لم يشتموا وجدودي

ولفظة تفرق: محرفة عن تعرب كما في **«معاني القرآن»** للفراء أو عن تعرق، بمعنى سكنى العراق وهي من بلادهم.

(١) البيت نسبه صاحب **«اللسان»** في (دهس) وابن الأنباري في الأضداد (ص ـ ٣٠) والأصمعي في الأضداد (ص ـ ٣٣) وابن السكيت (ص ـ ١٨٧) للمعلي بن جمال البعدي، بالجيم المعجمة. وقال الصاغاني وابن بري وصاحب **«اللسان»** في (زنم) للمعلي ابن حمال، بالحاء المهملة. والخلعة، بكسر الخاء وضمها، خيار المال. والدهس: جمع دهساء، وهي السوداء المشربة مرة خفيفة. والصفايا: جمع صفية وهي خيار المال، أو ما يختاره رئيس الجيش لنفسه من المغانم قبل القسمة. ويصور، بضم الصاد عند أكثر اللغويين: بمعنى يميل ويعطف. وعنوقها: أعناقها، أي يميل أعناقها إليه تيس أحوى، من الحوة، وهي السواد. والزنيم: الذي له زنمتان تنوسان تحت حلقه.

ونقل صاحب **«اللسان»** في (صور) عن الجوهري، أن صرت الشيء بالضم يكون أحياناً بمعنى قطعته وفصلته، واستشهد له بقول رؤبة: «صرنا به الحكم وأعيا الحكما». وقال في حديث مجاهد: «كره أن يصور شجرة مثمرة»: إنه يحتمل أن يكون أراد: يميلها، لأن إمالتها تدعو إلى الجفوف والذبول، ويجوز أن يكون أراد به قطعها.

(٢) هذا عجز بيت للخنساء، لم أجده في ديوانها المسمى: أنيس الجلساء في **«شرح ديوان الخنساء»** ووجدته في **«اللسان»** والتاج، في صور، يقال: أصار الشيء فانصار: أي أماله فمال. قالت الخنساء.. البيت، أي لظلت الجبال الشم تصدع وتقلق.

(٣) البيت من عينية أبي ذؤيب المشهورة، وهو مذكور في المفضليات طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦ م. وفي الرواية: =

قالوا: فلقول القائل: صُرْت الشيء معنيان: أملته، وقطعته، وحكوا سماعاً: صُرْنا به الحكم: فصلنا به الحكم.

وهذا القول الذي ذكرناه عن البصريين من أن معنى الضم في الصاد من قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ والكسر سواء بمعنى واحد، وأنهما لغتان معناهما في هذا الموضع فقطعهن، وأن معنى إليك تقديمها قبل فصرهن من أجل أنها صلة قوله: «فخذ»، أولى بالصواب من قول الذين حكينا قولهم من نحويي الكوفيين الذي أنكروا أن يكون للتقطيع في ذلك وجه مفهوم إلا على معنى القلب الذي ذكرت، لإجماع أهل التأويل على أن معنى قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ غير خارج من أحد معنيين: إما قطّعهنّ، وإما اضممهنّ إليك، بالكسر قرىء ذلك أو بالضم. ففي إجماع جميعهم على ذلك على غير مراعاة منهم كسر الصاد وضمها، ولا تفريق منهم بين معنيي القراءتين أعني الكسر والضم، أوضح الدليل على صحة قول القائلين من نحويي أهل البصرة في ذلك ما حكينا عنهم من القول، وخطأ قول نحويي الكوفيين؛ لأنهم لو كانوا إنما تأولوا قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بمعنى فقطعهن، على أن أصل الكلام فأصرهنّ، ثم قلبت فقيل فصِرهن بكسر الصاد لتحوّل ياء فأصرهن مكان رائه، وانتقال رائه مكان يائه، لكان لا شك مع معرفتهم بلغتهم وعلمهم بمنطقهم، قد فصلوا بين معنى ذلك إذا قرىء بكسر صاده، وبينه إذا قرىء بضمها، إذ كان غير جائز لمن قلب فأصرهن إلى فصِرْهُن أن يقرأه فصرهن بضم الصاد، وهم مع اختلاف قراءتهم ذلك قد تأوّلوه تأويلاً واحداً على أحد الوجهين اللذين ذكرنا. ففي ذلك أوضح الدليل على خطأ قول من قال:

= «فاهتاج» في موضع «فانصرن». ورواه «اللسان» في (جدع) وقال: أجدع أي مقطوع الأذن. ووافيان: لم يقطع من آذانهما شيء.

وفي ديوان الهذليين القسم الأول، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٥ (ص ـ ١٢) وروايته:

فاهْتاجَ مِن فَزَعٍ وسَدَّ فُروجَهُ غُبْرٌ ضَوارٍ وافِيانِ وأجْدَعُ

وقال في الشرح: فانصاع من فزع (وسد فروجه) بالعدو. والفروج: ما بين القوائم. والغبر: الكلاب تضرب إلى الغبرة. ضوار قد ضريت وتعودت. وافيان: لم تقطع آذانهما. وأجدع: قد قطعت أذنه، وهي علامة تعلم بها الكلاب.

وفي الهامش: وفي رواية: فارتاع. وفروج الثور: ما بين قوائمه. يقول: إنه حين رأى الكلاب قادمة نحوه، ملأ ما بين قوائمه بالعدو الشديد الذي لم يدع انفراجاً بينها لسرعة حركتها، فأسند الفعل إلى الغبر، وهي الكلاب التي تضرب إلى الغبرة، لأنها هي التي أفزعته وحملته على العدو. ويجوز أن يفسر قوله (وسد فروجه غبر) بأن الكلاب دخلت بين قوائمه، وأتته من جميع وجوهه، فلم تدع له وجهاً ينفذ منه. وفي رواية (غبس) مكان قوله: غبر. وهي رواية في الأصل أيضاً. وهي الكلاب تضرب غبرتها إلى السواد. وروى (غضف) وهي من الكلاب التي طالت آذانها واسترخت وتكسرت خلقة. الواحد: أغضف. فانصاع: أي ذهب في ناحية.

وفي «شرح ابن الأنباري» للمفضليات (ص ـ ٨٧٣) جاء البيت كرواية الديوان والشرح في الديوان مأخوذ منه. وانصاع: أخذ في شق فذهب.

إن ذلك إذا قرىء بكسر الصاد بتأويل التقطيع مقلوب من صَرِيَ يَصْرَي إلى صار يصير، وجهل من زعم أن قول القائل صار يصور وصار يصير غير معروف في كلام العرب بمعنى قطع.

ذكر من حضرنا قوله في تأويل قول الله تعالى ذكره: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أنه بمعنى فقطعهنّ.

حدثنا سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قال: هي نبطية فشققهن.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي جمرة، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال: إنما هو مثل. قال: قطعهنّ ثم اجعلهن في أرباع الدنيا، ربعاً ههنا، وربعاً ههنا، ثم ادعهنّ يأتينك سعياً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قال: قطعهن.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك في قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول: قطعهن.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قال: قال جناح ذه عند رأس ذه، ورأس ذه عند جناح ذه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم أبو عمرو، عن عكرمة في قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال: قال عكرمة بالنبطية: قطعهن.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن يحيى، عن مجاهد: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال: قطعهن.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ انتفهن بريشهن ولحومهن[1] تمزيقاً، ثم اخلط لحومهن بريشهن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال: انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقاً.

---

(١) الذي في «الدر المنثور» برواية البيهقي عن مجاهد: انتف ريشهن ولحومهن، ومزقهن تمزيقاً. وهو المعنى المقصود هنا.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أمر نبيّ الله عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال: فمزّقهن، قال: أمر أن يخلط الدماء بالدماء، والريش بالريش، ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول: فشققهن وهو بالنبطية صرّى، وهو التشقيق.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول قطعهن.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ يقول قطعهن إليك ومزّقهن تمزيقاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطعهن، وهو الصَّوْر في كلام العرب.

ففيما ذكرنا من أقوال من روينا في تأويل قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أنه بمعنى فقطعهن إليك، دلالة واضحة على صحة ما قلنا في ذلك، وفساد قول من خالفنا فيه. وإذ كان ذلك كذلك، فسواء قرأ القارىء ذلك بضم الصاد فصُرْهن إليك أو كسرها فصِرْهن إذْ كانت اللغتان معروفتين بمعنى واحد، غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن أحبهما إليّ أن أقرأ به «فصُرْهن إليك» بضم الصاد، لأنها أعلى اللغتين وأشهرهما وأكثرهما في أحياء العرب. وعند نفر قليل من أهل التأويل أنها بمعنى أوثق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ صرهن: أوثقهن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال: اضممهنّ إليك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال: اجمعهن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يأتِينَكَ سَعْياً﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ اجعَل على كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءاً﴾ فقال بعضهم: يعني بذلك على كل ربع من أرباع الدنيا جزءاً منهن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي جمرة، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءاً﴾ قال: اجعلهن في أرباع الدنيا: ربعاً ههنا، وربعاً ههنا، وربعاً ههنا، وربعاً ههنا، ثم ادعهن يأتينك سعياً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءاً﴾ قال: لما أوثقهن ذبحهن، ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: قال: أمر نبيّ الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن، ثم يجزئهن على أربعة أجبل، فذكر لنا أنه شكل[1] على أجنحتهن، وأمسك برؤوسهن بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبَضعة إلى البضعة، وذلك بعين خليل الله إبراهيم عليه السلام. ثم دعاهن فأتينه سعياً على أرجلهن، ويلقي كل طير برأسه. وهذا مَثَلٌ آتاه الله إبراهيم. يقول: كما بعث هذه الأطيار من هذه الأجبل الأربعة، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ذبحهن، ثم قطعهن، ثم خلط بين لحومهن وريشهن، ثم قسمهن على أربعة أجزاء، فجعل على كل جبل منهن جزءاً، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبضعة إلى البضعة، وذلك بعين خليل الله إبراهيم، ثم دعاهن فأتينه سعياً، يقول: شدّاً على أرجلهن. وهذا مَثَلٌ أراه الله إبراهيم، يقول: كما بعثت هذه الأطيار من هذه الأجبل الأربعة، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم: أن أهل الكتاب يذكرون أنه أخذ الأطيار الأربعة، ثم قطع كل طير بأربعة أجزاء، ثم عمد إلى أربعة أجبال، فجعل على كل جبل ربعاً من كل طائر، فكان على كل جبل ربع من الطاووس، وربع من الديك، وربع من الغراب وربع من الحمام. ثم دعاهن فقال: تعالين بإذن الله كما كنتم! فوثب كل ربع

(١) ربط أجنحتهن بشكال: أي حبل.

منها إلى صاحبه حتى اجتمعن، فكان كل طائر كما كان قبل أن يقطعه، ثم أقبلن إليه سعياً، كما قال الله. وقيل: يا إبراهيم هكذا يجمع الله العباد، ويحيي الموتى للبعث من مشارق الأرض ومغاربها، وشامها ويمنها. فأراه الله إحياء الموتى بقدرته، حتى عرف ذلك بغير ما قال نمروذ من الكذب والباطل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: **﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً﴾** قال: فأخذ طاووساً، وحمامة، وغراباً، وديكاً، ثم قال: فرّقهن، اجعل رأس كل واحد وجُؤشُوش[1] الآخر وجناحي الآخر ورجلي الآخر معه! فقطعهن وفرّقهن أرباعاً على الجبال، ثم دعاهن فجئنه جميعاً، فقال الله: كما ناديتهن فجئنك، فكما أحييت هؤلاء وجمعتهن بعد هذا، فكذلك أجمع هؤلاء أيضاً؛ يعني الموتى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم اجعل على كل جبل من الأجبال التي كانت الأطيار والسباع التي كانت تأكل من لحم الدابة التي رآها إبراهيم ميتة، فسأل إبراهيم عند رؤيته إياها أن يريه كيف يحييها وسائر الأموات غيرها. وقالوا: كانت سبعة أجبال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: لما قال إبراهيم ما قال عند رؤيته الدابة التي تفرّقت الطير والسباع عنها حين دنا منها، وسأل ربه ما سأل، قال: فخذ أربعة من الطير. قال ابن جريج: فذبحها. ثم اخلط بين دمائهن وريشهن ولحومهن، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً حيث رأيت الطير ذهبت والسباع! قال: فجعلهن سبعة أجزاء، وأمسك رؤوسهن عنده، ثم دعاهن بإذن الله، فنظر إلى كل قطرة من دم تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل بَضعة وكل عظم يطير بعضه إلى بعض من رؤوس الجبال، حتى لقيت كل جثة بعضها بعضاً في السماء، ثم أقبلن يسعين حتى وصلت رأسها.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على سبعة أجبال، فاجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم ادعهن يأتينك سعياً! فأخذ إبراهيم أربعة من الطير، فقطعهن أعضاء، لم يجعل عضواً من طير مع صاحبه، ثم جعل رأس هذا مع رجل هذا، وصدر هذا مع جناح هذا، وقسمهن على سبعة أجبال، ثم دعاهن فطار كل عضو إلى صاحبه، ثم أقبلن إليه جميعاً.

وقال آخرون: بل أمره الله أن يجعل ذلك على كل جبل.

---

(١) الجؤشوش: الصدر. ومضى من الليل جؤشوش: أي صدر، وقيل: قطعة منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿ثُمَّ اجْعَلْ على كُلّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزْءاً﴾** قال: ثم بدِّدهن على كل جبل يأتينك سعياً، وكذلك يحيي الله الموتى.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل، ثم ادعهن يأتينك سعياً، كذلك يحيي الله الموتى؛ هو مَثَلٌ ضربه الله لإبراهيم.

حدثنا القاسم، ثال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: **﴿ثُمَّ اجْعَلْ على كُلّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزءاً﴾** ثم بدّدهن أجزاء على كل جبل، ثم ادعهن: تعالين بإذن الله! فكذلك يحيي الله الموتى؛ مَثَلٌ ضربه الله لإبراهيم ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثني إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: أمره أن يخالف بين قوائمهن ورؤوسهن وأجنحتهن، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءاً.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿ثُمَّ اجْعَلْ على كُلّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً﴾** فخالف إبراهيم بين قوائمهن وأجنحتهن.

وأولى التأويلات بالآية ما قاله مجاهد، وهو أن الله تعالى ذكره أمر إبراهيم بتفريق أعضاء الأطيار الأربعة بعد تقطيعه إياهن على جميع الأجبال التي كان يصل إبراهيم في وقت تكليف الله إياه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء، لأن الله تعالى ذكره قال له: **﴿ثُمَّ اجْعَلْ على كُلّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزْءاً﴾** والكل حرف يدل على الإحاطة بما أضيف إليه لفظه واحد ومعناه الجمع. فإذا كان ذلك كذلك فلن يجوز أن تكون الجبال التي أمر الله إبراهيم بتفريق أجزاء الأطيار الأربعة عليه خارجة من أحد معنيين: إما أن تكون بعضاً أو جميعاً؛ فإن كانت بعضاً فغير جائز أن يكون ذلك البعض إلا ما كان لإبراهيم السبيل إلى تفريق أعضاء الأطيار الأربعة عليه. أو يكون جميعاً، فيكون أيضاً كذلك. وقد أخبر الله تعالى ذكره أنه أمره بأن يجعل ذلك على كل جبل، وذلك إما كل جبل وقد عرفهن إبراهيم بأعيانهن، وإما ما في الأرض من الجبال.

فأما قول من قال: إن ذلك أربعة أجبل، وقول من قال: هنّ سبعة؛ فلا دلالة عندنا على صحة شيء من ذلك فنستجير القول به. وإنما أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يجعل الأطيار الأربعة أجزاء متفرّقة على كل جبل لِيُرِيَ إبراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهن متفرّقات متبددات في

أماكن مختلفة شتّى، حتى يؤلف بعضهن إلى بعض، فيعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن وقبل تفريق أجزائهن على الجبال أطياراً أحياء يطرن، فيطمئنّ قلب إبراهيم ويعلم أن كذلك يجمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة وتأليفه أجزاءهم بعد البلى وردّ كل عضوٍ من أعضائهم إلى موضعه كالذي كان قبل الرد. والجزء من كل شيء هو البعض منه كان منقسماً جميعه عليه على صحة أو غير منقسم، فهو بذلك من معناه مخالف معنى السهم؛ لأن السهم من الشيء: هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحة، ولذلك كثر استعمال الناس في كلامهم عند ذكرهم أنصباءهم من المواريث السهام دون الأجزاء.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ فإن معناه ما ذكرت آنفاً عن مجاهد أنه قال: هو أنه أمر أن يقول لأجزاء الأطيار بعد تفريقهن على كل جبل تعالين بإذن الله.

فإن قال قائل: أُمِرَ إبراهيم أن يدعوهنّ وهن ممزّقات أجزاء على رؤوس الجبال أمواتاً، أم بعد ما أُحْيين؟ فإن كان أُمِرَ أن يدعوهن وهن ممزّقات لا أرواح فيهنّ، فما وجه أمر من لا حياة فيه بالإقبال؟ وإن كان أمر بدعائهن بعد ما أحيين، فما كانت حاجة إبراهيم إلى دعائهن وقد أبصرهن ينشرن على رؤوس الجبال؟ قيل: إن أمر الله تعالى ذكره إبراهيم عليه السلام بدعائهن وهن أجزاء متفرّقات إنما هو أمر تكوين، كقول الله للذين مسخهم قردة بعد ما كانوا إنساً: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ لا أمر عبادة، فيكون محالاً إلا بعد وجود المأمور المتعبد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: واعلم يا إبراهيم أن الذي أحيا هذه الأطيار بعد تمزيقك إياهنّ، وتفريقك أجزاءهنّ على الجبال، فجمعهن وردّ إليهن الروح، حتى أعادهن كهيئتهن قبل تفريقهن، ﴿عَزِيزٌ﴾ في بطشه إذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة الذين خالفوا أمره، وعصوا رسله، وعبدوا غيره، وفي نقمته حتى ينتقم منهم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال: عزيز في بطشه، حكيم في أمره.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في نقمته ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾

وهذه الآية مردودة إلى قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من قصص بني إسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت، وما بعد ذلك من نبإ الذي حاجّ إبراهيم مع إبراهيم، وأمر الذي مرّ على القرية الخاوية على عروشها، وقصة إبراهيم ومسألته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل؛ اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترض به من قصصهم بين ذلك احتجاجاً منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة، وحضًا منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد في سبيله الذي أمرهم به في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. يعرّفهم فيهم أنه ناصرهم وإن قلّ عددهم وكثر عدد عدوّهم، ويعدهم النصرة عليهم، ويعلمهم سنته فيمن كان على منهاجهم من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم، وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بأنه خاذلهم ومفرّق جمعهم وموهن كيدهم، وقطعاً منه ببعض عذر اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجرَ رسول الله ﷺ، بما أطلع نبيه عليه من خفيّ أمورهم، ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التي لم يعلمها سواهم، ليعلموا أن ما أتاهم به محمد ﷺ من عند الله، وأنه ليس بتخرّص ولا اختلاق، وإعذاراً منه به إلى أهل النفاق منهم، ليحذروا بشكهم في أمر محمد ﷺ أن يحلّ بهم من بأسه وسطوته، مثل الذي أحلهما بأسلافهم الذين كانوا في القرية التي أهلكها، فتركها خاوية على عروشها. ثم عاد تعالى ذكره إلى الخبر عن الذي يقرض الله قرضاً حسناً، وما عنده له من الثواب على قرضه، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني بذلك: مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ من حبات الحنطة أو الشعير، أو غير ذلك من نبات الأرض التي تسنبل سنبلة بذرها زارع. فـ﴿أنبتت﴾، يعني فأخرجت﴿سَبْعَ سَنَابِلَ في كلّ سُنْبُلَةٍ مائة حَبَّة﴾، يقول: فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله، له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته. كما:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ فهذا لمن أنفق في سبيل الله، فله سبعمائة.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ قال: هذا الذي ينفق على نفسه في سبيل الله ويخرُج.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾... الآية.

فكان من بايع النبيّ ﷺ على الهجرة، ورابط مع النبيّ ﷺ بالمدينة، ولم يلق وجهاً إلا بإذنه، كانت الحسنة له بسبعمائة ضعف، ومن بايع على الإسلام كانت الحسنة له عشر أمثالها.

فإن قال قائل: وهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة أو بلغتك فضرب بها المثل المنفق في سبيل الله ماله؟ قيل: إن يكن ذلك موجوداً فهو ذاك، وإلا فجائز أن يكون معناه: كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، إن جعل الله ذلك فيها. ويحتمل أن يكون معناه: في كل سنبلة مائة حبة؛ يعني أنها إذا هي بذرت أنبتت مائة حبة، فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المائة الحبة مضافاً إليها لأنه كان عنها. وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك قوله: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾** قال: كل سنبلة أنبتت مائة حبة، فهذا لمن أنفق في سبيل الله، **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾**. فقال بعضهم: الله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته بعد الذي أعطى المنفق في سبيله من التضعيف الواحدة سبعمائة. فأما المنفق في غير سبيله، فلا نفقة ما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: هذا يضاعف لمن أنفق في سبيل الله، يعني السبعمائة؛ **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** يعني لغير المنفق في سبيله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين في سبيله على السبعمائة إلى ألفي ألف ضعف. وهذا قَوْلٌ ذُكِرَ عن ابن عباس من وَجْهٍ لم أجد إسناده فتركت ذكره.

والذي هو أولى بتأويل قوله: **﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾** والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف لمن يشاء من المنفقين في سبيله؛ لأنه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق في سبيل الله فيجوز لنا توجيه ما وعد تعالى ذكره في هذه الآية من التضعيف إلى أنه عِدَة منه على العمل على غير النفقة في سبيل الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: والله واسع أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله على أضعاف السبعمائة التي وعده أن يزيده، عليم من يستحقّ منهم الزيادة. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قال: واسع أن يزيد من سعته، عليم عالم بمن يزيده.

وقال آخرون: معنى ذلك: والله واسع لتلك الأضعاف، عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: المعطي ماله المجاهدين في سبيل الله معونة لهم على جهاد أعداء الله. يقول تعالى ذكره: الذين يُعينون المجاهدين في سبيل الله بالإنفاق عليهم وفي حمولتهم، وغير ذلك من مُؤَنِهم، ثم لم يتبع نفقته التي أنفقها عليهم منّاً عليهم بإنفاق ذلك عليهم ولا أذى لهم؛ فامتنانه به عليهم بأن ظهر لهم أنه قد اصطنع إليهم بفعله، وعطائه الذي أعطاهموه، تقوية لهم على جهاد عدوّهم معروفاً، ويبدي ذلك إما بلسان أو فعل. وأما الأذى فهو شكايته إياهم بسبب ما أعطاهم وقوّاهم من النفقة في سبيل الله أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم في الجهاد، وما أشبه ذلك من القول الذي يؤذيه مَنْ أنفق عليه. وإنما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله، وأوجب الأجر لمن كان غير مانٍّ ولا مؤذٍ من أنفق عليه في سبيل الله، لأن النفقة التي هي في سبيل الله مما ابتغي به وجه الله، وطلبه ما عنده، فإذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ما وصفنا، فلا وجه لمنّ المنفق على من أنفق عليه، لأنه لا يد له قبله ولا صنيعة يستحق بها عليه إن لم يكافئه عليها المنّ والأذى، إذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتساباً وابتغاء ثواب الله وطلب مَرضاته وعلى الله مثوبته دون من أنفق ذلك عليه.

وبنحو المعنى الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ علم الله أن أناساً يمنون بعطيتهم، فكره ذلك وقدّم فيه فقال: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ

مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال للآخرين. يعني: قال الله للآخرين، وهم الذين لا يخرجون في جهاد عدوّهم: الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى. قال: فشرط عليهم. قال: والخارج لم يشرط عليه قليلاً ولا كثيراً، يعني بالخارج الخارج في الجهاد الذي ذكر الله في قوله: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ**﴾ . . . الآية. قال ابن زيد: وكان أبي يقول: إن أذن لك أن تعطي من هذا شيئاً، أو تقوى فقويت في سبيل الله، فظننت أنه يثقل عليه سلامك فكفّ سلامك عنه. قال ابن زيد: فهو خير من السلام. قال: وقالت امرأة لأبي: يا أبا أسامة، تدلني على رجل يخرج في سبيل الله حقاً، فإنهم لا يخرجون إلا ليأكلوا الفواكه! عندي جعبة وأسهم فيها. فقال لها: لا بارك الله لك في جعبتك، ولا في أسهمك، فقد آذيتيهم[(١)] قبل أن تعطيهم! قال: وكان رجل يقول لهم: اخرجوا وكلوا الفواكه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك قوله: ﴿**لاَ يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى**﴾ قال: أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منّاً وأذى.

وأما قوله: ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ فإنه يعني للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله على ما بيّن. والهاء والميم في لهم عائدة على «الذين».

ومعنى قوله: ﴿**لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التي أنفقوها في سبيل الله، ثم لا يتبعونها منًّا ولا أذى.

وقوله: ﴿**وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ يقول: وهم مع ما لهم من الجزاء والثواب على نفقتهم التي أنفقوها على ما شرطنا؛ لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله، وفراقهم الدنيا، ولا في أهوال القيامة، وأن ينالهم من مكارهها، أو يصيبهم فيها من عقاب الله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ**﴾ قول جميل، ودعاء الرجل لأخيه

(١) المشهور من اللغات: آذيتهم. والذي في الرواية: لغة قليلة.

المسلم. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ يعني: وسِتْرٌ منه عليه لما علم من خلته وسوء حالته، خير عند الله من صدقة يتصدقها عليه يتبعها أذى، يعني يشتكيه عليها ويؤذيه بسببها. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذًى**﴾ يقول: أن يمسك ماله خير من أن ينفق ماله ثم يتبعه منًّا وأذى.

وأما قوله: ﴿غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ فإنه يعني: والله غنيّ عما يتصدقون به، حليم حين لا يعجل بالعقوبة على من يمنّ بصدقته منكم، ويؤذي فيها من يتصدّق بها عليه.

ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

حدثنا به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الغنيّ: الذي كمل في غناه، والحليم: الذي قد كمل في حلمه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: ﴿**يا أيها الّذِينَ آمَنُوا**﴾ صدّقوا الله ورسوله، ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ**﴾، يقول: لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمنّ والأذى، كما أبطل كُفر الذي ينفق ماله﴿**رِئَاءَ النَّاسِ**﴾، وهو مراءاته إياهم بعمله؛ وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه وهو مريد به غير الله ولا طالب منه الثواب وإنما ينفقه كذلك ظاهراً ليحمده الناس عليه فيقولوا: هو سخيّ كريم، وهو رجل صالح، فيحسنوا عليه به الثناء وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية في إنفاقه ما أنفق، فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر.

وأما قوله: ﴿**وَلاَ يُوءْمِنُ بِاللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ**﴾ فإن معناه: ولا يصدّق بواحدنية الله وربوبيته، ولا بأنه مبعوث بعد مماته فمجازى على عمله، فيجعل عمله لوجه الله وطلب ثوابه وما عنده في معاده. وهذه صفة المنافق؛ وإنما قلنا إنه منافق، لأن المظهر كفره والمعلن شركه معلوم أنه لا يكون بشيء من أعماله مرائياً، لأن المرائي هو الذي يرائي الناس بالعمل الذي هو في الظاهر لله وفي الباطن عامله مراده به حمد الناس عليه، والكافر لا يخيل على أحد أمره أن أفعاله كلها إنما هي للشيطان. إذا كان معلناً كفره. لا لله، ومن كان كذلك فغير كائن مرائياً بأعماله.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال أبو هانىء الخولاني، عن عمرو بن حريث، قال: إن الرجل يغزو، لا يسرق ولا يزني، ولا يغلّ، لا يرجع بالكفاف! فقيل له: لم ذاك؟ قال: فإن الرجل ليخرج فإذا أصابه من بلاء الله الذي قد حكم عليه سبّ ولعن إمامه، ولعن ساعة غزا، وقال: لا أعود لغزوة معه أبداً! فهذا عليه، وليس له مثل النفقة في سبيل الله يتبعها منّ وأذى، فقد ضرب الله مثلها في القرآن: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ والأذى﴾** حتى ختم الآية.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ على شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّه لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: فمثل هذا الذي ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر. والهاء في قوله: **﴿فَمَثَلُهُ﴾** عائدة على «الذي». **﴿كمثَل صَفْوَانٍ﴾** والصفوان واحد وجمع، فمن جعله جمعاً فالواحدة صفوانة بمنزلة تمرة وتمر ونخلة ونخل، ومن جعله واحداً جمعه صفوان وصِفِيّ وصُفِيّ، كما قال الشاعر:

مَوَاقِعُ الطَّيْرِ على الصُّفِيّ[١]

والصفوان هو الصفا، وهي الحجارة الملس. وقوله: **﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾** يعني على الصفوان تراب، **﴿فأصَابَهُ﴾** يعني أصاب الصفوان، **﴿وَابِلٌ﴾**: وهو المطر الشديد العظيم، كما قال امرؤ القيس:

ساعَةً ثم انتحاها وابلٌ ساقِطُ الأكْنافِ واهٍ مُنْهَمِرْ[٢]

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز، نسبه صاحب **«اللسان»** للأخيل. وقبله:

كأن مَتْنَيْهِ من النَّفِيِّ من طول إشرافي على الطَّوِي

والصفي: جمع صفا، وهو جمع صفاة، وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً. والنفي: ما نفاه الرشاء، من الماء والطين. والطوى: البئر المبنية بالحجارة. يقول: إن رشاش الرشاء، من ماء وطين على متنيه يشبه ذرق الطير على الصفا الأملس. وقال الأزهري: هذا ساق كان أسود الجلدة، واستقى من بئر ملح، وكان يبيض نفي الماء على ظهره إذا ترشش، لأنه كان ملحاً عن هامش سر صناعة الإعراب لابن جنى، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١/ ٢٥٢).

(٢) هذا بيت لامرىء القيس في وصف المطر مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي (ص ـ ١٥١) وانتحاها: اعتمدها. والوابل: أشد المطر، وعنه يكون السيل. وساقط الأكناف: ثابت النواحي، وكنف كل شيء: ناحيته. وقيل ساقط الأكناف: مسترخ ضعيف، كأنه يسقط ولا يحبسه شيء. وواه: منخرق متشقق بالماء، يعني السحاب. والمنهمر: الشديد السكب، السريع السيل.
يقول: سحت هذه الديمة ساعة، ثم انتحى هذه الشجراء وابل منهمر، وهت أعجازه، وانخرقت أكنافه.

يقال منه: وَبلت السماء فهي تَبِلُ وَبْلاً، وقد وُبِلَت الأرض فهي تُوبَل.

وقوله: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ يقول: فترك الوابل الصفوان صلداً؛ والصلد من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، وهو من الأرضين ما لا ينبت فيه شيء، وكذلك من الرؤوس، كما قال رؤبة:

لــمــا رأتْــنِــي خَــلَــقَ الــمُــمَــوَّهِ بَــرَّاقَ أصْــلادِ الــجــبــيــن الأجْــلَــهِ(١)

ومن ذلك يقال للقدر الثخينة البطيئة الغلي: قِدْرٌ صَلود، وقد صَلدت تَصْلُدُ صُلُوداً، ومنه قول تأبط شرًا:

وَلَـسْـتُ بِـجِـلْـبِ جِـلْـبِ لَـيْـلٍ وقِـرَّةٍ ولا بـصـفَـاً صَـلْـدٍ عـن الـخـيـر مَـعْـزِلِ(٢)

ثـم رجع تعالى ذكره إلى ذكر المنافقين الذين ضرب المثل لأعمالهم، فقال: فكذلك أعمالهم بمنزلة الصفوان الذي كان عليه تراب، فأصابه الوابل من المطر، فذهب بما عليه من التراب، فتركه نقياً لا تراب عليه ولا شيء يراهم المسلمون في الظاهر أن لهم أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان بما يراءونهم به، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله اضمحل ذلك كله، لأنه لم يكن لله كما ذهب الوابل من المطر بما كان على الصفوان من التراب، فتركه أملس لا شيء عليه، فذلك قوله: لا يقدرون، يعني به الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، يقول: لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا، لأنهم لم يعملوا لمعادهم ولا لطلب ما عند الله في الآخرة، ولكنهم عملوه رئاء الناس وطلب حمدهم، وإنما حظهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها. ثم أخبر تعالى ذكره أنه لا يهدي القوم الكافرين، يقول: لا يسددهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها فيوفقهم لها، وهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه تركهم في ضلالتهم يعمهون، فقال تعالى ذكره للمؤمنين: لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز في ديوان رؤبة بن العجاج طبعة ليبسك (ص - ١٦٥) وهما الثالث والرابع في الأرجوزة يصف بها نفسه. وفي (موه) في «**اللسان**»: قال ابن بري: يقال وجه مموه، أي مزين بماء الشباب، قال رؤبة: (وأنشد البيت الأول). وفيه في (جله): والجله: أشد من الجلح، وهو ذهاب الشعر من مقدم الجبين، وقد جله يجله جلها، وهو أجله، قال رؤبة وأنشد البيت مع بيتين آخرين، ثم قال: والأصلاد: جمع صلد، وهو الصلب، عن يعقوب. وإنما مثل جبينه بالحجر الصلد، لأنه ليس فيه شعر، كما أنه ليس في الصفا الصلد نبات ولا شجر.

(٢) البيت أورده «**اللسان**» في (جلب) ونسبه إلى تأبط شراً. قال: الجلب والجب (بكسر الجيم وضمها): السحاب الذي لا ماء فيه. وقيل: سحاب رقيق لا ماء فيه. وقيل: هو كالسحاب المعترض تراه كأنه جبل. قال تأبط شراً. . . (البيت) يقول: لست برجل لانفع فيه، ومع ذلك فيه أذى، كالسحاب الذي فيه ريح وقر ولا مطر فيه. والجمع: أجلاب. والصفا: العريض من الحجارة الأملس. والصلد: الأملس اليابس. ومعزل: من صفة الجلب. يريد: لست بمنأي عن الخير.

المثل صفة أعمالهم، فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنّكم على من تصدقتم بها عليه وأذاكم لهم، كما أبطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس، وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنّ والأذَى**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**﴾ فهذا مَثَلٌ ضربه الله لأعمال الكفار يوم القيامة يقول: لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذٍ، كما ترك هذا المطر الصفاةَ الحجرَ ليس عليه شيء أنقى ما كان.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكافِرِينَ**﴾ هذا مثل ضربه الله لأعمال الكافرين يوم القيامة، يقول: لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذٍ، كما ترك هذا المطر الصفا نقياً لا شيء عليه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ وَالأذَى**﴾ إلى قوله: ﴿**عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**﴾ أما الصفوان الذي عليه تراب فأصابه المطر، فذهب ترابه فتركه صلداً، فكذا هذا الذي ينفق ماله رياء الناس ذهب الرياء بنفقته، كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا فتركه نقياً، فكذلك تركه الرياء لا يقدر على شيء مما قدم؛ فقال للمؤمنين: ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمنّ والأذَى**﴾ فتبطل كما بطلت صدقة الرياء.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: أن لا ينفق الرجل ماله، خير من أن ينفقه ثم يتبعه منًّا وأذى. فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فضرب الله مثلهما جميعاً ﴿**كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً**﴾ فكذلك من أنفق ماله ثم أتبعه منًّا وأذى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ والأذَى**﴾ إلى: ﴿**كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً**﴾ ليس عليه شيء، وكذلك المنافق يوم القيامة لا يقدر على شيء مما كسب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج في قوله: ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ والأذى**﴾ قال: يمنّ بصدقته ويؤذيه فيها حتى يبطلها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**ثُمَّ لاَ يُتْبِعُون ما أنْفَقُوا مَنًّا وَلا أذًى**﴾ فقرأ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ والأذى**﴾ حتى بلغ: ﴿**لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا**﴾ ثم قال: أترى الوابل يدع من التراب على الصفوان شيئاً؟ فكذلك منّك وأذاك لم يدع مما أنفقت شيئاً. وقرأ قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ وَالأذَى**﴾ وقرأ: ﴿**وَمَا أنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ**﴾. فقرأ حتى بلغ: ﴿**وأنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿صَفْوَانٍ﴾ قد بينا معنى الصفوان بما فيه الكفاية، غير أنا أردنا ذكر من قال مثل قولنا في ذلك من أهل التأويل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**كَمَثَلِ صَفْوَانٍ**﴾ كمثل الصفاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**كَمَثَلِ صَفْوَانٍ**﴾ والصفوان: الصفا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما صفوان، فهو الحجر الذي يسمى الصفاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿**صفوان**﴾ يعني الحجر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فأصَابَهُ وَابِلٌ﴾.

قد مضى البيان عنه، وهذا ذكر من قال قولنا فيه:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما وابل: فمطر شديد.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**فأصَابَهُ وَابِلٌ**﴾ والوابل: المطر الشديد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾.

ذكر من قال نحو ما قلنا في ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ يقول نقياً.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ قال: تركها نقية ليس عليها شيء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس قوله: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ قال: ليس عليه شيء.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿صَلْداً﴾ فتركه جرداً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ ليس عليه شيء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ ليس عليه شيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: ومثل الذين ينفقون أموالهم فيصّدّقون بها ويحملون عليها في سبيل الله ويقوّون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله وفي غير ذلك من طاعات الله طلب مرضاته. ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني بذلك: وتثبيتاً لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقاً، من قول القائل: ثَبَّتُّ فلاناً في هذا الأمر: إذ صححت عزمه وحققته وقوّيت فيه رأيه أثبته تثبيتاً، كما قال ابن رواحة:

فَثَبَّتَ اللَّهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ   تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْراً كَالَّذِي نُصِرُوا[1]

---

(١) البيت أحد ثلاثة لعبد الله بن رواحة، أنشدها ابن هشام في السيرة عن بعض أهل العلم (١٦/٤) طبعة الحلبي بالقاهرة ورواية البيت فيها: «في المرسلين» في مكان «تثبيت موسى». يدعو لرسول الله ﷺ دعوة رجل مؤمن.

وإنما عنى الله جلّ وعزّ بذلك، أن أنفسهم كانت موقنة مصدّقة بوعد الله إياها فيما أنفقت في طاعته بغير منّ ولا أذى، فثبتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وصحح عزمهم وآراءهم يقيناً منها بذلك، وتصديقاً بوعد الله إياها ما وعدها. ولذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً﴾ وتصديقاً، ومن قال منهم ويقيناً؛ لأن تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله إياهم، إنما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله.

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن أبي موسى، عن الشعبي: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: تصديقاً ويقيناً.

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبي موسى، عن الشعبي: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: وتصديقاً من أنفسهم ثبات ونصرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: يقيناً من أنفسهم. قال: التثبيت اليقين.

حدثني يونس، قال: ثنا عليّ بن معبد، عن أبي معاوية، عن إسماعيل، عن أبي صالح في قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يقول: يقيناً من عند أنفسهم.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أنهم كانوا يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: يتثبتون أين يضعون أموالهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: ثنا ابن المبارك، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فقلت له: ما ذلك التثبيت؟ قال: يتثبتون أين يضعون أموالهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: كانوا يتثبتون أين يضعونها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عليّ بن عليّ بن رفاعة، عن الحسن في قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم، يعني زكاتهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: ثنا ابن المبارك، عن عليّ بن عليّ، قال: سمعت الحسن قرأ: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: كان الرجل إذا همّ بصدقة تَثَبَّتْ، فإن

كان لله مضى، وإن خالطه شك أمسك.

وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن تأويل بعيد المعنى مما يدلّ عليه ظاهر التلاوة، وذلك أنهم تأوّلوا قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بمعنى: وتثبتاً، فزعموا أن ذلك إنما قيل كذلك لأن القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم. ولو كان التأويل كذلك، لكان: وتثبتاً من أنفسهم؛ لأن المصدر من الكلام إن كان على تفعلت التفعل، فيقال: تكرمت تكرماً، وتكلمت تكلماً، وكما قال جل ثناؤه: ﴿أَوْ يأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ﴾ من قول القائل: تخوّف فلان هذا الأمر تخوّفاً. فكذلك قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لو كان من تثبت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام: «وتثبتاً من أنفسهم»، لا «وتثبيتاً»، ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وتثبيت من أنفس القوم إياهم بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره.

فإن قال قائل: وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ ولم يقل: تبتلاً؟ قيل: إن هذا مخالف لذلك، وذلك أن هذا إنما جاز أن يقال فيه: «تبتيلاً» لظهور «وتبتل إليه»، فكان في ظهوره دلالة على متروك من الكلام الذي منه قيل: تبتيلاً، وذلك أن المتروك هو: «تبتل فيبتلك الله إليه تبتيلاً»، وقد تفعل العرب مثل ذلك أحياناً تخرج المصادر على غير ألفاظ الأفعال التي تقدّمتها إذا كانت الأفعال المتقدمة تدل على ما أخرجت منه، كما قال جل وعزّ: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ وقال: ﴿وَأَنْبَتَهَا نباتاً حَسَناً﴾ والنبات: مصدر نبت، وإنما جاز ذلك لمجيء أنبت قبله، فدلّ على المتروك الذي منه قيل نباتاً، والمعنى: والله أنبتكم فنبّتم من الأرض نباتاً. وليس قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ كلاماً يجوز أن يكون متوهماً به أنه معدول عن بنائه. ومعنى الكلام: ويتثبتون في وضع الصدقات مواضعها، فيصرف إلى المعاني التي صرف إليها قوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التي هي ظاهرة قبلها.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ احتساباً من أنفسهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يقول: احتساباً من أنفسهم.

وهذا القول أيضاً بعيد المعنى من معنى التثبيت، لأن التثبيت لا يعرف في شيء من الكلام بمعنى الاحتساب، إلا أن يكون أراد مفسره كذلك أن أنفس المنفقين كانت محتسبة في تثبيتها أصحابها. فإن كان ذلك كان عنده معنى الكلام، فليس الاحتساب بمعنى حينئذ للتثبيت فيترجم عنه به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾.

يعني بذلك جل وعزّ: ومثل الذين ينفقون أموالهم، فيتصدّقون بها، ويسبّلونها في طاعة الله بغير منٍّ على من تصدّقوا بها عليه ولا أذى منهم لهم بها ابتغاء رضوان الله وتصديقاً من أنفسهم بوعده، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ والجنة: البستان. وقد دللنا فيما مضى على أن الجنة البستان بما فيه الكفاية من إعادته. ﴿بربوة﴾ والربوة من الأرض: ما نشز منها فارتفع عن السيل. وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه، لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ، وجنان ما غُلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمراً وغرساً وزرعاً مما رقّ منها، ولذلك قال أعشى بني ثعلبة في وصف روضة:

مـا رَوْضَـةٌ مِـن رِيـاضِ الـحَـزْنِ مُـعْـشِـبَـةٌ خَـضْـرَاءُ جـادَ عَـلَـيْـهَـا مُـسْـبِـلٌ هَـطِـلُ[1]

فوصفها بأنها من رياض الحزن، لأن الحزون: غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلاع وزروعها. وفي الربوة لغات ثلاث، وقد قرأ بكل لغة منهنّ جماعة من القراء، وهي «رُبوة» بضم الراء، وبها قرأت عامة قراء أهل المدينة والحجاز والعراق. و «رَبوة» بفتح الراء، وبها قرأ بعض أهل الشام، وبعض أهل الكوفة، ويقال إنها لغة لتميم. و «رِبوة» بكسر الراء، وبها قرأ فيما ذكر ابن عباس. وغير جائز عندي أن يقرأ ذلك إلا بإحدى اللغتين: إما بفتح الراء، وإما بضمها، لأن قراءة الناس في أمصارهم بإحداهما. وأنا لقراءتها بضمها أشدّ إيثاراً مني بفتحها، لأنها أشهر اللغتين في العرب؛ فأما الكسر فإن في رفض القراءة به دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة. وإنما سميت الربوة لأنها ربت فغلظت وعلت، من قول القائل: ربا هذا الشيء يربو: إذا انتفخ فعظم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ قال: الربوة: المكان الظاهر المستوي.

---

(١) البيت لأبي بصير الأعشى ديوانه (ص ـ ٥٧) طبعة القاهرة. والحزن: الأرض الغليظة، ونباتها يكون أعظم من نبات القيعان التي يقر الماء فيها. والمراد به في كلام الأعشى: موضع معروف كانت ترعى فيه إبل الملوك، وهو من أرض بني أسد. ومسبل: ساكب للماء. وهطل: هطال غزير الماء. وخبر ما النافية (تميمية أو حجازية) يأتي في قوله بعد: «يوماً بأطيب منها نشر رائحة». يقول: ليست ريح الروضة التي نعتها فأحسن نعتها، بأطيب من هذه المرأة نشراً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال مجاهد: هي الأرض المستوية المرتفعة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ يقول: بنشز من الأرض.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ والربوة: المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأنهار والذي فيه الجنان.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ برابية من الأرض.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ والربوة النشَز من الأرض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ قال: المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأنهار.

وكان آخرون يقولون: هي المستوية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ قال: هي الأرض المستوية التي تعلو فوق المياه.

وأما قوله: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ فإنه يعني جل ثناؤه أصاب الجنة التي بالربوة من الأرض وابل من المطر، وهو الشديد العظيم القطر منه. وقوله: ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ فإنه يعني الجنة أنها أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر، والأُكل[١]: هو الشيء المأكول، وهو مثل الرُّعْب والهُزْء وما أشبه ذلك من الأسماء التي تأتي على فُعْل؛ وأما الأَكل بفتح الألف وتسكين الكاف، فهو فعل الآكل، يقال منه: أكلت أَكْلاً، وأكلت أكلة واحدة، كما قال الشاعر:

وما أَكْلَةٌ أَكَلْتُها بِغَنِيمَةٍ ... ولا جَوْعَةٌ إنْ جُعْتُها بِغَرَامِ[٢]

---

(١) الأكل: بضم الهمزة وسكون الكاف وبضمها.

(٢) الأكلة والجوعة: المرة من الأكل والجوع. والغرام: العذاب اللازم، والشر الدائم. يقول: ليست أكلة آكلها مغنماً أغتنمه، وليست جوعة أجوعها شراً لا مخلص منه. يريد أن قليل الحفل بالتافه من الأمور. ولم نقف على قائله. ويروى: إن نلتها، في موضع: أكلتها، وهي أحسن، ليكون نظير قوله: إن جعتها.

فقتح الألف لأنها بمعنى الفعل. ويدلك على أن ذلك كذلك قوله: «ولا جوعة»، وإن ضمت الألف من «الأكلة» كان معناه: الطعام الذي أكلته، فيكون معنى ذلك حينئذ: ما طعام أكلته بغنيمة.

وأما قوله: ﴿فإنْ لَمْ يُصِبْها وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ فإن الطلّ: هو الندى واللين من المطر. كما:

حدثنا عباس بن محمد، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج: ﴿فَطَلٌّ﴾ ندى. عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما الطل: فالندى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فإنْ لَمْ يُصِبْها وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي طشّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فَطَلٌّ﴾ قال: الطل: الرذاذ من المطر، يعني اللين منه.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿فَطَلٌّ﴾ أي طش.

وإنما يعني تعالى ذكره بهذا المثل كما ضعفت ثمرة هذه الجنة التي وصفت صفتها حين جاد الوابل فإن أخطأ هذا الوابل فالطلّ كذلك يضعف الله صدقة المتصدّق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتاً من نفسه من غير منّ ولا أذى، قلَّت نفقته أو كثرت لا تخيب ولا تخلف نفقته، كما تضعف الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها قل ما أصابها من المطر أو كثر لا يخلف خيرها بحال من الأحوال.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فإنْ لَمْ يُصِبْها وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ يقول: كما أضعفت ثمرة تلك الجنة، فكذلك تضاعف ثمرة هذا المنفق ضعفين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فإنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن، يقول: ليس لخيره خلف، كما ليس لخير هذه الجنة خلف على أيّ حال، إما وابل، وإما طلٌّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: هذا مثل من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ**﴾... الآية، قال: هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿**فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**﴾ وهذا خبر عن أمر قد مضى؟ قيل: يراد فيه: كان، ومعنى الكلام: فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يكن الوابل أصابها، أصابها طلّ، وذلك في الكلام نحو قول القائل: حبست فرسين، فإن لم أحبس اثنين فواحداً بقيمته، بمعنى: إلا أكن، لا بد من إضمار «كان»، لأنه خبر؛ ومنه قول الشاعر:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ ... ولَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بِهَا بُدّا[1]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

يعني بذلك: والله بما تعملون أيها الناس في نفقاتكم التي تنفقونها بصير، لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم فيها وفي غيرها شيء يعلم من المنفق منكم بالمنّ والأذى والمنفق ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتاً من نفسه، فيحصي عليكم حتى يجازي جميعكم جزاءه على عمله، إن خيراً فخيراً، وإن شرًّا فشرًّا.

وإنما يعني بهذا القول جلّ ذكره، التحذير من عقابه في النفقات التي ينفقها عباده، وغير ذلك من الأعمال أن يأتي أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهي عنه، أو يفرّط فيما قد أمر به، لأن ذلك بمرأى من الله ومسمع، يعلمه ويحصيه عليهم، وهو لخلقه بالمرصاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

يعني تعالى ذكره ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ والأذَى كالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاء**

---

(١) البيت من شواهد الفراء في تفسيره «معاني القرآن» (ص ـ ٦١) طبعة دار الكتب المصرية. قال محققه في هامشه: قائله زائد بن صعصعة الفقعسي يعرض بزوجته، وكانت أمها سرية. وقبله:

رَمَتْنِي عَنْ قَوْسِ العَدُوّ وباعَدَتْ ... عُبَيْدَةُ زَادَ اللَّهُ ما بَيْنَنا بُعْدَا

وقوله: بها أي بهذه الخصلة. ويروى «به» أي بما ذكرت لك.

النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُم أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وأَصَابَهُ الكِبَرُ﴾ . . . الآية.

ومعنى قوله: **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾** أيحبّ أحدكم أن تكون له جنة. يعني بستاناً من نخيل وأعناب. تجري من تحتها الأنهار. يعني من تحت الجنة. وله فيها من كل الثمرات. والهاء في قوله: **﴿لَهُ﴾** عائدة على أحد، والهاء والألف في: **﴿فِيها﴾** على الجنة، **﴿وأَصَابَهُ﴾** يعني وأصاب أحدكم الكبر، **﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾**. وإنما جعل جل ثناؤه البستان من النخيل والأعناب، الذي قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين: أيودّ أحدكم أن تكون له مثلاً لنفقة المنافق التي ينفقها رياء الناس، لا ابتغاء مرضاة الله، فالناس بما يظهر لهم من صدقته، وإعطائه لما يعطى وعمله الظاهر، يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته في حسنه كحسن البستان وهي الجنة التي ضربها الله عزّ وجلّ لعمله مثلاً من نخيل وأعناب، له فيها من كل الثمرات، لأن عمله ذلك الذي يعمله في الظاهر في الدنيا، له فيه من كل خير من عاجل الدنيا، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذرّيته، ويكتسب به المحمدة وحسن الثناء عند الناس، ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر إحصاؤها، فله في ذلك من كل خير في الدنيا، كما وصف جل ثناؤه الجنة التي وصف مثلاً بعمله، بأن فيها من كل الثمرات، ثم قال جل ثناؤه: **﴿وأَصَابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾** يعني أن صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال، **﴿فأَصَابَها﴾** يعني فأصاب الجنة إعصار فيه نار، **﴿فاحْتَرَقَتْ﴾** يعني بذلك أن جنته تلك أحرقتها الريح التي فيها النار في حال حاجته إليها، وضرورته إلى ثمرتها بكبره وضعفه عن عمارتها، وفي حال صغر ولده وعجزه عن إحيائها والقيام عليها، فبقي لا شيء له أحوج ما كان إلى جنته وثمارها بالآفة التي أصابتها من الإعصار الذي فيه النار. يقول: فكذلك المنفق ماله رياء الناس، أطفأ الله نوره، وأذهب بهاء عمله، وأحبط أجره حتى لقيه، وعاد إليه أحوج ما كان إلى عمله، حين لا مستَعْتَب له ولا إقالة من ذنوبه ولا توبة، واضمحلّ عمله كما احترقت الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذرّيته أحوج ما كان إليها فبطلت منافعها عنه.

وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس في هذه الآية نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله: **﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾**.

وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية، إلا أن معاني قولهم في ذلك وإن اختلفت تصاريفهم فيها عائدة إلى المعنى الذي قلنا في ذلك، وأحسنهم إبانة لمعناها وأقربهم إلى الصواب قولاً فيها السدي.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَه جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصابَهُ الكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فأَصَابَها إعْصَارٌ فِيهِ نارٌ فاحْتَرَقَتْ**﴾ هذا مثل آخر لنفقة الرياء، أنه ينفق ماله يرائي الناس به، فيذهب ماله منه وهو يرائي، فلا يأجره الله فيه، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته، وجدها قد أحرقها الرياء، فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سَموم فأحرقت جنته، فلم يجد منها شيئاً، فكذلك المنفق رياء.

٤٧٧١ ـ **حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجل: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنابٍ**﴾ كمثل المفرّط في طاعة الله حتى يموت، قال يقول: أيودّ أحدكم أن يكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله، كمثل هذا الذي له جنات تجري من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات، وأصابه الكبر، وله ذرية ضعفاء، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، فمثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير، لا يغني عنها شيئاً، وولده صغار لا يغنون عنها شيئاً، وكذلك المفرّط بعد الموت كل شيء عليه حسرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء، قال: سأل عمر الناس عن هذه الآية فما وجد أحداً يشفيه، حتى قال ابن عباس وهو خلفه: يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئاً، قال: فتلفت إليه، فقال: تحوّل ههنا! لَمَ تحقر نفسك؟ قال: هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره، واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله فحرّقه أحوج ما كان إليه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن محمد بن سليم، عن ابن أبي مليكة، أن عمر تلا هذه الآية: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنابٍ**﴾ قال: هذا مثل ضرب للإنسان يعمل عملاً صالحاً، حتى إذا كان عنده آخر عمره أحوج ما يكون إليه، عَمِلَ عَمَلَ السوء.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج، قال: سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر عن عبيد بن عمير أنه سمعه يقول: سأل عمر أصحاب رسول الله ﷺ فقال: فيم ترون أنزلت ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنابٍ**﴾؟ فقالوا: الله أعلم!

فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم! فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. فقال عمر: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك! قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل. قال عمر: أيّ عمل؟ قال: لعمل. فقال عمر: رجل عُنِيَ بعمل الحسنات، ثم بعث الله له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها قال: وسمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدّث نحو هذا عن ابن عباس، سمعه منه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر أنه سمع عبيد بن عمير، قال ابن جريج: وسمعت عبد الله بن أبي مليكة، قال: سمعت ابن عباس، قالا جميعاً: إن عمر بن الخطاب سأل أصحاب رسول الله ﷺ، فذكر نحوه، إلا أنه قال عمر: للرجل يعمل بالحسنات، ثم يبعث له الشيطان فيعمل بالمعاصي.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء عنها. ثم قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قالا: ضربت مثلاً للأعمال.

قال ابن جريج: وقال ابن عباس: ضربت مثلاً للعمل يبدأ فيعمل عملاً صالحاً، فيكون مثلاً للجنة التي من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات، ثم يسيء في آخر عمره، فيتمادى على الإساءة حتى يموت على ذلك، فيكون الإعصار الذي فيه النار التي أحرقت الجنة، مثلاً لإساءته التي مات وهو عليها. قال ابن عباس: الجنة عيشه وعيش ولده فاحترقت، فلم يستطع أن يدفع عن جنته من أجل كبره، ولم يستطع ذرّيته أن يدفعوا عن جنتهم من أجل صغرهم حتى احترقت. يقول: هذا مثله تلقاه وهو أفقر ما كان إليّ، فلا يجد له عندي شيئاً، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيئاً، ولا يستطيع من كبره وصغر أولاده أن يعملوا جنة، كذلك لا توبة إذا انقطع العمل حين مات.

قال ابن جريج، عن مجاهد: سمعت ابن عباس قال: هو مثل المفرّط في طاعة الله حتى يموت.

قال ابن جريج وقال مجاهد: أيودّ أحدكم أن تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله، كمثل هذا الذي له جنة، فمثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغني عنها شيئاً وأولاده صغار ولا يغنون عنه شيئاً، وكذلك المفرط بعد الموت كل شيء عليه حسرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ﴾**... الآية. يقول: أصابها ريح فيها سموم شديدة، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون، فهذا مثل. فاعقلوا عن الله جلّ وعزّ أمثاله، فإنه قال: **﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها للناسِ وَما يَعْقِلُها إلاَّ العالِمُونَ﴾**. هذا رجل كبر سنه ودقّ عظمه وكثر عياله، ثم احترقت جنته على بقية ذلك كأحوج ما يكون إليه. يقول: أيحبّ أحدكم أن يضلّ عنه عمله يوم القيامة كأحوج ما يكون إليه؟

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾** إلى قوله: **﴿فاحْتَرَقَتْ﴾** يقول: فذهبت جنته كأحوج ما كان إليها حين كبرت سنه وضعف عن الكسب، وله ذرية ضعفاء لا ينفعونه. قال: وكان الحسن يقول: فاحترقت فذهبت أحوج ما كان إليها، فذلك قوله: أيودّ أحدكم أن يذهب عمله أحوج ما كان إليه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ضرب الله مثلاً حسناً، وكل أمثاله حسن تبارك وتعالى. وقال: قال أيوب. **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ﴾** إلى قوله: **﴿فِيها مِنْ كُلّ الثَّمَرَاتِ﴾** يقول: صنعه في شبيبته فأصابه الكبر وله ذرّية ضعفاء عند آخر عمره، فجاءه إعصار فيه نار، فأحرق بستانه، فلم يكن عنده قوّة أن يغرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون عليه. وكذلك الكافر يوم القيامة إذا رد إلى الله تعالى ليس له خير فيُسْتَعْتَب كما ليس له قوّة فيغرس مثل بستانه، ولا يجد خيراً قدم لنفسه يعود عليه، كما لم يغن عن هذا ولده، وحُرِمَ أجره عند أفقر ما كان إليه كما حرم هذا جنته عند أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذرّيته. وهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فيما أوتيا في الدنيا، كيف نجى المؤمن في الآخرة، وذخر له من الكرامة والنعيم، وخزن عنه المال في الدنيا، وبسط للكافر في الدنيا من المال ما هو منقطع، وخزن له من الشرّ ما ليس بمفارقه أبداً ويخلد فيها مهاناً، من أجل أنه فخر على صاحبه ووثق بما عنده ولم يستيقن أنه ملاق ربه.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾**... الآية. قال: هذا مثل ضربه الله **﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنابٍ... فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾** والرجل قد كَبُرَ سنه وضعف وله أولاد صغار، وابتلاهم الله في جنتهم، فبعث الله عليها إعصاراً فيه نار فاحترقت، فلم يستطع الرجل أن يدفع عن جنته من الكبر، ولا ولده لصغرهم، فذهبت جنته أحوج ما كان إليها. يقول: أيحبّ أحدكم أن يعيش في الضلالة والمعاصي حتى يأتيه الموت، فيجيء يوم القيامة قد ضلّ عنه عمله

أحوج ما كان إليه، فيقول ابن آدم: أتيتني أحوج ما كنت قط إلى خير، فأين ما قدّمت لنفسك؟

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ قول الله عزّ وجلّ ﴿**يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمَنّ والأذَى**﴾ ثم ضرب ذلك مثلاً، فقال: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنابٍ**﴾ حتى بلغ ﴿**فأصَابَها إعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فاحْتَرَقَتْ**﴾ قال: جرت أنهارها وثمارها، وله ذرية ضعفاء، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، أيودّ أحدكم هذا؟ فما يحمل أحدكم أن يخرج من صدقته ونفقته حتى إذا كان له عندي جنة وجرت أنهارها وثمارها، وكانت لولده وولد ولده أصابها ريح إعصار فحرقها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**أيَوَدُّ أحَدُكُمْ أنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ**﴾ رجل غرس بستاناً فيه من كل الثمرات، فأصابه الكبر، وله ذرية ضعفاء، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، فلا يستطيع أن يدفع عن بستانه من كِبَرِه، ولم يستطع ذريته أن يدفعوا عن بستانه، فذهبت معيشته ومعيشة ذريته. فهذا مثل ضربه الله للكافر، يقول: يلقاني يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إلى خير يصيبه، فلا يجد له عندي خيراً ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيئاً.

وإنما دللنا أن الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه، لأن الله جل ثناؤه تقدم إلى عباده المؤمنين بالنهي عن المنّ والأذى في صدقاتهم. ثم ضرب مثلاً لمن منّ وآذى من تصدّق عليه بصدقة، فمثله بالمرائي من المنافقين، المنفقين أموالهم رياء الناس. وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظير ما ضرب لهم من المثل قبلها، فكان إلحاقها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثل ما لم يجر له ذكر قبلها ولا معها.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿**وَأصَابَهُ الكِبَرُ**﴾ وهو فعل ماض فعطف به على قوله﴿**أيَودُّ أحَدُكُمْ**﴾؟ قيل؛ إن ذلك كذلك، لأن قوله: ﴿**أيَوَدُّ**﴾ يصحّ أن يوضع فيه «لو» مكان «أن» فلما صلحت بلو وأن ومعناهما جميعاً الاستقبال، استجازت العرب أن يردّوا «فَعَلَ» بتأويل «لو» على «يفعَل» مع «أن»، فلذلك قال: فأصابها، وهو في مذهبه بمنزلة «لو» إذا ضارعت «أن» في معنى الجزاء، فوضعت في مواضعها، وأجيبت «أن» بجواب «لو» و «لو» بجواب «أن»، فكأنه قيل: أيودّ أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب، تجري من تحتها الأنهار، له فيها من كل الثمرات وأصابه الكِبَر.

فإن قال: وكيف قيل ههنا: وله ذرية ضعفاء؟ وقال في النساء: ﴿**وَلْيَخْشَ الذين لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً**﴾؟ ﴾قيل: لأن «فعيلاً» يجمع على «فعلاء» و «فِعال»، فيقال: رجل ظريف من قوم ظرفاء وظراف. وأما الإعصار: فإنه الريح العاصف، تهبّ من الأرض إلى السماء

كأنها عمود، تجمع أعاصير؛ ومنه قول يزيد بن مُفَرِّغ الحميريّ:

أنـاسٌ أجـارُونـا فـكـانَ جِـوَارُهُـمْ أعـاصيـرَ مـن سُـوءِ الـعِراقِ الـمُـنـذَّر[1]

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: ريح فيها سموم شديدة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيغ، قال: ثنا يوسف بن خالد السمتي، قال: ثنا نافع بن مالك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ ريح فيها سموم شديدة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس في: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ قال: السموم الحارة التي خلق منها الجان التي تحرق.

حدثنا حميد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ قال: هي السموم الحارّة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ التي تقتل.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عمن ذكره، عن ابن عباس، قال: إن السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءاً من النار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هي ريح فيها سموم شديد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ قال: سموم شديد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ يقول: أصابها ريح فيها سموم شديدة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، نحوه.

---

(١) الأعاصير: جمع إعصار، وهو أن تهيج الريح التراب. وقال أبو زيد: الإعصار: الريح التي تسطع في السماء وجمعه أعاصير. والمنذر: بصيغة اسم المفعول، بمعنى المخوف. وهو من نذره: إذا بالغ في تخويفه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ**﴾ أما الإعصار فالريح، وأما النار فالسموم.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ**﴾ يقول: ريح فيها سموم شديد.

وقال آخرون: هي ريح فيها برد شديد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: كان الحسن يقول في قوله: ﴿**إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ**﴾ فيها صِرٌّ وبرد.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ**﴾ يعني بالإعصار ريح فيها برد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى أَمْر النفقة في سبيله، وكيف وَجْهَهَا، وما لكم وما ليس لكم فعله فيها، كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك، فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها، ويوضح لكم حججها، إنعاماً منه بذلك عليكم ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ يقول: لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها، وتعملوا بما فيها من أحكامها، فتطيعوا الله به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، قال: قال مجاهد: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ قال: تطيعون.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ يعني في زوال الدنيا وفنائها، وإقبال الآخرة وبقائها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: يا أيها الذين آمنوا صدّقوا بالله ورسوله وآي كتابه. ويعني بقوله: ﴿أَنْفِقُوا﴾ زكوا وتصدّقوا. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما كَسَبْتُمْ﴾ يقول: تصدقوا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: زكوا من طيب ما كسبتم بتصرّفكم إما بتجارة، وإما بصناعة من الذهب والفضة، ويعني بالطيبات: الجياد. يقول: زكوا أموالكم التي اكتسبتموها حلالاً، وأعطوا في زكاتكم الذهب والفضة، الجياد منها دون الرديء. كما:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد في هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ قال: من التجارة.

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: وأخبرني شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، مثله.

حدثني حاتم بن بكر الضبي، قال: ثنا وهب، عن شعبة، عن الحكم، عن جاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ قال: التجارة الحلال.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن معقل: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ قال: ليس في مال المؤمن من خبيث، ولكن لا تيمموا الخبيث منه تنفقون.

حدثني عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبو بكر الهذلي، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، قال: سألت عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عن قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ﴾ قال: من الذهب والفضة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ قال: التجارة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿**أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما كَسَبْتُمْ**﴾ يقول: من أطيَب أموالكم وأنْفَسِه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾ قال: من الذهب والفضة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ومِمَّا أخرَجْنا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وأنفقوا أيضاً مما أخرجنا لكم من الأرض، فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير، وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الأرض. كما:

حدثني عصام بن روّاد، قال: ثني أبي، قال: ثنا أبو بكر الهذلي، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، قال: سألت علياً صلوات الله عليه عن قول الله عزّ وجل: ﴿**ومِمَّا أخرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ**﴾ قال: يعني من الحبّ والثمر وكل شيء عليه زكاة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**ومِمَّا أخرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ**﴾ قال: النخل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**ومِمَّا أخرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ**﴾ قال: من ثمر النخل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد قوله: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾ قال: من التجارة، ﴿**وَمِمَّا أخرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ**﴾ من الثمار.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**وَمِمَّا أخرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ**﴾ قال: هذا في التمر والحبّ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه ﴿**وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ**﴾ ولا تعمدوا ولا تقصدوا. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «ولا تأمموا»، من أممت، وهذه من تيممت، والمعنى واحد وإن اختلفت

الألفاظ، يقال: تأممت فلاناً وتيممته وأممته، بمعنى: قصدته وتعمدته، كما قال ميمون بن قيس الأعشى:

تَيَمَّمْتُ قَيْساً وكَمْ دُونَهُ ... مِنَ الأرْضِ مِن مَهْمَهٍ ذي شَزَنْ[1]

وكما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾ ولا تعمَّدُوا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا﴾ لا تعمَّدوا.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة، مثله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾.

يعني جل ثناؤه بالخبث: الرديء غير الجيد، يقول: لا تعمدوا الرديء من أموالكم في صدقاتكم، فتصدّقوا منه، ولكن تصدّقوا من الطيب الجيد. وذلك أن هذه الآية نزلت في سبب رجل من الأنصار علق قِنْواً من حَشَف في الموضع الذي كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم صدقة من تمره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: ثنا أبي، عن أسباط، عن السدي، عن عديّ بن ثابت، عن البراء بن عازب في قول الله عزّ وجلّ ﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أخرَجْنا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيّ حَمِيدٌ﴾ قال: نزلت في الأنصار، كانت الأنصار إذا كان أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها أقناء البسر، فعلقوه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ، فيأكل فقراء المهاجرين منه، فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقناء البسر، يظنّ أن ذلك جائز، فأنزل الله عزّ وجلّ فيمن فعل ذلك: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قال لا تيمموا الحَشَفَ منه تنفقون.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، زعم السدي، عن عديّ بن ثابت، عن

---

(١) البيت لأبي بصير الأعشى في ديوانه طبعة القاهرة (١٩) من نونيته التي يمدح بها قيس بن معديكرب الكندي من المتقارب وتيممته: توخيته وقصدته. قال في «اللسان» وأما التيمم الذي هو التوخي فالياء فيه بدل من الهمزة. والأم: القصد. قال ابن السكيت: يقال أممته أما وتيممته تيمماً: أي توخيته وقصدته. والتيمم بالصعيد مأخوذ من هذا، وصار التيمم عند عوام الناس: التمسح بالتراب والأصل فيه القصد والتوخي قال الأعشى... وأنشد البيت. والمهمة: المفازة البعيدة. والشزن: الغلظ أي أن أرض المهمة غير مستوية، وإنما هي وعرة.

البراء بن عازب بنحوه، إلا أنه قال: فكان يعمد بعضهم، فيدخل قنو الحشف[١]، ويظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ القنو الذي قد حَشِفَ، ولو أهدي إليكم ما قبلتموه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن أبي مالك، عن البراء بن عازب، قال: كانوا يجيئون في الصدقة بأردىء تمرهم وأردىء طعامهم، فنزلت: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما كَسَبْتُمْ﴾... الآية.

حدثني عصام بن رواد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبو بكر الهذلي، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني، قال: سألت علياً عن قول الله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قال: فقال علي: نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة، كان الرجل يعمد إلى التمر فيصرمه، فيعزل الجيد ناحية، فإذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الرديء، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عبد الجليل بن حميد اليحصبي، أن ابن شهاب حدثه، قال: ثني أبو أمامة بن سهل بن حنيف في الآية التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ قال: هو الجُعْرُور، ولون حُبَيْق[٢]، فنهى رسول الله ﷺ أن يؤخذ في الصدقة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ قال: كانوا يتصدّقون، يعني من النخل بحشفه وشراره، فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتصدّقوا بطيبه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الحائطان على عهد نبيّ الله ﷺ، فيعمد إلى أردئهما تمراً فيتصدّق به ويخلط فيه من الحشف، فعاب الله ذلك عليهم ونهاهم عنه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ قال: تعمد إلى رذالة مالك فتصدّق به، ولست بآخذه إلا أن تغمض فيه.

---

(١) حشف التمر: صار حشفاً، أي رديئاً، (عن الأفعال لابن القوطية، وليس في «اللسان»).
(٢) يقال: عذق حبيق كزبير: تمر دقل أغبر صغير، مع طول فيه، ردىء، منسوب إلى ابن حبيق.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن يزيد بن إبراهيم، عن الحسن قال: كان الرجل يتصدّق برذالة ماله، فنزلت: ﴿**وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثِ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرنا عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: ﴿**وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾ قال: في الأقناء التي تعلّق، فرأى فيها حشفاً، فقال: «ما هذا؟». قال ابن جريج: سمعت عطاء يقول: علق إنسان حشفاً في الأقناء التي تعلق بالمدينة، فقال رسول الله ﷺ: «ما هَذَا؟ بِئْسَمَا عَلَّقَ هَذَا!» فنزلت: ﴿**وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تيمموا الخبيث من الحرام منه تنفقون، وتدعوا أن تنفقوا الحلال الطيب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾ قال: الخبيث: الحرام، لا تيممه: تنفق منه، فإن الله عزّ وجلّ لا يقبله.

وتأويل الآية: هو التأويل الذي حكيناه عمن حكينا من أصحاب رسول الله ﷺ واتفاق أهل التأويل في ذلك دون الذي قاله ابن زيد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: ولستم بآخذي الخبيث في حقوقكم. والهاء في قوله: ﴿**بآخِذِيهِ**﴾ من ذِكر الخبيث. ﴿**إلاّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ يعني إلا أن تتجافوا في أخذكم إياه عن بعض الواجب لكم من حقكم، فترخصوا فيه لأنفسكم، يقال منه: أغمض فلان لفلان عن بعض حقه فهو يغمض، ومن ذلك قول الطرِمّاح بن حكيم:

لَمْ يَفُتْنا بالوِتْرِ قَوْمٌ ولِلضَّيْـ ... ـمِ رِجالٌ يَرْضَوْنَ بالإغْماضِ[1]

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولستم بآخذي هذا الرديء من غرمائكم في واجب حقوقكم قبلهم إلا عن إغماض منكم لهم في الواجب لكم عليهم.

(١) الوتر: الذحل. والضيم: الظلم والنقص. والإغماض: أصله تغميض العين عن الشيء، ثم صار كناية عن المسامحة والمساهلة، والتغافل. يقول: لم يفتنا قوم عند الترة، بل ندركهم وننتقم منهم، على أن رجالاً يرضون بالإغماض عن بعض حقهم، لضعفهم وعجزهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عصام بن رواد. قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبو بكر الهذلي، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة قال: سألت علياً عنه، فقال: ﴿**وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فيه**﴾ يقول: ولا يأخذ أحدكم هذا الرديء حتى يهضم له.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن أبي مالك، عن البراء بن عازب: ﴿**وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ يقول: لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿**وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾. يقول: لو كان لكم على أحد حقّ فجاءكم بحقّ دون حقكم، لم تأخذوا بحساب الجيد حتى تنقصوه، فذلك قوله: ﴿**إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسها؟ وهو قوله: ﴿**لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ قال: لا تأخذونه من غرمائكم ولا في بيوعكم إلا بزيادة على الطيّب في الكيل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ومِمَّا أخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ وذلك أن رجالاً كانوا يعطون زكاة أموالهم من التمر، فكانوا يعطون الحشف في الزكاة، فقال: لو كان بعضهم يطلب بعضاً ثم قضاه لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد أغمض عنه حقه.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿**وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ يقول: لو كان لك على رجل دين فقضاك أردأ مما كان لك عليه هل كنت تأخذ ذلك منه إلا وأنت له كاره؟

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ قال: كانوا حين أمر الله أن يؤدوا الزكاة يجيء الرجل من المنافقين بأردىء طعام له من تمر وغيره، فكره الله

ذلك، وقال: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ يقول: لستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه. يقول: لم يكن رجل منكم له حقّ على رجل فيعطيه دون حقه فيأخذه إلا وهو يعلم أنه قد نقصه، فلا ترضوا لي ما لا ترضون لأنفسكم، فيأخذ شيئاً وهو مغمض عليه أنقص من حقه.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولستم بآخذي هذا الرديء الخبيث إذا اشتريتموه من أهله بسعر الجيد إلا بإغماض منهم لكم في ثمنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عمران بن حدير، عن الحسن: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ قال: لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يُهضم لكم من ثمنه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يقول: لستم بآخذي هذا الرديء بسعر هذا الطيب إلا أن يغمض لكم فيه.

وقال آخرون: معناه: ولستم بآخذي هذا الرديء الخبيث لو أهدي لكم إلا أن تغمضوا فيه، فتأخذوه وأنتم له كارهون على استحياء منكم ممن أهداه لكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: ثنا أبي، عن أسباط، عن السدي، عن عديّ بن ثابت، عن البراء بن عازب: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فيه﴾ قال: لو أهدي لكم ما قبلتموه إلا على استحياء من صاحبه أنه بعث إليك بما لم يكن له فيه حاجة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، قال: زعم السدي، عن عديّ بن ثابت، عن البراء نحوه، إلا أنه قال: إلا على استحياء من صاحبه وغيظاً أنه بعث إليك بما لم يكن له فيه حاجة.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولستم بآخذي هذا الرديء من حقكم إلا أن تغمضوا من حقكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ابن معقل: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ يقول: ولستم بآخذيه من حقّ هو لكم، إلا أن تغضموا فيه، يقول: أغمض لك من حقك.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولستم بآخذي الحرام إلا أن تغمضوا على ما فيه من الإثم عليكم في أخذه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: ثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قوله: ﴿**وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ**﴾ قال: يقول: لست آخذاً ذلك الحرام حتى تغمض على ما فيه من الإثم. قال: وفي كلام العرب: أما والله لقد أخذه ولقد أغمض على ما فيه. وهو يعلم أنه حرام باطل.

والذي هو أولى بتأويل ذلك عندنا أن يقال: إن الله عزّ وجلّ حثّ عباده على الصدقة وأداء الزكاة من أموالهم وفرضها عليهم فيها، فصار ما فرض من ذلك في أموالهم حقاً لأهل سهمان الصدقة، ثم أمرهم تعالى ذكره أن يخرجوا من الطيبِ، وهو الجيد من أموالهم، الطيبَ، وذلك أن أهل السهمان شركاء أرباب الأموال في أموالهم بما وجب لهم فيها من الصدقة بعد وجوبها، فلا شكّ أن كل شريكين في مال فلكلّ واحد منهما بقدر ملكه، وليس لأحدهما منع شريكه من حقه من الملك الذي هو فيه شريكه بإعطائه بمقدار حقه منه من غيره، مما هو أردأ منه أو أخسّ، فكذلك المزكي ماله حرم الله عليه أن يعطي أهل السهمان مما وجب لهم في ماله من الطيب الجيد من الحقّ، فصاروا فيه شركاء من الخبيث الرديء غيره، ويمنعهم ما هو لهم من حقوقهم في الطيب من ماله الجيد، كما لو كان مال ربّ المال رديئاً كله غير جيد، فوجبت فيه الزكاة وصار أهل سهمان الصدقة فيه شركاء بما أوجب الله لهم فيه لم يكن عليه أن يعطيهم الطيب الجيد من غير ماله الذي منه حقهم، فقال تبارك وتعالى لأرباب الأموال: زكوا من جيد أموالكم الجيد، ولا تيمموا الخبيث الرديء، تعطونه أهل سهمان الصدقة، وتمنعونهم الواجب لهم من الجيد الطيب في أموالكم، ولستم بآخذي الرديء لأنفسكم مكان الجيد الواجب لكم قِبل من وجب لكم عليه ذلك من شركائكم وغرمائكم وغيرهم إلا عن إغماض منكم وهضم لهم وكراهة منكم لأخذه. يقول: ولا تأتوا من الفعل إلى من وجب له في أموالكم حقّ ما لا ترضون من غيركم أن يأتيه إليكم في حقوقكم الواجبة لكم في أموالهم؛ فأما إذا تطوّع الرجل بصدقة غير مفروضة فإني وإن كرهت له أن يعطي فيها إلا أجود ماله وأطيبه؛ لأن الله عزّ وجلّ أحقّ من تقرّب إليه بأكرم الأموال وأطيبها، والصدقة قربان المؤمن، فلست أحرّم عليه أن يعطي فيها غير الجيد، لأن ما دون الجيد ربما كان أعمّ نفعاً لكثرته، أو لعظم خطره، وأحسن موقعاً من المسكين، وممن أعطيه قربة إلى الله عزّ وجلّ من الجيد، لقلته أو لصغر خطره وقلة جدوى نفعه على من أعطيه.

وبمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال: سألت عبيدة عن هذه الآية: ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا**

مِن طَيِّبَاتِ ما كَسَبْتُمْ ومِمَّا أخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ قال: ذلك في الزكاة، الدرهم الزائف أحبّ إليّ من التمرة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال: سألت عبيدة عن ذلك، فقال: إنما ذلك في الزكاة، والدرهم الزائف أحبّ إليّ من التمرة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة عن هذه الآية: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾** فقال عبيدة: إنما هذا في الواجب، ولا بأس أن يتطوّع الرجل بالتمرة، والدرهم الزائف خير من التمرة.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين في قوله: **﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾** قال: إنما هذا في الزكاة المفروضة، فأما التطوّع فلا بأس أن يتصدّق الرجل بالدرهم الزائف، والدرهم الزائف خير من التمرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ غَنِيّ حَمِيدٌ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: واعلموا أيها الناس أن الله عزّ وجلّ غنيّ عن صدقاتكم وعن غيرها، وإنما أمركم بها، وفرضها في أموالكم، رحمة منه لكم ليغني بها عائلكم، ويقوّي بها ضعيفكم، ويجزل لكم عليها في الآخرة مثوبتكم، لا من حاجة به فيها إليكم. ويعني بقوله: **﴿حَمِيدٌ﴾** أنه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله. كما:

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: ثنا أبي، عن أسباط، عن السدي، عن عديّ بن ثابت، عن البراء بن عازب في قوله: **﴿وَاللَّهُ غَنِيّ حَمِيدٌ﴾** عن صدقاتكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: الشيطان يعدكم أيها الناس ـ بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم ـ أن تفتقروا، **﴿ويأمُرُكُم بالفَحْشَاءِ﴾** يعني: ويأمركم بمعاصي الله عزّ وجلّ، وترك طاعته **﴿وَالله يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾** يعني أن الله عزّ وجلّ يعدكم أيها المؤمنون، أن يستر عليكم فحشاءكم بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدّقون. **﴿وَفَضْلاً﴾** يعني: ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقتكم، فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم في أرزاقكم. كما:

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: اثنان من الله، واثنان من الشيطان، الشيطان يعدكم الفقر يقول: لا تنفق مالك، وأمسكه عليك، فإنك تحتاج إليه، ويأمركم بالفحشاء؛ والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي وفضلاً في الرزق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيأمُرُكُمْ بالفَحْشاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً**﴾ يقول: مغفرة لفحشائكم، وفضلاً لفقركم.

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ للشَّيْطانِ لَمَّةً مِنَ ابْنِ آدَمَ وللْمَلَكِ لَمَّةً: فأمَّا لَمَّةُ الشَّيْطانِ: فإيعادٌ بالشَّرّ، وَتَكْذِيبٌ بالحَقّ؛ وأمّا لَمَّةُ المَلَكِ: فإيعادٌ بالخَيْرِ، وَتَصْدِيقٌ بالحَقّ. فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أنَّهُ مِنَ اللَّهِ وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»، ثُمَّ قَرأ﴿**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيأمُرُكُم بالفَحْشاءِ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكيم بن بشير بن سليمان، قال: ثنا عمرو، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله، قال: إن للإنسان من المَلك لمة، ومن الشيطان لمة؛ فاللمة من المَلك: إيعاد بالخير، وتصديق بالحقّ، واللمة من الشيطان: إيعاد بالشرّ، وتكذيب بالحقّ. وتلا عبد الله: ﴿**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بالفَحْشاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنهُ وَفَضْلاً**﴾. قال عمرو: وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال: إذا أحسّ أحدكم من لمة الملك شيئاً فليحمد الله، وليسأله من فضله، وإذا أحسّ من لمة الشيطان شيئاً، فليستغفر الله وليتعوّذ من الشيطان.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص، أو عن مرّة، قال: قال عبد الله: ألا إن للملك لمة، وللشيطان لمة؛ فلمة الملك: إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة الشيطان: إيعاد بالشرّ وتكذيب بالحقّ؛ وذلكم بأن الله يقول: ﴿**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيأمُرُكُمْ بالفَحْشَاءِ واللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنهُ وَفَضْلاً وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ فإذا وجدتم من هذه شيئاً فاحمدوا الله عليه، وإذا وجدتم من هذه شيئاً فتعوّذوا بالله من الشيطان.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿**الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأمُرُكُمْ بالفَحْشاءِ**﴾ قال: إن للملك لمة، وللشيطان لمة؛ فلمة الملك؛ إيعاد بالخير وتصديق بالحقّ، فمن وجدها فليحمد الله؛ ولمة الشيطان: إيعاد بالشرّ وتكذيب بالحقّ، فمن وجدها فليستعذ بالله.

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن مرة الهمداني أن ابن مسعود قال: إن للملك لمة، وللشيطان لمة؛ فلمة الملك: إيعاد بالخير وتصديق بالحقّ، ولمة الشيطان: إيعاد بالشرّ وتكذيب بالحقّ. فمن أحسّ من لمة الملك شيئاً فليحمد الله عليه، ومن أحسّ من لمة الشيطان شيئاً فليتعوّذ بالله منه. ثم تلا هذه الآية: **﴿الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيأمُرُكُمْ بالفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن فطر[1]، عن المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، عن عبد الله، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن مرّة بن شراحيل، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن للشيطان لمة، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فتكذيب بالحقّ وإيعاد بالشرّ. وأما لمة الملك: فإيعاد بالخير وتصديق بالحقّ. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه. ومن وجد الأخرى فليستعذ من الشيطان. ثم قرأ: **﴿الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بالفَحْشاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾**.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

يعني تعالى ذكره: والله واسع الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه، عليم بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتصدّقون بها، يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم، فقد أوتي خيراً كثيراً.

واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقه به.

---

(١) ذكر صاحب التاج ثلاثة محدثين كلهم يسمى فطراً: فطر بن حماد بن واقد البصري. وفطر بن خليفة، وذكره الخزرجي في «**الخلاصة**» وفطر بن محمد العطار الأحدب. ولا ندري من المراد منهم، ولعله الثاني.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾** يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدّمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿يُؤتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾** قال: الحكمة: القرآن، والفقه في القرآن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾** والحكمة: الفقه في القرآن.

حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا مهدي بن ميمون، قال: ثنا شعيب بن الحبحاب، عن أبي العالية: **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾** قال: الكتاب والفهم فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد قوله: **﴿يُؤتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾**... الآية، قال: ليست بالنبوّة، ولكنه القرآن والعلم والفقه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: الفقه في القرآن.

وقال آخرون: معنى الحكمة: الإصابة في القول والفعل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، قال: سمعت مجاهداً قال: **﴿وَمَنْ يُوءَتَ الحِكْمَةَ﴾** قال: الإصابة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجل: **﴿يُوءَتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾** قال: يؤتي إصابته من يشاء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿يُوءَتِي الحِكَمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾** قال: الكتاب، يؤتي إصابته.

وقال آخرون: هو العلم بالدين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: **﴿يُوءتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾** العقل في الدين، وقرأ: **﴿وَمَنْ يُوءتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الحكمة: العقل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قلت لمالك: وما الحكمة؟ قال: المعرفة بالدين، والفقه فيه، والاتباع له.

وقال آخرون: الحكمة: الفهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي قال: ثنا سفيان، عن أبي حمزة، عن إبراهيم، قال: الحكمة: هي الفهم. وقال آخرون: هي الخشية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: **﴿يُوءتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوءتَ الحِكْمَةَ﴾**... الآية، قال: الحكمة: الخشية، لأن رأس كل شيء خشية الله، وقرأ: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾**.

وقال آخرون: هي النبوّة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: **﴿يُؤتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوءتَ الحِكْمَةَ﴾**... الآية. قال: الحكمة: هي النبوّة.

وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة، وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء، وأنها الإصابة بما دلّ على صحته، فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع. فإذا كان ذلك كذلك معناه، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلاً فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة. وإذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهماً خاشياً لله فقيهاً عالماً، وكانت النبوّة من أقسامه، لأن الأنبياء مسددون مفهّمون، وموفَّقون لإصابة الصواب في بعض الأمور، والنبوّة بعض معاني الحكمة.

فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وما يتعظ بما وعظ به ربه في هذه الآيات التي وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ به غيرهم فيها، وفي غيرها من آي كتابه، فيذكر وعده ووعيده فيها، فينزجر عما زجره عنه ربه، ويطيعه فيما أمره به، ﴿إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾، يعني: إلا أولوا العقول الذين عقلوا عن الله عزّ وجلّ أمره ونهيه. فأخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة إلا أولي الحِجا والحلوم، وأن الذكرى غير ناهية إلا أهل النُّهى والعقول.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: وأيّ نفقة أنفقتم، يعني أيّ صدقة تصدقتم، أو أيّ نذر نذرتم؛ يعني بالنذر: ما أوجبه المرء على نفسه تبرّراً في طاعة الله، وتقرّباً به إليه، من صدقة أو عمل خير، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ أي أن جميع ذلك بعلم الله، لا يعزب عنه منه شيء، ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير، ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يجازيكم جميعكم على جميع ذلك، فمن كانت نفقته منكم وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من نفسه، جازاه بالذي وعده من التضعيف؛ ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ونذره للشيطان جازاه بالذي أوعده من العقاب وأليم العذاب. كالذي:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ويحصيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياء ونذوره طاعة للشيطان، فقال: ﴿وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يعني: وما لمن أنفق ماله رياء الناس وفي معصية الله، وكانت نذوره للشيطان وفي طاعته، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾. وهم جمع نصير، كما الأشراف جمع شريف. ويعني بقوله: ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ من ينصرهم من الله يوم القيامة، فيدفع عنهم عقابه يومئذٍ بقوّة وشدّة بطش ولا بفدية. وقد دللنا على أن الظالم: هو الواضع للشيء في غير موضعه. وإنما سمى الله المنفق رياء الناس، والناذر في غير طاعته ظالماً، لوضعه إنفاق ماله في غير موضعه ونذره في غير ماله وضعه فيه، فكان ذلك ظلمه.

فإن قال لنا قائل: فكيف قال: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ**﴾ ولم يقل: يعلمهما، وقد ذكر النذر والنفقة؟ قيل: إنما قال: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ**﴾ لأنه أراد: فإن الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتم، فلذلك وحدّ الكناية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

يعني بقوله جل ثناؤه﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ**﴾ إن تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه، ﴿**فَنِعِمَّا هِيَ**﴾ يقول: فنعم الشيء هي. ﴿**وَإِنْ تُخْفُوها**﴾ يقول: وإن تستروها فلم تعلنوها ﴿**وتؤتوها الفُقَرَاءَ**﴾ يعني: وتعطوها الفقراء في السرّ، ﴿**فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ يقول: فإخفاؤكم إياها خير لكم من إعلانها. وذلك في صدقة التطوّع. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوءتُوها الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ كل مقبول إذا كانت النية صادقة، وصدقة السرّ أفضل. وذكر لنا أن الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماءُ النارَ.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخفُوهَا وَتوءتُوها الفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ قال: كلَ مقبول إذا كانت النية صادقة، والصدقة في السر أفضل. وكان يقول: إن الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماءُ النارَ.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوها وَتوءتُوها الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ فجعل الله صدقة السرّ في التطوّع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرّها يقال بخمسة وعشرين ضعفاً، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها.

حدثني عبد الله بن محمد الحنفي، قال: ثنا عبد الله بن عثمان، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: سمعت سفيان يقول في قوله: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوها وَتُوءتُوها الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ قال: يقول: هو سوى الزكاة.

وقال آخرون: إنما عنى الله عزّ وجل بقوله: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾ إن تبدوا الصدقات على أهل الكتابين من اليهود والنصارى فنعما هي، وإن تخفوها وتؤتوها فقراءهم فهو

خير لكم. قالوا: وأما ما أعطى فقراء المسلمين من زكاة وصدقة تطوّع فاخفاؤه أفضل من علانيته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عبد الرحمن بن شريح، أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يقول: إنما نزلت هذه الآية: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾ في الصدقة على اليهود والنصارى.

حدثني عبد الله بن محمد الحنفي، قال: أخبرنا عبد الله بن عثمان، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا ابن لهيعة، قال: كان يزيد بن أبي حبيب يأمر بقسم الزكاة في السرّ، قال عبد الله: أحبّ أن تعطى في العلانية، يعني الزكاة.

ولم يخصص الله من قوله: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾ فذلك على العموم إلا ما كان من زكاة واجبة، فإن الواجب من الفرائض قد أجمع الجميع على أن الفضل في إعلانه وإظهاره سوى الزكاة التي ذكرنا اختلاف المختلفين فيها مع إجماع جميعهم على أنها واجبة، فحكمها في أن الفضل في أدائها علانية حكم سائر الفرائض غيرها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

اختلف القراء في قراءة ذلك. فرُوي عن ابن عباس أنه كان يقرؤه: «وتُكَفِّرُ عَنْكُمْ» بالتاء. ومن قرأه كذلك. فإنه يعني به: وتكفر الصدقات عنكم من سيئاتكم. وقرأ آخرون: ﴿**وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ**﴾ بالياء بمعنى: ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ما ذكر في الآية من سيئاتكم. وقرأ ذلك بعد عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة: «وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ» بالنون وجزم الحرف، يعني: وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء نكفر عنكم من سيئاتكم، بمعنى: مجازاة الله عز وجل مخفي الصدقة بتكفير بعض سيئاته بصدقته التي أخفاها.

وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ: «وَنُكَفِّرْ عَنْكُمْ» بالنون وجزم الحرف، على معنى الخبر من الله عن نفسه أنه يجازي المخفي صدقته من التطوّع ابتغاء وجهه من صدقته بتكفير سيئاته. وإذا قرىء كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء في قوله: ﴿**فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ لأن الفاء هنالك حلت محلّ جواب الجزاء.

فإن قال لنا قائل: وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء، وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء، وقد علمت أن الأفصح من الكلام في النسق على جواب الجزاء الرفع، وإنما الجزم تجويز؟ قيل: اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه أن التكفير، أعني تكفير الله من سيئات المصدّق لا

محالة داخل فيما وعد الله المصدّق أن يجازيه به على صدقته، لأن ذلك إذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة، ولو رفع كان قد يحتمل أن يكون داخلاً فيما وعده الله أن يجازيه به، وأن يكون خبراً مستأنفاً أنه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم، لأن ما بعد الفاء في جواب الجزاء استئناف، فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه في أنه غير داخل في الجزاء، ولذلك من العلة اخترنا جزم نكفر عطفاً به على موضع الفاء من قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وقراءته بالنون.

فإن قال قائل: وما وجه دخول «مِنْ» في قوله: ﴿وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؟ قيل: وجه دخولها في ذلك بمعنى: ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها، ليكون العباد على وجلٍ من الله فلا يتكلوا على وعده ما وعد على الصدقات التي يخفيها المتصدّق فيجترئوا على حدوده ومعاصيه.

وقال بعض نحويي البصرة: معنى «مِنْ» الإسقاط من هذا الموضع، ويتأوّل معنى ذلك: ونكفر عنكم سيئاتكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: والله بما تعملون في صدقاتكم من إخفائها وإعلان وإسرار بها وإجهار، وفي غير ذلك من أعمالكم. ﴿خَبِيرٌ﴾ يعني بذلك ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فهو بجميعه محيط، ولكله محص على أهله حتى يوفيهم ثواب جميعه وجزاء قليله وكثيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: ليس عليك يا محمد هدى المشركين إلى الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوّع، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة. كما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن شعبة، قال: كان النبيّ ﷺ لا يتصدّق على المشركين، فنزلت: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ فتصدّق عليهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو داود، عن سفيان، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس،

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين، فنزلت: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن سعيد بن جبير، قال: كانوا يتقون أن يرضخوا[١] لقراباتهم من المشركين حتى نزلت: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾.

حدثنا محمد بن بشار وأحمد بن إسحاق، قالا: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانوا لا يرضخون لأنسبائهم من المشركين، فنزلت: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ فرخص لهم.

حدثنا المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان أناس من الأنصار لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير، وكانوا يتقون أن يتصدّقوا عليهم، ويريدونهم أن يسلموا، فنزلت: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ**﴾... الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، وذكر لنا أن رجالاً من أصحاب نبيّ الله ﷺ قالوا: أنتصدّق على من ليس من أهل ديننا؟ فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ قال: كان الرجل من المسلمين إذا كان بينه وبين الرجل من المشركين قرابة وهو محتاج فلا يتصدّق عليه يقول: ليس من أهل ديني، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ**﴾... الآية.

حدثني محمد، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ**﴾ أما «ليس عليك هداهم» فيعني المشركين، وأما النفقة فبين أهلها.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا يعقوب القُمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير قال: كانوا يتصدّقون[٢]...

(١) رضخ له من ماله رضخاً ورضيخة: أعطاه شيئاً منه.

(٢) قوله «كانوا يتصدقون» كذا في النسخ، ولعله سقط بقية المتن وشيء من التفسير.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾** قال: هو مردود عليك، فمالك ولهذا تؤذيه وتمنّ عليه، إنما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله، والله يجزيك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾

أما قوله: **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** فبيان من الله عزّ وجلّ عن سبيل النفقة ووجهها. ومعنى الكلام: وما تنفقوا من خير فلأنفسكم، تنفقون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله. واللام التي في الفقراء مردودة على موضع اللام في فلأنفسكم، كأنه قال: **﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾** يعني به: وما تتصدّقوا به من مال، فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، فلما اعترض في الكلام بقوله: «فلأنفسكم»، فأدخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه تركت إعادتها في قوله: «للفقراء»، إذ كان الكلام مفهوماً معناه. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾** أما «ليس عليك هداهم»، فيعني المشركين، وأما النفقة فبين أهلها، فقال: للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله.

وقيل: إن هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية، هم فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** مهاجري قريش بالمدينة مع النبيّ ﷺ، أمر بالصدقة عليهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه قوله: **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**... الآية. قال: هم فقراء المهاجرين بالمدينة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** قال: فقراء المهاجرين.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: الذين جعلهم جهادهم عدوّهم يحصرون أنفسهم فيحبسونها عن التصرف فلا يستطيعون تصرّفاً. وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الإحصار: تصيير الرجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدوّه، وغير ذلك من عِلَلِهِ إلى حالة يحبس نفسه فيها عن التصرّف في أسبابه بما فيه الكفاية فيما مضى قبل.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: في ذلك بنحو الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: كانت الأرض كلها كفراً لا يستطيع أحد أن يخرج يبتغي من فضل الله إذا خرج خرج في كفر. وقيل: كانت الأرض كلها حرباً على أهل هذا البلد، وكانوا لا يتوجهون جهة إلا لهم فيها عدوّ، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾... الآية؛ كانوا ههنا في سبيل الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذين أحصرهم المشركون فمنعوهم التصرّف.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حصرهم المشركون في المدينة.

ولو كان تأويل الآية على ما تأوّله السدي، لكان الكلام: للفقراء الذين حصروا في سبيل الله، ولكنه «أحصروا»، فدلّ ذلك على أن خوفهم من العدوّ الذي صير هؤلاء الفقراء إلى الحال التي حَبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم، لا أن العدوّ هم كانوا الحابسيهم، وإنما يقال لمن حبسه العدوّ: حصره العدوّ، وإذا كان الرجل المحبس من خوف العدوّ قيل: أحصره خوف العدوّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: لا يستطيعون تقلباً في الأرض، وسفراً في البلاد، ابتغاء المعاش وطلب المكاسب، فيستغنوا عن الصدقات رهبة العدوّ، وخوفاً على أنفسهم منهم. كما:

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ﴾ حبسوا أنفسهم في سبيل الله للعدوّ، فلا يستطيعون تجارة.

ـ **حدثني** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأرْضِ﴾ يعني التجارة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد قوله: ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأرْضِ﴾ كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغي من فضل الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

يعني بذلك: يحسبهم الجاهل بأمرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسألة وتركهم التعرّض لما في أيدي الناس صبراً منهم على البأساء والضرّاء. كما:

حدثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِيَاءَ﴾ يقول: يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف.

ويعني بقوله: ﴿مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من ترك مسألة الناس، وهو التفعل من العفة عن الشيء، والعفة عن الشيء: تركه، كما قال رؤبة:

فَعَفَّ عَنْ أسْرَارِها بَعْدَ العَسَقْ[١]

يعني برىء وتجنب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: تعرفهم يا محمد بسيماهم، يعني بعلامتهم وآثارهم، من قول الله عزّ وجلّ: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أثَرِ السُّجُودِ﴾ هذه لغة قريش، ومن العرب من يقول: «بسيمائهم» فيمدها، وأما ثقيف وبعض أسد، فإنهم يقولون: «بسيميائهم»؛ ومن ذلك قول الشاعر:

غُلامٌ رَماهُ اللّهُ بالحُسْنِ يافِعاً ... لَهُ سِيمِيَاءُ لا تَشُقُّ عَلى البَصَرْ[٢]

وقد اختلف أهل التأويل في السيما التي أخبر الله جل ثناؤه أنها لهؤلاء الفقراء الذين وصفت صفتهم وأنهم يعرفون بها، فقال بعضهم: هو التخشع والتواضع.

---

(١) يروى الخسق بالغين المعجمة وبالعين المهملة. وقد سبق الكلام على البيت في الجزء الثاني.

(٢) هذا البيت لأسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عملية الفزاري حين قاسمه ماله. وبعد البيت بيت آخر، وهو:

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ ... وفي وجْهِهِ الشِّعْري وفي جِيدِهِ القَمَرُ

أنشد البيتين المبرد في كامله (١/ ١٠٩) رغبة الآمل شرح الكامل للشيخ سيد المرصفي. والسيما والسيماء والسيمياء بالقصر والمد: العلامة يعرف بها الخير والشر. قال تعالى: ﴿تعرفهم بسيماهم﴾. واشتقاق السيما من الوصم. والمراد أنه: يفرح به من ينظر إليه. ويروى البيت: «غلام رماه الله بالخير يافعاً» عن أبي رياش. عن أبي زيد، قال: لأن الحسن مولود. انظر «اللسان» صوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ**﴾ قال: التخشع.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن ليث، قال: كان مجاهد يقول: هو التخشع.

وقال آخرون يعني بذلك: تعرفهم بسيما الفقر وجهد الحاجة في وجوههم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ**﴾ بسيما الفقر عليهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ**﴾ يقول: تعرف في وجوههم الجهد من الحاجة.

وقال آخرون: معنى ذلك: تعرفهم برثاثة ثيابهم، وقالوا: الجوع خفيّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ**﴾ قال: السيما: رثاثة ثيابهم، والجوع خفيّ على الناس، ولم تستطع الثياب التي يخرجون فيها تخفى على الناس.

وأول الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله عزّ وجلّ أخبر نبيه ﷺ أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم. وإنما كان النبيّ ﷺ يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان، فيعرفهم وأصحابه بها، كما يدرك المريض فيعلم أنه مريض بالمعاينة.

وقد يجوز أن تكون تلك السيما كانت تخشعاً منهم، وأن تكون كانت أثر الحاجة والضرّ، وأن تكون كانت رثاثة الثياب، وأن تكون كانت جميع ذلك، وإنما تدرك علامات الحاجة وآثار الضرّ في الإنسان، ويعلم أنها من الحاجة والضرّ بالمعاينة دون الوصف، وذلك أن المريض قد يصير به في بعض أحوال مرضه من المرض نظير آثار المجهود من الفاقة والحاجة، وقد يلبس

الغنيّ ذو المال الكثير الثياب الرثة، فيتزيا بزيّ أهل الحاجة، فلا يكون في شيء من ذلك دلالة بالصفة على أن الموصوف به مختلّ ذو فاقة، وإنما يدري ذلك عند المعاينة بسيماه، كما وصفهم الله نظير ما يعرف أنه مريض عند المعاينة دون وصفه بصفته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لاَ يَسألُونَ النَّاسَ إلْحافاً﴾.

يقال: قد ألحف السائل في مسألته إذا ألحّ فهو يلحف فيها إلحافاً.

فإن قال قائل: أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير إلحاف؟ قيل: غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة، إلحافاً أو غير إلحاف، وذلك أن الله عزّ وجلّ وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف، وأنهم إنما كانوا يعرفون بسيماهم، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف، ولم يكن بالنبيّ ﷺ إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة، وكانت المسألة الظاهرة تنبيء عن حالهم وأمرهم. وفي الخبر الذي:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن هلال بن حصن، عن أبي سعيد الخدري، قال: أعوزنا مرة فقيل لي: لو أتيت رسول الله ﷺ فسألته. فانطلقت إليه مُعْنقاً، فكان أوّل ما واجهني به: «مَنْ اسْتَعَفَّ أعَفَّهُ الله، ومَنِ اسْتَغْنَى أغْنَاهُ الله، ومَنْ سَألَنا لَمْ نَدَّخِرْ عَنْهُ شَيْئاً نَجِدُهُ»، قال: فرجعت إلى نفسي، فقلت: ألا أستعفّ فيعفني الله! فرجعت فما سألت رسول الله ﷺ شيئاً بعد ذلك من أمر حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا إلا من عصم الله.

الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفي معنى المسألة من الشخص الواحد، وأن من كان موصوفاً بالتعفف فغير موصوف بالمسألة إلحافاً أو غير إلحاف.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت، فما وجه قوله: **﴿لاَ يَسْألُونَ النَّاسَ إلْحافاً﴾** وهم لا يسألون الناس إلحافاً أو غير إلحاف؟ قيل له: وجه ذلك أن الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعفف وعرّف عباده أنهم ليسوا أهل مسألة بحال بقوله: **﴿يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾** وأنهم إنما يعرفون بالسيما، زاد عباده إبانة لأمرهم، وحسن ثناء عليهم بنفي الشره والضراعة التي تكون في الملحّين من السؤال عنهم. وقال: كان بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل: قَلَّمَا رأيت مثل فلان، ولعله لم يره مثله أحداً ولا نظيراً.

وبنحو الذي قلنا في معنى الإلحاف قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿لاَ يَسألُونَ النّاسَ إلْحافاً﴾** قال: لا يلحفون في المسألة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً**﴾ قال: هو الذي يلح في المسألة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**لا يَسألُونَ النَّاسَ إلْحافاً**﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الحَلِيمَ الغَنِيَّ المُتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ الغَنِيَّ الفاحِشَ البَذِيَّ السَّائِلَ المُلْحِفَ» قال: وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثاً، قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» فإذا شئت رأيته في قيل وقال يومه أجمع وصدر ليلته، حتى يُلقى جِيفَةً على فراشه، لا يجعل الله له من نهاره ولا ليلته نصيباً، وإذا شئت رأيته ذا مال في شهوته ولذاته وملاعبه، ويعدله عن حقّ الله، فذلك إضاعة المال، وإذا شئت رأيته باسطاً ذراعيه، يسأل الناس في كفيه، فإذا أعطي أفرط في مدحهم، وإن منع أفرط في ذمهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا معتمر، عن أيمن بن نابل، قال: حدثني شيخ من غافق: أن أبا الدرداء كان ينظر إلى الخيل مربوطة بين البراذين والهجن، فيقول: أهل هذه ـ يعني الخيل ـ من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقال آخرون: عنى بذلك قوماً أنفقوا في سبيل الله في غير إسراف ولا تقتير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَالَهُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ هؤلاء أهل الجنة؛ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «المُكْثِرُونَ هم الأَسْفَلُونَ». قالوا: يا نبيّ الله إلاَّ مَنْ؟ قال: «المُكْثِرُونَ هُمْ الأَسْفَلُونَ»، قالوا: يا نبيّ الله إلا مَن؟ حتى خشوا أن تكون قد مضت فليس لها ردّ، حتى قال: «إلاَّ مَنْ قَالَ بالمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا» عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمالِهِ، «وَهَكَذَا» بين يَدَيْهِ «وَهَكَذَا» خَلْفَهُ، «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، هَؤلاءِ قَوْمٌ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَ وَارْتَضَى فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلا إمْلاقٍ وَلا تَبْذِيرٍ وَلاَ فَسَادٍ».

وقد قيل: إن هذه الآيات من قوله: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ كان مما يعمل به قبل نزول ما في سورة براءة من تفصيل الزكوات، فلما نزلت براءة قصروا عليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾** إلى قوله: **﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** فكان هذا يعمل به قبل أن تنزل براءة، فلما نزلت براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها انتهت الصدقات إليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

يعني ذلك جل ثناؤه: الذين يربون، والإرباء: الزيادة على الشيء، يقال فيه: أربى فلان على فلان إذا زاد عليه يربي إرباء، والزيادة هي الربا، وربالشيء: إذا زاد على ما كان عليه فعظم، فهو يربو رَبْواً. وإنما قيل للرابية[1] لزيادتها في العظم والإشراف على مااستوى من الأرض مما حولها من قولهم ربا يربو، ومن ذلك قيل: فلان في ربا قومه يراد أنه في رفعة وشرف منهم، فأصل الربا الإنافة والزيادة، ثم يقال: أَرْبَى فلان: أي أناف صيره زائداً. وإنما قيل للمربي مريب لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالاً، أو لزيادته عليه فيه، لسبب الأجل الذي يؤخره إليه، فيزيده إلى أجله الذي كان له قبل حلّ دينه عليه، ولذلك قال جلّ ثناؤه: **﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبا أضْعافاً مُضَاعَفَةً﴾**.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال في الربا الذي نهى الله عنه: كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين، فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني، فيؤخر عنه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: أن ربا الجاهلية يبيع الرجل

(١) لعل أصل العبارة: وإنما قيل للرابية رابية.. الخ.

البيع إلى أجل مسمى، فإذا حلّ الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخّر عنه.

فقال جل ثناؤه للذين يربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا، لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ؛ يعني بذلك: يتخبّله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يتخبطه فيصرعه من المسّ، يعني من الجنون. وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِينَ يأكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطَهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ**﴾ يوم القيامة في أكل الربا في الدنيا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ**﴾ قال: ذلك حين يبعث من قبره.

حدثني المثنى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب. وقرأ: ﴿**لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ**﴾ قال: ذلك حين يبعث من قبره.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿**الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ**﴾... الآية. قال: يبعث آكلُ الربا يوم القيامة مجنوناً يخنق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ**﴾ الآية، وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة، بعثوا بهم خبل من الشيطان.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**لا يَقُومُونَ إلاَّ كما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ**﴾ قال: هو التخبّل الذي يتخبّله الشيطان من الجنون.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**الَّذِينَ يَأكُلُونَ**

الرّبا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ﴾ قال: يبعثون يوم القيامة وبهم خبل من الشيطان. وهي في بعض القراءة: «لا يقومون يوم القيامة».

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرّبا لاَ يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ﴾ قال: من مات وهو يأكل الربا بعث يوم القيامة متخبطاً كالذي يتخبطه الشيطان من المسّ.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرّبا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ﴾ يعني من الجنون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأكُلُونَ الرّبا لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ﴾ قال: هذا مثلهم يوم القيامة لا يقومون يوم القيامة مع الناس، إلا كما يقوم الذي يخنق مع الناس يوم القيامة(١) كأنه خنق كأنه مجنون.

ومعنى قوله: ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيطَانُ مِنَ المَسّ﴾ يتخبله من مسه إياه، يقال منه: قد مُسّ الرجل وأُلِقَ فهو ممسوس ومألوق، كل ذلك إذا ألَمَّ به اللمم فجنّ، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيطَانِ تَذَكَّرُوا﴾. ومنه قول الأعشى:

وَتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى وكأنما ... أَلَمَّ بِها مِنْ طائِفِ الجِنّ أوْلَقُ(٢)

فإن قال لنا قائل: أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا في تجارته ولم يأكله، أيستحق هذا الوعيد من الله؟ قيل: نعم، وليس المقصود من الربا في هذه الآية الأكل، إلا أن الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت كانت طعمتهم ومأكلهم من الربا، فذكرهم بصفتهم معظماً بذلك عليهم أمر الربا، ومقبحاً إليهم الحال التي هم عليها في مطاعمهم، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرّبا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾... الآية، ما ينبىء عن صحة ما قلنا في ذلك، وأن التحريم من الله في ذلك كان لكل معاني الربا، وأنّ سواء العمل به وأكلُه وأخذه وإعطاؤه، كالذي تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من قوله: «لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبا، وَمُوْكِلَهُ، وَكاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ إذَا عَلِمُوا بِهِ».

(١) قوله «مع الناس يوم القيامة» الخ، هكذا في الأصل، ولعل هنا تكراراً أو تحريفاً من الناسخ.

(٢) البيت لأبي بصير الأعشى، من قصيدته المشهورة في مدح المحلق عبد العزيز بن حنتم بن شداد بن ربيعة ديوانه (ص ـ ٢٣١). وغب الشيء: عاقبته وما يليه. والسري: سير الليل. وألم بها: خالطها؛ والطائف: ما يمس الإنسان ويطوف به. والأولق: الجنون. يقال: ألق الرجل ألقاً: جن، فهو مألوق وبه أولق. يقول: تسير بالليل سيراً طويلاً مجهداً، فإذا أصبحت فكأن بها مساً من الجن، من نشاطها وقوتها على استئناف السير.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبا﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: ذلك الذي وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم كقيام الذي يتخبطه الشيطان من المسّ من الجنون، فقال تعالى ذكره هذا الذي ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حلّ بهم من أجل أنهم كانوا في الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون إنما البيع الذي أحله الله لعباده مثل الربا، وذلك أن الذين كانوا يأكلون من الربا من أهل الجاهلية، كان إذا حلّ مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحقّ زدني في الأجل وأزيدك في مالك، فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك: هذا ربا لا يحلّ، فإذا قيل لهما ذلك، قالا: سواء علينا زدنا في أوّل البيع أو عند محلّ المال، فكذّبهم الله في قيلهم، فقال: ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وأَمْرُهُ إلى اللَّهِ وَمَنْ عادَ فأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ﴾.

يعني جل ثناؤه: وأحلّ الله الأرباح في التجارة والشراء والبيع، وحرّم الربا يعني الزيادة التي يزاد ربّ المال بسبب زيادته غريمه في الأجل، وتأخيره دينه عليه. يقول عزّ وجلّ: وليست الزيادتان اللتان إحداهما من وجه البيع، والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل سواء، وذلك أني حرمت إحدى الزيادتين، وهي التي من وجه تأخير المال والزيادة في الأجل؛ وأحللت الأخرى منهما، وهي التي من وجه الزيادة على رأس المال الذي ابتاع به البائع سلعته التي يبيعها فيستفضل فضلها، فقال الله عزّ وجلّ ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا، لأني أحللت البيع، وحرّمت الربا، والأمر أمري والخلق خلقي، أقضي فيهم ما أشاء، وأستعبدهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي، ولا أن يخالف في أمري، وإنما عليهم طاعتي والتسليم لحكمي. ثم قال جل ثناؤه: ﴿**فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فانْتَهَى**﴾ يعني بالموعظة: التذكير والتخويف الذي ذكرهم وخوّفهم به في آي القرآن، وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب، يقول جل ثناؤه: فمن جاءه ذلك فانتهى عن أكل الربا، وارتدع عن العمل به، وانزجر عنه﴿**فَلَهُ ما سَلَفَ**﴾ يعني ما أكل، وأخذ فمضى قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه في ذلك﴿**وأَمْرُهُ إلى اللَّهِ**﴾ يعني وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم، وبعد انتهاء آكله عن أكله إلى الله في عصمته وتوفيقه، إن شاء عصمه عن أكله وثبته في انتهائه عنه، وإن شاء خذله عن ذلك. ﴿**وَمَنْ عادَ**﴾ يقول: ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم، وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم من قوله: ﴿**إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبا**﴾ ﴿**فأُولئكَ أصحابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ يعني ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار، يعني نار جهنم فيها خالدون.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلى اللَّهِ﴾ أما الموعظة فالقرآن، وأما ما سلف فله ما أكل من الربا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

يعني عز وجل بقوله: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الربا﴾: ينقص الله الربا فيذهبه. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا﴾ قال: ينقص.

وهذا نظير الخبر الذي رُوي عن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «الرِّبا وَإِنْ كَثُرَ فإلى قُلّ». وأما قوله: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ فإنه جل ثناؤه يعني: أنه يضاعف أجرها لربها، وينميها له. وقد بينا معنى الربا قبل والإرباء وما أصله، بما فيه الكفاية من إعادته.

فإن قال لنا قائل: وكيف إرباء الله الصدقات؟ قيل: إضعافه الأجر لربها، كما قال جل ثناؤه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ وكما قال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً﴾. وكما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا عباد بن منصور، عن القاسم أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُها بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيها لأَحَدِكُمْ كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حتى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ». وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ويأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ و﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا ويُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

حدثني سليمان بن عمر بن خالد الأقطع، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن عباد بن منصور، عن القاسم بن محمد، عن أبي هريرة، ولا أراه إلا قد رفعه، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ، ولا يَقْبَلُ إلا الطَّيِّبَ».

حدثني محمد بن عمر بن عليّ المقدمي، قال: ثنا ريحان بن سعيد، قال: ثنا عباد، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالى يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَلا يَقْبَلُ مِنْها إِلاَّ الطَّيِّبَ، وَيُرَبِّيها لِصَاحِبِها كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حتى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ».

وتصديق ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

حدثني محمد بن عبد الملك، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: ثنا معمر، عن أيوب، عن القاسم بن محمد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ تَقَبَّلَهَا اللَّهُ مِنْهُ، وَيَأْخُذُها بِيَمِينِهِ وَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَصَدَّقُ بِاللُّقْمَةِ فَتَرْبُو فِي يَدِ اللَّهِ»، أو قال: «في كف اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حتى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ؛ فَتَصَدَّقُوا».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت يونس، عن صاحب له، عن القاسم بن محمد، قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ، وَلاَ يَقْبَلُ مِنْهَا إِلاَّ مَا كَانَ طَيِّباً، وَاللَّهُ يُرَبِّي لأَحَدِكُمْ لُقْمَتَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ وَفَصِيلَهُ، حتى يُوافَى بِها يَوْمَ القِيامَةِ وَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ أُحُدٍ».

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ فإنه يعني به: والله لا يحبّ كل مصرّ على كفر بربه، مقيم عليه، مستحلّ أكل الربا وإطعامه، أثيم متماد في الإثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه، لا ينزجر عن ذلك، ولا يرعوي عنه، ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

وهذا خبر من الله عزّ وجلّ بأن الذين آمنوا، يعني الذين صدقوا بالله وبرسوله، وبما جاء به من عند ربهم من تحريم الربا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه، وعملوا الصالحات التي أمرهم الله عزّ وجلّ بها، والتي ندبهم إليها وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها، وأدّوها بسننها، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم، بعد الذي سلف منهم من أكل الربا، قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربهم، لهم أجرهم، يعني ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصدقتهم عند ربهم يوم حاجتهم إليه في معادهم، ولا خوف عليهم يومئذٍ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم موعظة من ربهم من أكل ما كانوا أكلوا من الربا بما كان من إنابتهم، وتوبتهم إلى الله عزّ وجلّ من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم، وتصديقهم بوعد الله ووعيده، ولا هم يحزنون على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الربا والعمل به إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى، وهم على تركهم ما تركوا من ذلك في الدنيا ابتغاء رضوانه في الآخرة، فوصلوا إلى ما وعدوا على تركه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾

يعني جل ثناؤه بذلك: يا أيها الذين آمنوا صدّقوا بالله وبرسوله، اتقوا الله، يقول: خافوا الله على أنفسكم فاتقوه بطاعته فيما أمركم به، والانتهاء عما نهاكم عنه، وذروا، يعني ودعوا ما بقي من الربا، يقول: اتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل أن تربوا عليها إن كنتم مؤمنين، يقول: إن كنتم محققين إيمانكم قولاً، وتصديقكم بألسنتكم بأفعالكم. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أسلموا، ولهم على قوم أموال من ربا كانوا أربوه عليهم، فكانوا قد قبضوا بعضه منهم، وبقي بعض، فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نزول هذه الآية، وحرّم عليهم اقتضاء ما بقي منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا﴾** إلى: **﴿وَلا تُظْلَمُونَ﴾** قال: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية، سلفا في الربا إلى أناس من ثقيف من بني عمرو، وهم بنو عمرو بن عمير، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فأنزل الله**﴿ذَرُوا ما بَقِيَ﴾** من فضل كان في الجاهلية**﴿مِنَ الرّبا﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرّبا إنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** قال: كانت ثقيف قد صالحت النبيّ ﷺ على أن ما لهم من ربا على الناس، وماكان للناس عليهم من ربا فهو موضوع. فلما كان الفتح، استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من بني المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم في الجاهلية، فجاء الإسلام ولهم عليهم مال كثير. فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم، فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم في الإسلام، ورفعوا ذلك إلى عتاب بن أسيد، فكتب عتاب إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: **﴿يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرّبا إنْ كُنْتُمْ مُؤمِنِينَ فانْ لَمْ تَفعَلُوا فأذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** إلى: **﴿وَلا تُظْلِمُونَ﴾**، فكتب بها رسول الله ﷺ إلى عتاب وقال: «إنْ رَضُوا وَإلاَّ فَآذِنْهُمْ بِحَرْبٍ». قال ابن جريج، عن عكرمة قوله: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرّبا﴾**. قال: كانوا يأخذون الربا على بني المغيرة يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير، فهم الذين كان لهم الربا على بني المغيرة، فأسلم عبد ياليل وحبيب وربيعة وهلال ومسعود.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك في قوله:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: كان ربا يتبايعون به في الجاهلية، فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ فإن لم تذروا ما بقي من الربا.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: ﴿فَأْذَنُوا﴾ بقصر الألف من فأذنوا وفتح ذالها، بمعنًى وكونوا على علم وإذْن. وقرأه آخرون وهي قراءة عامة قراء الكوفيين: «فَآذِنُوا» بمدّ الألف من قوله: «فآذِنوا» وكسر ذالها، بمعنى: فآذنوا غيركم، أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك، قراءة من قرأ: ﴿فَأْذَنُوا﴾ بقصر ألفها وفتح ذالها، بمعنى: اعلموا ذلك واستيقنوه، وكونوا على إذن من الله عزّ وجل لكم بذلك. وإنما اخترنا ذلك، لأن الله عزّ وجلّ أمر نبيه ﷺ أن ينبذ إلى من أقام على شركه الذي لا يقرّ على المقام عليه، وأن يقتل المرتدّ عن الإسلام منهم بكل حال إلا أن يراجع الإسلام، أَذَنَهُ المشركون بأنهم على حربه أولم يأذنوه، فإذ كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون كان مشركاً مقيماً على شركه الذي لا يقرّ عليه، أو يكون كان مسلماً فارتدّ وأذن بحرب، فأيّ الأمرين كان، فإنما نبذ إليه بحرب، لا أنه أمر بالإيذان بها إن عزم على ذلك، لأن الأمر إن كان إليه فأقام على أكل الربا مستحلاً له، ولم يؤذن المسلمون بالحرب، لم يلزمهم حربه، وليس ذلك حكمه في واحدة من الحالين، فقد علم أنه المأذون بالحرب لا الآذن بها. وعلى هذا التأويل تأوّله أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا﴾ إلى قوله: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحقّ على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع، وإلا ضرب عنقه.

حدثني المثنى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا ربيعة بن كلثوم، قال: ثني أبي، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ أوعدهم الله بالقتل كما تسمعون، فجعلهم، هرجاً[1] أينما ثقفوا.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**فإنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ أوعد لآكل الربا بالقتل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس قوله: ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله.

وهذه الأخبار كلها تنبيء عن أن قوله: ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ إيذان من الله عزّ وجلّ لهم بالحرب والقتل، لا أمر لهم بإيذان غيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أمْوالِكُمْ﴾.

يعني جل ثناؤه بذلك: إن تبتم فتركتم أكل الربا، وأنبتم إلى الله عزّ وجلّ، فلكم رؤوس أموالكم من الديون التي لكم على الناس دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك رباً منكم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَإنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أمْوالِكُمْ**﴾ المال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤوس أموالهم حين نزلت هذه الآية. فأما الربح والفضل فليس لهم، ولا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيئاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، قال: وضع الله الربا، وجعل لهم رؤوس أموالهم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة في قوله: ﴿**وَإنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أمْوالِكُمْ**﴾ قال: ما كان لهم من دين، فجعل لهم أن يأخذوا رؤوس أموالهم، ولا يزدادوا عليه شيئاً.

---

(١) هرجاً: أي مباحة دماؤهم.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رؤوسُ أَمْوَالِكُمْ**﴾ الذي أسلفتم وسقط الربا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال في خطبته يوم الفتح: «ألاَ إنَّ رِبا الجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَأَوَّلُ رِبا أَبْتَدِىءُ بِهِ رِبا العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ».

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: «إنَّ كُلَّ رِبا مَوْضُوعٌ، وأوَّلُ رِبا يُوضَعُ رِبا العَبَّاس».

القول في تأويل قوله: ﴿**لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾.

يعني بقوله: ﴿**لا تَظْلِمُونَ**﴾ بأخذكم رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل الإرباء على غرمائكم منهم دون أرباحها التي زدتموها رباً على من أخذتم ذلك منه من غرمائكم، فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذه، أو لم يكن لكم قبل. ﴿**وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ يقول: ولا الغريم الذي يعطيكم ذلك دون الربا الذي كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة في الأجل يبخسكم حقاً لكم عليه فيمنعكموه، لأن ما زاد على رؤوس أموالكم، لم يكن حقاً لكم عليه، فيكون بمنعه إياكم ذلك ظالماً لكم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن عباس يقول وغيره من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤوسُ أَمْوَالِكُم لاَ تَظْلِمُونَ**﴾ فتربون، ﴿**وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ فتنقصون.

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**فَلَكُمْ رُؤوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ قال: لا تنقصون من أموالكم، ولا تأخذون باطلاً لا يحلّ لكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

يعني جل ثناؤه بذلك: وإن كان ممن تقبضون منه من غرمائكم رؤوس أموالكم ذو عسرة، يعني معسراً برؤوس أموالكم التي كانت لكم عليهم قبل الإرباء، فأنظِروهم إلى ميسرتهم. وقوله: ﴿**ذُو عُسْرَةٍ**﴾ مرفوع بكان، فالخبر متروك، وهو ما ذكرنا، وإنما صلح ترك خبرها من أجل أن النكرات تضمر لها العرب أخبارها، ولو وجهت كان في هذا الموضع إلى أنها بمعنى الفعل

المتكفي بنفسه التامّ، لكان وجهاً صحيحاً، ولم يكن بها حاجة حينئذ إلى خبر. فيكون تأويل الكلام عند ذلك: وإن وجد ذو عسرة من غرمائكم برؤوس أموالكم، فنظرة إلى ميسرة.

وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبيّ بن كعب: «وَإِنْ كانَ ذا عُسْرَةٍ» بمعنى: وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة. وذلك وإن كان في العربية جائزاً فغير جائزة القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين.

وأما قوله: ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ فإنه يعني: فعليكم أن تنظروه إلى ميسرة، كما قال: ﴿فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رأسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبل، فأغنى عن تكريره. والميسرة: المفعلة من اليسر، مثل المرحمة والمشأمة.

ومعنى الكلام: وإن كان من غرمائكم ذو عسرة، فعليكم أن تنظروه حتى يوسر بما ليس[1] لكم، فيصير من أهل اليسر به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ قال: نزلت في الربا.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا هشام، عن ابن سيرين: أن رجلاً خاصم رجلاً إلى شريح قال: فقضى عليه، وأمر بحبسه. قال: فقال رجل عند شريح: إنه معسر، والله يقول في كتابه: ﴿وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ قال: فقال شريح: إنما ذلك في الربا، وإن الله قال في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ﴾ ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذّبنا عليه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم في قوله: ﴿وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ قال: ذلك في الربا.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن الحسن: أن الربيع بن خُثَيْم كان له على رجل حقّ، فكان يأتيه ويقوم على بابه ويقول: أي فلان إن كنت موسراً فأدّ، وإن كنت معسراً فإلى ميسرة.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل «ليس» زائدة من الناسخ.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أيوب، عن محمد، قال: جاء رجل إلى شريح، فكلمه، فجعل يقول: إنه معسر، إنه معسر، قال: فظننت أنه يكلمه في محبوس. فقال شريح: إن الربا كان في هذا الحيّ من الأنصار، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ وقال الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها**﴾ فما كان الله عزّ وجلّ يأمرنا بأمر ثم يعذّبنا عليه، أدّوا الأمانات إلى أهلها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ قال: فنظرة إلى ميسرة برأس ماله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ إنما أمر في الربا أن ينظر المعسر، وليست النظرة في الأمانة، ولكن يؤدّي الأمانة إلى أهلها.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ**﴾ برأس المال، ﴿**إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ يقول: إلى غنى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ هذا في شأن الربا.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سلمان، قال: سمعت الضحاك في قوله: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ هذا في شأن الربا، وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون، فلما أسلم من أسلم منهم، أمروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ يعني المطلوب.

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر في قوله: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ قال: الموت.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن محمد بن عليّ، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، قال: ثنا سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم: ﴿**وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ**﴾ قال: هذا في الربا.

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن منصور، عن إبراهيم في الرجل يتزوّج إلى الميسرة، قال: إلى الموت أو إلى فرقة.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم: ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾. قال: ذلك في الربا.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا مندل، عن ليث، عن مجاهد: ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾. قال: يؤخره ولا يزد عليه، وكان إذا حلّ دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه زاد عليه وأخره.

وحدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا مندل، عن ليث، عن مجاهد: ﴿وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ قال: يؤخره ولا يزد عليه.

وقال آخرون: هذه الآية عامة في كل من كان له قبل رجل معسر حق من أيّ وجهة كان ذلك الحق من دين حلال أو ربا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: من كان ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة، وأن تصدّقوا خير لكم؛ قال: وكذلك كل دين على مسلم، فلا يحلّ لمسلم له دين على أخيه يعلم منه عسرة أن يسجنه ولا يطلبه حتى ييسره الله عليه، وإنما جعل النظرة في الحلال فمن أجل ذلك كانت الديون على ذلك.

حدثني عليّ بن حرب، قال: ثنا ابن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ قال: نزلت في الدين.

والصواب من القول في قوله: ﴿وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ أنه معنيّ به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله ﷺ، ولهم عليهم ديون قد أربوا فيها في الجاهلية، فأدركهم الإسلام قبل أن يقبضوها منهم، فأمر الله بوضع ما بقي من الربا بعد ما أسلموا، وبقبض رؤوس أموالهم، ممن كان منهم من غرمائهم موسراً، وإنظار من كان منهم معسراً برؤوس أموالهم إلى ميسرتهم. فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربى على غريم له، فإن الإسلام يبطل عن غريمه ما كان له عليه من قِبَل الربا، ويلزمه أداء رأس ماله الذي كان أخذ منه، أو لزمه من قبل الإرباء إليه إن كان موسراً، وإن كان معسراً كان منظراً برأس مال صاحبه إلى ميسرته، وكان الفضل على رأس المال مبطلاً عنه. غير أن الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا وإياهم عنى بها، فإن الحكم الذي حكم الله به من إنظاره المعسر برأس مال المربي بَعْدُ

بطول الرّبا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حلّ عليه، وهو بقضائه معسر في أنه منظر إلى ميسرته، لأن دين كل ذي دين في مال غريمه وعلى غريمه قضاؤه منه لا في رقبته، فإذا عدم ماله، فلا سبيل له على رقبته بحبسٍ ولا بيع، وذلك أن مال ربّ الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة: إما أن يكون في رقبة غريمه، أو في ذمته يقضيه من ماله، أو في مال له بعينه؛ فإن يكن في مال له بعينه، فمتى بطل ذلك المال وعدم، فقد بطل دين ربّ المال، وذلك ما لا يقوله أحد ويكون في رقبته، فإن يكن كذلك فمتى عدمت نفسه، فقد بطل دين ربّ الدين، وإن خلف الغريم وفاء بحقه وأضعاف ذلك، وذلك أيضاً لا يقوله أحد، فقد تبين إذ كان ذلك كذلك أن دين ربّ المال في ذمة غريمه يقضيه من ماله، فإذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته، لأنه قد عدم ما كان عليه أن يؤدي منه حقّ صاحبه لو كان موجوداً، وإذا لم يكن على رقبته سبيل لم يكن إلى حبسه بحقه وهو معدوم سبيل، لأنه غير مانعه حقاً له إلى قضائه سبيل، فيعاقب بظلمه إياه بالحبس.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وأَنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

يعني جلّ وعزّ بذلك: وأن تتصدّقوا برؤوس أموالكم على هذا المعسر، خير لكم أيها القوم من أن تنظروه إلى ميسرته لتقبضوا رؤوس أموالكم منه إذا أيسر، **﴿إنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** موضع الفضل في الصدقة، وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دينه.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وأن تصدّقوا برؤوس أموالك على الغنيّ والفقير منهم خير لكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَإنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤوسُ أمْوَالِكُمْ﴾** والمال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤوس أموالهم حين نزلت هذه الآية؛ فأما الربح والفضل فليس لهم، ولا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيئاً. **﴿وأَنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾**. يقول وإن تصدقوا بأصل المال، خير لكم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن سعيد عن قتادة: **﴿وأَنْ تَصَدَّقُوا﴾** أي برأس المال فهو خير لكم.

وحدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم: **﴿وأَنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾** قال: من رؤوس أموالكم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم بمثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم: **﴿وأنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾** قال: أن تصدّقوا برؤوس أموالكم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وأن تصدقوا به على المعسر خير لكم؛ نحو ما قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿وأنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾** قال: وأن تصدّقوا برؤوس أموالكم على الفقير فهو خير لكم، فتصدّق به العباس.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿وَإنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ وأنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾** يقول: وإن تصدّقت عليه برأس مالك فهو خير لك.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحاك في قوله: **﴿وأنْ تَصَدَّقُوا خَير لَكم﴾** يعني على المعسر، فأما الموسر فلا، ولكن يؤخذ منه رأس المال، والمعسر الأخذ منه حلال والصدقة عليه أفضل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك: وأن تصدّقوا برؤوس أموالكم خير لكم من نظرة إلى ميسرة، فاختار الله عزّ وجلّ الصدقة على النّظارة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَإنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسرَةٍ، وأنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾** قال: من النظرة **﴿إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك: **﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسرَةٍ وأنْ تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُمْ﴾** والنظرة واجبة، وخير الله عزّ وجلّ الصدقة على النظرة، والصدقة لكل معسر؛ فأما الموسر فلا.

وأولى التأويلين بالصواب، تأويل من قال معناه: وأن تصدّقوا على المعسر برؤوس أموالكم خير لكم؛ لأنه يلي ذكر حكمه في المعنيين، وإلحاقه بالذي يليه أحبّ إليّ من إلحاقه بالذي بعد منه. وقد قيل: إن هذه الآيات في أحكام الربا هن آخر آيات نزلت من القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، وحدثني يعقوب، قال: ثنا

ابن علية، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب قال: كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن نبيّ الله ﷺ قُبض قبل أن يفسرها، فدعوا الربا والريبة.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر: أن عمر رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإنه والله ما أدري، لعلنا نأمركم بأمر لا يصلح لكم، وما أدري لعلنا ننهاكم عن أمر يصلح لكم؛ وإنه كان من آخر آيات القرآن تنزيلاً آيات الربا، فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يبينه لنا، فدعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم.

حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: ثنا قبيصة، قال: ثنا سفيان الثوري، عن عاصم، عن الأحول، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: آخر ما أنزل على رسول الله ﷺ آية الربا، وإنا لنأمر بالشيء لا ندري لعلّ به بأساً، وننهى عن الشيء لعله ليس به بأس.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾

وقيل: هذه الآية أيضاً آخر آية نزلت من القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت على النبيّ ﷺ: **﴿واتقُوا يَوماً تُرجَعُونَ فِيهِ إلى اللَّهِ﴾**.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَاتَّقُوا يَوماً تَرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللَّهِ﴾**... الآية، فهي آخر آية من الكتاب أنزلت.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا إسماعيل بن سهل بن عامر، قال: ثنا مالك بن مغول، عن عطية، قال: آخر آية نزلت: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمونَ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن السدي، قال: آخر آية نزلت **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللَّهِ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس وحجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: آخر آية نزلت من القرآن: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تَرْجَعُونَ فِيهِ إلى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾**.

قال ابن جريج: يقولون، إن النبيّ ﷺ مكث بعدها تسع ليال، وبدا[1] يوم السبت، ومات يوم الاثنين.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: ثني سعيد بن المسيب، أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدَّين.

يعني بذلك جل ثناؤه: واحذروا أيها الناس يوماً ترجعون فيه إلى الله فتلقونه فيه أن تردّوا عليه بسيئات تهلككم، أو بمخزيات تخزيكم، أو بفضيحات تفضحكم، فتهتك أستاركم، أو بموبقات توبقكم، فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قبل لكم به، وإنه يوم مجازاة الأعمال لا يوم استعتاب، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، توفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيىء وصالح، لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشرّ إلا أحضرت، فتوفى جزاءها بالعدل من ربها، وهم لا يظلمون. وكيف يظلم من جوزي بالإساءة مثلها وبالحسنة عشر أمثالها، كلا بل عدل عليك أيها المسيء، وتكرّم عليك فأفضل وأسبغ أيها المحسن، فاتقى امرؤ ربه فأخذ منه حذره وراقبه أن يهجم عليه يومه، وهو من الأوزار ظهره ثقيل، ومن صالحات الأعمال خفيف، فإنه عزّ وجلّ حذر فأعذر، ووعظ فأبلغ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾

---

(١) يريد أنه احتجب عن الناس لمرضه، ثم خرج لهم يوم السبت.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله﴿إِذَا تَدَايَنتُمْ﴾ يعني إذا تبايعتم بدين أو اشتريتم به، أو تعاطيتم، أو أخذتم به﴿إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول: إلى وقت معلوم وقّتموه بينكم. وقد يدخل في ذلك القرض والسلم في كل ما جاز. السلم شرى أُجّل بيعه يصير ديناً على بائع ما أسلم إليه فيه، ويحتمل بيع الحاضر الجائز بيعه[1] من الأملاك بالأثمان المؤجلة كل ذلك من الديون المؤجلة إلى أجل مسمًّى إذا كانت آجالها معلومة بحدّ موقوف عليه. وكان ابن عباس يقول: نزلت هذه الآية في السلم خاصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى الرملي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، قال: قال ابن عباس في: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ قال: السلم في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم.

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي، قال: ثنا يحيى بن الصامت، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن أبي حيان، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عباس: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ﴾ قال: نزلت في السلم في كيل معلوم إلى أجل معلوم.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا يزيد بن أبي الزرقاء، عن سفيان، عن أبي حيان، عن رجل، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى فاكْتُبُوهُ﴾ في السلم في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن محبب، قال: ثنا سفيان، عن أبي حيان التيمي، عن رجل، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ في السلف في الحنطة في كيل معلوم إلى أجل معلوم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن أبي حيان، عن ابن عباس، قال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى أن الله عزّ وجلّ قد أحله، وأذن فيه. ويتلو هذه الآية: ﴿إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

فإن قال قائل: وما وجه قوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ وقد دلّ بقوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُمْ﴾ عليه؟ وهل تكون مداينة بغير دين، فاحتيج إلى أن يقال بدين؟ قيل: إن العرب لما كان مقولاً عندها تداينا بمعنى تجازينا وبمعنى تعاطينا الأخذ والإعطاء بدين، أبان الله بقوله «بدين» المعنى الذي قصد تعريفه من قوله «تداينتم» حكمه، وأعلمهم أنه حكم الدين دون حكم المجازاة.

(١) في الأصل: شرى أحل بيعه.. الخ.

وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيد كقوله: ﴿فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ﴾. ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فاكتُبُوهُ﴾.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿فاكْتُبُوهُ﴾ فاكتبوا الدَّين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض.

واختلف أهل العلم في اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليه، هل هو واجب أو هو ندب؟ فقال بعضهم: هو حقّ واجب، وفرض لازم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مسَمًّى فاكْتُبُوهُ﴾ قال: من باع إلى أجل مسمى أمر أن يكتب صغيراً كان أو كبيراً إلى أجل مسمى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مَسَمًّى فاكْتُبُوهُ﴾ قال: فمن ادّان ديناً فليكتب، ومن باع فليشهد.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى فاكْتُبُوهُ﴾ فكان هذا واجباً.

وحدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله، وزاد فيه: قال: ثم قامت الرخصة والسعة. قال: ﴿فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن أبا سليمان المرعشي كان رجلاً صحب كعباً فقال ذات يوم لأصحابه: هل تعلمون مظلوماً دعا ربه فلم يستجب له؟ قالوا: وكيف يكون ذلك؟ قال: رجل باع شيئاً فلم يكتب ولم يُشهد، فلما حلّ ماله جحده صاحبه، فدعا ربه، فلم يستجب له، لأنه قد عصى ربه.

وقال آخرون: كان اكتتاب الكتاب بالدين فرضاً، فنسخه قوله: ﴿فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤدّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن شبرمة،

عن الشعبي، قال: لا بأس إذا أمنته أن لا تكتب، ولا تُشهِد؛ لقوله: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾. قال ابن عيينة: قال ابن شبرمة عن الشعبي: إلى هذا انتهى.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى فاكْتُبُوهُ**﴾ حتى بلغ هذا المكان: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ**﴾ قال: رخص في ذلك، فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عمرو، عن عاصم، عن الشعبي، قال: إن ائتمنه فلا يشهد عليه ولا يكتب.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال: فكانوا يرون أن هذه الآية: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ نسخت ما قبلها من الكتابة والشهود رخصة ورحمة من الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال غير عطاء: نسخت الكتاب والشهادة: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: نسخ ذلك قوله: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ**﴾ قال: فلولا هذا الحرف لم يبح لأحد أن يدّان بدين إلا بكتاب وشهداء، أو برهن، فلما جاءت هذه نسخت هذا كله، صار إلى الأمانة.

حدثني المثنى، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن سليمان التيمي، قال: سألت الحسن قلت: كل من باع بيعاً ينبغي له أن يُشهد؟ قال: ألم تر أن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿**فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ**﴾.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر في هذه الآية: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾ حتى بلغ هذا المكان: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ**﴾ قال: رخص في ذلك، فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن الشعبي في قوله: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ قال: إن أشهدت فحزم، وإن لم تشهد ففي حلّ وسعة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: قلت للشعبي: أرأيت الرجل يستدين من الرجل الشيء، أحتم عليه أن يشهد؟ قال: فقرأ إلى قوله: ﴿**فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ قد نسخ ما كان قبله.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا محمد بن مروان العقيلي، قال: ثنا عبد الملك بن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، أنه قرأ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ قال: فقرأ إلى: ﴿فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ قال: هذه نسخت ما قبلها.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْلِ وَلا يأبَ كَاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿ولْيَكْتُبْ﴾ كتاب الدين إلى أجل مسمى بين الدائن والمدين﴿كاتِبٌ بالعَدْلِ﴾ يعني بالحق والإنصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما، بما لا يحيف ذا الحقّ حقه، ولا يبخسه، ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل، ولا يلزمه ما ليس عليه. كما:

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْلِ﴾ قال: اتقى الله كاتب في كتابه، فلا يدعنّ منه حقاً، ولا يزيدنّ فيه باطلاً.

وأما قوله: ﴿وَلا يَأبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ فإنه يعني: ولا يأبينّ كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين، كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك، وحرمه كثيراً من خلقه.

وقد اختلف أهل العلم في وجوب الكتاب على الكاتب إذا استكتب ذلك نظير اختلافهم في وجوب الكتاب على الذي له الحقّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلا يَأبَ كاتِبٌ﴾ قال: واجب على الكاتب أن يكتب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء قوله: ﴿وَلا يأْبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ﴾ أواجب أن لا يأبى أن يكتب؟ قال: نعم. قال ابن جريج وقال مجاهد: واجب على الكاتب أن يكتب.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وَلا يَأبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ بمثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر وعطاء قوله: ﴿وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ قالا: إذا لم يجدوا كاتباً فدعيت فلا تأب أن تكتب لهم.

ذكر من قال هي منسوخة. قد ذكرنا جماعة ممن قال: كل ما في هذه الآية من الأمر بالكتابة والإشهاد والرهن منسوخ بالآية التي في آخرها، وأذكر قول من تركنا ذكره هنالك ببعض المعاني:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿وَلاَ يَأْبَ كاتِبٌ﴾** قال: كانت عزيمة فنسختها: **﴿وَلا يُضَارَّ كاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بالعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾** فكان هذا واجباً على الكتّاب.

وقال آخرون: هو على الوجوب، ولكنه واجب على الكاتب في حال فراغه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: **﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾** يقول: لا يأب كاتب أن يكتب إن كان فارغاً.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عزّ وجلّ أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهم، وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهم بالعدل، وأمر الله فرض لازم، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندب. ولا دلالة تدلّ على أن أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب في ذلك، وأن تقدمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك ندب وإرشاد، فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه، ومن ضيعه منهم كانَ حَرِجاً بتضييعه.

ولا وجه لاعتلال من اعتلّ بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله: **﴿فإنْ أمِنَ بَعْضُكُم بَعضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ﴾** لأن ذلك إنما أذن الله تعالى ذكره به، حيث لا سبيل إلى الكتاب، أو إلى الكاتب فأما والكتاب والكاتب موجودان، فالفرض إذا كان الدَّين إلى أجل مسمى ما أمر الله تعالى ذكره به في قوله: **﴿فاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بالعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كما عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾**. وإنما يكون الناسخ ما لم يجز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ في حال واحدة على السبيل التي قد بيناها، فأما ما كان أحدهما غير ناف حكم الآخر، فليس من الناسخ والمنسوخ في شيء.

ولو وجب أن يكون قوله: **﴿وَإنْ كُنْتُمْ على سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فإنْ أمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أمانَتَهُ﴾** ناسخاً قوله: **﴿إذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمًّى فاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كما عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾**، لوجب أن يكون قوله: **﴿وَإنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أوْ عَلى سَفَرٍ أوْ جاءَ أحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغائِطِ أوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءًا فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾** ناسخاً الوضوء بالماء في الحضر عند وجود الماء فيه، وفي السفر الذي فرضه الله عزّ وجلّ بقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ فاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأيْدِيَكُمْ**

إلى المَرَافِقِ﴾ وأن يكون قوله في كفارة الظهار: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ ناسخاً قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا﴾. فيسأل القائل إن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ﴾ ناسخ قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ ما الفرق بينه وبين القائل في التيمم وما ذكرنا قوله، فزعم أن كل ما أبيح في حال الضرورة لعلة الضرورة ناسخ حكمه في حال الضرورة حكمه في كل أحواله، نظير قوله في أن الأمر باكتتاب كتب الديون والحقوق منسوخ بقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ فإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ﴾؟

فإن قال: الفرق بيني وبينه أن قوله: ﴿فإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ كلام منقطع عن قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ على سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ وقد انتهى الحكم في السفر إذا عدم فيه الكاتب بقوله: ﴿فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾. وإنما عنى بقوله: ﴿فإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى، فأمن بعضكم بعضاً، فليؤد الذي اؤتمن أمانته. قيل له: وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس وقد انقضى الحكم في الدين الذي فيه إلى الكاتب والكتاب سبيل بقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟ وأما الذين زعموا أن قوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ وقوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ﴾ على وجه الندب والإرشاد، فإنهم يسألون البرهان على دعواهم في ذلك، ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجلّ الذي أمر في كتابه، ويسألون الفرق بين ما ادّعوا في ذلك وأنكروه في غيره، فلن يقولوا في شيء من ذلك قولاً إلا ألزموا بالآخر مثله.

ذكر من قال العدل في قوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بالعَدْلِ﴾ الحقّ[1].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾.

يعني بذلك: فليكتب الكاتب، وليملل الذي عليه الحقُّ، وهو الغريم المدين. يقول: ليتولّ المدين إملال كتاب ما عليه من دين ربّ المال على الكاتب، وليتّق الله ربه المملي الذي عليه الحقّ، فليحذر عقابه في بخس الذي له الحقّ من حقه شيئاً، أن ينقصه منه ظلماً، أو يذهب به منه تعدياً، فيؤخذ به حيث لا يقدر على قضائه إلا من حسناته، أو أن يتحمل من سيئاته. كما:

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ﴾ فكان هذا واجباً، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ يقول: لا يظلم منه شيئاً.

---

(١) كذا في النسخ، ولم يذكر أحداً ممن قال بهذا.

حدثني ونس، قل: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾** قال: لا ينقص من حقّ هذا الرجل شيئاً إذا أملى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾. يعني بقوله جل ثناؤه: **﴿فإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً﴾** فإن كان المدين الذي عليه المال سفيهاً، يعني جاهلاً بالصواب في الذي عليه أن يمله على الكاتب. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿فإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً﴾** أما السفيه: فالجاهل بالإملاء والأمور.

وقال آخرون: بل السفيه في هذا الموضع الذي عناه الله: الطفل الصغير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿فإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً﴾** أما السفيه: فهو الصغير.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: **﴿فإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً﴾** قال: هو الصبيّ الصغير، **﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾**.

وأولى التأويلين بالآية، تأويل من قال: السفيه في هذا الموضع: الجاهل بالإملاء وموضع صواب ذلك من خطئه، لما قد بينا قبل من أن معنى السفه في كلام العرب: الجهل.

وقد يدخل في قوله: **﴿فإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً﴾** كل جاهل بصواب ما يملّ من خطئه من صغير وكبير، وذكر وأنثى. غير أن الذي هو أولى بظاهر الآية أن يكون مراداً بها كل جاهل بموضع خطأ ما يمل وصوابه من بالغي الرجال الذين لا يولى عليهم، والنساء؛ لأنه أجل ذكره ابتدأ الآية بقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾** والصبيّ ومن يولى عليه لا يجوز مداينته، وأن الله عزّ وجلّ قد استثنى من الذين أمرهم بإملال كتاب الدين مع السفيه الضعيف ومن لا يستطيع إملاله، ففي فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه ومن لا يستطيع إملاء الكتاب في الصفة التي وصف بها كل واحد منهم ما أنبأ عن أن كل واحد من الأصناف الثلاثة الذين بين الله صفاتهم غير الصنفين الآخرين. وإذا كان ذلك كذلك، كان معلوماً أن الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوّة على الإملال، غير أنه وضع عنه فرض الإملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه، وأن الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن إملاله وإن كان شديداً رشيداً إما لعيّ لسانه أو خرس به، وأن الموصوف بأنه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع من

إملاله، إما بالحبس الذي لا يقدر معه على حضور الكاتب الذي يكتب الكتاب فيمل عليه، وإما لغيبته عن موضع الإملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن إملال الكتاب. فوضع الله عنهم فرض إملال ذلك للعلل التي وصفنا إذا كانت بهم، وعذرهم بترك الإملال من أجلها، وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولي الحقّ بإملاله فقال: **﴿فإنْ كانَ الَّذي عَلَيهِ الحَقُّ سَفِيهاً أوْ ضَعِيفاً أوْ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾** يعني وليّ الحقّ.

ولا وجه لقول من زعم أن السفيه في هذا الموضع هو الصغير، وأن الضعيف هو الكبير الأحمق؛ لأن ذلك إن كان كما قال يوجب أن يكون قوله: **﴿أوْ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُمِلَّ هُوَ﴾** هو العاجز من الرجال العقلاء الجائزي الأمر في أموالهم وأنفسهم عن الإملال، إما لعلّةٍ بلسانه من خرس أو غيره من العلل، وإما لغيبته عن موضع الكتاب. وإذا كان ذلك كذلك معناه، بطل معنى قوله: **﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾** لأن العاقل الرشيد لا يولّى عليه في ماله وإن كان أخرس أو غائباً، ولا يجوز حكم أحد في ماله إلا بأمره. وفي صحة معنى ذلك ما يقضي على فساد قول من زعم أن السفيه في هذا الموضع هو الطفل الصغير أو الكبير الأحمق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿فإنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أوْ ضَعِيفاً أوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾** يقول: وليّ الحق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿فإنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أوْ ضَعِيفاً أو لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾** قال: يقول: إن كان عجز عن ذلك أملّ صاحب الدين بالعدل.

ذكر الرواية عمن قال: عنى بالضعيف في هذا الموضع: الأحمق. وبقوله: **﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾** وليّ السفيه والضعيف.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿فإنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أوْ ضَعِيفاً أوْ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يُمِلَّ هُوَ﴾** قال: أمر وليّ السفيه أو الضعيف أن يملّ بالعدل.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما الضعيف، فهو الأحمق.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أما الضعيف فالأحمق.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: **﴿فإنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أوْ ضَعِيفاً﴾** لا يعرف فيثبت لهذا حقه ويجهل ذلك، فوليه بمنزلته حتى يضع لهذا حقه.

وقد دللنا على أولى التأويلين بالصواب في ذلك. وأما قوله: **﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالعَدْلِ﴾** فإنه يعني بالحقّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: واستشهدوا على حقوقكم شاهدين، يقال: فلان شهيدي على هذا المال وشاهدي عليه. وأما قوله: **﴿مِنْ رِجالِكُمْ﴾** فإنه يعني من أحراركم المسلمين دون عبيدكم، ودون أحراركم الكفار. كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِجالِكُمْ﴾** قال: الأحرار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا علي بن سعيد، عن هشيم، عن داود بن أبي هند، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿فإنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: فإن لم يكونا رجلين، فليكن رجل وامرأتان على الشهادة. ورفع الرجل والمرأتان بالرد على الكون، وإن شئت قلت: فإن لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان على ذلك، وإن شئت: فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه؛ وإن قلت: فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كان صواباً كل ذلك جائز، ولو كان فرجل وامرأتان نصباً كان جائزاً على تأويل: فإن لم يكونا رجلين، فاستشهدوا رجلاً وامرأتين. وقوله: **﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾** يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: **﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ﴾** يقول في الدين، **﴿فَإنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأتانِ﴾** وذلك في الدين ممن ترضون من الشهداء. يقول: عدول.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أمر الله عز وجل أن يشهدوا ذوي عدل من رجالهم، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾.

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ بفتح الألف من «أن» ونصب «تضل» و «تذكّر»، بمعنى: فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت. وهو عندهم من المقدّم الذي معناه التأخير؛ لأن التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان تضل، لأن المعنى ما وصفنا في قولهم. وقالوا: إنما نصبنا «تذكر»، لأن الجزاء لما تقدم اتصل بما قبله فصار جوابه مردوداً عليه، كما تقول في الكلام: إنه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطَى، بمعنى أنه ليعجبني أن يعطى السائل إن سأل أو إذا سأل، فالذي يعجبك هو الإعطاء دون المسألة. ولكن قوله «أن يسأل» لما تقدم اتصل بما قبله، وهو قوله: «ليعجبني» فتح «أن» ونصب بها، ثم أتبع ذلك قوله: «يُعْطَى»، فنصبه بنصب قوله: «ليعجبني أن يسأل»، نسقاً عليه، وإن كان في معنى الجزاء.

وقرأ ذلك آخرون كذلك، غير أنهم كانوا يقرؤونه بتسكين الذال من «تُذْكِرَ» وتخفيف كافها. وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم في تأويل قراءتهم إياه كذلك. وكان بعضهم يوجهه إلى أن معناه: فتصير إحداهما الأخرى ذكراً باجتماعهما، بمعنى أن شهادتها إذا اجتمعت وشهادة صاحبتها جازت، كما تجوز شهادة الواحد من الذكور في الدين، لأن شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون إلا باجتماع اثنتين على شهادة واحد، فتصير شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور. فكأن كل واحدة منهما في قول متأولي ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتها معها ذكراً؛ وذهب إلى قول العرب: لقد أذكرت بفلان أمُّه، أي ولدته ذكراً، فهي تُذْكِرُ به، وهي امرأة مذكرة إذا كانت تلد الذكور من الأولاد. وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة أنه كان يقوله.

حدثت بذلك عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال: حُدثت عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس تأويل قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ من الذِّكرِ بعد النسيان إنما هو من الذَّكَر، بمعنى أنها إذا شهدت مع الأخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر.

وكان آخرون منهم يوجهونه إلى أنه بمعنى الذكر بعد النسيان.

وقرأ ذلك آخرون: «إنْ تَضِلَّ إحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرُ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى» بكسر «إن» من قوله: «إنْ تَضِلَّ» ورفع «تُذَكِّرُ» وتشديده. كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان، إن نسيت إحداهما شهادتهما تذكرها الأخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك، وانقطاع ذلك عما قبله.

ومعنى الكلام عند قارىء ذلك كذلك: واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، فإن إحداهما إن ضلت ذكرتها الأخرى؛ على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداهما شهادتها من تذكير الأخرى منهما صاحبتها الناسية. وهذه قراءة كان الأعمش يقرؤها ومن أخذها عنه. وإنما نصب الأعمش «تضلّ» لأنها في محل جزم بحرف الجزاء، وهو «إنْ». وتأويل الكلام على قراءته: إن تَضْلِلْ، فلما اندغمت إحدى اللامين في الأخرى حركها إلى أخفّ الحركات ورفع «تذكر» بالفاء، لأنه جواب الجزاء.

والصواب من القراءة عندنا في ذلك قراءة من قرأه بفتح «أن» من قوله: ﴿**أنْ تَضِلَّ إحْدَاهُمَا**﴾ وبتشديد الكاف من قوله: ﴿**فَتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾ ونصب الراء منه، بمعنى: فإن لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان كي إن ضلت إحداهما ذكرتها الأخرى. وأما نصب «فتذكر» فبالعطف على «تضلّ»، وفتحت «أن» بحلولها محل «كي»، وهي في موضع جزاء، والجواب بعده اكتفاءً بفتحها، أعني بفتح «أن» من «كي» ونسق الثاني، أعني «فتذكر» على «تضلّ»، ليعلم أن الذي قام مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر قد دلّ عليه وأدّى عن معناه وعمله، أي عن «كي». وإنما اخترنا ذلك في القراءة لإجماع الحجة من قدماء القراء والمتأخرين على ذلك، وانفراد الأعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم، ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم إلى غيرها. وأما اختيارنا «فتذكِّر» بتشديد الكاف، فإنه بمعنى تأدية الذكر من إحداهما على الأخرى وتعريفها بإنهاء ذلك لتذكر، فالتشديد به أولى من التخفيف.

وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه، فتأويل خطأ لا معنى له لوجوه شتى: أحدها: أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل. والثاني: أنه معلوم بأن ضلال إحدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها إنما هو خطوها عنها بنسيانها إياها كضلال الرجل في دينه إذا تحير فيه، فعدل عن الحقّ، وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكراً معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها؟ فالضالة منهما في شهادتها حينئذ لا شك أنها إلى التذكير أحوج منها إلى الإذكار، إلا إن أراد أن الذاكرة إذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها ستجرئها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته، فقوّتها بالذكر حتى صيرتها كالرجل في قوّتها في ذكر ما ضعفت عن

ذكره من ذلك، كما يقال للشيء القويّ في عمله: ذكر، وكما يقال للسيف الماضي في ضربه: سيف ذكر، ورجل ذكر، يراد به ماض في عمله، قويّ البطش، صحيح العزم. فإن كان ابن عيينة هذا أراد، فهو مذهب من مذاهب تأويل ذلك؟ إلا أنه إذا تأوّل ذلك كذلك، صار تأويله إلى نحو تأويلنا الذي تأوّلناه فيه، وإن خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها بأن تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذي اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله: فتذكر، ولا نعلم أحداً تأوّل ذلك كذلك، ويستحبّ قراءته كذلك بذلك المعنى. فالصواب في قوله إذ كان الأمر عاماً على ما وصفنا ما اخترنا.

ذكر من تأوّل قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ نحو تأويلنا الذي قلنا فيه:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إحداهما فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾** علم الله أن ستكون حقوق، فأخذ لبعضهم من بعض الثقة، فخذوا بثقة الله، فإنه أطوع لربكم، وأدرك لأموالكم. ولعمري لئن كان تقياً لا يزيده الكتاب إلا خيراً، وإن كان فاجراً فبالحَرِي أن يؤدي إذا علم أن عليه شهوداً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾** يقول: أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾** يقول: تنسى إحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُما﴾** يقول: إن تنس إحداهما، تذكرها الأخرى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُما الأُخْرَى﴾** قال: كلاهما لغة وهما سواء، ونحن نقرأ: **﴿فَتُذَكِّرَ﴾**.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا ما دُعُوا﴾.

اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله الشهداء عن إباء الإجابة إذا دعوا بهذه الآية، فقال بعضهم: معناه: لا يأب الشهداء أن يجيبوا إذا دعوا ليشهدوا على الكتاب والحقوق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَأْبَ الشهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾ كان الرجل يطوف في الحِوَاء[1] العظيم فيه القوم، فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم. قال: وكان قتادة يتأوّل هذه الآية: ﴿**ولا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إذا ما دعُوا**﴾ ليشهدوا لرجل على رجل.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾ قال: كان الرجل يطوف في القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا، فلا يتبعه أحد منهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾ قال: لا تأب أن تشهد إذا ما دعيت إلى شهادة.

وقال آخرون بمثل معنى هؤلاء، إلا أنهم قالوا: يجب فرض ذلك على من دُعي للإشهاد على الحقوق إذا لم يوجد غيره، فأما إذا وجد غيره فهو في الإجابة إلى ذلك مخير إن شاء أجاب وإن شاء لم يجب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، قال: ﴿**لاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾ قال: إن شاء شهد، وإن شاء لم يشهد، فإذا لم يوجد غيره شهد.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا للشهادة على من أراد الداعي إشهاده عليه، والقيام بما عنده من الشهادة من الإجابة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو عامر، عن الحسن: ﴿**وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾ قال: قال الحسن: الإقامة والشهادة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر في قوله: ﴿**وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**﴾ قال: كان الحسن يقول: جمعت أمرين لا تأب إذا كانت عندك: شهادة أن تشهد، ولا تأب إذا دعيت إلى شهادة.

---

(١) الحواء بوزن كتاب: بيوت مجتمعة من الناس على ماء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ يعني من احتيج إليه من المسلمين شهد على شهادة إن كانت عنده، ولا يحلّ له أن يأبى إذا ما دعي.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن يونس، عن الحسن: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: لإقامتها، ولا يأب بها[1] إذا دعاه ليشهده، وإذا دعاه ليقيمها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا للقيام بالشهادة التي عندهم للداعي من إجابته إلى القيام بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: إذا شهد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: إذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ يقول: إذا كانوا قد أشهدوا.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: إذا كانت عندك شهادة فدعيت.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ليث، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دَعُوا﴾ قال: إذا كانت شهادة فأقمها، فإذا دعيت لتشهد، فإن شئت فاذهب، وإن شئت فلا تذهب.

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا عبد الملك بن الصباح، عن عمران بن حدير، قال: قلت لأبي مجلز: ناس يدعونني لأشهد بينهم، وأنا أكره أن أشهد بينهم؟ قال: دع ما تكره، فإذا شهدت فأجب إذا دعيت.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن عامر، قال: الشاهد بالخيار ما لم يشهد.

(١) أي لا ينبغي إذا دعي للشهادة أن يلفظ بالبذاء وهو فحش القول الدال على كراهيته الشهادة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا هشيم، عن يونس، عن عكرمة في قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: لإقامة الشهادة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن أبي عامر، عن عطاء قال: في إقامة الشهادة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا أبو عامر المزني، قال: سمعت عطاء يقول: ذلك في إقامة الشهادة، يعني قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو حرّة، أخبرنا عن الحسن أنه سأله سائل قال: أدعىٰ إلى الشهادة وأنا أكره أن أشهد عليها؟ قال: فلا تجب إن شئت.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، قال: سألت إبراهيم قلت: أدعى إلى الشهادة وأنا أخاف أن أنسى؟ قال: فلا تشهد إن شئت.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبو عامر، عن عطاء، قال: للإقامة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: إذا كانوا قد شهدوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: هو الذي عنده الشهادة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ يقول: لا يأب الشاهد أن يتقدم فيشهد إذا كان فارغاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾؟ قال: هم الذين قد شهدوا. قال: ولا يضرّ إنساناً أن يأبى أن يشهد إن شاء. قلت لعطاء: ما شأنه؟ إذا دعي أن يكتب وجب عليه أن لا يأبى، وإذا دعي أن يشهد لم يجب عليه أن يشهد إن شاء؟ قال: كذلك يجب على الكاتب أن يكتب، ولا يجب على الشاهد أن يشهد إن شاء؛ الشهداء كثير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: إذا شهد فلا يأب إذا دُعي أن يأتي يؤدي شهادة ويقيمها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ﴾ قال: كان الحسن يتأوّلها إذا كانت عنده شهادة دعي ليقيمها.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: إذا كتب الرجل شهادته، أو أشهد لرجل فشهد، والكاتب الذي يكتب الكتاب؛ دُعوا إلى مقطع الحقّ، فعليهم أن يجيبوا، وأن يشهدوا بما أشهدوا عليه.

وقال آخرون: هو أمر من الله عزّ وجلّ والمرأة بالإجابة إذا دعي ليشهد على ما لم يشهد عليه من الحقوق ابتداء لا إقامة الشهادة، ولكنه أمر ندب لا فرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو العالية العبدي إسماعيل بن الهيثم، قال: ثنا أبو قتيبة، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي في قوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: أمرت أن تشهد، فإن شئت فاشهد، وإن شئت فلا تشهد.

حدثني أبو العالية، قال: ثنا أبو قتيبة، عن محمد بن ثابت العصري، عن عطاء، بمثله.

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يأب الشهداء من الإجابة إذا دعوا لإقامة الشهادة وأدائها عند ذي سلطان أو حاكم يأخذ من الذي عليه ما عليه للذي هو له.

وإنما قلنا هذا القول بالصواب أولى في ذلك من سائر الأقوال غيره، لأن الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ فإنما أمرهم بالإجابة للدعاء للشهادة وقد ألزمهم اسم الشهداء، وغير جائز أن يلزمهم اسم الشهداء إلا وقد استشهدوا قبل ذلك، فشهدوا على ما ألزمهم شهادتهم عليه اسم الشهداء، فأما قبل أن يستشهدوا على شيء فغير جائز أن يقال لهم شهداء، لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما يستشهدوا على شيء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم لم يكن على الأرض أحد له عقل صحيح إلا وهو مستحقّ أن يقال له شاهد، بمعنى أنه سيشهد، أو أنه يصلح لأن يشهد، وإن كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم إلا من عنده شهادة لغيره، أو من قد قام بشهادته، فلزمه لذلك هذا الاسم؛ كان معلوماً أن المعنيّ بقوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ من وصفنا صفته ممن قد استرعى شهادة أو شهد، فدعي إلى القيام بها، لأن الذي لم يستشهد ولم يسترع شهادة قبل الإشهاد غير مستحقّ اسم شهيد ولا شاهد، لما قد وصفنا قبل. مع أن في دخول الألف واللام في «الشهداء» دلالة واضحة على أن المسمى بالنهي عن ترك الإجابة للشهادة أشخاص معلومون قد عرفوا بالشهادة، وأنهم الذين أمر الله عزّ وجل أهل الحقوق باستشهادهم بقوله: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾. وإذا كان ذلك كذلك، كان معلوماً أنهم إنما أمروا بإجابة داعيهم لإقامة شهادتهم بعد

ما استشهدوا فشهدوا؛ ولو كان ذلك أمراً لمن أعرض من الناس فدعي إلى الشهادة يشهد عليها لقيل: ولا يأب شاهد إذا ما دعي. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الذي نقول به في الذي يدعى لشهادة ليشهد عليها إذا كان بموضع ليس به سواه ممن يصلح للشهادة، فإن الفرض عليه إجابة داعيه إليها كما فرض على الكاتب إذا استكتب بموضع لا كاتب به سواه، ففرض عليه أن يكتب، كما فرض على من كان بموضع لا أحد به سواه يعرف الإيمان وشرائع الإسلام، فحضره جاهل بالإيمان وبفرائض الله فسأله تعليمه، وبيان ذلك له أن يعلمه ويبينه له. ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الإجابة للشهادة إذا دعي ابتداء ليشهد على ما أشهد عليه بهذه الآية، ولكن بأدلة سواها، وهي ما ذكرنا. وقد فرضنا على الرجل إحياء ما قدر على إحيائه من حقّ أخيه المسلم. والشهداء: جمع شهيد.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إلى أَجَلِهِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: ولا تسأموا أيها الذين تداينون الناس إلى أجل أن تكتبوا صغير الحقّ، يعني قليله أو كبيره. يعني أو كثيره. ﴿إلى أَجَلِهِ﴾، إلى أجل الحقّ، فإن الكتاب أحصى للأجل والمال.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شريك عن ليث، عن مجاهد: ﴿وَلاَ تَسأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إلى أَجَلِهِ﴾ قال: هو الدين.

ومعنى قوله: ﴿وَلا تَسأَمُوا﴾ لا تملوا، يقال منه: سئمت فأنا أسأم سآمة وسأمةً، ومنه قول لبيد:

ولقد سَئِمْتُ من الحياة وطُولِهَا وسؤالِ هذا الناس: كيف لَبيدُ[1]

ومنه قول زهير:

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ثمانينَ حَوْلاً لا أبا لَكَ يَسْأَمِ[2]

يعني مللت.

---

(١) قال في «اللسان»: سئم الشيء وسئم منه يسأم سأماً وسأمة (بالتسكين) وسآما وسآمة: مل. والناس: قال سيبويه: الأصل قال الناس: الأناس مخففاً، فجعلوا الألف واللام عوضاً من الهمزة، وقد قالوا: الأناس، قال الشاعر:

إن المنايا يطَّلعْن على الأناس الآمنينا

والناس: اسم جمع ليس له واحد من لفظه، ولذلك قال في الإشارة إليه هذا، ويجوز أن تقول في الكلام: هذا الناس وهؤلاء الناس.

(٢) هذا البيت من معلقة زهير مختار الشعر الجاهلي (ص ـ ٢٣٣). والتكاليف: المشقات والشدائد.

وقال بعض نحويي البصريين: تأويل قوله: ﴿إلى أجَلِهِ﴾ إلى أجل الشاهد، ومعناه: إلى الأجل الذي تجوز شهادته فيه. وقد بينا القول فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ذلكم اكتتاب كتاب الدَّين إلى أجله، ويعني بقوله أقسط: أعدل عند الله، يقال منه: أقسط الحاكم فهو يقسط إقساطاً وهو مقسط، إذا عدل في حكمه، وأصاب الحقّ فيه، فإذا جار قيل: قسط فهو يَقْسِط قُسُوطاً، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿وأمَّا القاسِطُونَ فكانُوا لجَهَنَّمَ حَطَباً﴾ يعني الجائرون.

وبمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿ذَلِكُمْ أقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول: أعدل عند الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأقْوَمُ للشَّهادَةِ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وأصوب للشهادة. وأصله من قول القائل: أقمته من عَوَجه، إذا سويته فاستوى. وإنما كان الكتاب أعدل عند الله وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه، لأنه يحوي الألفاظ التي أقرّ بها البائع والمشتري وربّ الدين والمستدين على نفسه، فلا يقع بين الشهود اختلاف في ألفاظهم بشهادتهم لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب، وإذا اجتمعت شهادتهم على ذلك، كان فصل الحكم بينهم أبين لمن احتكم إليه من الحكام، مع غير ذلك من الأسباب، وهو أعدل عند الله، لأنه قد أمر به، واتباع أمر الله لا شك أنه عند الله أقسط وأعدل من تركه والانحراف عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأدْنَى أنْ لا تَرْتَابُوا﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وأدْنَى﴾ وأقرب، من الدنوّ: وهو القرب. ويعني بقوله: ﴿أنْ لا تَرْتَابُوا﴾ من أن لا تشكوا في الشهادة. كما:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿ذَلِكَ أدْنَى أنْ لا تَرْتَابُوا﴾ يقول: أن لا تشكوا في الشهادة.

وهو تفتعل من الرِّيبة. ومعنى الكلام: ولا تملوا أيها القوم أن تكتبوا الحقّ الذي لكم قِبَل من داينتموه من الناس إلى أجل صغيراً كان ذلك الحقّ، قليلاً أو كثيراً، فإن كتابكم ذلك أعدل

عند الله وأصوب لشهادة شهودكم عليه، وأقرب لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحقّ والأجل إذا كان مكتوباً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ لا تَكْتُبُوها﴾.

ثم استثنى جل ذكره مما نهاهم عنه أن يسأموه من اكتتاب كتب حقوقهم على غرمائهم بالحقوب التي لهم عليهم، ما وجب لهم قِبَلهم من حقّ عن مبايعة بالنقود الحاضرة يداً بيد، فرخص لهم في ترك اكتتاب الكتب بذلك؛ لأن كل واحد منهم، أعني من الباعة والمشترين، يقبض. إذا كان الواجب بينهم فيما يتبايعونه نقداً. ما وجب له قِبَل مبايعيه قبل المفارقة، فلا حاجة لهم في ذلك إلى اكتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتاباً بما وجب لهم قِبَلهم وقد تقابضوا الواجب لهم عليهم، فلذلك قال تعالى ذكره: **﴿إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حَاضِرَةً تُدِيرونَها بَينَكُمْ﴾** لا أجل فيها ولا تأخير ولا نساء، **﴿فَلَيسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ لا تَكْتُبوهَا﴾** يقول: فلا حرج عليكم أن لا تكتبوها، يعني التجارة الحاضرة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: **﴿إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تَدِيرُونَها بَيْنَكُمْ﴾** يقول: معكم بالبلد ترونها فتؤخذ وتعطى، فليس على هؤلاء جناح أن لا يكتبوها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿وَلا تَسأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إلى أَجَلِهِ﴾** إلى قوله: **﴿فَلَيسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ لا تَكْتُبُوهَا﴾** قال: أمر الله أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله، وأمر ما كان يداً بيد أن يشهد عليه صغيراً كان أو كبيراً ورخص لهم أن لا يكتبوه.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق وعامة القرّاء: «إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ حاضِرَةٌ» بالرفع، وانفرد بعض قرّاء الكوفيين فقرأه بالنصب. وذلك وإن كان جائزاً في العربية، إذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع «كان»، وتضمر معها في «كان» مجهولاً، فتقول: إن كان طعاماً طيباً فأتنا به، وترفعها فتقول: إن كان طعام طيب فأتنا به، فتتبع النكرة خبرها بمثل إعرابها. فإن الذي أختار من القراءة، ثم لا أستجيز القراءة بغيره، الرفع في «التجارة الحاضرة»، لإجماع القرّاء على ذلك، وشذوذ من قرأ ذلك نصباً عنهم، ولا يعترض بالشاذ على الحجة. ومما جاء نصباً قول الشاعر:

أَعَيْنَيَّ هَلْ تَبْكِيَانِ عِفَاقَا إِذَا كَانَ طَعْناً بينَهُمْ وَعِنَاقَا[١]

وقول الآخر:

ولِلَّهِ قَوْمِي أَيُّ قَوْمٍ لِحُرَّةٍ إِذَا كَانَ يوماً ذا كَواكِبَ أَشْنَعَا[٢]

وإنما تفعل العرب ذلك في النكرات لما وصفنا من إتباع أخبار النكرات أسماءها، وكان من حكمها أن يكون معها مرفوع ومنصوب، فإذا رفعوهما جميعهما تذكروا إتباع النكرة خبرها، وإذا نصبوهما تذكروا صحبة «كان» لمنصوب ومرفوع، ووجدوا النكرة يتبعها خبرها، وأضمروا في كان مجهولاً لاحتمالها الضمير. وقد ظنّ بعض الناس أن من قرأ ذلك: ﴿**إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حاضِرَةً**﴾ إنما قرأه على معنى: إلا أن يكون تجارة حاضرة، فزعم أنه كان يلزم قارىء ذلك أن يقرأ «يكون» بالياء، وأغفل موضع صواب قراءته من جهة الإعراب، وألزمه غير ما يلزمه. وذلك أن العرب إذا جعلوا مع كان نكرة مؤنثاً بنعتها أو خبرها، أنثوا «كان» مرّة وذكّروها أخرى، فقالوا: إن كانت جارية صغيرة فاشتروها، وإن كان جارية صغيرة فاشتروها، تذكر «كان» وإن نصبت النكرة المنعوتة أو رفعت أحياناً وتؤنث أحياناً.

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله: «إلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةٌ حاضِرَةٌ» مرفوعة فيه التجارة الحاضرة لأن يكون بمعنى التمام، ولا حاجة بها إلى الخبر، بمعنى: إلا أن توجد أو تقع أو تحدث، فألزم نفسه ما لم يكن لها لازماً، لأنه إنما ألزم نفسه ذلك إذا لم يكن يجد لكان منصوباً، ووجد التجارة الحاضرة مرفوعة، وأغفل جواز قوله: ﴿**تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ**﴾ أن يكون خبراً لكان، فيستغني بذلك عن إلزام نفسه ما ألزم. والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطأ في

---

(١) في «اللسان»: (عفق) اسم رجل أكلته باهلة في قحط أصابهم. وهو عفاق بن مليك، ويقال ابن أبي مليك، وهو عبد الله بن الحارث بن عاصم. وكان بسطام بن قيس أغار على بني يربوع فقتل عفاقاً وقتل بجيراً أخاه بعد قتله عفاقاً في العام الأول، وأسر أباهما أبا مليك ثم أعتقه.

قال ابن بري: ويقوي قول من قال إن باهلة أكلته قول الراجز:

إن عفاقاً أكلته باهلة تمششوا عظامه وكاهله

والعناق: معانقة الرجل قرنه في الحرب، وهو بعد الطعن بالرمح، والضرب بالسيف، ثم العناق، فأيهما صدع صاحبه ذبحه بسيفه أو بخنجره. والبيت من شواهد الفراء في تفسيره «**معاني القرآن**».

(٢) الأشنع: القبيح. واسم كان ضمير يعود على مفهوم من المقام وهو اليوم، أي إذا كان اليوم يوماً. يعجب من شدة قومهم وحسن بلائهم في الحروب. وقد جاء في الكتاب لسيبويه (١/ ٢٢) بيت يتفق مع هذا البيت في عجزه، فأما صدره فهو: «بني أسد هل تعلمون بلاءنا». وهذا البيت لعمرو بن شاس. واستشهد الزمخشري في «**الكشاف**» ببيت ابن شاس، لمثل ما استشهد به المؤلف. وفي سيبويه (١/ ٢١) آخر لمقاس العائذي، وهو:

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

العربية، غير أن الذي قلنا بكلام العرب أشبه، وفي المعنى أصحّ، وهو أن يكون في قوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ وجهان: أحدهما أنه في موضع نصب على أنه حلّ محل خبر «كان»، والتجارة الحاضرة اسمها. والآخر: أنه في موضع رفع على إتباع التجارة الحاضرة، لأن خبر النكرة يتبعها، فيكون تأويله: إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم، عاجل ذلك وآجله، ونقده ونَسيئه، فإن إرخاصي لكم في ترك اكتتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجري بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يداً بيدٍ ونقداً ليس بإرخاص مني لكم في ترك الإشهاد منكم على من بعتموه شيئاً أو ابتعتم منه، لأن في ترككم الإشهاد على ذلك خوف المضرّة على كل من الفريقين. أما على المشتري فأن يجحد البائع المبيع، وله بيّنة على ملكه ما قد باع، ولا بينة للمشتري منه على الشراء منه فيكون القول حينئذٍ قول البائع مع يمينه ويقضي له به، فيذهب مال المشتري باطلاً. وأما على البائع فأن يجحد المشتري الشراء، وقد زال ملك البائع عما باع، ووجب له قبل المبتاع ثمن ما باع، فيحلف على ذلك فيبطل حقّ البائع قِبَل المشتري من ثمن ما باعه. فأمر الله عزّ وجلّ الفريقين بالإشهاد، لئلا يضيع حقّ أحد الفريقين قِبَل الفريق الآخر.

ثم اختلفوا في معنى قوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أهو أمر من الله واجب بالإشهاد عند المبايعة، أم هو ندب؟ فقال بعضهم: هو ندب إن شاء أشهد، وإن شاء لم يشهد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الربيع، عن الحسن وشقيق، عن رجل، عن الشعبي في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ قال: إن شاء أشهد، وإن شاء لم يشهد، ألم تسمع إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾؟

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا الربيع بن صبيح، قال: قلت للحسن: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾؟ قال: إن أشهدت عليه فهو ثقة للذي لك، وإن لم تشهد عليه فلا بأس.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن الربيع بن صبيح، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد قول الله عز وجل: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أبيع الرجلَ وأنا أعلم أنه لا ينقد في شهرين ولا ثلاثة، أترى بأساً ألاّ أشهد عليه؟ قال: إن أشهدت فهو ثقة للذي لك، وإن لم تشهد فلا بأس.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن داود، عن الشعبي: ﴿**وأشهِدُوا إذَا تَبَايَعْتُمْ**﴾ قال: إن شاؤوا أشهدوا، وإن شاؤوا لم يشهدوا.

وقال آخرون: الإشهاد على ذلك واجب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿**إلاَّ أنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أنْ لا تَكْتُبُوهَا**﴾ ولكن أشهدوا عليها إذا تبايعتم أمَرَ الله ما كان يداً بيد، أن يشهدوا عليه صغيراً كان أو كبيراً.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: ما كان من بيع حاضر، فإن شاء أشهد، وإن شاء لم يشهد. وما كان من بيع إلى أجل، فأمر الله أن يكتب ويشهد عليه، وذلك في المقام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن الإشهاد على كل مبيع ومشترى حق واجب وفرض لازم، لما قد بينا من أن كل أمر لله ففرض، إلا ما قامت حجته من الوجه الذي يجب التسليم له بأنه ندب وإرشاد.

وقد دللنا عليه وَهْي قول من قال ذلك منسوخ بقوله: ﴿**فَلْيُؤدِّ الَّذِي اؤتُمِنَ أمانَتَهُ**﴾ فيما مضى فأغنى عن إعادته.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: ذلك نهي من الله لكاتب الكتاب بين أهل الحقوق والشهيد أن يضار أهله، فيكتب هذا ما لم يمل له المملي، ويشهد هذا بما لم يستشهده الشهيد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه في قوله: ﴿**وَلاَ يُضَارَّ كاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ**﴾ ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل عليه، ولا شهيد فيشهد بما لم يُستشهد.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن يونس، قال: كان الحسن يقول: لا يضار كاتب فيريد شيئاً أو يحرِّف، ولا شهيد، قال: لا يكتم الشهادة. ولا يشهد إلا بحق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، عن قتادة، قال: اتّقى الله شاهد في شهادته لا ينقص منها

حقاً ولا يزيد فيها باطلاً. اتقى الله كاتب في كتابه، فلا يدعنَّ منه حقاً ولا يزيدنَّ فيه باطلاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** قال: لا يضار كاتب فيكتب ما لم يملل، ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن قتادة نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾**. قال: لا يضار كاتب فيكتب غير الذي أملي عليه، قال: والكتاب يومئذٍ قليل، ولا يدرون أي شيء يكتب، فيضار، فيكتب غير الذي أملي عليه، فيبطل حقهم. قال: والشهيد: يضار فيحول شهادته، فيبطل حقهم.

فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا من هؤلاء: ولا يضارِر كاتب ولا شهيد، ثم أدغمت الراء في الراء لأنهما من جنس وحركت إلى الفتح وموضعها جزم، لأن الفتح أخفّ الحركات.

وقال آخرون ممن تأول هذه الكلمة هذا التأويل: معنى ذلك: ولا يضارّ كاتب ولا شهيد بالامتناع عمن دعاهما إلى أداء ما عندهما من العلم أو الشهادة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، عن عطاء في قوله: **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** يقول: أن يؤدّيا ما قِبَلهما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: **﴿وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** قال: «لا يضارّ» أن يؤدّيا ما عندهما من العلم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: **﴿لاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** قال: أن يدعوهما فيقولان: إنَّ لنا حاجة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن عطاء ومجاهد: **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** قالا: واجب على الكاتب أن يكتب، **﴿ولا شَهِيدٌ﴾**، قالا: إذا كان قد شهدا قِبَله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا يضارّ المستكتب والمستشهد الكاتب والشهيد. وتأويل الكلمة على مذهبهم: ولا يضارَر على وجه ما لم يسمّ فاعله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، قال: كان عمر يقرأ: «ولا يضارَرْ كاتب ولا شهيد».

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك، قال: كان ابن مسعود يقرأ: «ولا يُضارَرْ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد، أنه كان يقرأ: «ولا يضارر كاتب ولا شهيد»، وأنه كان يقول في تأويلها: ينطلق الذي له الحقّ فيدعو كاتبه وشاهده إلى أن يشهد، ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤثمه إن ترك ذلك حينئذٍ لشغله وحاجته. وقال مجاهد: لا يقم عن شغله وحاجته، فيجد في نفسه أو يحرج.

. **حدثني** المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ والضرار: أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غنيّ: إن الله قد أمرك أن لا تأتي إذا دعيت، فيضاره بذلك وهو مكتف بغيره. فنهاه الله عزّ وجلّ عن ذلك، وقال: ﴿وإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ يقول: إنه يكون للكاتب والشاهد حاجة ليس منها بدّ، فيقول: خلوا سبيله.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن يونس، عن عكرمة في قوله: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ قال: يكون به العلة، أو يكون مشغولاً. يقول: فلا يضارّه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه كان يقول: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾ يقول: لا يأت الرجل فيقول: انطلق فاكتب لي واشهد لي، فيقول: إن لي حاجة فالتمس غيري، فيقول: اتق الله فإنك قد أمرت أن تكتب لي. فهذه المضارة؛ ويقول: دعه والتمس غيره، والشاهد بتلك المنزلة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾ يقول: يدعو الرجل الكاتب أو الشهيد، فيقول الكاتب أو

الشاهد: إن لنا حاجة! فيقول الذي يدعوهما: إن الله عزّ وجلّ أمركما أنْ تجيبا في الكتابة والشهادة! يقول الله عزّ وجلّ لا يضارّهما.

حدثت عن الحسن، قال: سمعت أبا معاذ قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك في قوله: **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** هو الرجل يدعو الكاتب أو الشاهد وهما على حاجة مهمة، فيقولان: إنا على حاجة مهمة، فاطلب غيرنا! فيقول: الله أمركما أن تجيبا، فأمره أن يطلب غيرهما ولا يضارّهما، يعني لا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما.

حدثني موسى قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: **﴿وَلاَ يُضارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** يقول: ليس ينبغي أن تعترض رجلاً له حاجة فتضارّه فتقول له: اكتب لي! فلا تتركه حتى يكتب لك وتفوته حاجته. ولا شاهداً من شهودك وهو مشغول، فتقول: اذهب فاشهد لي تحبسه عن حاجته، وأنت تجد غيره.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾** قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿وَلا يأبَ كَاتِبٌ أنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾** كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول: اكتب لي! فيقول: إني مشغول أو لي حاجة، فانطلق إلى غيري! فيلزمه ويقول: إنك قد أمرت أن تكتب لي. فلا يدعه ويضارّه بذلك وهو يجد غيره. ويأتي الرجل فيقول: انطلق معي! فيقول: اذهب إلى غيري فإني مشغول أو لي حاجة، فيلزمه ويقول: قد أمرت أن تتبعني. فيضارّه بذلك، وهو يجد غيره، فأنزل الله عزّ وجلّ **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: **﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ﴾** يقول: إن لي حاجة فدعني! فيقول: اكتب لي. «ولا شَهِيدٌ» كذلك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يضارّ كاتب ولا شهيد، بمعنى: ولا يضارّهما من استكتب هذا أو استشهد هذا بأن يأبى على هذا إلا أن يكتب له وهو مشغول بأمر نفسه، ويأبى على هذا إلا أن يجيب إلى الشهادة وهو غير فارغ، على ما قاله قائلو ذلك من القول الذي ذكرنا قبل.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره، لأن الخطاب من الله عزّ وجلّ في هذه الآية من مبتدئها إلى انقضائها على وجه افعلوا أو لا تفعلوا، إنما هو خطاب لأهل الحقوق والمكتوب

بينهم الكتاب والمشهود لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم من الديون. فأما ما كان من أمر أو نهي فيها لغيرهم، فإنما هو على وجه الأمر والنهي للغائب غير المخاطب كقوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ وكقوله: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ وما أشبه ذلك، فالواجب إذا كان[١] المأمورون فيها مخاطبين بقوله: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ أشبه منه بأن يكون مردوداً على الكاتب والشهيد، ومع ذلك إن الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيين عن الضرار لقيل: وإن يفعلا فإنه فسوق بهما، لأنهما اثنان، وإنما غير مخاطبيين بقوله: ﴿وَلاَ يُضَارَّ﴾ بل النهي بقوله: ﴿وَلاَ يُضَارَّ﴾ نهي للغائب غير المخاطب. فتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإن تضارُّوا الكاتب أو الشاهد وما نهيتم عنه من ذلك، فإنه فسوق بكم، يعني إثم بكم ومعصية.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ يقول: إن تفعلوا غير الذي آمركم به، فإنه فسوق بكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ الفسوق: المعصية.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ الفسوق: العصيان.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإن يضار كاتب فيكتب غير الذي أملى المملي، ويضارّ شهيد فيحوّل شهادته ويغيرها، فإنه فسوق بكم، يعني فإنه كذب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ الفسوق: الكذب. قال: هذا فسوق لأنه كذب الكاتب فحوّل كتابه فكذب، وكذب الشاهد فحوّل شهادته، فأخبرهم الله أنه كذب.

---

(١) قوله «فالواجب إذا كان الخ» كذا في النسخ، والمراد أن الواجب إذا كان المأمورون فيها مخاطبين... الخ أن يكون النهي عن المضارة مردوداً على أهل الحقوق، وذلك أشبه منه بأن يكون الخ.

وقد دللنا فيما مضى على أن المعنيّ بقوله: ﴿وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾ إنما معناه: لا يضارّهما المستكتب والمستشهد، بما فيه الكفاية. فقوله: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ إنما هو إخبار من يضارّهما بحكمه فيهما، وأن من يضارّهما فقد عصى ربه وأثم به، وركب ما لا يحلّ له، وخرج عن طاعة ربه في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وخافوا الله أيها المتداينون في الكتاب والشهود أن تضاروهم، وفي غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه. ويعني بقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ ويبين لكم الواجب لكم وعليكم، فاعملوا به. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعني من أعمالكم وغيرها، يحصيها عليكم ليجازيكم بها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ قال: هذا تعليم علمكموه فخذوا به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته القراء في الأمصار جميعاً «كاتباً»، بمعنى: ولم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى «فرهان مقبوضة». وقرأ جماعة من المتقدمين: «ولم تجدوا كتاباً»، بمعنى: ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين سبيل، إما بتعذر الدواة والصحيفة، وإما بتعذر الكاتب وإن وجدتم الدواة والصحيفة.

والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا هي قراءة الأمصار: ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً﴾ بمعنى: من يكتب، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين، وإن كنتم أيها المتداينون في سفر بحيث لا تجدون كاتباً يكتب لكم، ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين الذي تداينتموه إلى أجل مسمى بينكم الذي أمرتكم باكتتابه والإشهاد عليه سبيل، فارتهنوا بديونكم التي تداينتموها إلى الأجل المسمى رهوناً تقبضونها ممن تداينونه كذلك ليكون ثقة لكم بأموالكم. ذكر من قال ما قلنا في ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك قوله: ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**﴾ فمن كان على سفر فبايع بيعاً إلى أجل فلم يجد كاتباً فرخص له في الرهان المقبوضة، وليس له إن وجد كاتباً أن يرتهن.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً**﴾ يقول: كاتباً يكتب لكم، «فرهان مقبوضة».

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: ما كان من بيع إلى أجل، فأمر الله عزّ وجلّ أن يكتب ويشهد عليه وذلك في المقام، فإن كان قوم على سفر تبايعوا إلى أجل فلم يجدوا [كاتباً]، فرهان مقبوضة.

ذكر قول من تأوّل ذلك على القراءة التي حكيناها:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس: فإن لم تجدوا كتاباً، يعني بالكتاب: الكاتب والصحيفة والدواة والقلم.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني أبي، عن ابن عباس أنه قرأ: «فإن لم تجدوا كتاباً»، قال: ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتباً.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، كان يقرؤها: «فإن لم تجدوا كتاباً»، ويقول: ربما وجد الكاتب ولم توجد الصحيفة أو المداد، ونحو هذا من القول.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كِتاباً» يقول: مداداً، يقرؤها كذلك، يقول: فإن لم تجدوا مداداً، فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة، ﴿**فرهان مقبوضة**﴾، قال: لا يكون الرهن إلا في السفر.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد بن زيد، عن شعيب بن الحبحاب، قال: إن أبا العالية كان يقرؤها: «فإن لم تجدوا كتاباً»، قال أبو العالية: توجد الدواة ولا توجد الصحيفة.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿**فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق: ﴿**فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**﴾ بمعنى جماع رهن، كما الكباش جماع كبش، والبغال جماع بغل، والنعال جماع نعل. وقرأ ذلك جماعة آخرون: «فَرُهُنٌ مقبوضة» على معنى جمع رِهَان ورُهُن جمع

الجمع، وقد وجهه بعضهم إلى أنها جمع رهن مثل سَقْف وسُقُف. وقرأه آخرون: «فرُهْنٌ» مخففة الهاء، على معنى جماع رَهْن، كما تجمع السقف سُقْفاً؛ قالوا: ولا نعلم اسماً على فعل يجمع على فُعُل وفُعْل إلا الرُهْنَ والرُهُن والسُقُف والسُقْف.

والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأه: ﴿فرِهَانٌ مَقبُوضَةٌ﴾ لأن ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على فَعْل، كما يقال حَبْل وحبال وكَعْب وكعاب، ونحو ذلك من الأسماء. فأما جمع الفَعْل على الفُعُل أو الفُعْل فشاذّ قليل إنما جاء في أحرف يسيرة، وقيل سَقْف وسُقُف وَسُقْف، وقَلْب وقُلُب وقُلْب من قلب النخل، وجَدّ وجُدّ. للجد الذي هو بمعنى الحظّ. وأما ما جاء من جمع فَعْل على فُعْل فَثَطّ وثُطّ، ووَرْد ووُرْد، وخَوْد وخُود. وإنما دعا الذي قرأ ذلك: «فَرُهْنٌ مَقْبُوضَةٌ» إلى قراءته فيما أظن كذلك مع شذوذه في جمع فَعْل، أنه وجد الرِّهان مستعملة في رِهان الخيل، فأحبّ صرف ذلك عن اللفظ الملتبِس برهان الخيل، الذي هو بغير معنى الرّهان، الذي هو جمع رَهْن، ووجد الرُهُن مقولاً في جمع رَهْن، كما قال قعنب:

بـانَـتْ سُـعـادُ وأمْـسَـى دُونَـهـا عَـدَنُ وَغَلِقَتْ عِنْدَها مِنْ قَلْبِكَ الرّهُنُ[1]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: فإن كان المدين أميناً عند ربّ المال والدين فلم يرتهن منه في سفره رهناً بدينه لأمانته عنده على ماله وثقته، فَلْيَتَّقِ الله المدين ربه، يقول: فليخف الله ربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده، أو يلطّ دونه، أو يحاول الذهاب به، فيتعرّض من عقوبة الله ما لا قبل له به، وليؤدّ دينه الذي ائتمنه عليه إليه. وقد ذكرنا قول من قال هذا الحكم من الله عزّ وجلّ ناسخ الأحكام التي في الآية قبلها من أمر الله عزّ وجلّ بالشهود والكتاب، وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ﴾ إنما يعني بذلك في السفر، فأما الحضر فلا وهو واجد كاتباً، فليس له أن يرتهن ولا يأمن بعضهم بعضاً.

وهذا الذي قاله الضحاك، من أنه ليس لربّ الدين ائتمان المدين وهو واجد إلى الكاتب والكتاب والإشهاد عليه سبيلاً وإن كانا في سفر، فكما قال لما قد دللنا على صحته فيما مضى قبل.

---

(١) البيت لقعنب بن ضمرة، وأمه أم صاحب. وهو مطلع قصيدة له في الهجاء، ذكر منها في الحماسة ثلاثة أبيات (١٢/٤) وذكر البيت صاحب «اللسان» في (رهن) ونسبه إلى قعنب. واستشهد به المؤلف على أن الرهن بوزن كتب: جمع رهن بوزن سقف وهو نادر.

وأما ما قاله ـ من الأمر في الرهن أيضاً كذلك مثل الائتمان في أنه ليس لربّ الحقّ الارتهان بماله إذا وجد إلى الكاتب والشهيد سبيلاً في حضر أو سفر. فإنه قول لا معنى له لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه: «اشترى طعاماً نَساءً،ورهن به درعاً له». فجائز للرجل أن يرهن بما عليه، ويرتهن بماله من حقّ في السفر والحضر، لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله ﷺ، وأن معلوماً أن النبيّ ﷺ لم يكن حين رهن من ذكرنا غير واجد كاتباً ولا شهيداً، لأنه لم يكن متعذراً عليه بمدينته في وقت من الأوقات الكاتب والشاهد، غير أنهما إذا تبايعا برهن، فالواجب عليهما إذا وجدا سبيلاً إلى كاتب وشهيد، وكان البيع أو الدين إلى أجل مسمى أن يكتبا ذلك ويشهدا على المال والرهن، وإنما يجوز ترك الكاتب والإشهاد في ذلك حيث لا يكون لهما إلى ذلك سبيل.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وهذا خطاب من الله عزّ وجلّ للشهود الذين أمر المستدين وربّ المال بإشهادهم، فقال لهم: ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا، ولا تكتموا أيها الشهود بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحكام، كما شهدتم على ما شهدتم عليه؛ ولكن أجيبوا من شهدتم له إذا دعاكم لإقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه. ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته وإبائه من أدائها والقيام بها عند حاجة المستشهد إلى قيامه بها عند حاكم، أو ذي سلطان، فقال: **﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾**، يعني ومن يكتم شهادته، **﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾**، يقول: فاجر قلبه، مكتسب بكتمانه إياها معصية الله. كما:

حدثني المثنى، قال: أخبرنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: **﴿وَلاَ تَكْتُموا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾** فلا يحلّ لأحد أن يكتم شهادة هي عنده، وإن كانت على نفسه والوالدين، ومن يكتمها فقد ركب إثماً عظيماً.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: **﴿ومَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾** يقول: فاجر قلبه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، لأن الله يقول: **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمأْوَاهُ النَّارُ﴾** وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، لأن الله عزّ وجلّ يقول: **﴿وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾**.

وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول: على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد ويخبر بها حيث استخبر.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن محمد بن مسلم، قال: أخبرنا عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: إذا كانت عندك شهادة فسألك عنها، فأخبره بها، ولا تقل: أخبرْ بها عند الأمير؛ أخبره بها لعله يراجع أو يرعوي.

وأما قوله: ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ فإنه يعني بما تعملون في شهادتكم من إقامتها والقيام بها أو كتمانكم إياها عند حاجة من استشهدكم إليها، وبغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها، ﴿**عليمٌ**﴾ يحصيه عليكم ليجزيكم بذلك كله جزاءكم، إما خيراً، وإما شرًّا على قدر استحقاقكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ لله ملك كل ما في السموات وما في الأرض من صغير وكبير، وإليه تدبير جميعه، وبيده صرفه وتقليبه، لا يخفى عليه منه شيء، لأنه مدبره ومالكه ومصرّفه. وإنما عنى بذلك جلّ ثناؤه: كتمان الشهود الشهادة، يقول: لا تكتموا الشهادة أيها الشهود، ومن يكتمها يفجر قلبه، ولن يخفى عليّ كتمانه، وذلك لأني بكل شيء عليم، وبيدي صرف كل شيء في السموات والأرض وملكه، أعلمه خفيّ ذلك وجلّيه، فاتقوا عقابي إياكم على كتمانكم الشهادة. وعيداً من الله بذلك من كتمها وتخويفاً منه له به. ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم في آخرتهم، وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحاً على معصيةٍ فأضمرها، أو أظهر موبقة فأبداها من نفسه من المحاسبة عليها، فقال: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ**﴾ يقول: وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حقّ ربّ المال الجحود والإنكار، أو تخفوا ذلك فتضمروه في أنفسكم وغير ذلك من سيىء أعمالكم، ﴿**يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**﴾ يعني بذلك: يحتسب به عليكم من أعماله، فيجازي من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله، وغافر منكم لمن شاء من المسيئين.

ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**﴾ فقال بعضهم بما قلنا من أنه عنى به الشهود في كتمانهم الشهادة، وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا أبو نفيل، عن يزيد بن أبي

زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول: يعني في الشهادة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال: في الشهادة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: سئل داود عن قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فحدثنا عن عكرمة، قال: هي الشهادة إذا كتمتها.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو وأبي سعيد، أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال: في الشهادة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن السدي، عن الشعبي في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال: في الشهادة.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس، أنه قال في هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: نزلت في كتمان الشهادة وإقامتها.

حدثني يحيى بن أبي طالب قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن عكرمة في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ يعني كتمان الشهادة وإقامتها على وجهها.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية إعلاماً من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه. ثم اختلف متأوّلو ذلك كذلك، فقال بعضهم: ثم نسخ الله ذلك بقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن مصعب بن ثابت، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ اشتدّ ذلك على القوم، فقالوا: يا رسول الله إنا لمؤاخذون بما نحدّث به أنفسنا؟ هلكنا! فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾ الآية، إلى قوله: ﴿رَبَّنا لا تُؤاخِذْنَا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخطأْنا﴾ قال أبي: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: نَعَمْ». ﴿رَبَّنا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾ إلى آخر الآية، قال أبي: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: نعم».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا سفيان، عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد، قال: سمعت سعيد بن جبير يحدّث عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾ دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء، فقال رسول الله ﷺ: «سَمِعْنا وأطَعْنا وَسَلَّمْنا». قال: فألقى الله عزّ وجلّ الإيمان في قلوبهم، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. قال أبو كريب: فقرأ: ﴿رَبَّنَا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا﴾ قال: فقال: «قد فعلت». ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: «قد فعلت». ﴿رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: «قد فعلت». ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ قال: «قد فعلت».

حدثني أبو الرداد المصري عبد الله بن عبد السلام، قال: ثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد، عن حيوة بن شريح، قال: سمعت يزيد بن أبي حبيب، يقول: قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن مرجانة، قال: جئت عبد الله بن عمر، فتلا هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾. ثم قال ابن عمر: لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكنّ. ثم بكى ابن عمر حتى سالت دموعه. قال: ثم جئت عبد الله بن العباس، فقلت: يا أبا عباس، إني جئت ابن عمر فتلا هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾... الآية، ثم قال: لئن واخذنا بهذه الآية لنهلكنّ! ثم بكى حتى سالت دموعه. فقال ابن عباس: يغفر الله لعبد الله بن عمر لقد فرِق أصحاب رسول الله ﷺ منها كما فرق ابن عمر منها، فأنزل الله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فنسخ الله الوسوسة، وأثبت القول والفعل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن مرجانة يحدّث: أنه بينا هو جالس سمع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾... الآية، فقال: والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكنّ! ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه. فقال ابن مرجانة: فقمت حتى أتيت ابن عباس، فذكرت له ما تلا ابن عمر، وما فعل حين تلاها، فقال عبد الله بن عباس: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، لعمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر، فأنزل الله بعدها: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾ إلى آخر السورة. قال ابن عباس: فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلى أن قضى الله عزّ وجلّ: أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: سمعت

الزهري يقول في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال: قرأها ابن عمر، فبكى وقال: إنا لمؤاخذون بما نحدّث به أنفسنا! فبكى حتى سمع نشيجه، فقام رجل من عنده، فأتى ابن عباس، فذكر ذلك له، فقال: رحم الله ابن عمر لقد وجد المسلمون نحواً مما وجد، حتى نزلت: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد قال: كنت عند ابن عمر فقال: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾... الآية. فبكى! فدخلت على ابن عباس، فذكرت له ذلك، فضحك ابن عباس فقال: يرحم الله ابن عمر، أو ما يدري فيم أنزلت؟ إن هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله ﷺ غماً شديداً، وقالوا: يا رسول الله هلكنا! فقال لهم رسول الله ﷺ: «قُولُوا سَمِعْنَا وأَطَعْنا»، فنسختها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فتجوّز لهم من حديث النفس، وأخذوا بالأعمال.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهري، عن سالم أن أباه قرأ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فدمعت عينه. فبلغ صنيعه ابن عباس، فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن! لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله ﷺ حين أنزلت، فنسختها الآية التي بعدها: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾.

حدثنا محمد بن بشار، قال أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: نسخت هذه الآية: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن آدم بن سليمان، عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قالوا: أنؤاخذ بما حدثنا به أنفسنا ولم تعمل به جوارحنا؟ قال: فنزلت هذه الآية: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطأْنا﴾ قال: ويقول: قد فعلت. قال: فأعطيت هذه الأمة خواتيم سورة البقرة، لم تعطها الأمم قبلها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جرير بن نوح، قال: ثنا إسماعيل، عن عامر: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾ قال: فنسختها الآية بعدها قوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ

تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ قال: نسختها الآية التي بعدها: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إِلاَّ وُسْعَها﴾**. وقوله: **﴿وَإِنْ تُبْدُوا﴾** قال: يحاسب بما أبدى من سرّ أو أخفى من سرّ، فنسختها التي بعدها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا سيار، عن الشعبي، قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾** قال: فكان فيها شدة حتى نزلت هذه الآية التي بعدها: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾** قال: فنسخت ما كان قبلها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، قال: ذكروا عند الشعبي: **﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾** حتى بلغ: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾** قال: فقال الشعبي: إلى هذا صار، رجعت إلى آخر الآية.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: **﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾** قال: قال ابن مسعود: كانت المحاسبة قبل أن تنزل: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾** فلما نزلت نسخت الآية التي كانت قبلها.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك، يذكر عن ابن مسعود، نحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن بيان، عن الشعبي، قال: نسخت: **﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾**: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب وسفيان، عن جابر، عن مجاهد، وعن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد، قالوا: نسخت هذه الآية: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾**: **﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخفوهُ﴾**... الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة وعامر، بمثله.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد بن حميد، عن الحسن في قوله: **﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾** إلى آخر الآية، قال: محتها: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إِلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أنه قال: نسخت هذه الآية، يعني قوله: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إِلاَّ وُسْعَها﴾**... الآية التي كانت قبلها: **﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في

قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: نسختها قوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني ابن زيد، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾... إلى آخر الآية، اشتدّت على المسلمين، وشقت مشقة شديدة، فقالوا: يا رسول الله لو وقع في أنفسنا شيء لم نعمل به واخذنا الله به؟ قال: «فَلَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ كَما قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنا»، قالوا: بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله. قال: فنزل القرآن يفرجها عنهم: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَها مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ قال: فصيره إلى الأعمال، وترك ما يقع في القلوب.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا هشيم، عن سيار، عن أبي الحكم، عن الشعبي، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: نسخت هذه الآية التي بعدها: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ قال: يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤاخذون بما وسوست به أنفسهم وما عملوا، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فقالوا: إن عمل أحدنا وإن لم يعمل أُخذنا به؟ والله ما نملك الوسوسة! فنسخها الله بهذه الآية التي بعدها بقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾ فكان حديث النفس مما لم تطيقوا.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: نسختها قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيها مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

وقال آخرون ممن قال معنى ذلك: «الإعلام من الله عز وجل عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم، وبما حدثتهم به أنفسهم مما لم يعلموه». هذه الآية محكمة غير منسوخة، والله عز وجل محاسب خلقه على ما عملوْا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أصرّوه في أنفسهم ونووه وأرادوه، فيغفره للمؤمنين، ويؤاخذ به أهل الكفر والنفاق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فإنها لم تنسخ، ولكن الله عزّ وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة، يقول الله عزّ وجل: إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم

تطلع عليه ملائكتي، فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدّثوا به أنفسهم، وهو قوله: ﴿يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ يقول: يخبركم. وأما أهل الشكّ والريب، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو قوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ من الشكّ والنفاق.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فذلك سرّ عملكم وعلانيته، يحاسبكم به الله، فليس من عبد مؤمن يسر في نفسه خيراً ليعمل به، فإن عمل به كتبت له به عشر حسنات، وإن هو لم يقدر له أن يعمل به كتبت له به حسنة من أجل أنه مؤمن، والله يرضى سرّ المؤمنين وعلانيتهم، وإن كان سوءاً حدّث به نفسه اطلع الله عليه وأخبره به يوم تبلى السرائر، وإن هو لم يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به، فإن هو عمل به تجاوز الله عنه، كما قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمُ اللَّهُ﴾... الآية. قال: قال ابن عباس: إن الله يقول يوم القيامة: إن كتابي لم يكتبوا من أعمالكم إلا ما ظهر منها، فأما ما أسررتم في أنفسكم فأنا أحاسبكم به اليوم، فأغفر لمن شئت، وأعذّب من شئت.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا عليّ بن عاصم، قال: أخبرنا بيان، عن بشر، عن قيس بن أبي حازم، قال: إذا كان يوم القيامة، قال الله عزّ وجلّ يُسمِع الخلائق: إنما كان كتابي يكتبون عليكم ما ظهر منكم، فأما ما أسررتم فلم يكونوا يكتبونه، ولا يعلمونه، أنا الله أعلم بذلك كله منكم، فأغفر لمن شئت، وأعذّب من شئت.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ كان ابن عباس يقول: إذا دعي الناس للحساب، أخبرهم الله بما كانوا يسرّون في أنفسهم مما لم يعملوه، فيقول: إنه كان لا يعزب عني شيء، وإني مخبركم بما كنتم تسرّون من السوء، ولم تكن حفظتكم عليكم مطلعين عليه. فهذه المحاسبة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس، نحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: هي محكمة لم ينسخها شيء،

يقول: يحاسبكم به الله، يقول: يعرّفه الله يوم القيامة أنك أخفيت في صدرك كذا وكذا لا يؤاخذه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: هي محكمة لم تنسخ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾** قال: من الشكّ واليقين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾** يقول: في اليقين والشك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذي رواه عليّ بن أبي طلحة: **﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾** من شيء من الأعمال، فَتُظْهِرُوه بأبدانكم وجوارحكم، أو تخفوه فتسرّوه في أنفسكم، فلم يطلع عليه أحد من خلقي، أحاسبكم به، فأغفر كل ذلك لأهل الإيمان، وأعذّب أهل الشرك والنفاق في ديني.

وأما على الرواية التي رواها عنه الضحاك من رواية عبيد بن سليمان عنه، وعلى ما قاله الربيع بن أنس، فإن تأويلها: إن تظهروا ما في أنفسكم فتعملوه من المعاصي، أو تضمروا إرادته في أنفسكم، فتخفوه، يُعلمْكم به الله يوم القيامة، فيغفر لمن يشاء، ويعذّب من يشاء.

وأما قول مجاهد فشبيه معناه بمعنى قول ابن عباس الذي رواه عليّ بن أبي طلحة.

وقال آخرون ممن قال: «هذه الآية محكمة وهي غير منسوخة» ووافقوا الذين قالوا: «معنى ذلك أن الله عزّ وجلّ أعلم عباده ما هو فاعل بهم فيما أبدوا وأخفوا من أعمالهم»: معناها: أن الله محاسب جميع خلقه بجميع ما أبدوا من سيىء أعمالهم، وجميع ما أسروه، ومعاقبهم عليه، غير أن عقوبته إياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه ما يحدث لهم في الدنيا من المصائب، والأمور التي يحزنون عليها ويألمون منها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: **﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾**. . . الآية، قال: كانت عائشة رضي الله

عنها تقول: من همّ بسيئة فلم يعملها أرسل الله عليه من الهمّ والحزن مثل الذي همّ به من السيئة فلم يعملها، فكانت كفارته.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ قال: كانت عائشة تقول: كل عبد يهمّ بمعصية، أو يحدّث بها نفسه، حاسبه الله بها في الدنيا، يخاف ويحزن ويهتم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني أبو تميلة، عن عبيد، عن الضحاك، قال: قالت عائشة في ذلك: كل عبد همّ بسوء ومعصية، وحدّث نفسه به، حاسبه الله في الدنيا، يخاف ويحزن ويشتدّ همه، لا يناله من ذلك شيء، كما همّ بالسوء ولم يعمل منه شيئاً.

حدثنا الربيع، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أمه أنها سألت عائشة عن هذه الآية: ﴿إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ فقالت: ما سألني عنها أحد مذ سألت رسول الله ﷺ، فقال: «يا عائشة، هذه مُتَابَعَةُ الله العبد بما يُصِيبُه من الحُمَّى والنَّكْبَة والشَّوْكَة، حتى البضاعة يَضَعُها في كمّه فيفقدها فيفزع لها، فيجدها في ضِبْنِهِ[1] حتى إن المُؤْمِنَ لَيَخْرُجُ من ذنوبه كما يخرج التِّبْرُ الأحمر من الكِيرِ».

وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال: إنها محكمة وليست بمنسوخة، وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا ينفيه بآخر له ناف من كل وجوهه، وليس في قوله جلّ وعزّ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾ نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة، ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه، وقد أخبر الله عزّ وجلّ عن المجرمين أنهم حين تُعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة، يقولون: ﴿يا وَيْلَتَنا ما لِهَذَا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها، فلم تكن الكتب وإن أحصت صغائر الذنوب وكبائرها بموجب إحصاؤها على أهل الإيمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين، لأن الله عزّ وجلّ وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر، فقال في تنزيله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ فدلّ أن محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسبهم به من الأمور التي أخفتها أنفسهم غير موجبة لهم منه عقوبة، بل محاسبته إياهم إن شاء الله عليها ليعرّفهم تفضله عليهم بعفوه لهم عنها كما بلغنا عن رسول الله ﷺ في الخبر الذي:

(١) الضبن: الإبط وما يليه، أو ما بين الإبط والكشح، أو أعلى الجنب «اللسان».

حدثني به أحمد بن المقدام، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، عن ابن عمر، عن نبيّ الله ﷺ قال: «يُدْنِي اللَّهُ عَبْدَهُ المُؤْمِنَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِسَيِّئَاتِهِ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُها فِي الدُّنْيَا وأغْفِرُها اليَوْمَ. ثُمَّ يُظْهِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ، فَيَقُولُ: هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ» أو كما قال: «وأمَّا الكَافِرُ، فَإِنَّهُ يُنَادَى بِهِ عَلى رُؤوسِ الأشْهادِ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ وسعيد وهشام، وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا هشام، قالا جميعاً في حديثهما، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، قال: بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف، إذ عرض له رجل، فقال: يا ابن عمر أما سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَدْنُو المُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ[(١)] فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ مَرَّتَيْنِ، حتى إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيا، وأنا أغْفِرُها لَكَ اليَوْمَ»، قال: «فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ. وأَمَّا الكُفَّارُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ على رُؤوسِ الأشْهادِ: هَولاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِهِمْ، ألا لَعْنَةُ اللَّهِ على الظَّالِمِينَ».

إن الله يفعل بعبده المؤمن من تعريفه إياه سيئات أعماله حتى يعرّفه تفضله عليه بعفوه له عنها، فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته إياه بما أبداه من نفسه، وبما أخفاه من ذلك، ثم يغفر له كل ذلك بعد تعريفه تفضله وتكرّمه عليه، فيستره عليه، وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين، فقال: يغفر لمن يشاء.

فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ينبىء عن أن جميع الخلق غير مُؤاخَذِين إلا بما كسبته أنفسهم من ذنب، ولا مثابين إلا بما كسبته من خير. قيل: إن ذلك كذلك، وغير مؤاخذ العبد بشيء من ذلك إلا بفعل ما نهي عن فعله، أو ترك ما أمر بفعله.

فإن قال: فإذا كان ذلك كذلك، فما معنى وعيد الله عزّ وجلّ إيانا على ما أخفته أنفسنا بقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إن كان ﴿لَهَا ما كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا، من هَمّ بذنب، أو إرادة لمعصية، لم تكتسبه جوارحنا؟ قيل له: إن الله جلّ ثناؤه قد وعد المؤمنين أن يعفو لهم عما هو أعظم مما همّ به أحدهم من المعاصي فلم يفعله، وهو ما ذكرنا من وعده إياهم العفو عن صغائر ذنوبهم إذا هم اجتنبوا كبائرها، وإنما الوعيد من الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفي الشكّ في الله، والمرية في وحدانيته، أو في نبوّة نبيه ﷺ، وما جاء به من عند الله، أو في المعاد والبعث من المنافقين،

(١) أصل الكنف بالتحريك: الجانب والناحية: «اللسان».

على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد، ومن قال بمثل قولهما أن تأويل قوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ على الشكّ واليقين. غير أنا نقول إن المتوعد بقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ هو من كان إخفاء نفسه ما تخفيه الشكَّ والمرية في الله، وفيما يكون الشك فيه بالله كفراً، والموعود الغفران بقوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هو الذي أخفى، وما يخفيه الهمة بالتقدّم على بعض ما نهاه الله عنه من الأمور التي كان جائزاً ابتداء تحليله وإباحته؛ فحرّمه على خلقه جلّ ثناؤه، أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله مما كان جائزاً ابتداء إباحة تركه، فأوجب فعله على خلقه. فإن الذي يهمّ بذلك من المؤمنين إذا هو لم يصحح همه بما يهمّ به، ويحقق ما أخفته نفسه من ذلك بالتقدم عليه لم يكن مأخوذاً، كما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ»، فهذا الذي وصفنا، هو الذي يحاسب الله به مؤمني عباده ثم لا يعاقبهم عليه.

فأما من كان ما أخفته نفسه شكاً في الله وارتياباً في نبوّة أنبيائه، فذلك هو الهالك المخلد في النار، الذي أوعده جل ثناؤه العذاب الأليم بقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

فتأويل الآية إذاً: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أيها الناس، فتظهروه﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فتنطوي عليه نفوسكم، ﴿يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فيعرّف مؤمنكم تفضله بعفوه عنه، ومغفرته له، فيغفره له، ويعذّب منافقكم على الشكّ الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه ونبوّة أنبيائه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: والله عزّ وجلّ على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة، وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه من الشكّ في توحيد الله عزّ وجلّ، ونبوّة أنبيائه، ومجازاة كل واحد منهما على كل ما كان منه، وعلى غير ذلك من الأمور قادرٌ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: صدّق الرسول، يعني رسول الله ﷺ، فأقر﴿بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني بما أوحي إليه من ربه من الكتاب، وما فيه من حلال وحرام، ووعدٍ ووعيد، وأمر ونهي، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها. وذكر أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية عليه قال: «يَحقُّ لَهُ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: «وَيَحِقُّ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ».

وقد قيل: إنها نزلت بعد قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن المؤمنين برسول الله من أصحابه، شقّ عليهم ما توعدهم الله به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم، فشكوا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ!» فقالوا: بل نقول: سمعنا وأطعنا! فأنزل الله لذلك من قول النبيّ ﷺ وقول أصحابه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾. يقول: وصدّق المؤمنون أيضاً مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه ورسله الآيتين. وقد ذكرنا قائلي ذلك قبل.

واختلف القراء في قراءة قوله: «وكتبه»، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء أهل العراق: ﴿وكُتُبِهِ﴾ على وجه جمع الكتاب على معنى: والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسوله. وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة: «وكتابه» بمعنى: والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته، وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ. وقد رُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك وكتابه، ويقول: الكتاب أكثر من الكتب. وكان ابن عباس يوجه تأويل ذلك إلى نحو قوله: ﴿وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ بمعنى: جنس الناس وجنس الكتاب، كما يقال: ما أكثر درهم فلان وديناره، ويراد به جنس الدراهم والدنانير. وذلك وإن كان مذهباً من المذاهب معروفاً، فإن الذي هو أعجب إليّ من القراءة في ذلك أن يقرأ بلفظ الجمع، لأن الذي قبله جمع، والذي بعده كذلك، أعني بذلك: «وملائكته وكتبه ورسله»، فإلحاق الكتب في الجمع لفظاً به أعجب إليّ من توحيده وإخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد، ليكون لاحقاً في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده، وبمعناه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

وأما قوله: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فإنه أخبر جلّ ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك. ففي الكلام في قراءة من قرأ: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ بالنون متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عنه، وذلك المتروك هو «يقولون».

وتأويل الكلام: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، يقولون: لا نفرّق بين أحد من رسله. وترك ذكر «يقولون» لدلالة الكلام عليه، كما ترك ذكره في قوله: ﴿وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بمعنى: يقولون سلام. وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدّمين: «لا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» بالياء، بمعنى: والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا يفرّق الكل منهم بين أحد من رسله، فيؤمن ببعض، ويكفر ببعض، ولكنهم يصدقون بجميعهم، ويقرّون أن ما جاءوا به كان من عند الله، وأنهم دعوا إلى الله وإلى طاعته، ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين أقرّوا بموسى وكذّبوا عيسى، والنصارى الذين أقرّوا بموسى وعيسى

وكذّبوا بمحمد ﷺ، وجحدوا نبوّته، ومن أشبههم من الأمم الذين كذّبوا بعض رسل الله، وأقروا ببعضه. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ كما صنع القوم، يعني بني إسرائيل، قالوا: فلان نبيّ، وفلان ليس نبياً، وفلان نؤمن به، وفلان لا نؤمن به.

والقراءة التي لا نستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون: ﴿**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ لأنها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض الذي يمتنع مع التشاعر والتواطؤ والسهو والغلط، يعني ما وصفنا من يقولون: لا نفرّق بين أحد من رسله. ولا يعترض بشاذّ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلاً ورواية.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنا وأطَعْنا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وقال الكلّ من المؤمنين: ﴿**سَمِعْنا**﴾ قول ربنا، وأمره إيانا بما أمرنا به، ونهيه عما نهانا عنه، ﴿**وَأَطَعْنا**﴾: يعني أطعنا ربنا فيما ألزمنا من فرائضه، واستعبدنا به من طاعته، وسلمنا له: وقوله: ﴿**غُفْرَانَكَ رَبَّنا**﴾ يعني: وقالوا غفرانك ربنا، بمعنى: اغفر لنا، ربنا غفرانك، كما يقال: سبحانك، بمعنى نسبحك سبحانك. وقد بينا فيما مضى أن الغفران والمغفرة: الستر من الله على ذنوب من غفر له، وصفحه له عن هتك ستره بها في الدنيا والآخرة، وعفوه عن العقوبة عليه. وأما قوله: ﴿**وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ فإنه يعني جل ثناؤه أنهم قالوا: وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا.

فإن قال لنا قائل: فما الذي نصب قوله: ﴿**غُفْرَانَكَ**﴾؟ قيل له: وقوعه وهو مصدر موقع الأمر، وكذلك تفعل العرب بالمصادر والأسماء إذا حلت محل الأمر، وأدّت عن معنى الأمر نصبتها، فيقولون: شكراً لله يا فلان، وحمداً له، بمعنى: اشكر الله واحمده، والصلاةَ الصلاةَ: بمعنى صلوا. ويقولون في الأسماء: اللَّهَ اللَّهَ يا قوم. ولو رفع بمعنى هو الله، أو هذا الله ووجه إلى الخبر وفيه تأويل الآمر كان جائزاً، كما قال الشاعر:

إنَّ قَوْماً مِنْهُمْ عُمَيْرٌ وأشْبا ... هُ عُمَيْرٍ ومِنْهُمُ السَّفَّاحُ
لَجَدِيرُونَ بالوَفاءِ إذَا قا ... لَ أخو النَّجْدَةِ السِّلاحُ السِّلاحُ(١)

---

(١) البيتان غير منسوبين، وهما من شواهد الفراء، كما قال العيني في المقاصد النحوية في «**شرح شواهد شروح الألفية**» على هامش «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٣٠٧/٤) والشاهد في قوله السلاح السلاح بالرفع، مع أنه محذر منه، فحقه النصب. لكن يجوز الرفع فيه على تقدير مبتدأ، أي هو السلاح أو هذا السلاح فاحذروا. قال الفراء: العرب قد ترفع ما فيه معنى التحذير، وأنشد البيتين.

ولو كان قوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ جاء رفعاً في القراءة لم يكن خطأً، بل كان صواباً على ما وصفنا.

وقد ذكر أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله ﷺ ثناء من الله عليه وعلى أمته، قال له جبريل عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء، فسلْ ربك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن بيان، عن حكيم بن جابر، قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرِ﴾ قال جبريل عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ قد أحسن الثناء عليك، وعلى أمتك، فسل تعطه! فسأل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها﴾. . . إلى آخر السورة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها﴾ فيتعبدها إلا بما يسعها، فلا يضيق عليها، ولا يجهدها. وقد بينا فيما مضى قبل أن الوسع اسم من قول القائل: وسعني هذا الأمر مثل الجُهْد والوُجْد من جهدني هذا الأمر ووجدت منه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها﴾ قال: هم المؤمنون، وسع الله عليهم أمر دينهم، فقال الله جل ثناؤه: ﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾ وَقالَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن الزهري، عن عبد الله بن عباس، قال: لما نزلت ضجّ المؤمنون منها ضجة وقالوا: يا رسول الله هذا، نتوب من عمل اليد والرجل واللسان، كيف نتوب من الوسوسة، كيف نمتنع منها؟ فجاء جبريل ﷺ بهذه الآية: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها﴾ إنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها﴾ وسعها: طاقتها، وكان حديث النفس مما لا يطيقون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهَا ما كَسَبَتْ وَعَلَيها مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه لها: للنفس التي أخبر أنه لا يكلفها إلا وسعها، يقول: لكل نفس ما اجترحت وعملت من خير؛ وعليها: يعني وعلى كل نفس ما اكتسبت: ما عملت من شرّ. كما:

حدثنا بشر بن يزيد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها لَهَا ما كَسَبَتْ﴾ أي من خير﴿وَعَلَيها ما اكْتَسَبَتْ﴾ أي من شرّ، أو قال: من سوء.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يقول: ما عملت من خير،﴿وَعَلَيها ما اكْتَسَبَتْ﴾ يقول: وعليها ما عملت من شرّ.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن الزهري، عن عبد الله بن عباس: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ عمل اليد والرجل واللسان.

فتأويل الآية إذاً: لا يكلف الله نفساً إلا ما يسعها، فلا يجهدها، ولا يضيق عليها في أمر دينها، فيؤاخذها بهمة إن همت، ولا بوسوسة إن عرضت لها، ولا بخطرة إن خطرت بقلبها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخْطأْنا﴾.

وهذا تعليم من الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه، وما يقولون في دعائهم إياه. ومعناه: قولوا: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا شيئاً فرضت علينا عمله فلم نعمله، أو أخطأنا في فعل شيء نهيتنا عن فعله ففعلناه، على غير قصد منا إلى معصيتك، ولكن على جهالة منا به وخطأ. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾ إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا، أو أخطأنا شيئاً مما حرّمته علينا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿رَبَّنا لا تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾ قال: بلغني أن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجاوَزَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَنْ نِسْيانِها وَما حَدَّثَتْ بِهِ أنْفُسَها».

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، قال: زعم السدي أن هذه الآية حين نزلت: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾ قال له جبريل عليه السلام فقل ذلك يا محمد ﷺ.

إن قال لنا قائل: وهل يجوز أن يؤاخذ الله عزّ وجلّ عباده بما نسوا أو أخطئوا فيسألوه أن لا يؤاخذهم بذلك؟ قيل: إن النسيان على وجهين: أحدهما: على وجه التضييع من العبد والتفريط؛ والآخر: على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ، ووكل به وضعف عقله عن احتماله، فأما

الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط، فهو ترك منا لما أمر بفعله، فذلك الذي يرغب العبد إلى الله عزّ وجلّ في تركه مؤاخذته به، وهو النسيان الذي عاقب الله عزّ وجل به آدم صلوات الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ وهو النسيان الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ فرغبة العبد إلى الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك تفريطاً منه فيه وتضييعاً، كفراً بالله عزّ وجلّ، فإن ذلك إذا كان كفراً بالله فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة، لأن الله عزّ وجلّ قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به، فمسألته فعل ما قد أعلمهم أنه لا يفعله خطأ، وإنما يكون مسألته المغفرة فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه، وعن قراءته، ومثل نسيانه صلاة أو صياماً، باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما. وأما الذي العبد به غير مؤاخذ لعجز بنيته عن حفظه، وقلة احتمال عقله ما وكل بمراعاته، فإن ذلك من العبد غير معصية، وهو به غير آثم، فذلك الذي لا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له، لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب، وذلك مثل الأمر يغلب عليه، وهو حريص على تذكره وحفظه، كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجدّ منه، فيقرؤه، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه، ولكن بعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله، ذكر ما أودع قلبه منه، وما أشبه ذلك من النسيان، فإن ذلك مما لا يجوز مسألة الربّ مغفرته، لأنه لا ذنب للعبد فيه، فيغفر له باكتسابه. وكذلك للخطأ وجهان: أحدهما: من وجه ما نُهي عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ، يقال منه: خِطِيء فلان وأخطأ فيما أتى من الفعل، وأثم إذا أتى ما يتأثم فيه وركبه، ومنه قول الشاعر:

النَّاس يَلْحَوْنَ الأَمِيرَ إِذَا هُمُ خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلا يُلامُ المُرْشَدُ(١)

يعني: أخطأوا الصواب. وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه، إلا ما كان من ذلك كفراً. والآخر منهما: ما كان عنه على وجه الجهل به والظنّ منه بأن له فعله، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً، وهو يحسب أن الفجر لم يطلع، أو يؤخر صلاة في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره إياها دخول وقتها فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل، فإن ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد الذي وضع الله عزّ وجلّ عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه أن يؤاخذه به، وقد زعم قوم أن مسألة العبد ربه أن لا يؤاخذه بما نسي أو أخطأ، إنما

(١) البيت غير منسوب. ولحيت الرجل: لمته ألحاه لحيا، وهو يائي ليس غير. واللحي: السب واللعن أيضاً. وخطئوا الصواب جاوزوه بقصد منهم. يقول: الناس يلومون الأمير إذا هم أخطأوا الصواب وفعلوا ما نهوا عنه، فردهم إلى الصواب والرشد، ولا أن ينبغي أن يلام المرشد الهادي إلى الصواب.

هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة، فأما على وجه مسألته الصفح، فما لا وجه له عندهم وللبيان عن هؤلاء كتاب سنأتي فيه إن شاء الله على ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قولوا: ربنا لا تحمل علينا إصراً: يعني بالإصر: العهد، كما قال جل ثناؤه: ﴿قال ءَأقرَرْتُمْ وأخَذْتُمْ عَلى ذَلِكُمْ إصْرِي﴾. وإنما عنى بقوله: ﴿وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾: ولا تحمل علينا عهداً، فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾ يعني على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالاً وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها، فعوجلوا بالعقوبة. فعلم الله عزّ وجلّ أمة محمد ﷺ الرغبة إليه بمسألته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال إن ضيعوها أو أخطأوا فيها أو نسوها مثل الذي حمل من قبلهم، فيحلّ بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه مثل الذي أحلّ بمن قبلهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿لاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾ قال: لا تحمل عليها عهداً وميثاقاً، ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يقول: كما غلظ على من قبلنا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن قيس الحضرمي، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾ قال: عهداً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿إِصْراً﴾ قال: عهداً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِصْراً﴾ يقول: عهداً.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾ والإصر: العهد الذي كان على من قبلنا من اليهود.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿وَلاَ تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْراً﴾ قال: عهداً لا نطيقه، ولا نستطيع القيام به، **﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾** اليهود والنصارى، فلم يقوموا به فأهلكتهم.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك: **﴿إِصْراً﴾** قال: المواثيق.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: الإصر: العهد؛ **﴿وأخَذْتُمْ عَلى ذٰلِكُمْ إِصْرِي﴾** قال: عهدي.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَأَخَذْتُمْ عَلى ذٰلِكُمْ إِصْرِي﴾** قال: عهدي.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تحمل علينا ذنوباً وإثماً كما حملت ذلك على من قبلنا من الأمم، فتمسخنا قردة وخنازير كما مسختهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن عليّ بن هارون، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح في قوله: **﴿وَلا تَحْمِلْ عَلَينا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾** قال: لا تمسخنا قردة وخنازير.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾** لا تحمل علينا ذنباً ليس فيه توبة ولا كفارة.

وقال آخرون: معنى الإصر بكسر الألف: الثقل.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: **﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾** يقول: التشديد الذي شددته على من قبلنا من أهل الكتاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سألته، يعني مالكاً، عن قوله: **﴿وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾** قال: الإصر: الأمر الغليظ.

فأما الأصر بفتح الألف: فهو ما عطف الرجل على غيره من رحم أو قرابة، يقال: أصرتني رحم بيني وبين فلان عليه، بمعنى: عطفتني عليه، وما يأصرني عليه: أي ما يعطفني عليه، وبيني وبينه أصر رحم يأصرني عليه أصراً: يعني به: عاطفة رحم تعطفني عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وقولوا أيضاً: ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا. وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأوّلونه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ**﴾ تشديد يشدّد به كما شدّد على من كان قبلكم.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك قوله: ﴿**وَلا تُحَمِّلْنَا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ**﴾ قال: لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ**﴾ لا تفترض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به، فنعجز عنه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لنا بِهِ**﴾ مسخ القردة والخنازير.

حدثني سلام بن سالم الخزاعي، قال: ثنا أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي، قال: ثنا محمد بن شعيب بن سابور، عن سالم بن شابور في قوله: ﴿**رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ**﴾ قال: الغلمة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ**﴾ من التغليظ والأغلال التي كانت عليهم من التحريم.

وإنما قلنا: إن تأويل ذلك: ولا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به على نحو الذي قلنا في ذلك، لأنه عقيب مسألة المؤمنين ربهم أن لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطَأوا، وأن لا يحمل عليهم إصراً كما حمله على الذين من قبلهم، فكان إلحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسألتهم في الدين أولى مما خالف ذلك المعنى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا﴾.

وفي هذا أيضاً من قول الله عزّ وجلّ خبراً عن المؤمنين من مسألتهم إياه ذلك الدلالة الواضحة أنهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله: ﴿**وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ**﴾ لأنهم عقبوا ذلك بقولهم: ﴿**وَاعْفُ عَنَّا**﴾ مسألة منهم ربهم أن يعفو لهم عن تقصير إن كان منهم في بعض ما أمرهم به من فرائضه، فيصفح لهم عنه، ولا يعاقبهم عليه، وإن خفّ ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ قال: اعف عنا إن قصرنا عن شيء من أمرك مما أمرتنا به. وكذلك قوله: ﴿وَاغْفِرْ لَنا﴾ يعني: واستر علينا زلة إن أتيناها فيما بيننا وبينك، فلا تكشفها ولا تفضحنا بإظهارها. وقد دللنا على معنى المغفرة فيما مضى قبل.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد﴿وَاغْفِرْ لَنا﴾ إن انتهكنا شيئاً مما نهيتنا عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَارْحَمْنَا﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك، فإنه ليس بناج من عقابك أحد إلا برحمتك إياه دون عمله، وليست أعمالنا منجيتنا إن أنت لم ترحمنا، فوفقنا لما يرضيك عنا. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَارْحَمْنَا﴾ قال: يقول: لا ننال العمل بما أمرتنا به، ولا نترك ما نهيتنا عنه إلا برحمتك، قال: ولم ينج أحد إلا برحمتك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أنتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا على القَوْمِ الكافِرِينَ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿أنتَ مَوْلاَنَا﴾ أنت ولينا بنصرك دون من عاداك وكفر بك، لأنا مؤمنون بك ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا، فأنت وليّ من أطاعك، وعدوّ من كفر بك فعصاك، فانصرنا لأنا حزبك، على القوم الكافرين الذي جحدوا وحدانيتك، وعبدوا الآلهة والأنداد دونك، وأطاعوا في معصيتك الشيطان. والمولى في هذا الموضع المفعل من وَلَى فلان أمر فلان فهو يليه ولاية، وهو وليه ومولاه، وإنما صارت الياء من ولى ألفاً لانفتاح اللام قبلها التي هي عين الاسم.

وقد ذكر أن الله عزّ وجلّ لما أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ، فتلاها رسول الله ﷺ، استجاب الله له في ذلك كله. ذكر الأخبار التي جاءت بذلك:

حدثني المثنى بن إبراهيم ومحمد بن خلف قالا: ثنا آدم، قال: ثنا ورقاء، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قال لما نزلت هذه الآية: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال: قرأها رسول الله ﷺ، فلما انتهى إلى قوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ قال الله عز وجل: «قد غفرت لكم»، فلما قرأ: ﴿رَبَّنا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينا أوْ أخْطَأْنا﴾ قال الله عز وجل: «لا أحملكم» فلما قرأ: ﴿وَاغْفِرْ لَنا﴾ قال الله تبارك وتعالى: «قد غفرت لكم»، فلما قرأ: ﴿وَارْحَمْنا﴾

قال الله عز وجل: «قد رحمتكم»، فلما قرأ: ﴿وَانصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ قال الله عز وجل: «قد نصرتكم عليهم».

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا محمد قل: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أَوْ أَخطَأْنا﴾ فقالها، فقال جبريل: قد فعل، وقال له جبريل: قل﴿رَبَّنَا لاَ تَحمِلْ عَلَيْنَا إصْراً كَما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾ فقالها، فقال جبريل: قد فعل، فقال: قل﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ﴾، فقالها: فقال جبريل ﷺ: قد فعل، فقال: قل﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلى القَوْمِ الكافِرِينَ﴾. فقالها، فقال جبريل: قد فعل.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، قال: زعم السدي أن هذه الآية حين نزلت: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أَوْ أَخطَأْنا﴾ فقال له جبريل: فعل ذلك يا محمد، ﴿رَبَّنَا وَلا تَحمِلْ عَلَيْنَا إصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا رَبَّنا وَلا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ فقال له جبريل في كل ذلك: قل ذلك يا محمد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، وحدثنا سفيان، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن آدم بن سليمان مولى خالد، قال: سمعت سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أنزل الله عز وجل: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إلَيهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾، فقرأ: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أَوْ أَخطَأْنا﴾ قال: فقال: قد فعلت،﴿رَبَّنا وَلا تَحمِلْ عَلَيْنا إصْراً كَما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ فقال: قد فعلت،﴿رَبَّنا وَلاَ تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ﴾ قال: قد فعلت،﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ قال: قد فعلت.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، عن مصعب بن ثابت، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: أنزل الله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾ قال أبي: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَعَمْ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو حميد، عن سفيان، عن آدم بن سليمان، عن سعيد بن جبير: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها لَهَا ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لاَ تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾ قال: ويقول قد فعلت،﴿رَبَّنا وَلا تَحمِلْ عَلَيْنا إصْراً كَما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا﴾ قال: ويقول قد فعلت. فأعطيت هذه الأمة خواتيم سورة البقرة، ولم تعطها الأمم قبلها.

حدثنا علي بن حرب الموصلي، قال: ثنا ابن فضيل، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن

سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله عز وجل ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إلَيهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلى قوله: ﴿غُفْرَانَكَ رَبنا﴾ قال: قد غفرت لكم، ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها﴾ إلى قوله: ﴿لا تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾ قال: لا أؤاخذكم، ﴿رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَينا إصْراً كما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلَنا﴾ قال: لا أحمل عليكم، إلى قوله: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا أنْتَ مَوْلانا﴾ إلى آخر السورة، قال: قد عفوت عنكم، وغفرت لكم، ورحمتكم، ونصرتكم على القوم الكافرين.

وروي عن الضحاك بن مزاحم أن إجابة الله للنبيّ ﷺ خاصة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿رَبَّنا لا تُؤَاخِذْنا إنْ نَسِينا أوْ أخطَأْنا﴾ كان جبريل عليه السلام يقول له سلها، فسألها نبيّ الله ربه جل ثناءه، فأعطاه إياها، فكانت للنبيّ ﷺ خاصة.

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق: أن معاذاً كان إذا فرغ من هذه السورة: ﴿وَانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ قال: آمين.

(٣) سورة آل عمران مدنيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أخبرنا أبو جعفر محمد ين جرير بن يزيد الطبري رضي الله عنه:

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾

قال أبو جعفر: قد أتينا على البيان عن معنى قوله: ﴿الم﴾ فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وكذلك البيان عن قوله ﴿اللَّهُ﴾. وأما معنى قوله: ﴿لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ﴾ فإنه خبر من الله جلّ وعزّ أخبر عباده أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية، وتوحده بالألوهية، وأن كل ما دونه فملكه، وأن كل ما سواه فخلقه، لا شريك له في سلطانه وملكه؛ احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم بأن ذلك إذ كان كذلك، فغير جائزة لهم عبادة غيره، ولا إشراك أحد معه في سلطانه، إذ كان كل معبود سواه فملكه، وكل معظم غيره فخلقه، وعلى المملوك إفراد الطاعة لمالكه، وصرف خدمته إلى مولاه ورازقه. ومعرفاً من كان من خلقه يوم أنزل ذلك إلى نبيه محمد ﷺ، بتنزيله ذلك إليه، وإرساله به إليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه، مقيماً على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو إنسي أو ملك أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته وإلاهته، ومتخذته دون مالكه وخالقه إلهاً ورباً، أنه مقيم على ضلالة، ومنعزل عن المحجة، وراكب غير السبيل المستقيمة بصرفه العبادة إلى غيره ولا أحد له الألوهية غيره.

وقد ذكر أن هذه السورة ابتدأ الله بتنزيله فاتحتها بالذي ابتدأ به من نفي الألوهية أن يكون لغيره ووصفُه نفسه بالذي وصفها به ابتدائها احتجاجاً منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله ﷺ من نجران، فحاجّوه في عيسى صلوات الله عليه، وألحدوا في الله، فأنزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفاً وثلاثين آية من أولها، احتجاجاً عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم لنبيه محمد ﷺ، فأبوا إلا المقام على ضلالتهم وكفرهم، فدعاهم إلى المباهلة، فأبوا ذلك وسألوا قبول الجزية منهم، فقبلها ﷺ منهم، وانصرفوا إلى بلادهم. غير أن الأمر وإن كان كذلك وإياهم قصد بالحِجاج، فإن من كان معناه من سائر الخلق معناهم في الكفر

بالله، واتخاذ ما سوى الله رباً وإلهاً ومعبوداً، معمومون بالحجة التي حجّ الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه، ومحجوجون في الفرقان الذي فرق به لرسول الله ﷺ بينه وبينهم.

ذكر الرواية عمن ذكرنا قوله في نزول افتتاح هذه السورة أنه نزل في الذين وصفنا صفتهم من النصارى:

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر، قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران[1]، ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح. والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم. وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، أسقفّهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مِدْرَاسهم. وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينه. قال ابن إسحاق قال محمد بن جعفر بن الزبير: قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحِبَرات جُبب وأردية في بلحرث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم. وقد حانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ «دَعُوهُمْ»!﴾ فَصَلُّوا إلى المَشْرِقِ. قال: وكانت تسمية الأربع عشر منهم الذين يؤول إليهم أمرهم: العاقب وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد بن عمرو، وخالد، وعبد الله، ويُحَنّس؛ في ستين راكباً. فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والأيهم السيد، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون: هو الله، ويقولون: هوَ ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية. فهم يحتجون في قولهم: هو الله، بأنه كان يحيي الموتى، ويبرىء الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً، وذلك كله بإذن الله، ليجعله آية للناس. ويحتجون في قولهم: إنه ولد الله، أنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من ولد آدم من قبله. ويحتجون في قولهم: إنه ثالث ثلاثة، بقول الله عز وجل: «فعلنا» و «أمرنا» و «خلقنا» و «قضينا»، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا «فعلتُ» و «أمرتُ» و «قضيتُ» و «خلقتُ»، ولكنه هو وعيسى ومريم. ففي كل ذلك من قولهم قد

---

(١) نجران، بوزن عطشان: اسم لعدة مواضع ببلاد العرب، أشهرها نجران مدينة بالحجاز من شق اليمن. انظر معجم ما استعجم للبكري طبعة القاهرة (ص ـ ١٢٩٨).

نزل القرآن، وذكر الله لنبيه ﷺ فيه قولهم. فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله ﷺ: «أَسْلِما»!﴾ قالا: قد أسلمنا. قال: «إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِما، فأَسْلِما»!﴾ قالا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال: «كَذَبْتُمَا، يَمْنَعُكُما مِنَ الإِسْلامِ دُعاؤُكُما لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَداً، وَعِبادَتُكُما الصَّلِيبَ، وأَكْلُكُما الخِنْزِيرَ». قالا: فمن أبوه يا محمد، فصمت رسول الله ﷺ عنهما، فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صَدْرَ سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، فقال: ﴿اللَّهُ لا إله إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ فافتتح السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا، وتوحيده إياها بالخلق والأمر، لا شريك له فيه، وردًا عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجاً عليهم بقولهم في صاحبهم، ليعرفهم بذلك ضلالتهم، فقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أي ليس معه شريك في أمره.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ قال: إن النصارى أتوا رسول الله ﷺ، فخاصموه في عيسى ابن مريم، وقالوا له: من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، لا إله إلا هو، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. فقال لهم النبيّ ﷺ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لاَ يَكُونُ وَلَدٌ إِلاَّ وهُوَ يُشْبِهُ أَباهُ؟» قالوا: بلى. قال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الفَنَاءُ؟». قالوا: بلى. قال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنا قَيِّمٌ عَلى كُلِّ شَيْءٍ يَكْلَؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ؟». قال: بلى. قال: «فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً؟». قالوا: لا. قال: «أَفَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ؟». قالوا: بلى. قال: «فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إلاَّ ما عُلِّمَ؟» قالوا: لا. قال: «فإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِم كَيْفَ شاءَ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟». قالوا: بلى. قال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لاَ يَأْكُلُ الطَّعامَ ولاَ يَشْرَبُ الشَّرابَ ولا يُحْدِثُ الحَدث؟». قالوا: بلى. قال: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسى حَمَلَتْهُ امْرأَةٌ كَما تَحْمِلُ المَرأَةُ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ المَرأَةُ وَلَدها، ثُمَّ غُذِّيَ كَما يُغَذَّى الصَّبِيُّ، ثُمَّ كانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُ الشَّراب ويُحْدِثُ الحَدث؟». قالوا: بلى. قال: «فَكَيْفَ يَكونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ؟». قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾.

اختلفت القراء في ذلك، فقرأته قراء الأمصار: ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾. وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما: «الحَيُّ القَيَّامُ». وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ: «الحَيُّ القَيِّم».

حدثنا بذلك أبو كريب، قال: ثنا عثام بن عليّ، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، قال: سمعت علقمة يقرأ: «الحَيُّ القَيِّمُ» قلت: أنت سمعته؟ قال: لا أدري.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن علقمة، مثله.

وقد روي عن علقمة خلاف ذلك، وهو ما:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا شيبان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن علقمة أنه قرأ: «الحَيُّ القَيَّام».

والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا في ذلك، ما جاءت به قراءة المسلمين نقلاً مستفيضاً عن غير تشاعُر ولا تواطؤ وراثةً، وما كان مثبتاً في مصاحفهم، وذلك قراءة من قرأ﴿**الحَيُّ القَيُّوم**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الحَيُّ﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**الحَيُّ**﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك من الله تعالى ذكره: أنه وصف نفسه بالبقاء، ونفى الموت الذي يجوز على من سواه من خلقه عنها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**الحَيُّ**﴾ الذي لا يموت، وقد مات عيسى وصلب في قولهم، يعني في قول الأحبار الذين حاجوا رسول الله ﷺ من نصارى أهل نجران.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿**الحَيُّ**﴾ قال: يقول: حي لا يموت.

وقال آخرون: معنى﴿**الحَيُّ**﴾ الذي عناه الله عز وجلّ في هذه الآية ووصف به نفسه، أنه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، وأنه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والأنداد.

وقال آخرون: معنى ذلك: أن له الحياة الدائمة التي لم تزل له صفة، ولا تزال كذلك. وقالوا: إنما وصف نفسه بالحياة، لأن له حياة كما وصفها بالعلم لأن لها علماً، وبالقدرة لأن لها قدرة.

ومعنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه، من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة، والحيّ الذي لا يموت، ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه رباً، ويبيد كلّ من ادّعى من دونه إلهاً، واحتجّ على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله: هو الدائم الذي لا يموت ولا يبيد ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿القَيُّوم﴾.

قد ذكرنا اختلاف القراءة في ذلك والذي نختار منه، وما العلة التي من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك.

فأما تأويل جميع الوجوه التي ذكرنا أن القراء قرأت بها فمتقارب، ومعنى ذلك كله: القيم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبديل وزيادة ونقص. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى بن ميمون، قال: ثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه: ﴿الحَيُّ القَيُّومُ﴾ قال: القائم على كل شيء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿القَيُّوم﴾ قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه.

وقال آخرون: معنى ذلك القيام على مكانه، ووجهوه إلى القيام الدائم الذي لا زوال معه ولا انتقال، وأن الله عز وجل إنما نفى عن نفسه بوصفها بذلك التغير والتنقل من مكان إلى مكان وحدوث التبدل الذي يحدث في الآدميين وسائر خلقه غيرهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن عمر بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿القَيُّوم﴾ القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم. يعني في قول الأحبار الذين حاجوا النبيّ ﷺ من أهل نجران في عيسى. عن مكانه الذي كان به وذهب عنه إلى غيره.

وأولى التأويلين بالصواب، ما قاله مجاهد والربيع، وأن ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه، وكلاءته وتدبيره وصرفه في قدرته، من قول العرب: فلان قائم بأمر هذه البلدة، يُعنى بذلك: المتولي تدبير أمرها. فالقيُّوم إذ كان ذلك معناه «الفَيعول» من قول القائل: الله يقول بأمر خلقه، وأصله القيووم، غير أن الواو الأولى من القيوم لما سبقتها ياء ساكنة وهي متحركة قلبت ياء، فجعلت هي والياء التي قبلها ياء مشددة، لأن العرب كذلك تفعل بالواو المتحركة إذا تقدمتها ياء ساكنة. وأما القيّام، فإن أصله القيوام، وهو الفَيْعال، من قام يقوم، سبقت الواو المتحركة من قيوام ياء ساكنة، فجعلتا جميعاً ياء مشددة. ولو أن القيُّوم فعُول، كان القوّوم، ولكنه الفيعول، وكذلك القيّام لو كان الفَعّال لكان القوّام، كما قيل: الصوّام والقوام، وكما قال جل ثناؤه: ﴿كُونُوا قَوّامِين لِلّهِ شُهَداء بالقِسْطِ﴾، ولكنه الفَيْعال فقال: القيَّام. وأما القيّم فهو

الفَيْعِل من قام يقوم، سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة فجعلتا ياء مشددة، كما قيل: فلان سيد قومه، من ساد يسود، وهذا طعام جيد من جاد يجود، وما أشبه ذلك. وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ لأنه قصد به قصد المبالغة في المدح، فكان القَيُّوم والقيَّام والقيِّم أبلغ في المدح من القائم. وإنما كان عمر رضي الله عنه يختار قراءته إن شاء الله «القيَّام»، لأن ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز في ذوات الثلاثة من الياء والواو، فيقولون للرجل الصوّاغ: الصيَّاغ، ويقولون للرجل الكثير الدوران الديّار. وقد قيل إن قول الله جل ثناؤه: ﴿**لا تَذرْ على الأرْضِ من الكافِرِين ديَّاراً**﴾ إنما هو «دوّاراً» «فعّالاً» من دار يدور، ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز، وأقرّت كذلك في المصحف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾

يقول جلّ ثناؤه: يا محمد إن ربك وربّ عيسى ورب كل شيء، هو الرب الذي أنزل عليك﴿**الكِتَابَ**﴾ يعني بالكتاب: القرآن. ﴿**بالحقّ**﴾ يعني بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والإنجيل، وفيما خالفك فيه محاجوك من نصارى أهل نجران، وسائر أهل الشرك غيرهم. ﴿**مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيهِ**﴾ يعني بذلك القرآن، أنه مصدّق لما كان قبله من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده، لأن منزل جميع ذلك واحد، فلا يكون فيه اختلاف، ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ قال: لما قبله من كتاب أو رسول.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ لما قبله من كتاب أو رسول.

حدثني محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتابَ بالحَقّ**﴾ أي بالصدق فيما اختلفوا فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بالحَقِّ مصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ يقول: القرآن مصدّقاً لما بين يديه من الكتب التي قد خلت قبله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثني ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول: مصدّقاً لما قبله من كتاب ورسول.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإنجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى للنَّاسِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: من قبل الكتاب الذي نزّله عليك. ويعني بقوله: ﴿هُدًى للنَّاسِ﴾ بياناً للناس من الله، فيما اختلفوا فيه من توحيد الله وتصديق رسله، ومفيداً يا محمد أنك نبيي ورسولي، وفي غير ذلك من شرائع دين الله. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وأنْزَلَ التَّوْراة والإنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى للنَّاسِ﴾ هما كتابان أنزلهما الله، فيما بيان من الله، وعصمة لمن أخذ به وصدق به وعمل بما فيه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وأنْزَلَ التَّوْراةَ والإنْجِيلَ﴾ التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبلهما.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وأنْزَلَ الفُرْقانَ﴾.

يعني جل ثناؤه بذلك: وأنزل الفصل بين الحقّ والباطل، فيما اختلفت فيه الأحزاب وأهل الملل في أمر عيسى وغيره. وقد بينا فيما مضى أن الفُرقان إنما هو الفُعلان من قولهم: فرق الله بين الحقّ والباطل يفصل بينهما بنصره بالحق على الباطل؛ إما بالحجة البالغة، وإما بالقهر والغلبة بالأيدي والقوّة.

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن بعضهم وجه تأويله إلى أنه فصل بين الحق والباطل في أمر عيسى، وبعضهم إلى أنه فصل بين الحق والباطل في أحكام الشرائع. ذكر من قال: معناه: الفصل بين الحقّ والباطل في أمر عيسى والأحزاب:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وأنْزَلَ الفُرْقانَ﴾ أي الفصل بين الحقّ والباطل، فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره.

ذكر من قال: معنى ذلك الفصل بين الحقّ والباطل في الأحكام وشرائع الإسلام:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ﴾ هو القرآن أنزله على محمد وفرق به بين الحقّ والباطل، فأحلّ فيه حلاله، وحرّم فيه حرامه، وشرع فيه شرائعه، وحدّ فيه حدوده، وفرض فيه فرائضه، وبين فيه بيانه، وأمر بطاعته، ونهى عن معصيته.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وأنْزَلَ

الفُرْقانَ﴾ قال: الفرقان: القرآن فرق بين الحقّ والباطل.

والتأويل الذي ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير في ذلك، أولى بالصحة من التأويل الذي ذكرناه عن قتادة والربيع، وأن يكون معنى الفرقان في هذا الموضع: فصل الله بين نبيه محمد ﷺ والذي حاجوه في أمر عيسى وفي غير ذلك من أموره بالحجة البالغة القاطعة عُذْرَهم وعُذْرَ نظرائهم من أهل الكفر بالله.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأن إخبار الله عن تنزيله القرآن قبل إخباره عن تنزيله التوراة والإنجيل في هذه الآية قد مضى بقوله: **﴿نَزَّلَ عَلَيكَ الكِتابَ بالحَقّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾** ولا شك أن ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره، فلا وجه لتكريره مرّة أخرى، إذ لا فائدة في تكريره، ليست في ذكره إياه وخبره عنه ابتداء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذو انْتِقام﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: إن الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته، وأن عيسى عبد له واتخذوا المسيح إلهاً ورباً، أو ادّعوه لله ولداً، **﴿لهم عَذَابٌ﴾** من الله **﴿شَدِيدٌ﴾** يوم القيامة، والذين كفروا هم الذين جحدوا آيات الله. وآيات الله: أعلام الله وأدلته وحُججه.

وهذا القول من الله عزّ وجلّ، يُنْبِيء عن معنى قوله: **﴿وأنْزَلَ الفُرْقَانَ﴾** أنه معنيّ به الفصل الذي هو حجة لأهل الحقّ على أهل الباطل لأنه عقب ذلك بقوله: **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ﴾** يعني: أن الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقان الذي أنزله فرقاً بين المحقّ والمبطل، **﴿لهمْ عذابٌ شديدٌ﴾** وعيد من الله لمن عاند الحقّ بعد وضوحه له، وخالف سبيل الهدى بعد قيام الحجة عليه. ثم أخبرهم أنه عزيز في سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم، ولا يحول بينه وبينه حائل، ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد، وأنه ذو انتقام ممن جحد حججه وأدلته، بعد ثبوتها عليها، وبعد وضوحها له ومعرفته بها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ﴾** أي أن الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها، ومعرفته بما جاء منه فيها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقام﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: إن الله لا يخفى عليه شيء وهو في الأرض ولا شيء وهو في السماء. يقول: فيكف يخفى عليّ يا محمد، وأنا علام جميع الأشياء، ما يُضَاهَى به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى جران في عيسى ابن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه؟ كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿إنَّ اللَّهَ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ﴾** أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى إذ جعلوه رباً وإلهاً، وعندهم من علمه غير ذلك، غرّةً بالله وكفراً به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: الله الذي يصوّركم فيجعلكم صوراً أشباحاً في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحبّ، فيجعل هذا ذكراً وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر. يعرّف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوّره وخلقه كيف شاء، وأن عيسى ابن مريم ممن صوّره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحبّ، وأنه لو كان إلهاً لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه، لأن خلاّق ما في الأرحام لا تكون الأرحام عليه مشتملة، وإنما تشتمل على المخلوقينَ. كما:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُم فِي الأرْحَامِ كَيفَ يَشاءُ﴾** قد كان عيسى ممن صُوِّر في الأرحام، لا يدفعون ذلك، ولا ينكرونه، كما صور غيره من بني آدم، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل؟

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿هُوَ الَّذِي يُصوِّرَكُمْ فِي الأرْحامِ كَيفَ يَشاءُ﴾** أي أنه صور عيسى في الرحم كيف شاء.

وقال آخرون في ذلك، ما:

---

(١) في «**اللسان**»: قال صاحب العين، ضاهأت الرجل وضاهيته: أي شابهته، يهمز ولا يهمز.

حدثنا به موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قوله: ﴿**هُو الَّذِي يُصوِّرُكُمْ في الأرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ**﴾ قال: إذا وقعت النطفة في الأرحام، طارت في الجسد أربعين يوماً، ثم تكون علقة أربعين يوماً، ثم تكون مضغة أربعين يوماً، فإذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكاً يصوّرها، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه، فيخلطه في المضغة ثم يعجنه بها ثم يصوّرها كما يؤمر، فيقول: أذكر أو أنثى، أشقيّ أو سعيد، وما رزقه، وما عمره، وما أثره، وما مصائبه؟ فيقول الله، ويكتب الملك. فإذا مات ذلك الجسد، دفن حيث أُخِذَ ذلك التراب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصوِّرُكُمْ في الأرْحامِ كَيْف يَشاءُ**﴾ قادر والله ربنا أن يصوّر عباده في الأرحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى، أو أسود أو أحمر، تام خلقه وغير تام.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لا إلٰهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ربوبيته ندّ أو مثل أو أن تجوز الألوهة لغيره، وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى، ولجميع من ادّعى مع الله معبوداً، أو أقرّ بربوبية غيره. ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته وعيداً منه لمن عبد غيره أو أشرك في عبادته أحداً سواه، فقال: ﴿**هُوَ العَزِيزُ**﴾ الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد، ولا ينجيه منه وألٌ ولا لَجأٌ، وذلك لعزّته التي يذلّ لها كل مخلوق، ويخضع لها كل موجود. ثم أعلمهم أنه الحكيم في تدبيره، وإعذاره إلى خلقه، ومتابعة حججه عليهم، ليهلك من هلك منهم عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: ثم قال: . يعني الربّ عزّ وجلّ إنزاهاً لنفسه، وتوحيداً لها مما جعلوا معه ـ﴿**لا إلٰهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ قال: العزيز في نصرته ممن كفر به إذا شاء، والحكيم في عذره وحجته إلى عباده.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**لا إلٰهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ يقول: عزيز في نقمته، حكيم في أمره.

---

(١) كذا في «**الأصول**» و «**الدر المنثور**» (٢/ ٤).

(٢) اللجأ بوزن سبب: الملجأ والمعقل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ﴾ أن الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ﴾ يعني بالكتاب: القرآن. وقد أتينا على البيان فيما مضى عن السبب الذي من أجله سُمّي القرآن كتاباً بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ فإنه يعني من الكتاب آيات، يعني بالآيات آيات القرآن. وأما المحكمات: فإنهنّ اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك. ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن هنّ أمّ الكتاب، يعني بذلك أنهنّ أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم. وإنما سماهنّ أم الكتاب، لأنهنّ معظم الكتاب، وموضع مفزع أهله عند الحاجة إليه، وكذلك تفعل العرب، تسمي الجامع معظم الشيء أمًّا له، فتسمي راية القوم التي تجمعهم في العساكر أمهم، والمدبر معظم أمر القرية والبلدة أمها. وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته. ووحد أمّ الكتاب، ولم يجمع فيقول: هنّ أمهات الكتاب، وقد قال هنّ لأنه أراد جميع الآيات المحكمات أمّ الكتاب، لا أن كل آية منهنّ أمّ الكتاب، ولو كان معنى ذلك أن كل آية منهنّ أمّ الكتاب، لكان لا شكّ قد قيل: هنّ أمهات الكتاب. ونظير قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾ على التأويل الذي قلنا في توحيد الأم وهي خبر لـ «هُنَّ» قوله تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَةً﴾ ولم يقل آيتين، لأن معناه: وجعلنا جميعهما آية، إذ كان المعنى واحداً فيما جُعلا فيه للخلق عبرة. ولو كان مراده الخبر عن كل واحد منهما على انفراده، بأنه جعل للخلق عبرة، لقيل: وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين؛ لأنه قد كان في كل واحد منهما لهم عبرة. وذلك أن مريم ولدت من غير رجل، ونطق ابنها فتكلم في المهد صبياً، فكان في كل واحد منهما للناس آية.

وقد قال بعض نحويي البصرة: إنما قيل: ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾ ولم يقل: «هنّ أمهات الكتاب» على وجه الحكاية، كما يقول الرجل: ما لي أنصار، فتقول: أنا أنصارك، أو ما لي نظير، فتقول: نحن نظيرك. قال: وهو شبيه «دعني من تمرتان»، وأنشد لرجل من فقعس:

تَعَرَّضَتْ لِي بِمَكَانٍ حَلِّ تَعَرُّضَ المُهْرَةِ فِي الطِّوَلِّ
تَعَرُّضاً لَمْ تَأْلُ عَنْ قَتْلاً لِي

حَلِّ أي يحلّ به، على الحكاية، لأنه كان منصوباً قبل ذلك، كما يقول: نودي: الصلاةَ الصلاةَ، يحكي قول القائل: الصلاةَ الصلاةَ! وقال: قال بعضهم: إنما هي أن قتلاً لي، ولكنه جعله «عن» لأن أن في لغته تجعل موضعها «عن» والنصب على الأمر، كأنك قلت: ضرباً لزيد. وهذا قول لا معنى له، لأن كل هذه الشواهد التي استشهد بها، لا شكّ أنهنّ حكايات حالتهن بما حكي عن قول غيره وألفاظه التي نطق بهنّ، وأن معلوماً أن الله جلّ ثناؤه لم يحك عن أحد قوله: أمّ الكتاب، فيجوز أن يقال: أخرج ذلك مخرج الحكاية عمن قال ذلك كذلك.

وأما قوله ﴿وأُخرَ﴾ فإنها جمع أخرى.

ثم اختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم يصرف «أُخر»، فقال بعضهم: لم يصرف أُخَر من أجل أنها نعت واحدتها أخرى، كما لم تصرف جُمع وكُتع، لأنهنّ نعوت.

وقال آخرون: إنما لم تصرف الأُخَر لزيادة الياء التي في واحدتها، وأن جمعها مبني على واحدها في ترك الصرف، قالوا: وإنما ترك صرف أخرى، كما ترك صرف حمراء وبيضاء في النكرة والمعرفة لزيادة المدة فيها والهمزة بالواو، ثم افترق جمع حمراء وأخرى، فبنى جمع أخرى

---

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي، ويقال منظور بن حبة، وهي أمه، من أرجوزة بلغت أبياتها المتفرقة في الكتب ودواوين اللغة ١٨ بيتاً. وانظرها كاملة في هامش الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جني طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (ص ـ ١٧٨، ٢٣٥)، والطول: بتشديد اللام في الوقف. في الشعر خاصة. وهو بوزن عنب: حبل طويل تربط فيه الدابة من طرف ويمسك طرفه الآخر بوتد أو نحوه، لتدور فيه وترعى. وقال ابن جنى في «سر الصناعة» (١/ ٢٣٦) في قوله «عن قتلا لي»: هكذا أنشدنيه أبو علي. وحمله تأويلين: أنه قال: يجوز أن يكون أراد به الحكاية، كأنه حكى النص الذي كان معتاداً من قولها في بابه، أي كانت تقول: قتلاً قتلاً ثم حكى ما كانت تلفظ به، كما تقول: بدأت بالحمد لله (بضم الدال)، وقرأت على خاتمه: الله ربنا، وكقول الآخر:

وَجَدْنَا فِي كِتَابِ بَنِي تَمِيمٍ أَحَقُّ الخَيْلِ بِالرَّكْضِ المُعَارُ

أي وجدنا هذا مكتوباً عندهم. والمعار ههنا: السمين. هكذا قال أبو حاتم. ثم قال (ص ـ ٢٣٧) سطر ٣ والوجه الآخر: أنه قال: يجوز أن يكون أراد: «أن (قتلا لي) أي أن قتلتني قتلاً، فأبدل الهمزة عينا» ا هـ.

(٢) هذه العبارة كما في الأصول: وهي مضطربة ولعل أصلها كما هو المفهوم من السياق: لم يقلْ، عن قتل وأتى به على الحكاية. وبهذا التقدير يستقيم الكلام.

(٣) في «الأصول»: آخر تحريف.

(٤) هذا قول نقله صاحب «اللسان» عن الزجاج.

(٥) قوله: والهمزة بالواو. غير واضح. ولعل أصله، والهمزة بالواحد، يريد الهمزة الأولى في آخر (أصله آخر).

على واحدته، فقيل: فُعَل أُخَر، فترك صرفها كما ترك صرف أخرى، وبنى جمع حمراء وبيضاء على خلاف واحدته، فصرف، فقيل حُمْر وبِيض. فلاختلاف حالتيهما في الجمع اختلف إعرابهما عندهم في الصرف، ولاتفاق حالتيهما في الواحدة اتفقت حالتهما فيها.

وأما قوله: ﴿**مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ فإن معناه: متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعنى، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**وأُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً**﴾ يعني في المنظر: مختلفاً في المطعم، وكما قال مخبراً عمن أخبر عنه من بني إسرائيل أنه قال: ﴿**إنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا**﴾ يعنون بذلك: تشابه علينا في الصفة، وإن اختلفت أنواعه.

فتأويل الكلام إذاً: إن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هنّ أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين، وإليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام، وآيات أخر هنّ متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعاني.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هنَّ أمُّ الكتابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ**﴾ وما المحكم من آي الكتاب، وما المتشابه منه؟

فقال بعضهم: المحكمات من آي القرآن: المعمول بهنّ، وهن الناسخات، أو المثبتات الأحكام؛ والمتشابهات من آية: المتروك العمل بهن، المنسوخات.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوّام، عمن حدثه، عن ابن عباس في قوله: ﴿**مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ**﴾ قال: هي الثلاث الآيات التي ههنا: ﴿**قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾ إلى ثلاث آيات، والتي في بني إسرائيل: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ**﴾ إلى آخر الآيات.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ**﴾ المحكمات: ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به، ويعمل به. قال: ﴿**وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**﴾ والمتشابهات: منسوخه، ومقدّمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به، ولا يعمل به.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ**﴾ إلى ﴿**وَأُخَرُ مُتَشَابِهاتٌ**﴾ فالمحكمات التي

هي أم الكتاب: الناسخ الذي يدان به ويعمل به؛ والمتشابهات: هن المنسوخات التي لا يدان بهن.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ**﴾ إلى قوله: ﴿**كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا**﴾ أما الآيات المحكمات: فهن الناسخات التي يعمل بهنّ؛ وأما المتشابهات: فهنّ المنسوخات.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هنَّ أُمُّ الكِتابِ**﴾ والمحكمات: الناسخ الذي يعمل به ما أحلّ الله فيه حلاله وحرم فيه حرامه؛ وأما المتشابهات: فالمنسوخ الذي لا يعمل به ويؤمن به.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**آياتٌ مُحْكَمَاتٌ**﴾ قال: المحكم: ما يعمل به.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتاب وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**﴾ قال: المحكمات: الناسخ الذي يعمل به، والمتشابهات: المنسوخ الذي لا يعمل به، ويؤمن به.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ**﴾ قال: الناسخات، ﴿**وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**﴾ قال: ما نسخ وُترِكَ يتلى.

حدثني ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك بن مزاحم، قال: المحكم ما لم ينسخ، وما تشابه منه: ما نسخ.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ**﴾ قال: الناسخ، ﴿**وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**﴾ قال: المنسوخ.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**﴾ قال: المحكمات: الذي يعمل به.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يحدث، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ**﴾ يعني: الناسخ الذي يعمل به، ﴿**وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ**﴾ يعني المنسوخ، يؤمن به ولا يعمل به.

حدثني أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سلمة، عن الضحاك: **﴿مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾** قال: ما لم ينسخ، **﴿وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾** قال: ما قد نسخ.

وقال آخرون: المحكمات من آي الكتاب: ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه؛ والمتشابه منها: ما أشبه بعضه بعضاً في المعاني وإن اختلفت ألفاظه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾** ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك، فهو متشابه يصدّق بعضه بعضاً، وهو مثل قوله: **﴿وَما يَضِلُّ بِهِ إلاَّ الفاسِقِينَ﴾، ومثل قوله: ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾**، ، **ومثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وآتاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. مثله.

وقال آخرون: المحكمات من آي الكتاب: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد؛ والمتشابه منه: ما احتمل من التأويل أوجهاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾** فيهن حجة الربّ، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه. وأُخر متشابهة في الصدق، لهنّ تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهنّ العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام، لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرّفن عن الحقّ.

وقال آخرون: معنى المحكم: ما أحكم الله فيه من آي القرآن وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا إليهم، ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته. والمتشابه: هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد وقرأ: **﴿الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾** قال: وذكر حديث رسول الله ﷺ في أربع وعشرين آية منها، وحديث نوح في أربع وعشرين آية منها. ثم قال: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ﴾** ثم ذكر: **﴿وَإِلى**

عاد﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ ثم مضى ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً، وفرغ من ذلك. وهذا يقين، ذلك يقين أحكمت آياته ثم فصلت. قال: والمتشابه ذكر موسى في أمكنة كثيرة، وهو متشابه، وهو كله معنى واحد ومتشابه: ﴿اسْلُكْ فِيها﴾ ﴿احْمِلْ فِيها﴾ ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾ ﴿أَدْخِلْ يَدَكَ﴾ ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾. قال: ثم ذكر هوداً في عشر آيات منها، وصالحاً في ثماني آيات منها وإبراهيم في ثماني آيات أخرى، ولوطاً في ثماني آيات منها، وشعيباً في ثلاث عشرة آية، وموسى في أربع آيات، كل هذا يقضي بين الأنبياء وبين قومهم في هذه السورة، فانتهى ذلك إلى مائة آية من سورة هود، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْباءِ القُرَى نَقُصُّهُ عَلَيكَ مِنْها قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾. وقال في المتشابه من القرآن: من يرد الله به البلاء والضلالة، يقول: ما شأن هذا لا يكون هكذا، وما شأن هذا لا يكون هكذا؟

وقال آخرون: بل المحكم من آي القرآن: ما عرف العلماء تأويله، وفهموا معناه وتفسيره؛ والمتشابه: ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة، وفناء الدنيا، وما أشبه ذلك، فإن ذلك لا يعلمه أحد. وقالوا: إنما سمى الله من آي الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التي في أوائل بعض سور القرآن من نحو الم، والمص، والمر، والر، وما أشبه ذلك، لأنهن متشابهات في الألفاظ، وموافقات حروف حساب الجمل. وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله ﷺ طمعوا أن يدركوا من قبلها معرفة مدة الإسلام وأهله، ويعلموا نهاية أُكْلِ محمد وأمته، فأكذب الله أحدوثتهم بذلك، وأعلمهم أن ما ابْتَغَوْا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه ولا من قبل غيرها، وأن ذلك لا يعلمه إلا الله. وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رئاب أن هذه الآية نزلت فيه، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته في تأويل ذلك في تفسير قوله: ﴿الم ذَلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾. وهذا القول الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية، وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسول الله ﷺ، فإنما أنزله عليه بياناً له ولأمته وهدى للعالمين، وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجة، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل. فإذا كان ذلك كذلك، فكل ما فيه لخلقه إليه الحاجة، وإن كان في بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى، وإن اضطرته الحاجة إليه في معان كثيرة، وذلك كقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْراً﴾ فأعلم النبيّ ﷺ أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها إذا جاءت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك، هي طلوع الشمس من مغربها. فالذي كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته بغير تحديده بعد بالسنين والشهور والأيام، فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب، وأوضحه لهم على لسان رسول ﷺ مفسّراً. والذي لا حاجة لهم إلى علمه

منه هو العلم بمقدار المدة التي بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا، وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه، فحجبه عنهم، وذلك وما أشبهه هو المعنى الذي طلبت اليهود معرفته في مدة محمد ﷺ وأمته من قبل قوله: الم، والمص، والر، والمر، ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات، التي أخبر الله جل ثناؤه أنهم لا يدركون تأويل ذلك من قِبَله، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله.

فإذا كان المتشابه هو ما وصفنا، فكل ما عداه فمحكم، لأنه لن يخلو من أن يكون محكماً بأنه بمعنى واحد لا تأويل له غير تأويل واحد، وقد استغني بسماعه عن بيان يبيّنه، أو يكون محكماً، وإن كان ذا وجوه وتأويلات وتصرف في معان كثيرة، فالدلالة على المعنى المراد منه إما من بيان الله تعالى ذكره عنه أو بيان رسوله ﷺ لأمته، ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأمة لما قد بينا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾.

قد أتينا على البيان عن تأويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه، ونحن ذاكرو اختلاف أهل التأويل فيه. وذلك أنهم اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى قوله: **﴿هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾** هنّ اللائي فيهنّ الفرائض والحدود والأحكام، نحو قيلنا الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمران بن موسى القزاز، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن يحيى بن يعمر أنه قال في هذه الآية: **﴿مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾** قال يحيى: هنّ اللاتي فيهنّ الفرائض والحدود وعماد الدين، وضرب لذلك مثلاً فقال: أم القرى مكة، وأم خراسان مرو، وأمّ المسافرين الذين يجعلون إليه أمرهم، ويُعْنَى بهم في سفرهم، قال: فذاك أمهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾** قال: هنّ جماع الكتاب.

وقال آخرون: بل معنيّ بذلك فواتح السور التي منها يستخرج القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن أبي فاختة أنه قال في هذه الآية: **﴿مِنْهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾** قال: أم الكتاب: فواتح السور، منها يستخرج القرآن؛ **﴿الم ذَلِكَ الكِتابُ﴾** منها استخرجت البقرة، و**﴿الم اللَّهُ لا إِلَهَ إلاَّ هُوَ﴾** منها استخرجت آل عمران.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحقّ، وانحراف عنه. يقال منه: زاغ فلان عن الحقّ، فهو يزيغ عنه زَيْغاً وَزَيَغاناً وزَيْغُوغة وزُيُوغاً، وأزاغه الله: إذا أماله، فهو يُزيغه، ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تملها عن الحقّ ﴿بعدَ إذْ هَدَيْتَنا﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿فأمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي ميل عن الهدى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قال: شك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿فأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قال: من أهل الشكّ.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ: ﴿فأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أما الزيغ: فالشك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: ﴿زَيْغٌ﴾: شكّ. قال ابن جريج﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ المنافقون.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات، ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: ﴿فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويلبِّسون، فلبَّس الله عليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي ما تحرف منه وتصرف، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا، ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة.

٥١٨٥ . **حدثنا** القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ قال: الباب الذي ضلوا منه وهلكوا فيه ابتغاء تأويله.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني حدثني به موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي في قوله: ﴿فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يتبعون المنسوخ والناسخ، فيقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا مجاز هذه الآية، فتركت الأولى وعمل بهذه الأخرى؟ هلا كان العمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التي نسخت. وما باله يعد العذاب من عمل عملاً يعدّ به النار وفي مكان آخر من عمله فإنه لم يوجب النار.

واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية، فقال بعضهم: عني به الوفدُ من نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ، فحاجوه بما حاجوه به، وخاصموه بأن قالوا: ألست تزعم أن عيسى روح الله وكلمته؟ وتأوّلوا في ذلك ما يقولون فيه من الكفر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: عمدوا - يعني الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من نصارى نجران - فخاصموا النبيّ ﷺ، قالوا: ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: ﴿ «بلى»، قالوا: فحسبنا! فأنزل الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ﴾. ثم إن الله جلّ ثناؤه أنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ . . . الآية.

وقال آخرون: بل أنزلت هذه الآية في أبي ياسر بن أخطب، وأخيه حيي بن أخطب، والنفر الذين ناظروا رسول الله ﷺ في قدر مدة أُكله وأكل أمته، وأرادوا علم ذلك من قبل قوله: الم، والمص، والمر، والر فقال الله جل ثناؤه فيهم: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ يعني هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحقّ، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ يعني معاني هذه الحروف المقطعة المحتملة التصريف في الوجوه المختلفة التأويلات ابتغاء الفتنة. وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل في أول السورة التي تذكر فيها البقرة.

وقال آخرون: بل عنى الله عزّ وجلّ بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمداً ﷺ بتأويل يتأوّله من بعض آي القرآن المحتملة التأويلات، وإن كان الله قد أحكم بيان ذلك، إما في كتابه وإما على لسان رسوله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿فأمّا الَّذين فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاء الفِتْنَةِ﴾**. وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: **﴿فأمّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾** قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم. ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار، خبر لمن استخبر، وعبرة لمن استعبر، لمن كان يعقل أو يبصر. إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق وأزواجه يومئذ أحياء، والله إن خرج منهم ذكر ولا أنثى حرورياً قط، ولا رضوا الذي هم عليه ولا مالئوهم فيه، بل كانوا يحدّثون بعيب رسول الله ﷺ إياه ونعته الذي نعتهم به، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ويعادونهم بألسنتهم وتشتدّ والله عليهم أيديهم إذا لقوهم. ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع، ولكنه كان ضلالاً فتفرّق، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً، فقد ألاصوا[1] هذا الأمر منذ زمان طويل، فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا؟ يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأوّلهم؟ لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلحه ونصره، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه، فهم كما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم، وأكذب أحدوثتهم، وأهرق دماءهم؛ وإن كتموا كان قرحاً في قلوبهم وغماً عليهم، وإن أظهروه أهراق الله دماءهم، ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه. والله إن اليهود لبدعة، وإن النصرانية لبدعة، وإن الحرورية لبدعة، وإن السبئية لبدعة، ما نزل بهنّ كتاب ولا سنهنّ نبيّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿فأمّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زيغٌ فَيَتَّبِعُون ما تَشابَه مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وابْتِغاء تأوِيلِهِ﴾** طلب القوم التأويل فأخطأوا التأويل، وأصابوا الفتنة، فاتبعوا ما تشابه منه فهلكوا من ذلك. لعمري لقد كان في أصحاب بدر والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوان. وذكر نحو حديث عبد الرزاق، عن معمر، عنه.

حدثني محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن إبراهيم، قالا: ثنا إسماعيل بن علية، عن أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قرأ رسول الله ﷺ: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ**

---

(١) الأصوا الأمر: أداروه وألصته على الشيء مثل راودته عليه وداورته.

الكِتابَ﴾ إلى قوله: **﴿وَما يَذَّكَرُ إلاَّ أُولُوا الألْبابِ﴾** فقال: «فإذَا رأيْتُمُ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فاحْذَرُوهُمْ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة أنها قالت قرأ نبيّ الله ﷺ هذه الآية: **﴿هُوَ الَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ﴾** إلى: **﴿وَما يَذَّكَرُ إلاَّ أُولُوا الألْبابِ﴾**. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإذَا رأيْتُمُ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِيهِ» أو قال: «يَتَجادَلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فاحْذَرُوهُمْ» قال مطر، عن أيوب أنه قال: «فلا تجالسوهم، فهم الذين عنى الله فاحذروهم».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبيّ ﷺ، بنحو معناه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبيّ ﷺ، نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا الحارث، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة عن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: **﴿هُوَ الَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾**... الآية كلها، فقال رسول الله ﷺ: «إذَا رأيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ وَالَّذِينَ يُجادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ قالَ اللَّهُ: فَلا تُجالِسُوهُمْ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن يزيد بن إبراهيم، عن ابن أبي مليكة، قال: سمعت القاسم بن محمد يحدّث عن عائشة، قالت: تلا النبيّ ﷺ هذه الآية: **﴿هُوَ الَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ﴾** ثم قرأ إلى آخر الآيات، فقال: «إذَا رأيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزع رسول الله ﷺ: **﴿يَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ﴾** فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ حَذَّرَكُمُ اللَّهُ، فإذَا رأيْتُمُوهُمْ فاعْرِفُوهُمْ».

حدثنا عليّ، قال: ثنا الوليد، عن نافع، عن عمر، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذَا رأيْتُمُوهُمْ فاحْذَرُوهُمْ!»، ثم نزع: **﴿فأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ﴾** **﴿«وَلا يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ»**.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: أخبرنا عمي، قال: أخبرني شبيب بن سعيد، عن روح بن القاسم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿**فأمّا الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللّهُ وَالرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ فقال: «فإذَا رَأيْتُمُ الّذِينَ يُجادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الّذِينَ عَنَى اللّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا خالد بن نزار، عن نافع، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة في هذه الآية: ﴿**هُوَ الّذِي أنْزَل عَلَيْكَ الكِتابَ**﴾... الآية. يتبعها: يتلوها، ثم يقول: «فإذا رَأيْتُمُ الّذينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَاحْذَرُوهُمْ فَهُمُ الّذِينَ عَنَى اللّهُ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة، عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿**هُو الّذِي أنْزل عَلَيك الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ**﴾ إلى آخر الآية، قال: «هُمُ الّذِينَ سَمّاهُمُ اللّهُ، فإذَا رَأيْتُمُوهُمْ فاحْذَرُوهُمْ».

قال أبو جعفر: والذي يدلّ عليه ظاهر هذه الآية أنها نزلت في الذين جادلوا رسول الله ﷺ بمتشابه ما أنزل إليه من كتاب الله إما في أمر عيسى، وإما في مدة أُكله وأُكل أمته، وهو بأن تكون في الذين جادلوا رسول الله ﷺ بمتشابهه في مدته ومدة أمته أشبه، لأن قوله: ﴿**وما يَعْلَمُ تأوِيلَهُ إلاَّ اللّهُ**﴾ دالّ على أن ذلك إخبار عن المدة التي أرادوا علمها من قبل المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. فأما أمر عيسى وأسبابه، فقد أعلم الله ذلك نبيه محمداً ﷺ وأمته وبينه لهم، فمعلوم أنه لم يعن إلا ما كان خفياً عن الآحاد.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ابتغاء الشرك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ**﴾ قال: إرادة الشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**ابْتِغاء الفِتْنَةِ**﴾ يعني الشرك.

وقال آخرون: معنى ذلك ابتغاء الشبهات.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ﴾ قال: الشبهات بها أهلكوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ﴾ الشبهات، قال: هلكوا به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ﴾ قال: الشبهات، قال: والشبهات ما أهلكوا به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ﴾ أي اللبس.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إرادة الشبهات واللبس. فمعنى الكلام إذاً: فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحقّ وَحَيْفٌ عنه، فيتبعون من آي الكتاب ما تشابهت ألفاظه، واحتمل صرفه في وجوه التأويلات، باحتماله المعاني المختلفة إرادة اللبس على نفسه وعلى غيره، احتجاجاً به على باطله الذي مال إليه قلبه دون الحقّ الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه.

وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك، فإنه معنيّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة، فمال قلبه إليها، تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاجّ به وجادل به أهل الحقّ، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحقّ من المؤمنين، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائناً من كان، وأيّ أصناف البدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية، أو كان سبئياً، أو حرورياً، أو قدرياً، أو جهمياً، كالذي قال ﷺ: «فإذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ». وكما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: وذكر عنده الخوارج، وما يلقون عند الفرار، فقال: يؤمنون بمحكمه، ويهلكون عند متشابهه. وقرأ ابن عباس: ﴿وما يَعْلَمُ تأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾... الآية.

وإنما قلنا: القول الذي ذكرنا أنه أولى التأويلين بقوله: ﴿ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ﴾ لأن الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شرك، وإنما أرادوا بطلب تأويل ما طلبوا تأويله اللبس على المسلمين والاحتجاج به عليهم ليصدّوهم عما هم عليه من الحقّ، فلا معنى لأن يقال: فعلوا ذلك إرادة الشرك، وهم قد كانوا مشركين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وابتغاء تأويله﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى التأويل الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وابتغاء تأويله﴾ فقال بعضهم معنى ذلك: الأجل الذي أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر محمد ﷺ وأمر أمته من قِبَل الحروف المقطعة من حساب الجُمَل كـ «الم»، و «المص»، و «الر»، و «المر» وما أشبه ذلك من الآجال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: أما قوله: ﴿وما يَعْلَمُ تأويلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾ يعني تأويله يوم القيامة إلا الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: عواقب القرآن. وقالوا: إنما أرادوا أن يعلموا متى يجيء ناسخ الأحكام التي كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الإسلام قبل مجيئه، فنسخ ما قد كان شرعه قبل ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أرادوا أن يعلموا تأويل القرآن، وهو عواقبه، قال الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾، وتأويله: عواقبه، متى يأتي الناسخ منه فينسخ المنسوخ.

وقال آخرون: معنى ذلك: وابتغاء تأويل ما تشابه من آي القرآن يتأوّلونه ـ إذ كان ذا وجوه وتصاريف في التأويلات ـ على ما في قلوبهم من الزيغ، وما ركبوه من الضلالة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ وذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم، خلقنا وقضينا.

والقول الذي قاله ابن عباس من أن ابتغاء التأويل الذي طلبه القوم من المتشابه هو معرفة انقضاء المدة، ووقت قيام الساعة، والذي ذكرنا عن السدي من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت هُو جاءٍ قبل مجيئه أولى بالصواب، وإن كان السدي قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه إلى حصره على أن معناه: إن القوم طلبوا معرفة وقت مجيء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك.

وإنما قلنا: إن طلب القوم معرفة الوقت الذي هو جاء قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آي القرآن، أولى بتأويل قوله: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ لما قد دللنا عليه قبل من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلا الله، ولا شك أن معنى قوله: «قضينا» و «فعلنا»،

قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك، فضلاً عن أهل الإيمان وأهل الرسوخ في العلم منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾.

يعني جل ثناؤه بذلك: وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أُكل محمد وأمته وما هو كائن، إلا الله، دون من سواه من البشر الذين أمّلوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة.

وأما الراسخون في العلم، فيقولون: آمنا به كل من عند ربنا، لا يعلمون ذلك، ولكن فضل علمهم في ذلك على غيرهم العلم بأن الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، وهل الراسخون معطوف على اسم الله، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه، أو هم مستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون آمنا بالمتشابه، وصدّقنا أن علم ذلك لا يعلمه إلا الله؟ فقال بعضهم: معنى ذلك: وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفرداً بعلمه. وأما الراسخون في العلم فإنهم ابتدىء الخبر عنهم بأنهم يقولون: آمنا بالمتشابه والمحكم، وأن جميع ذلك من عند الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا خالد بن نزار، عن نافع، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ قالت: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه، ولم يعلموا تأويله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، قال: كان ابن عباس يقول: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾ يقول الراسخون: آمنا به.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن أبي الزناد، قال: قال هشام بن عروة: كان أبي يقول في هذه الآية: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، عن أبي نهيك الأسدي قوله: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ فيقول: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فانتهى علمهم إلى قولهم الذي قالوا.

حدثنا المثنى، قال: ثنا ابن دكين، قال: ثنا عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب،

قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا أشهب، عن مالك في قوله: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾ قال: ثم ابتدأ فقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ وليس يعلمون تأويله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا من يعلم تأويله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ يعلمون تأويله ويقولون آمنا به.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ يعلمون تأويله ويقولون آمنا به.

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ يعلمون تأويله ويقولون آمنا به.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الذي أراد ما أراد إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به. [فكيف يختلف وهو قولٌ واحدٌ من رب واحد؟] ثم ردوا تأويل المتشابهة على ما عرفوا من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتسق بقولهم الكتاب، وصدّق بعضه بعضاً، فنفذت به الحجة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودمغ به الكفر.

فمن قال القول الأول في ذلك، وقال: إن الراسخين لا يعلمون تأويل ذلك، وإنما أخبر الله عنهم بإيمانهم وتصديقهم بأنه من عند الله، فإنه يرفع «الراسخين في العلم» بالابتداء في قول

(١) قوله «الذي أراد ما أراد الخ» كذا في الأصل، وعبارة «الذي أراد» هي بمعنى عبارة «ما أراد» فلعلهما تكرار من الناسخ.

البصريين، ويجعل خبره «يقولون آمنا به». وأما في قول بعض الكوفيين فبالعائد من ذكرهم في «يقولون»، وفي قول بعضهم بجملة الخبر عنهم، وهي «يقولون». ومن قال القول الثاني، وزعم أن الراسخين يعلمون تأويله عطف بالراسخين على اسم الله فرفعهم بالعطف عليه.

والصواب عندنا في ذلك، أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو «يقولون»، لما قد بينا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية، وهو فيما بلغني مع ذلك في قراءة أُبيّ: «ويقول الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ» كما ذكرناه عن ابن عباس أنه كان يقرؤه؛ وفي قراءة عبد الله: «إن تأويله إلا عند الله والراسخونَ في العلم يقولون».

وأما معنى التأويل في كلام العرب: فإنه التفسير والمرجع والمصير، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى:

عَلَى أنَّها كانَتْ تَأَوُّلُ حُبِّها ... تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقابِ فأصْحَبا[1]

وأصله من آل الشيء إلى كذا، إذا صار إليه ورجع يَؤُولُ أَوْلاً وأوّلته أنا: صيرته إليه. وقد قيل: إن قوله: ﴿وأحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أي جزاء، وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه. ويعني بقوله: «تأول حبها»: تفسير حبها ومرجعه، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيراً في قلبه، فآل من الصغر إلى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصحب فصار قديماً كالسقب الصغير الذي لم يزل يشبّ حتى أصحب فصار كبيراً مثل أمه. وقد ينشد هذا البيت:

عَلَى أنَّها كانَتْ تَوَابِعُ حُبِّها ... تَوالَى رِبْعِيِّ السِّقابِ فأصْحَبا[1]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾.

يعني بالراسخين في العلم: العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووعوه فحفظوه حفظاً لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس، وأصل ذلك من رسوخ الشيء في الشيء، وهو ثبوته وولوجه فيه، يقال منه: رسخ الإيمان في قلب فلان فهو يَرْسَخ رَسْخاً وَرُسُوخاً.

---

(١) الرواية للبيت كما جاء في «لسان العرب» في (ولى):

ولَكِنَّها كانَتْ نَوى أجْنَبِيَّةً ... تَوَالِي رِبْعِيّ السِّقابِ فأصْحَبا

وقال: قال الأزهري: وللموالاة معنى ثالث، سمعت العرب تقول: والوا حواشي نعمكم عن جلتها: أي اعزلوا صغارها عن كبارها؛ وقد اليناها فتوالت، إذا تميزت. ومنه قول الأعشى: البيت، ثم قال: وربعي السقاب: الذي نتج في أول الربيع وتواليه: أن يفصل عن أمه، فيشتد ولهه إليها إذا فقدها، ثم يستمر على الموالاة، ويصحب أي نقاد ويصبر، بعد ما كان اشتد عليه من مفارقته إياها. شبه هجرها إياه بالسفر البعيد حال بينها وبينه، كما يحال بين السقب وأمه فيتألم، ثم لا يلبث بعد حين أن ينقاد ويسلوها.

على أن في «الديوان» و «اللسان» (أول) رواية أخرى: «على أنها كانت تأويل حبها تأول... الخ»، وتفسيرها ككلام المؤلف.

وقد روي في نعتهم خبر عن النبي ﷺ، وهو ما:

حدثنا موسى بن سهل الرملي، قال: ثنا محمد بن عبد الله، قال: ثنا فياض بن محمد الرقي، قال: ثنا عبد الله بن يزيد بن آدم، عن أبي الدرداء وأبي أمامة، قالا: سئل رسول الله ﷺ من الراسخ في العلم؟ قال: «مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ، وَاسْتَقَامَ بِهِ قَلْبُهُ، وَعَفَّ بَطْنُهُ، فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي العِلْمِ».

حدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذي، قالا: ثنا نعيم بن حماد، قال: ثنا فياض الرقي، قال: ثنا عبد الله بن يزيد الأودي. قال: وكان أدرك أصحاب رسول الله ﷺ. قال: حدثنا أنس بن مالك وأبو أمامة وأبو الدرداء: أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم، فقال: «مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ، وَصَدَقَ لِسانُهُ، وَاسْتَقامَ بِهِ قَلْبُهُ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ؛ فَذَلِكَ الرَّاسِخُ فِي العِلْمِ».

وقد قال جماعة من أهل التأويل: إنما سمى الله عزّ وجلّ هؤلاء القوم الراسخين في العلم بقولهم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ قال: الراسخون الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ هم المؤمنون، فإنهم﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ بناسخه ومنسوخه﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس: قال عبد الله بن سلام: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ وعلمهم قولهم. قال ابن جريج: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي العِلم يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ وهم الذين يقولونَ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ ويقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾... الآية.

وأما تأويل قوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ فإنه يعني: أن الراسخين في العلم يقولون صدقنا بما تشابه من آي الكتاب، وأنه حقّ، وإن لم نعلم تأويله. وقد:

حدثني أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سلمة بن نبيط، عن الضحاك: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ قال: المحكم والمتشابه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنا﴾ كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا، وهو تنزيله ووحيه إلى نبيه محمد ﷺ. كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنا﴾ قال: يعني ما نسخ منه، وما لم ينسخ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ قالوا: ﴿كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنا﴾ آمنوا بمتشابهه، وعملوا بمحكمه.

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنا﴾ يقولون: المحكم والمتشابه من عند ربنا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنا﴾ يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به، وهو من عند الله كله.

حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ﴾ يعملون به، يقولون: نعمل بالمحكم ونؤمن به، ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به، وكل من عند ربنا.

واختلف أهل العربية في حكم «كل» إذا أضمر فيها. فقال بعض نحويي البصريين: إذا جاز حذف المراد الذي كان معها الذي «الكلّ» إليه مضاف في هذا الموضع لأنها اسم، كما قال: ﴿إنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ بمعنى: إنا كلنا فيها، قال: ولا يكون «كلّ» مضمراً فيها وهي صفة، لا يقال: مررت بالقوم كل، وإنما يكون فيها مضمر إذا جعلتها اسماً لو كان إنا كلا فيها على الصفة، لم يجز، لأن الإضمار فيها ضعيف لا يتمكن في كل مكان. وكان بعض نحويي الكوفيين يرى الإضمار فيها وهي صفة أو اسم سواء، لأنه غير جائز أن يحذف ما بعدها عنده إلا وهي كافية بنفسها عما كانت تضاف إليه من المضمر، وغير جائز أن تكون كافية منه في حال، ولا تكون كافية في أخرى، وقال: سبيل الكل والبعض في الدلالة على ما بعدهما بأنفسهما وكفايتهما منه، بمعنى واحد في كل حال، صفة كانت أو اسماً، وهذا القول الثاني أولى بالقياس، لأنها إذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها في حال لدلالتها عليه[1]، فالحكم

(١) لعل «إذا» زائدة من قلم لاناسخ. أو لعلها «إذن» حرف الجواب.
(٢) في الأصل: عليها.

فيها أنها كلما وجدت دالة على ما بعدها، فهي كافية منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الألْبابِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وما يتذكر ويتعظ وينزجر عن أن يقول في متشابه آي كتاب الله ما لا علم له به إلا أولو العقول والنُّهى. وقد:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿وَما يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الألْبابِ﴾** يقول: وما يذكر في مثل هذا، يعني في ردّ تأويل المتشابه إلى ما قد عرف من تأويل المحكم حتى يتسقا على معنى واحد، إلا أولو الألباب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أن الراسخين في العلم يقولون: آمنا بما تشابه من آي كتاب الله، وأنه والمحكم من آيه من تنزيل ربنا ووحيه، ويقولون أيضاً: **﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا﴾** يعني أنهم يقولون رغبة منهم إلى ربهم، في أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آي القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذي لا يعلمه غير الله، يا ربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحقّ فصدّوا عن سبيلك، **﴿لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾** لا تملها فتصرفها عن هداك **﴿بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا﴾** له، فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه، **﴿وَهَبْ لَنَا﴾** يا ربنا **﴿مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾** يعني من عندك رحمة، يعني بذلك: هب لنا من عندك توفيقاً وثباتاً للذي نحن عليه، من الإقرار بمحكم كتابك ومتشابهه؛ **﴿إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ﴾** يعني: إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد، للثبات على دينك، وتصديق كتابك ورسلك. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا﴾** أي لا تمل قلوبنا وإن ملنا بأحداثنا، **﴿وَهَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾**.

وفي مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم إليه في أن لا يزيغ قلوبهم، وأن يعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحقّ الذي هم عليه مقيمون، ما أبان عن خطأ قول الجهلة من القدرية، أن إزاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته، وإمالته له عنها جَوْرٌ، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا: **﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا﴾** بالذم أولى منهم بالمدح، لأن القول لو كان كما قالوا، لكان القوم إنما سألوا ربهم مسألتهم إياه أن لا يزيغ قلوبهم، أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم، وذلك من السائل جهل؛ لأن

الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ولا يجور عليهم، وقد أعلم عباده ذلك، ونفاه عن نفسه بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التي قد أخبرهم أنه بها، وفي فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح، على أن عدلاً من الله عزّ وجلّ إزاغة من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته، فلذلك استحقّ المدح من رغب إليه في أن لا يزيغه لتوجيهه الرغبة إلى أهلها ووضعه مسألته موضعها، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ برغبته إلى ربه في ذلك مع محله منه، وكرامته عليه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ قال: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ» ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾. . .» إلى آخر الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أسماء، عن رسول الله ﷺ، بنحوه.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري، قال: ثنا شهر بن حوشب، قال: سمعتُ أم سلمة تحدّث أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: «اللَّهُمَّ مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ!» قال: قلت يا رسول الله، وإن القلب ليقلَّب؟ قال: «نَعَمْ، مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَشَرٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أصابعه، فإِنْ شاءَ أَقامَهُ، وَإِنْ شاءَ أَزاغَهُ، فَنَسأَلُ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ لا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانا، ونسألُهُ أَنْ يَهَبَ لَنا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ». قالت: قلت يا رسول الله، ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: «بلى، قولي: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وأَجِرْنِي مِنْ مُضِلاَّتِ الفِتَنِ».

حدثني محمد بن منصور الطوسي، قال: ثنا محمد بن عبد الله الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلى دِينِكَ»! فقال له بعض أهله: يخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به؟ قال: «إِنَّ القَلْبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ تَبارَكَ وَتَعَالَى» يَقُولُ بِهِ هَكَذَا؛ وحرّك أبو أحمد أصبعيه. قال أبو جعفر: وإن الطوسي وسَقَ بين أصبعيه.

حدثني سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»! قلنا:

---

(١) من معنى الوسق: التغريق ولعله المراد في كلام أبي جعفر.

يا رسول الله قد آمنا بك، وصدقنا بما جئت به، فَيُخَافُ علينا؟ قال: «نَعَمْ، إنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُها تَبارَكَ وَتَعالَى».

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا بشر بن بكر، وحدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا أيوب بن بشر جميعاً، عن ابن جابر، قال: سمعت بشر بن عبيد الله، قال: سمعت أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت النواس بن سمعان الكلابي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ قَلْبٍ إلاَّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ الرَّحْمَنِ إنْ شَاءَ أقَامَهُ، وَإنْ شَاءَ أزَاغَهُ» وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا على دِينِكَ، وَالمِيزانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَرْفَعُ أقْوَاماً وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

حدثني عمر بن عبد الملك الطائي، قال: ثنا محمد بن عبيدة، قال: ثنا الجرّاح بن مليح البهراني، عن الزبيدي، عن جويبر، عن سمرة بن فاتك الأسدي. وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «المَوَازِينُ بِيَدِ اللَّهِ يَرْفَعُ أقْوَاماً وَيَضَعُ أقْوَاماً، وَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إنْ شَاءَ أزَاغَهُ وَإنْ شَاءَ أقَامَهُ».

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن حيوة بن شريح، قال: أخبرني أبو هانىء الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّها بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُ كَيْفَ يَشَاءُ». ثم يقول رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا إلى طَاعَتِكَ».

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا عبد الحميد بن بهرام، قال: ثنا شهر بن حوشب، قال: سمعت أم سلمة تحدّث: أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ». قالت: قلت يا رسول الله، وإن القلوب لتقلب؟ قال: «نَعَمْ، ما مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ بَنِي آدَمَ بَشَرٌ إلاَّ أنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ اللَّهِ إنْ شَاءَ أقَامَهُ وَإنْ شَاءَ أزَاغَهُ، فَنَسألُ اللَّهَ رَبَّنَا أنْ لا يَزِيغَ قُلُوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَانَا، وَنسألُهُ أنْ يَهَبَ لَنا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝٩﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: أنهم يقولون أيضاً مع قولهم آمنا بما تشابه من آي كتاب ربنا كل

المحكم والمتشابه الذي فيه من عند ربنا يا ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد. وهذا من الكلام الذي استغني بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره. وذلك أن معنى الكلام: ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة فاغفر لنا يومئذٍ، واعف عنا، فإنك لا تخلف وعدك، أن من آمن بك، واتبع رسولك، وعمل بالذي أمرته به في كتابك أنك غافره يومئذٍ. وإنما هذا من القوم مسألة ربهم أن يثبتهم على ما هم عليه من حسن بصرتهم بالإيمان بالله ورسوله، وما جاءهم به من تنزيله، حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وإيمانهم، فإنه إذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة، لأنه قد وعد من فعل ذلك به من عباده أنه يدخله الجنة، فالآية وإن كانت قد خرجت مخرج الخبر، فإن تأويلها من القوم مسألة ودعاء ورغبة إلى ربهم.

وأما معنى قوله: ﴿لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ فإنه لا شك فيه. وقد بينا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل.

ومعنى قوله: ﴿لِيَوْمٍ﴾ في يوم، وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل القضاء بينهم في موقف العرض والحساب، والميعاد: المفعال من الوعد.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إن الذين جحدوا الحقّ الذي قد عرفوه من نبوّة محمد ﷺ من يهود بني إسرائيل ومنافقيهم، ومنافقي العرب وكفارهم الذين في قلوبهم زيغ، فهم يتبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ يعني بذلك: أن أموالهم وأولادهم لن تنجيهم من عقوبة الله إن أحلها بهم عاجلاً في الدنيا على تكذيبهم بالحقّ بعد تبيّنهم، واتباعهم المتشابه طلب اللبس فتدفعها عنهم، ولا يغني ذلك عنهم منها شيئاً. ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَقُودُ النَّارِ﴾ يعني بذلك حطبها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً عند حلول عقوبتنا بهم، كسنة آل فرعون وعادتهم، والذين من قبلهم من الأمم الذين كذبوا بآياتنا،

فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا، فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً حين جاءهم بأسنا كالذي عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربهم من قبل آل فرعون من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فقال بعضهم: معناه: كسنتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق بن الحجاج، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يقول: كسنتهم.

وقال بعضهم: معناه: كعملهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان جميعاً، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: كعمل آل فرعون.

حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا جويبر. عن الضحاك في قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: كعمل آل فرعون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: كفعلهم كتكذيبهم حين كذبوا الرسل. وقرأ قول الله: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أن يصيبكم مثل الذي أصابهم عليه من عذاب الله. قال: الدأب: العمل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد في قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: كفعل آل فرعون، كشأن آل فرعون.

حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: كصنع آل فرعون.

وقال آخرون: معنى ذلك: كتكذيب آل فرعون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب.

وأصل الدأب من دأبت في الأمر دأباً: إذا أدمنت العمل والتعب فيه. ثم إن العرب نقلت معناه إلى الشأن والأمر والعادة، كما قال امرؤ القيس بن حجر:

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ
كَدأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ(١)

يعني بقوله كدأبك: كشأنك وأمرك وفعلك، يقال منه: هذا دأبي ودأبك أبداً، يعني به: فعلي وفعلك وأمري وأمرك، وشأني وشأنك، يقال منه: دأبت دؤوباً ودَأْباً. وحكي عن العرب سماعاً: دأبت دَأَباً مثقلة محركة الهمزة، كما قيل هذا شعَر وبهَر، فتحرك ثانيه لأنه حرف من الحروف الستة، فألحق الدأب إذ كان ثانيه من الحروف الستة، كما قال الشاعر:

لَهُ نَعَلٌ لاَ يَطَّبِي الكَلْبَ رِيحُهَا ... وَإِنْ وُضِعَتْ بَيْنَ المَجَالِسِ شُمَّتِ(٢)

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ فإنه يعني به: والله شديد عقابه لمن كفر به وكذّب رسله بعد قيام الحجة عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

اختلفت القراء في ذلك فقرأه بعضهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ بالتاء على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون. واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ قالوا: ففي ذلك دليل على أن قوله: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ كذلك خطاب لهم. وذلك هو قراءة عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين. وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية أن الموعودين بأن يغلبوا هم الذين أمر النبيّ ﷺ بأن يقول ذلك لهم أن يقرأه بالياء والتاء، لأن الخطاب الوحي حين نزل لغيرهم، فيكون نظير قول القائل في الكلام: قلت للقوم إنكم مغلوبون،

---

(١) البيتان لامرىء القيس في معلقته: «مختار الشعر الجاهلي» (ص - ٢٤) مهراقة: مصبوبة. والمعول إما من العويل والبكاء، يزيد: فهل يبكي عند رسم دارس. والاستفهام بمعنى النفي، أي لا ينبغي أن يبكي عند رسم دارس. وإما من التعويل والاعتماد على الشيء. أي أن البكاء على الرسوم لا يجدي شيئاً، فلا ينبغي أن يعول عليه، دأبك: عادتك. ومأسل بفتح السين: جبل.

(٢) البيت لكثير عزة كما في «لسان العرب» في (نعل) قال: فأما قوله كثير: . . . البيت، فإنه حرك حرف الحلق، لانفتاح ما قبله، كما قال بعضهم: يغدو وهو محموم (بتحريك الغين)، في يغدو (بتسكينها) وهذا لا يعد لغة، إنما هو متبع ما قبله.

وقلت لهم إنهم مغلوبون. وقد ذكر أن في قراءة عبد الله: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ» وهي في قراءتنا: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ﴾. وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة: «سيغلبون ويحشرون» على معنى: قل لليهود سيغلب مشركو العرب ويحشرون إلى جهنم. ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز في قراءته غير الياء.

والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء، بمعنى: قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد.

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك على قراءته بالياء لدلالة قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ على أنهم بقوله ستغلبون مخاطبون خطابهم بقوله: قد كان لكم، فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب. وأخرى أن:

أبا كريب حدثنا، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر فقدم المدينة، جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصَابَ قُرَيشاً»، فقالوا: يا محمد لا تغرّنك نفسك إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تأت مثلنا! فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهادُ﴾ إلى قوله: ﴿لأُولِي الأَبْصارِ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: لما أصاب الله قريشاً يوم بدر، جمع رسول الله ﷺ يهود في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة، ثم ذكر نحو حديث أبي كريب، عن يونس.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان من أمر بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: «يا مَعْشَرَ اليَهُودِ احْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النِّقْمَةِ، وَأَسْلِمُوا فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذلك في كِتابِكُمْ، وعَهْدِ الله إِلَيْكُمْ!» فقالوا: يا محمد إنك ترى أنا كقومك، لا يغرنّك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنا نحن الناس!

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما نزلت هؤلاء

الآيات إلا فيهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ﴾ إلى: ﴿لأُولِي الأَبْصَار﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة في قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهادُ﴾ قال فنحاص اليهودي في يوم بدر: لا يغرنّ محمداً أن غلب قريشاً وقتلهم، إن قريشاً لا تحسن القتال! فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهادُ﴾.

قال أبو جعفر: فكل هذه الأخبار تنبىء عن أن المخاطبين بقوله: ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ﴾ هم اليهود المقول لهم: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾... الآية، وتدل على أن قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء. ومعنى قوله: ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ وتجمعون فتجلبون إلى جهنم. وأما قوله: ﴿وَبِئْسَ المِهاد﴾ وبئس الفراش جهنم التي تحشرون إليها. وكان مجاهد يقول كالذي:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿وَبِئْسَ المِهادُ﴾ قال: بئسما مَهَدوا لأنفسهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهراني بلدك: قد كان لكم آية يعني علامة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون، وعبرة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ عبرة وتفكر.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله، إلا أنه قال: ومتفكَّر﴿في فِئَتَيْنِ﴾ يعني في فرقتين وحزبين. والفئة: الجماعة من الناس التقتا للحرب، وإحدى الفئتين رسول الله ﷺ ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر، والأخرى مشركو قريش، فئة تقاتل في سبيل الله، جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه، وهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وأخرى كافرة وهم مشركو قريش. كما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أصحاب رسول الله ﷺ ببدر، ﴿**وأُخرَى كافرَةٌ**﴾ فئة قريش الكفار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ محمد ﷺ وأصحابه، ﴿**وأُخرَى كافرَةٌ**﴾: قريش يوم بدر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ**﴾ قال: في محمد وأصحابه ومشركي قريش يوم بدر.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال ذلك يوم بدر، التقى المسلمون والكفار.

ورفعت ﴿**فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ وقد قيل قبل ذلك في فئتين، بمعنى: إحداهما تقاتل في سبيل الله على الاب. نداء، كما قال الشاعر:

فكنتُ كَذِي رِجلَينِ: رِجلٌ صحيحةٌ … وَرِجلٌ رَمَى فِيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ[1]

---

(١) هذا البيت لكثير عزة «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٢/ ٣٧٦) وما بعدها. وهو شاهد نحوي على أن (رجل) يجوز فيها الجر على البدل من رجلين، ويجوز فيها الرفع، على أنه بدل مقطوع عما قبله. أو خبر مبتدأ محذوف الخبر تقديره: منهما رجل صحيحة... الخ قال العيني: ويجوز النصب، على إضمار أعني. وشلت: مبني للمعلوم من باب فرح، والشلل: يبس يصيب اليد أو الرجل فتموت أعصابها وتسترخي.
تمنى كثير أن تضيع قلوصه فيبقى في حي عزة، فيكون ببقائه في حيها كذي رجل صحيحة، ويكون من عدمه لقلوصه كذي رجل عليلة.

وكما قال ابن مفرغ:

فكنتُ كذِي رِجْلَيْنِ: رِجْلٌ صحيحةٌ ورِجْلٌ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الحَدَثَانِ
فَأمَّا التي صَحَّتْ فأزْدُشَنُوءَةٍ وَأمَّا التي شَلَّتْ فأزد عُمَانِ[١]

وكذلك تفعل العرب في كل مكرر على نظير له قد تقدمه إذا كان مع المكرر خبر ترده على إعراب الأول مرة وتستأنفه ثانية بالرفع، وتنصبه في التام من الفعل والناقص، وقد جُرَّ ذلك كلّه، فخفض على الرد على أول الكلام، كأنه يعني إذا خفض ذلك فكنت كذي رِجْلين كذي رِجْل صحيحة ورجل سقيمة. وكذلك الخفض في قوله: «فئة»، جائز على الرد على قوله: «في فئتين التقتا»، في فئة تقاتل في سبيل الله. وهذا وإن كان جائزاً في العربية، فلا أستجيز القراءة به لإجماع الحجة من القراء على خلافه، ولو كان قوله: «فئة» جاء نصباً كان جائزاً أيضاً على قوله: قد كان لكم آية في فئتين التقتا مختلفتين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيهِمْ رَأْيَ العَيْنِ﴾.

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته قراء أهل المدينة: «ترونهم» بالتاء، بمعنى: قد كان لكم أيها اليهود آية في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله، والأخرى كافرة، ترون المشركين مثلي المسلمين رأي العين. يريد بذلك عظتهم. يقول: إن لكم عبرة أيها اليهود فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين، وكثرة عدد المشركين، وظفر هؤلاء مع قلة عددهم بهؤلاء مع كثرة عددهم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيهِمْ﴾ بالياء، بمعنى: يرى المسلمون الذين يقاتلون في سبيل الله الجماعة الكافرة مثلي المسلمين في القدر. فتأويل الآية على قراءتهم: قد كان لكم يا معشر اليهود عبرة ومتفكَّر في فئتين التقتا، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة، يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم هؤلاء المشركين في كثرة عددهم.

فإن قال قائل: وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء، وأي الفئتين رأت صاحبتها مثليها؟ الفئة المسلمة هي التي رأت المشركة مثليها، أم المشركة هي التي رأت المسلمة كذلك، أم غيرهما رأت إحداهما كذلك؟ قيل: اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: الفئة التي رأت الأخرى مثلي أنفسها الفئة المسلمة، رأت عدد الفئة المشركة مثلي عدد الفئة المسلمة، قلّلها الله عز وجل في أعينها حتى رأتها مثلي عدد أنفسها، ثم قللها في حال أخرى، فرأتها مثل عدد أنفسها.

---

(١) نسب المؤلف البيتين ليزيد بن مفرغ الحميري. وفي «الخزانة» (٢/ ٣٧٨) أن كثيراً أخذ بيته من قول النجاشي: وذكر البيتين. قال: وقد أورده ابن رشيق في «العمدة» في السرقات الشعرية، وسماه الاهتدام، قال: فأخذ كثير القسم الأول، واهتدم باقي البيت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن مرة الهمداني، عن ابن مسعود: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رأيَ العَيْنِ**﴾ قال: هذا يوم بدر، قال عبد الله بن مسعود: قد نظرنا إلى المشركين، فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً، وذلك قول الله عز وجل: ﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ**﴾.

فمعنى الآية على هذا التأويل: قد كان لكم يا معشر اليهود آية في فئتين التقتا: إحداهما مسلمة، والأخرى كافرة، كثير عدد الكافرة، قليل عدد المسلمة، ترى الفئة القليل عددها، الكثير عددها أمثالاً لها أنها تكثرها من العدد بمثل واحد، فهم يرونهم مثليهم، فيكون أحد المثلين عند ذلك، العدد الذي هو مثل عدد الفئة التي رأتهم، والمثل الآخر: الضعف الزائد على عددهم، فهذا أحد معنيي التقليل الذي أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قللهم في أعينهم؛ والمعنى الآخر منه: التقليل الثاني على ما قاله ابن مسعود، وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم، فذلك التقليل الثاني الذي قال الله جل ثناؤه: ﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً**﴾.

وقال آخرون من أهل هذه المقالة: إن الذين رأوا المشركين مثلي أنفسهم هم المسلمون، غير أن المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم، لم يقللوا في أعينهم، ولكن الله أيدهم بنصره. قالوا: ولذلك قال الله عز وجل لليهود: قد كان لكم فيهم عبرة؛ يخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم، مثل الذي حل بأهل بدر على أيديهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ**﴾. أنزلت في التخفيف يوم بدر، فإنّ المؤمنين كانوا يومئذٍ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان المشركون مثليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رأيَ العَيْنِ**﴾ وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة، فأيد الله المؤمنين، فكان هذا الذي في التخفيف على المؤمنين.

وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر، وذلك أن الناس إنما اختلفوا في عددهم على وجهين، فقال بعضهم: كان عددهم ألفاً، وقال بعضهم: ما بين التسعمائة إلى الألف. ذكر من قال كان عددهم ألفاً:

حدثني هارون بن إسحاق الهمداني، قال: ثنا مصعب بن المقدام، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا أبو إسحاق، عن حارثة، عن علي، قال: سار رسول الله ﷺ إلى بدر، فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين، منهم رجل من قريش، ومولى لعقبة بن أبي معيط؛ فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة، فأخذناه، فجعلنا نقول: كم القوم؟ فيقول: هم والله كثير شديد بأسهم. فجعل المسلمون إذا قال ذلك صدّقوه، حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «كَم القَوْمُ؟» فقال: هم والله كثير شديد بأسهم. فجهد النبي ﷺ على أن يخبرهم كم هم، فأبى. ثم إنَ رسول الله ﷺ سأله: «كَمْ تَنْحَرُون مِنَ الجُزُرِ؟» قال: عشرة كل يوم. قال رسول الله ﷺ: «القَوْمُ ألفٌ».

حدثني أبو سعيد بن يوشع البغدادي، قال: ثنا إسحاق بن منصور، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة عن عبد الله، قال: أسرنا رجلاً منهم. يعني من المشركين يوم بدر. فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً.

ذكر من قال: كان عددهم ما بين التسعمائة إلى الألف:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: ثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال: بعث النبي ﷺ نفراً من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا راوية من قريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص، فأتوا بهما رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لهما: «كَم القَوْم؟» قالا: كثير. قال: «ما عِدّتُهُمْ؟» قالا: لا ندري. قال: «كَمْ تَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟» قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، قال رسول الله ﷺ: «القَوْمُ مَا بَيْنَ التِّسْعِمَائَةِ إلى الألفِ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيهِمْ رأيَ العَيْنِ﴾** ذلكم يوم بدر ألف المشركون، أو قاربوا، وكان أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ﴾** إلى قوله: **﴿رأيَ العَيْنِ﴾** قال: يضعفون عليهم فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين يوم بدر.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيهِمْ رأيَ العَيْنِ﴾** قال: كان ذلك يوم بدر، وكان المشركون تسعمائة وخمسين، وكان أصحاب محمد ﷺ ثلاثمائة وثلاثة عشر.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، كان أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر، والمشركون ما بين التسعمائة إلى الألف.

فكل هؤلاء الذين ذكرنا مخالفون القول الذي رويناه عن ابن عباس في عدد المشركين يوم بدر. فإذا كان ما قاله من حكيناه ممن ذكر أن عددهم كان زائداً على التسعمائة، فالتأويل الأول الذي قلناه على الرواية التي روينا عن ابن مسعود أولى بتأويل الآية.

وقال آخرون: كان عدد المشركين زائداً على التسعمائة، فرأى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد، وقالوا: أرى الله المسلمين عدد المشركين قليلاً آية للمسلمين. قالوا: وإنما عنى الله عز وجل بقوله: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾ المخاطبين بقوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ قالوا: وهم اليهود غير أنه رجع من المخاطبة إلى الخبر عن الغائب، لأنه أمر من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ أن يقول ذلك لهم، فحسن أن يخاطب مرة، ويخبر عنهم على وجه الخبر مرة أخرى، كما قال: ﴿حتى إِذَا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.

وقالوا: فإن قال لنا قائل: فكيف قيل: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ﴾ وقد علمتم أن المشركين كانوا يومئذٍ ثلاثة أمثال المسلمين؟ قلنا لهم: كما يقول القائل وعنده عبد: أحتاج إلى مثله، أنا محتاج إليه وإلى مثله، ثم يقول: أحتاج إلى مثليه، فيكون ذلك خبراً عن حاجته إلى مثله وإلى مثلي ذلك المثل، وكما يقول الرجل: معي ألف وأحتاج إلى مثليه، فهو محتاج إلى ثلاثة؛ فلما نوى أن يكون الألف داخلاً في معنى المثل، صار المثل أشرف[1] والاثنان ثلاثة، قال: ومثله في الكلام: أراكم مثلكم، كما يقال: إن لكم ضعفكم، وأراكم مثليكم، يعني أراكم ضعفيكم، قالوا: فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن الله أرى الفئة الكافرة عدد الفئة المسلمة مثلي عددهم. وهذا أيضاً خلاف ما دل عليه ظاهر التنزيل، لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ فأخبر أن كلاً من الطائفتين قُلل عددهم في مرأى الأخرى.

وقرأ آخرون ذلك: «تُرَوْنَهم» بضم التاء، بمعنى: يريكموهم الله مثليهم.

وأولى هذه القراءات بالصواب قراءة من قرأ: ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ بالياء، بمعنى: وأخرى كافرة، يراهم المسلمون مثليهم، يعني: مثلي عدد المسلمين، لتقليل الله إياهم في أعينهم في حال،

---

(١) (قوله صار المثل أشرف)... الخ كذا في النسخ، ولعله: صار المثل اثنين... الخ.

فكان حزرهم إياهم كذلك، ثم قللهم في أعينهم عن التقليل الأول، فحزروهم مثل عدد المسلمين، ثم تقليلاً ثالثاً، فحزروهم أقل من عدد المسلمين. كما:

حدثني أبو سعيد البغدادي، قال: ثنا إسحاق بن منصور، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة. قال: فأسرنا رجلاً منهم، فقلنا كم كنتم؟ قال: ألفاً.

وقد رُوي عن قتادة أنه كان يقول: لو كانت «تُرونهم»، لكانت «مثليكم».

حدثني المثنى، قال: ثني عبد الرحمن بن أبي حماد، عن ابن المعرك، عن معمر، عن قتادة بذلك.

ففي الخبرين اللذين روينا عن عبد الله بن مسعود ما أبان عن اختلاف حزر المسلمين يومئذٍ عدد المشركين في الأوقات المختلفة، فأخبر الله عز وجل. عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين. اليهود على ما كان به عندهم، مع علم اليهود بمبلغ عدد الفئتين، إعلاماً منه لهم أنه مؤيد المؤمنين بنصره، لئلا يغتروا بعددهم وبأسهم، وليحذروا منه أن يحل بهم من العقوبة على أيدي المؤمنين، مثل الذي أحل بأهل الشرك به من قريش على أيديهم ببدرهم.

وأما قوله: ﴿رأيَ العَيْنِ﴾ فإنه مصدر رأيته، يقال: رأيته رَأْياً ورؤية، ورأيت في المنام رؤيَا حسنة غير مُجْراة، يقال: هو مني رأي العين ورأي العين بالنصب والرفع، يراد حيث يقع عليه بصري، وهو من الرائي مثله، والقوم رأوا إذا جلسوا حيث يرى بعضهم بعضاً. فمعنى ذلك: يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم، وتراهم عيونهم مثليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُوءَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿واللَّهُ يُوءَيِّد﴾: يقوِّي بنصره من يشاء، من قول القائل: قد أيدت فلاناً بكذا: إذا قويته وأعنته، فأنا أؤيده تأييداً، و «فعلت» منه: إذتُه فأنا أئيده أيداً؛ ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾ يعني ذا القوة.

وتأويل الكلام: قد كان لكم آية يا معشر اليهود في فئتين التقتا: إحداهما تقاتل في سبيل

---

(١) لم أجده في التاج، ولا في «معاجم الرجال».

(٢) اليهود: مفعول أخبر يريد أن الله أخبر اليهود بمصير المشركين على أيدي المسلمين ليعتبروا به.

(٣) كذا في الأصول. ولعل الصواب: تراءوا، أي رأى بعضهم بعضاً بالعين.

(٤) يريد أن الفعل الثلاثي منه هو... الخ. ولم نجد الفعل الثلاثي من هذه المادة متعدياً في المعاجم.

الله، وأخرى كافرة، يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم، فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم، على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر، والله يقوي بنصره من يشاء. وقال جل ثناؤه: إن في ذلك: يعني إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددهم، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها ﴿لَعِبْرَةً﴾ يعني لمتفكراً ومتعظاً لمن عقل وادّكر فأبصر الحق. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾** يقول: لقد كان لهم في هؤلاء عبرة وتفكر، أيدهم الله ونصرهم على عدوهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

يعني تعالى ذكره: زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدّ. وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحبّ الرياسة فيها على اتباع محمد ﷺ بعد علمهم بصدقه. وكان الحسن يقول: من زَيّنها ما أحدٌ أشدّ لها ذماً من خالقها.

حدثني بذلك أحمد بن حازم: قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا أبو الأشعث، عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد، قال: قال عمر: لما نزل: **﴿زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾** قلت: الآن يا ربّ حين زينتها لنا! فنزلت: **﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ﴾**... الآية.

وأما القناطير: فإنها جمع القنطار.

واختلف أهل التأويل في مبلغ القنطار، فقال بعضهم: هو ألف ومائتا أوقية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن معاذ بن جبل، قال: القنطار: ألف ومائتا أوقية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا أبو حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن معاذ، مثله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا، يعني حفص بن ميسرة، عن أبي مروان، عن أبي طيبة، عن ابن عمر، قال: القنطار: ألف ومائتا أوقية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا قاسم بن مالك المزني، قال: أخبرني العلاء بن المسيب، عن عاصم بن أبي النَّجود، قال: القنطار: ألف ومائتا أوقية.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال: ثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، مثله.

حدثني زكريا بن يحيى الصديق، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا مخلد بن عبد الواحد، عن عليّ بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة، عن زرّ بن حبيش، عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «القِنطَارُ أَلْفُ أُوقِيَّةٍ وَمِائَتَا أُوقِيَّة».

وقال آخرون: القنطار: ألف دينار ومائتا دينار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا يونس عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «القِنطَارُ أَلْفٌ وَمِائَتَا دِينارٍ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا يونس، عن الحسن، قال: القنطار: ألف ومائتا دينار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: القنطار ألف ومائتا دينار، ومن الفضة ألف ومائتا مثقال.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سلمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: القناطير المقنطرة، يعني: المال الكثير من الذهب والفضة، والقنطار: ألف ومائتا دينار، ومن الفضة: ألف ومائتا مثقال.

وقال آخرون: القنطار: اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: القنطار: اثني عشر ألف درهم، أو ألف دينار.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك،

قال: القنطار: ألف دينار، ومن الورِق[(١)]: اثنا عشر ألف درهم.

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: أن القنطار اثنا عشر ألفاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا عوف، عن الحسن: القنطار: اثنا عشر ألفاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عوف، عن الحسن: اثنا عشر ألفاً.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن بمثل.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، قال: القنطار: ألف دينار، دية أحدكم.

وقال آخرون: هو ثمانون ألفاً من الدراهم، أو مائة رطل من الذهب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا يحيى بن سعيد، عن سليمان التيمي، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: القنطار، ثمانون ألفاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: القنطار: ثمانون ألفاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كنا نحدث أن القنطار مائة رطل من ذهب، أو ثمانون ألفاً من الورِق.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: القنطار: مائة رطل من ذهب، أو ثمانون ألف درهم من وَرِق.

حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: القنطار: مائة رطل.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: القنطار يكون مائة رطل، وهو ثمانية آلاف مثقال.

وقال آخرون: القنطار سبعون ألفاً.

(١) الورق بوزن كتف: الفضة، مضروبة أو غير مضروبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**القَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ**﴾ قال: القنطار: سبعون ألف دينار.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر بن حوشب، قال: سمعت عطاء الخراساني، قال: سئل ابن عمر عن القنطار، فقال: سبعون ألفاً.

وقال آخرون: هي ملء مَسْك[1] ثور ذهباً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سالم بن نوح، قال: ثنا سعيد الجريري، عن أبي نضرة[2]، قال: ملء مسك ثور ذهباً.

حدثني أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا أبو الأشعث، عن أبي نضرة: ملء مسك ثور ذهباً.

وقال آخرون: هو المال الكثير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: ﴿**القناطير المقنطرة**﴾: المال الكثير بعضه على بعض.

وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن العرب لا تحدّ القنطار بمقدار معلوم من الوزن، ولكنها تقول: هو قدر ووزن. وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك، لأن ذلك لو كان محدوداً قدره عندها لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف.

فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير، كما قال الربيع بن أنس، ولا يحدّ قدر وزنه بحدّ على تعنف، وقد قيل ما قيل مما روينا. وأما المقنطرة: فهي المضعفة، وكأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة، وهو كما قال الربيع بن أنس: المال الكثير بعضه على بعض. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: القناطير المقنطرة من الذهب

---

(١) المسك: جلد الثور بفتح الميم وسكون السين.

(٢) الجريري: بالجيم والراءين. ونضرة: بالنون والضاد المعجمة ا هـ من «**الخلاصة**».

والفضة: والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سلمان، قال: سمعت الضحاك في قوله: ﴿**القَنَاطِير المُقَنطَرة**﴾: يعني المال الكثير من الذهب والفضة.

وقال آخرون: معنى المقنطرة: المضروبة دراهم أو دنانير.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما قوله: ﴿**المُقَنْطَرَة**﴾ فيقول: المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم.

وقد رُوي عن النبي ﷺ في قوله: ﴿**وآتَيتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنطاراً**﴾ خبر لو صح سنده لم نعده إلى غيره، وذلك ما:

حدثنا به ابن عبد الرحمن البرقي، قال: ثني عمرو بن أبي سلمة، قال: ثنا زهير بن محمد، قال: ثني أبان بن أبي عياش وحميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ: ﴿**وآتَيتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنطاراً**﴾ قال: «أَلْفَا مِئِين»[1]. يعني ألفين.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿والخَيلُ المُسَوَّمَةِ﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى المسوّمة، فقال بعضهم: هي الراعية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير: الخيل المسوّمة، قال: الراعية التي ترعى.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير: هي الراعية، يعني السائمة.

---

(١) قوله في حديث البرقي: «ألفاً مئين» يعني الخ كذا في بعض النسخ، وفي بعضها: ألفاً ومئين وفي «الدر المنثور»: ألفاً ومائتين يعني الخ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن طلحة القناد، قال: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى يقول: الراعية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ قال: الراعية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن: ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ المسرّحة في الرعي.

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ قال: الخيل الراعية.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن ليث، عن مجاهد أنه كان يقول: الخيل الراعية.

وقال آخرون: المسوّمة: الحسان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، قال: قال مجاهد: المسوّمة: المطهمة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ قال: المطهمة الحسان.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ قال: المطهمة حسناً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن مجاهد: المطهمة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو عبد الرحمن المقري، قال: ثنا سعيد بن أبي أيوب، عن بشير بن أبي عمرو الخولاني، قال: سألت عكرمة عن الخيل المسوّمة، قال: تسويمها: حسنها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن بشير بن أبي عمرو الخولاني، قال: سمعت عكرمة يقول: ﴿**الخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ قال: تسويمها: الحسن.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأَنْعَامِ**﴾ الرائعة.

وقد حدثني بهذا الحديث عن عمرو بن حماد غير موسى، قال: الراعية.

وقال آخرون: ﴿**الخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ المعلمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ يعني: المعلمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ وسيماها شِيَتها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ قال: شية الخيل في وجوهها.

وقال غيرهم: المسوّمة: المعدّة للجهاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد﴿**وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ قال: المعدة للجهاد.

قال أبو جعفر: أولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسناً من رآها، لأن التسويم في كلام العرب: هو الإعلام، فالخيل الحسان معلمة بإعلام إياها بالحسن من ألوانها وشياتها وهيئاتها، وهي المطهمة أيضاً، ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان في صفة الخيل:

بِسُمْرٍ كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ ... عليها مَعْشَرٌ أشباهُ جِنٍّ[1]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، «**مختار الشعر الجاهلي**» طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (ص - ٢٠١) والرواية فيه: (وضمر) وهي الصواب، في موضع (بسمر). وضمر: معطوف على ما قبله: (بكل مجرب)... الخ يريد بالضمير: الخيل الضامرة حتى صارت من ضمرها شبه قداح الميسر في خفة أجسامها. ومسومات: معلمات بعلامة تميزها في الحرب، يقال: سوم فلان فرسه: إذا أعلم عليه بحريرة أو بشيء يعرف به. وشبه الفرسان بالجن لشدة صولتهم وخفتهم في الحرب على الخيل.

يعني بالمسوّمات: المعلمات؛ وقول لبيد:

وَغَـدَاةَ قَـاعِ الـقُـرْنَـتَـيْـنِ أَتَـيْـنَـهُـمْ زُجَـلاً يَـلُـوحُ خِـلالَـهـا الـتَّـسْـوِيـمُ[1]

فمعنى تأويل من تأول ذلك: المطهمة، والمعلمة، والرائعة واحد. وأما قول من تأوّله بمعنى الراعية فإنه ذهب إلى قول القائل: أَسَمْتُ الماشية فأنا أُسيمها إسامة: إذا رعيتها الكلأ والعشب، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ومنهُ شجرٌ فِيهِ تسيمونَ﴾ بمعنى ترعون، ومنه قول الأخطل:

مِـثْـلِ ابْـن بَـزْعَـةَ أو كـآخَـرَ مِـثْـلِـهِ أَوْلَـى لَـكَ ابـنَ مُـسِـيـمَـةِ الأجْـمَـالِ[2]

يعني بذلك راعية الأجمال، فإذا أريد أن الماشية هي التي رعت، قيل: سامت الماشية تسوم سوماً، ولذلك قيل: إبل سائمة، بمعنى راعية، غير أنه مستفيض في كلامهم سوّمت الماشية، بمعنى أرعيتها، وإنما يقال إذا أريد ذلك: أسمتها. فإذا كان ذلك كذلك، فتوجيه تأويل المسوّمة إلى أنها المعلمة بما وصفنا من المعاني التي تقدم ذكرها أصحّ. وأما الذي قاله ابن زيد من أنها المعدّة في سبيل الله، فتأويل من معنى المسوّمة بمعزل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والأنعامِ والحَرْثِ﴾.

فالأنعام جمع نعم: وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها في كتابه من الضأن والمعز والبقر والإبل. وأما الحرث: فهو الزرع. وتأويل الكلام: زين للناس حبّ الشهوات من النساء ومن البنين، ومن كذا ومن كذا، ومن الأنعام والحرث.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتاعُ الحَيَاةِ الدُّنيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: ذلك جميع ما ذكر في هذه الآية من النساء والبنين، والقناطير

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري، ولم أجده في ديوانه طبعة ليدن سنة ١٨٩١ والقاع: أرض مستوية يستقر فيها الماء. وقاع القرنتين: موضع بعينه. كانت به وقعة بين كنانة وغطفان والنون في أتينهم: ضمير الخيل، وقد ذكرها قبل البيت. وزجلاً: جمع زجلة كغرفة، وهي الجماعة من الخيل وغيرها. والتسويم: الإعلام بعلامة تعرف بها الخيل في الحرب كقطعة من الحرير ونحوه.

(٢) وقال في «اللسان»: (ولى) وقوله عز وجل: «أولى لك فأولى» معناه التوعد والتهدد: أي الشر أقرب إليك. وقال ثعلب: دنوت من الهلكة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فأولى لهم﴾ أي وليهم المكروه، وقال الأصمعي: «أولى لك»: قاربك ما تكره وأنشد:

فـعـادى بـيـن هـادتـيـن مـنـهـا وأولـى أن يـزيـد عـلـى الـثـلاثِ

أي قارب أن يزيد. قال ثعلب: ولم يقل أحد في أولى أحسن مما قال الأصمعي.

والبيت في ديوان الأخطل طبع بيروت سنة ١٨٩١ (ص ـ ١٥٩)، وقال شارحه: ابن برعة يعني شداد بن المنذر أخا حصين بن الحارث بن وعلة الذهلي، صاحب راية ربيعة بصفين من بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة، وأمهم رقاش، وإليها ينسبون. والآخر الذي مثله: هو حوشب بن رؤيم. يعيره بأن أمه ترعى الإبل كالإماء. ورواية الأغاني (٨/ ٣١٩) طبع دار الكتب: كابن البريعة.

المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسوّمة، والأنعام والحرث، فكنى بقوله «ذلك» عن جميعهن، وهذا يدلّ على أن «ذلك» يشتمل على الأشياء الكثيرة المختلفة المعاني، ويكنى به عن جميع ذلك. وأما قوله: ﴿مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيا﴾ فإنه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يستمتع به في الدنيا أهلها أحياء، فيتبلغون به فيها، ويجعلونه وصلة في معايشهم، وسبباً لقضاء شهواتهم، التي زين لهم حبها، في عاجل دنياهم، دون أن يكون عدّة لمعادهم، وقربة لهم إلى ربهم، إلا ما أسلك في سبيله، وأنفق منه فيما أمر به.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ﴾ فإنه يعني بذلك جل ثناؤه: وعند الله حسن المآب، يعني حسن المرجع. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ﴾ يقول: حسن المنقلب، وهي الجنة.

وهو مصدر على مثال مفْعَل، من قول القائل: آب الرجل إلينا: إذا رجع، فهو يؤوب إياباً وأوبة وأيبة ومآباً، غير أن موضع الفاء منها مهموز، والعين مبدلة من الواو إلى الألف بحركتها إلى الفتح، فلما كان حظها الحركة إلى الفتح، وكانت حركتها منقولة إلى الحرف الذي قبلها وهو فاء الفعل انقلبت فصارت ألفاً، كما قيل: قال: فصارت عين الفعل ألفاً، لأن حظها الفتح والمآب، مثل المقال والمعاد والمحال، كل ذلك مَفْعَلٌ، منقولة حركة عينه إلى فائه، فتصير واوه أو ياؤه ألفاً لفتحة ما قبلها.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المآبِ﴾ وقد علمت ما عنده يومئذٍ من أليم العذاب وشديد العقاب؟ قيل: إن ذلك معنيّ به خاصّ من الناس، ومعنى ذلك: والله عنده حسن المآب للذين اتقوا ربهم، وقد أنبأنا عن ذلك في هذه الآية التي تليها. فإن قال: وما حسن المآب؟ قيل: هو ما وصفه به جلّ ثناؤه، وهو المرجع إلى جنات تجري من تحتها الأنهار مخلداً فيها، وإلى أزواج مطهرة ورضوان من الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

يعني جلّ ثناؤه: قل يا محمد للناس الذين زين لهم حبّ الشهوات، من النساء والبنين، وسائر ما ذكر جلّ ثناؤه: ﴿أَؤُنَبِّئُكم﴾ أأخبركم وأعلمكم﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ يعني بخير وأفضل

لكم. ﴿مِنْ ذَلِكُمْ﴾ يعني مما زين لكم في الدنيا حبّ شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وأنواع الأموال التي هي متاع الدنيا.

ثم اختلف أهل العربية في الموضع الذي تناهى إليه الاستفهام من هذا الكلام، فقال بعضهم: تناهى ذلك عند قوله: ﴿مِنْ ذَلِكُمْ﴾ ثم ابتدأ الخبر عما﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فقيل: للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، فلذلك رفع «الجنات». ومن قال هذا القول، لم يُجز في قوله: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾ إلا الرفع، وذلك أنه خبر مبتدأ غير مردود على قوله بخير، فيكون الخفض فيه جائزاً. وهو وإن كان خبراً مبتدأ عندهم، ففيه إبانة عن معنى الخير الذي أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أن يقول للناس أؤنبئكم به؟ والجنات على هذا القول مرفوعة باللام التي في قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عندَ رَبِّهِمْ﴾.

وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول، إلا أنهم قالوا: إن جعلت اللام التي في قوله «للذين» من صلة الإنباء جاز في الجنات الخفض والرفع: الخفض على الردّ على «الخير»، والرفع على أن يكون قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ خبر مبتدأ على ما قد بيناه قبل.

وقال آخرون: بل منتهى الاستفهام قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدأ: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحتِها الأنهَارُ﴾ وقالوا: تأويل الكلام: قل أؤنبئكم بخير من ذلكم؟ للذين اتقوا عند ربهم، ثم كأنه قيل: ماذا لهم، أو ما ذاك؟ أو على أنه يقال: ماذا لهم أو ما ذاك؟ فقال: هو جنات تجري من تحتها الأنهار... الآية.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من جعل الاستفهام متناهياً عند قوله: ﴿بِخَيرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ والخبر بعده مبتدأ عمن له الجنات بقوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر، وهو إبانة عن معنى الخير الذي قال: أنبئكم به؟ فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة إلى ضمير.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: وأما قوله: ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ فمنصوب على القطع؛ ومعنى قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ للذين خافوا الله فأطاعوه، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يعني بذلك: لهم جنات تجري من تحتها الأنهار عند ربهم، والجنات: البساتين، وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى، وأن قوله: ﴿تَجرِي مِنْ تَحتِها الأنهَارُ﴾ يعني به: من تحت الأشجار، وأن الخلود فيها دوام البقاء فيها، وأن الأزواج المطهرة: هن نساء الجنة اللواتي طهرن من كل

---

(١) في «اللسان» رضي يرضى رضا ورضا ورضواناً ورضواناً (بضم الراء وكسرها في المصدرين).

أذى يكون بنساء أهل الدنيا من الحيض والمني والبول والنفاس وما أشبه ذلك من الأذى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني: ورضا الله، وهو مصدر من قول القائل: رضي الله عن فلان، فهو يرضى عنه رضاً منقوص، ورُضواناً وَرِضواناً ومرضاة. فأما الرُّضوان بضم الراء فهو لغة قيس، وبه كان عاصم يقرأ. وإنما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير: رضوانه، لأن رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة. كما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثني أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، قال: إذا دخلَ أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى: أعطيكم أفضل من هذا! فيقولون: أي ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ قال: رضواني.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بالعِبادِ﴾ يعني بذلك، والله ذو بصر بالذي يتقيه من عباده، فيخافه فيطيعه، ويؤثر ما عنده مما ذكر أنه أعده للذين اتقوه على حب ما زين له في عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدد منها تعالى ذكره، وبالذي لا يتقيه فيخافه، ولكنه يعصيه، ويطيع الشيطان، ويؤثر ما زين له في الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والأموال، على ما عنده من النعيم المقيم، عالم تعالى ذكره بكل فريق منهم، حتى يجازي كلهم عند معادهم إليه جزاءهم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾

ومعنى ذلك: قل هل أنبئكم بخير من ذلكم؟ للذين اتقوا يقولون ربنا آمنا، فاغفر لنا ذنوبناوقنا عذاب النار. وقد يحتمل «الذين يقولون» وجهين من الإعراب: الخفض على الرد على «الذين» الأولى، والرفع على الابتداء، إذ كان في مبتدأ آية أخرى غير التي فيها «الذين» الأولى، فيكون رفعها نظير قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَموَالَهُمْ﴾ ثم قال في مبتدإ الآية التي بعدها ﴿التَّائِبُونَ العابِدونَ﴾، **ولو كان جاء ذلك مخفوضاً كان جائزاً.**

ومعنى قوله: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا﴾ الذين يقولون: إننا صدقنا بك وبنبيك، وما جاء به من عندك؛ ﴿فاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا﴾ يقول: فاستر علينا بعفوك عنها وتركك عقوبتنا عليها؛ ﴿وَقِنا عَذَابَ النَّارِ﴾ ادفع عنا عذابك إيانا بالنار أن تعذبنا بها. وإنما معنى ذلك: لا تعذبنا يا ربنا بالنار. وإنما خصوا المسألة بأن يقيهم عذاب النار، لأن من زحزح يومئذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عذاب النار وحسن مآبه. وأصل قوله «قِنا»: من قول القائل: وقى الله فلاناً كذا، يراد به: دفع عنه فهو يقيه، فإذا سأل بذلك سائل قال: قني كذا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

يعني بقوله: ﴿**الصَّابِرِينَ**﴾ الذين صبروا في البأساء والضراء وحين البأس. ويعني بالصادقين: الذين صدقوا الله في قولهم بتحقيقهم الإقرار به وبرسوله، وما جاء به من عنده بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه. ويعني بالقانتين: المطيعين له. وقد أتينا على الإبانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها، وبالإخبار عمن قال فيها قولاً فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وقد كان قتادة يقول في ذلك بما:

حدثنا به بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالقانِتِينَ وَالمُنفِقِينَ**﴾ الصادقين: قوم صدقت أفواههم، واستقامت قلوبهم وألسنتهم، وصدقوا في السر والعلانية. والصابرين: قوم صبروا على طاعة الله، وصبروا عن محارمه. والقانتون: هم المطيعون لله.

وأما المنفقون: فهم المؤتون زكوات أموالهم، وواضعوها على ما أمرهم الله بإتيانها، والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم جلّ ثناؤه بإنفاقها فيها. وأما الصابرين والصادقين وسائر هذه الحروف فمخفوض ردًا على قوله: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا**﴾ والخفض في هذه الحروف يدلّ على أن قوله: ﴿**الَّذِينَ يَقُولُونَ**﴾ خفض ردًا على قوله: ﴿**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿والمُسْتَغْفِرِينَ بالأسْحارِ﴾.

اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم، فقال بعضهم: هم المصلون بالأسحار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَالمُسْتَغْفِرِينَ بالأسْحارِ**﴾ هم أهل الصلاة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة: ﴿**والمُسْتَغْفِرِينَ بالأسْحارِ**﴾ قال: يصلون بالأسحار.

وقال آخرون: هم المستغفرون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع قال: ثنا أبي، عن حريث بن أبي مطر، عن إبراهيم بن حاطب، عن أبيه، قال: سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: رب أمرتني فأطعتك، وهذا سحر فاغفر لي! فنظرت فإذا ابن مسعود.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن قول الله عز وجل: ﴿والمُسْتَغْفِرِينَ بالأسحارِ﴾ قال: حدثني سليمان بن موسى، قال: ثنا نافع: أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاةً، ثم يقول: يا نافع أَسْحَرْنَا؟ فيقول: لا. فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن بعض البصريين، عن أنس بن مالك قال: أُمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا أبو يعقوب الضبي، قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: من صلى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كتب من المستغفرين بالأسحار.

وقال آخرون: هم الذين يشهدون الصبح في جماعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسماعيل بن مسلمة أخو القعنبي[١] قال: ثنا يعقوب بن عبد الرحمن، قال: قلت لزيد بن أسلم من المستغفرين[٢] بالأسحار؟ قال: هم الذين يشهدون الصبح.

وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله: ﴿وَالمُسْتَغْفِرِينَ بالأسْحارِ﴾ قول من قال: هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها بالأسحار، وهي جمع سَحَر. وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل أن يكون معناه: تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة، غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

(١) قوله «أخو القعنبي» هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، كما في «**الخلاصة**» ا هـ.
(٢) أورده كذا منصوباً على الحكاية.

يعني بذلك جل ثناؤه: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهدت الملائكة، وأولو العلم. فالملائكة معطوف بهم على اسم الله، و «أنه» مفتوحة بشهد.

وكان بعض البصريين يتأول قوله شهد الله: قضى الله، ويرفع «الملائكة»، بمعنى: والملائكة شهود وأولو العلم. وهكذا قرأت قراء أهل الإسلام بفتح الألف من أنه على ما ذكرت من إعمال «شهد» في «أنه» الأولى وكسر الألف من «إنّ» الثانية وابتدائها، سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعاً بفتح ألفيهما، بمعنى: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وأن الدين عند الله الإسلام، فعطف بأنّ الدين على «أنه» الأولى، ثم حذف واو العطف وهي مرادة في الكلام. واحتج في ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك: «شَهِدَ اللَّهُ إِنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ»... الآية، ثم قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ بكسر «إن» الأولى وفتح «أنّ» الثانية بإعمال «شهد» فيها، وجعل «أن» الأولى اعتراضاً في الكلام غير عامل فيها «شهد»؛ وأن ابن مسعود قرأ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ﴾ بفتح «أنّ»، وكسر «إنّ» من: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ على معنى إعمال الشهادة في «أن» الأولى و «أنّ» الثانية مبتدأة، فزعم أنه أراد بقراءته إياهما بالفتح جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود. فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قراء أهل الإسلام المتقدمين منهم والمتأخرين، بدعوى تأويل على ابن عباس وابن مسعود زعم أنهما قالاه وقرآ به، وغير معلوم ما ادعى عليهما برواية صحيحة، ولا سقيمة. وكفى شاهداً على خطإ قراءته خروجها من قراءة أهل الإسلام. فالصواب إذ كان الأمر على ما وصفنا من قراءة ذلك فتح الألف من «أنه» الأولى، وكسر الألف من «إنَّ» الثانية، أعني من قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامِ﴾ ابتداء.

وقد رُوِي عن السدي في تأويل ذلك قول كالدّال على تصحيح ما قرأ به في ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية في فتح «أن» من قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ وهو ما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلائِكَةُ﴾ إلى: ﴿لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ فإن الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس أن الدين عند الله الإسلام.

فهذا التأويل يدل على أن الشهادة إنما هي عامة في «أن» الثانية التي في قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامِ﴾ فعلى هذا التأويل جائز في «أن» الأولى وجهان من التأويل: أحدهما أن تكون الأولى منصوبة على وجه الشرط، بمعنى: شهد الله بأنه واحد، فتكون مفتوحة بمعنى الخفض في مذهب بعض أهل العربية، وبمعنى النصب في مذهب بعضهم، والشهادة عاملة في «أنّ» الثانية، كأنك قلت: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، لأنه واحد، ثم تقدم «لأنه واحد» فتفتحها على ذلك التأويل.

والوجه الثاني: أن تكون «إن» الأولى مكسورة بمعنى الابتداء لأنها معترض بها، والشهادة

واقعة على «أن» الثانية، فيكون معنى الكلام: شهد الله فإنه لا إله إلا هو والملائكة، أن الدين عند الله الإسلام، كقول القائل: أشهد ـ فإني محق ـ أنك مما تعاب به بريء، فـ «إنّ» الأولى مكسورة لأنها معترضة، والشهادة واقعة على «أن» الثانية.

وأما قوله: ﴿قائماً بالقِسطِ﴾ فإنه بمعنى أنه الذي يلي العدل بين خلقه. والقسط: هو العدل، من قولهم: هو مقسط، وقد أقسط، إذا عدل، ونصب «قائماً» على القطع.

وكان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أنه حال من «هو» التي في «لا إله إلا هو».

وكان بعض نحويي الكوفة يزعم أنه حال من اسم الله الذي مع قوله: ﴿شَهِدَ اللّهُ﴾ فكان معناه: شهد الله القائم بالقسط أنه لا إله إلا هو. وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود كذلك: «وأولُو العِلْمِ القَائِمُ بالقِسْطِ»، ثم حذفت الألف واللام من القائم فصار نكرة وهو نعتٌ لمعرفة، فنصب.

وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قول من جعله قطعاً على أنه من نعت الله جل ثناؤه، لأن الملائكة وأولي العلم معطوفون عليه، فكذلك الصحيح أن يكون قوله «قائماً» حالاً منه.

وأما تأويل قوله: ﴿لا إلَهَ إلاّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ فإنه نفى أن يكون شيء يستحق العبودة غير الواحد الذي لا شريك له في ملكه. ويعني بالعزيز: الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، ولا ينتصر منه أحد عاقبة أو انتقم منه، الحكيم في تدبيره، فلا يدخله خلل.

وإنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفي ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى من البنوة، وما نسب إليه سائر أهل الشرك من أن له شريكاً، واتخاذهم دونه أرباباً. فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالق كل ما سواه، وأنه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك رباً دونه، وأن ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه. فبدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيماً لنفسه، وتنزيهاً لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها، كما سن لعباده أن يبدءوا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره، مؤدباً خلقه بذلك.

والمراد من الكلام: الخبر عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدموه من ملائكته وعلماء عباده، فأعلمهم أن ملائكته ـ التي يعظمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدها الكثير منهم ـ وأهلَ العلم منهم منكرون ما هم عليه مقيمون من كفرهم، وقولهم في عيسى وقول من اتخذ رباً غيره من سائر الخلق، فقال شهدت الملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو، وأن كل من اتخذ رباً دون الله فهو كاذب؛ احتجاجاً منه لنبيه عليه الصلاة والسلام على الذين حاجوه من وفد نجران في عيسى، واعترض بذكر الله وصفته على ما نبينه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ﴾ افتتاحاً باسمه الكلام، فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة بما

وصفنا من نفي الألوهة من غيره وتكذيب أهل الشرك به. فأما ما قال الذي وصفنا قوله من أنه عَنَى بقوله شهد: قضى، فمما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم، لأن الشهادة معنى، والقضاء غيرها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك رُوي عن بعض المتقدمين القول في ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ وَالمَلائِكَةُ وأُولُو العِلْمِ**﴾ بخلاف ما قالوا، يعني: بخلاف ما قال وفد نجران من النصارى، ﴿**قائماً بالقِسْطِ**﴾ أي بالعدل.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**بالقِسْطِ**﴾ بالعدل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

ومعنى الدين في هذا الموضع: الطاعة والذلة، من قول الشاعر:

ويَوْمُ الحَزْنِ إذْ حَشَدَتْ مَعَدٌّ ... وكانَ النَّاسُ إلاَّ نَحنُ دِينَا[١]

يعني بذلك: مطيعين على وجه الذل؛ ومنه قول القطامي:

كانَتْ نَوَارُ تَدِينُكَ الأدْيانَا[٢]

يعني تذلّك. وقول الأعشى ميمون بن قيس:

هُوَ دَانَ الرِّبابِ إذْ كَرِهُوا الدِّ ... ينَ دِرَاكاً بِغَزْوَةٍ وَصِيالِ[٣]

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت في المراجع التي تحت يدي. وفي «اللسان»: (دين) وقوم دين أي دائنون. وقال: وكان الناس إلا نحن دينا ولم نسبه. يريد: كان الناس خاضعين غيرنا في يوم الحزم.

(٢) هذا عجز بيت من الكامل للقطامي عمير بن شييم (ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٠٢، ص - ١٥) ورواية البيت كاملاً فيه:

رَمَتِ المَقَاتِلَ من فؤادِكَ بَعْدما ... كانتْ جَنُوبُ تَدِينُك الأدْيانَا

ويروى: كانت ظلوم.

قال شارحه: أي تفعل بك الأفعال، ويقال: تستعبدك أو أنها كانت تعذبك.

(٣) سبق الكلام على بيت الأعشى هذا في الجزء الثاني (ص - ١٩٤)، والرباب بكسر الراء اسم لخمس قبائل: ضبة، وتيم، وعدي، وثور، وعكل، أولاد طابخة بن إلياس بن مضر، والدين: الطاعة.

يعني بقوله «دان»: ذلل، وبقوله «كرهوا الدين»: الطاعة. وكذلك الإسلام، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم، بمعنى: دخل في السلم، كما يقال أقحط القوم: إذا دخلوا في القحط، وأربعوا: إذا دخلوا في الربيع، فكذلك أسلموا: إذا دخلوا في السلم، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ إن الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزى إلا به.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ثنا أبو العالية في قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ قال: الإسلام: الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وسائر الفرائض لهذا تبع.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أَسْلَمْنَا﴾ قال: دخلنا في السلم وتركنا الحرب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿إِنَّ الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامَ﴾: أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للربّ والتصديق للرسل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وما اختلف الذين أوتوا الإنجيل، وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى، وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم وتشتت بها كلمتهم، وباين بها بعضهم بعضاً، حتى استحلّ بها بعضهم دماء بعض، ﴿إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَينهم﴾ يعني: إلا من بعد ما علموا الحقّ فيما اختلفوا فيه من أمره وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مبطلون. فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل وقالوا ما قالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطإ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً

منهم بخطئه، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه، تعدّياً من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والملك والسلطان. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: **﴿وَما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾** قال: قال أبو العالية: إلا من بعدما جاءهم الكتاب والعلم بغياً بينهم، يقول: بغياً على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا، من بعد ما كانوا علماء الناس.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن ابن عمر: أنه كان يكثر تلاوة هذه الآية: **﴿إنَّ الدّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام وَما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾** يقول: بغياً على الدنيا، وطلب ملكها وسلطانها، من قِبَلها والله[1] أُتينا! ما كان علينا من يكون، بعد أن يأخذ فينا كتاب الله وسنة نبيه، ولكنا أُتينا من قبلها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: إن موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبراً من أحبار بني إسرائيل، فاستودعهم التوراة، وجعلهم أمناء عليه، كل حبر جزءاً منه، واستخلف موسى يوشع بن نون. فلما مضى القرن الأوّل، ومضى الثاني، ومضى الثالث، وقعت الفرقة بينهم، وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين، حتى أهراقوا بينهم الدماء، ووقع الشر والاختلاف، وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغياً بينهم على الدنيا، طلباً لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها، فسلط الله عليهم جبابرتهم، فقال الله: **﴿إنَّ الدّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسْلامِ﴾** إلى قوله: **﴿وَاللَّهِ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ﴾**.

فقول الربيع بن أنس هذا يدلّ على أنه كان عنده أنه معنيّ بقوله: **﴿وَما اخْتلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾** اليهود من بني إسرائيل دون النصارى منهم ومن غيرهم. وكان غيره يوجه ذلك إلى أن المعنيّ به النصارى الذين أوتوا الإنجيل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿وَما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ﴾** الذي جاءك، أي أن الله الواحد الذي ليس له شريك، **﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾** يعني بذلك: النصارى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بآياتِ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾. يعني بذلك: ومن

---

(١) «ما»: ساقطة من الأصل.

يجحد حجج الله وأعلامه التي نصبها ذكرى لمن عقل، وأدلة لمن اعتبر وتذكر، فإن الله محص عليه أعماله التي كان يعملها في الدنيا، فمجازيه بها في الآخرة، فإنه جلّ ثناؤه سريع الحساب، يعني: سريع الإحصاء. وإنما معنى ذلك: أنه حافظٌ على كل عامل عمله، لا حاجة به إلى عقد، كما يعقده خلقه بأكفهم، أو يعونه بقلوبهم، ولكنه يحفظ ذلك عليهم بغير كلفة ولا مؤونة، ولا معاناة لما يعانيه غيره من الحساب.

وبنحو الذي قلنا في معنى﴿**سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ كان مجاهد يقول.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بآياتِ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ قال: إحصاؤه عليهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بآياتِ اللَّهِ فَإنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾ إحصاؤه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: فإن حاجّك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران في أمر عيسى صلوات الله عليه، فخاصموك فيه بالباطل، فقل: انقدت لله وحده بلساني وقلبي وجميع جوارحي، وإنما خصّ جلّ ذكره بأمره بأن يقول: أسلمت وجهي لله، لأن الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه، وفيه بهاؤه وتعظيمه فإذا خضع وجهه لشيء، فقد خضع له الذي هو دونه في الكرامة عليه من جوارح بدنه. وأما قوله: ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ فإنه يعني: وأسلم من اتبعني أيضاً وجهه لله معي، ومن معطوف بها على التاء في «أسلمت». كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**فإنْ حاجُوكَ**﴾ أي بما يأتونك به من الباطل من قولهم: خلقنا، وفعلنا، وجعلنا، وأمرنا، فإنما هي شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق، فقل: أسلمت وجهي لله ومن اتبعني.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فإنْ أسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدُوا**﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم؟ يقول: قل لهم: هل أفردتم التوحيد، وأخلصتم العبادة والألوهة لربّ العالمين دون سائر الأنداد والأشراك التي تشركونها معه في عبادتكم إياهم،

وإقراركم بربوبيتهم، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ غيره، ولا إله سواه، فإن أسلموا يقول: فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله، وإخلاص العبادة والألوهة له، فقد اهتدوا، يعني: فقد أصابوا سبيل الحقّ، وسلكوا محجة الرشد.

فإن قال قائل: وكيف قيل: فإن أسلموا فقد اهتدوا عقيب الاستفهام، وهل يجوز على هذا في الكلام أن يقال لرجل: هل تقوم؟ فإن تقم أكرمك؟ قيل: ذلك جائز إذا كان الكلام مراداً به الأمر، وإن خرج مخرج الاستفهام، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾** يعني انتهوا، وكما قال جل ثناؤه مخبراً عن الحواريين أنهم قالوا لعيسى: **﴿يا عيسَى ابنَ مَريمَ هلْ يَستطيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلينَا مائدةً مِنَ السماءِ﴾**. وإنما هو مسألة، كما يقول الرجل: هل أنت كافّ عنا؟ بمعنى: اكفف عنا، وكما يقول الرجل للرجل: أين أين؟ بمعنى؟ أقم فلا تبرح، ولذلك جُوزي في الاستفهام كما جوزي في الأمر في قراءة عبد الله: «هَلْ أَدُلُّكُمْ على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ؟ آمِنُوا» ففسرها بالأمر، وهي في قراءتنا على الخبر؛ فالمجازاة في قراءتنا على قوله: **﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾** وفي قراءة عبد الله على قوله: «آمِنُوا» على الأمر، لأنه هو التفسير.

وبنحو معنى ما قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ والأُمِّيِّينَ﴾** الذين لا كتاب لهم: **﴿أَأَسْلَمْتُمْ فإنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾**... الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: **﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ وَالأُمِّيِّينَ﴾** قال: الأميون: الذين لا يكتبون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإن تَوَلَّوْا فَإنَّما عَلَيْكَ البَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾** وإن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام، وإخلاص التوحيد لله ربّ العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي، وأداء ما كلفتك من طاعتي. **﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾** يعني بذلك، والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه، فيطيعك بالإسلام، وبمن يتولى منهم عنه معرضاً، فيردّ عليك ما أرسلتك به إليه فيعصيك بإبائه الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٢)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذّبون بها من أهل الكتابين التوراة والإنجيل. كما:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: ثم جمع أهل الكتابين جميعاً، وذكر ما أحدثوا وابتدعوا من اليهود والنصارى، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.

وأما قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فإنه يعني بذلك أنهم كانوا يقتلون رسل الله الذين كانوا يرسلون إليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التي قد تقدم الله إليهم في كتبهم بالزجر عنها، نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء الله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قرّاء الأمصار: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بمعنى القتل. وقرأه بعض المتأخرين من قرّاء الكوفة: «ويقاتلون»، بمعنى القتال تأوّلاً منه قراءة عبد الله بن مسعود، وادّعى أن ذلك في مصحف عبد الله: «وقاتلوا»، فقرأ الذي وصفنا أمره من القراء بذلك التأويل «ويقاتلون».

والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأه: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ لإجماع الحجة من القراء عليه به، مع مجيء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك تأويله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن معقل بن أبي مسكين في قوله الله ﷺ: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: كان الوحي يأتي إلى[1] بني إسرائيل فيذكُرون، ولم يكن يأتيهم كتاب، فيُقتلون، فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدّقهم، فيذكُرون قومهم فيقتلون، فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة في قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: هؤلاء أهل الكتاب، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكرونهم فيقتلونهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال:

(١) «إلى»: ساقطة من «الدر المنثور» (٢/ ١٣).

كان ناس من بني إسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب كان الوحي يأتي إليهم، فيذكُرون قومهم فيقتلون على ذلك، فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس.

حدثني أبو عبيد الرصافي محمد بن جعفر، قال: ثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو الحسن مولى بني أسد، عن مكحول، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، عن أبي عبيدة بن الجرّاح، قال: قلت يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا، أَوْ رَجُلٌ أَمَرَ بِالمُنْكَرِ وَنَهَى عَنِ المَعْرُوفِ». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿«**الَّذِينَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**[1] **وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ**» إلى أن انتهى إلى: ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾. ثم قال رسول الله ﷺ: «يا أبا عُبَيْدَةَ قَتَلَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلاً مِنْ عُبَّادِ بَنِي إسْرَائِيلَ، فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْهُمْ عَنِ المُنْكَرِ فَقُتِلُوا جَمِيعاً مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

فتأويل الآية إذاً: إن الذين يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير حقّ، ويقتلون آمريهم بالعدل في أمر الله ونهيه، الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله وركوب معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ فأخبرهم يا محمد، وأعلمهم أن لهم عند الله عذاباً مؤلماً لهم، وهو الموجع.

وأما قوله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ فإنه يعني بقوله: ﴿**أُولَئِكَ**﴾ الذين يكفرون بآيات الله. ومعنى ذلك: أن الذين ذكرناهم، هم الذين حبطت أعمالهم، يعني بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة. فأما قوله: ﴿**فِي الدُّنْيَا**﴾ فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس، لأنهم كانوا على ضلال وباطل، ولم يرفع الله لهم بها ذكراً، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمة، فذلك حبوطها في الدنيا. وأما في الآخرة، فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بوراً لا ثواب لها، لأنها كانت كفراً بالله، فجزاء أهلها الخلود في الجحيم.

وأما قوله: ﴿**وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾ فإنه يعني: وما لهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله إذا هو انتقم منهم بما سلف من إجرامهم واجترائهم عليه، فيستنقذهم منه.

---

(١) كذا في النسخ وفي «**الدر المنثور**» أيضاً، والتلاوة «إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون الخ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿ألم ترَ﴾ يا محمد﴿إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ﴾ يقول: الذين أُعطوا حظاً من الكتاب، يدعون إلى كتاب الله.

واختلف أهل التأويل في الكتاب الذي عنى الله بقوله: ﴿يُدْعَوْنَ إلى كِتابِ اللَّهِ﴾ فقال بعضهم: هو التوراة دعاهم إلى الرضا بما فيها، إذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تُقِرّ بها وبما فيها أنها كانت أحكام الله قبل أن ينسخ منها ما نسخ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ بين المدراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أيّ دين أنت يا محمد؟ فقال: «على مِلّة إبْراهِيم ودِينِه»، فقالا: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله ﷺ: «فَهَلُمُّوا إلى التَّوْرَاةِ فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ». فأبَوْا عَلَيْهِ، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾... إلى قوله: ﴿ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس، فذكر نحوه، إلا أنه قال: فقال لهما رسول الله ﷺ: «فَهَلُمَّا إلى التَّوْرَاةِ»، وقال أيضاً: فأنزل الله فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ﴾ وسائر الحديث مثل حديث أبي كريب.

وقال بعضهم: بل ذلك كتاب الله الذي أنزله على محمد، وإنما دعيت طائفة منهم إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم بالحقّ، فأبت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُدْعَوْنَ إلى كِتابَ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أولئك أعداء الله اليهود، دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم، وإلى نبيه ليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوباً

عندهم في التوراة والإنجيل، ثم تولوا عنه وهم معرضون.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ﴾... الآية، قال: هم اليهود دعوا إلى كتاب الله وإلى نبيه، وهم يجدونه مكتوباً عندهم، ثم يتولون وهم معرضون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ قال: كان أهل الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحقّ يكون وفي الحدود، وكان النبيّ ﷺ يدعوهم إلى الإسلام، فيتولون عن ذلك.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ في عهده، ممن قد أوتي علماً بالتوراة أنهم دعوا إلى كتاب الله الذي كانوا يقرّون أنه من عند الله وهو في التوراة في بعض ما تنازعوا فيه هم ورسول الله ﷺ. وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذي كانوا تنازعوا فيه ثم دعوا إلى حكم التوراة فيه، فامتنعوا من الإجابة إليه، كان أمر محمد ﷺ وأمر نبوّته. ويجوز أن يكون ذلك كان أمر إبراهيم خليل الرحمن ودينه. ويجوز أن يكون ذلك ما دعوا إليه من أمر الإسلام، والإقرار به. ويجوز أن يكون ذلك كان في حدّ، فإن كل ذلك مما قد كانوا نازعوا فيه رسول الله ﷺ، فدعاهم فيه إلى حكم التوراة، فأبى الإجابة فيه، وكتمه بعضهم. ولا دلالة في الآية على أن ذلك كان ممن أبى، فيجوز أن يقال: هو هذا دون هذا. ولا حاجة بنا إلى معرفة ذلك، لأن المعنى الذي دعوا إليه جملته هو مما كان فرضاً عليهم الإجابة إليه في دينهم، فامتنعوا منه. فأخبر الله جل ثناؤه عنهم بردّتهم وتكذيبهم بما في كتابهم وجحودهم، ما قد أخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم بإقامته والعمل به، فلن يعدوا أن يكونوا في تكذيبهم محمداً وما جاء به من الحقّ مثلهم في تكذيبهم موسى وما جاء به، وهم يتولونه ويقرّون به.

ومعنى قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ثم يستدبر عن كتاب الله الذي دعا إلى حكمه معرضاً عنه منصرفاً، وهو بحقيقته وحجته عالم.

وإنما قلنا إن ذلك الكتاب هو التوراة، لأنهم كانوا بالقرآن مكذّبين وبالتوراة بزعمهم مصدّقين، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به في زعمهم مقرّون أبلغ وللعذر أقطع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بأن هؤلاء الذين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحقّ فيما نازعوا رسول الله ﷺ، إنما أبوا الإجابة في حكم التوراة، وما فيها من الحقّ من أجل قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ وهي أربعون يوماً، وهنّ الأيام التي عبدوا فيها العجل، ثم يخرجنا منها ربنا. اغتراراً منهم بما كانوا يفترون، يعني بما كانوا يختلقون من الأكاذيب والأباطيل في ادّعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله قد وعد أباهم يعقوب أن لا يدخل أحداً من ولده النار إلا تَحِلّة القسم. فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم، وأخبر نبيه محمداً ﷺ أنهم هم أهل النار، هم فيها خالدون، دون المؤمنين بالله ورسله وما جاءوا به من عنده.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ قالوا: لن تمسنا النار إلا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾... الآية، قال: قالوا: لن نعذّب في النار إلا أربعين يوماً. قال: يعني اليهود. قال: وقال قتادة مثله، وقال: هي الأيام التي نصبوا فيها العجل. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ حين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: قوله: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ قال: غرّهم قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ فأيّ حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول، وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله واغترارهم بربهم، وافترائهم الكذب.

وذلك من الله عزّ وجلّ وعيد لهم شديد، وتهديد غليظ. وإنما يعني بقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾. . . الآية: فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتنكيله بهم إذا جمعهم ليوم يوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه غير مظلوم فيه، لأنه لا يعاقب فيه إلا على ما اجترم، ولا يؤاخذ إلا بما عمل، يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، لا يخاف أحد من خلقه يومئذ ظلماً ولا هضماً.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ ولم يقل: في يوم لا ريب فيه؟ قيل: لمخالفة معنى اللام في هذا الموضع معنى في، وذلك أنه لو كان مكان اللام «في» لكان معنى الكلام: فكيف إذا جمعناهم في يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب، وليس ذلك المعنى في دخول اللام، ولكن معناه مع اللام، فكيف إذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه، ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه، ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب؟ فمع اللام في: ﴿لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ نية فعل وخبر مطلوب قد ترك ذكره، أجزأت دلالة دخول اللام في اليوم عليه منه، وليس ذلك مع «في» فلذلك اختيرت اللام فأدخلت في «اليوم» دون «في».

وأما تأويل قوله: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإنه لا شكّ في مجيئه، وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية، مع

ذكر من قال ذلك في تأويله فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وعني بقوله: ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ ووفى الله﴿كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ﴾ يعني ما عملت من خير وشرّ، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ يعني أنه لا يبخس المحسن جزاء إحسانه، ولا يعاقب مسيئاً بغير جرمه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾

أما تأويل قوله﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ فإنه قل يا محمد: يا الله.

واختلف أهل العربية في نصب ميم﴿اللَّهُمَّ﴾ وهو منادى، وحكم المنادى المفرد غير المضاف الرفع، وفي دخول الميم فيه، وهو في الأصل «الله» بغير ميم. فقال بعضهم: إنما زيدت فيه الميمان لأنه لا ينادى بـ «يا» كما ينادى الأسماء التي لا ألف فيها، وذلك أن الأسماء التي لا ألف ولا لام فيها تنادى بـ «يا»، كقول القائل: يا زيد ويا عمرو، قال: فجعلت الميم فيه خلفاً من «يا»، كما قالوا: فم ودم وهم وزُرْقُم وسُتْهُم، وما أشبه ذلك من الأسماء والنعوت التي

يحذف منها الحرف، ثم يبدل مكانه ميم، قال: فكذلك حذفت من اللهم «يا» التي ينادى بها الأسماء التي على ما وصفنا، وجعلت الميم خلفاً منها في آخر الاسم. وأنكر ذلك من قولهم آخرون، وقالوا: قد سمعنا العرب تنادي: اللهمّ بـ «يا»، كما تناديه، ولا ميم فيه. قالوا: فلو كان الذي قال هذا القول مصيباً في دعواه لم تدخل العرب «يا»، وقد جاءوا بالخلف منها. وأنشدوا في ذلك سماعاً من العرب:

وَمَا عَلَيْكِ أنْ تَقُولي كُلَّمَا ... صَلَّيْتِ أوْ كَبَّرْتِ يَا اللَّهُمَّ
ارْدُدْ إلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلَّمَا

ويروى: «سبحت أو كبرت». قالوا: ولم تر العرب زادت مثل هذه الميم إلا مخففة في نواقص الأسماء مثل فم ودم وهم قالوا: ونحن نرى أنها كلمة ضمّ إليها «أمّ» بمعنى «يا الله أمّنا بخير»، فكثرت في الكلام فاختلطت به. قالوا: فالضمة التي في الهاء من همزة «أم» لما تركت انتقلت إلى ما قبلها. قالوا: ونرى أن قول العرب هلمّ إلينا مثلها، إنما كان هلمّ «هل» ضمّ إليها «أمّ» فتركت على نصبها. قالوا: ومن العرب من يقول إذا طرح الميم: يا ألله اغفر لي»، و «يا الله اغفر لي»، بهمز الألف من الله مرّة، ووصلها أخرى، فمن حذفها أجراها على أصلها لأنها ألف ولام، مثل الألف واللام اللتين يدخلان في الأسماء المعارف زائدتين. ومن همزها توهم أنها من الحرف، إذ كانت لا تسقط منه. وأنشدوا في همز الألف منها:

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ ... عَلى اسمكَ اللَّهُمَّ يَا أللَّهُ

قالوا: وقد كثرت اللهمّ في الكلام حتى خففت ميمها في بعض اللغات، وأنشدوا:

كَحَلْفَةٍ مِنْ أبي رِيَاحِ ... يَسْمَعُهَا اللَّهُمَ الكُبَارُ

---

(١) قوله «ودم» كذا في النسخ، والكلمتان: دم وهم لعلهما محرفتان عن ابنم ودلهم أو دلقم من الكلمات التي زيدت في آخرها الميم، وقد ذكرها السيوطي في المزهر (٢/ ١٣٥).

(٢) أورد البغدادي في «الخزانة» الأبيات الثلاثة في شواهد النداء، وفيها «سجدت أو صليت» في مكان: «صليت أو كبرت». وقال: هذا الرجز مما لا يعرف قائله. والشاعر يخاطب أنثى، لعلها زوجه أو ابنته، يطلب منها أن تدعو له إذا سافر وغاب، في أوقات الدعوات، ومظان القبول.
(واللهم ما): كذا روى في «الخزانة» بثلاث ميمات. وفي «اللسان» (يا أللهما) بميم واحدة مخففة. وبقطع همزة (الله) وقال قال الفراء: إن «يا» قد يقال مع اللهم، فيقال (يا اللهم) واستشهد بشعر لا يكون مثله حجة. قال أبو إسحاق: وقال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: اللهم بمعنى يا الله، وأن الميم المشددة: عوض من (يا).

(٣) البيت أنشده صاحب «اللسان» في (أله) ول ينسبه. واشتهد به على أن لفظ الجلالة (الله) إذا دخلت عليه يا للنداء، فمن العرب من يحذف الهمزة، ومنهم من يحققها.

(٤) البيت في ديوان الأعشى طبع القاهرة (ص ـ ٢٨٣) وأبو رياح بكسر الراء وبالياء: رجل من بني ضبيعة قتل جاراً لبني سعد بن ثعلبة، فسألوه أن يديه، فحلف ألا يفعل، ثم قتل بعد حلفته، فبرت يمينه. يقول لهم: قد

والرواة تنشد ذلك: «يَسْمَعُها لاهُهُ الكُبارُ».

وقد أنشده بعضهم: «يَسْمَعُها اللَّهُ والكُبارُ».

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾.

يعني بذلك: يا مالك الملك، يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصاً دون غيره. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالكَ المُلْكِ﴾ أي ربّ العباد الملك لا يقضي فيهم غيرك.

وأما قوله: ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ﴾ فإنه يعني: تعطي الملك من تشاء فتملّكه وتسلطه على من تشاء. وقوله: ﴿وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾ أن تنزعه منه، فترك ذكر «أن تنزعه منه» اكتفاء بدلالة قوله: ﴿وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾ عليه، كما يقال: خذ ما شئت، وكن فيما شئت، يراد: خذ ما شئت أن تأخذه، وكن فيما شئت أن تكون فيه، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فِي أيّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾ يعني: في أيّ صورة شاء أن يركبك فيها ركبك. وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ جواباً لمسألته ربه أن يجعل ملك فارس والروم لأمته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة؛ وذكر لنا أن نبيّ ﷺ سأل ربه جلّ ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ﴾... إلى: ﴿إنَّكَ على كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة، قال: ذكر لنا والله أعلم أن نبيّ الله ﷺ سأل ربه عزّ وجلّ أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، ثم ذكر مثله.

وروي عن مجاهد أنه كان يقول: معنى الملك في هذا الموضع النبوّة. ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾ قال: النبوّة.

برت يمينكم حين أقسمتم منهمكين ألا نعطيكم إلا القتال، كما برت يمين أبي رياح هذا. ولا هم: كذا روى في «**اللسان**» أله وفي الديوان: لاهه: أي إلهه والكبار: الكبير العظيم. وأنشده الفراء في «**معاني القرآن**» «يسمعه اللهم الكبار» بتخفيف ميم من اللهم:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.﴾

يعني جلّ ثناؤه: وتعزّ من تشاء بإعطائه الملك والسلطان وبسط القدرة له، وتذلّ من تشاء بسلبك ملكه وتسليط عدوّ عليه. ﴿بِيَدِكَ الخَيْرُ﴾ أي كلّ ذلك بيدك وإليك، لا يقدر على ذلك أحد؛ لأنك على كل شيء قدير، دون سائر خلقك، ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأميين من العرب إلهاً ورباً يعبدونه من دونك، كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربًّا. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله: ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ﴾... الآية، أي إن ذلك بيدك لا إلى غيرك، ﴿إنَّكَ على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿تُولِجُ﴾ تدخل، يقال منه: قد ولج فلان منزله: إذا دخله، فهو يَلِجُهُ وَلْجاً وَوُلُوجاً ولِجَةً، وأولجته أنا: إذا أدخلته. ويعني بقوله: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ﴾ تدخل ما نقصت من ساعات الليل في ساعات النهار، فتزيد من نقصان هذا في زيادة هذا. ﴿وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ وتدخل ما نقصت من ساعات النهار في ساعات الليل، فتزيد في ساعات الليل ما نقصت من ساعات النهار. كما:

حدثني موسى، قال ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات، وتدخل النهار في الليل، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما نقص من النهار يجعله في الليل، وما نقص من الليل يجعله في النهار.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد في قول الله: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ قال: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر متعاقبان. أو يتعاقبان، شكّ أبو عاصم. ذلك من الساعات.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿تُولِجُ اللَّيل فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيـ ِ﴾ ما ينقص من أحدهما في الآخر يتعاقبان في ذلك من الساعات.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن قوله: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ﴾ نقـ ـان الليل في زيادة النهار، ونقصان النهار في زيادة الليل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ﴾ قال: هو نقصان أحدهما في الآخر.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة في قوله: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ قال: يأخذ الليل من النهار، ويأخذ النهار من الليل. يقول: نقصان الليل في زيادة النهار، ونقصان النهار في زيادة الليل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ﴾ يعني أنه يأخذ أحدهما من الآخر، فيكون الليل أحياناً أطول من النهار، والنهار أحياناً أطول من الليل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ قال: هذا طويل، وهذا قصير، أخذ من هذا فأولجه في هذا حتى صار هذا طويلاً وهذا قصيراً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويل ذلك: أنه يخرج الشيء الحيّ من النطفة الميتة، ويخرج النطفة الميتة من الشيء الحيّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله في قوله: ﴿تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: هي النطفة تخرج من الرجل

وهي ميتة، وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: الناس الأحياء من النطف والنطف ميتة، ويخرجها من الناس الأحياء والأنعام.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك في قوله: ﴿تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ فذكر نحوه.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ فالنطفة ميتة تكون تخرج من إنسان حيّ، ويخرج إنسان حيّ من نطفة ميتة.

حدثني محمد بن عمر بن علي بن عطاء المقدمي، قال: ثنا أشعث السجستاني، قال: ثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله: ﴿تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ قال تخرج النطفة من الرجل، والرجل من النطفة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: تخرج الحيّ من هذه النطفة الميتة، وتخرج هذه النطفة الميتة من الحيّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله: ﴿تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾... الآية، قال: الناس الأحياء من النطف، والنطف ميتة من الناس الأحياء، ومن الأنعام والنبت كذلك. قال ابن جريج، وسمعت يزيد بن عويمر يخبّر عن سعيد بن جبير، قال: إخراجه النطفة من الإنسان، وإخراجه الإنسان من النطفة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ قال: النطفة ميتة، فتخرج منها أحياء. ﴿وتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ تخرج النطفة من هؤلاء الأحياء، والحبّ ميتة تخرج منه حياً. ﴿وتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾

تخرج من هذا الحيّ حباً ميتاً.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنه يخرج النخلة من النواة، والنواة من النخلة، والسنبل من الحبّ والحبّ من السنبل، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، قال: ثنا عبد الله، عن عكرمة قوله: ﴿**تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ**﴾ قال: هي البيضة تخرج من الحيّ وهي ميتة، ثم يخرج منها الحيّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله: ﴿**تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ**﴾ قال: النخلة من النواة، والنواة من النخلة، والحبة من السنبلة، والسنبلة من الحبة.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنه يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن في قوله: ﴿**تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ**﴾ يعني المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والمؤمن عبد حيّ الفؤاد، والكافر عبد ميت الفؤاد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن في قوله: ﴿**تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ**﴾ قال: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، عن سعيد بن عمرو، عن الحسن قرأ: ﴿**تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ**﴾ قال: تخرج المؤمن من الكافر، وتخرج الكافر من المؤمن.

حدثني حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، أو عن ابن مسعود. وأكبر ظني أنه عن سلمان. قال: إن الله عزّ وجلّ خمَّر طينة آدم أربعين ليلة ـ أو قال: أربعين يوماً ـ ثم قال بيده فيه، فخرج كل طيب في يمينه، وخرج كل خبيث في يده الأخرى، ثم خلط بينهما، ثم خلق منها آدم، فمن ثم يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ، يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري: أن النبيّ ﷺ دخل على بعض نسائه، فإذا بامرأة حسنة النَّغمة، فقال: «مَنْ هَذِهِ؟» قالت: إحدى خالاتك، قال: «إنَّ خالاتِي بِهَذِهِ البَلَدَةِ لغَرَائِبُ! وأيّ خالاتِي هَذِهِ؟» قالت: خلدة ابنة الأسود بن عبد يغوث، قال: «سُبْحانَ الَّذِي يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ» وكانت امرأة صالحة، وكان أبوها كافراً.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿**تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ**﴾ قال: هل علمتم أن الكافر يلد مؤمناً، وأن المؤمن يلد كافراً؟ فقال: هو كذلك.

وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب تأويل من قال: يخرج الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياء من النطف الميتة، وذلك إخراج الحيّ من الميت، ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياء، وذلك إخراج الميت من الحيّ، وذلك أن كل حيّ فارقه شيء من جسده، فذلك الذي فارقه منه ميت، فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه، ثم ينشىء الله منها إنساناً حياً وبهائم وأنعاماً أحياء، وكذلك حكم كل شيء حيّ زايله شيء منه، فالذي زايله منه ميت، وذلك هو نظير قوله: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وكُنْتُمْ أمواتاً فأحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.

وأما تأويل من تأوّله بمعنى الحبة من السنبلة، والسنبلة من الحبة، والبيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فإن ذلك وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهر في استعمال الناس في الكلام، وتوجيه معاني كتاب الله عزّ وجلّ إلى الظاهر المستعمل في الناس، أولى من توجيهها إلى الخفيّ القليل في الاستعمال.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته جماعة منهم: ﴿**تُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ**﴾ بالتشديد وتثقيل الياء من الميت، بمعنى أنه يخرج الشيء الحيّ من الشيء الذي قد مات، ومما لم يمت. وقرأت جماعة أخرى منهم: «تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ وَتُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الحَيِّ» بتخفيف الياء من الميت. بمعنى أنه يخرج الشيء الحيّ من الشيء الذي قد مات دون الشيء الذي لم يمت، وتخرج الشيء الميت دون الشيء الذي لم يمت من الشيء الحيّ، وذلك أن الميت مثقل الياء عند العرب ما لم يمت وسيموت وما قد مات. وأما المَيْت

---

(١) في القرطبي: الهيئة.
(٢) البلد يذكر ويؤنث كما في المصباح.
(٣) في «الدر المنثور» خالدة.

مخففاً: فهو الذي قد مات، فإذا أرادوا النعت قالوا: إنك مائت غداً وإنهم مائتون، وكذلك كل ما لم يكن بعد، فإنه يخرج على هذا المثال الاسم منه، يقال: هو الجائد بنفسه والطائبة نفسه بذلك، وإذا أريد معنى الاسم قيل: هو الجواد بنفسه والطيبة نفسه. فإذا كان ذلك كذلك، فأولى القراءتين في هذه الآية بالصواب قراءة من شدد الياء من الميّت، لأن الله جلّ ثناؤه يخرج الحيّ من النطفة التي قد فارقت الرجل، فصارت ميتة، وسيخرجه منها بعد أن تفارقه وهي في صلب الرجل، ويخرج الميت من الحيّ، النطفة التي تصير بخروجها من الرجل الحيّ ميتاً، وهي قبل خروجها منه حية، فالتشديد أبلغ في المدح أكمل في الثناء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنه يعطي من يشاء من خلقه، فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه، لأنه لا يخاف دخول انتقاص في خزائنه، ولا الفناء على ما بيده. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: **﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾** قال: يخرج الرزق من عنده بغير حساب، لا يخاف أن ينقص ما عنده تبارك وتعالى.

فتأويل الآية إذاً: اللهمّ يا مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعزّ من تشاء، وتذلّ من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، دون من ادّعى الملحدون أنه لهم إله ورب عبدوه دونك، أو اتخذوه شريكاً معك، أو أنه لك ولد وبيدك القدرة التي تفعل هذه الأشياء، وتقدر بها على كل شيء، تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، فتنقص من هذا وتزيد في هذا، وتنقص من هذا وتزيد في هذا، وتخرج من ميت حياً، ومن حيّ ميتاً، وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك، لا يقدر على ذلك أحد سواك، ولا يستطيعه غيرك. كما:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ وتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخْرِجُ المَيِّتُ مِنَ الحَيِّ﴾** أي بتلك القدرة، يعني بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه ممن تشاء، وترزق من تشاء بغير حساب، لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه إلا أنت. أي فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والخلق للطير من الطين، والخبر عن الغيوب لتجعله آية للناس، وتصديقاً له في نبوّته التي بعثته بها إلى قومه، فإنّ من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه، كتمليك الملوك، وأمر النبوّة ووضعها حيث شئت، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وإخراج الحيّ من الميت، والميت من الحيّ، ورزق من شئت من برّ أو فاجر بغير حساب، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه، ولم أملكه إياه، فلم يكن

لهم في ذلك عبرة وبينة، إذ لو كان إلٰهاً لكان ذلك كله إليه وهو في علمهم يهرب من الملوك، وينتقل منهم في البلاد من بلد إلى بلد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

وهذا نهي من الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً، ولذلك كسر «يتخذ» لأنه في موضع جزم بالنهي، ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة. ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً، توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء؛ يعني بذلك، فقد برىء من الله، وبرىء الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر، إلا أن تتقوا منهم تقاة، إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿**لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ**﴾ قال: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار، أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين، فيظهرون لهم اللطف، ويخالفونهم في الدين. وذلك قوله: ﴿**إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم. فقال رفاعة بن المنذر بن زبير وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا لزومهم ومباطنتهم، لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿**لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ**﴾... إلى قوله: ﴿**وَاللَّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن

---

(١) بطن فلان بفلان يبطن به بطوناً وبطانة: إذا كان خاصاً به داخلاً في أمره.

في قوله: ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لا يتخذ المؤمن كافراً ولياً من دون المؤمنين.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ﴾ إلى: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ أما أولياء: فيواليهم في دينهم، ويظهرهم على عورة المؤمنين، فمن فعل هذا فهو مشرك، فقد برىء الله منه، إلا أن يتقي منهم تقاة، فهو يظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عمن حدثه، عن ابن عباس: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ قال: التقاة: التكلم باللسان، وقلبه مطمئنّ بالإيمان.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ قال: ما لم يهرق دم مسلم، وما لم يستحل ماله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾ إلا مصانعة في الدنيا ومخالقة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾ إلى: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ قال: قال أبو العالية: التقية باللسان وليس بالعمل.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ قال: التقية باللسان مَنْ حُمِلَ على أمر يتكلم به وهو لله معصية، فتكلم مخافة على نفسه، وقلبه مطمئنّ بالإيمان، فلا إثم عليه، إنما التقية باللسان.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ فالتقية باللسان: من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئنّ بالإيمان، فإن ذلك لا يضرّه، إنما التقية باللسان.

وقال آخرون: معنى: ﴿إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً﴾ إلا أن يكون بينك وبينه قرابة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ نهى الله المؤمنين أن يوادّوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين، وقال الله: ﴿**إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم، إلا أن يصل رحماً له في المشركين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أوْلِياءَ**﴾ قال: لا يحلّ لمؤمن أن يتخذ كافراً ولياً في دينه، وقوله: ﴿**إلاَّ أن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ قال: أن يكون بينك وبينه قرابة، فتصله لذلك.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿**إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ قال: صاحبهم في الدنيا معروفاً الرحم وغيره، فأما في الدين فلا.

وهذا الذي قاله قتادة تأويل له وجه، وليس بالوجه الذي يدلّ عليه ظاهر الآية: إلا أن تتقوا من الكافرين تقاة.

فالأغلب من معاني هذا الكلام: إلا أن تخافوا منهم مخافة. فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار، لا من غيرهم، ووجهه قتادة إلى أن تأويله: إلا أن تتقوا الله من أجل القرابة التي بينكم وبينهم تقاة، فتصلون رحمها. وليس ذلك الغالب على معنى الكلام والتأويل في القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: ﴿**إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ على تقدير فعلة مثل تخمة وتؤدة وتكأة من اتقيت، وقرأ ذلك آخرون: «إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تَقِيَّةً» على مثال فعيلة.

والقراءة التي هي القراءة عندنا، قراءة من قرأها: ﴿**إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ لثبوت حجة ذلك بأنه القراءة الصحيحة، بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه الخطأ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ويُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وإلى اللَّهِ المَصِيرُ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: ويخوّفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه أو توالوا أعداءه، فإن لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم، ويوم حشركم لموقف الحساب، يعني بذلك: متى صرتم إليه، وقد خالفتم ما أمركم به، وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به، يقول: فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه، فإنه شديد العذاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، إن تخفوا ما في صدوركم من موالاة الكفار فتسرّوه، أو تبدوا ذلكم من أنفسكم بألسنتكم وأفعالكم، فتظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه؛ يقول: فلا تضمروا لهم مودّة، ولا تظهروا لهم موالاة، فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به، لأنه يعلم سركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء منه، وهو محصيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالإحسان إحساناً، وبالسيئة مثلها. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: أخبرهم أنه يعلم ما أسرّوا من ذلك وما أعلنوا، فقال: **﴿إِنْ تُخْفُوا ما في صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾**.

وأما قوله: **﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** فإنه يعني أنه إذ كان لا يخفى عليه شيء هو في سماء أو أرض أو حيث كان، فكيف يخفى عليه أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ما في صدوركم من الميل إليهم بالمودّة والمحبة، أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلاً وقولاً.

وأما قوله: **﴿وَاللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** فإنه يعني: والله قدير على معاجلتكم بالعقوبة على موالاتكم إياهم، ومظاهرتكموهم على المؤمنين، وعلى ما يشاء من الأمور كلها، لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه شيء طلبه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ويحذّركم الله نفسه، في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً موفراً، وما عملت من سوء **﴿تودُّ لو أنَّ بَيْنَها وبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾**: يعني: غاية بعيدة، فإن مصيركم أيها القوم يومئذٍ إليه، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم. وكان قتادة يقول في معنى قوله: **﴿مُحْضَراً﴾** ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾ يقول موفراً.

وقد زعم أهل العربية أن معنى ذلك: واذكر يوم تجد، وقال: إن ذلك إنما جاء كذلك، لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر، كأنه قيل لهم: اذكروا كذا وكذا، لأنه في القرآن في غير موضع، واتقوا يوم كذا وحين كذا. وأما «ما» التي مع عملت فبمعنى الذي، ولا يجوز أن تكون جزاء لوقوع «تجد» عليه.

وأما قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ فإنه معطوف على قوله: «ما» الأولى، و «عملت» صلة بمعنى الرفع، لمّا قيل «تود». فتأويل الكلام: يوم تجد كل نفس الذي عملت من خير محضراً، والذي عملت من سوء، تودّ لو أن بينها وبينه أمداً. والأمد: الغاية التي ينتهي إليها، ومنه قول الطرماح:

كلّ حَيّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمْـ ـرِ ومُودٍ إِذَا انْقَضَى أَمَدُهْ

يعني: غاية أجله. وقد:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ مكاناً بعيداً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿أَمَداً بَعِيداً﴾ قال: أجلاً.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ قال: يسرّ أحدهم أن لا يلقى عمله ذاك أبداً يكون ذلك مناه، وأما في الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذّها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ﴾. يقول جلّ ثناؤه: ويحذّركم الله نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم، فتوافونه، يوم تجد كل نفسه ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، وهو عليكم ساخط، فينالكم من

---

(١) قوله «فإنه معطوف الخ» لعل في العبارة سقطا من الناسخ، وحاصل المقام أن وما، إما معطوفة على ما الأولى، أو مبتدأ خبره تود، انظر كتب التفسير.

(٢) قال في «اللسان» (أمد): الأمد: الغاية كالمدى. يقال: ما أمدك؛ أي منتهى عمرك.
والبيت في ديوان الطرماح طبعة ليدن سنة ١٩٢٧ (ص ـ ١١٢)، وهو التاسع في القصيدة، وفيه «انقضى عدده» في مكان: «انقضى أمده».

أليم عقابه ما لا قبل لكم به. ثم أخبر عزّ وجلّ أنه رءوف بعباده رحيم بهم، ومن رأفته بهم تحذيره إياهم نفسه، وتخويفهم عقوبته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معاصيه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن عمرو بن الحسن في قوله: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ**﴾ قال: من رأفته بهم أن حذّرهم نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾

اختلف أهل التأويل في السبب الذي أنزلت هذه الآية فيه، فقال بعضهم: أنزلت في قوم قالوا على عهد النبيّ ﷺ: إنا نحبّ ربنا، فأمر الله جلّ وعزّ نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم: «إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيما تَقُولُونَ فاتَّبِعُونِي، فَإِنَّ ذٰلِكَ عَلامَةُ صِدْقِكُمْ فِيما قُلْتُمْ مِنْ ذٰلِكَ».

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن عبد الله، عن بكر بن الأسود، قال: سمعت الحسن يقول: قال قوم على عهد النبيّ ﷺ: يا محمد إنا نحبّ ربنا! فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهَ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ فجعل اتباع نبيه محمد ﷺ علماً لحبه، وعذاب من خالفه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عليّ بن الهيثم، قال: ثنا عبد الوهاب، عن أبي عبيدة، قال: سمعت الحسن، يقول: قال أقوام على عهد رسول الله ﷺ: يا محمد إنا لنحبّ ربنا! فأنزل الله جلّ وعزّ بذلك قرآناً: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ فجعل الله اتباع نبيه محمد ﷺ علماً لحبه، وعذاب من خالفه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهَ**﴾ قال: كان قوم يزعمون أنهم يحبون الله، يقولون: إنا نحبُّ ربنا، فأمرهم الله أن يتبعوا محمداً ﷺ، وجعل اتباع محمد علماً لحبه.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**﴾... الآية، قال: إن أقواماً كانوا على عهد رسول الله ﷺ يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل، فقال: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**﴾... الآية. كان اتباع محمد ﷺ تصديقاً لقولهم.

وقال آخرون: بل هذا أمر من الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من

النصارى: إن كان الذي يقولونه في عيسى من عظيم القول إنما يقولونه تعظيماً لله وحباً له، فاتبعوا محمداً ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي إن كان هذا من قولكم ـ يعني في عيسى ـ حباً لله وتعظيماً له ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي ما مضى من كفركم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية، قول محمد بن جعفر بن الزبير، لأنه لم يجز لغير وفد نجران في هذه السورة، ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادّعوا أنهم يحبون الله، ولا أنهم يعظمونه، فيكون قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ جواباً لقولهم على ما قاله الحسن.

وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه، فلا خبر به عندنا يصحّ، فيجوز أن يقال: إن ذلك كذلك، وإن لم يكن في السورة دلالة على أنه كما قال إلا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ وفد نجران من النصارى، فيكون ذلك من قوله نظير إخبارنا، فإذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا، ولا في الآية دليل على ما وصفنا، فأولى الأمور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة، وذلك هو ما وصفنا، لأن ما قبل هذه الآية من مبتدإ هذه السورة وما بعدها خبر عنهم، واحتجاج من الله لنبيه محمد ﷺ، ودليل على بطول قولهم في المسيح، فالواجب أن تكون هي أيضاً مصروفة المعنى إلى نحو ما قبلها، ومعنى ما بعدها.

فإذ كان الأمر على ما وصفنا، فتأويل الآية: قل يا محمد للوفد من نصارى نجران: إن كنتم تزعمون أنك تحبون الله، وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون، حباً منكم ربكم، فحققوا قولكم الذي تقولونه، إن كنتم صادقين باتباعكم إياي، فإنكم تعلمون أني لله رسول إليكم، كما كان عيسى رسولاً إلى من أرسل إليه، فإنه إن اتبعتموني وصدقتموني على ما أتيتكم به من عند الله، يغفر لكم ذنوبكم، فيصفح لكم عن العقوبة عليها ويعفو لكم عما مضى منها، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين رحيم بهم وبغيرهم من خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصارى نجران: اطيعوا الله والرسول محمداً، فإنكم قد علمتم يقيناً أنه رسولي إلى خلقي ابتعثته بالحق تجدونه مكتوباً عندكم في

الإنجيل، ﴿فإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك، وأعرضوا عنه، فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق، وأنكره بعد علمه، وأنهم منهم بجحودهم نبوّتك وإنكارهم الحقّ الذي أنت عليه بعد علمهم بصحة أمرك وحقيقة نبوّتك. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿قُلْ أطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فأنتم تعرفونه. يعني الوفد من نصارى نجران. وتجدونه في كتابكم. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ على كفرهم، ﴿فإِنَّ اللَّهَ لا يحِبُّ الكَافِرِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: إن الله اجتبى آدم ونوحاً، واختارهما لدينهما، ﴿وآلَ إِبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ﴾ لدينهم الذي كانوا عليه، لأنهم كانوا أهل الإسلام. فأخبر الله عزّ وجلّ أنه اختار دين من ذكرنا على سائر الأديان التي خالفته. وإنما عنى بآل إبراهيم وآل عمران المؤمنين.

وقد دللنا على أن آل الرجل أتباعه وقومه ومن هو على دينه. وبالذي قلنا في ذلك روي القول عن ابن عباس أنه كان يقوله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ على العَالَمِينَ﴾ قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أوْلى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ للَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم المؤمنون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ على العَالَمِينَ﴾ رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ على العَالَمِينَ﴾ قال: ذكر الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين، فكان محمد من آل إبراهيم.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال: فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لربهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾

يعني بذلك: أن الله اصطفى آل إبراهيم وآل عمران﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ فالذرّية منصوبة على القطع من آل إبراهيم وآل عمران: لأن «الذرّية» نكرة، و «آل عمران» معرفة، ولو قيل نصبت على تكرير الاصطفاء لكان صواباً، لأن المعنى: اصطفى ذرّية بعضها من بعض. وإنما جعل «بعضهم من بعض» في الموالاة في الدين والموازرة على الإسلام والحق، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ يعني أن دينهم واحد وطريقتهم واحدة، فكذلك قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ إنما معناه: ذرّية دين بعضها دين بعض، وكلمتهم واحدة، وملتهم واحدة في توحيد الله وطاعته. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ﴾ يقول: في النية والعمل والإخلاص والتوحيد له.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني بذلك: والله ذو سمع لقول امرأة عمران، وذو علم بما تضمره في نفسها، إذ نذرت له ما في بطنها محرّراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ فـ «إذ» من صلة «سميع». وأما امرأة عمران. فهي أمّ مريم ابنة عمران أم عيسى ابن مريم صلوات الله عليه، وكان اسمها فيما ذكر لنا حنة ابنة فاقوذ بن قتيل. كذلك:

حدثنا به محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق في نسبه. وقال غير ابن حميد: ابنة فاقود ـ بالدال ـ ابن قتيل. فأما زوجها فإنه عمران بن ياشهم بن آمنون بن منبن حزقيا بن أحريق بن يويم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن اشابرابان بن

(١) كذا في النسخ، ولعل المعنى سقط من قلم الناسخ، كما يدل عليه التفريع بعده.

(٢) في إنجيل متى (١/١، ١٦) خلاف في رسم بعض هذه الأسماء وقد تركناها كما في أصل المؤلف، مكتفين بهذه الإشارة لمن أراد زيادة التحقيق.

رحبعم بن سليمان بن داود بن إيشا. كذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، في نسبه.

وأما قوله: ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ فإن معناه: إني جعلت لك يا ربّ نذراً أن لك الذي في بطني محرّراً لعبادتك، يعني بذلك: حبسته على خدمتك وخدمة قدسك في الكنيسة، عتيقة من خدمة كل شيء سواك، مفرغة لك خاصة. ونصب «محرّراً» على الحال من «ما» التي بمعنى «الذي». ﴿**فَتَقَبَّلْ مِنِّي**﴾ أي فتقبل مني ما نذرت لك يا ربّ. ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ يعني: إنك أنت يا ربّ السميع لما أقول وأدعو، العليم لما أنوي في نفسي وأريد، لا يخفى عليك سرّ أمري وعلانيته. وكان سبب نذر حنة ابنة فاقوذ امرأة عمران الذي ذكره الله في هذه الآية فيما بلغنا، ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: تزوّج زكريا وعمران أختين، فكانت أمّ يحيى عند زكريا، وكانت أمّ مريم عند عمران، فهلك عمران وأمّ مريم حامل بمريم، فهي جنين في بطنها. قال: وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنّت، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان. فبينا هي في ظلّ شجرة نظرت إلى طائر يطعم فرخاً له، فتحرّكت نفسها للولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، فحملت بمريم وهلك عمران. فلما عرفت أن في بطنها جنيناً، جعلته لله نذيرة؛ والنذيرة أن تعبُده لله، فتجعله حبساً في الكنيسة، لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: ثم ذكر امرأة عمران، وقولها: ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ أي نذرته، تقول: جعلتُه عتيقاً لعبادة الله لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا. ﴿**فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾.

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطُفاوي، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا النضر بن عربي، عن مجاهد في قوله: ﴿**مُحَرَّراً**﴾ قال: خادماً للبيعة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن النضر بن عربي، عن مجاهد، قال: خادماً للكنيسة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا إسماعيل، عن الشعبي في قوله: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: فرّغته للعبادة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي في قوله: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: جعلته في الكنيسة، وفرّغته للعبادة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن إسماعيل، عن الشعبي، نحوه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: للكنيسة يخدمها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: خالصاً لا يخالطه شيء من أمر الدنيا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: للبيعة والكنيسة.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: محرّراً للعبادة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾... الآية. كانت امرأة عمران حرّرت لله ما في بطنها، وكانوا إنما يحررون الذكور، وكان المحرر إذا حرّر جعل في الكنيسة لا يبرحها، يقوم عليها ويكنسها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: نذرت ولدها للكنيسة.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾ قال: وذلك أن امرأة عمران حملت، فظنت أن ما في بطنها غلام، فوهبته لله لا يعمل في الدنيا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: كانت امرأة عمران حرّرت لله ما في بطنها. قال: وكانوا إنما يحرّرون الذكور، فكان المحرّر إذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها، يقوم عليها ويكنسها.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك في قوله: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**﴾ قال: جعلت ولدها لله وللذين يدرسون الكتاب ويتعلمونه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة وأبي بكر، عن عكرمة: أن امرأة عمران كانت عجوزاً عاقراً تسمى حنة، وكانت لا تلد. فجعلت تغبط النساء لأولادهن، فقالت: اللهمّ إن علي نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس، فيكون من سَدَنته وخدامه. قال: وقوله: **﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾** إنها للحرّة ابنة الحرائر محرّراً للكنيسة يخدمها.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾**... الآية كلها، قال: نذرت ما في بطنها ثم سَيَّبَتْها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿فَلَمَّا وَضَعَتْها﴾** فلما وضعت حنة النذيرة، ولذلك أنث. ولو كانت الهاء عائدة على «ما» التي في قوله: **﴿إني نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾** لكان الكلام: فلما وضعته قالت: ربِّ إني وضعته أنثى. ومعنى قوله: **﴿وَضَعْتُها﴾** ولدتها، يقال منه: وضعت المرأة تضع وضعاً. **﴿قَالَتْ رَب إني وَضَعْتُها أُنْثَى﴾** أي ولدت النذيرة أنثى؛ **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾**.

واختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء: **﴿وَضَعَتْ﴾** خبراً من الله عزّ وجلّ عن نفسه أنه العالم بما وضعت من غير قيلها: **﴿رَبِّ إني وَضَعْتُها أُنْثَى﴾**. وقرأ ذلك بعض المتقدمين: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ» على وجه الخبر بذلك عن أمّ مريم أنها هي القائلة، والله أعلم بما ولدتُ مني.

وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها، وذلك قراءة من قرأ: **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾** ولا يعترض بالشاذ عنها عليها.

فتأويل الكلام إذاً: والله أعلم من كل خلقه بما وضعت. ثم رجع جلّ ذكره إلى الخبر عن قولها، وأنها قالت اعتذاراً إلى ربها مما كانت نذرت في حملها فحرّرته لخدمة ربها: **﴿وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى﴾** لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدْس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس **﴿وإني سَمَّيتُها مَرْيَم﴾**. كما:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبِّ إنّي وَضَعْتُها أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى﴾** أي لما

جعلتها له محرّرة نذيرة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق: ﴿**وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى**﴾ لأن الذكر هو أقوى على ذلك من الأنثى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى**﴾ كانت المرأة لا تستطيع أن يصنع بها ذلك، يعني أن تحرّر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والأذى، فعند ذلك قالت: ﴿**وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿**قالتْ رَبّ إنّي وَضَعْتُها أُنْثَى**﴾ وإنما كانوا يحررون الغلمان، قال: ﴿**وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى وَإِنّي سَمَّيْتُها مَرْيَم**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها، وكانت على رجاء أن يهب لها غلاماً، لأن المرأة لا تستطيع ذلك. يعني القيام على الكنيسة لا تبرحها وتكنسها. لما يصيبها من الأذى.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أن امرأة عمران ظنت أن ما في بطنها غلام، فوهبته لله، فلما وضعت إذا هي جارية، فقالت تعتذر إلى الله: ﴿**رَبّ إنّي وَضَعْتُها أُنْثَى... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى**﴾ تقول: إنما يحرّر الغلمان. يقول الله: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**﴾، فقالت: ﴿**إِنّي سَمَيْتُهَا مَرْيَم**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن القاسم بن أبي بزة، أنه أخبره عن عكرمة، وأبي بكر عن عكرمة: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْها قَالَتْ رَبّ إِنّي وَضَعْتُها أُنْثَى... وَلَيسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى**﴾ يعني في المحيض، ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال؛ أمها تقول ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإنّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرّيَّتَها مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

تعني بقولها: ﴿**وَإِنّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرّيَّتَها**﴾ وإني أجعل معاذها ومعاذ ذرّيتها من الشيطان الرجيم بك. وأصل المعاذ: الموئل والملجأ والمعقل. فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذرّيتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلاَّ وَالشَّيْطَانُ يَنَالُ مِنْهُ تِلْكَ الطَّعْنَةَ، وَبِهَا يَسْتَهِلُّ الصَّبِيُّ؛ إلاَّ مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ فَإِنَّها لَمَّا

وَضَعَتْها قَالَتْ: ﴿رَبِّ إِنّي أُعِيذُها وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فَضُرِبَ دُونَها حِجابٌ، فَطَعَنَ فِيهِ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُ طَعْنَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَبِها يَسْتَهِلُّ الصَّبِيُّ؛ إِلاَّ ما كَانَ مِنْ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ وَوَلَدِها، فَإِنَّ أُمَّها قَالَتْ حِينَ وَضَعَتْه: ﴿إِنّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فَضُرِبَ دُونَهُما حِجابٌ فَطَعَنَ فِي الحِجابِ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عمرو، عن شعيب بن خالد، عن الزبير، عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «ما مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ يُولَدُ إِلاَّ قَدْ مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً بِمَسِّهِ إِيَّاهُ؛ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِها». فقال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿إِنّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشمعلّ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ مِنْ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيطَانُ بأُصْبُعِهِ، إِلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَهَا».

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا يونس سليمان مولى أبي هريرة، حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ يَوْمَ وَلَدتْهُ أُمُّهُ، إِلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَها».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمران أن أبا يونس حدثه، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، مثله.

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً مِنْ مَسَّةِ الشَّيْطَانِ إِلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَها» ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيطَانِ الرجِيمِ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا قيس، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ عَصْرَةً أَوْ

عَصْرَتَيْنِ؛ إلاَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَمَرْيَمَ». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**إنّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ما ولد مولود إلا وقد استهلّ، غير المسيح ابن مريم لم يسلط عليه الشيطان ولم يَنْهَزْه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا المنذر بن النعمان الأفطس، أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما ولد عيسى، أتت الشياطين إبليس، فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها، فقال: هذا في حادث حدث! وقال: مكانكم! فطار حتى جاء خافقي الأرض، فلم يجد شيئاً، ثم جاء البحار فلم يجد شيئاً، ثم طار أيضاً فوجد عيسى قد ولد عند مذود حمار، وإذا الملائكة قد حفت حوله؛ فرجع إليهم فقال: إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا أنا بحضرتها إلا هذه! فأيِسُوا أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن ائتوا بني آدم من قبل الخفة والعجلة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَإنّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «كُلُّ بَنِي آدَمَ طَعَنَ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ إلاَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، جُعِلَ بَيْنَهُما وَبَيْنَهُ حجابٌ، فأصَابَتِ الطَّعْنَةُ الحِجابَ وَلَمْ يَنْفُذْ إلَيْهِمَا شَيْءٌ» وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها سائر بني آدم. وذكر لنا أن عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البرّ مما أعطاه الله تعالى من اليقين والإخلاص.

حدثني المثنى، قال: ثني إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**وَإنّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ قال: إن نبيّ الله ﷺ قال: «كُلُّ آدَمِيٍّ طَعَنَ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ غَيْرَ عِيسَى وأُمِّهِ، كانا لا يُصِيبانِ الذُّنُوبَ كَما يُصَيبُها بَنُو آدَمَ». قال: وقال عيسى ﷺ فيما يثني على ربه: «وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن له علينا سبيل».

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا شعيب بن الليث، قال: ثنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ حِينَ تَلِدُهُ أُمُّهُ، إلاَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجابِ».

حدثنا الربيع، قال: ثنا شعيب، قال: أخبرنا الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال: قال أبو هريرة: أرأيت هذه الصرخة التي يصرخها الصبيّ حين تلده أمه؟ فإنها منها.

حدثني أحمد بن الفرج، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا الزبيدي، عن الزهري، عن

أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إلاَّ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ يَسْتَهِلُّ صَارِخاً».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: تقبل مريم من أمها حنة بتحريرها إياها للكنيسة وخدمتها، وخدمة ربها بقبول حسن، والقبول: مصدر من قبلها ربها. فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل، ولو كان على لفظه لكان: فتقبلها ربها تقبلاً حسناً، وقد تفعل العرب ذلك كثيراً أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة، وذلك كقولهم: تكلم فلان كلاماً، ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل: تكلم فلان تكلماً، ومنه قوله: ﴿وأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً﴾ ولم يقل: إنباتاً حسناً. وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: لم نسمع العرب تضمّ القاف في قبول، وكان القياس الضمّ لأنه مصدر مثل الدخول والخروج، قال: ولم أسمع بحرف آخر في كلام العرب يشبهه.

حدثت بذلك عن أبي عبيد، قال: أخبرني اليزيدي عن أبي عمرو.

وأما قوله: ﴿وأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً﴾ فإن معناه: وأنبتها ربها في غذائه ورزقه نباتاً حسناً حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبولٍ حَسَنٍ﴾ قال: تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة وآجرها فيها﴿وَأَنْبَتَهَا﴾، قال: نبتت في غذاء الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة: «وكَفَلَها» مخففة الفاء بمعنى: ضمها زكريا إليه، اعتباراً بقول الله عزّ وجلّ: ﴿يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَم﴾. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾ بمعنى: وكفّلها الله زكريا.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ: ﴿وكَفَّلها﴾ مشددة الفاء بمعنى: وكفّلها الله زكريا، بمعنى: وضمها الله إليه؛ لأن زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمها إليه بالقرعة التي أخرجها الله له، والآية التي أظهرها لخصومه فيها، فجعله بها أولى منهم، إذ قرع فيها من شاحّه فيها. وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه في مريم إذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده،

تساهموا بقداحهم فرموا بها في نهر الأردن، فقال بعض أهل العلم: رتَب قِدْحُ زكريا، فقام فلم يجر به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء، فجعل الله ذلك لزكريا أنه أحقّ المتنازعين فيها. وقال آخرون: بل صعد قدح زكريا في النهر، وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت، فكان ذلك له علماً من الله في أنه أولى القوم بها. وأيّ الأمرين كان من ذلك فلا شكّ أن ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها، وإذا كان ذلك كذلك، فإنما ضمها زكريا إلى نفسه بضم الله إياها إليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاحهم فيها واختصامهم في أولاهم بها.

وإذا كان ذلك كذلك كان بيّناً أن أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد «كفلّها». وأما ما اعتلّ به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ وأن موجب صحة اختيارهم التخفيف في قوله: ﴿وَكَفَلَهَا﴾ فحجة دالة على ضعف احتيال المحتجّ بها. وذلك أنه غير ممتنع ذو عقل من أن يقول قائل: كفل فلان فلاناً فكفله فلان، فكذلك القول في ذلك: ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم، بتكفيل الله إياه بقضائه الذي يقضي بينهم فيها عند إلقائهم الأقلام.

وكذلك اختلفت القراء في قراءة «زكريا»، فقرأته عامة قراء المدينة بالمدّ، وقرأته عامة قراء الكوفة بالقصر. وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في قراءة المسلمين، وليس في القراءة بإحداهما خلاف لمعنى القراءة الأخرى، فبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب.

غير أن الصواب عندنا إذا مدّ «زكريا»، أن ينصب بغير تنوين، لأنه اسم من أسماء العجم لا يُجْرَى، ولأن قراءتنا في «كفّلها» بالتشديد وتثقيل الفاء، فزكرياء منصوب بالفعل الواقع عليه. وفي زكريا لغة ثالثة لا تجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وهو «زكريّ» بحذف المدّة والياء الساكنة، تشبهه العرب بالمنسوب من الأسماء فتنوّنه، وتجريه في أنواع الإعراب مجاري ياء النسبة.

فتأويل الكلام: وضمها الله إلى زكريا، من قول الشاعر:

فَهُوَ لِضُلاَّلِ الهَوَامِ كافِلُ

يراد أنه لما ضلّ من متفرّق النعم ومنتشره، ضامٌّ إلى نفسه وجامعٌ. وقد رُوِيَ:

فَهُوَ لِضُلاَّلِ الهَوَافِي كافِلُ

---

(١) رتب: انتصب وثبت.

(٢) الهوام: جمع هامية، همت الماشية: إذا ندت للرعي، وهوامي الإبل: ضوالها التي لا راعي معها. حذفت منه الياء تخفيفاً وبمعناها الهوافي في الرواية الأخرى، جمع هافية. ولم نعثر على بقية البيت ولا قائله.

بمعنى أنه لما ندّ فهرب من النعم ضامٌّ، من قولهم: هفا الظليم: إذا أسرع الطيران، يقال منه للرجل: ما لك تكفل كل ضالة؟ يعني به: تضمها إليك وتأخذها.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوي، قال: ثنا محمد بن ربيعة، عن النضر بن عربي، عن عكرمة في قوله: ﴿**إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَـمَ**﴾ قال: ألقوا أقلامهم فجرت بها الجِرْيَة إلا قلم زكريا صاعداً، فكفلها زكريا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿**وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾ قال: ضمها إليه. قال: ألقوا أقلامهم، يقول عصيهم. قال: فألقوها تلقاء جرية الماء، فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء فقرعهم.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً**﴾ فانطلقت بها أمها في خِرَقها. يعني أمّ مريم. بمريم حين ولدتها إلى المحراب. وقال بعضهم: انطلقت حين بلغت إلى المحراب. وكان الذين يكتبون التوراة إذا جاءوا إليهم بإنسان يجربونه اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه، وكان زكريا أفضلهم يومئذٍ وكان بينهم، وكانت خالة مريم تحته. فلما أتوا بها اقترعوا عليها، وقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها تحتي خالتها، فأبوا. فخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، أيهم يقوم قلمه فيكفلها. فجرت الأقلام وقام قلم زكريا على قُرْنَته كأنه في طين، فأخذ الجارية؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا**﴾ فجعلها زكريا معه في بيته، وهو المحراب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾ يقول: ضمها إليه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾ قال: سهمهم[1] بقلمه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة،

---

(١) القرنة، بضم القاف: الطرف الشاخص من كل شيء، يقال: قرنة الجبل والسهل والرمح «**اللسان**».

(٢) أي غلبهم وفلج عليهم، يقال: ساهمه على الشيء فهمه: أي غلبه عليه.

قال: كانت مريم ابنة سيدهم وإمامهم. قال: فتشاحّ عليها أحبارهم، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها. قال قتادة: وكان زكريا زوج أختها فكفلها، وكانت عنده وحضنها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره، عن عكرمة، وأبي بكر عن عكرمة، قال: ثم خرجتْ بها ـ يعني أمّ مريم بمريم ـ في خِرَقها تحملها إلى بيت الكاهن بن هارون أخي موسى بن عمران، قال: وهم يومئذٍ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فإني حررتها وهي ابنتي، ولا يدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردّها إلى بيتي! فقالوا: هذه ابنة إمامنا. وكان عمران يؤمهم في الصلاة ـ وصاحب قربانهم. فقال زكريا: ادفعوها إليّ فإن خالتها عندي! قالوا: لا تطيب أنفسنا هي ابنة إمامنا. فذلك حين اقترعوا فاقترعوا بأقلامهم عليها، بالأقلام التي يكتبون بها التوراة، فقرعهم زكريا فكفلها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: جعلها زكريا معه في محرابه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. قال حجاج: قال ابن جريج: الكاهن في كلامهم: العالم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بعد أبيها وأمها، يذكرها باليتم. ثم قصّ خبرها وخبر زكريا.

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال: كانت عنده.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ قال: جعلها زكريا معه في محرابه.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وأَنْبَتَهَا نَباتاً حَسَناً﴾ وتقارعها القوم، فقرع زكريا، فكفلها زكريا.

وقال آخرون: بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم كفلها بغير اقتراع ولا استهام عليها ولا منازعة أحد إياه فيها. وإنما كفلها لأن أمها ماتت بعد موت أبيها وهي طفلة، وعند زكريا خالتها إيشاع ابنة فاقوذ؛ وقد قيل: إن اسم أم يحيى خالة عيسى: أشيع.

حدثنا بذلك القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجبئي أن اسم أمّ يحيى: أشيع.

فضمها إلى خالتها أمّ يحيى، فكانت إليهم ومعهم، حتى إذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذر

أمها التي نذرت فيها. قالوا: والاقتراع فيها بالأقلام، إنما كان بعد ذلك بمدة طويلة لشدة إصابتهم ضعف زكريا عن حمل مؤنتها، فتدافعوا حمل مؤنتها، لا رغبة منهم، ولا تنافساً عليها وعلى احتمال مؤنتها. وسنذكر قصتها على قول من قال ذلك إذا بلغنا إليها إن شاء الله تعالى.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق.

فعلى هذا التأويل تصحّ قراءة من قرأ: «وَكَفَلَها زَكَرِيًّا» بتخفيف الفاء لو صحّ التأويل. غير أن القول متظاهر من أهل التأويل بالقول الأول إن استهام القوم فيها كان قبل كفالة زكريا إياها، وأن زكريا إنما كفلها بإخراج سهمه منها فالجاً على سهام خصومه فيها، فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أن زكريا كان كلما دخل عليها المحراب بعد إدخاله إياها المحراب، وجد عندها رزقاً من الله لغذائها. فقيل: إن ذلك الرزق الذي كان يجده زكريا عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الحسن بن عطية، عن شريك، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ قال: وجد عندها عنباً في مِكْتَلٍ في غير حينه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد في قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ قال: العنب في غير حينه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم في قوله: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ قال: فاكهة في غير حينها.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو إسحاق الكوفي، عن الضحاك: أنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، يعني في قوله: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو، قال: أخبرنا هشيم، عن بعض أشياخه، عن الضحاك، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: أخبرنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، مثله.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا من سمع الحكم بن عتيبة يحدّث، عن مجاهد، قال: كان يجد عندها العنب في غير حينه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزقاً﴾** قال: عنباً وجده زكريا عند مريم في غير زمانه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، قال: ثنا النضر بن عربي، عن مجاهد في قوله: **﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزقاً﴾** قال: فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: **﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَها رِزقاً﴾** قال: كنا نحدّث أنها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: **﴿وَجَدَ عِندَها رِزقاً﴾** قال: وجد عندها ثمرة في غير زمانها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: جعل زكريا دونها عليها سبعة أبواب، فكان يدخلها عليها، فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: جعلها زكريا معه في بيت وهو المحراب، فكان يدخل عليها في الشتاء، فيجد عندها فاكهة الصيف، ويدخل في الصيف فيجد عندها فاكهة الشتاء.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزقاً﴾** قال: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: **﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِندَها رِزقاً﴾** قال: وجد عندها ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني بعض أهل العلم: أن

زكريا كان يجد عندها ثمرة الشتاء في الصيف، وثمرة الصيف في الشتاء.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن، قال: كان زكريا إذا دخل عليها - يعني على مريم - المحراب وجد عندها رزقاً من السماء من الله، ليس من عند الناس. وقالوا: لو أن زكريا كان يعلم أن ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن زكريا كان إذا دخل إليها المحراب وجد عندها من الرزق فضلاً عما كان يأتيها به الذي كان يمونها في تلك الأيام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: كفلها بعد هلاك أمها، فضمها إلى خالتها أم يحيى، حتى إذا بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها الذي نذرت فيها، فجعلت تنبت وتزيد، قال: ثم أصابت بني إسرائيل أزمة، وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها، فخرج على بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل أتعلمون، والله لقد ضعفت عن حمل ابنة عمران! فقالوا: ونحن لقد جهدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم. فتدافعوها بينهم، وهم لا يرون لهم من حملها بدًا. حتى تقارعوا بالأقلام، فخرج السهم بحملها على رجل من بني إسرائيل نجار يقال له جريج، قال: فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه، فكانت تقول له: يا جريج أحسن بالله الظنّ، فإن الله سيرزقنا! فجعل جريج يرزق بمكانها، فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها، فإذا أدخلها عليها وهي في الكنيسة أنماه الله وكثره، فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق وليس بقدر ما يأتيها به جريج، فيقول: يا مريم أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

وأما المحراب: فهو مقدم كل مجلس ومصلى، وهو سيد المجالس وأشرفها وأكرمها، وكذلك هو من المساجد، ومنه قول عديّ بن زيد:

كَدُمَى العاجِ في المَحارِيب أو كالـ ... بَيْضِ في الروضِ زهره مُسْتنيرُ

والمحاريب جمع محراب، وقد يجمع على محارب.

---

(١) عدي بن زيد التميمي كان نصرانياً عباديا كعباد الحيرة. والدمي: جمع دمية، وهي التمثال من العاج أو الرخام يضعه النصارى في بيوت العبادة. والمحراب كما في «**لسان العرب**»: صدر البيت، وأكرم موضع فيه. وهو أيضاً الغرفة يرتقى إليها. وعند العمة: مقام الإمام في المسجد. والقبلة، والمساجد التي يجتمع فيها الناس للصلاة.

شبه نساء حساناً مشرقات الوجوه بتماثيل من العاج في بيوت العبادة عندهم. أو بالبيض تضعه النعامة في روضة مزهرة ليكون أبعد له من الدنس.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: قال زكريا يا مريم: أنى لك هذا؟ من أيّ وجه لك هذا الذي أرى عندك من الرزق، قالت مريم مجيبة له: هو من عند الله، تعني أن الله هو الذي رزقها ذلك فساقه إليها وأعطاها، وإنما كان زكريا يقول ذلك لها لأنه كان فيما ذكر لنا يغلق عليها سبعة أبواب، ويخرج ثم يدخل عليها، فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فكان يعجب مما يرى من ذلك، ويقول لها تعجباً مما يرى: أنى لك هذا؟ فتقول: من عند الله.

حدثني بذلك المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني بعض أهل العلم، فذكر نحوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ قال: فإنه وجد عندها الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد، فكان زكريا يقول: يا مريم أنى لك هذا؟

وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ فخبر من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقه بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده، لأنه جل ثناؤه لا ينقص سوقه ذلك إليه، كذلك خزائنه، ولا يزيد إعطاؤه إياه، ومحاسبته عليه في ملكه، وفيما لديه شيئاً، ولا يعزب عنه علم ما يرزقه، وإنما يحاسب من يعطي ما يعطيه من يخشى النقصان من ملكه، بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ومن كان جاهلاً بما يعطى على غير حساب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

أما قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ فمعناه: عند ذلك، أي عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذي رزقها، وفضله الذي آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين في ذلك لها، ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التي لا تكون في حين رؤيته إياها عندها في الأرض؛ طمع في الولد مع كبر سنه من المرأة العاقر، فرجا أن يرزقه الله منها الولد مع الحال التي هما بها، كما رزق مريم على تخليها من الناس ما رزقها، من ثمرة الصيف في الشتاء، وثمرة الشتاء في الصيف، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين العادات في الأرض، بل المعروف في الناس غير ذلك، كما أن ولادة العاقر غير الأمر الجارية به العادات في الناس، فرغب إلى الله جل

ثناؤه في الولد، وسأله ذريّة طيبة. وذلك أن أهل بيت زكريا فيما ذكر لنا، كانوا قد انقرضوا في ذلك الوقت. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: فلما رأى زكريا من حالها ذلك يعني فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، قال: إن ربّاً أعطاها هذا في غير حينه، لقادر على أن يرزقني ذرّية طيبة. ورغب في الولد، فقام فصلى، ثم دعا ربه سرًّا، فقال: **﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرأسُ شَيْباً وَلَمْ أكُن بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًا وَإنِّي خِفْتُ المَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًا﴾**. وقوله: **﴿رَب هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةَ طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾**. وقال: **﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وأنْتَ خَيرُ الوَارِثِينَ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: فلما رأى ذلك زكريا ـ يعني فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف عند مريم ـ قال: إن الذي يأتي بهذا مريم في غير زمانه، قادر أن يرزقني ولداً! قال الله عزّ وجلّ: **﴿هُنالِكَ دَعا زَكَرِيًا رَبَّهُ﴾** قال: فذلك حين دعا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن عكرمة، قال: فدخل المحراب، وغلق الأبواب، وناجى ربه، فقال: **﴿رَبِّ إنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيباً﴾** إلى قوله: **﴿رَبِّ رَضِيًّا﴾** **﴿فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾**. . . الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني بعض أهل العلم، قال: فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسنّ، ولا ولد له، وقد انقرض أهل بيته، فقال: **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾** ثم شكا إلى ربه، فقال: **﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيباً﴾**. . . إلى: **﴿وَاجْعَلْهُ رَب رَضِيًا﴾** **﴿فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ﴾**. . . الآية.

وأما قوله: **﴿رَب هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً﴾** فإنه يعني بالذرية: النسل، وبالطيبة: المباركة. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿قال رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً﴾** يقول: مباركة.

وأما قوله: **﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾** فإنه يعني من عندك. وأما الذرية: فإنها جمع، وقد تكون في معنى الواحد، وهي في هذا الموضع الواحد؛ وذلك أن الله عزّ وجلّ قال في موضع آخر مخبراً عن

دعاء زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَدُنكَ وَلِيًّا﴾ ولم يقل «أولياء»، فدلّ على أنه سأل واحداً. وإنما أنث طيبة لتأنيث الذرية، كما قال الشاعر:

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وأَنْتَ خَلِيفَةٌ، ذَاكَ الكَمَالُ[(١)]

فقال: ولدته أخرى، فأنث، وهو ذكر لتأنيث لفظ الخليفة، كما قال الآخر:

كما يَزْدَرِي مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سَكَابِ إذا ما عَضَّ لَيسَ بأَدْرَدَا[(٢)]

فأنث الجبلية لتأنيث لفظ الحية، ثم رجع إلى المعنى فقال: إذا ما عضّ لأنه كان أراد حية ذكراً، وإنما يجوز هذا فيما لم يقع عليه فلان من الأسماء كالدابة والذرية والخليفة، فأما إذا سُمي رجل بشيء من ذلك، فكان في معنى فلان لم يجز تأنيث فعله ولا نعته.

وأما قوله: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فإن معناه: إن سامع الدعاء، غير أن سميع أمدح، وهو بمعنى ذو سمع له، وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه: إنك تسمع ما تدعى به.

فتأويل الآية: فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال: ربّ هب لي من عندك ولداً مباركاً، إنك ذو سَمَعٍ دعاءَ من دعاك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)﴾

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ على التأنيث بالتاء، يراد بها: جمع الملائكة، وكذلك تفعل العرب في جماعة الذكور إذا تقدمت أفعالها أنثت أفعالها ولاسيما الأسماء التي في ألفاظها التأنيث كقولهم: جاءت الطلحات.

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء، بمعنى: فناداه جبريل فذكروه للتأويل، كما قد

---

(١) البيت غير منسوب، وهو من شواهد الفراء، وذكره صاحب «اللسان»: (خلف) قال: الخليفة السلطان الأعظم، وقد يؤنث. وأنشد الفراء (البيت) قال: ولدته أخرى لتأنيث اسم الخليفة. والوجه أن يكون: ولده آخر.

(٢) في «اللسان»: (حيي) الحية تكون للذكر والأنثى، وإنما دخلته التاء لأنه واحد من جنس، مثل بطة ودجاجة. والازدراء: الاحتقار: وسكاب اسم فرس والأدرد: الذي ذهبت أسنانه، وهو من صفة حية لأنه أراد حية ذكراً ليس بأدرد.

ذكرنا آنفاً أنهم يؤنثون فعل الذكر للفظ، فكذلك يذكّرون فعل المؤنث أيضاً للفظ. واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يذكر أنها قراءة عبد الله بن مسعود، وهو ما:

حدثني به المثنى، قال: ثنا إسحاق بن الحجاج، قال: ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد أن قراءة ابن مسعود: «فناداه جبريل وهو قائم يصلي في المحراب».

وكذلك تأوّل قوله: ﴿**فَنَادَتْهُ الـمَلائِكَةُ**﴾ جماعة مِنْ أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**فَنَادَتْهُ الـمَلائِكَةُ**﴾ وهو جبريل. أو: قالت الملائكة، وهو جبريل. ﴿**أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى**﴾.

فإن قال قائل: وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل: ﴿**فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ**﴾ والملائكة جمع لا واحد؟ قيل: ذلك جائز في كلام العرب بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع، كما يقال في الكلام: خرج فلان على بغال البرد، وإنما ركب بغلاً واحداً، وركب السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، وكما يقال: ممن سمعت هذا الخبر؟ فيقال: من الناس، وإنما سمعه من رجل واحد؛ وقد قيل: إن منه قوله: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**﴾، والقائل كان فيما ذكر واحداً، وقوله: ﴿**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ**﴾، والناس بمعنى واحد، وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد.

وإنما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك أنهما قراءتان معروفتان، أعني التاء والياء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وذلك أنه لا اختلاف في معنى ذلك باختلاف القرائين، وهما جميعاً فصيحتان عند العرب، وذلك أن الملائكة إن كان مراداً بها جبريل كما روي عن عبد الله فإن التأنيث في فعلها فصيح في كلام العرب للفظها إن تقدمها الفعل، وجائز فيه التذكير لمعناها. وإن كان مراداً بها جمع الملائكة فجائز في فعلها التأنيث، وهو من قبلها للفظها، وذلك أن العرب إذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته، فقالت: قالت النساء، وجائز التذكير في فعلها بناء على الواحد إذا تقدم فعله، فيقال: قال الرجال.

وأما الصواب من القول في تأويله، فأن يقال: إن الله جلّ ثناؤه، أخبر أن الملائكة نادته، والظاهر من ذلك أنها جماعة من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد، فلن يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب، دون الأقلّ ما وجد إلى ذلك سبيل، ولم يضطرنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفيّ من الكلام والمعاني.

وبما قلنا في ذلك من التأويل قال جماعة من أهل العلم، منهم قتادة والربيع بن أنس وعكرمة ومجاهد وجماعة غيرهم. وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مضى.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ قائمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾.

وتأويل قوله ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾: فنادته الملائكة في حال قيامه مصلياً. فقوله: ﴿وَهُوَ قَائِمٌ﴾ خبر عن وقت نداء الملائكة زكريا؛ وقوله: ﴿يُصَلِّي﴾ في موضع نصب على الحال من القيام، وهو رفع بالياء. وأما المحراب: فقد بينا معناه، وأنه مقدم المسجد.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾، فقرأته عامّة القرّاء: ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الألف منْ «أن» بوقوع النداء عليها بمعنى فنادته الملائكة بذلك. وقرأه بعض قرّاء أهل الكوفة: «إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ» بكسر الألف بمعنى: قالت الملائكة: إن الله يبشرك، لأن النداء قول؛ وذكروا أنها في قراءة عبد الله: «فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب يا زكريا إن الله يبشرك»؛ قالوا: إذا بطل النداء أن يكون عاملاً في قوله: «يا زكريا»، فباطل أيضاً أن يكون عاملاً في «إن».

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بفتح أن بوقوع النداء عليه، بمعنى: فنادته الملائكة بذلك، وليست العلة التي اعتلّ بها القارئون بكسر إن، من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك، وذلك أن عبد الله إن كان قرأ ذلك كذلك، فإنما قرأها بزعمهم. وقد اعترض بـ «يا زكريا» بين «إن» وبين قوله: «فنادته»، وإذا اعترض به بينهما، فإن العرب تعمل حينئذ النداء في «أنّ»، وتبطله عنها. أما الإبطال، فإنه بطل عن العمل في المنادى قبله، فأسلكوا الذي بعده مسلكه في بطول عمله. وأما الإعمال، فلأن النداء فعل واقع كسائر الأفعال. وأما قراءتنا فليس نداء زكريا بـ «يا زكريا»، معترضاً به بين «أن» وبين قوله: «فنادته»، وإذا لم يكن ذلك بينهما، فالكلام الفصيح من كلام العرب إذ نصبت بقول: ناديت اسم المنادى، وأوقعوه عليه أن يوقعوه كذلك على «أنّ» بعده وإن كان جائزاً إبطال عمله، فقوله: «نادته»، قد وقع على مكنيّ زكريا؛ فكذلك الصواب أن يكون واقعاً على «أنّ» وعاملاً فيها، مع أن ذلك هو القراءة المستفيضة في قراءة أمصار الإسلام، ولا يعترض بالشاذ على الجماعة التي تجيء مجيء الحجة.

وما قوله: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ فإن القرّاء اختلفت في قراءته، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ بتشديد الشين وضمّ الياء على وجه تبشير الله زكريا بالولد، من قول الناس: بشّرت فلاناً البشرى بكذا وكذا، أي أتته بشارات البشرى بذلك.

(١) التي: خبر ليست العلة.

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة وغيرهم: «أنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ» بفتح الياء وضمّ الشين وتخفيفها، بمعنى: أن الله يسرّك بولد يهبه لك، من قول الشاعر:

بَشَرْتُ عِيالي إذْ رأيْتُ صَحِيفَةً ... أتَتْكَ مِنَ الحَجّاجِ يُتْلَى كِتابُها

وقد قيل: إن «بَشَرت» لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش، وأنهم يقولون: بَشَرت فلاناً بكذا فأنا أَبْشُره بَشراً، وهل أنت باشرٌ بكذا؟ وينشد لهم البيت في ذلك:

وإذَا رأيْتَ الباهِشِينَ إلى العُلا ... غُبْراً أكُفُّهُمْ بقاعٍ مُمْحِلِ
فأعِنْهُمُ وَابْشَرْ بِمَا بَشِرُوا بِهِ ... وَإذَا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ

فإذا صاروا إلى الأمر، فالكلام الصحيح من كلامهم بلا ألف، فيقال: أَبْشَرْ فلاناً بكذا، ولا يكادون يقولون: بشُره بكذا، ولا أبْشِرْه.

وقد رُوي عن حميد بن قيس أنه كان يقرأ: «يُبْشِرُكَ» بضم الياء وكسر الشين وتخفيفها. وقد:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن معاذ الكوفي، قال: من قرأ «يبشّرهم» مثقلة، فإنه من البشارة، ومن قرأ «يَبْشُرُهم» مخففة بنصب الياء، فإنه من السرور، يسرّهم.

والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين، بمعنى التبشير، لأن ذلك هي اللغة السائرة، والكلام المستفيض المعروف في الناس، مع أن جميع قرّاء الأمصار مجمعون في قراءة: ﴿فبم تبشّرون﴾ على التشديد. والصواب في سائر ما في القرآن من نظائره أن يكون مثله في التشديد وضم الياء.

وأما ما رُوي عن معاذ الكوفي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك، فلم نجد

(١) هذا البيت مما رواه الفراء عن بعض العرب في تفسيره «معاني القرآن» طبعة دار الكتب المصرية (ص ـ ٢١٢).
وفي «اللسان» بشر): بشرت الرجل أبشُر بشراً وبشوراً (من باب نصر): من البشرى. وكذلك الإبشار والتبشير. ثلاث لغات. يقال: بشرته بمولود، فأبشر إبشاراً، أي سر. وبشرت بكذا (بكسر الشين) أبشر: أي استبشرت به.

(٢) أورد البيتين الفراء في «معاني القرآن» وصاحب «اللسان» في (بشر) ونسبهما إلى عطية بن زيد شاعر اهلي وقال ابن بري: هو لعبد القيس بن خفاف البرجمي. واستشهد به على أن بشرت بكذا بالكسر أبشر: أي استبشرت به. ثم قال: ويروي ويسر بما يسروا به. وبهش إلى الشيء: نظر إليه فأعجبه واشتهاه فتناوله، وأسرع نحوه وفرح به.

أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح، فلا معنى لما حكي من ذلك عنه، وقد قال جرير بن عطية:

يـا بِـشْـرُ حُـقَّ لِـبِـشْـرِكَ الـتَّـبْـشِـيـرُ هَـلاَّ غَـضِـبْـتَ لَـنـا وأنْـتَ أمِـيـرُ

فقد علم أنه أراد بقوله «التبشير»: الجمال والنضارة والسرور، فقال «التبشير» ولم يقل «البشر»، فقد بين ذلك أن معنى التخفيف والتثقيل في ذلك واحد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ قال: بشرته الملائكة بذلك.

وأما قوله: ﴿بِيَحْيَى﴾ فإنه اسم أصله يَفْعَل، من قول القائل: حي فلان فهو يحيا، وذلك إذا عاش فيحيى «يَفْعَل» من قولهم «حيي». وقيل: إن الله جلّ ثناؤه سماه بذلك لأنه يتأوّل اسمه أحياه بالإيمان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ يقول: عبد أحياه الله بالإيمان.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ قال: إنّما سمي يحيى، لأن الله أحياه بالإيمان.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: إن الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابناً لك، ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ يعني بعيسى ابن مريم. ونصب قوله «مصدّقاً» على القطع من يحيى، لأن «مصدقاً» نعت له وهو نكرة، و «يحيى» غير نكرة.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاوي، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا النضر بن عربيّ، عن مجاهد قال: قالت امرأة زكريا لمريم: إني أجد الذي في بطني يتحرّك للذي في

---

(١) في «اللسان» (بشر): وقوله عز وجل: «إن الله يبشرك» وقرىء يبشرك (كينصرك) قال الفراء: كأن المشدد منه على بشارات البشراء، وكأن المخفف من وجه الإفراح والسرور. وهذا شيء كان المشيخة يقولون. قلت: هذا الذي أشار إليه المؤلف هنا، وشكك في صحته.

(٢) أي متعلق بالفعل الذي قبله، ومتمم لمعناه.

بطنك، قال: فوضعت امرأة زكريا يحيى، ومريم عيسى. ولذا قال: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال يحيى: مصدّق بعيسى.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن الرقاشي في قول الله: ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: مصدّقاً بعيسى ابن مريم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

٥٤٧٣ . **حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة في قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: مصدّقاً بعيسى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يقول: مصدّق بعيسى ابن مريم، وعلى سننه ومنهاجه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني عيسى ابن مريم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يقول: مصدّقاً بعيسى ابن مريم، يقول: على سننه ومنهاجه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: كان أوّل رجل صدّق عيسى وهو كلمة من الله وروح.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يصدّق بعيسى.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ فإن يحيى أوّل من صدّق بعيسى، وشهد أنه كلمة من الله، وكان يحيى ابن خالة عيسى، وكان أكبر من عيسى.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال عيسى ابن مريم: هو الكلمة من الله اسمه المسيح.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: أخبرني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: كان عيسى ويحيى ابني خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم: إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك، فذلك تصديقه بعيسى، سجوده في بطن أمه، وهو أوّل من صدّق بعيسى وكلمة عيسى، ويحيى أكبر من عيسى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: الكلمة التي صدّق بها عيسى.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لقيَتْ أمّ يحيى أمّ عيسى، وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى، فقالت امرأة زكريا: يا مريم استشعرت أني حبلى، قالت مريم: استشعرت أني أيضاً حبلى. قالت امرأة زكريا: فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك. فذلك قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: مصدّقاً بعيسى ابن مريم.

وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى قوله: ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ بكتاب من الله، من قول العرب: أنشدني فلان كلمة كذا، يراد به قصيدة كذا. جهلاً منه بتأويل الكلمة، واجتراءً على ترجمة القرآن برأيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسَيِّداً﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَسَيِّداً﴾: وشريفاً في العلم والعبادة، ونصب «السيد» عطفاً على قوله «مصدّقاً».

وتأويل الكلام: إن الله يبشرك بيحيى مصدّقاً بهذا وسيداً، والسيد: الفَيْعِل، من قول القائل: ساد يسود. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَسَيِّداً﴾: إي والله، لسيد في العبادة والحلم والعلم والورع.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مسلم، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة في قوله: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: السيد لا أعلمه إلا قال في العلم والعبادة.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة، قال: السيد: الحليم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: الحليم.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: السيد: التقيّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: السيد: الكريم على الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، قال: زعم الرقاشي أن السيد: الكريم على الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: السيد: الحليم التقيّ.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: يقول: تقياً حليماً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان في قوله: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: حليماً تقياً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد في قوله: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: السيد: الشريف.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن عبد الملك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: السيد: الفقيه العالم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: يقول: حليماً تقياً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن عكرمة: ﴿وَسَيِّداً﴾ قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

يعني بذلك: ممتنعاً من جماع النساء من قول القائل: حصرت من كذا أحصر: إذا امتنع منه؛ ومنه قولهم: حصر فلان في قراءته: إذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها، وكذلك حصر

العدوّ: حبسهم الناس ومنعهم إياهم التصرّف، ولذلك قيل للذي لا يُخرِج مع ندمائه شيئاً: حصور، كما قال الأخطل:

وَشارِبٍ مُرْبِحٍ بالكأسِ نادَمَني ... لا بالحَصُورِ ولا فِيها بِسَوَّارِ[١]

ويروى «بسَّار». ويقال أيضاً للذي لا يخرج سرّه ويكتله حصور، لأنه يمنع سرّه أن يظهر، كما قال جرير:

وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي الوُشاةُ فصادَفُوا ... حَصِراً بِسِرِّكِ يا أُمَيْمَ ضَنِينا[٢]

وأصل جميع ذلك واحد، وهو المنع والحبس.

وبمثل الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن خلف، قال: ثنا حماد بن شعيب، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله في قوله: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً﴾ قال: الحصور: الذي لا يأتي النساء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال ثني ابن العاص، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ، إلاَّ ما كانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيًّا»، قال: ثم دلى رسول الله ﷺ يده إلى الأرض، فأخذ عويداً صغيراً، ثم قال: «وَذَلِكَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ ما للرِّجالِ إلاَّ مِثْلَ هَذَا العودِ، وبذلك سماه الله سيداً وحصوراً».

حدثني يونس، قال: أخبرنا أنس بن عياض، عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يقول: ليس أحد إلا يلقى الله يوم القيامة ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا، كان حصوراً، معه مثل الهدبة.

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي، قال: ثنا عمر بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يحيى بن

---

(١) البيت في ديوان الأخطل طبعة بيروزت سنة ١٨٩١ (ص ـ ١١٦). والمربح: الذي يربح صاحبها، أ الذي ينحر لضيفانه الربح، وهو الفصيل. ويروى: مرتج. وهو الذي كأسه ملأى بالخمر، فيسكر ولا يتغير عن أخلاقه الحميدة. والحصور: الضيق البخيل مثل الحصير. والسوار: السيىء الخلق، الذي يساور عليها ويقاتل فيها. ويروى بسأر، وهو الذي يسئر في القدح، أي يترك فيه فضلة، وانظره في «اللسان»: حصر.

(٢) في «اللسان» (سقط): وتسقطه واستسقطه طلب سقطه وعالجه على أن يسقط، فيخطىء أو يكذب، أو يبوح بما عنده. قال جرير. . . . . . البيت. وفيه «حجنا بسرك» أي مولعا ضنينا به، (وفي «**الأساس**» و «**الصحاح**» و «**اللسان**» حصر) كما رواه المؤلف والحصر والحصور والحصير: الكتوم للسر، الحابس له، الضنين به.

سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: قال ابن العاص - إما عبد الله، وإما أبوه -: ما أحد يلقى الله إلا وهو ذو ذنب، إلا يحيى بن زكريا. قال: وقال سعيد بن المسيب: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً﴾ قال: الحصور: الذي لا يغشى النساء، ولم يكن ما معه إلا مثل هدبة الثوب.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن عبد الملك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿وَحَصُوراً﴾ قال: الحصور؛ الذي لا يشتهي النساء، ثم ضرب بيده إلا الأرض فأخذه نواة فقال: ما كان معه إلا مثل هذه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: الحصور: الذي لا يأتي النساء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن سعيد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد، مثله.

حدثني عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا النضر بن عربي، عن مجاهد: ﴿وَحَصُوراً﴾ قال: الذي لا يأتي النساء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الحصور: لا يقرب النساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، قال: زعم الرقاشي: الحصور: الذي لا يقرب النساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك: الحصور: الذي لا يولد له، وليس له ماء.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَحَصُوراً﴾ قال: هو الذي لا ماء له.

حدثنا بشر، قال: ثنا سويد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَحَصُوراً﴾ كنا نحدَّث أن الحصور الذي لا يقرب النساء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة في قوله: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً﴾ قال: الحصور: الذي لا يأتي النساء.

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الحصور: الذي لا ينزل الماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد: **﴿وَحَصُوراً﴾** قال: الحصور: الذي لا يأتي النساء.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَحَصُوراً﴾** قال: الحصور: الذي لا يريد النساء.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن: **﴿وَحَصُوراً﴾** قال: لا يقرب النساء.

وأما قوله: **﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصالِحِينَ﴾** فإنه يعني: رسولاً لربه إلى قومه، ينبئهم عنه بأمره ونهيه، وحلاله وحرامه، ويبلغهم عنه ما أرسله به إليهم. ويعني بقوله: **﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** من أنبيائه الصالحين. وقد دللنا فيما مضى على معنى النبوّة وما أصلها بشواهد ذلك، والأدلة الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾

يعني أن زكريا قال إذ نادته الملائكة: **﴿أن اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾**: **﴿أنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الكِبَرُ﴾** يعني: من بلغ من السنّ ما بلغت لم يولد له؛ **﴿وَامْرَأَتِي عاقِرٌ﴾** والعاقر من النساء: التي لا تلد، يقال منه: امرأة عاقر، ورجل عاقر، كما قال عامر بن الطفيل:

لَبِئْسَ الفَتَى أنْ كُنْتُ أعْوَرَ عَاقِراً جَبَاناً فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ

وأما الكِبر: فمصدر كَبِرَ فلان فهو يَكْبَرُ كبراً. وقيل: «بلغني الكبر»، وقد قال في موضع آخر: **﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ﴾** لأن ما بلغك فقد بلغته، وإنما معناه: قد كبرت، وهو كقول القائل: وقد بلغني الجهد بمعنى: أني في جهد.

---

(١) البيت في ديوان عامر بن الطفيل طبعة ليدن سنة ١٩١٣ والرواية فيه: «فبئس» في مكان «لبئس». وفي «اللسان» العاقر: التي لا تحمل، ورجل عاقر: لا يولد له. نساء عقر ورجال عقر، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة.

فإن قال قائل: وكيف قال زكريا وهو نبيّ الله: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عاقِرٌ﴾ وقد بشرته الملائكة بما بشرته به، عن أمر الله إياها به؟ أشك في صدقهم؟ فذلك ما لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان بالله، فكيف الأنبياء والمرسلون؟ أم كان ذلك منه استنكاراً لقدرة ربه؟ فذلك أعظم في البلية! قيل: كان ذلك منه ﷺ على غير ما ظننت، بل كان قيله ما قال من ذلك، كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: لما سمع النداء. يعني زكريا لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى. جاءه الشيطان فقال له: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس هو من الله، إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله أوحاه إليك، كما يوحي إليك في غيره من الأمر! فشكّ مكانه، وقال: ﴿أَنَّى يَكُونُ لي غُلامٌ﴾ ذَكَرٌ، يقول: ومن أين﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتي عاقِرٌ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر، عن عكرمة، قال: فأتاه الشيطان، فأراد أن يكدر عليه نعمة ربه، فقال: هل تدري من ناداك؟ قال: نعم، ناداني ملائكة ربي، قال: بل ذلك الشيطان، لو كان هذا من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك، فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً﴾.

فكان قوله ما قال من ذلك، ومراجعته ربه فيما راجع فيه بقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لي غُلامٌ﴾، للوسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان، حتى خيلت إليه أن النداء الذي سمعه كان نداء من غير الملائكة، فقال: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لي غُلامٌ﴾ مستثبتاً في أمره لتقرّر عنده بآية، يريه الله في ذلك أنه بشارة من الله على ألسن ملائكته، ولذلك قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً﴾. وقد يجوز أن يكون قيله ذلك مسألة منه ربه: من أيّ وجه يكون الولد الذي بشر به، أمن زوجته فهي عاقر، أم من غيرها من النساء؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذي قاله عكرمة والسديّ، ومن قال مثل قولهما.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفعَلُ ما يَشاءُ﴾.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ﴾ أي هو ما وصف به نفسه، أنه هين عليه أن يخلق ولداً من الكبير الذي قد يئس من الولد، ومن العاقر التي لا يرجى من مثلها الولادة، كما خلقك يا زكريا من قبلُ خلقَ الولد منك ولم تك شيئاً، لأنه الله الذي لا يتعذّر عليه خلق شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه، لأن قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يفْعَلُ ما يَشاءُ﴾ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه خبراً عن زكريا، قال زكريا: يا ربّ إن كان هذا النداء الذي نوديته، والصوت الذي سمعته صوت ملائكتك، وبشارة منك لي، فاجعل لي آية! يقول: علامة أن ذلك كذلك، ليزول عني ما قد وسوس إليّ الشيطان فألقاه في قلبي، من أن ذلك صوت غير الملائكة، وبشارة من عند غيرك. كما:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً**﴾ قال: قال ـ يعني زكريا ـ: يا ربيّ فإن كان هذا الصوت منك، فاجعل لي آية.

وقد دللنا فيما مضى على معنى الآية، وأنها العلامة، بما أغنى عن إعادته.

وقد اختلف أهل العربية في سبب ترك العرب همزها، ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة، فقال بعضهم: ترك همزها لأنها كانت أيّة، فثقل عليهم التشديد، فأبدلوه ألفاً لانفتاح ما قبل التشديد، كما قالوا: أيما فلان فأخزاه الله.

وقال آخرون منهم: بل هي فاعلة منقوصة. فسألوا، فقيل لهم، فما بال العرب تصغرها أُيَيَّة، ولم يقولوا أُوَيَّة؟ فقالوا: قيل ذلك كما قيل في فاطمة: هذه فطيمة، فقيل لهم: فإنهم يصغرون فاعلة على فُعَيلة إذا كان اسماً في معنى فلان وفلانة، فأما في غير ذلك، فليس من تصغيرهم فاعلة على فعيلة.

وقال آخرون: إنه فعلة، صيرت ياؤها الأولى ألفاً، كما فعل بحاجة وقامة، فقيل لهم: إنما تفعل العرب ذلك في أولاد الثلاثة، وقال من أنكر ذلك من قيلهم: لو كان كما قالوا لقيل في نواة: ناية، وفي حياة: حاية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿**قَالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً**﴾. فعاقبه الله فيما ذكر لنا بمسألته الآية، بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة، فجعل آيته على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة بيحيى أنه من عند الله آية من نفسه، جمع تعالى ذكره بها العلامة التي سألها ربه على ما يبين له حقيقة البشارة أنها من عند الله، وتمحيصاً له من هفوته، وخطأ قيله ومسألته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾ إنما عوقب بذلك لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه، فأخذ عليه بلسانه، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار، فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون: ﴿آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿أنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً﴾ قال: شافهته الملائكة، فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾ يقول: إلا إيماء، وكانت عقوبة عوقب بها، إذ سأل الآية مع مشافهة الملائكة إياه بما بشّرته به.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾ قال: ذكر لنا والله أعلم أنه عوقب لأن الملائكة شافهته مشافهة، فبشرته بيحيى، فسأل الآية بعد، فأخذ بلسانه.

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ذكر لنا والله أعلم أنه عوقب لأن الملائكة شافهته فبشرته بيحيى، قالت: ﴿إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾، فسأل بعد كلام الملائكة إياه الآية، فأخذ عليه لسانه، فجعل لا يقدر على الكلام إلا رمزاً، يقول: يومىء إيماء.

حدثني أبو عبيد الرصافي، قال: ثنا محمد بن حمير، قال: ثنا صفوان بن عمرو، عن جويبر بن نُفير في قوله: ﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾ قال: ربا لسانه في فيه حتى ملأه، ثم أطلقه الله بعد ثلاث.

وإنما اختارت القرّاء النصب في قوله: ﴿ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ لأن معنى الكلام: قال: آيتك أن لا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام، فكانت أن هي التي تصحب الاستقبال دون التي تصحب الأسماء فتنصبها، ولو كان المعنى فيه: آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام: أي أنك على هذه

(١) أصلها: أما فلان... الخ.
(٢) كذا في النسخ، وتأمله.

الحال ثلاثة أيام، كان وجه الكلام الرفع، لأن «أن» كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت، ولكن لم يكن ذلك جائزاً لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر.

وأما الرمز، فإن الأغلب من معانيه عند العرب: الإيماء بالشفتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين أحياناً، وذلك غير كثير فيهم، وقد يقال للخفيّ من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت: الرمز، ومنه قول جؤية بن عائذ:

وكَانَ يُكَلِّمُ الأبْطَالَ رَمْزاً وَهَمْهَمَةً لَهُمْ مِثْلَ الهَدِيرِ[١]

يقال منه: رَمَزَ فلان فهو يَرْمِزُ وَيَرْمُزُ رَمْزاً، ويترمز ترمُّزاً، ويقال: ضربه ضربة فارتمز منها: أي اضطرب للموت، قال الشاعر:

خَرَرْتُ مِنْهَا لِقَفَايَ أَرْتَمِزْ[٢]

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله عزّ وجلّ به في إخباره عن زكريا من قوله: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾ وأيّ معاني الرمز عنى بذلك؟ فقال بعضهم: عنى بذلك: آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا تحريكاً بالشفتين، من غير أن ترمز بلسانك الكلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا جابر بن نوح، عن النضر بن عربي، عن مجاهد في قوله: ﴿إِلاَّ رَمْزاً﴾ قال: تحريك الشفتين.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾ قال: إيماؤه بشفتيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك الإيماء والإشارة.

---

(١) البيت لجؤية بن عائذ الكوفي النحوي. وقد جاء اسمه محرفاً في الأصل. والتصويب عن تاج العروس. قال في «اللسان» (رمز): الرمز: تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم بالفظ من غير إبانة صوت، إنما هو إشارة بالشفتين وقيل الرمز: إشارة بالعينين والحاجبين والشفتين والغم. والرمز في اللغة: كل ما أشرت إليه مما يبان باللفظ بأي شيء أشرت إليه، بيد أو بعين. والهمهمة: الصوت الخفي. وقيل: هو صوت معه بحح. وقيل: هو ترديد الصوت في الصدر. والهدير: تردد صوت البعير في حنجرته.

(٢) أنشد هذا البيت صاحب «اللسان» في (رمز) وجعله شاهداً على أن معنى أرتمز من الضربة: أضطرب منها. ولم ينسبه لقائل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾ قال: الإشارة.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾ قال: الرمز: أن يشير بيده أو رأسه ولا يتكلم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾ قال: الرمز: أن أُخِذَ بلسانه، فجعل يكلم الناس بيده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾ قال: والرمز: الإشارة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّام إلاَّ رَمْزاً﴾... الآية. قال: جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً، إلا أنه يذكر الله. والرّمز: الإشارة، يشير إليهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾ إلا إيماء.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾ يقول: إشارة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عبد الله بن كثير: ﴿إلاَّ رَمْزاً﴾: إلا إشارة.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن، في قوله: ﴿قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾ قال: أُمسِكَ بلسانه، فجعل يومىء بيده إلى قومه: أن سبحوا بكرة وعشياً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَالإبْكارِ﴾.

يعني بذلك: قال الله جلّ ثناؤه لزكريا: يا زكريا آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً بغير خرس، ولا عاهة، ولا مرض ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً﴾ فإنك لا تمنع ذكره، ولا يحال بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره. وقد:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب، قال: لو كان الله رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا حيث قال: ﴿آيَتُكَ أَنْ لاَ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً﴾ أيضاً.

وأما قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ﴾ فإنه يعني: عظم ربك بعبادته بالعشيّ. والعشيّ: من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، كما قال الشاعر:

فلا الظلُّ من بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ ... ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[1]

فالفيء إنما تبتدىء أوبته عند زوال الشمس، وتتناهى بمغيبها.

وأما الإبكار: فإنه مصدر من قول القائل: أبكر فلان في حاجة، فهو يُبْكِرُ إبكاراً، وذلك إذا خرج فيها من بين مطلع الفجر إلى وقت الضحى، فذلك إبكار، يقال فيه: أبكر فلان، وبكر يَبْكُرُ بكوراً. فمن الإبكار قول عمر بن أبي ربيعة:

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ[2]

ومن البكور قول جرير:

ألا بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدَّ بُكُورُها ... وَشَقَّ العَصَا بعد اجتماعٍ أميرُها[3]

ويقال من ذلك: بكر النخل يبكُر بكوراً، وأبكر يُبْكِر إبكاراً، والباكور من الفواكه: أوّلها إدراكاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَسَبِّحْ بِالعَشِيِّ والإبْكارِ﴾ قال: الإبكار: أوّل الفجر، والعشيّ، ميل الشمس حتى تغيب.

---

(١) البيت لحميد بن ثور الهلالي كما في «اللسان» (فيأ) كما أورده المؤلف. وهو في ديوانه طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥١ (ص ـ ٤٠) يصف سرحة، وكنى بها عن امرأة. والرواية فيه: «فلا الظل منا بالضحى». والظل: ما كان أول النهار. والفيء: ما كان بعد الزوال إلى الليل. ويقال: البردان والأبردان للظل والفيء، وأيضاً للغداة والعشي.

(٢) البيت مطلع قصيدة لعمر بن أبي ربيعة. وعجزه:

غَداةَ غَدٍ أمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ

ديوانه طبعة السعادة سنة ١٣٣٠ هـ (ص ـ ١٨١).

(٣) البيت مطلع قصيدة لجرير يهجو بها غسان بن ذهل ويرد عليه هجاءه، ديوانه طبعة الصاوي (ص ـ ٢٩٣) وشق العصا: كناية عن الفرقة بعد الاجتماع. وأميرها: زوجها أو أبوها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: والله سميع عليم ﴿إِذْ قالَتِ امْرَأةُ عِمْرَانَ رَبِّ إنّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾، ﴿وَإِذْ قالَتِ المَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ﴾.

ومعنى قوله: ﴿اصْطَفاكِ﴾ اختارك واجتباك لطاعته، وما خصك به من كرامته. وقوله: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ يعني: طهر دينك من الريب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم. ﴿وَاصْطَفاكِ على نِساءِ العَالَمِينَ﴾ يعني: اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك إياه، ففضلك عليهم. كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسائِها خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ» يعني بقوله: خير نسائها: خير نساء أهل الجنة.

حدثني بذلك الحسين بن عليّ الصدائي، قال: ثنا محاضر بن المورّع، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، قال: سمعت علياً بالعراق، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسائِها خَدِيجَةُ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني المنذر بن عبد الله الخزامي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أن رسول الله ﷺ، قال: «خَيْرُ نِساءِ الجَنَّةِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِساءِ الجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَإِذْ قالَتِ المَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ على نِساءِ العالَمِينَ﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله، كان يقول: «حَسْبُكَ بِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَامْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَفاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ مِنْ نِساءِ العالَمِينَ». قال قتادة: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «خَيْرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ صَوَالِحُ نِساءِ قُرَيْشٍ، أحْناهُ على وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وأرْعاهُ على زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ». قال قتادة: وذكر لنا أنه كان يقول: «لَوْ عَلِمْتُ أنَّ مَرْيَمَ رَكِبَتِ الإبِلَ ما فَضَّلْتُ عَلَيْها أحَداً».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿يا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ على نِساءِ العَالَمِينَ﴾ قال: كان أبو هريرة يحدّث أن النبيّ ﷺ قال: «خَيْرُ نِساءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ صُلَّحُ نِساءِ قُرَيْشٍ أحْناهُ على وَلَدٍ وأرْعاهُ لِزَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» قال أبو هريرة: ولم تركب مريم بعيراً قط.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه قوله: ﴿وَإِذْ قالَتِ المَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ الله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ على نِساءِ العالَمِينَ﴾ قال: كان ثابت البناني يحدّث عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ نِساءِ العالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ».

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم العسقلاني، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عمرو بن مرّة، قال: سمعت مرّة الهمداني يحدّث عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ مَرْيَمُ وآسِيَةُ امْرأةُ فِرْعَوْنَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود المصري، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمارة بن غزية، عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان، أن فاطمة بنت حسين بن عليّ حدثته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: دخل رسول الله ﷺ يوماً وأنا عند عائشة، فناجاني، فبكيت، ثم ناجاني، فضحكت، فسألتني عائشة عن ذلك، فقلت: لقد عجلتِ، أخبرك بسرّ رسول الله ﷺ! فتركتني، فلما توفي رسول الله ﷺ، سألتها عائشة، فقالت: نعم، ناجاني فقال: «جِبْرِيلُ كانَ يُعارِضُ القُرْآنَ كُلَّ عام مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عارَضَ القُرْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ عُمِّرَ نِصْفَ عُمْرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ عِيسَى أَخِي كانَ عُمْرُهُ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، وَهَذِهِ لِي سِتُّونَ، وأَحْسِبُنِي مَيِّتاً فِي عامِي هَذَا، وَإِنَّهُ لَمْ تُرْزأ امْرأةٌ مِنْ نِساءِ العَالَمِينَ بِمِثْلِ مَا رُزِئْتِ، وَلا تَكُونِي دُونَ امْرأةٍ صَبْراً». قالت: فبكيت، ثم قال: «أَنْتِ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ إلاَّ مَرْيَمَ البَتُولَ» فتوفي عامه ذلك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود، قال: ثنا ابن لهيعة، عن عمرو بن الحارث، أن أبا زياد الحميريّ حدثه، أنه سمع عمار بن سعد يقول: قال رسول الله ﷺ: ﴿ «فُضِّلَتْ خَدِيجَةُ على نِساءِ أُمَّتِي كَما فُضِّلَتْ مَرْيَمُ عَلى نِساءِ العَالَمِينَ».

وبمثل الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: أنه وطهر دينك من الدنس والريب، قال مجاهد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ قال: جعلك طيبة إيماناً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَاصْطَفاكِ على نِساءِ العالَمِينَ﴾ قال: ذلك للعالمين يومئذ.

وكانت الملائكة فيما ذكر ابن إسحاق تقول ذلك لمريم شفاهاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: كانت مريم حبيساً في الكنيسة، ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف، وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبيساً، فكانا في الكنيسة جميعاً، وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف، أخذا قلتيهما فانطلقا إلى المفازة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه، فيملآن قلتيهما، ثم يرجعان إلى الكنيسة، والملائكة في ذلك مقبلة على مريم: ﴿**يا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفاكِ على نِساءِ العَالَمِينَ**﴾ فإذا سمع ذلك زكريا، قال: إن لابنة عمران لشأناً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله خبراً عن قيل ملائكته لمريم: ﴿**يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكَ**﴾ أخلصي الطاعة لربك وحده. وقد دللنا على معنى القنوت بشواهده فيما مضى قبل.

واختلاف بين أهل التأويل فيه في هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك، وسنذكر قول بعضهم أيضاً في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى «اقنتي»: أطيلي الركود.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ**﴾ قال: أطيلي الركود، يعني: القنوت.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج﴿**اقْنُتِي لِرَبِّكِ**﴾ قال: قال مجاهد: أطيلي الركود في الصلاة، يعني: القنوت.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، قال: لما قيل لها: ﴿**يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ**﴾ قامت حتى ورم كعباها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عبد الله بن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، قال: لما قيل لها: ﴿**يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ**﴾ قامت حتى ورمت قدماها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي ليلى، عن مجاهد: ﴿**اقْنُتِي لِرَبِّكِ**﴾ قال: أطيلي الركود.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال: القنوت: الركود، يقول: قومي لربك في الصلاة، يقول: اركدي لربك، أي انتصبي له في الصلاة، واسجدي واركعي مع الراكعين.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو عاصم، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد: ﴿يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال: كانت تصلي حتى ترم قدماها.

حدثني ابن البرقي، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا الأوزاعي: ﴿يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال: كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها.

وقال آخرون: معناه: أخلصي لربك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا ابن المبارك، عن شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال: أخلصي لربك.

وقال آخرون: معناه: أطيعي ربك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال: أطيعي ربك.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعي ربك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا محمد بن حرب، قال: ثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ قال: «كُلُّ حَرْفٍ يُذْكَرُ فِيهِ القُنُوتُ مِنَ القُرْآنِ، فَهُوَ طاعَةٌ لِلَّهِ».

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد بن منصور، عن الحسن، في قوله: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال: يقول: اعبدي ربك.

قال أبو جعفر: وقد بينا أيضاً معنى الركوع والسجود بالأدلة الدالة على صحته، وأنهما بمعنى الخشوع لله والخضوع له بالطاعة والعبودية.

فتأويل الآية إذاً: يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصاً، واخشعي لطاعته وعبادته، مع

من خشع له من خلقه، شكراً له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتَّطهير من الأدناس والتفضيل على نساء عالم دهرك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

يعني جل ثناؤه بقوله: ذلك الأخبار التي أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا، وابنه يحيى، وسائر ما قصّ في الآيات من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً﴾ ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك، فقال: هذه الأنباء من أنباء الغيب: أي من أخبار الغيب. ويعني بالغيب، أنها من خفيّ أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك، ولم يعلمها إلا قليل من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ أنه أوحى ذلك إليه حجة على نبوّته، وتحقيقاً لصدقه، وقطعاً منه به عذر منكري رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمداً لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها إلا بإعلام الله ذلك إياه، إذ كان معلوماً عندهم أنه محمداً ﷺ أمي لا يكتب فيقرأ الكتب فيصل إلى علم ذلك من قِبَل الكتب، ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قِبَلهم.

وأما الغيب: فمصدر من قول القائل: غاب فلان عن كذا، فهو يغيب عنه غَيْباً وغيبةً.

وأما قوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ فإن تأويله: ننزله إليك، وأصل الإيحاء: إلقاء الموحي إلى الموحَى إليه، وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء وبإلهام وبرسالة، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ بمعنى: ألقى ذلك إليها فألهمها، وكما قال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ بمعنى: ألقيت إليهم علم ذلك إلهاماً، وكما قال الراجز:

أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ(١)

بمعنى: ألقى إليها ذلك أمراً، وكما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ بمعنى: فألقى ذلك إليهم أيضاً، والأصل فيه ما وصفت من إلقاء ذلك إليهم. وقد يكون إلقاؤه ذلك إليهم إيماء، ويكون بكتاب، ومن ذلك قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ يلقون إليهم ذلك وسوسة، وقوله: ﴿وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾: ألقي إليّ بمجيء

(١) هذا بيت العجاج من أرجوزة له في ديوانه (ص ـ ٥) والرواية فيه. و«حي» بدون همزة، وهو بمعنى أوحى.

جبريل عليه السلام به إليّ من عند الله عزّ وجلّ. وأما الوحي: فهو الواقع من الموحِي إلى الموحَى إليه، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب وحياً، لأنه واقع فيما كتب ثابت فيه، كما قال كعب بن زهير:

أتى العُجْمَ والآفاقَ منهُ قَصائِدٌ ... بَقِينَ بَقاءَ الوَحْيِ فِي الحَجَرِ الأَصَمّ

يعني به الكتاب الثابت في الحجر. وقد يقال في الكتاب خاصة إذا كتبه الكاتب وَحَى، بغير ألف، ومنه قول رؤبة:

كأنَّهُ بَعْدَ رِياح تَدْهَمُهْ ... وَمُرْثَعِنَّاتِ الدُّجُونِ تَثِمُهْ
إنْجِيلُ أحْبارٍ وَحَى مُنَمْنِمُهْ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾: وما كنت يا محمد عندهم، فتعلم ما نعلمكه من أخبارهم التي لم تشهدها، ولكنك إنما تعلم ذلك فتدرك معرفته بتعريفنا.

ومعنى قوله﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم، ومعنى قوله﴿إذْ يُلْقُونَ﴾: حين يلقون أقلامهم. وأما أقلامهم فسهامهم التي استهم بها المتسهمون من بني إسرائيل على كفالة مريم، على ما قد بينا قبل في قوله: ﴿وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام بن عمرو، عن سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿وَما كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ يعني محمداً ﷺ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ﴾: زكريا وأصحابه استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلت عليهم.

---

(١) قال في «لسان العرب» (وحى): الوحي الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، والوحي: المكتوب والكتاب.

(٢) هذه الأبيات من الرجز في ديوان رؤبة بن العجاج (ص ـ ١٤٩) طبعة برلين سنة ١٩٠٣ وتدهمه: تغشاه. والمرثعن من المطر: المسترسل السائل. والدجون: جمع دجن، وهو ظل الغيم في اليوم المطير. وتثمه: تضربه بشدة. وحى منمنمه: أي كتبه كاتبه كما في «اللسان»، واستشهد عليه بالبيت، ونسبه لرؤبة، وهو الصحيح. وفي موضع آخر (رثعن) نسبه إلى ذي الرمة خطأ. وقال: يقال: وحيث الكتاب أحيه وحيا، كتبته، فهو موحى، قال رؤبة: . . . (البيت). وبعده «ما خط فيه بالمداد قلمه».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ﴾**: كانت مريم ابنة إمامهم وسيدهم، فتشاحّ عليها بنو إسرائيل، فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها، فقرعهم زكريا، وكان زوج أختها، فكفلها زكريا، يقول: ضمها إليه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ﴾** قال: تساهموا على مريم أيهم يكفلها، فقرعهم زكريا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾**، وإن مريم لما وضعت في المسجد، اقترع عليها أهل المصلى، وهم يكتبون الوحي، فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها، فقال الله عزّ وجلّ لمحمد ﷺ: **﴿وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ﴾**.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾**: اقترعوا بأقلامهم أيهم يكفل مريم، فقرعهم زكريا.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن، في قوله: **﴿وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ﴾** قال: حيث اقترعوا على مريم، وكان غيباً عن محمد ﷺ حين أخبره الله.

وإنما قيل: **﴿أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾** لأن إلقاء المستهمين أقلامهم على مريم إنما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحقّ، ففي قوله عزّ وجلّ: **﴿إذْ يُلْقُونَ أقْلامَهُمْ﴾** دلالة على محذوف من الكلام، وهو: «لينظروا أيهم يكفل، وليتبينوا ذلك ويعلموه».

فإن ظنّ ظانّ أن الواجب في «أيهم» النصب، إذ كان ذلك معناه، فقد ظنّ خطأ؛ وذلك أن النظر والتبين والعلم مع أيّ يقتضي استفهاماً واستخباراً، وحظّ «أيّ» في الاستخبار الابتداء، وبطول عمل المسألة والاستخبار عنه. وذلك أن معنى قول القائل: لأنظرنّ أيهم قام، لأستخبرنّ الناس أيهم قام؛ وكذلك قولهم: لأعلمنّ. وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى يكفُل يضمّ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وما كنت يا محمد عند قوم مريم، إذ يختصمون فيها أيهم أحقّ بها وأولى، وذلك من الله عزّ وجلّ وإن كان خطاباً لنبيه ﷺ، فتوبيخ منه عزّ وجلّ للمكذّبين به من أهل الكتابين، يقول: كيف يشكّ أهل الكفر بك منهم، وأنت تنبئهم هذه الأنباء ولم تشهدها، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمور، ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم، ولا جالس أهلها فسمع خبرهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَما كُنتَ لَدَيهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها يخبره بخفيّ ما كتموا منه من العلم عندهم، لتحقيق نبوّته والحجة عليهم، لما يأتيهم به مما أخفوا منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿إذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ﴾ وما كنت لديهم إذ يختصمون، وما كنت لديهم أيضاً إذ قالت الملائكة: يا مريم إن الله يبشرك. والتبشير: إخبار المرء بما يسرّه من خبر. وقوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ يعني: برسالة من الله، وخبر من عنده، وهو من قول القائل: ألقى فلان إليّ كلمة سرّني بها، بمعنى: أخبرني خبراً فرحت به، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَكَلِمَتُهُ ألْقاها إلى مَرْيَمَ﴾ يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها إليها.

فتأويل الكلام: وما كنت يا محمد عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم: يا مريم إن الله يبشرك ببشرى من عنده، هي ولد لك، اسمه المسيح عيسى ابن مريم.

وقد قال قوم، وهو قول قتادة: إن الكلمة التي قال الله عزّ وجلّ بكلمة منه، هو قوله: «كن».

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ قال: قوله: «كن».

فسماه الله عزّ وجلّ كلمته، لأنه كان عن كلمته، كما يقال لما قدر الله من شيء: هذا قدر الله وقضاؤه، يعني به: هذا عن قدر الله وقضائه حدث، وكما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَكانَ أمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ يعني به: ما أمر الله به، وهو المأمور الذي كان عن أمر الله عزّ وجلّ.

وقال آخرون: بل هي اسم لعيسى سماه الله بها كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الكلمة: هي عيسى.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ قال: عيسى هو الكلمة من الله.

وأقرب الوجوه إلى الصواب عندي القول الأول: وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عزّ وجلّ برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقيها إليها، أن الله خالق منها ولداً من غير بعل ولا فحل، ولذلك قال عزّ وجلّ: ﴿اسْمُهُ المَسِيحُ﴾ فذكّر، ولم يقل اسمها فيؤنث، والكلمة مؤنثة، لأن الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم الذي هو بمعنى فلان، وإنما هي بمعنى البشارة، فذكرت كنايتها، كما تذكر كناية الذرّية والدابة والألقاب، على ما قد بيناه قبل فيما مضى.

فتأويل ذلك كما قلنا آنفاً، من أن معنى ذلك: إن الله يبشركِ ببشرى، ثم بين عن البشرى، أنها ولد اسمه المسيح.

وقد زعم بعض نحويي البصرة، أنه إنما ذكّر فقال: ﴿اسْمُهُ المَسِيحُ﴾، وقد قال: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ والكلمة عنده: هي عيسى، لأنه في المعنى كذلك، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا﴾، ثم قال: ﴿بَلَى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها﴾ وكما يقال: ذو الثدية[1]، لأن يده كانت قصيرة قريبة من ثدييه، فجعلها كأن اسمها ثُدَيّة، ولولا ذلك لم تدخل الهاء في التصغير.

وقال بعض نحويي الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحويي البصرة، في أن الهاء من ذكر الكلمة، وخالفه في المعنى الذي من أجله ذكر قوله﴿اسْمُهُ﴾، والكلمة متقدمة قبله، فزعم أنه إنما قيل اسمه، وقد قدمت الكلمة، ولم يقل اسمها، لأن من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والألقاب والأسماء التي لم توضع لتعريف المسمى به كفلان وفلان، وذلك مثل الذرّية والخليفة والدابة، ولذلك جاز عنده أن يقال: ذرّية طيبة، وذرّية طيباً؛ ولم يجز أن يقال: طلحة أقبلت، ومغيرة قامت. وأنكر بعضهم اعتلال من اعتلّ في ذلك بذي الثدية، وقالوا: إنما أدخلت الهاء في ذي الثدية لأنه أريد بذلك: القطعة من الثدي، كما قيل: كنا في لحمة ونبيذة، يراد به: القطعة منه. وهذا القول نحو قولنا الذي قلناه في ذلك.

وأما قوله: ﴿اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فإنه جلّ ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى، وأنه ابن أمه مريم، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون في الله جلّ ثناؤه من النصارى، من إضافتهم بنوته إلى الله عزّ وجلّ، وما قَذَفت أُمَّهُ به المفتَرِيةُ عليها من اليهود. كما:

(١) ذو الثدية، والأصح: ذو اليدية. لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج. وقيل لقب رجل اسمه ثرملة.

حدثني به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿إِذْ قالَتِ المَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾: أي هكذا كان أمره، لا ما يقولون فيه.

وأما المسيح، فإنه فَعِيل، صرّف من مفعول إلى فعيل، وإنما هو ممسوح، يعني: مسحه الله فطهره من الذنوب، ولذلك قال إبراهيم: المسيح الصديق. . . .

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

وقال آخرون: مسح بالبركة.

حدثنا ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: قال سعيد: إنما سمي المسيح، لأنه مسح بالبركة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾.

يعني بقوله «وجيهاً»: ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة، ومنه يقال للرجل الذي يشرف وتعظمه الملوك والناس: وجيه؛ يقال منه: ما كان فلان وجيهاً، ولقد وَجُهَ وجاهةً، وإن له لَوَجْهاً عند السلطان، وجاهاً ووجاهة. والجاه: مقلوب قلبت واوه من أوّله إلى موضع العين منه، فقيل جاه، وإنما هو وجه وفعل من الجاه: جَاهَ يَجُوهُ، مسموع من العرب: أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا، بمعنى: أن يستقبلني في وجهي بأعظم منه. وأما نصب الوجيه فعلى القطع من عيسى، لأن عيسى معرفة، ووجيه نكرة، وهو من نعته، ولو كان مخفوضاً على الردّ على الكلمة كان جائزاً.

وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيهاً في الدنيا والآخرة عند الله، قال فيما بلغنا محمد بن جعفر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَجِيهاً﴾ قال: وجيهاً في الدنيا والآخرة عند الله.

وأما قوله: ﴿وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾ فإنه يعني: أنه ممن يقرّبه الله يوم القيامة، فيسكنه في جواره، ويدنيه منه. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾ يقول: من المقرّبين عند الله يوم القيامة.

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ يقول: من المقرّبين عند الله يوم القيامة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)﴾

أما قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ فإن معناه: أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً عند الله، ومكلماً الناس في المهد. فـ«يكلّم» وإن كان مرفوعاً، لأنه في صورة «يَفْعَلُ» بالسلامة من العوامل فيه، فإنه في موضع نصب، وهو نظير قول الشاعر:

بِتُّ أُعَشِّيها بِعَضْبٍ باتِرِ يَقْصِدُ في أَسْوُقِها وَجائِرِ

وأما المهد: فإنه يعني به مضجع الصبيّ في رضاعه. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ﴾ قال: مضجع الصبيّ في رضاعه.

وأما قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ فإنده ومحتَنِكاً فوق الغلومة ودون الشيخوخة، يقال منه: رجل كهل، وامرأة كهلة، كما قال الراجز:

وَلا أَعُودُ بَعْدَهَا كَرِيَّا أُمَارِسُ الكَهْلَةَ وَالصَّبِيَّا

وإنما عنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: ويكلم الناس طفلاً في المهد، دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها، وحجة له على نبوّته، وبالغاً كبيراً بعد احتناكه بوحي الله الذي يوحيه إليه، وأمره ونهيه، وما تقوّل عليه من كتابه. وإنما أخبر الله عزّ

---

(١) البيت غير معروف قائله، وقد استشهد به النحويون على جواز عطف الاسم المشبه للفعل (جائر) على الفعل (يقصد) واستشهد به الفراء والزجاج في تفسيريهما، ولم ينسباه. ورواية الفراء: (بت). ورواية ابن الشجري في أماليه: (بات يغشيها) بالغين المعجمة، أي يشملها ويعمها. وضمير المؤنث للإبل. وهو في وصف كريم بأنه يعقر إبله لضيوفه. والعضب: السيف القاطع وباتر، صفة أولى لعضب، وجملة يقصد صفة ثابتة له، وجائر: صفة ثالثة له، والجائر: الظالم. انظر «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦).

والرواية في «**اللسان**» كهل، وفي «**معاني القرآن**» للفراء طبعة دار الكتب المصرية و «**الخزانة**» (٢/ ٣٤٥) «بت أعشيها».

(٢) البيتان من الرجز، نسبهما صاحب «**اللسان**» في (كرى) لعذافر الكندي. قال: والكري على فعيل: المكاري، وهو الذي يكريك دابته. والكهل: من زاد على الثلاثين سنة إلى الأربعين أو إلى الخمسين، والمراد أنه إذا جاوز سن الشباب سمى كهلاً.

وجلّ عباده بذلك من أمر المسيح، وأنه كذلك كان، وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولاً وشيوخاً، احتجاجاً به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى بالباطل، وأنه كان في معاناة أشياء مولوداً طفلاً، ثم كهلاً يتقلّب في الأحداث، ويتغير بمرور الأزمنة عليه والأيام، من صغر إلى كبر، ومن حال إلى حال، وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه، كان ذلك غير جائز عليه، فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران، الذين حاجوا رسول الله ﷺ فيه، واحتجّ به عليهم لنبيه محمد ﷺ، وأعلمهم أنه كان كسائر بني آدم، إلا ما خصه الله به من الكرامة التي أبانه بها منهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ يخبرهم بحالاته التي يتقلب بها في عمره كتقلب بني آدم في أعمارهم صغاراً وكباراً، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوّته، وتعريفاً للعباد مواقع قدرته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ يقول: يكلمهم صغيراً وكبيراً.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً**﴾ قال: يكلمهم صغيراً وكبيراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ قال: الكهل: الحليم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: كلمهم صغيراً وكبيراً وكهلاً. وقال ابن جريج، وقال مجاهد: الكهل: الحليم.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً**﴾ قال: كلمهم في المَهْدِ صَبِيًّا، وكلمهم كبيراً.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿**وَكَهْلاً**﴾: أنه سيكلمهم إذا ظهر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعته ـ يعني ابن زيد ـ يقول في قوله: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً**﴾ قال: قد كلمهم عيسى في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدجال، وهو يومئذٍ كهل.

ونصب كهلاً عطفاً على موضع: ويكلم الناس. وأما قوله: ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فإنه يعني: من عدادهم وأوليائهم لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قالت مريم. إذ قالت لها الملائكة: إن الله يبشرك بكلمة منه.: ﴿ربّ أنى يكون لي ولد﴾: من أي وجه يكون لي ولد؟ أمن قِبَل زوج أتزوّجه وبعل أنكحه؟ أو تبتدىء في خلقه من غير بعل ولا فحل، ومن غير أن يمسني بشر؟ فقال الله لها: ﴿كَذَلِك اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ يعني: هكذا يخلق الله منك ولداً لك من غير أن يمسك بشر، فيجعله آية للناس وعبرة، فإنه يخلق ما يشاء، ويصنع ما يريد، فيعطي الولد من شاء من غير فحل ومن فحل، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعل، لأنه لا يتعذّر عليه خلق شيء أراد خلقه، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئاً ما أراد، فيقول له كن فيكون ما شاء مما يشاء، وكيف شاء. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر: أي إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، مما يشاء، وكيف يشاء، فيكون ما أراد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨)﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء الكوفيين: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياء ردًا على قوله: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يشاءُ وَيُعَلِّمُهُ الكِتابَ﴾ فألحقوا الخبر في قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾، بنظير الخبر في قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشاءُ﴾، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض البصريين: «وَنُعَلِّمُهُ» بالنون عطفاً به على قوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ كأنه قال: ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، ونعلمه الكتاب. وقالوا: ما بعد «نوحيه» في صلته، إلى قوله: «كن فيكون»، ثم عطف بقوله: «ونعلمه عليه».

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفتي المعاني، فبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب الصواب في ذلك لاتفاق معنى القراءتين في أنه خبر عن الله بأنه يعلم عيسى الكتاب، وما ذكر أنه يعلمه، وهذا ابتداء خبر من الله عزّ وجلّ لمريم ما هو فاعل بالولد

الذي بشرها به من الكرامة، ورفعة المنزلة والفضيلة، فقال: كذلك الله يخلق منك ولداً، من غير فحل ولا بعل، فيعلّمه الكتاب، وهو الخط الذي يخطه بيده، والحكمة: وهي السنة التي نوحيها إليه في غير كتاب، والتوراة: وهي التوراة التي أنزلت على موسى، كانت فيهم من عهد موسى، والإنجيل: إنجيل عيسى، ولم يكن قبله، ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه إليه، وإنما أخبرها بذلك، فسماه لها، لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبياً يوحى إليه كتاباً اسمه الإنجيل، فأخبرها الله عزّ وجلّ أن ذلك النبيّ ﷺ الذي سمعت بصفته الذي وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذي يسمى إنجيلاً، هو الولد الذي وهبه لها، وبشرها به.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: «وَنُعَلِّمُهُ الكِتابَ» قال: بيده.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: «وَنُعَلِّمُهُ الكِتابَ والحِكْمَةَ» قال: الحكمة: السنة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر؛ عن أبيه، عن قتادة، في قوله: «وَنُعَلِّمُهُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ» قال: الحكمة: السنة، ﴿**وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ**﴾ قال: كان عيسى يقرأ التوراة والإنجيل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: «وَنُعَلِّمُهُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ» قال: الحكمة: السنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: أخبرها ـ يعني: أخبر الله مريم ما يريد به ـ فقال: «وَنُعَلِّمُهُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ» التي كانت فيهم من عهد موسى ﴿**وَالإِنْجِيلَ**﴾ كتاباً آخر أحدثه إليه، لم يكن عندهم علمه إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء قبله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَرَسُولاً﴾: ونجعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فترك ذكر «ونجعله»، لدلالة الكلام عليه، كما قال الشاعر:

ورأيتِ زَوْجَكِ في الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا[1]

وقوله: ﴿أنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بمعنى: ونجعله رسولاً إلى بني إسرائيل بأنه نبيّ وبشير ونذير؛ وحجتي عن صدقي على ذلك، أني قد جئتكم بآية من ربكم، يعني بعلامة من ربكم تحقق قولي وتصدّق خبري، أني رسول من ربكم إليكم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَرَسُولاً إلى بَنِي إسْرَائِيلَ أنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي تحقق بها نبوّتي، وأني رسول منه إليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أنّي أخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإذْنِ اللَّهِ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم. ثم بين عن الآية ما هي، فقال: ﴿أنّي أخْلُقُ لَكُمْ﴾. فتأويل الكلام: ورسولاً إلى بني إسرائيل بأني قد جئتكم بآية من ربكم بأن أخلق لكم من الطين كهيئة الطير. والطير جمع طائر.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض أهل الحجاز: «كهيئة الطائر فأنفخ فيه فيكون طائراً»، على التوحيد. وقرأه آخرون: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً﴾ على الجماع كليهما.

وأعجب القراءات إليّ في ذلك قراءة من قرأ: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً﴾، على الجماع فيهما جميعاً، لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك بإذن الله، وأنه موفق لخط المصحف، واتباع خط المصحف مع صحة المعنى، واستفاضة القراءة به أعجب إليّ من خلاف المصحف.

وكان خلق عيسى: ما كان يخلق من الطير. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق: أن عيسى صلوات الله عليه،

---

(١) أورد البيت صاحب «اللسان» في (قلد) ولم ينسبه، قال: وتقلد الأمر: احتمله، وكذلك تقلد السيف، وقوله:

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً

أي وحاملاً رمحاً، قال: وهذا كقول الآخر: «علفتها تبناً وماء بارداً» أي وسقيتها ماء بارداً.

وأورده صاحب «الخزانة» عرضا في باب شواهد المفعول معه (١/ ٥٠٠) كما أورده صاحب «اللسان» بلفظه.

جلس يوماً مع غلمان من الكتاب، فأخذ طيناً، ثم قال: أجعل لكم من هذا الطين طائراً؟ قالوا: وتستطيع ذلك؟ قال: نعم بإذن ربي! ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه، ثم قال: كن طائراً بإذن الله! فخرج يطير بين كفيه، فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم، فأفشوه في الناس. وترعرع. فهمّت به بنو إسرائيل، فلما خافت أمه عليه حملته على حُمَيِّر لها ثم خرجت به هاربة.

وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم: أيّ الطير أشدّ خلقاً؟ فقيل له الخفاش. كما:

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قوله: ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾ قال: أيّ الطير أشدّ خلقاً؟ قالوا: الخفاش إنما هو لحم، قال ففعل.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿**فَأَنْفُخُ فِيهِ**﴾ وقد قيل: ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ**﴾؟ قيل: لأن معنى الكلام: فأنفخ في الطير. ولو كان ذلك: فأنفخ فيها، كان صحيحاً جائزاً، كما قال في المائدة: «فأَنْفُخُ فِيها» يريد: فأنفخ في الهيئة، وقد ذكر أن ذلك في إحدى القراءتين: «فأنفخها»، بغير «في»، وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول: ربّ ليلة قد بتها وبتّ فيها، قال الشاعر:

مـا شُـقَّ جَـيْـبٌ ولا قـامَـتْـكَ نـائحـةٌ ... ولا بـكَـتْـكَ جِـيـادٌ عـنـدَ أسْـلابِ

بمعنى: ولا قامت عليك. وكما قال الآخر:

إحْدَى بَنِي عَيِّدِ اللّهِ اسْتَمَرَّ بِهَا ... حُلْوُ العُصَارَةِ حتى يُنْفَخَ الصُّورُ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وأُبْرِىءُ الأَكْمَه وَالأَبْرَصَ﴾.

يعني بقوله: ﴿**وأبْرِىءُ**﴾: وأشفي، يقال منه: أبرأ الله المريض: إذا شفاه منه، فهو يبرئه إبراءً، وبرأ المريض فهو يبرأ برءاً، وقد يقال أيضاً: برىء المريض فهو يبرأ، لغتان معروفتان.

واختلف أهل التأويل في معنى الأكمه، فقال بعضهم: هو الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار.

---

(١) الشاهد في قوله قامتك نائحة، فإن أصله: قامت عليك نائحة، ثم حذف الجار، ووصل الضمير بالفعل، ولم نعثر على قائل البيت.

(٢) لم نعثر على قائل البيت. وبنو عيد الله، بتشديد الياء، وتخفيف عند النسب إليه، وعيذ الله هو ابن سعد بن مذحج كما في التاج. وقوله «حتى ينفخ الصور»: أصله ينفخ في الصور. قال في «اللسان»: نفخ فيه فانتفخ. فأسقط حرف الجر وأوصل الفعل إلى المفعول، ثم رفعه نائباً عن الفاعل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وأُبْرِئُ الأكْمَهَ**﴾ قال: الأكمه: الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، فهو يَتَكَمَّهُ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: هو الأعمى الذي ولدته أمه كذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كنا نحدّث أن الأكمه الذي ولد وهو أعمى مضموم العينين.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة، في قوله: ﴿**وأُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ**﴾ قال: كنا نحدّث أن الأكمه الذي ولد وهو أعمى مضموم العينين.

حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر، عن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: الأكمه: الذي يولد وهو أعمى.

وقال آخرون: بل هو الأعمى.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وأُبْرِئُ الأكْمَهَ**﴾: هو الأعمى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: الأعمى.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**وأُبْرِئُ الأكْمَهَ**﴾ قال: الأكمه: الأعمى.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿**وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ**﴾ قال: الأعمى.

وقال آخرون: هو الأعمش.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله: ﴿وأُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾ قال: الأعمش.

والمعروف عند العرب من معنى الكَمَهِ: العمى، يقال منه: كَمِهَتْ عينه، فهي تَكْمَهُ كَمَهًا، وأكمهتها أنا: إذا أعميتها، كما قال سويد بن أبي كاهل:

كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حتى ابْيَضَّتَا ... فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لما نَزَعْ

ومنه قول رؤبة:

هَرَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأَكْمَهِ ... في غائلاتِ الحائِرِ المُتَهْتَهِ

وإنما أخبر الله عزّ وجلّ عن عيسى صلوات الله عليه، أنه يقول ذلك لبني إسرائيل، احتجاجاً منه بهذه العِبر والآيات عليهم في نبوّته، وذلك أن الكَمَه والبَرَص لا علاج لهما، فيقدر على إبرائه ذو طبّ بعلاج، فكان ذلك من أدلته على صدق قيله، إنه لله رسول، لأنه من المعجزات مع سائر الآيات التي أعطاه الله إياها دلالة على نبوّته. فأما ما قال عكرمة، من أن الكمه: العمش، وما قاله مجاهد: من أنه سوء البصر بالليل، فلا معنى لهما، لأن الله لا يحتجّ على خلقه بحجة تكون لهم السبيل إلى معارضته فيها، ولو كان مما احتجّ به عيسى على بني إسرائيل في نبوّته أنه يبرىء الأعمش، أو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بأن يقولوا: وما في هذا لك من الحجة، وفينا خلق مما يعالج ذلك وليسوا لله أنبياء ولا رسلاً، ففي ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من أن الأكمه: هو الأعمى الذي لا يبصر شيئاً لا ليلاً ولا

---

(١) البيت من عينية سويد بن أبي كاهل اليشكري المشهور (انظر المفضليات للضبي) وأورده صاحب «**اللسان**» في كمه، قال: الكمه في التفسير: العمى الذي يولد به الإنسان، كمه بصره بالكسر كمها وهو أكمه؛ إذا اعترته ظلمة تطمس عليه. وربما جاء الكمه في الشعر العمى العارض، قال سويد: . . . . (البيت).

قال ابن بري: وقد يجوز أن يكون مستعاراً من قولهم: كمهت الشمس: إذا علتها غبرة فأظلمت، كما تظلم العين إذا علتها غبرة العمى. ويجوز أيضاً أن يكون مستعاراًمن قولهم كمه الرجل: إذا سلب عقله، لأن العين بالكمه يسلب نورها. ومعنى البيت: أن الحسد قد بيض عينيه كما قال رؤبة: «زبيض عينيه العمى المعمي».

وذكر أهل اللغة أن الكمه يكون خلقة، ويكون حادثاً بعد بصر. وعلى هذا الوجه الثاني فسر هذا البيت، قال ابن سيده: وربما قالوا للمسلوب العقل أكمه، قال رؤبة (انظر الشاهد الذي بعد هذا). ابن الأعرابي: الأكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل. وقال أبو الهيثم: الأكمه الأعمى الذي لا يبصر، فيتحير ويتردد. ويقال إن الأكمه الذي تلده أمه أعمى. وأنشد بيت رؤبة. . . فوصفه بالهرج، وذكر أنه كالأكمه في حال هرجه.

(٢) في «**لسان العرب**» (تهته) قال ابن بري: تهته في الشيء (مبنياً للمجهول) أي ردد فيه ويقال تهته فلان إذا ردد في الباطل. ومنه قول رؤبة. . . . (البيت) والبيتان في ديوانه من أرجوزة يصف بها نفسه (ص ـ ١٦٦). وفيه «الخائب» في مان «الحائر».

نهاراً، وهو بما قال قتادة: من أنه المولود كذلك أشبه، لأن علاج مثل ذلك لا يدّعيه أحد من البشر، إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى، وكذلك علاج الأبرص.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وأُحْيِي المَوْتَى بإِذْنِ اللَّهِ وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾. وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله، يدعو لهم، فيستجيب له. كما:

حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة، أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر أن اطلعي به إلى الشام، ففعلت الذي أمرت به فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوّته ثلاث سنين، ثم رفعه الله إليه. قال: وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله.

وأما قوله: ﴿وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ فإنه يعني: وأخبركم بما تأكلونه مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكْلِكُمُوهُ. ﴿وما تَدَّخِرُونَ﴾. يعني بذلك: وما ترفعونه فَتُخبئونه ولا تأكلونه، يعلمهم أن من حجته أيضاً على نبوّته ـ مع المعجزات التي أعلمهم أنه يأتي بها حجة على نبوّته وصدقه في خبره، أن الله أرسله إليهم: من خلق الطير من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، التي لا يطيقها أحد من البشر، إلا من أعطاه الله ذلك، علماً له على صدقه، وآية له على حقيقة قوله من أنبيائه ورسله، ومن أحبّ من خلقه ـ إنباءه عن الغيب الذي لا سبيل لأحد من البشر الذين سبيلهم سبيله عليه.

فإن قال قائل: وما كان في قوله لهم: ﴿وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ من الحجة له على صدقه، وقد رأينا المتنجمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيراً فتصيب؟ قيل: إن المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه، ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه، ومن سائر أنبياء الله ورسله، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باحتيال، ولكن ابتداءً باعلام الله إياه من غير أصل تقدّم ذلك؛ احتذاه، أو بنى عليه أو فزع إليه، كما يفزع المتنجم إلى حسابه، والمتكهن إلى رئيّه، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها، وبين علم سائر المتكذبة على الله، أو المدّعية علم ذلك. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشراً أو نحو ذلك، أدخلته أمه الكتاب فيما يزعمون، فكان عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان، فلا يذهب يعلمه شيئاً مما يعلمه الغلمان إلا بدره إلى علمه قبل أن يعلمه إياه،

فيقول: ألا تعجبون لابن هذه الأرملة، ما أذهب أعلمه شيئاً إلا وجدته أعلم به مني.

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة، فكان يلعب مع الغلمان، غلمان القرية التي كان فيها، فيحدّث الغلمان بما يصنع آباؤهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن سالم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿**وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ قال: كان عيسى ابن مريم إذ كان في الكُتّاب يخبرهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدّخرون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن سالم، قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: ﴿**وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ قال: إن عيسى ابن مريم كان يقول للغلام في الكتاب: يا فلان إن أهلك قد خبأوا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه؟

فهكذا فعل الأنبياء وحججها إنما تأتي بما أتت به من الحجيج بما قد يوصل إليه من ذلك الوجه بحيلة إلا من قبل الله.

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله: ﴿**وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ قال: بما أكلتم البارحة، وما خبأتم منه؛ عيسى ابن مريم يقوله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي رباح يعني قوله: ﴿**وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ قال: الطعام والشيء يدّخرونه في بيوتهم غيباً علّمه الله إياه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ**﴾ قال: ما تأكلون: ما أكلتم البارحة من طعام، وما خبأتم منه.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: كان ـ يعني عيسى ابن مريم ـ يحدّث الغلمان وهو معهم في الكتاب بما يصنع آباؤهم، وبما يرفعون لهم، وبما يأكلون ويقول للغلام: انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا، وهم يأكلون كذا وكذا، فينطلق الصبيّ فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون له: من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى، فذلك قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾** فحبسوا صبيانهم عنه، وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر، فجمعوهم في بيت، فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا: ليس هم ههنا، فقال: ما في هذا البيت؟ فقالوا: خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون! ففتحوا عنهم فإذا هم خنازير، فذلك قوله: **﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾**.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: **﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾** قال: ما تخبئون مخافة الذي يمسك أن لا يخلفه شيء.

وقال آخرون: إنما عنى بقوله: **﴿وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾**: ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾** فكان القوم لما سألوا المائدة، فكانت جراباً ينزل عليه أينما كانوا ثمراً من ثمار الجنة، فأمر القوم أن لا يخونوا فيه، ولا يخبئوا، ولا يدّخروا لغد، بلاء ابتلاهم الله به، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئاً أنبأهم به عيسى ابن مريم، فقال: **﴿وأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾** قال: أنبئكم بما تأكلون من المائدة، وما تدّخرون منها. قال: فكان أخذ عليهم في المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا، فادّخروا وخانوا، فجعلوا خنازير حين ادّخروا وخانوا، فذلك قوله: **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ﴾**. قال ابن يحيى: قال عبد الرزاق: قال معمر، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، عن عمار بن ياسر ذلك.

وأصل يدّخرون من الفعل يَفْتَعِلون، من قول القائل: ذخرت الشيء بالذال، فأنا أذخره، ثم قيل: يذّخر كما قيل: يدّكر، من ذكرت الشيء، يراد به يذتخر، فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتا المخرج، ثقل إظهارهما على اللسان، فأدغمت إحداهما في الأخرى وصيرتا دالاً مشددة صيروها عدلاً بين الذال والتاء، ومن العرب من يغلب الذال على التاء فيدغم التاء في الذال،

فيقول: وما تذَّخرون وهو مذَّخر لك، وهو مذَّكر، واللغة التي بها القراءة الأولى، وذلك إدغام الذال في التاء، وإبدالهما دالاً مشددة لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراء بها، وهو اللغة الجُودَى، كما قال زهير:

إنَّ الكَرِيمَ الذي يُعْطيكَ نائلَهُ عَفْواً وَيُظْلَمُ أحْياناً فَيَظَّلِمُ

يروى بالظاء، يريد: فيفتعل من الظلم، ويروى بالطاء أيضاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: إن في خلقي من الطين الطير بإذن الله، وفي إبرائي الأكمه والأبرص، وإحيائي الموتى، وإنبائي إياكم بما تأكلون، وما تدخرون في بيوتكم، ابتداء من غير حساب وتنجيم، ولا كهانة وعرافة، لعبرة لكم، ومتفكراً تتفكرون في ذلك، فتعتبرون به أني محقّ في قولي لكم: إني رسول من ربكم إليكم، وتعلمون به أني فيما أدعوكم إليه من أمر الله ونهيه صادق، إن كنتم مؤمنين، يعني: إن كنتم مصدّقين حجج الله وآياته، مقرّين بتوحيده ونبيه موسى، والتوراة التي جاءكم بها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وبأني قد جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة، ولذلك نصب «مصدّقاً» على الحال من جئتكم. والذي يدلّ على أنه نصب على قوله وجئتكم دون العطف على قوله: «وجيهاً»، قوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ ولو كان عطفاً على قوله: «وجيهاً»، لكان الكلام: ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة، وليحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم. وإنما قيل: ﴿ومُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمناً بالتوراة مقرّاً بها، وأنها من عند الله، وكذلك الأنبياء كلهم يصدّقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله، وإن اختلف بعض شرائع أحكامهم لمخالفة الله بينهم في ذلك، مع أن عيسى كان فيما بلغنا عاملاً بالتوراة، لم يخالف شيئاً من أحكامها إلا ما خفف الله عن أهلها في الإنجيل مما كان

(١) رواية البيت كما في «**الصحاح**» و «**اللسان**» عن سيبويه والديوان انظر «**مختار الشعر الجاهلي**» (ص ـ ٢٦٠): هو الجواد الذي.. قال في «**اللسان**»: أنشد سيبويه قول زهير: هو الجواد.. الخ. أي يطلب منه في غير موضع الطلب وهو عند يفتعل. ويروى يظطلم.. وفي افتعل من ظلم ثلاث لغات من العرب من يقلب التاء طاء، ثم يظهر الطاء والظاء جميعاً، فيقول: اظطلم، ومنهم من يدغم الظاء في الطاء فيقول: اطّلم، وهو أكثر اللغات. ومنهم من يكره أن يدغم الأصل في الزائد، فيقول: اظّلم ا هـ.

مشدّداً عليهم فيها. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الكريم، قال: ثني عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن عيسى كان على شريعة موسى عليه السلام، وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس، فقال لبني إسرائيل: إني لم أدعكم إلى خلاف حرف مما في التوراة إلا لأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم، وأضع عنكم من الآصار.

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى، وكان قد حرّم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والثروب، وأشياء من الطير والحيتان.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: **﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** قال: كان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى، قال: وكان حرّم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة لحوم الإبل والثروب فأحلها لهم على لسان عيسى، وحرّمت عليهم الشحوم، وأحلت لهم فيما جاء به عيسى، وفي أشياء من السمك، وفي أشياء من الطير مما لا صِيصِيَةَ له، وفي أشياء حرّمها عليهم، وشدّدها عليهم، فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الإنجيل، فكان الذي جاء به عيسى ألين من الذي جاء به موسى، صلوات الله عليه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿ولأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** قال: لحوم الإبل والشحوم لما بعث عيسى أحلها لهم، وبعث إلى اليهود فاختلفوا وتفرّقوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾** أي لما سبقني منها، **﴿ولأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** أي أخبركم أنه كان حراماً عليكم، فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم، فتصيبون يسره وتخرجون من تِبَاعته.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن: **﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾** قال: كان حرّم عليهم أشياء، فجاءهم عيسى ليحلّ لهم الذي حرّم عليهم، يبتغي بذلك شكرهم.

---

(١) جمع ثروب، وهو شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. وجمعه: ثرووب.

(٢) التباعة والتبعة: ما فيه إثم يتبع به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ﴾.

يعني بذلك: وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم، تعلمون بها حقيقة ما أقول لكم. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ﴾ قال: ما بيّن لهم عيسى من الأشياء كلها، وما أعطاه ربه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَبِّكُمْ﴾: ما بين لهم عيسى من الأشياء كلها.

ويعني بقوله: ﴿مِن رَبِّكُمْ﴾: من عند ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فاتَّقُوا اللَّهَ وأطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

يعني بذلك: وجئتكم بآية من ربكم، تعلمون بها يقيناً صدقي فيما أقول، فاتقوا الله يا معشر بني إسرائيل فيما أمركم به، ونهاكم عنه في كتابه الذي أنزله على موسى فأوفوا بعهده الذي عاهدتموه فيه، وأطيعون فيما دعوتكم إليه من تصديقي فيما أرسلني به إليكم، ربي وربكم فاعبدوه، فإنه بذلك أرسلني إليكم، وبإحلال بعض ما كان محرّماً عليكم في كتابكم، وذلك هو الطريق القويم، والهدى المتين الذي لا اعوجاج فيه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿فاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ تبرياً من الذي يقولون فيه، يعني ما يقول فيه النصارى واحتجاجاً لربه عليهم، فاعبدوه، و﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي الذي هذا قد حملتكم عليه وجئتكم به.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بكسر ألف «إنّ» على ابتداء الخبر، وقرأه بعضهم: «أنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» بفتح ألف «أن» بتأويل: وجئتكم بآية من ربكم أن الله ربي وربكم، على ردّ أن على الآية، والإبدال منها.

والصواب من القراءة عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك كسر ألف «إن» على الابتداء، لإجماع الحجة من القراء على صحة ذلك، وما اجتمعت عليه فحجة، وما انفرد به المنفرد عنها فرأي، ولا يعترض بالرأي على الحجة. وهذه الآية، وإن كان ظاهرها خبراً، ففيه الحجة البالغة من الله لرسوله محمد ﷺ على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران بإخبار الله عزّ وجلّ، عن أن عيسى كان بريئاً مما نسبه إليه من نسبه، غير الذي وصف به نفسه، من أنه لله عبد كسائر عبيده من

أهل الأرض إلا ما كان الله جل ثناؤه خصه به من النبوّة والحجج التي آتاه دليلاً على صدقه، كما آتى سائر المرسلين غيره من الأعلام والأدلة على صدقهم، والحجة على نبوّتهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنهُمُ الكُفرَ﴾ فلما وجد عيسى منهم الكفر. والإحساس: هو الوجود، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾. فأما الحسّ بغير ألف، فهو الإفناء والقتل، ومنه قوله: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ والحسّ أيضاً: العطف والرقة. ومنه قول الكميت:

هَلْ مَنْ بَكَى الدَّارَ رَاجٍ أَنْ تَحِسَّ لَهُ ... أَوْ يُبْكِيَ الدّارَ ماءُ العَبْرَة الخَضِلُ

يعني بقوله: أن تحسّ له: أن ترق له.

فتأويل الكلام: فلما وجد عيسى من بني إسرائيل الذين أرسله الله إليهم جحوداً لنبوّته، وتكذيباً لقوله، وصدّاً عما دعاهم إليه من أمر الله، قال: ﴿مَنْ أَنصَارِي إلى اللَّهِ﴾ يعني بذلك: قال عيسى: من أعواني على المكذّبين بحجة الله، والمُوَلِّين عن دينه، والجاحدين نبوّة نبيه إلى الله عزّ وجلّ، ويعني بقوله﴿إلى الله﴾: مع الله، وإنما حسن أن يقال إلى الله، بمعنى: مع الله، لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبر عنهما بضمّ أحدهما مع الآخر إذا ضمّ إليه جعلوا مكان مع إلى أحياناً، وأحياناً تخبر عنهما بمع، فتقول الذود إلى الذود إبل، بمعنى: إذا ضممت الذود إلى الذود صارت إبلاً، فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بإلى ولم يجعلوا مكان مع إلى غير جائز أن يقال: قدم فلان وإليه مال، بمعنى: ومعه مال.

وبمثل ما قلنا في تأويل قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِي إلى اللَّهِ﴾ قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: ﴿مَنْ أَنصَارِي إلى اللَّهِ﴾ يقول: مع الله.

---

(١) أنشد صاحب «**اللسان**» البيت منسوباً إلى الكيت. قال الأزهري: الحس العطف والرقة بالفتح، وأنشد للكميت... البيت. وفي حديث قتادة رضي الله عنه: إن المؤمن ليحس للمنافق: أي يأوي له ويتوجع. وحسست له بالفتح والكسر أحس: أي رققت له.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: مع الله.

وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين، فإن بين أهل العلم فيه اختلافاً، فقال بعضهم: كان سبب ذلك ما:

حدثني به موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: لما بعث الله عيسى، فأمره بالدعوة، نفته بنو إسرائيل وأخرجوه، فخرج هو وأمه يسيحون في الأرض، فنزل في قرية على رجل، فضافهم وأحسن إليهم، وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد، فجاء ذلك الرجل يوماً وقد وقع عليه همّ وحزن، فدخل منزله ومريم عند امرأته، فقالت مريم لها: ما شأن زوجك أراه حزيناً؟ قالت: لا تسألي، قالت: أخبريني لعلّ الله يفرّج كربته، قالت: فإن لنا ملكاً يجعل على كل رجل منا يوماً يطعمه هو وجنوده، ويسقيهم من الخمر، فإن لم يفعل عاقبه، وإنه قد بلغت نوبته اليوم الذي يريد أن نصنع له فيه، وليس لذلك عندنا سعة، قالت: فقولي له: لا يهتمّ، فإني آمر ابني فيدعو له، فيكفى ذلك، قالت مريم لعيسى في ذلك، قال عيسى: يا أمه إني إن فعلت كان في ذلك شرّ، قالت: فلا تبال، فإنه قد أحسن إلينا وأكرمنا، قال عيسى: فقولي له: إذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني، قال: فلما ملأهنّ أعلمه، فدعا الله، فتحوّل ما في القدور لحماً ومرقاً وخبزاً، وما في الخوابي خمراً لم ير الناس مثله قط وإياه طعاماً؛ فلما جاء الملك أكل، فلما شرب الخمر سأل من أين هذه الخمر؟ قال له: هي من أخرى كذا وكذا، قال الملك: فإن خمري أوتي بها من تلك الأرض فليس هي مثل هذه، قال: هي من أرض أخرى؛ فلما خلط على الملك اشتدّ عليه، قال: فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، وإنه دعا الله، فجعل الماء خمراً، قال الملك، وكان له ابن يريد أن يستخلفه، فمات قبل ذلك بأيام، وكان أحبّ الخلق إليه، فقال: إن رجلاً دعا الله حتى جعل الماء خمراً، ليستجابنّ له حتى يحيي ابني، فدعا عيسى فكلمه، فسأله أن يدعو الله فيحيي ابنه، فقال عيسى: لا تفعل، فإنه إن عاش كان شرًا، فقال الملك: لا أبالي، أليس أراه، فلا أبالي ما كان، فقال عيسى عليه السلام: فإن أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب أينما شئنا، قال الملك: نعم، فدعا الله، فعاش الغلام؛ فلما رآه أهل مملكته قد عاش، تنادوا بالسلاح، وقالوا: أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه، فاقتتلوا، وذهب عيسى وأمه، وصحبهما يهودي، وكان مع اليهودي رغيفان، ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: شاركني، فقال اليهودي: نعم، فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيب ندم؛ فلما نام جعل اليهودي يريد أن يأكل الرغيف، فلما أكل لقمة قال له عيسى: ما تصنع؟ فيقول: لا شيء، فيطرحها، حتى فرغ من الرغيف كله؛ فلما أصبحا قال له عيسى: هلم طعامك، فجاء برغيف، فقال له عيسى: أين الرغيف الآخر؟ قال: ما كان معي إلا واحد، فسكت عنه عيسى، فانطلقوا، فمرّوا براعي غنم، فنادى عيسى، يا صاحب

الغنم أجزرنا شاة من غنمك، قال: نعم، أرسل صاحبك يأخذها، فأرسل عيسى اليهودي، فجاء بالشاة، فذبحوها وشووها، ثم قال لليهودي: كل ولا تكسرنّ عظماً! فأكلا، فلما شبعوا قذف عيسى العظام في الجلد، ثم ضربها بعصاه وقال: قومي بإذن الله، فقامت الشاة تثغو، فقال: يا صاحب الغنم خذ شاتك، فقال له الراعي: من أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم، قال: أنت الساحر، وفرّ منه. قال عيسى لليهودي: بالذي أحيا هذه الشاة بعد ما أكلناها كم كان معك رغيفاً؟ فحلف ما كان معه إلا رغيف واحد، فمرّوا بصاحب بقر، فنادى عيسى، فقال: يا صاحب البقر أجزرنا من بقرك هذه عجلاً! قال: ابعث صاحبك يأخذه، قال: انطلق يا يهودي فجيء به، فانطلق فجاء به، فذبحه وشواه، وصاحب البقر ينظر، فقال له عيسى: كل ولا تكسرنّ عظماً. فلما فرغوا قذف العظام في الجلد، ثم ضربه بعصاه، وقال: قم بإذن الله! فقام وله خوار، قال: خذ عجلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى، قال: أنت السحّار. ثم فرّ منه، قال اليهودي: يا عيسى أحييته بعد ما أكلناه، قال عيسى: فبالذي أحيا الشاة بعد ما أكلناها، والعجل بعد ما أكلناه، كم كان معك رغيفاً؟ فحلف بالله ما كان معه إلا رغيف واحد؛ فانطلقا حتى نزلا قرية، فنزل اليهودي أعلاها، وعيسى في أسفلها، وأخذ اليهودي عصا مثل عصا عيسى، وقال: أنا الآن أحيي الموتى، وكان ملك تلك المدينة مريضاً شديد المرض، فانطلق اليهودي ينادي: من يبتغي طبيباً؟ حتى أتى ملك تلك القرية، فأخبر بوجعه، فقال: أدخلوني عليه فأنا أبرئه، وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه، فقيل له: إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك، ليس من طبيب يداويه، ولا يُفيءُ دواؤه شيئاً إلا أمر به فصلب، قال: أدخلوني عليه فإني سأبرئه، فأدخل عليه، فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات، فجعل يضربه بعصاه وهو ميت، ويقول: قم بإذن الله، فأخذ ليصلب، فبلغ عيسى، فأقبل إليه وقد رفع على الخشبة، فقال: أرأيتم إن أحييت لكم صاحبكم أتتركون لي صاحبي؟ قالوا: نعم، فأحيا الله الملك لعيسى، فقام وأنزل اليهودي، فقال: يا عيسى أنت أعظم الناس عليّ منة، والله لا أفارقك أبداً، قال عيسى ـ فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى، قال: ثنا أحمد بن المفضل قال أسباط، عن السدي ـ لليهودي: أنشدك بالذي أحيا الشاة والعجل بعد ما أكلناهما، وأحيا هذا بعد ما مات، وأنزلك من الجذع بعد ما رفعت عليه لتصلب كم كان معك رغيفاً، قال: فحلف بهذا كله ما كان معه إلا رغيف واحد، قال: لا بأس، فانطلقا حتى مرّا على كنز قد حفرته السباع والدوابّ، فقال اليهودي يا عيسى: لمن هذا المال، قال عيسى: دعه، فإن له أهلاً يهلكون عليه، فجعلت نفس اليهودي تطلع إلى المال، ويكره أن يعصي عيسى، فانطلق مع عيسى ومرّ بالمال أربعة نفر؛ فلما رأوه، اجتمعوا عليه، فقال اثنان لصاحبيهما: انطلقا فابتاعا لنا طعاماً وشراباً ودوابّ نحمل عليها هذا المال، فانطلق الرجلان فابتاعا دوابّ وطعاماً وشراباً، وقال

(١) ثغت الشاة والعنز والظبية تثغو ثغاء: صاحت.

أحدهما لصاحبه: هل لك أن نجعل لصاحبينا في طعامهما سماً، فإذا أكلا ماتا، فكان المال بيني وبينك، فقال الآخر نعم، ففعلا، وقال الآخران: إذا ما أتيانا بالطعام، فليقم كل واحد إلى صاحبه فيقتله، فيكون الطعام والدوابّ بيني وبينك، فلما جاءا بطعامهما قاما فقتلاهما، ثم قعدا على الطعام، فأكلا منه فماتا، وأُعلم ذلك عيسى، فقال لليهودي: أخرجه حتى نقتسمه، فأخرجه فقسمه عيسى بين ثلاثة، فقال اليهودي: يا عيسى اتق الله ولا تظلمني، فإنما هو أنا وأنت، ما هذه الثلاثة؟ قال له عيسى هذا لي، وهذا لك، وهذا الثلث لصاحب الرغيف، قال اليهودي: فإن أخبرتك بصاحب الرغيف تعطيني هذا المال؟ فقال عيسى: نعم، قال أنا هو، قال: عيسى: خذ حظي وحظك وحظّ صاحب الرغيف، فهو حظك من الدنيا والآخرة؛ فلما حمله مشى به شيئاً، فخسف به، وانطلق عيسى ابن مريم، فمرّ بالحواريين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟ فقالوا: نصطاد السمك، فقال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس؟ قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم، فآمنوا به، وانطلقوا معه، فذلك قول الله عزّ وجلّ: **﴿مَنْ أَنصَارِي إِلى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا باللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي من عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: **﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلى اللَّهِ﴾**... الآية، قال: استنصر فنصره الحواريون وظهر عليهم.

وقال آخرون: كان سبب استنصار عيسى من استنصر، لأن من استنصر الحواريين عليه كانوا أرادوا قتله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: **﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ﴾** قال: كفروا وأرادوا قتله، فذلك حين استنصر قومه، قال: **﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلى اللَّهِ قالَ الحَوارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾**.

والأنصار: جمع نصير، كما الأشراف جمع شريف، والأشهاد جمع شهيد. وأما الحواريون، فإن أهل التأويل اختلفوا في السبب الذي من أجله سموا حواريين، فقال بعضهم: سموا بذلك لبياض ثيابهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: مما روى أبي، قال: ثنا قيس بن الربيع، عن ميسرة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: إنما سموا الحواريين ببياض ثيابهم.

وقال آخرون: سموا بذلك لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن أبي أرطاة، قال: الحواريون: الغسالون، الذين يحوّرون الثياب يغسلونها.

وقال آخرون: هم خاصة الأنبياء وصفوتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن روح بن القاسم، أن قتادة ذكر رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ، فقال: كان من الحواريين، فقيل له: من الحواريون؟ قال: الذين تصلح لهم الخلافة.

حدثت عن المنجاب، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا بشر، عن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك في قوله: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ قال: أصفياء الأنبياء.

وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى الحواريين قول من قال: سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسالين، وذلك أن الحور عند العرب: شدة البياض، ولذلك سمي الحُوَّارَى من الطعام حُوَّارَى لشدة بياضه، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين أحور، وللمرأة حوراء، وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذي ذكرنا من تبييضهم الثياب، وأنهم كانوا قصارين، فعرفوا بصحبة عيسى واختياره إياهم لنفسه أصحاباً وأنصاراً، فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل، حتى صار كل خاصة للرجل من أصحابه وأنصاره حواريه؛ ولذلك قال النبيّ ﷺ: «لِكُلّ نَبِيّ حَوَارِيّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ» يعني خاصته. وقد تسمي العرب النساء اللواتي مساكنهن القرى والأمصار حواريات، وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن، ومن ذلك قول أبي جَلْدَةَ اليشكُرِي:

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلاَ تَبْكِنَا إلاَّ الكِلابُ النَوَابِحُ

ويعني بقوله: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ قال: هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من تبييضهم الثياب: آمنا بالله، صدّقنا بالله، واشهد أنت يا عيسى بأننا مسلمون. وهذا خبر من الله عزّ وجلّ أن الإسلام دينه الذي ابتعث به عيسى والأنبياء قبله، لا النصرانية ولا اليهودية، وتبرئة من الله لعيسى ممن

---

(١) في الأصل: إن لكل نبي حواري. وفي مسلم: لكل نبي حواري.

(٢) البيت لأبي جلدة اليشكري، كما في «اللسان» (حور) قال: الحوراء: البيضاء، لا يقصد بذلك حور عينها. والأعراب تسمى نساء الأمصار: حواريات، لبياضهن وتباعدهن عن قشف الأعراب بنظافتهن، قال أبو جلدة.... البيت..... ثم قال: والحواريات من النساء: النقيات الألوان والجلود لبياضهن.

انتحل النصرانية ودان بها، كما برأ إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام، وذلك احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ على وفد نجران. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنهُمُ الكُفرَ**﴾ والعدوان، ﴿**قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلى اللَّهِ قالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾ وهذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم، واشهد بأنا مسلمون، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه، يعني وفد نصارى نجران.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

وهذا خبر من الله عزّ وجلّ عن الحواريين أنهم قالوا: ﴿**ربنا آمَنَّا**﴾ أي صدّقنا﴿**بما أنزلت**﴾ يعني: بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك﴿**وَاتَّبَعْنا الرَّسُولَ**﴾ يعني بذلك: صرنا أتباع عيسى على دينك الذي ابتعثته به وأعوانه، على الحقّ الذي أرسلته به إلى عبادك. وقوله: ﴿**فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ يقول: فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحقّ، وأقرّوا لك بالتوحيد، وصدّقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك، فاجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك، وأحلنا محلهم، ولا تجعلنا ممن كفر بك، وصدّ عن سبيلك، وخالف أمرك ونهيك، يعرّف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضي أقوالهم وأفعالهم، ليحتذوا طريقهم، ويتبعوا منهاجهم، فيصلوا إلى مثل الذي وصلوا إليه من درجات كرامته، ويكذّب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة في دعواهم على أنبياء الله أنهم كانوا على غيرها، ويحتجّ به على الوفد الذين حاجوا رسول الله ﷺ من أهل نجران بأنه قيل من رضي الله عنه من أتباع عيسى كان خلاف قيلهم، ومنهاجهم غير منهاجهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ أي هكذا كان قولهم وإيمانهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل، وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحسّ منهم الكفر، وكان مكرهم الذي وصفهم الله به، مواطأة بعضهم بعضاً على الفتك بعيسى وقتله، وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد إخراج قومه إياه وأمه من بين أظهرهم عاد إليهم، فيما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ثم إن عيسى سار بهم: يعني بالحواريين الذين كانوا يصطادون السمك، فآمنوا به واتبعوه إذ دعاهم حتى أتى بني إسرائيل ليلاً فصاح فيهم، فذلك قوله: ﴿**فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ**﴾... الآية.

وأما مكر الله بهم فإنه فيما ذكر السديّ: إلقاؤه شبه عيسى على بعض أتباعه، حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله عزّ وجلّ عيسى قبل ذلك. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ثم إن بني إسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلاً من الحواريين في بيت، فقال عيسى لأصحابه: من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة، فأخذها رجل منهم، وصُعِد بعيسى إلى السماء، فذلك قوله: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾. فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء، فجعلوا يعدّون القوم فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدّة، ويرون صورة عيسى فيهم فشكُّوا فيه، وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى، وصلبوه، فذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾.

وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه إياهم ليبلغ الكتاب أجله، كما قد بينا ذلك في قول الله: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم، إذ قال الله جل ثناؤه: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ ف «إذ» صلة من قوله: ﴿**وَمَكَرَ اللَّهُ**﴾ يعني: ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ فتوفاه ورفعه إليه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في هذه الآية، فقال بعضهم: هي وفاة نوم، وكان معنى الكلام على مذهبهم: إني مُنِيمُك، ورافعك في نومك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ قال: يعني وفاة المنام: رفعه الله في منامه. قال الحسن: قال رسول

الله ﷺ لليهود: «إِنَّ عِيسَى لَمْ يَمُتْ، وَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ».

وقال آخرون: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض، فرافعك إليّ، قالوا: ومعنى الوفاة: القبض، لما يقال: توفيت من فلان ما لي عليه، بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا: فمعنى قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾: أي قابضك من الأرض حياً إلى جواري، وآخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق في قول الله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قال: متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قال: متوفيك من الأرض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: فرفعه إياه إليه، توفيه إياه، وتطهيره من الذين كفروا.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح أن كعب الأحبار، قال: ما كان الله عزّ وجلّ ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذّبه، شكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ، فأوحى الله إليه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وليس من رفعته عندي ميتاً، وإني سأبعثك على الأعور الدجال، فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحيّ. قال كعب الأحبار: وذلك يصدّق حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «كيفَ تَهلِكُ أمةٌ أنَا فِي أوَّلِهَا، وَعِيسَى فِي آخِرِهَا؟».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: يا عيسى إني متوفيك: أي قابضك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: متوفيك: قابضك، قال: ومتوفيك ورافعك واحد. قال: ولم يمت بعد حتى يقتلَ الدجال، وسيموت، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ قال: رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً، قال: وينزل كهلاً.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قول الله عزّ

وجلّ: ﴿يا عِيسَى إنّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ﴾ . . . الآية كلها، قال: رفعه الله إليه، فهو عنده في السماء.

وقال آخرون: معنى ذلك: إني متوفيك وفاة موت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يقول: إني مميتك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني أنه قال: توفى الله عيسى ابن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: إذ قال الله يا عيسى، إني رافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا. وقال: هذا من المقدّم الذي معناه التأخير، والمؤخر الذي معناه التقديم.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الدَّجّالَ» ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الأرْض مُدَّةً ذَكَرَها اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن مسلم الزهري، عن حنظلة بن عليّ الأسلميّ، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيُهْبِطَنَّ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً وَإمَاماً مُقْسِطاً، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، وَيُفِيضُ المالُ حتى لا يَجِدَ مَنْ يَأْخُذُهُ، وَلَيَسْلُكَنَّ الرَّوْحَاءَ حاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً، أَوْ يَدِينُ بِهِمَا جَمِيعاً».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنْبِيَاءُ إخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أمَّهاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأنا أوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإنَّهُ خَلِيفَتِي على أُمَّتِي، وإنَّهُ نَازِلٌ فَإذَا رَأيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعُ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ سَبْطُ الشَّعْرِ كأنَّ شَعْرَهُ يَقْطُرُ، وَإنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيُفِيضُ المَالُ، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ على الإسْلاَمِ حتى يُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ المِلَلَ كُلَّها،

وَيُهْلِكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ مَسِيحَ الضَّلاَلَةِ الكَذَّابَ الدَّجَّالَ وَتَقَعُ فِي الأرْضِ الأمَنَةُ حتى تَرْتَعَ الأسُودُ مَعَ الإبِلِ، وَالنَّمِرُ مَعَ البَقَرِ، وَالذِّئابُ مَعَ الغَنَمِ، وَتَلْعَبُ الغِلْمَانُ بالحَيَّاتِ، لاَ يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَيَثْبُتُ فِي الأرْضِ أرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي المُسْلِمُونَ عَلَيْهِ وَيَدْفِنُونَهُ».

قال أبو جعفر: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عزّ وجلّ لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله عزّ وجلّ إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

فتأويل الآية إذاً: قال الله لعيسى: يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا، فجحدوا نبوتك. وهذا الخبر وإن كان مخرجه مخرج خبر، فإن فيه من الله عز وجل احتجاجاً على الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى من وفد نجران، بأن عيسى لم يقتل ولم يصلب كما زعموا، وأنهم واليهود الذين أقروا بذلك وادعوا على عيسى كَذِبَةً في دعواهم وزعمهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير ثم أخبرهم ـ يعني الوفد من نجران ـ وردّ عليهم فيما أخبروا هم واليهود بصلبه، كيف رفعه وطهره منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

وأما مطهرك من الذين كفروا، فإنه يعني منظّفك، فمخلّصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل غيرها. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: إذ همّوا منك بما همّوا.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن، في قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: طهره من اليهود والنصارى والمجوس، ومن كفار قومه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وجاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الإسلام وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك، وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل، فكذبوا بما جئت به، وصدوا عن الإقرار به، فمصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيامَةِ﴾ هم أهل الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته

فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ قال: ناصر من اتبعك على الإسلام على الذين كفروا إلى يوم القيامة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ أما الذين اتبعوك، فيقال: هم المؤمنون وليس هم الروم.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفيّ، عن عباد، عن الحسن: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ قال: جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، قال: المسلمون من فوقهم، وجعلهم أعلى ممن ترك الإسلام إلى يوم القيامة.

وقال آخرون: ومعنى ذلك: وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: الذين كفروا من بني إسرائيل. ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ قال: الذين آمنوا به من بني إسرائيل وغيرهم، ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ النصارى فوق اليهود إلى يوم القيامة، قال: فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب، هم في البلدان كلها مستذلّون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فأحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿ثمّ إليّ﴾ ثم إلى الله أيها المختلفون في عيسى، ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ يعني مصيركم يوم القيامة، ﴿فأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ يقول: فأقضي حينئذٍ بين جميعكم في أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون من أمره. وهذا من الكلام الذي صرف من الخبر عن الغائب إلى المخاطبة، وذلك أن قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ إنما قصد به الخبر عن متبعي عيسى والكافرين به.

وتأويل الكلام: وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إليّ مرجع

الفريقين: الذين اتبعوك، والذين كفروا بك، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون. ولكن ردّ الكلام إلى الخطاب لسُبُوقِ القول على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذي يخرج عل وجه الحكاية، كما قال: ﴿حتى إِذَا كُنتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فأما الذين جحدوا نبوّتك يا عيسى، وخالفوا ملتك، وكذّبوا بما جئتهم به من الحقّ، وقالوا فيك الباطل، وأضافوك إلى غير الذي ينبغي أن يضيفوك إليه من اليهود والنصارى، وسائر أصناف الأديان؛ فإني أعذّبهم عذاباً شديداً؛ أما في الدنيا فبالقتل والسباء والذلة والمسكنة؛ وأما في الآخرة، فبنار جهنم خالدين فيها أبداً. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول: وما لهم من عذاب الله مانع، ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوّة ولا شفاعة، لأنه العزيز ذو الانتقام.

وأما قوله: ﴿وأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بك يا عيسى، يقول: صدّقوك فأقرّوا بنبوّتك، وبما جئتهم به من الحقّ من عندي، ودانوا بالإسلام الذي بعثتك به، وعملوا بما فرضت من فرائضي على لسانك، وشرعت من شرائعي، وسننت من سنني. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: أدوا فرائضي، فيوفيهم أجورهم، يقول: فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملاً لا يبخسون منه شيئاً ولا ينقصونه.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه يعني: والله لا يحبّ من ظلم غيره حقاً له، أو وضع شيئاً في غير موضعه. فنفى جلّ ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده، فيجازي المسيء ممن كفر جزاء المحسنين ممن آمن به، أو يجازي المحسن ممن آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه، جزاء المسيئين ممن كفر به وكذّب رسله وخالف أمره ونهيه، فقال: إني لا أحبّ الظالمين، فكيف أظلم خلقي.

وهذا القول من الله تعالى ذكره، وإن كان خرج مخرج الخبر، كأنه وعيد منه للكافرين به وبرسله، ووعد منه للمؤمنين به وبرسله، لأنه أعلم الفريقين جميعاً أنه لا يبخس هذا المؤمن حقه، ولا يظلم كرامته، فيضعها فيمن كفر به، وخالف أمره ونهيه، فيكون لها بوضعها في غير أهلها ظالماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ذلك هذه الأنباء التي أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمه مريم، وأمها حنة، وزكريا وابنه يحيى، وما قصّ من أمر الحواريين، واليهود من بني إسرائيل؛ نتلوها عليك يا محمد، يقول: نقرؤها عليك يا محمد، على لسان جبريل عليه السلام، بوحينا اياها إليك﴿مِنَ الآياتِ﴾ يقول: من العبر والحجج، على من حاجك من وفد نصارى نجران ويهود بني إسرائيل، الذين كذّبوك، وكذّبوا ما جئتهم به من الحقّ من عندي. ﴿والذِّكر﴾ يعني: والقرآن﴿الحَكِيم﴾ يعني: ذي الحكمة الفاصلة بين الحقّ والباطل، وبينك وبين ناسبي المسيح إلى غير نسبه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحقّ، الذي لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى، وعما اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلن خبراً غيره.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآياتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ﴾ قال: القرآن.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿وَالذِّكْرِ﴾ يقول: القرآن الحكيم الذي قد كمل في حكمته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل ـ فأخبرْ به يا محمد الوفد من نصارى نجران ـ عندي كشبه آدم الذي خلقته من تراب، ثم قلت له كن فكان، من غير فحل، ولا ذكر، ولا أنثى. يقول: فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، فكان لحماً، يقول: وأمري إذ أمرته أن يكون فكان، فكذلك خلقي عيسى أمرته أن يكون فكان.

وذكر أهل التأويل أن الله عزّ وجلّ أنزل هذه الآية احتجاجاً لنبيه ﷺ على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عامر، قال: كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولاً، فكانوا يجادلون النبيّ ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية في سورة آل عمران: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** إلى قوله: **﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ على الكاذِبِينَ﴾**.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**، وذلك أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال: «مَنْ هُوَ؟» قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد الله، فقال محمد: «أَجَلْ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ». قالوا له: فهل رأيت مثل عيسى، أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل عليه السلام بأمر ربنا السميع العليم، فقال: قل لهم إذا أتوك: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾**. . . إلى آخر الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**: ذكر لنا أن سيدي أهل نجران وأسقفيهم، السيد والعاقب، لقيا نبيّ الله ﷺ، فسألاه عن عيسى؟ فقالا: كل آدميّ له أب فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه الآية: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾** لما بعث رسول الله ﷺ، وسمع به أهل نجران، أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم، منهم: العاقب، والسيد، وماسرجس، وماريحز، فسألوه ما يقول في عيسى؟ فقال: هو عبد الله وروحه وكلمته، قالوا هم: لا، ولكنه هو الله، نزل من ملكه، فدخل في جوف مريم، ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط إنساناً خلق من غير أب؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**. قال: نزلت في العاقب والسيد من أهل نجران، وهما نصرانيان. قال ابن جريج: بلغنا أن نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبيّ ﷺ، فيهم السيد والعاقب، وهما يومئذٍ سيدا أهل نجران، فقالوا: يا محمد فيم تشتم صاحبنا؟ قال: «مَنْ صَاحِبُكُما؟» قالا: عيسى ابن مريم، تزعم أنه عبد. قال رسول الله ﷺ: «أَجَلْ

إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»، فغضبوا وقالوا: إن كنت صادقاً، فأرنا عبداً يحيي الموتى، ويبرىء الأكمه، ويخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه، الآية... لكنه الله! فسكت حتى أتاه جبريل، فقال: يا محمد ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾... الآية، فقال رسول الله ﷺ: «يا جِبْرِيلُ إِنَّهُمْ سألُونِي أنْ أُخْبِرَهُمْ بِمَثَلِ عِيسَى». قال جبريل: مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. فلما أصبحوا عادوا، فقرأ عليهم الآيات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فاسمع! ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾. فإن قالوا: خلق عيسى من غير ذكر، فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة، من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحماً ودماً وشعراً وبشراً، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ قال: أتى نجرانيان إلى رسول الله ﷺ فقالا له: هل علمت أن أحداً ولد من غير ذكر فيكون عيسى كذلك؟ قال: فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أكان لآدم أب أو أم، كما خلقت هذا في بطن هذه؟

فإن قال قائل: فكيف قال: «كمثل آدم خلقه»، وآدم معرفة، والمعارف لا توصل؟ قيل: إن قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ غير صلة لآدم، وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه وكيف كان.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإنما قال: «فيكون»، وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم، وذلك خبر عن أمر قد تقضى، وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى، فقال جل ثناؤه: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾، لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيه أن تكوينه الأشياء بقوله: ﴿كُنْ﴾، ثم قال: «فيكون» خبراً مبتدأ، وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله: «كن».

فتأويل الكلام إذاً: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب، ثم قال له كن؛ واعلم يا محمد أن ما قال له ربك: كن، فهو كائن. فلما كان في قوله: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبيّ الله ﷺ وسائر خلقه أنه كائن ما كوّنه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر، استغنى بدلالة الكلام على المعنى، وقيل: فيكون، فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى. وقد قال بعض أهل العربية: فيكون رفع على الابتداء ومعناه: كن فكان، فكأنه قال: فإذا هو كائن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: الذي أنبأتك به من خبر عيسى، وأن مثله كمثل آدم خلقه من تراب. ثم قال له ربه: كن هو الحقّ من ربك، يقول: هو الخبر الذي هو من عند ربك؛ ﴿فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْترينَ﴾ يعني: فلا تكن من الشاكين في أن ذلك كذلك. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ يعني فلا تكن في شكّ من عيسى أنه كمثل آدم عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ يقول: فلا تكن في شكّ مما قصصنا عليك أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمة منه وروح، وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ ما جاءك من الخبر عن عيسى، ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾: أي قد جاءك الحقّ من ربك فلا تمتر فيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلاَ تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ قال: والممترون: الشاكون.

والمرية والشكّ والريب واحد سواء كهيئة ما تقول: أعطني وناولني وهلمّ، فهذا مختلف في الكلام وهو واحد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ﴾: فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى ابن مريم. والهاء في قوله: ﴿فِيهِ﴾ عائدة على ذكر عيسى، وجائز أن تكون عائدة على الحقّ الذي قال تعالى ذكره: ﴿الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾. ويعني بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْم﴾: من بعد ما جاءك من العلم الذي قد بينته لك في عيسى أنه عبد الله. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ هلموا فلندع أبناءنا

وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ﴿ثم نَبْتَهِلْ﴾ يقول: ثم نلتعن، يقال في الكلام: ما له بَهَلَهَ الله! أي لعنه الله، وما له عليه بُهْلَة الله! يريد اللعن. وقال لَبيد، وذكر قوماً هلكوا، فقال:

نَـظَـرَ الـدَّهْـرُ إِلَـيْـهِـمْ فَـابْـتَـهَـلْ[1]

يعني دعا عليهم بالهلاك. ﴿فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ منا ومنكم في آية عيسى. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْم﴾: أي في عيسى أنه عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿على الكاذِبِينَ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾: أي من بعد ما قصصت عليك من خبره، وكيف كان أمره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾... الآية.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾ يقول: من حاجك في عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ على الكاذِبِينَ﴾ قال: منا ومنكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: وثني ابن لهيعة، عن سليمان بن زياد الحضرمي عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ نَجْرَانَ حِجاباً فَلا أَرَاهُمْ وَلا يَرَوْنِي» من شدّة ما كانوا يمارون النبيّ ﷺ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: إن هذا الذي أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى، فقصصته عليك من أنبائه، وأنه عبدي ورسولي، وكلمتي ألقيتها إلى مريم، وروح مني، ﴿لَهُوَ القَصَصُ﴾ والنبأ ﴿الحَقُّ﴾ فاعلم ذلك، واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبده وهو الله العزيز الحكيمُ.

---

(١) هذا عجز بيت للبيد، وصدره: «في قروم سادة من قومه» ديوانه (ص ـ ١٧) طبعة ليدن سنة ١٨٩١.

ويعني بقوله﴿**العَزِيزُ**﴾: العزيز في انتقامه ممن عصاه، وخالف أمره، وادّعى معه إلهاً غيره، أو عبد رباً سواه، ﴿**الحَكِيمُ**﴾ في تدبيره، لا يدخل ما دبره وهْن ولا يلحقه خلل. ﴿**فإنْ تَوَلَّوْا**﴾ يعني فإن أدبر هؤلاء الذين حاجوك في عيسى عما جاءك من الحقّ من عند ربك في عيسى وغيره، من سائر ما آتاك الله من الهدى والبيان، فأعرضوا عنه، ولم يقبلوه؛ ﴿**فإنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالمُفْسِدِينَ**﴾، يقول: فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم، ويعملون في أرضه وبلاده بما نهاهم عنه، وذلك هو إفسادهم، يقول تعالى ذكره: فهو عالم بهم وبأعمالهم، يحصيها عليهم ويحفظها حتى يجازيهم عليها جزاءهم.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿**إنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ**﴾ أي إن هذا الذي جئت به من الخبر عن عيسى، لهو القصص الحقّ من أمره.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**إنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ**﴾. إن هذا الذي قلنا في عيسى لهو القصص الحقّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**إنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ**﴾ قال: إن هذا القصص الحقّ في عيسى، ما ينبغي لعيسى أن يتعدّى هذا، ولا يجاوز أن يتعدى أن يكون كلمة الله ألقاها إلى مريم وروحاً منه وعبد الله ورسوله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**إنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ**﴾: إن هذا الذي قلنا في عيسى هو الحقّ﴿**وَمَا مِنْ إلَهٍ إلاَّ اللَّهُ**﴾... الآية.

فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد ﷺ وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل أمره ـ إن هم تولوا عما دعاهم إليه من الإقرار بوحدانية الله، وأنه لا ولد له ولا صاحبة، وأن عيسى عبده ورسوله وأبوا إلا الجدل والخصومة ـ أن يدعوهم إلى الملاعنة، ففعل ذلك رسول الله ﷺ. فلما فعل ذلك رسول الله ﷺ انخذلوا، فامتنعوا من الملاعنة ودعوا إلى المصالحة، كالذي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن عامر، قال: فأمر ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ بملاعنتهم ـ يعني بملاعنة أهل نجران ـ بقوله: ﴿**فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ**

العِلْم﴾... الآية. فتواعدوا أن يلاعنوه، وواعدوه الغد، فانطلقوا إلى السيد والعاقب، وكانا أعقلهم فتابعاهم، فانطلقوا إلى رجل منهم عاقل، فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله ﷺ فقال: ما صنعتم! وندّمهم، وقال لهم: إن كان نبياً ثم دعا عليكم لا يغضبه الله فيكم أبداً، ولئن كان ملكاً فظهر عليكم لا يستبقيكم أبداً. قالوا: فكيف لنا وقد واعدنا؟ فقال لهم: إذا غدوتم إليه فعرض عليكم الذي فارقتموه عليه، فقولوا: نعوذ بالله! فإن دعاكم أيضاً، فقولوا له: نعوذ بالله! ولعله أن يعفيكم من ذلك. فلما غدوا، غدا النبيّ ﷺ محتضناً حَسَناً آخذاً بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه، فدعاهم إلى الذي فارقوه عليه بالأمس، فقالوا: نعوذ الله! ثم دعاهم، فقالوا: نعوذ بالله! مراراً. قال: «فإنْ أبَيْتُمْ فأسْلِمُوا، وَلَكُمْ ما لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكُمْ ما على المُسْلِمينَ، كما قال الله عزَّ وجلّ؛ فإنْ أبَيْتُمْ فأعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وأنْتُمْ صَاغِرُونَ، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ»، قالوا: ما نملك إلا أنفسنا. قال: «فإنْ أبَيْتُمْ فَإنّي أنْبِذُ إلَيْكُمْ عَلى سَوَاءٍ، كما قال الله عزّ وجلّ»، قالوا: ما لنا طاقة بحرب العرب، ولكن نؤدّي الجزية. قال: فجعل عليهم في كل سنة ألفي حلة، ألفاً في رجب وألفاً في صفر. فقال النبيّ ﷺ: «قَدْ أتانِي البَشِيرُ بِهَلَكَةِ أهْلِ نَجْرَانَ حتى الطَّيْرُ على الشَّجَرِ أوِ العَصَافِيرُ عَلى الشَّجَرِ، لو تَمّوا على المُلاعَنَة». حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، قال: فقلت للمغيرة: إن الناس يرون في حديث أهل نجران أن علياً كان معهم! فقال: أما الشعبي فلم يذكره، فلا أدري لسوء رأي بني أمية في عليّ، أو لم يكن في الحديث[1].

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿إنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾** إلى قوله: **﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ﴾** فدعاهم إلى النَّصَف وقطع عنهم الحجة. فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله عنه، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمره بما أمره به من ملاعنتهم، إن ردّوا عليه؛ دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح ما ترى؟ قال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً نبيّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم زمنٌ رأيه. فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن زيد بن عليّ في

---

(١) القصة عند مسلم في صحيحه بذكر علي رضي الله عنه.

قوله: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنا وأَبْناءَكُمْ﴾... الآية. قال: كان النبيّ ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السدي: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْم﴾... الآية، فأخذ ـ يعني النبيّ ﷺ ـ بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعليّ: «اتْبَعْنَا!» فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النصارى، وقالوا: إنا نخاف أن يكون هذا هو النبيّ ﷺ، وليس دعوة النبيّ كغيرها، فتخلفوا عنه يومئذ. فقال النبيّ ﷺ: «لَوْ خَرَجُوا لاَحْتَرَقُوا». فصالحوه على صلح على أن له عليهم ثمانين ألفاً فما عجزت الدراهم ففي العروض الحلة بأربعين، وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً، وثلاثاً وثلاثين بعيراً، وأربعة وثلاثين فرساً غازية كل سنة، وأن رسول الله ﷺ ضامن لها حتى نؤديها إليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ دعا وفداً من وفد نجران من النصارى، وهم الذين حاجوه في عيسى، فنكصوا عن ذلك وخافوا. وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إنْ كانَ العَذَابُ لَقَدْ تَدَلَّى على أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَوْ فَعَلُوا لاسْتُؤْصِلُوا عَنْ جَدِيدِ الأرْضِ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ﴾ قال: بلغنا أن نبيّ الله ﷺ خرج ليلاً عن أهل نجران، فلما رأوه خرج، هابوا وفرقوا، فرجعوا. قال معمر، قال قتادة: لما أراد النبيّ ﷺ أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة: «اتْبَعِينَا»، فلما رأى ذلك أعداءُ الله رجعوا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لو خرج الذين يباهلون النبيّ ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زكريا، عن عديّ قال: ثنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لو لاعَنُونِي ما حالَ الحَوْلُ وَبِحَضْرَتِهِمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إلاَّ أَهْلَكَ اللَّهُ الكاذِبِينَ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا ابن زيد، قال: قيل لرسول الله ﷺ: لو

لاعنت القوم بمن كنت تأتي حين قلت﴿أبْناءَنا وأبْناءَكُمْ﴾؟ قال: «حَسَن وحُسَيْن».

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا المنذر بن ثعلبة، قال: ثنا علباء بن أحمر اليشكري، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أبْناءَنا وأبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ﴾ الآية، أرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين، ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود: ويحكم أليس عهدكم بالأمس إخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير؟ لا تلاعنوا! فانتهوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد لأهل الكتاب ـ وهم أهل التوراة والإنجيل ـ: ﴿تَعالَوْا﴾ هلمّوا﴿إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ﴾ يعني إلى كلمة عدل﴿بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ﴾ والكلمة العدل: هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئاً. وقوله: ﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أرْباباً﴾ يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له، كما يسجد لربه. ﴿فإنْ تَوَلَّوْا﴾ يقول: فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها، فلم يجيبوك إليها، فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك: اشهدوا بأنا مسلمون.

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في يهود بني إسرائيل الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ دعا يهود أهل المدينة إلى الكلمة السواء، وهم الذين حاجوا في إبراهيم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ دعا اليهود إلى كلمة السواء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: بلغنا أن نبيّ الله ﷺ دعا يهود أهل المدينة إلى ذلك، فأبوا عليه، فجاهدهم، قال: دعاهم إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ﴾... الآية.

وقال آخرون: بل نزلت في الوفد من نصارى نجران.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: **﴿قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾**... الآية، إلى قوله: **﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ﴾** قال: فدعاهم إلى النَّصَف، وقطع عنهم الحجة؛ يعني وفد نجران.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: ثم دعاهم رسول الله ﷺ ـ يعني الوفد من نصارى نجران ـ فقال: **﴿يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾**... الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا ابن زيد، قال: قال: يعني جل ثناؤه: **﴿إنَّ هَذا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾** ـ في عِيسَى على ما قد بيناه فيما مضى ـ قال: **﴿فأَبَوْا﴾**، يعني الوفد من نجران، فقال: ادعهم إلى أيسر من هذا، **﴿قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾**. فقرأ حتى بلغ: **﴿أرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** فأبوا أن يقبلوا هذا ولا الآخر.

وإنما قلنا: عنى بقوله: **﴿يا أهْلَ الكِتابِ﴾**: أهل الكتابين، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله: **﴿يا أهْلَ الكِتابِ﴾** بَعْضاً دون بعض، فليس بأن يكون موجهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهل التوراة بأولى منه، بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة. وإذ لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر، لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر، ولا أثر صحيح، فالواجب أن يكون كل كتابي معنياً به، لأن إفراد العبادة لله وحده، وإخلاص التوحيد له، واجب على كل مأمور منهيّ من خلق الله، وأهل الكتاب يعمّ أهل التوراة وأهل الإنجيل، فكان معلوماً بذلك أنه عني به الفريقان جميعاً.

وأما تأويل قوله: **﴿تَعالَوْا﴾** فإنه: أقبلوا وهلمّوا، وإنما هو تفاعلوا من العلوّ، فكأن القائل لصاحبه: تعالى إليّ، فإنه تفاعل من العلوّ، كما يقال: تدان مني من الدنوّ، وتقاربْ مني من القرب. وقوله: **﴿إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾** فإنها الكلمة العدل، و «السواء»: من نعت «الكلمة».

وقد اختلف أهل العربية في وجه إتباع سواء في الإعراب لكلمة، وهو اسم لا صفة، فقال بعض نحويي البصرة: جرّ سواء لأنها من صفة الكلمة: وهي العدل، وأراد مستوية. قال: ولو أراد استواء كان النصب، وإن شاء أن يجعلها على الاستواء ويجرّ جاز، ويجعله من صفة الكلمة مثل الخلق، لأن الخلق هو المخلوق، والخلق قد يكون صفة واسماً، ويجعل الاستواء مثل

المستوى، قال عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِي جَعَلْناهُ للنَّاسِ سَوَاء العاكِفُ فِيهِ وَالبادِ**﴾ لأن السواء للآخر وهو اسم ليس بصفة، فيجري على الأول وذلك إذا أراد به الاستواء، فإن أراد به مستوياً جاز أن يجري على الأول، والرفع في ذا المعنى جيد، لأنها لا تغيَّر عن حالها، ولا تثنى، ولا تجمع، ولا تؤنث، فأشبهت الأسماء التي هي مثل عدل ورضا وجنب، وما أشبه ذلك. وقال: ﴿**أنْ نَجْعَلَهُمْ كالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَوَاءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ**﴾ فالسواء للمحيا والممات بهذا المبتدإ. وإن شئت أجريته على الأوّل وجعلته صفة مقدمة، كأنها من سبب الأوّل فجرت عليه، وذلك إذا جعلته في معنى مستوي، والرفع وجه الكلام كما فسرت لك.

وقال بعض نحويي الكوفة: «سواء» مصدر وضع موضع الفعل، يعني موضع متساوية ومتساو، فمرّة يأتي عن الفعل، ومرّة على المصدر، وقد يقال في سواء بمعنى عدل: سِوًى وسُوًى، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**مَكاناً سُوًى**﴾ و «سِوًى» يراد به عدل ونصف بيننا وبينك. وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ ذلك «إلى كلمة عدل بيننا وبينكم».

وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿**إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُم**﴾ بأن السواء: هو العدل، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾: عدل بيننا وبينكم ﴿**ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ**﴾... الآية.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: ﴿**قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً**﴾ بمثله.

وقال آخرون: هو قول لا إله إلا الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال أبو العالية: كلمة السواء: لا إله إلاّ الله.

وأما قوله: ﴿**ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ**﴾ فإنَّ «أنْ» في موضع خفض على معنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله، وقد بينا معنى العبادة في كلام العرب فيما مضى، ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن إعادته.

وأما قوله: ﴿**وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أرْباباً**﴾ فإنَّ اتخاذ بعضهم بعضاً، هو ما كان بطاعة

الأتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصي الله وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله، كما قال جل ثناؤه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلهاً وَاحِداً﴾. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: ﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: لا يطع بعضنا بعضاً في معصية الله، ويقال: إن تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة، وإن لم يُصَلُّوا لهم.

وقال آخرون: اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً: سجود بعضهم لبعض.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة في قوله: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: سجود بعضهم لبعض.

وأما قوله: ﴿فَإنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فإنه يعني: فإن تولى الذين تدعونهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا، فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم: اشهدوا علينا بأنا بما توليتم عنه من توحيد الله وإخلاص العبودية له، وأنه الإلٰه الذي لا شريك له مسلمون، يعني خاضعون لله به متذللون له بالإقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا، وقد بينا معنى الإسلام فيما مضى، ودللنا عليه بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿يا أهْلَ الكِتابِ﴾: يا أهل التوراة والإنجيل﴿لِمَ تُحاجُّونَ﴾ لم تجادلون﴿فِي إبْرَاهِيمَ﴾ وتخاصمون فيه، يعني في إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه. وكان حجاجهم فيه: ادّعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم، وأنه كان يدين دين أهل نحلته، فعابهم الله عزّ وجل بادّعائهم ذلك، ودلّ على مناقضتهم ودعواهم، فقال: وكيف تدّعون أنه كان على ملتكم ودينكم، ودينكم إما يهودية أو نصرانية، واليهودي منكم يزعم أن دينه إقامة التوراة والعمل بما فيها، والنصرانيّ منكم يزعم أن دينه إقامة الإنجيل وما فيه، وهذان كتابان لم ينزلا إلا بعد حين من مَهْلك إبراهيم ووفاته، فكيف يكون منكم؟ فماوجه اختصامكم فيه وادعائكم أنه منكم، والأمر فيه على ما قد علمتم، وقيل: نزلت هذه الآية في اختصام اليهود والنصارى في إبراهيم، وادّعاء كل فريق منهم أنه كان منهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثني محمد بن إسحاق، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: **﴿يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إبْرَاهِيمَ وَما أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنْجِيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلُونَ﴾**؟ قالت النصارى: كان نصرانياً، وقالت اليهود: كان يهودياً، فأخبرهم الله أن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده، وبعده كانت اليهودية والنصرانية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: **﴿يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إبْرَاهِيمَ﴾** يقول: لم تحاجون في إبراهيم، وتزعمون أنه كان يهودياً أو نصرانياً، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، فكانت اليهودية بعد التوراة، وكانت النصرانية بعد الإنجيل أفلا تعقلون.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية في دعوى اليهود إبراهيم أنه منهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ دعا يهود أهل المدينة إلى كلمة السواء، وهم الذين حاجوا في إبراهيم، وزعموا أنه مات يهودياً. فأكذبهم الله عزّ وجلّ، ونفاهم منه، فقال: **﴿يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إبْرَاهِيمَ وَما أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإنْجِيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلا تَعْقِلُونَ﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحاجُّونَ فِي إبْراهِيمَ﴾** قال: اليهود والنصارى برأه الله عزّ وجلّ منهم حين ادَّعَتْ كل أمة أنه منهم، وألحق به المؤمنين من كان من أهل الحنيفية.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وأما قوله: **﴿أفَلا تَعْقِلُونَ﴾** فإنه يعني: أفلا تعقلون: تفقهون خطأ قيلكم إن إبراهيم كان

يهودياً أو نصرانياً، وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين؟.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿هَٰأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿**ها أَنْتُمْ**﴾ هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم، وأتتكم به رسل الله من عنده، وفي غير ذلك مما أوتيتموه، وثبتت عندكم صحته، فلم تحاجون: يقول: فلم تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم، يعني الذي لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه، ولم تجدوه في كتب الله، ولا أتتكم به أنبياؤكم، ولا شاهدتموه فتعلموه. كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**ها أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾: أما الذي لهم به علم: فما حرم عليهم وما أمروا به، وأما الذي ليس لهم به علم: فشأن إبراهيم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**ها أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾ يقول: فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم، ﴿**فَلِمَ تُحاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**﴾ فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا، والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

وقوله: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ يقول: والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله من أمر إبراهيم وغيره من الأمور، ومما تجادلون فيه، لأنه لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه علم شيء في السموات ولا في الأرض، وأنتم لا تعلمون من ذلك إلا ما عاينتم فشاهدتم، أو أدركتم علمه بالإخبار والسماع.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾

وهذا تكذيب من الله عزّ وجلّ دعوى الذين جادلوا في إبراهيم وملته من اليهود والنصارى، وادعوا أنه كان على ملتهم، وتبرئة لهم منه، وأنهم لدينه مخالفون، وقضاء منه عزّ وجلّ لأهل

الإسلام، ولأمة محمد ﷺ أنهم هم أهل دينه، وعلى منهاجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم. يقول الله عزّ وجلّ **﴿ما كانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا وَلا نَصْرَانِيًا وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَما كانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾** الذين يعبدون الأصنام والأوثان، أو مخلوقاً دون خالقه، الذي هو إله الخلق وبارئهم، **﴿وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً﴾** يعني: متبعاً أمر الله وطاعته، مستقيماً على محجة الهدى التي أمر بلزومها، **﴿مُسْلِماً﴾** يعني: خاشعاً لله بقلبه، متذللاً له بجوارحه، مذعناً لما فرض عليه وألزمه من أحكامه.

وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى الحنيف فيما مضى، ودللنا على القول الذي هو أولى بالصحة من أقوالهم بما أغنى عن إعادته.

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل، قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن شاهين الواسطي، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عامر، قال: قالت اليهود: إبراهيم على ديننا، وقالت النصارى: هو على ديننا، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿ما كانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا وَلاَ نَصْرَانِيًا﴾**... الآية. فأكذبهم الله، وأدحض حجتهم، يعني اليهود الذين ادّعوا أن إبراهيم مات يهودياً.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله - لا أراه إلا يحدّثه عن أبيه -: أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين، ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينه، وقال: إني لعلي أن أدين دينكم، فأخبرني عن دينكم! فقال له اليهودي: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفرّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا لا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يك يهودياً وَلاَ نَصرانياً، وكان لا يعبد إلا الله. فخرج من عنده، فلقي عالماً من النصارى، فسأله عن دينه، فقال: إني لعلي أن أدين دينكم، فأخبرني عن دينكم! قال: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: لا أحتمل من لعنة الله شيئاً، ولا من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا لا أستطيع، فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودي: لا أعلمه إلا أن تكون حنيفاً. فخرج من عنده، وقد رضي الذي أخبراه والذي اتفقا عليه من شأن إبراهيم، فلم يزل رافعاً يديه إلى الله وقال: اللهمّ إني أشهدك أني على دين إبراهيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ إن أحقّ الناس بإبراهيم ونصرته وولايته، ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يعني الذين سلكوا طريقه ومنهاجه، فوحدوا الله مخلصين له الدين، وسنوا سننه، وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به. ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ يعني محمداً ﷺ. ﴿والذينَ آمَنُوا﴾. يعني والذين صدّقوا محمداً، وبما جاءهم به من عند الله. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: والله ناصر المؤمنين بمحمد المصدقين له في نبوّته، وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهل الملل والأديان.

وبمثل الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل:

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ يقول: الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته، ﴿وَهَذَا النَّبِيّ﴾ وهو نبيّ الله محمد. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم المؤمنون الذين صدّقوا نبيّ الله واتبعوه، كان محمد رسول الله ﷺ والذين معه من المؤمنين أولى الناس بإبراهيم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثنا محمد بن المثنى وجابر بن الكردي والحسن بن أبي يحيى المقدسي، قالوا: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لِكُلِّ نَبِيّ وُلاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإنَّ وَلِيِّي مِنْهُمْ أبي وَخَلِيلُ رَبّي»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ المؤْمِنِينَ﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله، أراه قال عن النبيّ ﷺ، فذكر نحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس: يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم المؤمنون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَدَّتْ﴾: تمنت ﴿طائِفَةٌ﴾ يعني جماعة ﴿مِنْ أهْلِ الكِتابِ﴾ وهم أهل

التوراة من اليهود، وأهل الإنجيل من النصارى ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ يقول: لو يصدّونكم أيها المؤمنون عن الإسلام، ويردّونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر، فيهلكونكم بذلك. والإضلال في هذا الموضع: الإهلاك من قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يعني: إذا هلكنا. ومنه قول الأخطل في هجاء جرير:

كُنْتَ القَذَى فِي مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ   قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالا

يعني: هلك هلاكاً، وقول نابغة بني ذبيان:

[شع]حفآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ   وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ

يعني مهلكوه.

﴿وَما يُضِلُّونَ إلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾: وما يهلكون بما يفعلونه من محاولتهم صدّكم عن دينكم أحداً غير أنفسهم، يعني بأنفسهم: أتباعهم وأشياعهم على ملتهم وأديانهم، وإنما أهلكوا أنفسهم وأتباعهم بما حاولوا من ذلك لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخطه، واستحقاقهم به غضبه ولعنته، لكفرهم بالله، ونقضهم الميثاق الذي أخذ الله عليهم في كتابهم في اتباع محمد ﷺ وتصديقه، والإقرار بنبوّته. ثم أخبر جلّ ثناءه عنهم أنهم يفعلون ما يفعلون، من محاولة صدّ المؤمنين عن الهدى إلى الضلالة، والردى على جهل منهم، بما الله بهم محلّ من عقوبته، ومدّخر لهم من أليم عذابه، فقال تعالى ذكره: ﴿وَما يَشْعُرُونَ﴾ أنهم لا يضلون إلا أنفسهم بمحاولتهم إضلالكم أيها المؤمنون؛ ومعنى قوله: ﴿وَما يَشْعُرُونَ﴾: وما يدرون ولا يعلمون، وقد بينا تأويل ذلك بشواهده في غير هذا الموضع فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿يا أهْلَ الكِتابِ﴾ من اليهود والنصارى، ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ يقول: لِمَ تَجحدون ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني: بما في كتاب الله، الذي أنزله إليكم، على ألسن أنبيائكم من آيه وأدلته، ﴿وأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أنه حقّ من عند ربكم. وإنما هذا من الله عزّ وجلّ توبيخ لأهل الكتابين

(١) البيت في ديوان الأخطل طبع بيروت (ص ـ ٥٠). والقذى: ما يعلو الماء من الزبد والغثاء، والأتي: السيل يأتي من بلد بعيد، وفي «**البحر المحيط**» لأبي حيان (مجلد ٢ ص ـ ٤٨٩): «في موج أخضر مزبد».

(٢) البيت للنابغة الذبياني يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني ما في ديوانه انظر «**مختار الشعر الجاهلي**» (ص ـ ١٩٨) وكما في «**اللسان**» (ضل) قال: يريد بمضليه: دافنيه حين مات. وقوله: «بعين جلية»: أي بخبر صادق أنه مات. والجولان: موضع بالشام. أي دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء.

على كفرهم بمحمد ﷺ، وجحودهم نبوّته، وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم حقّ، وأنه من عند الله. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وأنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾** يقول: تشهدون أن نعت محمد نبيّ الله ﷺ في كتابكم، ثم تكفرون به وتنكرونه، ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾** يقول: تشهدون أن نعت محمد في كتابكم، ثم تكفرون به ولا تؤمنون به، وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والإنجيل النبيّ الأميّ.

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وأنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾** آيات الله: محمد، وأما تشهدون: فيشهدون أنه الحقّ يجدونه مكتوباً عندهم.

حدثنا [القاسم قال، ثنا] الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾** أن الدين عند الله الإسلام، ليس لله دين غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٧١﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: يا أهل التوراة والإنجيل، لم تلبسون، يقول: لم تخلطون الحقّ بالباطل. وكان خلطهم الحقّ بالباطل: إظهارهم بألسنتهم من التصديق بمحمد ﷺ، وما جاء به من عند الله، غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال عبد الله بن الصيّف وعديّ بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعوا عن دينهم. فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: **﴿يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بالباطِلِ﴾**... إلى قوله: **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بالباطِلِ﴾** يقول: لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام، وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره الإسلام ولا يجزي إلا به.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله، إلا أنه قال: الذي لا يقبل من أحد غيره الإسلامُ، ولم يقلْ: ولا يجزي إلا به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بالباطِلِ﴾**: الإسلام باليهودية والنصرانية.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بالباطِلِ﴾** قال: الحقّ: التوراة التي أنزل الله على موسى، والباطل: الذي كتبوه بأيديهم.

قال أبو جعفر: وقد بينا معنى اللبس فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولم تكتمون يا أهل الكتاب الحقّ؟ والحقّ الذي كتموه ما في كتبهم من نعت محمد ﷺ ومبعثه ونبوّته. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**: كتموا شأن محمد، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: **﴿وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** يقول: يكتمون شأن محمد ﷺ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: **﴿تَكْتُمُونَ الحَقَّ﴾**: الإسلام، وأمر محمد ﷺ، وأنتم تعلمون أن محمداً رسول الله، وأن الدين الإسلام.

وأما قوله: **﴿وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** فإنه يعني به: وأنتم تعلمون أن الذي تكتمونه من الحقّ حقّ، وأنه من عند الله. وهذا القول من الله عزّ وجلّ خبر عن تعمد أهل الكتاب الكفر به، وكتمانهم ما قد علموا من نبوّة محمد ﷺ، ووجدوه في كتبهم وجاءتهم به أنبياؤهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

اختلف أهل التأويل في صفة المعنى الذي أمرت به هذه الطائفة من أمرت به من الإيمان وجه النهار، والكفر آخره، فقال بعضهم: كان ذلك أمراً منهم إياهم بتصديق النبيّ ﷺ في نبوّته، وما جاء به من عند الله وأنه حقّ، في الظاهر من غير تصديقه في ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك، وبالكفر به وجحود ذلك كله في آخره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ**﴾ فقال بعضهم لبعض: أعطوهم الرضا بدينهم أوّل النهار، واكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدّقوكم، ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا معلى بن أسد، قال: ثنا خالد، عن حصين، عن أبي مالك في قوله: ﴿**آمِنُوا بِالَّذِينَ أُنْزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَه**﴾ قال: قالت اليهود: آمنوا معهم أوّل النهار، واكفروا آخره، لعلهم يرجعون معكم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَقالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ كان أحبار قرى عَرَبِيَّة اثني عشر حبراً، فقالوا لبعضهم: ادخلوا في دين محمد أول النهار، وقولوا نشهد أن محمداً حقّ صادق، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم، فحدثونا أن محمداً كاذب، وأنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكون، يقولون: هؤلاء كانوا معنا أوّل النهار، فما بالهم؟ فأخبر الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ بذلك.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن حصين، عن أبي مالك الغفاري، قال: قالت اليهود بعضهم لبعض: أسلموا أوّل النهار، وارتدّوا آخره، لعلهم يرجعون. فأطلع الله على سرّهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ آمِنُوا بالَّذِي أُنْزِلَ عَلى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾.

وقال آخرون: بل الذي أمرت به من الإيمان: الصلاة، وحضورها معهم أوّل النهار، وترك ذلك آخره.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ ﴿**آمِنُوا بالَّذِي أُنْزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ**﴾ يهود تقوله صلت

مع محمد صلاة الصبح، وكفروا آخر النهار مكراً منهم، ليرُوا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بمثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ آمِنُوا بالَّذِي أُنزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ﴾**... الآية. وذلك أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد ﷺ أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، لعلهم ينقلبون عن دينهم، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم.

فتأويل الكلام إذاً: وقالت طائفة من أهل الكتاب، يعني من اليهود الذي يقرءون التوراة: **﴿آمِنُوا﴾** صدّقوا بالذي أنزل على الذين آمنوا، وذلك ما جاءهم به محمد ﷺ من الدين الحق وشرائعه وسننه. **﴿وَجْهَ النَّهارِ﴾** يعني أوّل النهار، وسمي أوله وجهاً له لأنه أحسنه، وأوّل ما يواجه الناظر فيراه منه، كما يقال لأوّل الثوب وجهه، وكما قال ربيع بن زياد:

مَنْ كانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنا بِوَجْهِ نَهارِ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَجْهَ النَّهارِ﴾**: أوّل النهار.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿وَجْهَ النَّهارِ﴾**: أول النهار **﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾** يقول: آخر النهار.

---

(١) البيت للربيع بن زياد يقوله في مالك بن زهير العبسي كما في «**شرح التبريزي على الحماسة**» (٣/ ٢٦) وأراد بوجه نهار: صدر نهار، لأن من شأن الحزين إذا هب من النوم أن يتجدد عليه المصاب. أو هو كما قالت الخنساء.

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

تذكره أول النهار أي في وقت الغارة. وعند الغروب لأنه وقت لقاء الضيفان.
ورواه صاحب «**اللسان**» في (وجه) وقال قبله: ووجه النهار: أوله. وجئتك بوجه نهار: أي بأول نهار. ويقال: أتيته بوجه نهار، وشباب نهار: أي في أوله، ومنه قوله:....... البيت. وقيل في قوله تعالى: ﴿وجه النهار واكفروا آخره﴾: صلاة الصبح. وقيل: أول النهار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**آمِنُوا بالَّذِي أُنْزِلَ عَلى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ**﴾ قال: قال صلوا معهم الصبح، ولا تصلوا معهم آخر النهار، لعلكم تستزلونهم بذلك.

وأما قوله: ﴿**وَاكْفُرُوا آخِرَهُ**﴾ فإنه يعني به أنهم قالوا: واجحدوا ما صدَّقتم به من دينهم في وجه النهار في آخر النهار﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: يعني بذلك: لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ يقول: لعلهم يدعون دينهم، ويرجعون إلى الذي أنتم عليه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: لعلهم ينقلبون عن دينهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ لعلهم يشكون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ قال: يرجعون عن دينهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولا تصدّقوا إلا من تبع دينكم فكان يهودياً. وهذا خبر من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لإخوانهم من اليهود: ﴿**آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ**﴾. واللام التي في قوله: ﴿**لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ نظيرة اللام التي في قوله: ﴿**عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ**﴾ بمعنى: ردفكم ﴿**بَعْضُ الذي تَسْتَعْجِلُونَ**﴾.

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إلاّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ هذا قول بعضهم لبعض.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلا تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾** قال: لا تؤمنوا إلا لمن تبع اليهودية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب: قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَلا تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾** قال: لا تؤمنوا إلا لمن آمن بدينكم لا من خالفه،. فلا تؤمنوا به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ أنْ يُؤْتَى أحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ أوْ يُحاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: قوله: **﴿قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾** اعترض به في وسط الكلام خبراً من الله عن أن البيان بيانه والهدى هداه. قالوا: وسائر الكلام بعد ذلك متصل بالكلام الأوّل خبراً عن قيل اليهود بعضها لبعض. فمعنى الكلام عندهم: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو أن يحاجوكم عند ربكم: أي ولا تؤمنوا أن يحاجكم أحد عند ربكم. ثم قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ: قل يا محمد إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وإن الهدى هدى الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿أنْ يُؤْتَى أحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ﴾**: حسداً من يهود أن تكون النبوّة في غيرهم، وإرادة أن يتبعوا على دينهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: تأويل ذلك: قل يا محمد إن الهدى هدى الله، إن البيان بيان الله أن يؤتى أحد، قالوا: ومعناه: لا يؤتى أحد من الأمم مثل ما أوتيتم، كما قال: **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا﴾** بمعنى لا تضلون، وكقوله: **﴿كذلك سَلَكْناهُ في قُلُوبِ المجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** يعني: أن لا يؤمنوا**﴿مِثْلَ ما أوتِيتُمْ﴾**. يقول: مثل ما أوتيت أنت يا محمد وأمتك من الإسلام والهدى، أو يحاجوكم عند ربكم. قالوا: ومعنى «أو» إلا: أي إلا أن يحاجوكم، يعني إلا أن يجادلوكم عند ربكم عند ما فعل بهم ربكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قال الله عزّ وجلّ لمحمد ﷺ: ﴿**قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ**﴾ يقول: مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، أو يحاجوكم عند ربكم، تقول اليهود: فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة، حتى أنزل علينا المنّ والسلوى، فإن الذي أعطيتكم أفضل، فقولوا: ﴿**إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾. . . الآية.

فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام [أمر] من الله لنبيه محمد ﷺ أن يقوله لليهود، وهو متلاصق بعضه ببعض لا اعتراض فيه، والهدى الثاني ردّ على الهدى الأوّل، و «أن» في موضع رفع على أنه خبر عن الهدى.

وقال آخرون: بل هذا أمر من الله لنبيه أن يقوله لليهود، وقالوا: تأويله: قل يا محمد إن الهدى هدى الله، أن يؤتى أحد من الناس مثل ما أوتيتم، يقول: مثل الذي أوتيتموه أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله، ومثل نبيكم، فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم، مثل الذي أعطيتكم من فضلي، فإن الفضل بيدي أوتيه من أشاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ**﴾ يقول: لما أنزل الله كتاباً مثل كتابكم، وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك؛ ﴿**قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ**﴾. . . الآية.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

وقال آخرون: بل تأويل ذلك: قل يا محمد إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله. قالوا: وهذا آخر القول الذي أمر الله به نبينا محمداً ﷺ أن يقول لليهود من هذه الآية، قالوا: وقوله: ﴿**أَوْ يُحاجُّوكُمْ**﴾ مردود على قوله: ﴿**وَلا تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾. وتأويل الكلام على قول أهل هذه المقالة: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فتتركوا الحقّ أن يحاجوكم به عند ربكم من اتبعتم دينه، فاخترتموه أنه محقّ، وأنكم تجدون نعته في كتابكم. فيكون حينئذ قوله: ﴿**أَوْ يُحاجُّوكُمْ**﴾ مردوداً على جواب نهي متروك على قول هؤلاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ**﴾ يقول: هذا الأمر الذي أنتم عليه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو يحاجوكم عند ربكم، قال: قال بعضهم لبعض: لا تخبروهم بما بين الله لكم في كتابه

ليحاجوكم، قال: ليخاصموكم به عند ربكم.

﴿قُلْ إنَ الهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ معترض به، وسائر الكلام متسق على سياق واحد. فيكون تأويله حينئذ: ولا تؤمنوا إلا لمن اتبع دينكم، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، بمعنى: لا يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم، ﴿أو يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ بمعنى: أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بإيمانكم، لأنكم أكرم على الله منهم بما فضلكم به عليهم. فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التي قال الله عزّ وجلّ ﴿وَقَالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أهلِ الكِتابِ آمِنُوا بالَّذِي أُنزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ﴾ سوى قوله: ﴿قُلْ إنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ ثم يكون الكلام مبتدأ بتكذيبهم في قولهم: قل يا محمد للقائلين ما قالوا من الطائفة التي وصفت لك قولها لتبّاعها من اليهود﴿إنَّ الهُدَى هُدَى الله﴾ إن التوفيق توفيق الله، والبيان بيانه، وإن الفضل بيده يؤتيه من يشاء، لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود. وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التي ذكرناها، لأنه أصحها معنى، وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب، وأشدّها اتساقاً على نظم الكلام وسياقه، وما عدا ذلك من القول، فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد الكلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت قولهم لأوليائهم: إن الفضل بيد الله، إن التوفيق للإيمان، والهداية للإسلام بيد الله، وإليه دونكم ودون سائر خلقه، ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ﴾ من خلقه، يعني: يعطيه من أراد من عباده تكذيباً من الله عزّ وجلّ لهم في قولهم لتبّاعهم: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. فقال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ: قل لهم: ليس ذلك إليكم، إنما هو إلى الله الذي بيده الأشياء كلها، وإليه الفضل، وبيده يعطيه من يشاء. ﴿وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني: والله ذو سعة بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه عليم ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج، في قوله: ﴿قُلْ إنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنَ يَشاءُ﴾ قال: الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

يعني بقوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ يفتعل من قول القائل: خصصت فلاناً بكذا، أخصه به. وأما رحمته في هذا الموضع: فالإسلام والقرآن مع النبوّة. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: النبوّة يخصّ بها من يشاء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: يختصّ بالنبوّة من يشاء.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة، عن ابن جريج: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: القرآن والإسلام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج مثله.

﴿وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ يقول: ذو فضل يتفضل به على من أحبّ وشاء من خلقه. ثم وصف فضله بالعِظَم، فقال: فضله عظيم لأنه غير مشبه في عظم موقعه ممن أفضله عليه أفضال خلقه، ولا يقاربه في جلالة خطره ولا يدانيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

وهذا الخبر من الله عزّ وجلّ أن من أهل الكتاب، وهم اليهود من بني إسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها، ومنهم الخائن أمانته، الفاجر في يمينه المستحلُّ.

فإن قال قائل: وما وجه إخبار الله عزّ وجلّ بذلك نبيه ﷺ، وقد علمت أن الناس لم يزالوا كذلك منهم المؤدّي أمانته والخائنها؟ قيل: إنما أراد جلّ وعزّ بإخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم الاغترار بهم، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين. فتأويل الكلام: ومن أهل الكتاب الذي إن تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير، يؤدّه إليك، ولا يخنك فيه؛ ومنهم الذي إن تأمنه على دينار يخنك فيه، فلا يؤدّه إليك إلا أن تلحّ عليه بالتقاضي والمطالبة. والباء في قوله: ﴿بِدِينارٍ﴾، وعلى يتعاقبان في هذا الموضع، كما يقال: مررت به، ومررت عليه.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً﴾ فقال بعضهم: إلا ما دمت له متقاضياً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً﴾**: إلا ما طلبته واتبعته.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً﴾** قال: تقتضيه إياه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قَائماً﴾** قال: مواظباً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما دمت عليه قائماً على رأسه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: **﴿إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً﴾** يقول: يعترف بأمانته ما دمت قائماً على رأسه، فإذا قمت ثم جئت تطلبه كافَرَك الذي يؤدي، والذي يجحد.

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: معنى ذلك: إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والاقتضاء، من قولهم: قام فلان بحقي على فلان حتى استخرجه لي، أي عمل في تخليصه، وسعى في استخراجه منه حتى استخرجه، لأن الله عزّ وجلّ إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأميين، وأن منهم من لا يقضي ما عليه إلا بالاقتضاء الشديد والمطالبة، وليس القيام على رأس الذي عليه الدين، بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحلّ، ولكن قد يكون - مع استحلاله الذهاب بما عليه لربّ الحق - إلى استخراجه السبيلُ بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة، فذلك الاقتضاء: هو قيام ربّ المال باستخراج حقه ممن هو عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أن من استحلّ الخيانة من اليهود وجحود حقوق العربي التي هي له عليه، فلم يؤدّ ما ائتمنه العربي عليه إليه إلا ما دام له متقاضياً مطلباً؛ من أجل أنه يقول: لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب، ولا إثم، لأنهم على غير الحق، وأنهم مشركون.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو قولنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيسَ عَلَينا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ . . . الآية، قالت اليهود: ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ قال ليس علينا في المشركين سبيل، يعنون: من ليس من أهل الكتاب.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ قال: يقال له: ما بالك لا تؤدّي أمانتك؟ فيقول: ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلها الله لنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، لما نزلت: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الكِتابِ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إلَيْكَ وَمِنْهُ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إلَيْكَ إلاَّ ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيسَ عَلَينا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ قال: قال النبيّ ﷺ: «كَذَبَ أعْدَاءُ اللَّهِ ما مِنْ شَيْءٍ كانَ فِي الجَاهِلِيةِ إلاَّ وَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ، إلاَّ الأمانَةَ فإنَّهَا مُؤَدَّاة إلى البَرّ والفاجِرِ».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا هشام بن عبيد الله، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، قال: لما قالت اليهود: ﴿**لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ يعنون أخذ أموالهم، قال رسول الله ﷺ، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: «إلاَّ وَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، إلاَّ الأمانَةَ فَإنَّها مُؤَدَّاة» ولم يزد على ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ وذلك أن أهل الكتاب كانوا يقولون: ليس علينا جناح فيما أصبنا من هؤلاء، لأنهم أميون، فذلك قوله: ﴿**لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ . . . إلى آخر الآية.

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثنا به القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ قال: بايع اليهود رجال من المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم، فقالوا: ليس لكم علينا أمانة، ولا قضاء لكم عندنا، لأنكم تركتم

دينكم الذي كنتم عليه، وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَيَقُولُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صعصعة، قال: قلت لابن عباس: إنا نغزو أهل الكتاب، فنصيب من ثمارهم؟ قال: وتقولون كما قال أهل الكتاب: ﴿**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن صعصعة: أن رجلاً سأل ابن عباس فقال: إنا نصيب في الغزو ـ أو العذق، الشكّ من الحسن ـ من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، فقال ابن عباس: فتقولون ماذا؟ قال نقول: ليس علينا بذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ إنهم إذا أدّوا الجزية لم تحلّ لكم أموالهم إلا بطيب أنفسهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: إن القائلين منهم ليس علينا في أموال الأميين من العرب حرج أن نختانهم إياه، يقولون ـ بقيلهم: إن الله أحلّ لنا ذلك، فلا حرج علينا في خيانتهم إياه، وترك قضائهم ـ الكذبَ على الله عامدين الإثم بقيل الكذب على الله أنه أحلّ ذلك لهم، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: فيقول على الله الكذب، وهو يعلم، يعني الذي يقول منهم إذا قيل له: ما لك لا تؤدّي أمانتك؟ ليس علينا حرج في أموال العرب، قد أحلها الله لنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**وَيَقُولُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾: يعني ادّعاءهم أنهم وجدوا في كتابهم قولهم: ﴿**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾

وهذا إخبار من الله عزّ وجلّ عمّن أدّى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاءَ الله ومراقبَته عنده. فقال جل ثناؤه: ليس الأمر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود، من أنه ليس عليهم في أموال الأميين حرج ولا إثم، ثم قال بلى، ولكن من أوفى بعهده واتقى، يعني ولكن الذي أوفى

بعهده، وذلك وصيته إياهم، التي أوصاهم بها في التوراة من الإيمان بمحمد ﷺ وما جاءهم به. والهاء في قوله: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ عائدة على اسم الله في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ﴾ يقول: بلى من أوفى بعهد الله الذي عاهده في كتابه، فآمن بمحمد ﷺ وصدّق به. بما جاء به من الله من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها، وغير ذلك من أمر الله ونهيه، و﴿وَاتَّقَى﴾ يقول: واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التي حرّمها عليه، فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله، وخوف عقابه﴿فإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتقينَ﴾ يعني: فإن الله يحبّ الذين يتقونه فيخافون عقابه، ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه، وحرّمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به. وقد رُوي عن ابن عباس أنه كان يقول: هو اتقاء الشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى﴾ يقول: اتقى الشرك؛﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ يقول: الذين يتقون الشرك.

وقد بينا اختلاف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول فيه بالأدلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: إن الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذي عهد إليهم، ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه، والإقرار به، وما جاء به من عند الله وبأيمانهم الكاذبة التي يستحلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التي اؤتمنوا عليها ثمناً، يعني عوضاً وبدلاً خسيساً من عرض الدنيا وحطامها. ﴿أولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ يقول: فإن الذين يفعلون ذلك لا حظّ لهم في خيرات الآخرة، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة، وما أعدّ الله لأهلها فيها. دون غيرهم.

وقد بينا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في معنى الخلاق، ودللنا على أولى أقوالهم في ذلك بالصواب بما فيه الكفاية.

وأما قوله: ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ فإنه يعني: ولا يكلمهم الله بما يسرّهم ولا ينظر إليهم، يقول: ولا يعطف عليهم بخير مقتاً من الله لهم كقول القائل لآخر: انظر إليّ نظر الله إليك، بمعنى: تعطف عليّ تعطف الله عليك بخير ورحمة، وكما يقال للرجل: لا سمع الله لك دعاءك،

يراد: لا استجاب الله لك، والله لا يخفى عليه خافية، وكما قال الشاعر:

دَعَوْتُ اللَّهَ حتى خِفْتُ أنْ لا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ ما أقُولُ(١)

وقوله ﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ يعني: ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني: ولهم عذاب موجع.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية، ومن عني بها؟ فقال بعضهم: نزلت في أحبار من أحبار اليهود.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب.

وقال آخرون: بل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيها فاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِها مالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ» فقال الأشعث بن قيس: فيّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبيّ ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: ﴿«أَلَكَ بَيِّنَةٌ»؟﴾ قلت: لا، فقال لليهوديّ: «احْلِفْ»!﴾ قلت: يا رسول الله إذَنْ يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ الآية.

حدثنا مجاهد بن موسى قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا جرير بن حازم عن عديّ بن عديّ، عن رجاء بن حيوة والعُرْس، أنهما حدثاه، عن أبيه عديّ بن عميرة، قال: كان بين امرىء القيس ورجل من حضرموت خصومة، فارتفعا إلى النبيّ ﷺ، فقال للحضرمي: «بَيِّنَتَكَ وَإلاَّ فَيَمِينُهُ!» قال: يا رسول الله إن حلف ذهب بأرضي، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ لِيَقْتَطِعَ بِها حَقَّ أخِيهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ». فقال امرؤ القيس: يا رسول

(١) البيت أنشده صاحب «اللسان» في (سمع) غير منسوب، نقله عن أبي زيد الأنصاري. قال: وقد تأتي سمعت بمعنى أجبت، ومنه قولهم: سمع الله لمن حمده: أي أجاب حمده وتقبله. يقال: اسمع دعائي: أي أجب، لأن غرض السائل الإجابة والقبول، وعليه ما أنشده أبو زيد... البيت.

(٢) كذا في «الدر المنثور» أيضاً. وفي «التفسير الكبير»: لبابة.

الله، فما لمن تركها وهو يعلم أنها حقّ؟ قال: «الجنّة»، قال: فإني أشهدك أني قد تركتها. قال جرير: فكنت مع أيوب السختياني حين سمعنا هذا الحديث من عديّ، فقال أيوب: إنَّ عدياً قال في حديث العرس بن عميرة: فنزلت هذه الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾... إلى آخر الآية، قال جرير: ولم أحفظ يومئذ من عديّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال آخرون: إن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجل إلى رسول الله ﷺ في أرض كانت في يده لذلك الرجل أخذها لتعزّزه في الجاهلية، فقال النبيّ ﷺ: «أَقِمْ بَيِّنَتَكَ!» قال الرجل: ليس يشهد لي أحد على الأشعث. قال: «فَلَكَ يَمِينُهُ». فقام الأشعث ليحلف، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية، فنكل الأشعث وقال: إني أشهد الله وأشهدكم أن خصمي صادق. فردّ إليه أرضه، وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة، مخافة أن يبقى في يده شيء من حقه، فهي لعقب ذلك الرجل بعده.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن شقيق، عن عبد الله، قال: من حلف على يمين يستحقّ بها مالاً هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان، ثم أنزل الله تصديق ذلك: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾ الآية... ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا، فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن؟ فحدثناه بما قال، فقال: صدق لفيّ أنزلت، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختصمنا إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «شاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ!» فقلت: إذاً يحلف ولا يبالي. فقال النبيّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِها مالاً هُوَ فِيها فاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ»، ثم أنزل الله عزّ وجلّ تصديق ذلك: «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾... الآية.

وقال آخرون بما:

حدثنا به محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: أخبرني داود بن أبي هند، عن عامر: أن رجلاً أقام سلعته أوّل النهار، فلما كان آخره جاء رجل يساومه، فحلف لقد منعها أوّل النهار من كذا وكذا، ولولا المساء ما باعها به، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ الَّذِي يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن رجل، عن مجاهد، نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ**

(١) في «**الخلاصة**»: العرس بن عميرة بالفتح الكندي: صحابي روى عنه ابن أخيه عدي بن عدي.
(٢) امرؤ القيس بن عابس الكندي، وخصمه ربيعة بن عيدان، كما في «**صحيح مسلم**».

وأيمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾. . . الآية، إلى: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** أنزلهم الله بمنزلة السحرة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة أن عمران بن حصين كان يقول: من حلف على يمين فاجرة يقتطع بها مال أخيه فليتبوأ مقعده من النار، فقال له قائل: شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال لهم: إنكم لتجدون ذلك، ثم قرأ هذه الآية: **﴿إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وأيمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾**. . . الآية.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا حسين بن عليّ، عن زائدة، عن هشام، قال: قال محمد عن عمران بن حصين: من حلف على يمين مصبورة فليتبوأ بوجهه مقعده من النار، ثم قرأ هذه الآية كلها: **﴿إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وأيمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: إن اليمين الفاجرة من الكبائر، ثم تلا: **﴿إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وأيمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، أن عبد الله بن مسعود، كان يقول: كنا نرى ونحن مع رسول الله ﷺ أن من الذنب الذي لا يغفر يمين الصبر إذا فجر فيها صاحبها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإنّ من أهل الكتاب، وهم اليهود الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله ﷺ، على عهده من بني إسرائيل. والهاء والميم في قوله: **﴿مِنهُمْ﴾** عائدة على أهل الكتاب الذين ذكرهم في قوله: **﴿وَمِنْ أهْلِ الكِتابِ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إلَيْكَ﴾**. وقوله: **﴿لَفَرِيقاً﴾** يعني: جماعة **﴿يَلْوُونَ﴾** يعني: يحرّفون، **﴿ألْسِنَتَهُمْ بالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتابِ﴾** يعني: لتظنوا أن الذي يحرّفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله، يقول الله عزّ وجلّ: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فحرّفوه وأحدثوه من كتاب الله، ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله من عند الله، يقول: مما أنزله الله على أنبيائه، وما هو من عند الله،

---

(١) في «اللسان»: يمين الصبر أو اليمين المصبورة: أن يحبسه السلطان على اليمين حتى يحلف بها. فلو حلف إنسان منم غير إحلاف ما قيل: حلف صبراً.

يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم، فأحدثوه مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه، ولكنه مما أحدثوه من قِبَل أنفسهم، افتراء على الله. يقول عزّ وجلّ: **﴿وَيَقُولُونَ على الله الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** يعني بذلك: أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله، والشهادة عليه بالباطل، والإلحاق بكتاب الله ما ليس منه طلباً للرياسة والخسيس من حطام الدنيا.

وبنحو ما قلنا في معنى: **﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ﴾** قال: يحرّفونه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾** حتى بلغ: **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** هم أعداء الله اليهود حرّفوا كتاب الله وابتدعوا فيه، وزعموا أنه من عند الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ﴾** وهم اليهود كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم ينزل الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالكِتَابِ﴾** قال: فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم، وذلك تحريفهم إياه عن موضعه.

وأصل الليّ: الفتل والقلب، من قول القائل: لوى فلان يد فلان: إذا فتلها وقلبها، ومنه قول الشاعر:

لَوَى يَدَهُ اللهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهْ[1]

---

(١) هذا عجز بيت لفرعان بن الأعرف، كما في «لسان العرب» في (لوى)، وصدره:

تَغَمَّدَ حَقِّي ظَالِماً وَلَوَى يَدِي

يقال منه: لوى يده ولسانه يلوي لياً، وما لوى ظهر فلان أحد: إذا لم يصرعه أحد، ولم يفتل ظهره إنسان، وإنه لألوى بعيد المستمر: إذا كان شديد الخصومة صابراً عليها لا يغلب فيها، قال الشاعر:

فَلَوْ كَانَ فِي لَيلَى شَداً مِنْ خُصُومَةٍ   لَلَوَّيْتُ أعْنَاقَ الخُصُومِ المَلاوِيَا(١)

القول في تأويله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وما ينبغي لأحد من البشر، والبشر: جمع بني آدم، لا واحد له من لفظه، مثل القوم والخلق، وقد يكون اسماً لواحد. ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتابَ﴾ يقول: أن ينزل الله عليه كتابه، ﴿والحُكْمَ﴾ يعني: ويعلمه فصل الحكمة، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ يقول: ويعطيه النبوّة، ﴿ثُمَّ يَقُولَ للنَّاسِ كُونُوا عِباداً لي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله، وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوّة، ولكن إذا آتاه الله ذلك فإنما يدعوهم إلى العلم بالله، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بأمر الله ونهيه، وأئمة في طاعته وعبادته بكونهم معلمي الناس الكتاب، وبكونهم دارسيه.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب قالوا للنبيّ ﷺ: أتدعونا إلى عبادتك؟ كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن

(١) البيت أورده صاحب «اللسان» في (شدا) وقال قبله: قال أبو مصور: الشدا: البقية. وأنشد ابن الأعرابي..... البيت. أي بقية، قال أبو بكر: الشدا: حد كل شيء يكتب بالألف. قال: والشدا من الأذى. وأنشد..... البيت. وقال: الملاوي جمع ملوى. قال: وهو مصدر، أنشده الفراء: شذا بالذال، وأنشده غيره بالدال. وأكثر الناس على أنه بالدال، وهو الحد. وأورده ابن بري بالدال شاهد على قوله: الشدا: طرف من الشيء. قال: ومنه بيت المجنون. وقال ابن خالويه: الشدا: البقية، وأنشد هذا البيت ابن الأعرابي: شدا: إذا قوى في بدنه. وشدا: إذا أبقى بقية. ويقال: للمريض إذا أشفى على الموت: لم يبق منه إلا شدا... والبيت لمجنون بني عامر كما صرح به صاحب «اللسان» في (لوى) عن ابن بري الذي رواه بلفظ:

فَلَوْ كَانَ في لَيلى شَداً مِن خُصُومَةٍ   ....ال...خ

نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني، يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ: «مَعَاذَ اللَّهُ أنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ، أوْ نَأمُرَ بِعِبادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي، وَلا بِذَلِكَ أمَرَنِي». أو كما قال؛ فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾. . . الآية، إلى قوله بعد: ﴿إذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو رافع القرظي، فذكر نحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ للنَّاسِ كُونُوا عِباداً لي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: ما كان ينبغي لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة[1] يأمر عباده أن يتخذوه رباً من دون الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم، بتحريفهم كتاب الله عن موضعه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتابَ وَالحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ للنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله في كتابه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بذلك: ولكن يقول لهم: كونوا ربانيين، فترك القول استغناء بدلالة الكلام عليه.

وأما قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: كونوا حكماء علماء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبي رزين: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: حكماء علماء.

---

(١) لعل «أن» سقطت من الناسخ، أو لعل المؤلف حذفها مقدراً لها، على طريقة الكوفيين.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: حكماء علماء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن أبي رزين، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي رزين: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: حكماء علماء.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: كونوا فقهاء علماء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: فقهاء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني القاسم، عن مجاهد، قوله: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: فقهاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: كونوا فقهاء علماء.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن منصور بن المعتمر، عن أبي رزين في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ قال: علماء حكماء. قال معمر: قال قتادة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ أما الربانيون: فالحكماء الفقهاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال الربانيون: الفقهاء العلماء، وهم فوق الأحبار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ يقول: كونوا حكماء فقهاء.

حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي حمزة الثمالي، عن يحيى بن عقيل في قوله الربانيون والأحبار، قال: الفقهاء العلماء.

حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، مثله.

حدثني ابن سنان القزاز، قال: ثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾ قال: كونوا حكماء فقهاء.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾ يقول: كونوا فقهاء علماء.

وقال آخرون: بل هم الحكماء الأتقياء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾ قال: حكماء أتقياء.

وقال آخرون: بل هم ولاة الناس وقادتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾ قال: الربانيون: الذين يربون الناس ولاة هذا الأمر، يربونهم: يلونهم. وقرأ: ﴿**لولا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأحْبارُ**﴾ قال: الربانيون: الولاة، والأحبار: العلماء.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع ربانيّ، وأن الربانيّ المنسوب إلى الرَّبَّان: الذي يربُّ الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها، ويقوم بها، ومنه قول علقمة بن عبدة:

وكُنتَ امْرأً أفْضَتْ إلَيْكَ رِبَابَتِي ... وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ رُبُوبُ[1]

يعني بقوله: «ربّتني»: ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويصلحه، فلم يصلحوه، ولكنهم

(١) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي، شاعر جاهلي، من قصيدة له مشهورة يمدح بها الحارث بن أبي شمر الغساني انظر «**مختار الشعر الجاهلي**» طبعة شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده سنة ١٩٤٨ وأورده صاحب «**اللسان**» في (رب) وقال قبله: والربابة والرباب: العهد والميثاق. قال علقمة بن عبدة.... البيت كما رواه المؤلف هنا.

أضاعوني فضعت، يقال منه: ربّ أمري فلان فهو بربُه رَبًّا وهو رابُه، فإذا أريد به المبالغة في مدحه قيل: هو رَبّان، كما يقال: هو نعسان، من قولهم: نَعَس ينعُس، وأكثر ما يجيء من الأسماء على فعلان ما كان من الأفعال الماضية على فَعِل مثل قولهم: هو سكران وعطشان وريان، من سَكِرَ يَسْكَر، وعَطِش يَعطش، ورَوِي يَرْوَى، وقد يجيء مما كان ماضيه على فَعَل يَفْعُل، نحو ما قلنا من نَعَسَ يَنْعُس، ورَبَّ يَرُبُّ.

فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، وكان الربان ما ذكرنا، والرباني: هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يربّ أمور الناس بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقيّ لله، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم، بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم، وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم؛ كانوا جميعاً مستحقين أنهم ممن دخل في قوله عزّ وجلّ ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبانِيِّينَ﴾. فالربانيون إذاً، هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: «وهم فوق الأحبار»، لأن الأحبار هم العلماء. والرباني: الجامع إلى العلم والفقه، البصير بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تعَلِّمُونَ الكِتابَ، وَبِمَا كُنتُم تَدْرُسُونَ﴾.

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء أهل الحجاز وبعض البصريين: «بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» بفتح التاء وتخفيف اللام، يعني: بعلمكم الكتاب، ودراستكم إياه وقراءتكم. واعتلّوا لاختيارهم قراءة ذلك كذلك، بأن الصواب لو كان التشديد في اللام وضمّ التاء، لكان الصواب في «تدرسون» بضم التاء وتشديد الراء. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتابَ﴾ بضم التاء من تعلّمون وتشديد اللام، بمعنى: بتعليمكم الناس الكتاب، ودراستكم إياه. واعتلّوا لاختيارهم ذلك بأن من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم، إذ لا يعلّمون إلا بعد علمهم بما يعلمون.

قالوا: ولا موصوف بأنه يعلم، إلا وهو موصوف بأنه عالم. قالوا: فأما الموصوف بأنه عالم، فغير موصوف بأنه معلم غيره. قالوا: فأولى القراءتين بالصواب، أبلغهما في مدح القوم، وذلك وصفهم بأنهم كانوا يعلّمون الناس الكتاب. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن ابن عيينة، عن حميد الأعرج، عن مجاهد أنه قرأ: «بِمَا كُنتُ تَعْلَمُونَ الكِتابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ» مخففة بنصب التاء. وقال ابن عيينة: ما عَلَّموه حتى عَلِموه.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام، لأن الله عزّ وجلّ

وصف القوم بأنهم أهل عماد للناس في دينهم ودنياهم، وأهل إصلاح لهم ولأمورهم وتربية، يقول جلّ ثناؤه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ على ما بينا قبل من معنى الرباني. ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل إصلاح للناس، وتربية لهم بتعليمهم إياهم كتاب ربهم. ودراستهم إياه: تلاوته، وقد قيل: دراستهم الفقه.

وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا من تلاوة الكتاب، لأنه عطف على قوله: ﴿تُعَلِّمُونَ الكِتابَ﴾، والكتاب: هو القرآن، فلأن تكون الدراسة معنياً بها دراسة القرآن أولى من أن تكون معنياً بها دراسة الفقه الذي لم يجر له ذكر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: قال يحيى بن آدم: قال أبو زكريا: كان عاصم يقرؤها: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتابَ﴾ قال: القرآن، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ قال: الفقه.

فمعنى الآية: ولكن يقول لهم: كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم في أمر دينهم ودنياهم، ربانيين بتعليمكم إياهم كتاب الله، وما فيه من حلال وحرام، وفرض وندب، وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم، وبتلاوتكم إياه ودراستكمونه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠)﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ﴾، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة: «وَلاَ يَأْمُرُكُمْ» على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبيّ ﷺ أنَّهُ لاَ يَأْمُرُكُمْ أيُّها النَّاسُ أنْ تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أرْباباً. واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها وهي: «ولن يأمركم» فاستدلوا بدخول لن على انقطاع الكلام عما قبله، وابتداء خبر مستأنف. قالوا: فلما صير مكان «لن» في قراءتنا «لا» وجبت قراءته بالرفع. وقرأه بعض الكوفيين والبصريين: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ﴾ بنصب الراء عطفاً على قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ للنَّاسِ﴾. وكان تأويله عندهم: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب، ثم يقول للناس ولا أن يأمركم، بمعنى: ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ﴾ بالنصب على الاتصال بالذي قبله، بتأوّل: ﴿ما كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ للنَّاسِ كُونُوا عِباداً لي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ولا أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً. لأن الآية نزلت في سبب القوم الذين قالوا لرسول الله ﷺ: أتريد أن نعبدك؟ فأخبرهم الله جلّ ثناؤه أنه ليس لنبيه ﷺ أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً، ولكن الذي له أن يدعوهم إلى أن يكونوا

ربانيين. فأما الذي ادّعى من قرأ ذلك رفعاً أنه في قراءة عبد الله: «ولن يأمركم» استشهاداً لصحة قراءته بالرفع، فذلك خبر غير صحيح سنده، وإنما هو خبر رواه حجاج عن هارون لا يجوز أن ذلك في قراءة عبد الله كذلك. ولو كان ذلك خبراً صحيحاً سنده، لم يكن فيه لمحتجّ حجة، لأن ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذي جاء به المسلمون وراثة عن نبيهم ﷺ لا يجوز تركه لتأويل على قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة بنقل من يجوز في نقله الخطأ والسهو.

فتأويل الآية إذاً: وما كان للنبيّ أن يأمر الناس أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، يعني بذلك آلهة يعبدون من دون الله، كما ليس له أن يقول لهم كونوا عباداً لي من دون الله. ثم قال جلّ ثناؤه نافياً عن نبيه ﷺ أن يأمر عباده بذلك: أيأمركم بالكفر أيها الناس نبيكم بجحود وحدانية الله بعد إذ أنتم مسلمون، يعني بعد إذ أنتم له منقادون بالطاعة متذللون له بالعبودية، أي إن ذلك غير كائن منه أبداً. وقد:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ولا يأمركم النبيّ ﷺ أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: واذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين، يعني حين أخذ الله ميثاق النبيين، وميثاقهم: ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم. وقد بينا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية. ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ بفتح اللام من «لما»، إلا أنهم اختلفوا في قراءة آتيتكم، فقرأه بعضهم ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ على التوحيد، وقرأه آخرون: «آتيناكم»، على الجمع.

ثم اختلف أهل العربية إذا قرىء ذلك كذلك، فقال بعض نحويي البصرة: اللام التي مع «ما» في أوّل الكلام لام الابتداء، نحو قول القائل: لزيد أفضل منك، لأن «ما» اسم، والذي بعدها صلة لها، واللام التي في: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ لام القسم، كأنه قال: والله لتؤمننّ به،

(١ ـ ١) كذا في الأصول. ولعل الألى: يجوز أن لا يكون ذلك الخ، وقوله من الكتاب لعله دليل من القراءة من الكتاب الخ.

يؤكد في أول الكلام وفي آخره، كما يقال: أما والله أن لو جئتني لكان كذا وكذا، وقد يستغنى عنها فيؤكد في لتؤمننّ به باللام في آخر الكلام، وقد يستغنى عنها، ويجعل خبر «ما آتيتكم من كتاب وحكمة»، «لتؤمننّ به»، مثل: «العبدالله والله لا آتينه»، قال: وإن شئت جعلت خبر «ما» «من كتاب» يريد: لما آتيتكم كتابٌ وحكمة، وتكون «من» زائدة. وخطّأ بعض نحويي الكوفيين ذلك كله، وقال: اللام التي تدخل في أوائل الجزاء لا تجاب بما ولا «لا» فلا يقال لمن قام: لا تتبعه، ولا لمن قام: ما أحسن، فإذا وقع في جوابها «ما» و «لا» علم أن اللام ليست بتوكيد للأولى، لأنه يوضع موضعها «ما» و «لا»، فتكون كالأولى، وهي جواب للأولى. قال: وأما قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ بمعنى إسقاط «من» غلط، لأن «من» التي تدخل وتخرج لا تقع مواقع الأسماء، قال: ولا تقع في الخبر أيضاً، إنما تقع في الجحد والاستفهام والجزاء.

وأولى الأقوال في تأويل هذه الآية على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام بالصواب أن يكون قوله: ﴿لَمَا﴾ بمعنى: لمهما، وأن تكون «ما» حرف جزاء أدخلت عليها اللام، وصير الفعل معها على فَعَل، ثم أجيبت بما تجاب به الأيمان، فصارت اللام الأولى يميناً إذ تلقيت بجواب اليمين.

وقرأ ذلك آخرون: «لِما آتَيْتُكُمْ» بكسر اللام من «لما»، وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة.

ثم اختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله، فقال بعضهم: معناه إذا قرىء كذلك: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم، فما على هذه القراءة بمعنى: الذي عندهم. وكان تأويل الكلام: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول: يعني: ثم إن جاءكم رسول، يعني ذكر محمد في التوراة، لتؤمنن به، أي ليكونن إيمانكم به للذي عندكم في التوراة من ذكره.

وقال آخرون منهم: تأويل ذلك إذا قرىء بكسر اللام من «لِما». وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتاهم من الحكمة، ثم جعل قوله: لتؤمنن به من الأخذ، أخذ الميثاق، كما يقال في الكلام: أخذت ميثاقك لتفعلن لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف. فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول: وإذا استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة، متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمننّ به ولينصرنه.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ﴾ بفتح اللام، لأن الله عز وجلّ أخذ ميثاق جميع الأنبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه إلى خلقه فيما ابتعثه به إليهم، كان ممن آتاه كتاباً، أو من لم يؤته كتاباً. وذلك أنه غير جائز وصف أحد من

(١) أي ماضي الصيغة.

أنبياء الله عزّ وجلّ ورسله، بأنه كان ممن أبيح له التكذيب بأحد من رسله. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معلوماً أن منهم من أنزل عليه الكتاب، وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب، كان بيّناً أن قراءة من قرأ ذلك: «لِمَا آتَيْتُكُمْ» بكسر اللام، بمعنى: من أجل الذي آتيتكم من كتاب، لا وجه له مفهوم إلا على تأويل بعيد، وانتزاع عميق.

ثم اختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالإيمان بمن جاءه من رسل الله مصدّقاً لما معه، فقال بعضهم: إنما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب، دون أنبيائهم، واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله: ﴿لَتؤمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنصُرَنَّهُ﴾ قالوا: فإنما أمر الذين أرسلت إليهم الرسل من الأمم بالإيمان برسل الله، ونصرتها على من خالفها. وأما الرسل فإنه لا وجه لأمرها بنصرة أحد، لأنها المحتاجة إلى المعونة على من خالفها من كفرة بني آدم، فأما هي فإنها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها. قالوا: وإذا لم يكن غيرها وغير الأمم الكافرة، فمن الذي ينصر النبيّ، فيؤخذ ميثاقه بنصرته؟

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ قال: هي خطأ من الكاتب، وهي في قراءة ابن مسعود: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ يقول: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب، وكذلك كان يقرؤها الربيع: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب»، إنما هي أهل الكتاب، قال: وكذلك كان يقرؤها أُبيّ بن كعب، قال الربيع: ألا ترى أنه يقول: ﴿ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّق لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤمِنَنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ يقول: لتؤمننّ بمحمد ﷺ ولتنصرنه، قال: هم أهل الكتاب.

وقال آخرون: بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الأنبياء دون أممها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ أن يصدّق بعضهم بعضاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن ابن طاووس، عن أبيه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾... الآية، قال: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء ليصدقنّ وليؤمننّ بما جاء به الآخِر منهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن هاشم، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن عليّ بن أبي طالب، قال: لم يبعث الله عزّ وجلّ نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بعث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾... الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ﴾... الآية، هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدِّق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته. فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، ويصدّقوه وينصروه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾... الآية. قال: لم يبعث الله عزّ وجلّ نبياً قط من لدن نوح إلا أخذ ميثاقه: ليؤمننّ بمحمد، ولينصرنه إن خرج وهو حيّ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به، ولينصرنه إن خرج وهم أحياء.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور قال: سألت الحسن، عن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾... الآية كلها، قال: أخذ الله ميثاق النبيين: ليبلغنّ آخركم أولكم ولا تختلفوا.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنه ميثاق النبيين وأممهم، فاجتزأ بذكر الأنبياء عن ذكر أممها، لأن في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التباع، لأن الأمم هم تبّاع الأنبياء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: ثم ذكر ما أخذ عليهم، يعني على أهل الكتاب، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه، يعني بتصديق محمد ﷺ إذا جاءهم، وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾... إلى آخر الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، مثله.

وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضاً، وأخذ الأنبياء على أممها، وتباعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها، من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به، لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها، ولم يدَّع أحد ممن صدق المرسلين أن نبياً أرسل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عزّ وجلّ، وحججه في عباده، بل كلها، وإن كذّب بعض الأمم بعض أنبياء الله بجحودها نبوّته، مقرّ بأن من ثبتت صحة نبوّته، فعليها الدينونة بتصديقه فذلك ميثاق مقرّ به جميعهم. ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء، لأن الله عزّ وجلّ، قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين، فسواء قال قائل: لم يأخذ ذلك منها ربها، أو قال: لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت، وقد نصّ الله عزّ وجلّ أنه أمرها بتبليغه، لأنهما جميعاً خبران من الله عنها، أحدهما أنه أخذ منها، والآخر منهما أنه أمرها، فإن جاز الشكّ في أحدهما جاز في الآخر. وأما ما استشهد به الربيع بن أنس على أن المعنيّ بذلك أهل الكتاب من قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ فإن ذلك غير شاهد على صحة ما قال، لأن الأنبياء قد أمر بعضها بتصديق بعض، وتصديق بعضها بعضاً نصرة من بعضها بعضاً.

ثم اختلفوا في الذين عنوا بقوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ فقال بعضهم: الذين عنوا بذلك هم الأنبياء، أخذت مواثيقهم أن يصدّق بعضهم بعضاً، وأن ينصروه، وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله.

وقال آخرون: هم أهل الكتاب أمروا بتصديق محمد ﷺ إذا بعثه الله وبنصرته، وأخذ ميثاقهم في كتبهم بذلك، وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضاً عمن قاله.

وقال آخرون ممن قال الذين عنوا بأخذ الله ميثاقهم منهم في هذه الآية هم الأنبياء، قوله: ﴿ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ معنيّ به أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر. قال: أخبرنا ابن طاووس، عن أبيه في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ قال: أخذ الله ميثاق النبيين: أن يصدّق بعضهم بعضاً، ثم قال: ﴿ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ قال: فهذه الآية لأهل الكتاب أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدّقوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثني ابن أبي جعفر، عن أبيه، قال: قال قتادة: أخذ الله على النبيين ميثاقهم أن يصدّق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالته إلى عباده، فبلّغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذوا مواثيق أهل الكتاب في كتابهم، فيما بلغتهم رسلهم، أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، ويصدّقوه وينصروه.

وأولى الأقوال بالصواب عندنا في تأويل هذه الآية: أن جميع ذلك خبر من الله عزّ وجلّ عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به، وألزمهم دعاء أممهم إليه والإقرار به، لأن ابتداء الآية خبر من الله عزّ وجلّ عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم، ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم، فقال: هو كذا وهو كذا.

وإنما قلنا إن ما أخبر الله أنه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك، قد أخذت الأنبياء مواثيق أممها به، لأنها أرسلت لتدعو عباد الله إلى الدينونة، بما أمرت بالدينونة به في أنفسها من تصديق رسل الله على ما قدمنا البيان قبل. فتأويل الآية: واذكروا يا معشر أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين لمهما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول من عندي مصدّق لما معكم لتؤمننّ به، يقول: لتصدقنه ولتنصرنه. وقد قال السديّ في ذلك بما:

حدثنا به محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قوله: ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ يقول لليهود: أخذت ميثاق النبيين بمحمد ﷺ، وهو الذي ذكر في الكتاب عندكم.

فتأويل ذلك على قول السديّ الذي ذكرناه: واذكروا يا معشر أهل الكتاب، إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة. وهذا الذي قاله السديّ كان تأويلاً لا وجه غيره لو كان التنزيل «بما آتيتكم»، ولكن التنزيل باللام لما آتيتكم، وغير جائز في لغة أحد من العرب أن يقال: أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم، بمعنى: بما آتيتكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ على ذَلِكُمْ إِصْرِي؟ قَالُوا أَقْرَرْنا﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر، فقال لهم تعالى ذكره: أأقررتم بالميثاق الذي واثقتموني عليه من أنكم مهما أتاكم رسول من عندي، مصدّق لما معكم، لتؤمننّ به ولتنصرنه، ﴿وَأَخَذْتُمْ على ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ يقول: وأخذتم على ما واثقتموني عليه من الإيمان بالرسل التي تأتيكم بتصديق ما معكم من عندي، والقيام بنصرتهم إصري، يعني عهدي ووصيتي، وقبلتم في ذلك مني ورضيتموه. والأخذ: هو القبول في هذا الموضع، والرضا من قولهم: أخذ الوالي عليه البيعة، بمعنى: بايعه، وقبل ولايته، ورضي بها. وقد بينا معنى الإصر باختلاف المختلفين فيه، والصحيح من القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وحذفت الفاء من قوله: ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ لأنه ابتداء كلام على نحو ما قد بينا في نظائره فيما مضى. وأما قوله: ﴿قَالُوا أَقْرَرْنا﴾ فإنه يعني به: قال النبييون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر

في هذه الآية: أقررنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين ترسلهم مصدّقين لما معنا من كتبك وبنصرتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وأنا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه، قال الله: فاشهدوا أيها النبييون بما أخذت به ميثاقكم من الإيمان بتصديق رسلي التي تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة، ونصرتهم على أنفسكم، وعلى أتباعكم من الأمم إذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك. كما:

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن هاشم، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن عليّ بن أبي طالب في قوله: ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ يقول: فاشهدوا على أممكم بذلك، ﴿وأنا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: فمن أعرض عن الإيمان برسلي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة، وعن نصرتهم، فأدبر ولم يؤمن بذلك، ولم ينصر، ونكث عهده وميثاقه بعد ذلك، يعني بعد العهد والميثاق الذي أخذه الله عليه، فأولئك هم الفاسقون: يعني بذلك أن المتولين عن الإيمان بالرسل الذين وصف أمرهم ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذا عليهم بذلك، هم الفاسقون، يعني بذلك: الخارجون من دين الله، وطاعة ربهم. كما:

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن هاشم، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن عليّ بن أبي طالب: فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الأمم، فأولئك هم الفاسقون، هم العاصون في الكفر.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه ـ قال أبو جعفر: يعني الرازي ـ: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ يقول: بعد العهد والميثاق الذي أخذ عليهم، فأولئك هم الفاسقون.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، [عن أبيه]، عن الربيع، مثله.

وهاتان الآيتان وإن كان مخرج الخبر فيهما من الله عزّ وجلّ بما أخبر أنه شهد، وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله، فإنه مقصود به إخبار من كان حوالي مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل أيام حياته ﷺ، عما لله عليهم من العهد في الإيمان بنبوّة محمد ﷺ،

ومعنيّ تذكيرهم ما كان الله آخذاً على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود، وما كانت أنبياء الله عرفتهم وتقدمت إليهم في تصديقه واتباعه ونصرته على من خالفه، وكذبه، وتعريفهم ما في كتب الله التي أنزلها إلى أنبيائه التي ابتعثهم إليهم من صفته وعلامته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز من مكة والمدينة وقراء الكوفة: «أفغير دين الله تبغون»، «وإليه ترجعون»، على وجه الخطاب. وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز: **﴿أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُون... وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾** بالياء كلتيهما على وجه الخبر عن الغائب. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة: **﴿أَفَغَيْر دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾** على وجه الخبر عن الغائب، «وإليه تُرجعون» بالتاء، على وجه المخاطبة.

وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ» على وجه الخطاب «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» بالتاء، لأن الآية التي قبلها خطاب لهم، فإتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره، وإن كان الوجه الآخر جائزاً لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحياناً على الخطاب كله، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب، وأحياناً بعضه على الخطاب، وبعضه على الغيبة، فقوله: «تَبْغُونَ... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» في هذه الآية من ذلك.

وتأويل الكلام: يا معشر أهل الكتاب: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ» يقول: أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** يقول: وله خشع من في السموات والأرض، فخضع له بالعبودية، وأقرّ له بإفراد الربوبية، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية **﴿طَوْعاً وكَرْهاً﴾** يقول: أسلم لله طائعاً، من كان إسلامه منهم له طائعاً، وذلك كالملائكة والأنبياء والمرسلين، فإنهم أسلموا لله طائعين، وكرهاً من كان منهم كارهاً.

واختلف أهل التأويل في معنى إسلام الكاره الإسلام، وصفته، فقال بعضهم: إسلامه: إقراره بأن الله خالقه وربه، وإن أشرك معه في العبادة غيره.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾** قال: هو كقوله: **﴿وَلَئِنْ سأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾**.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** قال: كل آدميّ قد أقرّ على نفسه بأن الله ربي وأنا عبده، فمن أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرهاً، ومن أخلص له العبودية فهو الذي أسلم طوعاً.

وقال آخرون: بل إسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق، فأقرّ به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس: **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾** قال: حين أخذ الميثاق.

وقال آخرون: عنى بإسلام الكاره منهم: سجود ظله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سوَار بن عبد الله، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾** قال: الطائع: المؤمن، وكرهاً: ظل الكافر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: **﴿طَوْعاً وكَرْهاً﴾** قال: سجود المؤمن طائعاً، وسجود الكافر وهو كاره.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿كَرْهاً﴾** قال: سجود المؤمن طائعاً، وسجود ظلّ الكافر وهو كاره.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: سجود وجهه وظله طائعاً[١].

وقال آخرون: بل إسلامه بقلبه في مشيئة الله واستقادته لأمره، وإن أنكر ألوهته بلسانه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن عامر: **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** قال: استقاد كلهم له.

---

(١) لعله: طائعاً وكارهاً. تأمل.

وقال آخرون: عنى بذلك إسلام من أسلم من الناس كرهاً حذر السيف على نفسه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾... الآية كلها، فقال: أكره أقوام على الإسلام، وجاء أقوام طائعين.

حدثني الحسن بن قزعة الباهلي، قال: ثنا روح بن عطاء، عن مطر الورّاق في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال: الملائكة طوعاً، والأنصار طوعاً، وبنو سليم وعبد القيس طوعاً، والناس كلهم كرهاً.

وقال آخرون: معنى ذلك أن أهل الإيمان أسلموا طوعاً، وأن الكافر أسلم في حال المعاينة حين لا ينفعه إسلام كرهاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ»... الآية، فأما المؤمن فأسلم طائعاً، فنفعه ذلك، وقبل منه؛ وأما الكافر فأسلم كارهاً، حين لا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ قال: أما المؤمن فأسلم طائعاً، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: في عبادة الخلق لله عزّ وجل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً» قال: عبادتهم لي أجمعين طوعاً وكرهاً، وهو قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾.

وأما قوله: «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فإنه يعني: وإليه يا معشر من يبتغي غير الإسلام ديناً من اليهود والنصارى! وسائر الناس. «ترجعون» يقول: إليه تصيرون بعد مماتكم، فمجازيكم بأعمالكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته. وهذا من الله عزّ وجلّ تحذير خلقه أن يرجع إليه أحد منهم، فيصير إليه بعد وفاته على غير ملة الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود، وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، وإليه ترجعون، فإن ابتغوا غير دين الله يا محمد، فقل لهم: آمنا بالله. فترك ذكر قوله: «فإن قالوا نعم»، وذكر قوله: «فإن ابتغوا غير دين الله»، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه.

وقوله: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾ يعني به: قل لهم يا محمد: صدّقنا بالله أنه ربنا وإلٰهنا، لا إلٰه غيره، ولا نعبد أحداً سواه؛ ﴿**وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا**﴾ يقول: وقل: وصدّقنا أيضاً بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله، فأقررنا به؛ ﴿**وَمَا أُنْزِلَ على إبْرَاهِيمَ**﴾ يقول: وصدقنا أيضاً بما أنزل على إبراهيم خليل الله؛ ﴿**و**﴾على ابنيه﴿**إسْماعيل وَإسْحاقَ**﴾ وابن ابنه﴿**يَعْقُوبَ**﴾ وبما أنزل على الأسباط، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر، وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿**وَما أُوتيَ مُوسَى وَعِيسَى**﴾ يقول: وصدقنا أيضاً مع ذلك بالذي أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوحي، وبما أنزل على النبيين من عنده. والذي آتى الله موسى وعيسى، مما أمر الله عزّ وجلّ محمداً بتصديقهما فيه والإيمان به التوراة التي آتاها موسى، والإنجيل الذي أتاه عيسى. ﴿**لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**﴾ يقول: لا نصدّق بعضهم ونكذّب بعضهم، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله، وصدّقت بعضاً، ولكنا نؤمن بجميعهم، ونصدّقهم. ﴿**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ يعني: ونحن ندين لله بالإسلام، لا ندين غيره، بل نتبرأ إليه من كل دين سواه، ومن كل ملة غيره. ويعني بقوله: ﴿**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾: ونحن له منقادون بالطاعة، متذللون بالعبودية، مقرّون له بالألوهة والربوبية، وأنه لا إلٰه غيره. وقد ذكرنا الرواية بمعنى ما قلنا في ذلك فيما مضى، وكرهنا إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومن يطلب ديناً غير دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه، ﴿**وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾، يقول: من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عزّ وجلّ. وذُكر أن أهل كل ملة ادّعوا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية، فأمرهم الله بالحجّ إن كانوا صادقين، لأن من سنة الإسلام الحجّ، فامتنعوا، فأدحض الله بذلك حجتهم. ذكر الخبر بذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، قال: زعم عكرمة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامَ دِيناً﴾ فقالت الملل: نحن المسلمون، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ فحجّ المسلمون، وقعد الكفار.

حدثنا المثنى، قال: ثنا القعنبي، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة، قال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامَ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ قالت اليهود: فنحن المسلمون، فأنزل الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ يحجّهم أن ﴿لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة، قال: لما نزلت: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً﴾... إلى آخر الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ: قل لهم: إن ﴿لِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ﴾ من أهل الملل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾.

وقال آخرون في هذه الآية بما:

حدثنا به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فأنزل الله عزّ وجلّ بعد هذا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية، وفيمن نزلت، فقال بعضهم: نزلت في الحارث بن سويد الأنصاري، وكان مسلماً، فارتدّ بعد إسلامه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رجل من الأنصار أسلم، ثم ارتدّ ولحق بالشرك، ثم ندم، فأرسل إلى قومه: أرسلوا إلى رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ قال: فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ

الظَّالِمِينَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأرسل إليه قومه، فأسلم.

حدثني ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة بنحوه، ولم يرفعه إلى ابن عباس، إلا أنه قال: فكتب إليه قومه، فقال: ما كذبني قومي، فرجع.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حكيم بن جميع، عن عليّ بن مسهر، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: ارتدّ رجل من الأنصار، فذكر نحوه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، قال: أخبرنا حميد الأعرج، عن مجاهد، قال: جاء الحارث بن سويد، فأسلم مع النبيّ ﷺ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه القرآن: **﴿كَيفَ يَهدِي اللَّهُ قَوماً كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ﴾** إلى: **﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** قال: فحملها إليه رجل من قومه، فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما عُلِمْتُ لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله عزّ وجلّ لأصدق الثلاثة! قال: فرجع الحارث فأسلم، فحسن إسلامه.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿كَيفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِم وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌ﴾** قال: أنزلت في الحارث بن سويد الأنصاري كفر بعد إيمانه، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه هذه الآيات، إلى: **﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾** ثم تاب وأسلم، فنسخها الله عنه، قال: **﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمْ البَيِّنات﴾** قال رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: هو رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه. قال ابن جريج: أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: لحق بأرض الروم فتنصر، ثم كتب إلى قومه: أرسلوا هل لي من توبة؟ قال: فَحَسِبْت أنه آمن ثم رجع. قال: ابن جريج: قال عكرمة: نزلت في أبي عامر الراهب، والحارث بن سويد بن الصامت، ووَحْوَح بن الأسلت في اثني عشر رجلاً رجعوا عن الإسلام، ولحقوا بقريش، ثم كتبوا إلى أهلهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت: **﴿إلاَّ الَّذِي تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾**. . . الآيات.

وقال آخرون: عنى بهذه الآية أهل الكتاب، وفيهم نزلت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ﴾ فهم أهل الكتاب عرفوا محمداً ﷺ، ثم كفروا به.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ﴾... الآية كلها، قال اليهود والنصارى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول في قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ﴾... الآية، هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، رأوا نعت محمد ﷺ في كتابهم، وأقرّوا به، وشهدوا أنه حق، فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك، فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسداً للعرب حين بعث من غيرهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ﴾ قال: هم أهل الكتاب؛ كانوا يجدون محمداً ﷺ في كتابهم، ويستفتحون به، فكفروا بعد إيمانهم.

قال أبو جعفر: وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن، من أن هذه الآية معنيّ بها أهل الكتاب على ما قال. غير أن الأخبار بالقول الآخر أكثر، والقائلين به أعلم بتأويل القرآن، وجائز أن يكون الله عزّ وجلّ أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدّوا عن الإسلام، فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد ﷺ في هذه الآيات، ثم عرّف عباده سنته فيهم، فيكون داخلاً في ذلك كل من كان مؤمن بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، ثم كفر به بعد أن بعث، وكل من كان كافراً ثم أسلم على عهده ﷺ ثم ارتدّ وهو حيّ عن إسلامه، فيكون معنياً بالآية جميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما، بل ذلك كذلك إن شاء الله.

فتأويل الآية إذاً: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ يعني: كيف يرشد الله للصواب، ويوفق للإيمان، قوماً جحدوا نبوّة محمد ﷺ، بعد إيمانهم: أي بعد تصديقهم إيّاهُ، وإقرارهم بما جاءهم به من عند ربه. ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ يقول: وبعد أن أقرّوا أن محمداً رسول الله ﷺ إلى خلقه حقاً. ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ يعني: وجاءهم الحجج من عند الله، والدلائل بصحة ذلك. ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: والله لا يوفق للحقّ والصواب الجماعة الظلمة، وهم الذين بدّلوا الحقّ إلى الباطل، فاختاروا الكفر على الإيمان. وقد دللنا فيما مضى

قبل على معنى الظلم، وأنه وضع الشيء في غير موضعه بما أغنى عن إعادته. ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ يعني: هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم، وبعد أن شهدوا أن الرسول حقّ، ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ ثوابهم من عملهم الذي عملوه، ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ﴾ يعني أن حلّ بهم من الله الإقصاء والبعد، ومن الملائكة والناس إلا مما يسوءهم من العقاب ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يعني من جميعهم: لا بعض من سماه جلّ ثناؤه من الملائكة والناس، ولكن من جميعهم، وإنما جعل ذلك جلّ ثناؤه ثواب عملهم، لأن عملهم كان بالله كفراً. وقد بينا صفة لعنة الناس الكافر في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته. ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ يعني: ماكثين فيها، يعني: في عقوبة الله. ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ﴾ لا ينقصون من العذاب شيئاً في حال من الأحوال ولا يُنفَّسون فيه. ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يعني: ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون، وذلك كله: أعني الخلود في العقوبة في الآخرة. ثم استثنى جلّ ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم، فقال تعالى ذكره: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ يعني: إلا الذين تابوا من بعد ارتدادهم عن إيمانهم، فراجعوا الإيمان بالله وبرسوله، وصدّقوا بما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند ربهم. ﴿وأَصْلَحُوا﴾ يعني: وعملوا الصالحات من الأعمال. ﴿فإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني فإن الله لمن فعل ذلك بعد كفره ﴿غَفُورٌ﴾ يعني: ساتر عليه ذنبه الذي كان منه من الردّة، فتارك عقوبته عليه، وفضيحته به يوم القيامة، غير مؤاخذه به إذا مات على التوبة منه، رحيم متعطف عليه بالرحمة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عنى الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد ﷺ بعد إيمانهم. ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ بكفرهم بمحمد. ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ عند حضور الموت وحشره بنفسه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ قال: اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ أولئك أعداء الله اليهود، كفروا بالإنجيل وبعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ والفرقان.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في

قوله: ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ قال: ازدادوا كفراً حتى حضرهم الموت، فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت. قال معمر: وقال مثل ذلك عطاء الخراساني.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ وقال: هم اليهود كفروا بالإنجيل، ثم ازدادوا كفراً حين بعث الله محمداً ﷺ، فأنكروه، وكذّبوا به.

وقال آخرون: معنى ذلك: إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد بعد إيمانهم بأنبيائهم، ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾: يعني ذنوباً، ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ من ذنوبهم، وهم على الكفر مقيمون.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن رفيع: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ ازدادوا ذنوباً وهم كفار، ﴿فَلَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ من تلك الذنوب ما كانوا على كفرهم وضلالتهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، قال: سألت أبا العالية، قال: قلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾؟ قال: إنما هم هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا ثم ازدادوا كفراً بذنوب أصابوها، فهم يتوبون منها في كفرهم.

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري، قال: أخبرنا ابن أبي عديّ، عن داود، قال: سألت أبا العالية عن الذين آمنوا ثم كفروا، فذكر نحواً منه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، قال: سألت أبا العالية عن هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ قال: هم اليهود والنصارى والمجوس، أصابوا ذنوباً في كفرهم فأرادوا أن يتوبوا منها، ولن يتوبوا من الكفر، ألا ترى أنه يقول: ﴿وأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾؟

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن داود، عن أبي العالية في قوله: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قال: تابوا من بعض، ولم يتوبوا من الأصل.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً﴾ قال: هم اليهود والنصارى يصيبون الذنوب فيقولون نتوب وهم مشركون، قال الله عزّ وجلّ: لن تقبل التوبة في الضلالة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأنبيائهم، ثم ازدادوا كفراً، يعني

بزيادتهم الكفر: تمامهم عليه حتى هلكوا وهم عليه مقيمون، لن تقبل توبتهم: لن تنفعهم توبتهم الأولى، وإيمانهم لكفرهم الآخر وموتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: ﴿**ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً**﴾ قال: تمّوا على كفرهم. قال ابن جريج: ﴿**لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾ يقول: إيمانهم أوّل مرّة لن ينفعهم.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿**ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً**﴾ ماتوا كفاراً، فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم. وقالوا: معنى﴿**لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾: لن تقبل توبتهم عند موتهم

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ**﴾ أما ازدادوا كفراً: فماتوا وهم كفار، وأما لن تقبل توبتهم: فعند موته إذا تاب لم تقبل توبته.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من قال: عنى بها اليهودَ، وأن يكون تأويله: إن الذين كفروا من اليهود بمحمد ﷺ عند مبعثه بعد إيمانهم به قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفراً بما أصابوا من الذنوب في كفرهم ومقامهم على ضلالتهم، لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم، حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد ﷺ، ويراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب، لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها إذ كانت في سياق واحد. وإنما قلنا: معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم من المعاصي، لأنه جلّ ثناؤه قال: ﴿**لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾ فكان معلوماً أن معنى قوله: ﴿**لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**﴾ إنما هو معنيّ به: لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم، لا من كفرهم، لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده، فقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ فمحال أن يقول عزّ وجلّ أقبل، ولا أقبل في شيء واحد. وإذ كان ذلك كذلك، وكان من حكم الله في عباده أنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب، وكان الكفر بعد الإيمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه، غير المعنى الذي تقبل التوبة منه. وإذ كان ذلك كذلك، فالذي لا تقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره، لأن الله لا يقبل من مشرك عملاً

ما أقام على شركه وضلاله، فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح، فإن الله كما وصف به نفسه، غفور رحيم.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون معنى ذلك، كما قال من قال: فلن تقبل توبتهم من كفرهم عند حضور أجله، أو توبته الأولى؟ قيل: أنكرنا ذلك لأن التوبة من العبد غير كائنة إلا في حال حياته، فأما بعد مماته فلا توبة، وقد وعد الله عزّ وجلّ عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، ولا خلاف بين جميع الحجة في أن كافراً لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة، وسائر الأحكام غيرها، فكان معلوماً بذلك أن توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام، ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز أن يقال لا يقبل الله فيها توبة الكافر، فإذا صحّ أنها في حال حياته مقبولة، ولا سبيل بعد الممات إليها، بطل قول الذي زعم أنها غير مقبولة عند حضور الأجل.

وأما قول من زعم أن معنى ذلك التوبة التي كانت قبل الكفر فقول لا معنى له، لأن الله عزّ وجلّ لم يوصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر، ثم كفر بعد إيمان، بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان، فلم يتقدم ذلك الإيمان كفر كان للإيمان لهم توبة منه، فيكون تأويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك، وتأويل القرآن على ما كان موجوداً في ظاهر التلاوة إذا لم تكن حجة تدلّ على باطن خاصّ أولى من غيره وإن أمكن توجيهه إلى غيره.

وأما قوله: ﴿وأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ فإنه يعني بذلك: وهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم، ثم ازدادوا كفراً، هم الذين ضلوا سبيل الحقّ، فأخطاؤا منهجه، وتركوا مَنْصَفَ[1] السبيل وهدى الله الدين، حيرةً منهم وعَمًى عنه. وقد بينا فيما مضى معنى الضلال بما فيه الكفاية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿إنَّ الذينَ كفرُوا﴾ أي جحدوا نبوّة محمد ﷺ، ولم يصدّقوا به، وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم. ﴿وَماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يعني: وماتوا على ذلك من جحود نبوّته، وجحود ما جاء به. ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ

(١) المنصف من الطريق ومن النهار ومن كل شيء: وسطه. وفي الأصل: نصف.

الأرض ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ يقول: فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة في الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره، ولا جعل على العفو عنه، ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشرقها إلى مغربها، فَرَشَا وجزى على ترك عقوبته وفي العفو عنه على كفره عوضاً مما الله محلّ به من عذابه، لأن الرشوة إنما يقبلها من كان ذا حاجة إلى ما رُشي، فأما من له الدنيا والآخرة، فكيف يقبل الفدية، وهو خلاق كل فدية افتدى بها مفتد عن نفسه أو غيره؟ وقد بينا أن معنى الفدية؛ العوض والجزاء من المفتدى منه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ثم أخبر عزّ وجلّ عما لهم عنده، فقال: **﴿أولَئِكَ﴾** يعني: هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار، **﴿لهم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** يقول: لهم عند الله في الآخرة عذاب موجع، **﴿وما لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾** يعني: وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره، فيستنقذه من الله ومن عذابه، كما كانوا ينصرونه في الدنيا على من حاول أذاه ومكروهه. وقد:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثنا أنس بن مالك، أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «يُجاءُ بالكافر يَوْمَ القِيامَةِ فيُقالُ لَهُ: أرأيتَ لَوْ كانَ لَكَ مِلْءُ الأرْضِ ذَهَباً، أكُنْتَ مُفْتَدِياً بِهِ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ، قال: فَيُقالُ لَقَدْ سُئِلْتَ ما هُوَ أيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ»، فذلك قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾**.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن، قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأرْضِ ذَهَباً﴾** قال: هو كل كافر.

ونصب قوله «ذهباً» على الخروج من المقدار الذي قبله والتفسير منه، وهو قوله: «ملء الأرض»، كقول القائل: عندي قدر زقّ سمناً وقدر رطل عسلاً، فالعسل مبين به ما ذكر من المقدار، وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه.

وأما نحويو البصرة، فإنهم زعموا أنه نصب الذهب لاشتغال الملء بالأرض، ومجيء الذهب بعدهما، فصار نصبها نظير نصب الحال، وذلك أن الحال يجيء بعد فعل قد شغل بفاعله فينصب، كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفعل الذي قد شغل بفاعله، قالوا: ونظير قوله: **﴿مِلْءُ الأرْض ذَهَباً﴾** في نصب الذهب في الكلام: لي مثلك رجلاً، بمعنى: لي مثلك من الرجال. وزعموا أن نصب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم، فنصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل، وأدخلت الواو في قوله: **﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾** لمحذوف من الكلام بعده دلّ عليه دخول الواو، كالواو في قوله: **﴿وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾**. وتأويل الكلام: وليكون من الموقنين، أريناه ملكوت السموات والأرض، فكذلك ذلك في قوله: **﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾**، ولو لم يكن في الكلام واو، لكان الكلام صحيحاً، ولم يكن هنالك متروك وكان: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو افتدى به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: لن تدركوا أيها المؤمنون البرّ، وهو البرّ من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له، ويرجونه منه، وذلك تفضله عليهم بإدخاله جنته، وصرف عذابه عنهم؛ ولذلك قال كثير من أهل التأويل: البرّ: الجنة، لأن برّ الربّ بعبده في الآخرة وإكرامه إياه بإدخاله الجنة.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله: ﴿**لَنْ تنالُوا البِرَّ**﴾ قال: الجنة.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله: ﴿**لَنْ تَنَالُوا البِرَّ**﴾ قال: البرّ: الجنة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ**﴾ أما البرّ. فالجنة.

فتأويل الكلام: لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم، حتى تنفقوا مما تحبون، يقول: حتى تتصدّقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ يقول: لن تنالوا برّ ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ومما تههون من أموالكم.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر، عن عباد، عن الحسن، قوله: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ قال: من المال.

وأما قوله: ﴿**وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ فإنه يعني به: ومهما تنفقوا من شيء فتصدّقوا به من أموالكم، فإن الله تعالى ذكره بما يتصدّق به المتصدّق منكم، فينفقه مما يحبّ من ماله في سبيل الله، وغير ذلك عليم، يقول: هو ذو علم بذلك كله، لا يعزب عنه شيء منه حتى يجازى صاحبه عليه جزاءه في الآخرة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَما تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ يقول: محفوظ لكم ذلك الله به عليم شاكر له.

وبنحو التأويل الذي قلنا تأوّل هذه الآية جماعة من الصحابة والتابعين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص، فدعا بها عمر بن الخطاب، فقال: إن الله يقول: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ فأعتقها عمر. وهي مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسكِيناً وَيَتِيماً وأسِيراً**﴾، ﴿**وَيُؤْثِرُونَ على أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن أبي أبي نجيح، عن مجاهد، مثله سواء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ أو هذه الآية: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله حائطي الذي بكذا وكذا صدقة، ولو استطعت أن أجعله سرّاً لم أجعله علانية. فقال رسول الله ﷺ: «اجْعَلْها فِي فُقَرَاءِ أهْلِكَ».

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يسألنا من أموالنا، اشهد أني قد جعلت أرضي بأرْيَحا لله، فقال رسول الله ﷺ: «اجْعَلْها فِي قَرَابَتِكَ». فجعلها بين حسان بن ثابت وأبيّ بن كعب.

حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا ليث، عن ميمون بن مهران، أن رجلاً سأل أبا ذرّ أيّ الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد: سنام العمل، والصدقة شيء عجيب. فقال: يا أبا ذرّ لقد تركت شيئاً هو أوثق عملي في نفسي لا أراك ذكرته! فقال: ما هو؟ قال: الصيام، فقال: قربة، وليس هناك! وتلا هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن عمرو بن دينار، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**لَنْ تَنالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ جاء زيد بفرس له يقال لها: «سَبَل»(١) إلى النبيّ ﷺ، فقال:

---

(١) في التاج: سبل بالباء بوزن سبب: اسم فرس. وفي الأصول: سيل، بالياء.

تصدّق بهذه يا رسول الله! فأعطاها رسول الله ﷺ ابنة أسامة بن زيد بن حارثة، فقال: يا رسول الله إنما أردت أن أتصدّق به، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ قُبِلَتْ صَدَقَتُكَ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب وغيره: أنها حين نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله! فحمل رسول الله ﷺ عليها أسامة بن زيد، فكأن زيداً وجد في نفسه، فلما رأى ذلك منه النبيّ ﷺ قال: «أمَا إنَّ اللَّهَ قَدْ قَبِلَها».

تمّ الجزء الثالث من تفسير ابن جرير الطبري،

ويليه الجزء الرابع

وأوله:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كلّ الطعام﴾

محتوى الجزء الثالث من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥٣	﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾	٥
٢٥٤	﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾	٧
٢٥٥	﴿اللّٰه لا إلٰه إلا هو الحيّ القيوم﴾	٩
٢٥٦	﴿لا إكراه في الدين﴾	١٩
٢٥٧	﴿اللّٰه وليّ الذين آمنوا﴾	٢٨
٢٥٨	﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه﴾	٣٠
٢٥٩	﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية﴾	٣٥
٢٦٠	وإذ قال إبراهيم ربي أرني	٥٨
٢٦١	﴿مثل الذين ينفقون أموالهم﴾	٧٣
٢٦٢	﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّٰه﴾	٧٦
٢٦٣	﴿قول معروف ومغفرة خير﴾	٧٧
٢٦٤	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا﴾	٧٨
٢٦٥	﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء﴾	٨٣
٢٦٦	أيودّ أحدكم أن تكون له جنة	٨٩
٢٦٧	﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾	٩٦
٢٦٨	﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم﴾	١٠٥
٢٦٩	﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾	١٠٧
٢٧٠	﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم﴾	١١٠
٢٧١	﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾	١١١
٢٧٢	﴿ليس عليك هداهم﴾	١١٣
٢٧٣	﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل اللّٰه﴾	١١٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧٤	﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل﴾	١٢٠
٢٧٥	﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون﴾	١٢١
٢٧٦	﴿يمحق اللّه الربا ويربي الصدقات﴾	١٢٥
٢٧٧	﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	١٢٦
٢٧٨	﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه﴾	١٢٧
٢٧٩	﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّه﴾	١٢٨
٢٨٠	﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة﴾	١٣٠
٢٨١	﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه﴾	١٣٦
٢٨٢	﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾	١٣٧
٢٨٣	﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا﴾	١٦٤
٢٨٤	﴿للّه ما في السموات وما في الأرض﴾	١٦٨
٢٨٥	﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾	١٧٨
٢٨٦	﴿لا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها﴾	١٨١

تفسير سورة آل عمران

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	﴿الم﴾	١٩٠
٢	﴿اللّه لا إله إلا هو الحيّ القيوم﴾	١٩٠
٣	﴿نزل عليك الكتاب بالحقّ﴾	١٩٥
٤	﴿من قبل هدى للناس﴾	١٩٥
٥	﴿إن اللّه لا يخفى عليه شيء﴾	١٩٨
٦	﴿هو الذي يصوركم في الأرحام﴾	١٩٨
٧	﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾	٢٠٠
٨	﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾	٢١٩
٩	﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم﴾	٢٢١
١٠	﴿إن الذين كفروا لن تغني عنهم﴾	٢٢٢
١١	﴿كدأب آل فرعون﴾	٢٢٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢	﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾	٢٢٤
١٣	﴿قد كان لكم آية في فئتين التقتا﴾	٢٢٦
١٤	﴿زين للناس حبّ الشهوات﴾	٢٣٣
١٥	﴿قل أونبئكم بخير من ذلكم﴾	٢٤١
١٦	﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا﴾	٢٤٣
١٧	﴿الصابرين والصادقين والقانتين﴾	٢٤٤
١٨	﴿شهد اللّه أنه لا إله إلا هو﴾	٢٤٥
١٩	﴿إن الذين عند اللّه الإسلام﴾	٢٤٨
٢٠	﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي للّه﴾	٢٥١
٢١	﴿إن الذين يكفرون بآيات اللّه﴾	٢٥٢
٢٢	﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم﴾	٢٥٢
٢٣	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً﴾	٢٥٥
٢٤	﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار﴾	٢٥٦
٢٥	﴿فكيف إذا جمعناكم ليوم لا ريب فيه﴾	٢٥٧
٢٦	﴿قل اللهمّ مالك الملك﴾	٢٥٨
٢٧	﴿تولج الليل في النهار﴾	٢٦١
٢٨	﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾	٢٦٧
٢٩	﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم﴾	٢٧٠
٣٠	﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾	٢٧٠
٣١	﴿قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعوني﴾	٢٧٢
٣٢	﴿قل أطيعوا اللّه والرسول﴾	٢٧٣
٣٣	﴿إن اللّه اصطفى آدم ونوحاً﴾	٢٧٤
٣٤	﴿ذرية بعضها من بعض﴾	٢٧٥
٣٥	﴿إذ قالت امرأة عمران﴾	٢٧٥
٣٦	﴿فلما وضعّها قالت ربّ﴾	٢٧٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٧	﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾	٢٨٢
٣٨	﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾	٢٨٩
٣٩	﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي﴾	٢٩١
٤٠	﴿قال ربّ أنى يكون لي غلام﴾	٣٠١
٤١	﴿قال ربّ اجعل لي آية﴾	٣٠٣
٤٢	﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم﴾	٣٠٨
٤٣	﴿يا مريم اقنتي لربك﴾	٣١٠
٤٤	﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾	٣١٢
٤٥	﴿إذ قالت الملائكة يا مريم﴾	٣١٥
٤٦	﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً﴾	٣١٨
٤٧	﴿قالت أنى يكون لي ولد﴾	٣٢٠
٤٨	﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة﴾	٣٢٠
٤٩	﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾	٣٢١
٥٠	﴿ومصدّقا لما بين يديّ من التوراة﴾	٣٢٩
٥١	﴿إن اللّه ربي وربكم فاعبدوه﴾	٣٢٩
٥٢	﴿فلما أحسّ عيسى منهم الكفر﴾	٣٣٢
٥٣	﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول﴾	٣٣٧
٥٤	﴿ومكروا ومكر اللّه﴾	٣٣٧
٥٥	﴿إذ قال اللّه يا عيسى إني متوفيك﴾	٣٣٨
٥٦	﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم﴾	٣٤٣
٥٧	﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٣٤٣
٥٨	﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر﴾	٣٤٤
٥٩	﴿إن مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم﴾	٣٤٤
٦٠	﴿الحقّ من ربك فلا تكن من الممترين﴾	٣٤٧
٦١	﴿فمن حاجك فيه من بعدما جاءك﴾	٣٤٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٢	﴿إن هذا لهو القصص الحقّ﴾	٣٤٨
٦٣	﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة﴾	٣٥٢
٦٤	﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾	٣٥٥
٦٥	﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾	٣٥٧
٦٦	﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾	٣٥٧
٦٧	﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾	٣٥٩
٦٨	﴿ودت طائفة من أهل الكتاب﴾	٣٥٩
٦٩	﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات اللّه﴾	٣٦٠
٧٠	﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق﴾	٣٦١
٧١	﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب﴾	٣٦٢
٧٢	﴿يختص برحمته من يشاء﴾	٣٦٥
٧٣	﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾	٣٦٨
٧٤	﴿ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار﴾	٣٦٩
٧٥	﴿بل من أوفى بعهده واتقى﴾	٣٧٢
٧٦	﴿إن الذين يشترون بعهد اللّه وأيمانهم﴾	٣٧٣
٧٧	﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم﴾	٣٧٦
٧٨	﴿ما كان لبشر أن يؤتيه اللّه الكتاب﴾	٣٧٨
٧٩	﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة﴾	٣٨٣
٨٠	﴿وإذ أخذ اللّه ميثاق النبيين﴾	٣٨٤
٨١	﴿فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾	٣٩٠
٨٢	﴿أفغير دين اللّه يبغون﴾	٣٩١
٨٣	﴿قل آمنا باللّه وما أنزل علينا﴾	٣٩٤
٨٤	﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾	٣٩٤
٨٥	﴿كيف يهدي اللّه قوماً كفروا﴾	٣٩٥
٨٦	﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم﴾	٣٩٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٨٧	﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾	٤٠١
٨٨	﴿لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا مما تحبون﴾	٤٠٣

جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الرابع

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

(٣) سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنه لم يكن حرّم على بني إسرائيل ـ وهم ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ـ شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزل التوراة، بل كان ذلك كله لهم حلالاً، إلا ما كان يعقوب حرّمه على نفسه، فإن ولده حرّموه استناناً بأبيهم يعقوب، من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل ولا على لسان رسول له إليهم من قبل نزول التوراة.

ثم اختلف أهل التأويل في تحريم ذلك عليهم، هل نزل في التوراة أم لا؟ فقال بعضهم: لما أنزل الله عزّ وجلّ التوراة، حرّم عليهم من ذلك ما كانوا يحرّمونه قبل نزولها. ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قوله: **﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فأْتُوا بالتَّوْرَاة فاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** قالت اليهود: إنما نحرّم ما حرّم إسرائيل على نفسه، وإنما حرّم إسرائيل العروق، كان يأخذه عرق النَّسا، كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار، فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عِرْقاً أبداً، فحرّمه الله عليهم ثم قال: **﴿قُلْ فأْتُوا بالتَّوْرَاة فاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**: ما حرّم هذا عليكم غيري ببغيكم، فذلك قوله: **﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾**.

فتأويل الآية على هذا القول: كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، فإن الله حرّم عليهم من ذلك ما كان إسرائيل حرّمه على نفسه في التوراة، ببغيهم على أنفسهم، وظلمهم لها. قل يا محمد: فأتوا أيها اليهود إن أنكرتم ذلك

بالتوراة، فاتلوها إن كنتم صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم في التوارة، وأنكم إنما تحرّمونه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه.

وقال آخرون: ما كان شيء من ذلك عليهم حراماً، لا حرّمه الله عليهم في التوراة، وإنما هو شيء حرّموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم، ثم أضافوا تحريمه إلى الله. فكذبهم الله عز وجل في إضافتهم ذلك إليه، فقال الله عزّ وجلّ لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: إن كنتم صادقين، فأتوا بالتوراة فاتلوها، حتى ننظر هل ذلك فيها، أم لا؟ ليتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَئِيلُ على نَفْسِهِ**﴾ إسرائيل: هو يعقوب، أخذه عرق النساء، فكان لا يثبت[١] الليل من وجعه، وكان لا يؤذيه بالنهار. فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عِرْقاً أبداً، وذلك قبل نزول التوراة على موسى. فسأل نبي الله ﷺ اليهود ما هذا الذي حرّم إسرائيل على نفسه؟ فقالوا: نزلت التوراة بتحريم الذي حرّم إسرائيل فقال الله لمحمد ﷺ: ﴿**قُلْ فأْتُوا بالتَّوْرَاة فاتْلُوها إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾... إلى قوله: ﴿**فأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ وكذبوا وافتروا، لم تنزل التوراة بذلك.

وتأويل الآية على هذا القول: كل الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، بمعنى: لكن إسرائيل حرّم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك. وكأن الضحاك وجه قوله: ﴿**إلاَّ ما حرَّمَ إِسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ**﴾ إلى الاستثناء الذي يُسمّيه النحويون: الاستثناء المنقطع.

وقال آخرون تأويل ذلك: كل الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، فإن ذلك حرام على ولده بتحريم إسرائيل إياه على ولده، من غير أن يكون الله حرّمه على إسرائيل ولا على ولده.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،

(١) لا يسكن ولا ينام.

عن ابن عباس قوله: ﴿**كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاً لِبَني إسْرَائِيلَ إلاَّ مَا حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ**﴾ فإنه حرّم على نفسه العروق، وذلك أنه كان يشتكي عرق النسا، فكان لا ينام الليل، فقال: والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد! وليس مكتوباً في التوراة. وسأل محمد ﷺ نفراً من أهل الكتاب، فقال «ما شأن هذا حراماً؟» فقالوا: هو حرام علينا من قبل الكتاب. فقال الله عز وجل: ﴿**كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاً لِبَني إسْرَائِيلَ**﴾... إلى: ﴿**إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس: أخذه ـ يعني إسرائيل ـ عِرْقُ النَّسَا، فكان لا يثبت بالليل من شدّة الوجع، وكان لا يؤذيه بالنهار، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عِرْقاً أبداً، وذلك قبل أن تنزل التوارة، فقال اليهود للنبي ﷺ: نزلت التوراة بتحريم الذي حرّم إسرائيل على نفسه. قال الله لمحمد ﷺ: ﴿**قُلْ فأْتُوا بالتَّوْرَاة فاتْلُوها إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ وكذبوا، ليس في التوراة.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوارة، إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه، فإن كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم، من غير أن يحرّمه الله عليهم في تنزيل ولا بوحي قبل التوراة، حتى نزلت التوراة، فحرم الله عليهم فيها ما شاء، وأحلّ لهم فيها ما أحبّ. وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل، وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاً لِبَني إسْرَائِيلَ إلاَّ مَا حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ**﴾ وإسرائيل: هو يعقوب. ﴿**قُلْ فأْتُوا بالتَّوْرَاة فاتْلُوها إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ يقول: كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة. إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، فلما أنزل الله التوراة حرّم عليهم فيها ما شاء. وأحلّ لهم ما شاء.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة بنحوه.

واختلف أهل التأويل في الذي كان اسرائيل حرّمه على نفسه، فقال بعضهم: كان الذي حرّمه إسرائيل على نفسه العروق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن يوسف بن ماهك، قال: جاء أعرابي إلى ابن عباس، فقال: إنه جعل امرأته عليه حراماً. قال: ليست عليك بحرام قال: فقال الأعرابي: ولم والله يقول في كتابه: ﴿**كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إسْرَائِيلَ إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ**﴾ قال: فضحك ابن عباس وقال: وما يدريك ما كان إسرائيل حرّم على نفسه؟ قال: ثم أقبل على القوم يحدثهم، فقال: إسرائيل عرضت له الأنساء فأضنته، فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عِرْقاً. قال: فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، قال: سمعت يوسف بن ماهك يحدّث: أن أعرابياً أتى ابن عباس، فذكر رجلاً حرّم امرأته، فقال: إنها ليست بحرام. فقال الأعرابي: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إسْرَائِيلَ إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ**﴾ فقال: إن إسرائيل كان به عرق النسا، فحلف لئن عافاه الله أن لا يأكل العروق من اللحم، وإنها ليست عليك بحرام.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز في قوله: ﴿**كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إسْرَائِيلَ إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ**﴾ قال: إن يعقوب أخذه وجع عرق النسا، فجعل الله عليه ـ أو أقسم، أو قال ـ لا يأكله من الدواب. قال: والعروق كلها تبع لذلك العرق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن الذي حرّم إسرائيل على نفسه، أن الأنساء أخذته ذات ليلة، فأسهرته، فتألى[1] إن الله شفاه لا يطعم نساً أبداً فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة بنحوه، وزاد فيه: قال: فتألى لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً، فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق، فيخرجونها من اللحم، وكان الذي حرّم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة العروق.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في

(١) تألى: حلف.

قوله: ﴿إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ﴾ قال: اشتكى إسرائيل عرق النسا، فقال: إن الله شفاني لأحرمنّ العروق، فحرّمها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان إسرائيل أخذه عرق النَّسا، فكان يبيت وله زُقاء، فجعل لله عليه إن شفاه أن لا يأكل العروق. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إسْرَائِيلَ إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ﴾. قال سفيان: له زقاء: يعني صياح.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ﴾ قال: كان يشتكي عرق النسا، فحرّم العروق.

حدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عباس في قوله: ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إسْرَائِيلَ إلاَّ ما حَرَّمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ قال: كان إسرائيل يأخذه عرق النسا، فكان يبيت وله زُقاء، فحرّم على نفسه أن يأكل عرقاً.

وقال آخرون: بل الذي كان إسرائيل حرّم على نفسه: لُحوم والإبل وألبانُها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، قال: سمعنا أنه اشتكى شكوى، فقالوا: إنه عرق النسا، فقال: ربّ إن أحبّ الطعام إليّ لحوم الإبل وألبانها، فإن شفيتني فإني أحرّمها علي! قال ابن جريج: وقال عطاء بن أبي رباح: لحوم الإبل وألبانها حرّم إسرائيل.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إسْرَائِيلَ﴾ قال: كان إسرائيل حرّم على نفسه لحوم الإبل،

وكانوا يزعمون أنهم يجدون في التوراة تحريم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل، وإنما كان حرّم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل قبل أن تنزل التوراة، فقال الله: ﴿فَأْتُوا بِالتَّورَاةِ فاتْلُوهَا إنْ كُنتُمْ صَادِقِينِ﴾ فقال: لا تجدون في التوراة تحريم إسرائيل على نفسه إلا[١] لحم الإبل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت، قال: ثنا سعيد، عن ابن عباس: أن إسرائيل أخذه عرق النسا، فكان يبيت بالليل له زُقاء - يعني صياح - قال: فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله - يعني لحوم الإبل - قال: فحرّمه اليهود. وتلا هذه الآية: ﴿كُلُ الطَّعامِ كانَ حِلاً لِبَنِي إسْرَائِيلَ إلاَ ما حَرَمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بالتَّورَاةِ فاتْلُوهَا إنْ كُنتُمْ صَادِقِينِ﴾ أي: إن هذا قبل التوراة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في: ﴿إلاَ ما حَرَمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ﴾ قال: حرّم العروق ولحوم الإبل. قال: كان به عرق النَّسا، فأكل من لحومها فبات بليلة يزقو، فحلف أن لا يأكله أبداً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد في قوله: ﴿إلاَ ما حَرَمَ إسْرَائِيلُ على نَفْسِهِ﴾ قال: حرّم لحوم الأنعام.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول ابن عباس الذي رواه الأعمش، عن حبيب، عن سعيد، عنه، أن ذلك العروق ولحوم الإبل، لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمها، كما كان عليه من ذلك أوائلها وقد رُوي عن رسول الله ﷺ بنحو ذلك خبر، وهو ما:

حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس: أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا أيّ الطعام حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنْشُدُكُم بالَّذي أنْزَلَ التَّوْرَاةَ على مُوسَى هَلْ تَعْلَمُونَ أنَّ إسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ مَرِضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَطالَ سَقَمُهُ مِنْهُ، فَنَذَرَ للَّهِ نَذْراً لَئِنْ عافاهُ اللَّهُ مِنْ سَقَمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أحبَّ الطَّعامِ

(١) لفظ إلا زائد من الناسخ كما يدرك من السابق واللاحق.

وَالشَّرابِ إِلَيْهِ، وكانَ أَحَبُّ الطَّعامِ إِلَيْهِ لحُمَانُ الإبِلِ، وأَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبانُها؟» فقالوا: اللهم نعم.

وأما قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بالتَّوراةِ فاتْلُوهَا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فإن معناه: قل يا محمد للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم في التوراة العروق ولحوم الإبل وألبانها، ائتوا بالتوراة فاتلوها! يقول: قل لهم: جيئوا بالتوراة فاتلوها، حتى يتبين لمن خفي عليه كذبهم وقيلهم الباطل على الله من أمرهم، أن ذلك ليس مما أنزلته في التوراة ﴿إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، يقول: إن كنتم محقين في دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك في التوراة، فأتونا بها، فاتلوا تحريم ذلك علينا منها. وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم، لأنهم لا يجيئون بذلك أبداً على صحته، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه ﷺ، وجعل إعلامه إياه ذلك حجة له عليهم؛ لأن ذلك إذا كان يخفى على كثير من أهل ملّتهم، فمحمد ﷺ وهو أميّ من غير ملتهم، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحي من عنده، كان أحرى أن لا يعلمه. فكان في ذلك له ﷺ من أعظم الحجة عليهم بأنه نبي الله ﷺ إليهم، لأن ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفي علومهم الذي لا يعلمه غير خاصة منهم، إلا من أعلمه الذي لا يخفى عليه خافية من نبيّ أو رسول، أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٩٤)﴾

يعني جلّ ثناؤه بذلك: فمن كذب على الله منا ومنكم من بعد مجيئكم بالتوراة، وتلاوتكم إياها، وعَدَمِكُم ما ادّعيتم من تحريم الله العروق ولحوم الإبل وألبانها فيها، ﴿فأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: فمن فعل ذلك منهم ﴿فأُولَئِكَ﴾ يعني فهؤلاء الذين يفعلون ذلك، ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني فهم الكافرون القائلون على الله الباطل. كما:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن زكريا، عن الشعبي: ﴿فأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال: نزلت في اليهود.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٩٥)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد: صدق الله فيما أخبرنا به من قوله: ﴿كُلُ الطَّعامِ كانَ حِلاً لِبَني إسْرَائِيلَ﴾ وأن الله لم يحرّم على إسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحومَ الإبل وألبانها، وأن ذلك إنما كان شيئاً حرّمه إسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله إياه عليهم في

التوراة، وفي كل ما أخبر به عباده من خبر دونكم وأنتم يا معشر اليهود الكذبةُ في إضافتكم تحريم ذلك إلى الله عليكم في التوراة، المفترية على الله الباطل في دعواكم عليه غير الحقّ ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: فإن كنتم أيها اليهود محقين في دعواكم أنكم على الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله، فاتبعوا ملة إبراهيم خليل الله، فإنكم تعلمون أنه الحقّ الذي ارتضاه الله من خلقه ديناً، وابتعث به أنبياءه، وذلك الحنيفة، يعني الاستقامة على الإسلام وشرائعه، دون اليهودية والنصرانية والمشركة. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: لم يكن يشرك في عبادته أحداً من خلقه، فكذلك أنتم أيضاً أيها اليهود، فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله، تطيعونهم كطاعة إبراهيم ربه. وأنتم يا معشر عبدة الأوثان، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام أرباباً، ولا تعبدوا شيئاً من دون الله، فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينه إخلاص العبادة لربه وحده، من غير إشراك أحد معه فيه، فكذلك أنتم أيضاً، فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه في العبادة أحداً، فإن جميعكم مُقِرّون بأن إبراهيم كان على حقّ وهدى مستقيم، فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه من ملته الحنيفية، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائل الملل غيرها أيها الأحزاب، فإنها بدع ابتدعتموها إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حقّ، فإن الذي أجمعتم عليه أنه صواب وحقّ من ملة إبراهيم هو الحقّ الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحد من خلقي جاءني به يوم القيامة. وإنما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يعني به: وما كان من عددهم وأوليائهم، وذلك أن المشركين بعضهم من بعض في التظاهر على كفرهم، ونصرة بعضهم بعضاً، فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم أو من نصرائهم وأهل ولايتهم. وإنما عنى جلّ ثناؤه بالمشركين: اليهود والنصارى، وسائر الأديان غير الحنيفية، قال: لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة، ولكنه كان حنيفاً مسلماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله: إن أوّل بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركاً وهدى للعالمين، الذي ببكة. قالوا: وليس هو أوّل بيت وضع في الأرض، لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا هناد بن السرّي، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عُرعرة،

قال: قام رجل إلى عليّ، فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أوّل بيت وضع في الأرض؟ فقال: لا، ولكنه أوّل بيت وضع في البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، قال: سمعت خالد بن عرعرة قال: سمعت علياً، وقيل له: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾ هو أول بيت كان في الأرض؟ قال: لا قال: فأين كان قوم نوح؟ وأين كان قوم هود؟ قال: ولكنه أوّل بيت وضع للناس مباركاً وهدى.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سأل حفص الحسنَ وأنا أسمع، عن قوله: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً**﴾ قال: هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض.

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي، قال: ثنا ضمرة، عن ابن شوذب، عن مطر في قوله: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾ قال: قد كانت قبله بيوت، ولكنه أوّل بيت وضع للعبادة.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن، قوله: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**﴾ يعبد الله فيه ﴿**لَلَّذِي بِبَكَّةَ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً**﴾ قال: وضع للعبادة.

وقال آخرون: بل هو أوّل بيت وضع للناس. ثم اختلف قائلو ذلك في صفة وضعه أوّل، فقال بعضهم: خُلِق قبل جميع الأرضين، ثم دحِيَت الأرضون من تحته.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا شيبان، عن الأعمش، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، وكان إذا كان عرشه على الماء، زِبْدَةً بيضاء، فَدُحيت الأرض من تحته.

حدثني محمد بن عبد الله بن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال:

ثنا خصيف، قال: سمعت مجاهداً يقول: إن أوّل ما خلق الله الكعبة، ثم دَحَى الأرض من تحتها.

حدثني محمد بن عمرو: قال ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**﴾ كقوله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾.

حدثني محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ أمَّا أوّل بيت، فإنه يوم كانت الأرض ماء، وكان زَبْدة على الأرض، فلما خلق الله الأرض، خلق البيت معها، فهو أوّل بيت وضع في الأرض.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً**﴾ قال: أوّل بيت وضعه الله عزّ وجلّ، فطاف به آدم ومن بعده.

وقال آخرون موضع الكعبة، موضع أوّل بيت وضعه الله في الأرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذُكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط، قال: أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي. فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين، حتى إذا كان زمن الطوفان زمن أغرق الله قوم نوح رفعه الله وطهره من أن يصيبه عقوبة أهل الأرض، فصار معموراً في السماء. ثم إن إبراهيم تتبع منه أثراً بعد ذلك، فبناه على أساس قديم كان قبله.

والصواب من القول في ذلك: ما قال جلّ ثناؤه فيه: إن أوّل بيت مبارك وهدى وضع للناس، للذي ببكة. ومعنى ذلك: إن أوّل بيت وضع للناس: أي لعبادة الله فيه مباركاً وهدى، يعني: بذلك ومآباً لنسك الناسكين وطواف الطائفين، تعظيماً لله وإجلالاً له؛ لَلّذي ببكة؛ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ وذلك ما:

حدثنا به محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر، قال: قلت يا رسول الله، أيّ مسجد وضع أوّل؟

قال: «المَسْجدُ الحَرامُ» قال: ثم أيّ؟ قال: «المَسْجدُ الأقْصَى» قال: كم بينهما؟ قال: «أرْبَعُونَ سَنَةً».

فقد بين هذا الخبر عن رسول الله ﷺ، أن المسجد الحرام هو أوّل مسجد وضعه الله في الأرض على ما قلنا، فأما في وضعه بيتاً بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة، ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضع وبعض في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن وبينت الصواب من القول عندنا في ذلك بما أغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وأما قوله: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً﴾ فإنه يعني: للبيت الذي بمزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم وأصل البكّ: الزحم، يقال منه: بَكَّ فلان فلاناً: إذا زحمه وصدمه، فهو يَبُكُّه بَكًّا، وهم يَتَباكُّون فيه: يعني به: يتزاحمون ويتصادمون فيه، فكان بَكَّة: «فَعْلَة» من بَكَّ فلانٌ فلاناً: زحمه، سميت البقعة بفعل المزدحمين بها. فإذا كانت بكة ما وصفنا، وكان موضع ازدحام الناس حول البيت، وكان لا طواف يجوز خارج المسجد، كان معلوماً بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد، وأن ما كان خارج المسجد فمكة لا بكة؛ لأنه لا معنى خارجه يوجب على الناس التباكّ فيه. وإذا كان ذلك كذلك كان بيّناً بذلك فساد قول من قال بكة: اسم لبطن مكة، ومكة: اسم للحرم.

ذكر من قال في ذلك ما قلنا، من أن بكة في موضع مزدحم الناس للطواف:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك الغفاري في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً﴾ قال: بكة: موضع البيت، ومكة: ما سوى ذلك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن أبي جعفر، قال: مرّت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي، وهي تطوف بالبيت، فدفعها. قال أبو جعفر: إنها بكة يبكّ بعضها بعضاً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا سلمة، عن مجاهد، قال: إنما سميت بكّة، لأن الناس يتباكُّون فيها، الرجال والنساء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد، قال: قلت أيّ شيء سميت بكة؟ قال: لأنهم يتباكّون فيها، قال: يعني يتزاحمون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن الأسود بن قيس، عن أخيه، عن ابن الزبير، قال: إنما سميت بكة لأنهم يأتونها حجاجاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ فإن الله بكّ به الناس جميعاً، فيصلي النساء قدّام الرجال، ولا يصلح ببلد غيره.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: «بكة»: بكّ الناسُ بعضهم بعضاً، الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض، لا يصلح ذلك إلا بمكة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، قال: «بكة»: موضع البيت، و «مكة»: ما حولها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يحيى بن أزهر، عن غالب بن عبيد الله أنه سأل ابن شهاب عن بكة. قال: «بكة» البيت والمسجد. وسأله عن مكة. فقال ابن شهاب: «مكة»: الحرم كله.

حدثنا الحسين. قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج. عن عطاء ومجاهد، قالا «بكة»: بكّ فيها الرجال والنساء.

حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي. قال: قال ضمرة بن ربيعة: «بكة»: المسجد. و «مكة»: البيوت. وقال بعضهم بما:

حدثني به يحيى بن أبي طالب. قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ قال: هي مكة.

وقيل: ﴿مُبارَكاً﴾ لأن الطواف به مغفرة للذنوب، فأما نصب قوله: ﴿مُبَارَكاً﴾ فإنه على الخروج من قوله: ﴿وُضِعَ﴾؛ لأن في «وضع» ذكراً من البيت هو به مشغول وهو معرفة، و «مبارك» نكرة لا يصلح أن يتبعه في الإعراب. وأما على قول من قال: هو أول بيت وضع للناس

على ما ذكرنا في ذلك قول من ذكرنا قوله، فإنه نصب على الحال من قوله: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾؛ لأن معنى الكلام على قولهم: إن أوّل بيت وضع للناس، البيت ببكة مباركاً. فالبيت عندهم من صفته «الذي ببكة»، و «الذي» بصلته معرفة، و «المبارك» نكرة؛ فنصب على القطع منه في قول بعضهم. وعلى الحال في قول بعضهم. و «هدى» في موضع نصب على العطف على قوله «مباركاً».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه قراء الأمصار: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ على جماع آية، بمعنى: فيه علامات بينات. وقرأ ذلك ابن عباس: «فيه آية بينة» يعني بها: مقام إبراهيم، يراد بها علامة واحدة.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ وما تلك الآيات. فقال بعضهم: مقام إبراهيم والمشعر الحرام، ونحو ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾: مقام إبراهيم، والمشعر.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة ومجاهد: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قالا: مقام إبراهيم من الآيات البينات.

وقال آخرون: الآيات البينات ﴿مَقَام إبرَاهيم وَمن دَخلَهُ كانَ آمِناً﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ قال: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾.

وقال آخرون: الآيات البينات: هو مقام إبراهيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ**﴾ أما الآيات البينات: فمقام إبراهيم.

وأما الذين قرؤوا ذلك: ﴿**فيه آية بينة**﴾ على التوحيد، فإنهم عنوا بالآية البينة: مقام إبراهيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾[1] قال: قَدَماه في المقام آية بينة. يقول: ﴿**وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً**﴾ قال: هذا شيء آخر.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن ليث، عن مجاهد ﴿**فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ**﴾ قال: أثر قدميه في المقام آية بينة.

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: الآيات البينات منهن مقام إبراهيم، وهو قول قتادة ومجاهد الذي رواه معمر عنهما، فيكون الكلام مراداً فيهن «منهنّ»، فترك ذكره اكتفاءً بدلالة الكلام عليها.

فإن قال قائل: فهذا المقام من الآيات البينات، فما سائر الآيات التي من أجلها قيل: ﴿**آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾؟ قيل: منهنّ: المقام، ومنهنّ الحِجر، ومنهنّ الحطيم، وأصحّ القراءتين في ذلك قراءة من قرأ ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾ على الجماع، لإجماع قراء أمصار المسلمين على أن ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها.

وأما اختلاف أهل التأويل في تأويل: ﴿**مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ**﴾ فقد ذكرناه في سورة البقرة، وبينا أولى الأقوال بالصواب فيه هنالك، وأنه عندنا: المقام المعروف به.

فتأويل الآية إذاً: إن أوّل بيت وضع للناس مباركاً وهدًى للعالمين، للذي ببكة، فيه علامات من قدرة الله وآثار خليله إبراهيم منهن أثر قدم خليله إبراهيم ﷺ في الحجَر الذي قام عليه.

---

(١) كذا غب الأصول. وكان الأولى إثبات قراءة مجاهد «آية بينة» بالإفراد وربما كان تركها سهواً من الناسخ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله الخبر عن أن كلّ من جرّ في الجاهلية جريرة ثم عاذ بالبيت لم يكن بها مأخوذاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ وهذا كان في الجاهلية، كان الرجل لو جرّ كل جريرة على نفسه ثم ألتجأ إلى حرم الله، لم يتناول ولم يطلب؛ فأما في الإسلام، فإنه لا يمنع من حدود الله، من سرق فيه قُطع، ومن زنى فيه أقيم عليه الحدّ، من قتل فيه قُتل، وعن قتادة أن الحسن كان يقول: إن الحرم لا يمنع من حدود الله، لو أصاب حدّاً في غير الحرم فلجأ إلى الحرم ولم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحدّ، ورأى قتادة ما قاله الحسن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ قال: كان ذلك في الجاهلية، فأما اليوم فإن سرق فيه أحد قطع، وإن قتل فيه قتل، ولو قدر فيه على المشركين قُتلوا.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، قال: ثنا خصيف[1]، عن مجاهد في الرجل يقتل، ثم يدخل الحرم، قال: يؤخذ فيخرج من الحرم، ثم يقام عليه الحدّ. يقول: القتل.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن حماد، مثل قول مجاهد.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا هشام، عن الحسن وعطاء في الرجل يصيب الحدّ، ويلجأ إلى الحرم: يخرج من الحرم فيقام عليه الحد.

فتأويل الآية على قول هؤلاء: فيه آيات بينات مقام إبراهيم، والذي دخله من الناس كان آمناً بها في الجاهلية.

---

(١) خصيف بن عبد الرحمٰن الجزري الحضرمي مولاهم: ضبطه في «القاموس» بفتح الخاء، وفي «**الخلاصة**» للخزرجي بكسرها.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومن يدخله يكن آمناً بها، بمعنى الجزاء، كنحو قول القائل: من قام لي أكرمته: بمعنى من يقم لي أكرمه. وقالوا: هذا أمر كان في الجاهلية، كان الحرم مفزع كل خائف، وملجأ كلّ جانٍ، لأنه لم يكن يُهاج له ذو جريرة، ولا يعرض الرجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء. قالوا: وكذلك هو في الإسلام، لأن الإسلام زاده تعظيماً وتكريماً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد قال: ثنا خصيف، قال ثنا مجاهد، قال: قال ابن عباس: إذا أصاب الرجل الحدّ قَتل أو سَرق، فدخل الحرم، ولم يبايع ولم يؤو حتى يتبرّم فيخرج من الحرم، فيقام عليه الحدّ. قال: فقلت لابن عباس: ولكني لا أرى ذلك، أرى أن يؤخذ برُمَّته، ثم يخرج من الحرم، فيقام عليه الحدّ، فإن الحرم لا يزيده إلا شدة.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا عبد الملك، عن عطاء، قال: أخذ ابن الزبير سعداً مولى معاوية، وكان في قلعة بالطائف، فأرسل إلى ابن عباس من يشاوره فيهم، إنهم لنا عين، فأرسل إليه، ابن عباس: لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له. قال: فأرسل إليه، ابن الزبير: ألا نخرجهم من الحرم؟ قال: فأرسل إليه ابن عباس: أفلا قبل أن تدخلهم الحرم؟ زاد أبو السائب في حديثه فأخرجه فصلبهم، ولم يصغ إلى قول ابن عباس.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: من أحدث حدثاً في غير الحرم ثم لجأ إلى الحرم ولم يعرض له ولم يبايع ولم يكلم ولم يؤو حتى يخرج من الحرم، فإذا خرج من الحرم أُخذ فأقيم عليه الحدّ. قال: ومن أحدث في الحرم حدثاً أقيم عليه الحدّ.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمي، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن، وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شيء إلى أن يخرج، فإذا خرج أقاموا عليه الحدّ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا حجاج، عن عطاء، عن ابن عمر، قال: لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هِجْتُه.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا ليث، عن عطاء: أن

الوليد بن عتبة أراد أن يقيم الحدّ في الحرم، فقال له عبيد بن عمير: لا تقم عليه الحدّ في الحرم إلا أن يكون أصابه فيه.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا مطرف، عن عامر، قال: إذا أصاب الحدّ، ثم هرب إلى الحرم، فقد أمن، فإذا أصابه في الحرم أقيم عليه الحد في الحرم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن فراس[1]، عن الشعبي، قال: من أصاب حداً في الحرم ومن أصابه خارجاً من الحرم ثم دخل الحرم، لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم، فيقام عليه.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، وعن عبد الملك، عن عطاء بن أبي رباح في الرجل يقتل، ثم يدخل الحرم، قال: لا يبيعه أهل مكة، ولا يشترون منه، ولا يسقونه ولا يطعمونه، ولا يؤوونه ـ عدّ أشياء كثيرة ـ حتى يخرج من الحرم، فيؤخذ بذنبه.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن الرجل إذا أصاب حدّاً ثم دخل الحرم أنه لا يطعم، ولا يسقى، ولا يؤوى، ولا يكلم، ولا ينكح، ولا يبايع، فإذا خرج منه أقيم عليه الحدّ.

حدثني المثنى، قال: ثني حجاج، قال: ثنا حماد، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: إذا أحدث الرجل حدثاً، ثم دخل الحرم، لم يؤو، ولم يجالس، ولم يبايع، ولم يطعم، ولم يسق، حتى يخرج من الحرم.

حدثني المثنى، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾: فلو أن رجلاً قتل رجلاً، ثم أتى الكعبة فعاذ بها، ثم لقيه أخو المقتول لم يحلّ له أبداً أن يقتله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومن دخله يكن آمناً من النار.

---

(١) فراس بن يحيى الهمداني صاحب الشعبي: كوفي مكتب محدث، توفي سنة تسع وعشرين ومائة: (التاج).

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ بن مسلم، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا رزيق بن مسلم المخزومي، قال: ثنا زياد بن أبي عياض، عن يحيى بن جعدة، في قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ قال: آمناً من النار.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول ابن الزبير ومجاهد والحسن، ومن قال معنى ذلك: ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائذاً به كان آمناً ما كان فيه، ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحدّ إن كان أصاب ما يستوجبه في غيره ثم لجأ إليه، وإن كان أصابه فيه أقيم عليه فيه.

فتأويل الآية إذاً: فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن يدخله من الناس مستجيراً به يكن آمناً مما استجار منه ما كان فيه، حتى يخرج منه.

فإن قال قائل: وما منعك من إقامة الحدّ عليه فيه؟ قيل: لاتفاق جميع السلف على أن من كانت جريرته في غيره ثم عاذ به، فإنه لا يؤخذ بجريرته فيه.

وإنما اختلفوا في صفة إخراجه منه لأخذه بها، فقال بعضهم: صفة ذلك منعه المعاني التي يضطر مع منعه وفقده إلى الخروج منه.

وقال آخرون: لا صفة لذلك غير إخراجه منه بما أمكن إخراجه من المعاني التي توصل إلى إقامة حدّ الله معها، فلذلك قلنا: غير جائز إقامة الحدّ عليه فيه إلا بعد إخراجه منه. فأما من أصاب الحدّ فيه، فإنه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحدّ، فكلتا المسألتين أصل مجمع على حكمها على ما وصفنا.

فإن قال لنا قائل: وما دلالتك على أن إخراج العائذ بالبيت إذا أتاه مستجيراً به من جريرة جرّها أو من حدّ أصابه من الحرم جائز لإقامة الحدّ عليه وأخذه بالجريرة، وقد أقررت بأن الله عزّ وجلّ قد جعل من دخله آمناً، ومعنى الآمن غير معنى الخائف، فيما هما فيه مختلفان؟ قيل: قلنا ذلك لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة، على أن إخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه به عقوبة منه ببعض معاني الإخراج لأخذه بما لزمه، واجبٌ على إمام المسلمين وأهل الإسلام معه.

وإنما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه، فقال بعضهم: السبب الذي يجوز إخراجه به

منه ترك جميع المسلمين مبايعته وإطعامه وسقيه وإيوائه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها، فكيف مع جميعها؟ وقال آخرون منهم: بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الإخراج. فلما كان إجماعاً من الجميع على أن حكم الله ـ فيمن عاذ بالبيت من حدّ أصابه أو جريرة جرّها ـ إخراجه منه لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه، ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز إخراجه به منه كان اللازم لهم ولإمامهم إخراجه منه بأيّ معنى أمكنهم إخراجه منه حتى يقيموا عليه الحدّ الذي لزمه خارجاً منه إذا كان لجأ إليه من خارج على ما قد بينا قبل.

وبعد: فإن الله عزّ وجلّ لم يضع حداً من حدوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك. وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إبْرَاهِيمَ مَكَّةَ». ولا خلاف بين جميع الأمة أن عائذاً لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي ﷺ يؤاخذ بالعقوبة فيه. ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أن حرم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه، لكان أحقّ البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده من قتل أو غيره، أعظم البقاع إلى الله كحرم الله وحرم رسوله ﷺ، ولكنا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حرم الله لإقامة الحدّ لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثة.

فمعنى الكلام إذْ كان الأمر على ما وصفنا: ومن دخله كان آمناً ما كان فيه. فإذا كان ذلك كذلك، فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائذاً به، فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه. وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه، فحينئذ هو غير داخله، ولا هو فيه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وفرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حجّ بيته الحرام الحجّ إليه. وقد بينا فيما مضى معنى الحجّ ودللنا على صحة ما قلنا من معناه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عزّ وجلّ: ﴿مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً﴾، وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحجّ؟ فقال بعضهم: هي الزاد والراحلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن بكر، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً﴾ قال: الزاد والراحلة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن بكر، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال عمرو بن دينار: الزاد والراحلة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي جناب، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: الزاد والبعير.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾، والسبيل: أن يصحّ بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يُجْحِف به.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي عبد الله البجلي، قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: قال ابن عباس: من ملك ثلثمائة درهم، فهو السبيل إليه.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو عاصم، عن إسحاق بن عثمان، قال: سمعت عطاء يقول: السبيل: الزاد والراحلة.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما من استطاع إليه سبيلاً، فإن ابن عباس قال: السبيل: راحلة وزاد.

حدثني المثنى، وأحمد بن حازم، قالا: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن محمد بن سوقة، عن سعيد بن جبير: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: الزاد والراحلة.

حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: أخبرنا الربيع بن صبيح، عن الحسن، قال: الزاد والراحلة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحسن، قال: قرأ النبيّ ﷺ هذه الآية: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ فقال رجل: يا رسول الله، ما السبيل؟ قال: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ».

واعتلّ قائلو هذه المقالة بأخبار رويت عن رسول الله ﷺ بنحو ما قالوا في ذلك. ذكر الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إبراهيم بن يزيد

الخوزي، قال: سمعت محمد بن عباد بن جعفر، يحدّث عن ابن عمر، قال: قام رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: ما السبيل؟ قال: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ».

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا سفيان، عن إبراهيم الخوزي، عن محمد بن عباد، عن ابن عمر، أن النبيّ ﷺ، قال في قوله عزّ وجلّ: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: «السَّبِيلُ إلى الحَجّ الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ».

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا يونس، وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قالوا: يا رسول لله، ما السبيل؟ قال: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ».

حدثنا أبو عثمان المقدميّ، والمثنى بن إبراهيم، قالا: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا هلال بن عبيد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي، قال: ثنا أبو إسحاق، عن الحرث، عن عليّ، عن النبيّ ﷺ، قال: «مَنْ مَلَكَ زَاداً وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إلى بَيْتِ اللَّهِ فَلَمْ يَحُجَّ فَلا عَلَيْهِ أنْ يمُوتَ يَهُودِيًّا أوْ نَصْرَانِيًّا، وذَلِكَ أنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ في كِتَابِهِ: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾... الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: بلغنا أن نبيّ الله ﷺ، قال له قائل، أو رجل: يا رسول الله، ما السبيل إليه؟ قال: «مَنْ وَجَدَ زَداً وَرَاحِلَةً».

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: ثنا شاذ بن فياض البصري، قال: ثنا هلال بن هشام، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحرث، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَلَكَ زاداً وَرَاحِلَةً فَلَمْ يَحُجّ ماتَ يُهودِيًّا أوْ نَصْرَانِيًّا؛ وَذَلِكَ أنَّ اللَّهَ يَقُولُ في كِتَابِهِ: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾... الآية.

حدثني أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن قتادة وحميد، عن الحسن، أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما السبيل إليه؟ قال: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن قتادة، عن الحسن، عن النبيّ ﷺ، مثله.

وقال آخرون: السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحجّ: الطاقة للوصول إليه. قال: وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب، وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه، بامتناع الطريق من العدوّ الحائل، وبقلة الماء وما أشبه ذلك. قالوا: فلا بيان في ذلك أبين مما بينه الله عزّ وجلّ بأن يكون مستطيعاً إليه السبيل، وذلك الوصول إليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه، وذلك قد يكون بالمشي وحده، وإن أعوزه المركب، وقد يكون بالمركب وغير ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن خالد بن أبي كريمة، عن رجل، عن ابن الزبير، قوله: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: على قدر القوّة.

حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: الزاد والراحلة، فإن كان شاباً صحيحاً ليس له مال، فعليه أن يؤاجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي حجته. فقال له قائل: كلف الله الناس أن يمشوا إلى البيت؟ فقال: لو أن لبعضهم ميراثاً بمكة أكان تاركه؟ والله لأنطلق إليه ولو حبواً! كذلك يجب عليه الحجّ.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن بكر، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: قال عطاء: من وجد شيئاً يبلغه فقد وجد سبيلاً، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾.

حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا أبو هانىء، قال: سئل عامر عن هذه الآية: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: السبيل: ما يسّره الله.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن: من وجد شيئاً يبلغه فقد استطاع إليه سبيلاً.

وقال آخرون: السبيل إلى ذلك: الصحة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمثنى بن إبراهيم، قالوا: حدثنا أبو عبد الرحمن المقري، قال: ثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة، قالا: أخبرنا شرحبيل بن شريك المعافري أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية: ﴿**ولِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: السبيل: الصحة.

وقال آخرون بما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسَ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: من وجد قوّة في النفقة والجسد والحُمْلان(١)، قال: وإن كان في جسده ما لا يستطيع الحجّ فليس عليه الحجّ، وإن كان له قوّة في مال، كما إذا كان صحيح الجسد ولا يجد مالاً ولا قوّة، يقولون: لا يكلف أن يمشي.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء، إن ذلك على قدر الطاقة، لأن السبيل في كلام العرب: الطريق، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحجّ لا مانع له منه من زمانة، أو عجز، أو عدوّ، أو قلة ماء في طريقه، أو زاد، وضعف عن المشي، فعليه فرض الحجّ لا يجزيه إلا أداؤه فإن لم يكن واجداً سبيلاً، أعني بذلك: فإن لم يكن مطيقاً الحجّ بتعذّر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه، فهو ممن لا يجد إليه طريقاً، ولا يستطيعه، لأن الاستطاعة إلى ذلك هو القدرة عليه، ومن كان عاجزاً عنه ببعض الأسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك، فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيل.

وإنما قلنا هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها، لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص إذ ألزم الناس فرض الحجّ بعض مستطيعي السبيل إليه بسقوط فرض ذلك عنه فذلك على كل مستطيع إليه سبيلاً بعموم الآية. فأما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة، فإنها أخبار في أسانيدها نظر، لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين.

واختلف القراء في قراءة الحجّ، فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل المدينة والعراق بالكسر: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ**﴾، وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح: «وَلِلَّهِ على النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ» وهما لغتان معروفتان للعرب، فالكسر لغة أهل نجد، والفتح لغة أهل العالية(٢)، ولم نر أحداً من أهل العربية ادّعى فرقاً بينهما في معنى ولا غيره غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين، إلا ما:

حدثنا به أبو هشام الرفاعي، قال: قال حسين الجعفي: الحَجّ مفتوح: اسم، والحِجّ مكسور: عمل.

وهذا قول لم أر أهل المعرفة بلغات العرب ومعاني كلامهم يعرفونه، بل رأيتهم مجمعين

(١) في «**اللسان**» حمل الشيء يحمله حملاً وحملاناً، بضم الحاء في الأخير، وسكون الميم.

(٢) أرض بناحية المدينة، مما يلي نجدا.

على ما وصفت من أنهما لغتان بمعنى واحد. والذي نقول به في قراءة ذلك، أن القراءتين إذ كانتا مستفيضتين في قراءة أهل الإسلام، ولا اختلاف بينهما في معنى ولا غيره، فهما قراءتان قد جاءتا مجيء الحجة، فبأيّ القراءتين ـ أعني بكسر الحاء من الحجّ أو فتحها ـ قرأ القارىء فمصيب الصواب في قراءته.

وأما «مَنِ» التي مع قوله: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ فإنه في موضع خفض على الإبدال من الناس، لأن معنى الكلام: ولله على من استطاع من الناس سبيلاً إلى حجّ البيت حجه؛ فلما تقدم ذكر الناس قبل «مَن» بين بقوله: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾، الذي عليه فرض ذلك منهم، لأن فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حجّ بيته، فأنكره وكفر به، فإن الله غنيّ عنه، وعن حجه وعمله، وعن سائر خلقه من الجنّ والإنس. كما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، عن الحجاج بن أرطاة، عن محمد بن أبي المجالد، قال: سمعت مقسماً، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال: من زعم أنه ليس بفرض عليه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الحجاج، عن عطاء وجويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ قالا: من جحد الحجّ وكفر به.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا هشيم، عن الحجاج بن أرطاة، عن عطاء، قال: من جحد به.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عمران القطان، يقول: من زعم أن الحجّ ليس عليه.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ قال: من أنكره، ولا يرى أن ذلك عليه حقاً، فذلك كفر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال: من كفر بالحجّ.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن أبي بشر، عن ابن

أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ قال: من كفر بالحجّ كفر بالله.

حدثني المثنى، قال: ثنا يعلى بن أسد، قال: ثنا خالد، عن هشام بن حسان، عن الحسن في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال: من لم يره عليه واجباً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قال بالحجّ.

وقال آخرون: معنى ذلك: أن لا يكون معتقداً في حجه أن له الأجر عليه، ولا أن عليه بتركه إثماً ولا عقوبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: ثني عبد الله بن مسلم، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ قال: هو ما إن حجّ لم يره بِرّاً، وإن قعد لم يره مأثماً.

حدثنا عبد الحميد بن بيان، قال: أخبرنا إسحاق بن يوسف، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: هو ما إن حجّ لم يره بِرّاً، وإن قعد لم يره مأثماً.

حدثني أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا مطر، عن أبي داود نفيع، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ فقام رجل من هذيل، فقال: يا رسول الله من تركه كفر؟ قال: «مَنْ تَرَكَهُ وَلاَ يخافُ عُقُوبَتَهُ، وَمَنْ حَجَّ وَلا يَرْجُو ثَوَابَهُ، فَهُوَ ذَاكَ».

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ يقول: من كفر بالحجّ، فلم ير حجه برّاً، ولا تركه مأثماً.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومن كفر بالله واليوم الآخر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قال: سألته عن قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ ما هذا الكفر؟ قال: من كفر بالله واليوم الآخر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ**﴾ قالَ من كفر بالله واليوم الآخر.

حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ قال: لما نزلت آية الحجّ جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم، فقال: «يا أيُّها النَّاسُ إنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا!» فآمنت به ملة واحدة، وهي من صدّق النبيّ ﷺ وآمن به، وكفرت به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نستقبله. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ**﴾.

حدثني أحمد بن حازم، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: ثنا أبو هانىء، قال: سئل عامر، عن قوله: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ**﴾ قال: من كفر من الخلق، فإن الله غنيّ عنه.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا سفيان، عن إبراهيم، عن محمد بن عباد، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ، في قول الله: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ**﴾ قال: «مَنْ كَفَرَ بالله والَيْومِ الآخِرِ».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً**﴾ فقالت الملل: نحن مسلمون! فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ**﴾ فحجّ المؤمنون، وقعد الكفار.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام إبراهيم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ**﴾. فقرأ ﴿**إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ**﴾ قال: من كفر بهذه الآيات، ﴿**فإنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ**﴾. ليس كما يقولون: إذا لم يحجّ وكان غنياً وكانت له قوّة فقد كفر بها. وقال قوم من المشركين: فإنا نكفر بها ولا نفعل، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**فإنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ**﴾.

وقال آخرون بما:

حدثني إبراهيم بن عبد الله بن مسلم، قال: أخبرنا أبو عمر الضرير، قال: ثنا حماد،

عن حبيب بن أبي بقية، عن عطاء بن أبي رباح، في قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللَّهَ غَنِيّ عَنِ العالَمِينَ﴾ قال: من كفر بالبيت.

وقال آخرون: كفره به: تركه إياه حتى يموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، أما من كفر فمن وجد ما يحجّ به ثم لا يحجّ، فهو كافر.

وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه، فإن الله غنيّ عنه وعن حجه وعن العالمين جميعاً.

وإنما قلنا ذلك أولى به، لأن قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بعقب قوله: ﴿وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً﴾ بأن يكون خبراً عن الكافر بالحجّ، أحقّ منه بأن يكون خبراً عن غيره، مع أن الكافر بفرض الحجّ على من فرضه الله عليه بالله كافر، وإن الكفر أصله الجحود، ومن كان له جاحداً ولفرضه منكراً، فلا شكّ إن حجّ لم يرج بحجه برّاً، وإن تركه فلم يحجّ لم يره مأثماً. فهذه التأويلات وإن اختلفت العبارات بها فمتقاربات المعاني.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾

يعني بذلك: يا معشر يهود بني إسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله عزّ وجلّ من كتبه، ممن كفر بمحمد ﷺ، وجحد نبوّته؛ لم تجحدون بآيات الله؟ يقول: لم تجحدون حجج الله التي آتاها محمداً في كتبكم وغيرها، التي قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوّته وحُجّته. «وأنتم تعلمون»، يقول: لم تجحدون ذلك من أمره، وأنتم تعلمون صدقه. فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم معتمدون الكفر بالله وبرسوله، على علم منهم ومعرفة من كفرهم. وقد:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَكْفُرونَ بآياتِ اللَّهِ﴾ أما آيات الله: فمحمد ﷺ.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿يا أهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ واللَّهُ شَهِيدٌ على ما تَعْمَلُونَ﴾ قال: هم اليهود والنصارى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)﴾

يعني بذلك جلَّ ثناؤه: يا معشر يهود بني إسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله، ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: لم تضلون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان ﴿مَنْ آمَنَ﴾ يقول: من صدّق بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله ﴿تَبْغُونَها عِوَجاً﴾ يعني تبغون لها عوجاً والهاء والألف اللتان في قوله: ﴿تَبْغُونَها﴾ عائدتان على السبيل، وأنثها لتأنيث السبيل.

ومعنى قوله: تبغون لها عوجاً، من قول الشاعر، وهو سحيم عبد بني الحساس:

بِـغَـاكَ وَمـا تَـبْـغِـيـهِ حـتـى وَجَـدْتَـهُ كـأَنَّـكَ قـد وَاعَـدْتَـهُ أَمْـسِ مَـوْعِـدَا[1]

يعني طلبك وما تطلبه يقال: ابغني كذا؛ يراد: ابتغه لي، فإذا أرادوا: أعني على طلبه، وابتغه معي قالوا: أَبْغني بفتح الألف، وكذلك يقال: احْلُبني، بمعنى: اكفني الحلب وأحْلِبْني: أعني عليه، وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع فعلى هذا.

وأما العِوَجُ: فهو الأَوَدُ والميل، وإنما يعني بذلك الضلال عن الهدى يقول جلّ ثناؤه: ﴿ولِمَ تَصُدُّونَ﴾عن دين الله من صدّق الله ورسوله، تبغون دين الله اعوجاجاً عن سننه واستقامته وخرج الكلام على السبيل، والمعنى لأهله، كأن المعنى: تبغون لأهل دين الله، ولمن هو على سبيل الحقّ عوجاً، يقول: ضلالاً عن الحقّ وزيغاً عن الاستقامة على الهدى والمحجة. والعِوَج بكسر أوله: الأود في الدين والكلام، والعَوَج بفتح أوله: الميل في الحائط والقناة وكل شيء منتصب قائم.

وأما قوله: ﴿وأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ فإنه يعني: شهداء على أن الذي تصدّون عنه من السبيل حق تعلمونه وتجدونه في كتبكم. ﴿وَما اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ليس الله بغافل عن أعمالكم

(١) البيت في ديوانه طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ (ص - ٤١) والرواية فيه: «إلا وجدته» وبغاك: طلبك، والفاعل ضمير يعود على الموت في بيت سابق عليه.

التي تعلمونها مما لا يرضاه لعباده، وغير ذلك من أعمالكم حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجلة، أو يؤخر ذلك لكم، حتى تلقوه، فيجازيكم عليها.

وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله: ﴿يا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ﴾ والآيات بعدهما إلى قوله: ﴿فأُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ نزلت في رجل من اليهود حاول الإغراء بين الحيين من الأوس والخزرج بعد الإسلام، ليراجعوا ما كانوا عليه في جاهليتهم من العداوة والبغضاء، فعنفه الله بفعله ذلك وقبح له ما فعل ووبخه عليه، ووعظ أيضاً أصحاب رسول الله ﷺ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف، وأمرهم بالاجتماع والائتلاف. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني الثقفة، عن زيد بن أسلم، قال: مرّ شاس بن قيس، وكان شيخاً قد عسا[(١)] في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه. فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة[(٢)] بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم لها من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم وذكرهم يوم بُعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج. ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحرث من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جَذَعَةَ.[(٣)] وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا السلاحَ السلاحَ موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحَرَّة ـ فخرجوا إليها وتحاور الناس، فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال: «يا مَعشرَ المسلِمينَ اللَّهَ اللَّهَ، أبدَعْوَى الجاهليَّةِ وأَنَا بينَ أظهرُكمْ بعدَ إذْ هداكُمُ اللَّهُ إلى الإسلامِ، وأكرَمكُمْ بهِ، وقطعَ بهِ عَنْكُمْ

(١) عسا الشيخ: كبر وأسن، من عسا القضيب إذا يبس.

(٢) هي قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية. ويقال: بيت جفنة غسانية. وهي أم الأوس والخزرج.

(٣) جذعة: شابة فتية. يريد عودة الحرب قوية كما كانت.

أمْرَ الجاهليَّةِ، واستنقذكُمْ بِهِ مِنَ الكفرِ وألَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ ترجعونَ إلى ما كُنْتمْ عليهِ كُفَّاراً» فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوّهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوّ الله شاس بن قيس وما صنع فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع ﴿**يا أهلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآياتِ اللَّهِ واللَّهُ شَهِيدٌ على ما تَعْمَلُونَ يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً**﴾... الآية وأنزل الله عزّ وجلّ في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ كافِرِينَ**﴾ إلى قوله: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

وقيل: إنه عنى بقوله: ﴿**يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ جماعة يهود بني إسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله ﷺ أيام نزلت هذه الآيات والنصارى، وأن صدّهم عن سبيل الله كان بإخبارهم من سألهم عن أمر نبيّ الله محمد ﷺ، هل يجدون ذكره في كتبهم أنهم لا يجدون نعته في كتبهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً**﴾ كانوا إذا سألهم أحد: هل تجدون محمداً؟ قالوا: لا! فصدّوا عنه الناس، وبغوا محمداً عوجاً: هلاكاً.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ يقول: لم تصدون عن الإسلام، وعن نبي الله ومن آمن بالله، وأنتم شهداء فيما تقرؤون من كتاب الله أن محمداً رسول الله، وأن الإسلام دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، نحوه.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**قُلْ يا أهْلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: هم اليهود والنصارى، نهاهم أن يصدوا المسلمين عن سبيل الله، ويريدون أن يعدلوا الناس إلى الضلالة.

فتأويل الآية ما قاله السديّ: يا معشر اليهود لم تصدّون عن محمد، وتمنعون من اتباعه المؤمنين بكتمانكم صفته التي تجدونها في كتبكم. ومحمد على هذا القول: هو السبيل **﴿تَبْغُونَها عِوَجاً﴾**: تبغون محمداً هلاكاً. وأما سائر الروايات غيره والأقوال في ذلك، فإنه نحو التأويل الذي بيناه قبل، من أن معنى السبيل التي ذكرها في هذا الموضع الإسلام وما جاء به محمد من الحقّ من عند الله.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك، فقال بعضهم: عنى بقوله: **﴿يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا﴾** الأوس والخزرج، وبالذين أوتوا الكتاب: شاس بن قيس اليهودي، على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم.

وقال آخرون: فيمن عُني بالذين آمنوا، مثل قول زيد بن أسلم، غير أنهم قالوا: الذي جرى الكلام بينه وبين غيره من الأنصار حتى هموا بالقتال ووجدوا اليهودي به مغمزاً فيهم ثعلبة بن عنمة الأنصاري.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ كافِرِينَ﴾** قال: نزلت في ثعلبة بن عنمة الأنصاري، كان بينه وبين أناس من الأنصار كلام، فمشى بينهم يهودي من قينقاع، فحمل بَعْضَهُم على بعضٍ حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا، فأنزل الله عز وجل: **﴿إنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أوتوا الكِتّابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ كافِرِينَ﴾** يقول: إن حملتم السلاح فاقتتلتم كفرتم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، عن حميد الأعرج عن مجاهد في قوله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أوتوا الكِتّابَ﴾** قال: كان جماع قبائل الأنصار بطنين الأوس والخزرج، وكان بينهما في الجاهلية حرب ودماء وشنآن، حتى منّ الله عليهم بالإسلام وبالنبي ﷺ، فأطفأ الله الحرب التي كانت

بينهم، وألّف بينهم بالإسلام قال: فبينا رجل من الأوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان، ومعهما يهودي جالس، فلم يزل يذكّرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهم، حتى استبّا، ثم اقتتلا. قال: فنادى هذا قومه، وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح، وصفّ بعضهم لبعض. قال: ورسول الله ﷺ شاهد يومئذ بالمدينة، فجاء رسول الله ﷺ، فلم يزل يمشي بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم، حتى رجعوا ووضعوا السلاح، فأنزل الله عزّ وجلّ القرآن في ذلك: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتوا الكِتابَ**﴾ إلى قوله: ﴿**عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾.

فتأويل الآية: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم ﷺ من عند الله، إن تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل، فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به، يضلوكم فيردّوكم بعد تصديقكم رسول ربكم وبعد إقراركم بما جاء به من عند ربكم كافرين؛ يقول: جاحدين لما قد آمنتم به وصدّقتموه من الحقّ الذي جاءكم من عند ربكم. فنهاهم جلّ ثناؤه أن ينتصحوهم، ويقبلوا منهم رأياً أو مشورة، ويعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوون على غلّ وغشّ وحسد وبغض. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتوا الكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ كافِرِينَ**﴾: قد تقدّم الله إليكم فيهم كما تسمعون، وحذركم وأنبأكم بضلالتهم، فلا تأمنوهم على دينكم ولا تنصحوهم على أنفسكم، فإنهم الأعداء الحسدة الضلال. كيف تأتمنون قوماً كفروا بكتابهم، وقتلوا رسلهم، وتحيروا في دينهم، وعجزوا عن أنفسهم؟ أولئكِ والله هم أهل التهمة والعداوة!

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرسوله، فترتدوا على أعقابكم ﴿**وأنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آياتُ اللّهِ**﴾ يعني: حجج الله عليكم التي أنزلها في كتابه على نبيه محمد ﷺ. ﴿**وفِيكُمْ رَسُولُهُ**﴾ حجة أخرى عليكم لله، مع آي كتابه، يدعوكم جميع ذلك إلى

الحقّ، ويبصركم الهدى والرشاد، وينهاكم عن الغيّ والضلال يقول لهم تعالى ذكره: فما وجه عذركم عند ربكم في جحودكم نبوّة نبيكم، وارتدادكم على أعقابكم، ورجوعكم إلى أمر جاهليتكم، إن أنتم راجعتم ذلك وكفرتم، وفيه هذه الحجج الواضحة، والآيات البينة، على خطأ فعلكم ذلك إن فعلتموه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ**﴾... الآية، علمان بينان: وُجْدَانُ نبيّ الله ﷺ، وكتاب الله؛ فأما نبيّ الله فمضى ﷺ؛ وأما كتاب الله، فأبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة، فيه حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته.

وأما قوله: ﴿**مَنْ يَعْتَصِمْ باللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ فإنه يعني: ومن يتعلق بأسباب الله، ويتمسك بدينه وطاعته، ﴿**فَقَدْ هُدِيَ**﴾ يقول: فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة غير معوجة، فيستقيم به إلى رضا الله وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ باللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ**﴾ قال: يؤمن بالله.

وأصل العصم: المنع، فكل مانع شيئاً فهو عاصمه، والممتنع به معتصم به، ومنه قول الفرزدق:

أنا ابْنُ العاصِمِينَ بَني تَمِيمٍ إذَا ما أعْظَمُ الحدَثانِ نابَا[(١)]

ولذلك قيل للحبل: عصام، وللسبب الذي يتسبب به الرجل إلى حاجته: عصام، ومنه قول الأعشى:

إلى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرى وآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ[(٢)]

يعني بالعُصُم: الأسباب، أسباب الذمة والأمان، يقال منه: اعتصمت بحبل من فلان، واعتصمت حبلاً منه، واعتصمت به واعتصمه. وأفصح اللغتين: إدخال الباء، كما قال عزّ وجلّ: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**﴾ وقد جاء «اعتصمته»، كما قال الشاعر:

---

(١) البيت في ديوانه طبعة القاهرة سنة ١٩٣٦ (ص ـ ١١٥) مطلع قصيدة له يناقض بها جريراً. وفي «اللسان» (حدث) وحدثان الدهر وحوادثه: نوبه. وناب: أصاب ونزل.

(٢) البيت في ديوانه طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠ بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ٣٧) من قصيدة يمدح بها قيس بن معديكرب. والعصم بضم الصاد: جمع عصام، وهو الحبل للمزادة والقربة ونحوها، والمرد بها هنا: كل عهد أو موثق يعتصم به آخذه ويأمن.

إذَا أنتَ جازَيْتَ الإخاءَ بِمِثْلِهِ ... وَآسَيْتَنِي ثُمَّ اعْتَصَمْتُ حِبالِيا[١]

فقال: «اعتصمت حباليا»، ولم يدخل الباء، وذلك نظير قولهم: تناولت الخطام وتناولت بالخطام، وتعلقت به وتعلقته، كما قال الشاعر:

تَعَلَّقْتَ هِنْداً ناشِئاً ذَاتَ مِئْزَرٍ ... وأنتَ وَقد فارَقْتَ لَمْ تَدْرِ ما الحِلْمُ[٢]

وقد بينت معنى الهدى والصراط وأنه معنّي به الإسلام فيما مضى قبل بشواهده، فكرهنا إعادته في هذا الموضع.

وقد ذكر أن الذي نزل في سبب تَحَاوُز القبيلتين الأوس والخزرج، كان منه قوله: ﴿وَكَيْفَ تَكفُرُونَ وأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حسن بن عطية، قال: ثنا قيس بن الربيع، عن الأغرّ بن الصباح، عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر، عن ابن عباس، قال: كانت الأوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية كل شهر[٣]، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت هذه الآية: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُه﴾... إلى آخر الآيتين، ﴿واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أعْدَاءً﴾... إلى آخر الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: يا معشر من صدّق الله ورسوله، ﴿اتقوا الله﴾ خافوا الله وراقبوه

(١) في «اللسان»: (عصم): وقوله ﴿واعتصموا بحبل الله﴾: أي تمسكوا بعهد الله، وكذلك في قوله: ﴿ومن يعتصم بالله﴾: أي من يتمسك بحبله وعهده. وقول الشاعر هنا: اعتصمت حباليا: أي اعتصمت بحبالي، حذف حرف الجر، وعدي الفعل إلى المجرور فنصب، مثل قول جرير: «تمرون الديار» والبيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (ص ـ ٣٢) من مخطوطة الشنقيطي، ونسبه إلى بعضهم.

(٢) في «**اللسان**» علق: العلاقة الهوى والحب اللازم للقلب. وقد علقها بالكسر علقاً وعلاقة، وعلق بها علوقاً، وتعلقها وتعلق بها، وعلقها وعلق بها تعليقاً: أحبها. والبيت من «**شواهد معاني القرآن**» للفراء من مخطوطة الشنقيطي (ص ـ ٣٢). ونسبه إلى بعضهم.

(٣) الذي في «**الدر المنثور**»: كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شرالخ، وهي واضحة، فلعل فيما هنا تحريفاً أو زيادة من الناسخ.

بطاعته، واجتناب معاصيه، ﴿**حق تقاته**﴾ حقّ خوفه، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى. ﴿**ولا تموتنّ**﴾ أيها المؤمنون بالله ورسوله، ﴿**إلا وأنتم مسلمون**﴾ لربكم، مذعنون له بالطاعة، مخلصون له الألوهية والعبادة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ قال: أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن زبيد، عن مرة الهمداني، عن عبد الله مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن زبيد، عن مرة الهمداني، عن عبد الله مثله.

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً، عن زبيد، عن مرة بن شراحيل الهمداني، عن عبد الله بن مسعود، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا جرير، عن زبيد، عن عبد الله، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا مسعر، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن المسعودي، عن زبيد الأيامي، عن مرّة، عن عبد الله، مثله.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير، عن منصور، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله، مثله.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا يحيى بن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ قال: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، نحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا عمرو بن مرة، عن الربيع بن خُثَيْم، قال: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكره فلا ينسى.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت مرة الهمداني يحدّث عن الربيع بن خُثَيْم في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ**﴾ فذكر نحوه.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن قيس بن سعد، عن طاووس: ﴿**يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ**﴾ أن يطاع فلا يعصى.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن، في قوله: ﴿**يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ**﴾ قال: حقّ تقاته أن يطاع فلا يعصى.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ثم تقدم إليهم، يعني إلى المؤمنين من الأنصار، فقال: ﴿**يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ وَلاَ تَموتُنَّ إلاَّ وأنْتُم مُسْلِمُونَ**﴾ أما حق تقاته: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

حدثني المثنى، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا همام، عن قتادة: ﴿**يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ**﴾ أن يطاع فلا يعصى، قال: ﴿**ولا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنْتُم مسْلِمُونَ**﴾.

وقال آخرون: بل تأويل ذلك كما:

حدثني به المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ**﴾ قال: حقّ تقاته أن يجاهدوا في سبيل الله حقّ جهاده، ولا يأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم.

ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية، هل هي منسوخة أم لا؟ فقال بعضهم: هي محكمة غير منسوخة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ**﴾ إنها لم تنسخ، ولكن حقّ تقاته أن تجاهد في الله

حقّ جهاده. ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن نجيح، عن قيس بن سعد، عن طاووس: **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ﴾** فإن لم تفعلوا ولم تستطيعوا، **﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال طاووس، قوله: **﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** يقول: إن لم تتقوه فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون.

وقال آخرون: هي منسوخة، نسخها قوله: **﴿فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** ثم أنزل التخفيف واليسر، وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه، فقال: **﴿فاتَّقُوا الله ما اسْتَطَعْتُمْ﴾** فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية ويسر.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي، قال: ثنا همام، عن قتادة: **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ ألاَّ وأنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** قال: نسختها هذه الآية التي في التغابن **﴿فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ واسمَعُوا وأطِيعُوا﴾** وعليها بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فيما استطاعوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: لما نزلت: **﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ﴾** ثم نزل بعدها: **﴿فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُم﴾** فنسخت هذه الآية التي في آل عمران.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** فلم يطق الناس هذا، فنسخه الله عنهم، فقال: **﴿فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَق تُقاتِهِ﴾** قال: جاء أمر شديد، قالوا: ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه؟ فلما

عرف أنه قد اشتدّ ذلك عليهم، نسخها عنهم، وجاء بهذه الأخرى، فقال: ﴿فاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾ فنسخها.

وأما قوله: ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فإن تأويله كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن قيس بن سعد، عن طاووس: ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ قال: على الإسلام وعلى حرمة الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وتعلقوا بأسباب الله جميعاً. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحقّ والتسليم لأمر الله. وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام. وأما الحبل، فإنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان حبلاً، لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر، ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

وإذَا تُجَوِّزُها حِبالُ قَبِيلَةٍ ... أخذَتَ مِنَ الأُخْرَى إليكَ حِبالَها[1]

ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) قال في «اللسان» (حبل) قال أبو عبيد: أصل الحبل في كلام العرب ينصرف على وجوه، منها العهد، وهو الأمان. وفي حديث الجنازة: اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك. كان من عادة العرب أن يخيف بعضها بعضاً في الجاهلية، فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيد كل قبيلة، فيأمر به من دام في تلك القبيلة، حتى ينتهي إلى الآخرى، فيأخذ مثل ذلك أيضاً، يريد به الأمان. فهذا حبل الجوار، أي ما دام مجاوراً أرضه. أو هو من الإجارة: الأمان والنصرة. وقال الأعشى يذكر مسيراً له... البيت. وفي الحديث: بيننا وبين القوم حبال، أي عهود ومواثيق.... قال: والحبل في غير هذا: المواصلة. قال امرؤ القيس:

إنـي بـحـبـلـك واصـل حـبـلـي ... وبـريـش نـبـلـك رائـش نـبـلـي

والبيت للأعشى في قصيدته التي مطلعها «رحلت سمية غدوة أجمالها» وانظر ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ٢٧)، والقصيدة مدح لقيس بن معد يكرب والضمير في تجوزها عائد على الناقة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوّام، عن الشعبي، عن عبد الله ابن مسعود أنه قال في قوله: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ قال: الجماعة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن العوّام، عن الشعبيّ، عن عبد الله في قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ قال: حبل الله: الجماعة.

وقال آخرون: عَنَى بذلك القرآن، والعهد الذي عهد فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ حبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به: هذا القرآن.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ قال: بعهد الله وأمره.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن شقيق، عن عبد الله، قال: إن الصراط محتضر تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله هلمّ هذا الطريق! ليصدّوا عن سبيل الله. فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد بن المفضل، عن أسباط، عن السديّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ أما حبل الله: فكتاب الله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿بِحَبْلِ اللهِ﴾: بعهد الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء: ﴿بِحَبْلِ اللهِ﴾ قال: العهد.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ قال: حبل الله: القرآن.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ قال: القرآن.

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا أسباط بن محمد، عن عبد الملك بن أبي سليمان

العرزمي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «كِتاب اللَّهِ، هُوَ حَبْلُ الله المَمْدُودُ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ».

وقال آخرون: بل ذلك هو إخلاص التوحيد لله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**﴾ يقول: اعتصموا بالإخلاص لله وحده.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**﴾ قال: الحبل: الإسلام. وقرأ ﴿**وَلا تَفَرَّقُوا**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**وَلا تَفَرَّقُوا**﴾: ولا تتفرّقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى أمره. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**﴾ أن الله عزّ وجلّ قد كره لكم الفرقة وقدّم إليكم فيها، وحذّركموها، ونهاكم عنها، ورضي لكم السمع والطاعة والألفة والجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿**وَلا تَفَرَّقُوا**﴾: لا تعادوا عليه، يقول: على الإخلاص لله، وكونوا عليه إخواناً.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، أن الأوزاعي حدثه، أن يزيد الرقاشي حدثه، أنه سمع أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ بَنِي إسْرائِيلَ افْتَرَقَتْ على إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ على اثْنَيْنِ وَسبعينَ فِرْقَةً كلُّهمْ فِي النَّارِ إلاَّ وَاحِدَةً». قال: فقيل يا رسول الله، وما هذه الواحدة؟ قال: فقبض يده وقال: «الجَمَاعَةُ» ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾.

حدثني عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: سمعت الأوزاعي يحدّث عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ، نحوه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن ابن أبي خالد، عن الشعبي، عن ثابت بن قطنة [1] المري، عن عبد الله أنه قال: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإنّ ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة.

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري، قال: أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن ثابت بن قطنة، قال: سمعت ابن مسعود وهو يخطب، وهو يقول: يا أيها الناس، ثم ذكر نحوه.

حدثنا إسماعيل بن حفص الآملي، قال: ثنا عبد الله بن نمير أبو هشام، قال: ثنا مجالد بن سعيد، عن عامر، عن ثابت بن قطنة المري، قال: قال عبد الله: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به ثم ذكر نحوه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾**: واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام.

واختلف أهل العربية في قوله: **﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم﴾** فقال بعض نحويي البصرة في ذلك: انقطع الكلام عند قوله: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾**، ثم فسر بقوله: **﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم﴾** وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف، كما تقول: أَمْسَكَ الحائط أن يميل.

وقال بعض نحويي الكوفة: قوله **﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم﴾** تابع قوله: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** غير منقطعة منها.

والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: **﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُم﴾** متصل بقوله: **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** غير منقطع عنه.

وتأويل ذلك: واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء: أي بشرككم، يقتل بعضكم بعضاً، عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام

---

(١) قوله «عن ثابت بن قطنة الخ» كذا في النسخ بزيادة لفظ «ابن» ولكن الذي في «**الخلاصة**» و «**القاموس**» أن المحدث هو ثابت قطنة وقطنة لقبه.

بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾ كنتم تذابحون فيها، يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالإسلام، فآخى به بينكم، وألف به بينكم. أما والله الذي لا إله إلا هو، إن الألفة لرحمة، وإن الفرقة لعذاب!

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً**﴾: يقتل بعضكم بعضاً، ويأكل شديدكم ضعيفكم، حتى جاء الله بالإسلام، فألّف به بينكم، وجمع جمعكم عليه، وجعلكم عليه إخواناً.

فالنعمة التي أنعم الله على الأنصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها هي ألفة الإسلام واجتماع كلمتهم عليها، والعداوة التي كانت بينهم، التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿**إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً**﴾ فإنها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام، يزعم العلماء بأيام العرب، أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة، حتى قام الإسلام وهم على ذلك، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم، فلم يسمع بقوم كان بينهم من العدواة والحرب ما كان بينهم. ثم إن الله عزّ وجلّ أطفأ ذلك بالإسلام، وألف بينهم برسوله محمد ﷺ.

فذكَّرهم جلّ ثناؤه إذ وعظهم عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضاً وقتل بعضهم بعضاً، وخوّف بعضهم من بعض، وما صاروا إليه بالإسلام واتباع الرسول ﷺ والإيمان به، وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع، وأمن بعضهم من بعض، ومصير بعضهم لبعض إخواناً. وكان سببُ ذلك ما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني، عن أشياخ من قومه، قالوا: قدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً أو معتمراً. قال: وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره ونسبه

وشرفه. قال: فتصدّى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله عزّ وجلّ وإلى الإسلام، قال: فقال له سويد: فلعلّ الذي معك مثل الذي معي! قال: فقال له رسول الله ﷺ: **«وَما الَّذِي مَعَكَ؟»** قال مجلة لقمان ـ يعني حكمة لقمان ـ فقال له رسول الله ﷺ: **«اعْرِضْها عَلَيَّ!»** فعرضها عليه، فقال: **«إنَّ هَذَا الكَلامَ حَسَنٌ، مَعِي أفْضَلُ مِنْ هَذَا، قُرآنٌ أنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَّي هُدًى وَنُورٌ»**. قال: فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا القول حسن ثم انصرف عنه، وقدم المدينة، فلم يلبث أن قتلته الخزرج، فإن كان قومه ليقولون: قد قتل وهو مسلم، وكان قتله قبل يوم بُعاث.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني الحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل: أن محمود بن أسد أحد بني عبد الأشهل، قال: لما قدم أبو الجيش أنس بن رافع مكة، ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال: **«هَلْ لَكُمْ إلى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟»** قالُوا: وَما ذَاكَ؟ قال: **«أنا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إلى العِبادِ أدْعُوهُمْ إلى اللَّهِ أنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وأنْزَلَ عَلَّي الكِتابَ»**. ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حدثاً: أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له! قال: فأخذ أبو الجيش أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا! قال: فصمت إياس بن معاذ، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج. قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال: فلما أراد الله إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم. فبينا هو عند العقبة، إذ لقي رهطاً من الخزرج أراد الله لهم خيراً. قال ابن حميد: قال سلمة: قال محمد بن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: **«مَنْ أنْتُمْ؟»** قالوا: نفر من الخزرج، قال: **«أمِنْ مَوَالِيَ يَهُودَ؟»** قالوا: نعم، قال: **«أفَلا تَجْلِسُونَ حتى أُكَلِّمَكُمْ؟»** قالوا: بلى. قال: فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. قال: وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء، قالوا لهم: إن نبياً الآن مبعوث قد أظلّ زمانه، نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله عزّ وجلّ، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله

إنه للنبيّ الذي توعدكم به يهود، ولا يسبقُنكم إليه! فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، وسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعزّ منك! ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ، راجعين إلى بلادهم، قد آمنوا وصدّقوا، وهم فيما ذكر لي ستة نفر. قال: فلما قدموا المدينة على قومهم، ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن عكرمة: أنه لقي النبيّ ﷺ ستة نفر من الأنصار، فآمنوا به وصدّقوه، فأراد أن يذهب معهم، فقالوا: يا رسول الله، إن بين قومنا حرباً، وإنا نخاف إن جئت على حالك هذه أن لا يتهيأ الذي تريد. فوعدوه العام المقبل، وقالوا: يا رسول الله نذهب، فلعلّ الله أن يصلح تلك الحرب! قال: فذهبوا ففعلوا، فأصلح الله عزّ وجلّ تلك الحرب، وكانوا يرون أنها لا تصلح؛ وهو يوم بُعاث فلقوه من العام المقبل سبعين رجلاً قد آمنوا، فأخذ عليهم النقباء اثني عشر نقيباً، فذلك حين يقول: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما: ﴿**إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً**﴾ ففي حرب[1] ﴿**فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾ بالإسلام. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، بنحوه، وزاد فيه: فلما كان من أمر عائشة ما كان، فتثاور[2] الحيان، فقال بعضهم لبعض: موعدكم الحرة! فخرجوا إليها، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾... الآية، فأتاهم رسول الله ﷺ، فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضاً، وحتى إن لهم لخنيناً، يعني البكاء.

وسمير الذي زعم السديّ أن قوله ﴿**إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً**﴾ عنى به حربه، هو سمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف الذي ذكره مالك بن العجلان في قوله:

---

(١) لعله قد سقط من الناسخ لفظة «سمير»، وسيأتي تصريحه بها بعد قليل.

(٢) في «**الدر المنثور**»: فتشاور، تحريف عن تساور.

إنَّ سُمَيراً أرَى عَشِيرَتَهُ ... قَدْ حَدِبُوا دُونَهُ وَقَدْ أنِفُوا
إنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِي بِبَنِي النَّـ ... جَّارِ لَم يَطْعَمُوا الذي عُلِفُوا[(١)]

وقد ذكر علماء الأنصار أن مبدأ العداوة التي هيجت الحروب التي كانت بين قبيلتيها الأوس والخزرج وأولها كان بسبب قتل مولى لمالك بن العجلان الخزرجي، يقال له: الحر بن سمير، من مزينة، وكان حليفاً لمالك بن العجلان، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد ﷺ، فذلك معنى قول السديّ: حرب ابن[(٢)] سمير.

وأما قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ فإنه يعني: فأصبحتم بتأليف الله عزّ وجلّ بينكم بالإسلام وكلمة الحقّ والتعاون على نصرة أهل الإيمان، والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر، إخواناً متصادقين لا ضغائن بينكم، ولا تحاسد. كما:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾، وذكر لنا أن رجلاً قال لابن مسعود: كيف أصبحتم؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخواناً.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ على شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنها﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَكُنْتُمْ على شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾: وكنتم يا معشر المؤمنين من الأوس والخزرج على حرف حفرة من النار، وإنما ذلك مثل لكفرهم الذي كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام، يقول تعالى ذكره: وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه، قبل أن ينعم الله عليكم بالإسلام، فتصيروا بائتلافكم عليه إخواناً، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفركم، فتكونوا من الخالدين فيها، فانقذكم الله منها بالإيمان الذي هداكم له. وشفا الحفرة: طرفها وحرفها، مثل شفا الركية والبئر، ومنه قول الراجز:

نَحْنُ حَفَرْنا لِلحَجِيجِ سَجْلَهْ ... نابِتَةً فوقَ شَفَاهَا بَقْلَهْ[(٣)]

---

(١) البيتان لمالك بن عجلان، مطلع قصيدة له في حرب سمير.
وأورد البيت الأول صاحب «اللسان» في (سمر)، وقال سمير، على لفظ التصغير اسم رجل ولم يذكر قائل البيت.

(٢) الذي سبق في كلام السدي: حرب سمير كما قال المؤلف.

(٣) سجلة: قال البكري في معجم ما استعجم: بفتح أوله وإسكان ثانيه، على لفظ تأنيث السجل من الدلاء: بئر احتفرها قصي بمكة، وقال:

أنا قُصَيٌّ وحَفَرْتُ سَجلَهْ ... تُرْوِي الحجيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَهْ

وقيل: بل حفرها هاشم، ووهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل، وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم:

نَحْنُ وَهَبْنا لِعَدِيٍّ سَجْلَهْ ... تُرْوِي الحجيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَهْ

يعني فوق حرفها، يقال: هذا شفا هذه الركية مقصور، وهما شفواها. وقال: ﴿فَأَنقَذَكُم مِنها﴾: يعني فأنقذكم من الحفرة، فردّ الخبر إلى الحفرة، وقد ابتدأ الخبر عن الشفا، لأن الشفا من الحفرة، فجاز ذلك، إذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التي ذكرها في هذه الآية خبراً عن الحفرة، كما قال جرير بن عطية:

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي ... كما أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ(١)

فذكر مرّ السنين، ثم رجع إلى الخبر عن السنين. وكما قال العجاج:

طُولُ اللّيالي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي ... طَوَيْنَ طُولي وَطَوَيْنَ عَرْضِي(٢)

وقد بينت العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل.

وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وكُنتُمْ على شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأنْقَذَكُمْ مِنها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ﴾ كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأبينه ضلالة، وأعراه جلوداً، وأجوعه بطوناً، مكعومين على رأس حجر بين الأسدين: فارس، والروم، لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقياً ومن مات رُدّي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً يومئذٍ من

أي جرعة فجرعة أو قدر ما يملأ الفم. وقد دخلت هذه البئر في زيادة بناء المسجد. وشفاها: حرفها. وقال السهيلي في «**الروض الأنف**» (١/١٠١) مثل قول البكري في المعجم.

(١) البيت في ديوان جرير بشرحه لمحمد إسماعيل الصاوي (ص- ٤٢٦)، وفي «**اللسان**» (سرر) السرار: آخر ليلة إذا كان الشهر تسعاً وعشرين. وسراره: ليلة ثمان وعشرين. وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين. قيل: وربما استسر ليلتين إذا تم الشهر. وإنما قال أخذن، ولم يقل أخذ، لأن (المر) لما أضيف إلى السنين وهو جمع مؤنث اكتسب منه التأنيث، فأدخل النون في الفعل مراعاة لما في (المر) من التأنيث المكتسب من الإضافة، وما قيل في هذا يقال في الشاهد الذي بعده من قول العجاج.

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز، اختلف الرواة في نسبتهما لقائلهما، فقال صاحب «**الأغاني**» هما للأغلب العجلي. وقيل للعجاج: وهما في زوائد ديوانه (ص- ٨٠)، وقيل إنهما من شوارد الرجز التي لا يعلم قائلها. وفي البيت الأول روايات: ورواية المؤلف كرواية الكتاب سيبويه، وروى: «مر الليالي» في «**خزانة الأدب**» (٢/١٦٨). وروى: إن الليالي. ورواه الجاحظ في «**البيان**»: «أرى الليالي». والشاهد في قوله: «أسرعت»، فأنث الضمير الذي هو فاعل أسرعت، ويجب أن يكون مذكراً، لأنه ينبغي أن يعود إلى المبتدأ، والمبتدأ مذكر، وهو الطول. وإنما أنث لأنه أضاف الطول إلى الليالي، وليس الطول شيئاً غيرها، فأخلص الخبر الليالي دون الطول.

حاضر الأرض، كانوا فيها أصغر حظاً، وأدقّ فيها شأناً منهم، حتى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام، فورّثكم به الكتاب، وأحلّ لكم به دار الجهاد، ووضع لكم به من الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا نعمه، فإن ربكم منعم يحبّ الشاكرين، وإن أهل الشكر في مزيد الله، فتعالى ربنا وتبارك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قوله: ﴿**وكُنتُمْ على شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**﴾ يقول: كنتم على الكفر بالله، ﴿**فَأنْقَذَكُمْ مِنها**﴾: من ذلك، وهداكم إلى الإسلام.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وكُنتُمْ على شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأنْقَذَكُمْ مِنها**﴾ بمحمد ﷺ يقول: كنتم على طرف النار من مات منكم أُوبق في النار، فبعث الله محمداً ﷺ، فاستنقذكم به من تلك الحفرة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا حسن بن حيّ: ﴿**وكُنتُمْ على شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأنْقَذَكُمْ مِنها**﴾ قال: عصبية.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: كذلك كما بين لكم ربكم في هذه الآيات أيها المؤمنون من الأوس والخزرج، من غِلّ اليهود، الذي يضمرونه لكم، وغشهم لكم، وأمره إياكم بما أمركم به فيها، ونهيه لكم عما نهاكم عنه، والحال التي كنتم عليها في جاهليتكم، والتي صرتم إليها في إسلامكم، يعرّفكم في كل ذلك مواقع نعمه قبلكم، وصنائعه لديكم، فكذلك يبين سائر حججه لكم في تنزيله، وعلى لسان رسوله ﷺ. ﴿**لَعَلَّكم تهتدون**﴾ يعني: لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها فلا تضلوا عنها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ**﴾ أيها المؤمنون، ﴿**أُمَّةٌ**﴾ يقول: جماعة ﴿**يَدْعُونَ**﴾ الناس ﴿**إلى الخَيرِ**﴾ يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده، ﴿**ويأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ**﴾ يقول: يأمرون الناس باتباع محمد ﷺ، ودينه الذي جاء به من عند الله، ﴿**ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾:

يعني وينهون عن الكفر بالله، والتكذيب بمحمد، وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة. وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ يعني: المنجحون عند الله، الباقون في جناته ونعيمه. وقد دللنا فيما مضى على معنى الإفلاح في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ههنا.

حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا عيسى بن عمر القارىء، عن أبي عون الثقفي، أنه سمع صبيحاً، قال: سمعت عثمان يقرأ: «**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيرِ وَيأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ ويستعينون الله على ما أصابهم**».

حدثني أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت ابن الزبير يقرأ، فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواء.

حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيرِ وَيأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾ قال: هم خاصة أصحاب رسول الله، وهم خاصة الرواة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرّقوا من أهل الكتاب، واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه، من بعد ما جاءهم البينات، من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحقّ فيه، فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه، جراءة على الله، وأولئك لهم: يعني ولهؤلاء الذين تفرّقوا، واختلفوا من أهل الكتاب، من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم. يقول جل ثناؤه: فلا تفرّقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرّق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا مِنْ بَعْدِما جاءَهُمُ البَيِّناتُ**﴾ قال: هم أهل الكتاب، نهى الله أهل الإسلام أن يتفرّقوا ويختلفوا، كما تفرّق واختلف أهل الكتاب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ ونحو هذا في القرآن أمر الله جلّ ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِما جاءَهُمُ البَيِّناتُ وأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال هم اليهود والنصارى.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه. وأما قوله: ﴿فأمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن معناه: فأما الذين اسودّت وجوههم، فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. ولا بدّ لـ «أمّا» من جواب بالفاء، فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه، وإنما جاز ترك ذكر «فيقال» لدلالة ما ذكر من الكلام عليه. وأما معنى قوله جلّ ثناؤه: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُني به، فقال بعضهم: عُني به أهل قبلتنا من المسلمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه﴾... الآية، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الحَوْضَ مِمَّنْ صَحِبَنِي أَقْوَامٌ، حتى إذَا رُفِعُوا إليَّ ورأيْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فلأَقُولَنَّ رَبِّ أصحابِي أصحَابِي، فَلَيُقالَنَّ إنَّكَ لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». وقوله: ﴿وأمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله، قال الله عز وجل: ﴿فَفِي رحمة اللَّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه فأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن حماد بن سلمة والربيع بن صبيح، عن أبي مجالد، عن أبي أمامة: ﴿فأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إيمانِكُمْ﴾ قال: هم الخوارج.

وقال آخرون: عنى بذلك كل من كفر بالله بعد الإيمان الذي آمن حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عليّ بن الهيثم، قال: أخبرنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب، في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه﴾ قال: صاروا يوم القيامة فريقين، فقال لمن اسودّ وجهه وعيرهم: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم، وأقرّوا كلهم بالعبودية، وفطرهم على الإسلام، فكانوا أمة واحدة مسلمين، يقول: أكفرتم بعد إيمانكم، يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم، وقال في الآخرين: الذين استقاموا على إيمانهم ذلك، فأخلصوا له الدين والعمل، فبيض الله وجوههم، وأدخلهم في رضوانه وجنته.

وقال آخرون: بل الذين عنوا بقوله: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُمْ﴾: المنافقون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه﴾... الآية، قال: هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم.

وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبيّ بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار، وأن الإيمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه، هو الإيمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى شَهِدْنا﴾. وذلك أن الله جلّ ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين: أحدهما سوداء وجوهه، والآخر بيضاء وجوهه، فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان

الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سوّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه، فلا وجه إذاً لقول قائل عنى بقوله: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعض الكفار دون بعض، وقد عمّ الله جلّ ثناؤه الخبر عنهم جميعهم، وإذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها، ثم ارتدوا كافرين بعد إلا حالة واحدة، كان معلوماً أنها المرادة بذلك.

فتأويل الآية إذاً: أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيضّ وجوه قوم، وتسودّ وجوه آخرين؛ فأما الذين اسودّت وجوههم، فيقال: أجحدتم توحيد الله وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه، بأن لا تشركوا به شيئاً، وتخلصوا له العبادة بعد إيمانكم، يعني: بعد تصديقكم به، ﴿فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يقول: بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق؛ وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد الله وميثاقه، فلم يبدل دينه، ولم ينقلب على عقبيه بعد الإقرار بالتوحيد، والشهادة لربه بالألوهة، وأنه لا إله غيره ﴿ففي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ يقول: فهم في رحمة الله، يعني في جنته ونعيمها، وما أعدّ الله لأهلها فيها، ﴿هُمْ فيها خَالِدُونَ﴾ أي باقون فيها أبداً بغير نهاية ولا غاية.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿تِلكَ آياتِ اللَّهُ﴾: هذه آيات الله وقد بينا كيف وضعت العرب «تلك» و«ذلك» مكان «هذا» و«هذه» في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. وقوله: ﴿آياتُ اللَّهِ﴾ يعني: مواعظ الله، وعبره وحججه. ﴿نَتْلُوها عَلَيكَ﴾ نقرؤها عليك ونقصها. ﴿بالحَقِّ﴾ يعني: بالصدق واليقين وإنما يعني بقوله: ﴿تِلْكَ آياتُ اللَّهِ﴾ هذه الآيات التي ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله ﷺ وأمور يهود بني إسرائيل وأهل الكتاب، وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده وبالمبدلين دينه والناقضين عهده بعد الإقرار به. ثم أخبر عزّ وجلّ نبيه محمداً ﷺ أنه يتلو ذلك عليه بالحقّ وأعلمه أن من عاقبه من خلقه بما أخبر أنه معاقبه من تسويد وجهه وتخليده في أليم عذابه وعظيم عقابه ومن جازاه منهم بما جازاه من تبييض وجهه وتكريمه وتشريف منزلته لديه بتخليده في دائم نعيمه فبغير ظلم منه لفريق منهم بل لحقّ استوجبوه وأعمال لهم سلفت، جازاهم عليها، فقال تعالى ذكره: ﴿وَما اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْما للعالَمِينَ﴾ يعني بذلك: وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء، وإذاقتهم العذاب العظيم؛ وتبييض وجوه هؤلاء، وتنعيمه إياهم في جنته، طالباً وضع شيء مما فعل من ذلك في غير موضعه الذي هو موضعه،

إعلاماً بذلك عباده، أنه لن يصلح في حكمته بخلقه، غير ما وعد أهل طاعته والإيمان به، وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به، وإنذاراً منه هؤلاء وتبشيراً منه هؤلاء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝١٠٩﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنه يعاقب الذين كفروا بعد إيمانهم بما ذكر أنه معاقبهم به من العذاب العظيم، وتسويد الوجوه، ويثيب أهل الإيمان به، الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التي عاهدوا عليها، بما وصف أنه مثيبهم به، من الخلود في جناته، من غير ظلم منه لأحد الفريقين فيما فعل، لأنه لا حاجة به إلى الظلم، وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد إلى عزّته عزّة بظلمه إياه، وإلى سلطانه سلطاناً، وإلى ملكه ملكاً، لنقصان في بعض أسبابه، يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصاً من أسبابه عن التمام، فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب، وما في الدنيا والآخرة، فلا معنى لظلمه أحداً فيجوز أن يظلم شيئاً، لأنه ليس من أسبابه شيء ناقص يحتاج إلى تمام، فيتمّ ذلك بظلم غيره، تعالى الله علوّاً كبيراً؛ ولذلك قال جلّ ثناؤه عقيب قوله: **﴿وَما اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً للعالَمِينَ﴾ ﴿ولِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾**.

واختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله: **﴿وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾** ظاهراً وقد تقدم اسمه ظاهراً مع قوله: **﴿وَلِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾** فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: ذلك نظير قول العرب: أما زيد فذهب زيد، وكما قال الشاعر:

لا أرَى الموتَ يسبقُ الموتَ شَيْءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذا الغنى والفقيرا[1]

فأظهر في موضع الإضمار. وقال بعض نحويي الكوفة: ليس ذلك نظير هذا البيت، لأن موضع الموت الثاني في البيت موضع كناية، لأنه كلمة واحدة، وليس ذلك كذلك في الآية، لأن قوله: **﴿وَلِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾** خبر ليس من قوله: **﴿وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾** في

(١) هذا البيت لعدي بن زيد العبادي وهو الصحيح، وقيل لابنه سوادة بن عدي «**الخزانة**» (١/ ١٨٣) وهو شاهد على أن وضع الظاهر مقام الضمير جائز في الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول عند سيبويه، ولم يرتضه شراح أبياته وقالوا: إن فيه قبحاً إذا كان تكريره في جملة واحدة، لأنه يستغني بعضها عن بعض، فلا يكاد يجوز إلا في ضرورة، فإن كانت إعادته في جملتين حسن. ومعنى يسبقه: يفوته

شيء، وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الأخرى، مكتفية كل واحدة منهما بنفسها، غير محتاجة إلى الأخرى، وما قال الشاعر: «لا أرى» الموت محتاج إلى تمام الخبر عنه.

وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب، لأن كتاب الله عزّ وجلّ لا يؤخذ معانيه، وما فيه من البيان إلى الشواذّ من الكلام والمعاني وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود.

وأما قوله: ﴿وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره: إلى الله مصير أمر جميع خلقه الصالح منهم، والطالح والمحسن والمسيء، فيجازي كلاً على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه أحداً منهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْراً أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ، من مكة إلى المدينة، وخاصة من أصحاب رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال في: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ﴾ قال: هم الذين خرجوا معه من مكة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن قيس، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ﴾ قال: هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ قال عمر بن الخطاب: لو شاء الله لقال «أنتم»، فكنا كلنا، ولكن قال: ﴿كُنتُمْ﴾ في خاصة من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال عكرمة: نزلت في ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مصعب بن المقدام، عن إسرائيل، عن السديّ، عمن حدثه، قال عمر: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ قال: تكون لأوّلنا، ولا تكون لآخرنا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن سماك بن حرب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ قال: هم الذين هاجروا مع النبيّ ﷺ إلى المدينة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجها: ورأى من الناس رِعَة[1] سيئة، فقرأ هذه: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾... الآية، ثم قال: يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤدّ شرط الله منها.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة، يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: كنتم خير أمة أخرجت للناس، إذ كنتم بهذه الشروط التي وصفهم جلّ ثناؤه بها. فكان تأويل ذلك عندهم: كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله أُخرِجوا للناس في زمانكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ يقول: على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله، يقول: لمن أنتم بين ظهرانيه، كقوله: ﴿**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾.

---

(١) الرعة بوزن العدة: الاحتشام والكف عن سوء الأدب انظر «**اللسان**» في ورع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ**﴾ قال: يقول: كنتم خير الناس للناس، على هذا الشرط، أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله، يقول لمن بين ظهريه كقوله: ﴿**وَلَقَدِ اختَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلى العالَمِينَ**﴾.

وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ميسرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة: ﴿**كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ**﴾ قال: كنتم خير الناس للناس، تجيئون بهم في السلاسل، تدخلونهم في الإسلام.

حدثنا عبيد بن أسباط، قال: ثنا أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية في قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ**﴾ قال: خير الناس للناس.

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿**كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ**﴾ لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ تَأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾ قال: لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة، فمن ثم قال: ﴿**كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ**﴾.

وقال بعضهم: عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾ قال: قد كان ما تسمع من الخير في هذه الأمة:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعد عن قتادة قال: كان الحسن يقول: نحن آخرها وأكرمها على الله.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن، وذلك أن:

حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا ابن علية، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أنتُمْ آخِرُها وأكْرَمُها على اللَّهِ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه سمع النبيّ ﷺ يقول في قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ قال: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُها وأَكْرَمُها على اللَّهِ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال ذات يوم، وهو مسند ظهره إلى الكعبة: «نَحْنُ نُكَمِّلُ يَوْمَ القِيامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً نَحْنُ آخِرُها وخَيْرُها».

وأما قوله: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ فإنه يعني: تأمرون بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه، ﴿**وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ يعني: وتنهون عن الشرك بالله، وتكذيب رسوله، وعن العمل بما نهى عنه. كما:

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ يقول: تأمرونهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر والمنكر: هو التكذيب، وهو أنكر المنكر.

وأصل المعروف: كل ما كان معروفاً ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الإيمان بالله. وإنما سميت طاعة الله معروفاً، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله. وأصل المنكر ما أنكره الله، ورأوه قبيحاً فعله، ولذلك سميت معصية الله منكراً، لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون ركوبها. وقوله: ﴿**وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ يعني: تصدّقون بالله، فتخلصون له التوحيد والعبادة.

فإن سأل سائل فقال: وكيف قيل: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾ وقد زعمت أن تأويل الآية أن هذه الأمة خير الأمم التي مضت، وإنما يقال: كنتم خير أمة، لقوم كانوا خياراً فتغيروا عما كانوا عليه؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما ذهبت إليه، وإنما معناه: أنتم خير أمة، كما قيل: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ**﴾ وقد قال في موضع آخر: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ**﴾ فإدخال «كان» في مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد، لأن الكلام معروف معناه. ولو قال أيضاً في ذلك قائل: كنتم بمعنى التمام، كان تأويله: خلقتم خير أمة، أو وجدتم خير أمة، كان معنى صحيحاً، وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ أخرجت للناس، والقولان الأوّلان اللذان قلنا، أشبه بمعنى الخبر الذي رويناه قبل.

وقال آخرون معنى ذلك: كنتم خير أهل طريقة، وقال: الأمة: الطريقة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وأَكْثَرُهُم الفاسِقونَ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: ولو صدّق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ، وما جاءهم به من عند الله، لكان خيراً لهم عند الله في عاجل دنياهم، وآجل آخرتهم. ﴿مِنهُمُ المُؤمِنُونَ﴾ يعني من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، المؤمنون المصدّقون رسول الله ﷺ فيما جاءهم به من عند الله، وهم عبد الله بن سلام، وأخوه، وثعلبة بن سَعْيَة وأخوه، وأشباههم ممن آمنوا بالله، وصدّقوا برسوله محمد ﷺ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله. ﴿وأَكْثَرُهُمُ الفاسِقُونَ﴾ يعني: الخارجون عن دينهم، وذلك أن من دين اليهود اتباع ما في التوراة، والتصديق بمحمد ﷺ، ومن دين النصارى اتباع ما في الإنجيل، والتصديق به وبما في التوراة، وفي كلا الكتابين صفة محمد ﷺ ونعته، ومبعثه، وأنه نبيّ الله، وكلتا الفرقتين، أعني اليهود والنصارى مكذبة، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدّعون أنهم يدينون به الذي قال جلّ ثناؤه ﴿وأَكْثَرُهُمُ الفاسِقُونَ﴾. وقال قتادة بما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مِنْهُمُ المُؤمِنونَ وأَكْثَرُهُمُ الفاسِقُونَ﴾: ذمّ الله أكثر الناس.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: لن يضركم يا أهل الإيمان بالله ورسوله، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب بكفرهم، وتكذيبهم نبيكم محمداً ﷺ شيئاً إلا أذى، يعني بذلك ولكنهم يؤذونكم بشركهم، وإسماعكم كفرهم، وقولهم في عيسى وأمه وعزير، ودعائهم إياكم إلى الضلالة، ولا يضرّونكم بذلك، وهذا من الاستثناء المنقطع، الذي هو مخالف معنى ما قبله، كما قيل ما اشتكى شيئاً إلا خيراً، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعاً.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوكمْ إلاَّ أذًى﴾ يقول: لن يضرّوكم إلا أذى تسمعونه منهم.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أذًى﴾ قال: أذى تسمعونه منهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أذًى﴾ قال: إشراكهم في عُزَير وعيسى والصليب.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أذًى﴾... الآية، قال: تسمعون منهم كذباً على الله، يدعونكم إلى الضلالة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإن يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، يهزموا عنكم، فيولوكم أدبارهم انهزاماً، فقوله: ﴿يُوَلُّوكُمُ الأدْبارَ﴾ كناية عن انهزامهم، لأن المنهزم يحوّل ظهره إلى جهة الطالب هرباً إلى ملجأ، وموئل يئل إليه منه، خوفاً على نفسه، والطالب في أثره، فدبر المطلوب حينئذٍ يكون محاذي وجه الطالب الهازمة. ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ يعني: ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله، وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد ﷺ، لأن الله عزّ وجلّ قد ألقى الرعب في قلوب كائدكم أيها المؤمنون بنصركم. وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ وأهل الإيمان نصرهم على الكفرة من أهل الكتاب. وإنما رفع قوله: ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ وقد جزم قوله: ﴿يُوَلُّوكم الأدْبارَ﴾ على جواب الجزاء ائتنافاً للكلام، لأن رؤوس الآيات قبلها بالنون، فألحق هذه بها، قال: ﴿وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ رفعاً، وقد قال في موضع آخر: ﴿لا يُقْضَى علَيهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ إذ لم يكن رأس آية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه ﴿ضُرِبَتْ عَلَيهِمْ الذِّلَّةُ﴾ ألزموا الذلة، والذلة: الفعلة من الذلّ، وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع. ﴿أينَما ثُقِفُوا﴾ يعني: حيثما لقوا. يقول جلّ ثناؤه: ألزم اليهود المكذّبون بمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأيّ مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين، إلا بحبل من الله، وحبل من الناس كما:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن في قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ المَسْكَنَةُ﴾ قال: أدركتهم هذه الأمة، وإن المجوس لتجبيهم الجزية.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قل: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين.

وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع، فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين، وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿إلاَّ بَحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: بعهد، ﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: بعهدهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ يقول: إلا بعهد من الله، وعهد من الناس.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد، عن عثمان بن غياث، قال عكرمة: يقول: ﴿إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: بعهد من الله، وعهد من الناس.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ يقول: إلا بعهد من الله، وعهد من الناس.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ يقول: إلا بعهد من الله، وعهد من الناس.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ فهو عهد من الله، وعهد من الناس، كما يقول الرجل: ذمة الله، وذمة رسوله ﷺ، فهو الميثاق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: قال مجاهد: ﴿**أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بْحَبلٍ مِنَ اللّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ قال: بعهد من الله، وعهد من الناس لهم. قال ابن جريج وقال عطاء: العهد: حبل الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ قال: إلا بعهد وهم يهود، قال: والحبل: العهد. قال: وذلك قول أبي الهيثم بن التيهان لرسول الله ﷺ حين أتته الأنصار في العقبة: أيها الرجل إنا قاطعون فيك حبالاً بيننا وبين الناس، يقول: عهوداً. قال: واليهود لا يأمنون في أرض من أرض الله إلا بهذا الحبل الذي الله قال عزّ وجلّ، وقرأ: ﴿**وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيامَةِ**﴾ قال: فليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب هم في البلدان كلها مستذلون، قال الله: ﴿**وَقَطَّعناهُمْ فِي الأرْض أمماً**﴾ يهود.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك في قوله: ﴿**إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ بقول: بعهد من الله، وعهد من الناس.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، مثله.

واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله: ﴿**إلاَّ بحَبْلٍ مِنَ الله وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ فقال بعض نحويي الكوفة: الذي جلب الباء في قوله: ﴿**بِحَبْلٍ**﴾ فعل مضمر قد ترك ذكره. قال: ومعنى الكلام: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، إلا أن يعتصموا بحبل من الله، فأضمر ذلك. واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

رأتْنِي بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مَخافَةً ... وفي الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤاد فَرُوقُ(١)

(١) البيت لحميد بن ثور الهلالي ديوانه طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٥١ (ص - ٣٥) وروايته فيه:

فجئت بحبليها فردت مخافة ... إلى النفس روعاء الجنان فروق

وقال شارحه في هامشه: روعاء الجنان: ذكية، وفروق: فزعة. ورواية البيت في «اللسان» (فرق) والأساس (روع):

رأتني بحبليها فصدت مخافة ... وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

وهي كرواية المؤلف. قال في «اللسان» (حبل): أراد: رأتني أقبلت بحبليها، فأضمر أقبلت، كما أضمر الاعتصام في الآية يريد قوله تعالى: ﴿إلا بحبل من الله﴾ أي إلا أن يعتصموا بحبل من الله. والضمير في بحبليها: راجع إلى ناقته.

وقال: أراد: أَقْبَلْتُ بحبليها. ويقول الآخر:

حَنَتْنِي حانِياتُ الدَّهْر حتى ... كأني خاتِلٌ أحْنُو لِصَيْد[(١)]

فأوجب إعمال فعل محذوف وإظهار صلته وهو متروك، وذلك في مذاهب العربية ضعيف، ومن كلام العرب بعيد. وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات، فغير دالّ على صحة دعواه، لأن في قول الشاعر: «رأتني بحبليها»، دلالة بينة في أنها رأته بالحبل ممسكاً، ففي إخباره عنها أنها رأته بحبليها إخبار منه أنها رأته ممسكاً بالحبلين، فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الإمساك، وكانت الباء صلة لقوله: «رأتني»، كما في قول القائل: أنا بالله مكتف بنفسه، ومعرفة السامع معناه أن تكون الباء محتاجة إلى كلام يكون لها جالباً غير الذي ظهر، وأن المعنى أنا بالله مستعين.

وقال بعض نحويي البصرة: قوله: ﴿إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾ استثناء خارج من أوّل الكلام، قال: وليس ذلك بأشدّ من قوله: ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً﴾.

وقال آخرون من نحويي الكوفة: هو استثناء متصل. والمعنى: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا: أي بكلّ مكان، إلا بموضع حبل من الله، كما تقول: ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان، وهذا أيضاً طلب الحقّ، فأخطأ المفصل، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل، ولو كان متصلاً كما زعم لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة، وليس ذلك صفة اليهود لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس، أو بغير حبل من الله عزّ وجلّ، وغير حبل من الناس، فالذلة مضروبة عليهم على ما ذكرنا عن أهل

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**». أورده صاحب «**اللسان**» في (ختل)، وفيه «يدنو» في موضع أحيو. وقال: المخاتلة مشي الصياد قليلاً قليلاً في خفية، لئلا يسمع حسه، ثم جعل مثلاً لكل شيء. ورى بغيره، وستر على صاحبه. وبعد البيت بيت آخر، وهو قوله:

قَرِيبُ الخَطْوِ يَحسِبُ من رآني ... (ولستُ مُقَيَّداً) أني بِقَيْدِ

أيكبرت وضعفت مشيتي.

وفي كتاب «**المعاني الكبير**» لابن قتيبة طبع الهند (ص ـ ١٢١٤) أورد البيت مختلفاً عن رواية المؤلف ونسبه لأبي الطمحان القيس ونصه:

وقد طالت بي الأيام حتى ... كأني خاتلٌ يدنو لصيد

وأورده «**اللسان**» في «أدا» كما أورده المؤلف، مع تغيير «أحنو» بيادو، مضارع «أدا» بمعنى ختل. يقال: أدا السبع للغزال يأدو أدوا: ختله ليأكله.

التأويل قبل. فلو كان قوله: ﴿إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ استثناء متصلاً لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة، أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم. وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم، وخلاف ما هم به من الصفة، فقد تبين أيضاً بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً. ولكن القول عندنا أن الباء في قوله: ﴿إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ﴾ أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء، وذلك أن معنى قولهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَما ثُقِفُوا﴾: ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا، ثم قال: ﴿إلاَّ بِحَبلٍ مِنَ اللهِ وحَبلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ على غير وجه الاتصال بالأول، ولكنه على الانقطاع عنه، ومعناه: ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس، كما قيل: ﴿وَما كانَ لِمُؤمِنٍ أنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إلاَّ خَطأً﴾ فالخطأ وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء، فليس قوله باستثناء متصل بالأوّل بمعنى إلا خطأ، فإن له قتله كذلك، ولكن معناه: ولكن قد يقتله خطأ، فكذلك قوله: ﴿أيْنَما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ﴾ وإن كان الذي جلب الباء التي بعد إلا الفعل الذي يقتضيها قبل إلا، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله بمعنى أن القوم إذا لقوا، فالذلة زائلة عنهم، بل الذلة ثابتة بكلّ حال، ولكن معناه ما بينا آنفاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَباءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيهِمُ المَسْكَنَةُ ذَلِكَ بأنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأنْبِياءَ بِغَيرِ حَقّ﴾.

يعني تعالى ذكره: ﴿وَباءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ﴾: وتحملوا غضب الله، فانصرفوا به مستحقيه. وقد بينا أصل ذلك بشواهده، ومعنى المسكنة، وأنها ذلّ الفاقة والفقر وخشوعهما، ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بأنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بآياتِ اللّهِ﴾ يعني جلّ ثناؤه بقوله ذلك: أي بوؤهم الذي باءوا به من غضب الله، وضرب الذلة عليهم، بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله، يقول: مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه، وما فرض عليهم من فرائضه. ﴿وَيَقْتُلُونَ الأنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقّ﴾ يقول: وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله إليهم، اعتداء على الله، وجراءة عليه بالباطل، وبغير حقّ استحقوا منهم القتل.

فتأويل الكلام: ألزموا الذلة بأيّ مكان لقوا، إلا بذمة من الله وذمة من الناس، وانصرفوا بغضب من الله متحمليه، وألزموا ذلّ الفاقة، وخشوع الفقر، بدلاً مما كانوا يجحدون بآيات الله، وأدلته وحججه، ويقتلون أنبياءه بغير حقّ ظلماً واعتداء.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فعلنا بهم ذلك بكفرهم، وقتلهم الأنبياء، ومعصيتهم ربهم، واعتدائهم أمر ربهم. وقد بينا معنى الاعتداء في غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن إعادته. فأعلم ربنا جلّ ثناؤه عباده، ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب، من إحلال الذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا، مع ما ادّخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال، وأليم العذاب، إذ تعدّوا حدود الله، واستحلوا محارمه، تذكيراً منه تعالى ذكره لهم، وتنبيهاً على موضع البلاء الذي من قبله أتوا لينيبوا ويذّكروا، وعظة منه لأمتنا، أن لا يستنوا بسنتهم، ويركبوا منهاجهم، فيسلك بهم مسالكهم، ويحلّ بهم من نقم الله ومثلاته ما أحلّ بهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وكانُوا يَعْتَدُونَ﴾ اجتنبوا المعصية والعدوان، فإن بهما أهلك من أهلك قبلكم من الناس.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ ليس فريقاً أهل الكتاب، أهل الإيمان منهم والكفر سواء، يعني بذلك: أنهم غير متساوين، يقول: ليسوا متعادلين، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشرّ. وإنما قيل: ليسوا سواء، لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وأكْثَرُهُمُ الفاسِقُونَ﴾ ثم أخبر جلّ ثناؤه عن حال الفريقين عنده، المؤمنة منهما والكافرة، فقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاء﴾: أي ليس هؤلاء سواء، المؤمنون منهم والكافرون. ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم، وأثنى عليهم بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ونَخْب الجَنان، ومحالفة الذلّ والصغار، وملازمة الفاقة والمسكنة، وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة، فقال: ﴿مِنْ أهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾... الآيات الثلاث، إلى قوله: ﴿واللّهُ عَلِيمٌ بالمُتَّقِينَ﴾ فقوله: «أمة قائمة» مرفوعة بقوله: «من أهل الكتاب».

وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمقدّمين منهم في صناعتهم، أن ما بعد

سواء في هذا الموضع من قوله: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ترجمة عن سواء، وتفسير عنه بمعنى: لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل، وأخرى كافرة، وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى ترك اكتفاء بذكر إحدى الفرقتين، وهي الأمة القائمة، ومثّلوه بقول أبي ذؤيب:

عَصَيْتُ إلَيْهَا القَلْبَ إني لأمرِها ... سَمِيعٌ فَما أدْرِي أرُشْدٌ طِلابُها[(١)]

ولم يقل: «أم غير رشد» اكتفاء بقوله: «أرشد» من ذكر «أم غير رشد». وبقول الآخر:

أزَالُ فلا أدْري أهَمٌّ هَمَمْتَهُ ... وذو الهَمّ قِدْماً خاشِعٌ مُتَضَائِلُ[(٢)]

وهو مع ذلك عندهم خطأ قول القائل المريد أن يقول: سواء أقمت أم قعدت، سواء أقمت حتى يقول أم قعدت، وإنما يجيزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفياً بواحد دون ما كان ناقصاً عن ذلك، وذلك نحو ما أبالي أو ما أدري، فأجازوا في ذلك ما أبالي أقمت، وهم يريدون: ما أبالي أقمت أم قعدت، لاكتفاء ما أبالي بواحد، وكذلك في ما أدري، وأبوا الإجازة في سواء من أجل نقصانه، وأنه غير مكتف بواحد، فأغفلوا في توجيههم قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ

---

(١) البيت لأبي ذؤيب، أنشده ابن هشام في «**المغني**» (١/ ١٠) وروايته:

دَعانِي إلَيها القَلْبُ إني لأمْرِه ... سَمِيعٌ فَما أدْرِي أرُشْدٌ طِلابُها

ورواه النيسابوري في تفسيره بهذا اللفظ:

دَعانِي إلَيها القَلْبُ إني لأمْرِهِ ... مِطِيعٌ فَمَا أدْرِي أرُشْدٌ طِلابُها

وفي تفسير القرطبي (٤/ ١٧٦) كانت رواية الأصل: عصيت إليها القلب إني لأمرها، وجعله مصححوه تبعاً للديوان:

عصاني إليها القلب إني لأمره ... سميع..........

وشرحوه بقولهم: يقول: عصاني القلب وذهب إليها، فأنا أتبع ما يأمرني به.

وفي ديوان الهذليين القسم الأول (ص ـ ٧١)

عصاني إليها القلب إني لأمره ... سميع..........

عصاني إليها: أي خطر إليها قلبي وذهب إليها، فما أدري أرشد الذي وقعت فيه أم غي.

وفي الهامش ٧ ـ عبارة الأصمعي في تفسير قوله: عصاني إليها القلب: جعل لا يقبل مني، أي ذهب إليها قلبي سفهاً، وهي أوضح في معنى العصيان، من عبارة الشارح هنا.

(٢) البيت غير منسوب. واستشهد به المؤلف على حذف المسؤول عنه الثاني بهمزة الاستفهام التي لأحد الشيئين، مع أن حذفه غير مقيس، لما يوقع فيه من لبس. ونظيره ما استشهد به النحويون على حذف المعادل، وهو قول أبي ذؤيب «فما أدري أرشد طلابها»؟ كما في «**المغني**» لابن هشام (١/ ١٠) مع حاشية الأمير تقديره: أم غي. قال ابن هشام: ولك أن تقول: لا حاجة إلى تقدير معادل في البيت، لصحة قولك: ما أدري هل طلابها رشد؟ وامتناع أن يؤتى لها بمعادل. قال الأمير: فالهمزة لطلب التصديق كهل لا تحتاج لمعادل. والمعنى: لا أدري جواب هذا الاستفهام.

أهْل الكِتاب أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾ على ما حكينا عنهم إلى ما وجهوه إليه مذاهبهم في العربية، إذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع سواء، وأخطأوا تأويل الآية، فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء، لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله. وقد ذكر أن قوله: ﴿مِنْ أهْل الكِتاب أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾. . . الآيات الثلاث، نزلت في جماعة من اليهود أسلموا، فحسن إسلامهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه، قالت: أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك من قولهم: ﴿لَيسُوا سَوَاءً مِنْ أهل الكتاب أُمَّةٌ قائمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحينَ﴾.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، بنحوه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿لَيسُوا سَواءً مِنْ أهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾. . . الآية، يقول: ليس كل القوم هلك، قد كان لله فيهم بقية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: ﴿أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾: عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سلام أخوه، وسعية ومبشر، وأسيد وأسد ابنا كعب.

وقال آخرون: معنى ذلك: ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحقّ الله سواء عند الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن الحسن بن يزيد العجلي، عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله: ﴿لَيسُوا سَوَاءً مِن أهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾ قال: لا يستوي أهل الكتاب، وأمة محمد ﷺ.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾**... الآية، يقول: ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة.

وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: قد تمت القصة عند قوله: **﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾** عن إخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب، وأهل الكفر منهم، وأن قوله: **﴿مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾**. خبر مبتدأ عن مدح مؤمنيهم، ووصفهم بصفتهم، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج. ويعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾**: جماعة ثابتة على الحقّ. وقد دللنا على معنى الأمة فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وأما القائمة، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناها: العادلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿أُمَّة قائمَةٌ﴾** قال: عادلة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: **﴿أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾** يقول: قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: **﴿أُمَّةٌ قائِمَةٌ﴾** يقول: قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾** يقول: أمة مهتدية قائمة على أمر الله، لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه.

وقال آخرون: بل معنى قائمة: مطيعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ:

﴿أُمَّةٌ قائمَةٌ﴾ الآية، يقول: ليس هؤلاء اليهود، كمثل هذه الأمة التي هي قانتة لله والقانتة: المطيعة.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة، ومن قال بقولهما على ما رَوينا عنهم، وإن كان سائر الأقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك. وذلك أن معنى قوله: ﴿قائمَةٌ﴾ مستقيمة على الهدى، وكتاب الله وفرائضه، وشرائع دينه، بالعدل والطاعة، وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ونظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «مَثَلُ القائِمِ على حُدُودِ اللّهِ وَالوَاقِعِ فِيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً، ثُمَّ ضَرَبَ لهُمْ مَثَلاً» فالقائمُ على حُدُودِ اللّهِ هُوَ الثَّابِت عَلى التَّمَسُّكِ بِما أَمَرَهُ اللّهُ بِهِ وَاجْتِنابِ ما نَهاهُ اللّهُ عَنْهُ.

فتأويل الكلام: من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله، متمسكة به، ثابتة على العمل بما فيه، وما سنّ له رسوله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

يعني بقوله: ﴿يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ﴾: يقرؤون كتاب الله آناء الليل، ويعني بقوله: ﴿آياتِ اللّهِ﴾: ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ، يقول: يتلون ذلك آناء الليل، يقول: في ساعات الليل، فيتدبرونه ويتفكرون فيه. وأما ﴿آناءَ اللَّيْلِ﴾: فساعات الليل، واحدها: إِنْيٌ، كما قال الشاعر:

حُلْوٌ ومُرٌّ كعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ ... في كُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ[1]

وقد قيل إن واحد الآناء: إِنًى مقصور، كما واحد الأمعاء: مِعًى.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: تأويله: ساعات الليل، كما قلنا.

(١) البيت للتنخل الهذلي، وهو من شواهد الصحاح، وذكره «اللسان» وذكره «اللسان» في (أنى) مرتين مع تغير الشطر الأول منه. شاهداً على أن مفرد آناء الليل: إِني بكسر الهمزة وسكون النون، كمعى وأمعاء، قال الهذلي المتنخل: السالك الثغر مخشياً موارده... الخ. قال الأزهري: كذا رواه ابن الأنباري وأنشده الجوهري.. الخ كرواية المؤلف. ونسبه أيضاً للمتنخل؛ فإما أن يكون هو البيت بعينه، أو آخر من قصيدة أخرى.

وفي ديوان الهذليين القسم الثاني دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٨ (ص ـ ٣٥)، وروايته: في كل إني حذاه الليل ينتعل: كعطف القدح: يريد طوى كما يطوي القدح. ومرته: فتلته. وينتعل: يسري في كل ساعة من الليل من هدايته. وإني: واحد الآناء، وهي الساعات. ومن ذلك: «ومن آناء الليل».

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾: أي ساعات الليل.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ﴿**آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾: ساعات الليل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال عبد الله بن كثير: سمعنا العرب تقول: ﴿**آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾: ساعات الليل.

وقال آخرون ﴿**آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾: جوف الليل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾ أما آناء الليل: فجوف الليل.

وقال آخرون: بل عني بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الأخيرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن الحسن بن يزيد العجلي، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿**يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ**﴾: صلاة العتمة، هم يصلونها، ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصليها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يحيى بن أيوب، عن عبيد الله ﷺ ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه، فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليلٌ، فجاء ومنا المصلي ومنا المضطجع، فبشرنا وقال: «إنه لا يُصَلّي هذه الصَّلاة أحَدٌ مِنْ أهْلِ الكِتابِ»، فأنزل الله: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾.

حدثني يونس، قال: ثنا، عليّ بن معبد، عن أبي يحيى الخراساني، عن نصر بن طريف، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ننتظر العشاء ـ يريد العتمة ـ فقال لنا: «ما على الأرضِ أحَدٌ مِنْ أهْلِ

الأَدْيَانِ يَنْتَظِرُ هذه الصَّلاةَ في هذا الوَقْتِ غَيْرُكُمْ» قال: فنزلت: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

وقال آخرون: بل عني بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، قال: بلغني أنها نزلت: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أهْلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناء اللَّيلِ وَهُمْ يَسْجُدونَ﴾ فيما بين المغرب والعشاء.

وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني، وذلك أن الله تعالى ذكره، وصف هؤلاء القوم، بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل، وهي آناؤه، وقد يكون تاليها في صلاة العشاء تالياً لها آناء الليل، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء، ومن تلاها جوف الليل، فكلّ تال له ساعات الليل.

غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية، قول من قال: عني بذلك: تلاوة القرآن في صلاة العشاء، لأنها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب، فوصف الله أمة محمد ﷺ بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله.

وأما قوله: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى السجود في هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود، لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع، فكان معنى الكلام عنده: يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون، وليس المعنى على ما ذهب إليه، وإنما معنى الكلام: من أهل الكتاب أمة قائمة، يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم، وهم مع ذلك يسجدون فيها، فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

يعني بقوله جلّ وعزّ: ﴿يُؤْمِنُونَ باللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾: يصدّقون بالله، وبالبعث بعد الممات، ويعلمون أن الله مجازيهم بأعمالهم؛ وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله،

ويعبدون معه غيره، ويكذّبون بالبعث بعد الممات، وينكرون المجازاة على الأعمال والثواب والعقاب. وقوله: ﴿وَيأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ﴾ يقول: يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله، وتصديق محمد ﷺ، وما جاءهم به. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ يقول: وينهون الناس عن الكفر بالله، وتكذيب محمد، وما جاءهم به من عند الله: يعني بذلك: أنهم ليسوا كاليهود والنصارى، الذي يأمرون الناس بالكفر، وتكذيب محمد فيما جاءهم به، وينهونهم عن المعروف من الأعمال، وهو تصديق محمد فيما أتاهم به من عند الله: ﴿وَيسارِعونَ فِي الخَيراتِ﴾ يقول: ويبتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم مناياهم. ثم أخبر جلّ ثناؤه أن هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين، لأن من كان منهم فاسقاً قد باء بغضب من الله، لكفره بالله وآياته، وقتلهم الأنبياء بغير حقّ، وعصيانه ربه، واعتدائه في حدوده.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾

اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ جميعاً، ردًّا على صفة القوم الذين وصفهم جلّ ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقرأته عامة قراء المدينة والحجاز وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعاً: ﴿وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ بمعنى: وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم. وكان بعض قراء البصرة يرى القراءتين في ذلك جائزاً بالياء والتاء في الحرفين.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالياء في الحرفين كليهما، يعني بذلك الخبر عن الأمة القائمة، التالية آيات الله. وإنما اخترنا ذلك، لأن ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم، فإلحاق هذه الآية إذ كان لا دلالة فيها تدلّ على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها. وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ.

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرؤها جميعاً بالياء.

فتأويل الآية إذًا على ما اخترنا من القراءة: وما تفعل هذه الأمة من خير، وتعمل من عمل لله فيه رضا فلن يكفرهم الله ذلك؛ يعني بذلك: فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه، ولكنه يجزل لهم الثواب عليه، ويُسني لهم الكرامة والجزاء.

وقد دللنا على معنى الكفر مضى قبل بشواهده، وأن أصله تغطية الشيء، فكذلك ذلك في قوله: ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾: فلن يغطي على ما فعلوا من خير، فيتركوا بغير مجازاة، ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك، فيجزل لهم الثواب فيه.

وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل تأوّل ذلك من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: «وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ» يقول: لن يضلّ عنكم.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، بمثله.

وأما قوله: ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ بالمُتَّقِينَ﴾ فإنه يقول تعالى ذكره: والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته، واجتناب معاصيه، وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها، ويجازيهم بها. تبشيراً منه لهم جلّ ذكره في عاجل الدنيا، وحضًا لهم على التمسك بالذي هم عليه من صالح الأخلاق التي ارتضاها لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

وهذا وعيد من الله عزّ وجلّ للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون وأنهم قد باءوا بغضب منه، ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله، وما جاء به محمد ﷺ من عندالله. يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الذين جحدوا نبوّة محمد ﷺ، وكذبوا به، وبما جاءهم به من عند الله؛ ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً﴾ يعني: لن تدفع أمواله التي جمعها في الدنيا وأولاده الذين رباهم فيها شيئاً من عقوبة الله يوم القيامة إن أخرها لهم إلى يوم القيامة، ولا في الدنيا إن عجلها لهم فيها. وإنما خصّ أولاده وأمواله، لأن أولاد الرجل أقرب أنسبائه إليه، وهو على ماله أقرب منه على مال غيره، وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره، فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الأمر فيه، فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم أبعد من أن تغني عنه من الله شيئاً. ثم أخبر جلّ ثناؤه أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله: ﴿وأُولَئِكَ أصحَابُ النَّارِ﴾؛ وإنما جعلهم أصحابها، لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها، كصاحب الرجل الذي لا يفارقه وقرينه الذي لا

يزايله. ثم وكد ذلك بإخباره عنهم أنهم فيها خالدون، صحبتهم إياها صحبة لا انقطاع لها، إذ كان من الأشياء ما يفارق صاحبه في بعض الأحوال ويزايله في بعض الأوقات، وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التي أصلوها، ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع، نعوذ بالله منها ومما قرَّب منها من قول وعمل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: شبه ما ينفق الذين كفروا: أي شبه ما يتصدق به الكافر من ماله، فيعطيه من يعطيه على وجه القربة إلى ربه، وهو لوحدانية الله جاحد ولمحمد ﷺ مكذّب في أن ذلك غير نافعه مع كفره، وأنه مضمحلّ عند حاجته إليه ذاهب بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه، كشبه ريح فيها برد شديد **﴿أَصَابَتْ﴾** هذه الريح التي فيها البرد الشديد **﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾** يعني زرع قوم، قد أمّلوا إدراكه، ورجوا ريعه وعائدة نفعه، **﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** يعني أصحاب الزرع، عصوا الله، وتعدّوا حدوده **﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾** يعني فأهلكت الريح التي فيها الصرّ زرعهم ذلك، بعد الذي كانوا عليه من الأمل، ورجاء عائدة نفعه عليهم. يقول تعالى ذكره: فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته حين يلقاه يبطل ثوابها، ويخيب رجاءه منها. وخرج المثل للنفقة، والمراد بالمثل: صنيع الله بالنفقة، فبين ذلك قوله: **﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾** فهو كما قد بينا في مثله من قوله: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً﴾** وما أشبه ذلك.

فتأويل الكلام: مثل إبطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا، كمثل ريح صرّ. وإنما جاز ترك ذكر إبطال الله أجر ذلك لدلالة آخر الكلام عليه، وهو قوله: **﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾** ولمعرفة السامع ذلك معناه.

واختلف أهل التأويل في معنى النفقة التي ذكرها في هذه الآية، فقال بعضهم: هي النفقة المعروفة في الناس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَياةِ الدُّنْيا﴾** قال: نفقة الكافر في الدنيا.

وقال آخرون: بل ذلك قوله الذي يقوله بلسانه مما لا يصدّقه بقلبه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿مَثَلُ ما يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَياةِ الدُّنيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ فأهْلَكَتْهُ﴾ يقول: مثل ما يقول فلا يقبل منه كمثل هذا الزرع إذا زرعه القوم الظالمون، فأصابه ريح فيها صرّ أصابته فأهلكته. فكذلك أنفقوا فأهلكهم شِرْكهم.

وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل. وقد تقدم بياننا تأويل الحياة الدنيا بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع. وأما الصرّ، فإنه شدة البرد، وذلك بُعْصوف من الشمال في إعصار الطَّلّ والأنداء في صبيحة معتمة بعقب ليلة مصحية. كما:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن عثمان بن غياث، قال: سمعت عكرمة يقول: ﴿رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾ قال: برد شديد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس: ﴿رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾ قال: برد شديد وزمهرير.

حدثنا عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ. عن ابن عباس، قوله: ﴿رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾ يقول: برد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس: الصرّ: البرد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾: أي برد شديد.

حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في الصرّ: البرد الشديد.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾ يقول: ريح فيها برد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿رِيحٍ فِيها صِرٌّ﴾ قال:

صر باردة أهلكت حرثهم. قال: والعرب تدعوها الضَّريب: تأتي الريح باردة فتصبح ضريباً قد أحرق الزرع، تقول: «قد ضُرب الليلة» أصابه ضريب تلك الصرّ التي أصابته.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك: **﴿رِيحٌ فِيها صِرٌ﴾** قال: ريح فيها برد.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم، من إحباطه ثواب أعمالهم، وإبطاله أجورها ظلماً منه لهم، يعني: وضعاً منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله، بل وضع فعله ذلك في موضعه، وفعل بهم ما هم أهله، لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله، وهم له بالوحدانية دائنون ولأمره متبعون، ولرسله مصدّقون. بل كان ذلك منهم وهم به مشركون، ولأمره مخالفون، ولرسله مكذّبون، بعد تقدُّم منه إليهم أنه لا يقبل عملاً من عامل إلا مع إخلاص التوحيد له، والإقرار بنبوّة أنبيائه، وتصديق ما جاءوهم به، وتوكيده الحجج بذلك عليهم. فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك بعد الإعذار إليه من إحباط وافر عمله له ظالماً، بل الكافر هو الظالم نفسه لإكسابها من معصية الله وخلاف أمره ما أوردها به نار جهنم وأصلاها به سعير سقر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم، **﴿لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾** يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم، يقول: من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين. وإنما جعل البطانة مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره، وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه، محلّ ما ولي جسده من ثيابه، فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء ثم عرّفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغشّ والخيانة، وبغيهم إياهم الغوائل، فحذّرهم بذلك منهم عن مخالّتهم، فقال تعالى ذكره: **﴿لا يَألُونَكُم خبالاً﴾** يعني لا يستطيعُونَكُمْ شرًّا، من أَلَوْتُ آلُو أُلُوًّا، يقال: ما ألا فلان كذا، أي ما استطاع، كما قال الشاعر:

جَـهْـراءُ لا تـأْلُـو إذا هِـيَ أَظْـهَـرَتْ بَـصَـراً وَلا مِـنْ عَـيْـلَـةٍ تُـغْـنِـيـنـي[(١)]

يعني لا تستطيع عند الظهر إبصاراً.

وإنما يعني جلّ ذكره بقوله: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خبالاً﴾ البطانة التي نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم، فقال: إن هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالاً: أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال. وأصل الخبال والخبال: الفساد، ثم يستعمل في معان كثيرة، يدلّ على ذلك الخبر عن النبيّ ﷺ: «مَنْ أُصِيبَ بَخَبلٍ ـ أو جِرَاحٍ».

وأما قوله: ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ فإنه يعني: ودّوا عنتكم، يقول: يتمنون لكم العنت والشرّ في دينكم وما يسوءكم ولا يسرّكم. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم، ويصافونهم المودة بالأسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام، فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شيء من أمورهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: قال محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم، فنهاهم عن مباطنتهم تخوّف الفتنة عليهم منهم: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بالكِتابِ كُلِّه﴾.

---

(١) في «اللسان» (ألا): وأنشد ابن جني في ألوت بمعنى استطعت، لأبي العيال الهذلي. . . . البيت. أي لا تطيق. يقال: هو يألو هذا الأمر: أي يطيقه ويقوى عليه. وفي «اللسان» (جهر): وقال أبو العيال الهذلي يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهذلي. . . . البيت. قال: هذا نص ابن سيده، وأورده الأزهري عن الأصمعي، وما عزاه لأحد، وقال: قال يصف فرساً، يعني الجهراء. وقال أبو منصور: أرى هذا البيت لبعض الهذليين يصف نعجة. وقال اللحياني: كل ضعيف البصر في الشمس أجهر. وقيل الأجهر بالنهار، والأعشى بالليل. والعيلة: الفقر والحاجة. وقال ابن قتيبة في «المعاني الكبير» (ص ـ ١٩٠) الجهراء: التي لا تبصر في الشمس، يقال: كبش أجهر ونعجة جهراء. وأظهرت: إذا نظرت في وقت الظهيرة حتى ارتفاع الشمس.

وفي ديوان الهذليين القسم الثاني (ص ـ ٢٦٣) الجهراء: التي لا تبصر في الهاجرة من الدواب والإبل: أي منحتني شاة لا تبصر، والأجهر: مثلها. لا تألو: لا تستطيع بصراً. قال: وسمعت رجلاً بمكة يقول: لا آلو كذا وكذا، أي لا أستطيعه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خبَالاً**﴾ في المنافقين من أهل المدينة، نهى الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يتولوهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتمْ**﴾ نهى الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يؤاخوهم، أي يتولوهم من دون المؤمنين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ**﴾ هم المنافقون.

حدثت عن عمار. قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُم لا يأْلونَكُمْ خَبالاً**﴾ يقول: لا تستدخلوا المنافقين، تتولوهم دون المؤمنين.

حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم، قالا: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عن الأزهر بن راشد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسْتَضِيئُوا بِنارِ أهْلِ الشِّرْكِ، وَلا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبِيًّا» قال: فلم ندر ما ذلك حتى أتوا الحسن فسألوه، فقال: نعم، أما قوله: «لا تَنْقُشُوا في خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبِيًّا»، فإنه يقول: لا تنقشوا في خواتيمكم «محمد»؛ وأما قوله: «ولا تستضيئوا بَنارِ أهْلِ الشِّرْكِ»، فإنه يعني به المشركين، يقول: لا تستشيروهم في شيء من أموركم. قال: قال الحسن: وتصديق ذلك في كتاب الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ**﴾.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ**﴾ أما البطانة: فهم المنافقون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ**﴾... الآية، قال: لا يستدخل المؤمن المنافق دون أخيه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ**

آمَنوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾... الآية، قال: هؤلاء المنافقون، وقرأ قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ﴾... الآية.

واختلفوا في تأويل قوله ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ فقال بعضهم معناه: ودّوا ما ضللتم عن دينكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ يقول: ما ضللتم.

وقال آخرون بما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ يقول في دينكم، يعني: أنهم يودّون أن تعنتوا في دينكم.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ فجاء بالخبر عن البطانة بلفظ الماضي في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر، والحالات التي لا تكون إلا بصور الأسماء والأفعال المستقبلة دون الماضية منها؟ قيل: ليس الأمر في ذلك على ما ظننت من أن قوله: ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ حال من البطانة، وإنما هو خبر عنهم ثان، منقطع عن الأوّل غير متصل به. وإنما تأويل الكلام: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا صفتهم كذا. فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الأولى، وإن كانتا جميعاً من صفة شخص واحد.

وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله: ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ من صلة البطانة، وقد وصلت بقوله: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً﴾ فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلته، ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله: ﴿وَدُّوا ما عَنِتُّمْ﴾ خبر مبتدأ عن البطانة غير الخبر الأوّل، وغير حال من البطانة ولا قطع منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم بأفواههم، يعني بألسنتهم. والذي بدا لهم منهم بألسنتهم إقامتهم على كفرهم، وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة، فذلك من أوكد الأسباب من معاداتهم أهل الإيمان، لأن ذلك عداوة على الدين، والعداوة على الدين، العداوة التي لا زوال لها إلا بانتقال

أحد المتعاديين إلى ملة الآخر منهما، وذلك انتقال من هدى إلا ضلالة كانت عند المنتقل إليها ضلالة قبل ذلك، فكان في إبدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه أبين الدلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه من البغضاء والعداوة.

وقد قال بعضهم: معنى قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قد بدت بغضاؤهم لأهل الإيمان إلى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر بإطلاع بعضهم بعضاً على ذلك.

وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين عنوا بهذه الآية: أهل النفاق، دون من كان مصرّحاً بالكفر من اليهود وأهل الشرك.

ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ يقول: قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين إلى إخوانهم من الكفار، من غِشّهم للإسلام وأهله وبغضهم إياهم.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ يقول: من أفواه المنافقين.

وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له، وذلك أن الله تعالى ذكره إنما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغشّ للإسلام وأهله، والبغضاء إما بأدلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة والشنآن والمناصبة لهم. فأما من لم يثبتوه[1] معرفة أنه الذي نهاهم الله عزّ وجلّ عن مخالته ومباطنته، فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته إلا بعد تعريفهم إياهم، إما بأعيانهم وأسمائهم، وإما بصفات قد عرفوهم بها. وإذ كان ذلك كذلك، وكان إبداء المنافقين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار، غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم لهم والتودّد إليهم، كان بيناً أن الذي نهى الله المؤمنون عن اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم على ما وصفهم الله عزّ وجلّ به، فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله ﷺ وأصحابه من أهل الكتاب، لأنهم لو كانوا المنافقين لكان الأمر فيهم على ما قد بينا، ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب، لم

(١) في الأصول: يتئسوه. ولعله تحريف عما أثبتناه وفي «اللسان» أثبته: عرفه حق المعرفة.

يكن المؤمنون متخذيهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم، ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله ﷺ، ممن كان له من رسول الله ﷺ عهد وعقد من يهود بني إسرائيل. والبغضاء: مصدر، وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بن مسعود: «قد بدا البغضاء من أفواههم»، على وجه التذكير، وإنما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث، لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم، فيجوز تذكير ما خرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وأخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ﴾ وكما قال: ﴿فقدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وفي موضع آخر: ﴿وأخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيحَةُ﴾ ﴿وَجاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. وقال: ﴿مِنْ أفْوَاهِهِمْ﴾ وإنما بدا ما بدا من البغضاء بألسنتهم، لأن المعنيّ به الكلام الذي ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم، فقال: قد بدت البغضاء من أفواههم بألسنتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكْبَرُ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: والذي تخفي صدورهم، يعني صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة فتخفيه عنكم أيها المؤمنون أكبر، يقول: أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكْبَرُ﴾ يقول: وما تخفي صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أكْبَرُ﴾ يقول: ما تكنّ صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآياتِ إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قد بينا لكم أيها المؤمنون الآيات، يعني بالآيات: العبر، قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذين نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم، ﴿إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يعني: إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه، وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم، يقول: تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، فتودّونهم وتواصلونهم، وهم لا يحبونكم، بل ينتظرون[١] لكم العداوة والغش، وتؤمنون بالكتاب كله. ومعنى الكتاب في هذا الموضع، معنى الجمع، كما يقال: أكثر الدرهم في أيدي الناس، بمعنى الدراهم، فكذلك قوله: **﴿وَتُؤمِنُونَ بالكِتابِ كُلِّهِ﴾**، إنما معناه: بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله إليكم، وكتابهم الذي أنزله إليهم، وغير ذلك من الكتب التي أنزلها الله على عباده.

يقول تعالى ذكره: فأنتم إذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها، وتعلمون أن الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم، كفار بذلك كله، بجحودهم ذلك كله من عهود الله إليهم، وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه، أولى بعداوتكم إياهم، وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم[٢] وبغضائكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: **﴿وَتُؤمِنُونَ بالكِتابِ كُلِّهِ﴾**: أي بكتابكم وكتابهم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم أحقّ بالبغضاء لهم منهم لكم.

وقال: **﴿ها أَنْتُمْ أُولاءِ﴾** ولم يقل: «هؤلاء أنتم»، ففرّق بين «ها» و «أولاء» بكناية اسم المخاطبين، لأن العرب كذلك تفعل في هذا إذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج إلى تمام الخبر، وذلك مثل أن يقال لبعضهم: أين أنت؟ فيجيب المقول ذلك له: ها أنا ذا، فيفرّق بين التنبيه و «ذا» بمكْنّي اسم نفسه، ولا يكادون يقولون: هذا أنا، ثم يثنى ويجمع على ذلك، وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا، فقالوا: ها أنا هذا ولا يفعلون ذلك إلا فيما كان تقريباً، فأما إذا كان على غير التقريب والنقصان، قالوا: هذا هو، وهذا أنت، وكذلك يفعلون مع الأسماء الظاهرة، يقولون: هذا عمرو قائماً، إن كان هذا تقريباً. وإنما فعلوا ذلك في المكني مع التقريب تفرقة بين هذا إذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج إلى تمام، وبينه وبين ما إذا كان بمعنى الاسم الصحيح. وقوله: **﴿تُحِبُّونَهمْ﴾** خبر للتقريب.

وفي هذه الآية إبانة من الله عزّ وجلّ عن حال الفريقين، أعني المؤمنين والكافرين، ورحمة

---

(١) لعله بل يبطنون، أو يضمرون.

(٢) أي بالعداوة والبغضاء الواقعة منهم عليكم.

أهل الإيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ها أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بالكِتابِ كُلِّهِ**﴾ فوالله إن المؤمن ليحبّ المنافق ويأوي له ويرحمه[1]، ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه، ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لأباد خضراءه.

وكان مجاهد يقول: نزلت هذه الآية في المنافقين.

حدثني بذلك محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

القول في تأويل قوله تعالى:
﴿وَإذَا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَإذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: إن هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم، ووصفهم بصفتهم إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ، أعطوهم بألسنتهم تقية، حذراً على أنفسهم منهم، فقالوا لهم: قد آمنا وصدّقنا بما جاء به محمد ﷺ، وإذا هم خلوا فصاروا في خلاء حيث لا يراهم المؤمنون، عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين، واجتماع كلمتهم، وصلاح ذات بينهم، ﴿**أنامِلَهُمْ**﴾ وهي أطراف أصابعهم، تغيظاً مما بهم من الموجدة عليهم، وأَسًى على ظهر يسندون إليه لمكاشفتهم العداوة ومناجزتهم المحاربة. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإذَا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وَإذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ**﴾: إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ليس بهم إلا مخافة على دمائهم وأموالهم، فصانعوهم بذلك. ﴿**وَإذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ**﴾ يقول:

---

(١) قوله «ويأوي له» أي يرق له، من قولهم أوى له أوية: إذا رق له ورحمه.

مما يجدون في قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه لو يجدون ريحاً لكانوا على المؤمنين، فهم كما نعت الله عزّ وجلّ.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله، إلا أنه قال: من الغيظ لكراهتهم الذي هم عليه، ولم يقل: لو يجدون ريحاً وما بعده.

حدثنا عباس بن محمد، قال: ثنا مسلم، قال: ثني يحيى بن عمرو بن مالك البكري، قال: ثنا أبي، قال: كان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية: ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنامِلَ مِنَ الغَيْظِ**﴾ قال: هم الإباضية.

والأنامل: جمع أَنْمَلَة، ويقال أُنْمُلَة، وربما جمعت أَنْمُلاً، قال الشاعر:

أَوَدُّكُمَا مَا بَلَّ حَلْقِيَ رِيقَتِي وَمَا حَمَلَتْ كَفَّايَ أَنْمُلِيَ العَشْرَا[1]

وهي أطراف الأصابع؛ كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، الأنامل: أطراف الأصابع.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، بمثله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ**﴾: الأصابع.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قوله: ﴿**عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ**﴾ قال: عضوا على أصابعهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم، وأخبرتك

---

(١) البيت غير منسوب. والأنملة من الأصابع: العقدة. وبعضهم يقول الأنامل: رؤوس الأصابع. وعليه قول الأزهري: الأنملة: المفصل الذي فيه الظفر. وهي بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمها. وابن قتيبة يجعل الضم من لحن العوام. وبعض المتأخرين من النحاة حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم، فتصير تسع لغات (عن المصباح المنير).

ولم يذكر في جمع الأنملة سوى الأنامل. وقال في «**اللسان**» (نمل): والجمع: أنامل وأنملات، وهي رؤوس الأصابع، وهو أحد ما كسر وسلم بالتاء. والظاهر أن البيت من شواهد النحويين الكوفيين، وأنهم هم الذين صرحوا بجمع الأنملة على أنمل والله أعلم.

أنهم إذا لقوا أصحابك، قالوا آمنا، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ: موتوا بغيظكم الذي بكم على المؤمنين، لاجتماع كلمتهم، وائتلاف جماعتهم.

وخرج هذا الكلام مخرج الأمر، وهو دعاء من الله نبيه محمداً ﷺ بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كمداً مما بهم من الغيظ على المؤمنين، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم، والضلالة بعد هداهم، فقال لنبيه ﷺ: قل يا محمد، اهلكوا بغيظكم، إن الله عليم بذات الصدور، يعني بذلك: إن الله ذو علم بالذي في صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين، قالوا: آمنا، وما ينطوون لهم عليه من الغلّ والغمّ، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء، وبما في صدور جميع خلقه، حافظ على جميعهم ما هو عليه منطو من خير وشرّ، حتى يجازي جميعهم على ما قدّم من خير وشرّ، واعتقد من إيمان وكفر، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غِلّ وغِمْر(١)

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)﴾

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ إنْ تَنالُوا أيها المؤمنون سروراً بظهوركم على عدوّكم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وتصديق نبيكم، ومعاونتكم على أعدائكم، يسؤهم. وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم، أو بإصابة عدوّ لكم منكم، أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها﴾، فإذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهوراً على عدوّهم، غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرّهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به، فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدوثته وأوطأ محلته، وأبطل حجته، وأظهر عورته، فذاك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي إلى يوم القيامة.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ

---

(١) الغمر، بكسر الغين، وسكون الميم: الحقد. «**اللسان**» غمر (٦/ ٣٣٥).

حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها﴾ قال: هم المنافقون إذا رأوا من أهل الإسلام جماعة وظهوراً على عدوّهم، غاظهم ذلك غيظاً شديداً وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين، سرّهم ذلك وأعجبوا به؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ قال: إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفة ساءهم ذلك، وإذا رأوا منهم فرقة واختلافاً فرحوا.

وأما قوله: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ فإنه يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله، واتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه، من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين، وغير ذلك من سائر ما نهاكم، وتتقوا ربكم، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم، وأوجب عليكم من حقه وحقّ رسوله، لا يضرّكم كيدهم شيئاً: أي كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم. ويعني بكيدهم: غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدّوهم عن الهدى وسبيل الحقّ.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿لا يَضُرُّكُمْ﴾ فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين: «لا يَضِرْكُمْ» مخففة بكسر الضاد من قول القائل: ضارني فلان فهو يضيرني ضَيْراً، وقد حكي سماعاً من العرب: ما ينفعني ولا يضورني. فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقيل: لا يضركم كيدهم شيئاً، ولكني لا أعلم أحداً قرأ به، وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قراء أهل الكوفة: ﴿لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ بضم الضاد وتشديد الراء من قول القائل: ضرّني فلان فهو يضرّني ضرًّا.

وأما الرفع في قوله: ﴿لا يَضُرُّكُمْ﴾ فمن وجهين: أحدهما على إتباع الراء في حركتها، إذ كان الأصل فيها الجزم، ولم يمكن جزمها لتشديدها أقرب حركات الحروف التي قبلها، وذلك حركة الضاد، وهي الضمة، فألحقت بها حركة الراء لقربها منها، كما قالوا: مُدُّ يا هذا. والوجه الآخر من وجهي الرفع في ذلك: أن تكون مرفوعة على صحة، وتكون «لا» بمعنى «ليس»، وتكون الفاء التي هي جواب الجزاء متروكة لعلم السامع بموضعها. وإذا كان ذلك معناه، كان تأويل الكلام: وإن تصبروا وتتقوا فليس يضرّكم كيدهم شيئاً، ثم تركت الفاء من قوله: ﴿لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ ووجهت «لا» إلى معنى «ليس»، كما قال الشاعر:

فَإِنْ كَانَ لا يُرْضِيكَ حتى تَرُدَّنِي ... إلى قَطَرِيٍّ لا إخَالُكَ رَاضِيَا[١]

ولو كانت الراء محركة إلى النصب والخفض كان جائزاً، كما قيل: مُدَّ يا هذا، ومُدِّ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ يقول جل ثناؤه: إن الله بما يعمل هؤلاء الكفار في عباده وبلاده من الفساد والصدّ عن سبيله والعداوة لأهل دينه وغير ذلك من معاصي الله، محيط بجميعه، حافظ له لا يعزب عنه شيء منه، حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ويذيقهم عقوبته عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوتَ مِن أَهْلِكَ تُبَوّىءُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم أيها المؤمنون كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيئاً، ولكن الله ينصركم عليهم إن صبرتم على طاعتي، واتباع أمر رسولي، كما نصرتكم ببدر وأنتم أذلة. وإن أنتم خالفتم أيها المؤمنون أمري، ولم تصبروا على ما كلفتكم من فرائضي، ولم تتقوا ما نهيتكم عنه، وخالفتم أمري، وأمر رسولي، فإنه نازل بكم ما نزل بكم بأحد، واذكروا ذلك اليوم إذ غدا نبيكم يبوّىء المؤمنين؛ فترك ذكر الخبر عن أمر القوم إن لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه، إذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم، إن صبروا على أمره، واتقوا محارمه، وتعقيبه ذلك بتذكيرهم ما حلّ بهم من البلاء بأحد، إذ خالف بعضهم أمر رسول الله ﷺ، وتنازعوا الرأي بينهم. وأخرج الخطاب في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ على وجه الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد بمعناه الذين نهاهم أن يتخذ الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين، فقد بيّن إذاً أن قوله: «وإذ» إنما جرّها في معنى الكلام على ما قد بينت وأوضحت.

وقد اختلف أهل التأويل في اليوم الذي عنى الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ﴾ فقال بعضهم: عَنَى بذلك يَوْمَ أحد.

---

(١) البيت لسوار بن المضرب، وكان قد هرب من الحجاج خوفاً على نفسه. وهو من شواهد النحويين في باب الفاعل (انظر المقاصد النحوية في «شرح شواهد الألفية») للعيني على هامش «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) و «فوائد القلائد»، «شرح مختصر الشواهد» (ص ـ ١٥٥) وكلاهما للعيني واستشهد به المؤلف على ترك الفاء من جواب الشرط المقرون بلا «لا إخالك» كما في (في الآية).

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ قال: مشى النبيّ ﷺ يومئذٍ على رجليه يبوّىء المؤمنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ ذلك يوم أحد، غدا نبيّ الله ﷺ من أهله إلى أحد يبوىء المؤمنين مقاعد للقتال.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ فغدا النبيّ ﷺ من أهله إلى أحد يبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ فهو يوم أحد.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ قال: هنا يوم أحد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: مما نزل في يوم أحد: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمؤمِنِينَ**﴾.

وقال آخرون: عَنَى بذلك يوم الأحزاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**وإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ قال: يعني محمداً ﷺ غداً يبوّىء المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب.

وأولى هذين القولين بالصواب، قول من قال: عنى بذلك: يوم أحد؛ لأن الله عزّ وجلّ يقول في الآية التي بعدها: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾ ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عنى بالطائفتين بنو سلمة[1] وبنو حارثة. ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي

(١) سلمة، بفتح السين، وكسر اللام. وبنو سلمة: بطن من الأنصار، وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سارة بن يزيد بن جشم (عن تاج العروس) وذكر منهم جملة من الصحابة، منهم جابر بن عبد الله.

رسول الله ﷺ، أن الذي ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أحد دون يوم الأحزاب.

فإن قال لنا قائل: وكيف يكون ذلك يوم أحد ورسول الله ﷺ إنما راح إلى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة في أهله بالمدينة بالناس، كالذي:

حدثكم ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا: أن رسول الله ﷺ راح حين صلى الجمعة إلى أحد، دخل فلبس لأمَتَهُ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار، فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم خرج عليهم وقال: «ما يَنْبَغِي لنبيٍّ إذا لَبِسَ لأمَتَهُ أنْ يَضَعَها حتى يُقاتِلَ»؟.

قيل: إن النبيّ ﷺ وإن كان خروجه للقوم كان رَواحاً فلم يكن تبوئته للمؤمنين مقاعدهم للقتال عند خروجه، بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوه؛ وذلك أن المشركين نزلوا منزلهم من أحد فيما بلغنا يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة، حتى راح رسول الله ﷺ إليهم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة، فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوّال.

حدثنا بذلك ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن مسلم الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم.

فإن قال: وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعد للقتال غدوّاً قبل خروجه، وقد علمت أن التبوئة اتخاذ الموضع؟ قيل: كانت تبوئته إياهم ذلك قبل مناهضته عدوّه عند مشورته على أصحابه بالرأي الذي رآه لهم بيوم أو يومين. وذلك أن رسول الله ﷺ لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أُحُداً، قال فيما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ لأصحابه: «أشِيرُوا عَليَّ ما أصْنَع؟»فقالوا: يا رسول الله اخرج إلى هذه الأكلب. فقالت الأنصار: يا رسول الله ما غلبنا عدوّ لنا أتانا في ديارنا، فكيف وأنت فينا؟ فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أبيّ بن سلول، ولم يدعه قط قبلها، فاستشاره فقال: يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب.

وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة، فيقاتَلوا في الأزقة، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاريّ، فقال: يا رسول الله، لا تحرمني الجنة، فوالذي بعثك بالحقّ لأدخلنّ الجنة! فقال له: «بِمَ؟» قال: بأني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وأني لا أفرّ من الزحف. قال: «صَدَقْتَ؟» فقتل يومئذٍ. ثم إن رسول الله ﷺ دعا بدرعه فلبسها، فلما رأوه وقد لبس السلاح، ندموا، وقالوا: بئسما صنعنا، نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه! فقاموا واعتذروا إليه، وقالوا: اصنع ما رأيت. فقال رسول الله ﷺ: «لا يَنْبَغِي لِنَبِيّ أنْ يَلْبَسَ لأْمَتَهُ فَيَضَعَها حتى يُقاتِلَ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، وغيرهم من علمائنا قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد، قال رسول الله ﷺ: «إنّي قَدْ رأيْتُ بَقَراً فأوَّلْتُها خَيْراً، ورأيْتُ فِي ذُبابِ سَيْفِي ثَلْماً، ورأيْتُ أنّي أدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فأوَّلْتُها المَدِينَةَ فإنْ رأيْتُمْ أنْ تُقيمُوا بالمَدِينَةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فإنْ أقامُوا أقامُوا بِشَرّ مُقام، وَإنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنا قاتَلْناهُمْ فِيها». وكان رأي عبد الله بن أبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ، يرى رأي رسول الله ﷺ في ذلك أن لا يخرج إليهم. وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضروه: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنّا عنهم وضعفنا! فقال عبد الله بن أبيّ بن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها علينا قط إلا أصبنا منه! فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذي كان من أمرهم حبّ لقاء القوم حتى دخل رسول الله ﷺ، فلبس لأمته.

فكانت تبوئة رسول الله ﷺ المؤمنين مقاعد للقتال، ما ذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأي الذي ذكرنا على ما وصفه الذين حكينا قولهم؛ يقال منه: بوّأت القوم منزلاً وبوّأته لهم فأنا أبوّئهم المنزل تبوئة، وأبوىء لهم منزلاً تبوئة. وقد ذكر أن في قراءة عبد الله بن مسعود: «وَإذْ غَدَوْتَ مِنْ أهْلِكَ تُبَوّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ» وذلك جائز، كما يقال: رَدِفَكَ وَرَدِفَ لك، ونقدت لها صداقها ونقدتها، كما قال الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العِبادِ إليهِ الوَجْهِ وَالعَمَلُ[(١)]

والكلام: أستغفر الله لذنب. وقد حكي عن العرب سماعاً: أبأت القوم منزلاً فأنا أبيئهم إباءة، ويقال منه: أبأت الإبل: إذا رددتها إلى المباءة، والمباءة: المراح الذي تبيت فيه، والمقاعد: جمع مقعد وهو المجلس. فتأويل الكلام: واذكر إذ غدوت يا محمد من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكراً وموضعاً لقتال عدوّهم. وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره: والله سميع لما يقول المؤمنون لك، فيما شاورتهم فيه من موضع لقائك ولقائهم عدوّك وعدوّهم من قول من قال: اخرج بنا إليهم حتى نلقاهم خارج المدينة، وقول من قال لك: لا تخرج إليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا، على ما قد بينا قبل، ومما تشير به عليهم أنت يا محمد. عليم بأصلح تلك الآراء لك ولهم، وبما تخفيه صدور المشيرين عليك بالخروج إلى عدوّك، وصدور المشيرين عليك بالمقام في المدينة، وغير ذلك من أمرك وأمورهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق في قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي سميع لما يقولون، عليم بما يخفون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: والله سميع عليم حين همّت طائفتان منكم أن تفشلا. والطائفتان اللتان همتا بالفشل ذكر لنا أنهم بنو سَلِمة وبنو حارثة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلا﴾ قال: بَنو حارثة كانوا نحو أحد، وبنو سلمة نحو سلع، وذلك يوم الخندق.

---

(١) البيت من شواهد سيبويه التي لا يعرف قائلها. كذا في «خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٤٨٦). والشاهد فيه سقوط حرف الجر من المفعول الثاني للفعل أستغفر. قال: والأصل أستغفر الله من ذنب. وأراد بالذنب: جميع ذنوبه التي لا يحصيها، أي لا يعرف عددها، والوجه: القصد والتوجه.
وفي حاشية يس على التصريح في باب التمييز: قال الشهاب القاسمي: لقائل أن يقول: قد عدوا السين من المعديات، فما المانع هنا أن قد عدت الفعل إلى مفعول آخر، وهو «ذنباً»؟ ا هـ قلت: والمراد السين الدال على الطلب.

قال أبو جعفر: وقد دللنا على أن ذلك كان يوم أحد فيما مضى بما فيه الكفاية عن إعادته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾... الآية، وذلك يوم أحد، والطائفتان: بنو سلمة، وبنو حارثة، حيان من الأنصار، همّوا بأمر، فعصمهم الله من ذلك. قال قتادة: وقد ذكر لنا أنه لما أنزلت هذه الآية قالوا: ما يسرّنا أنا لم نهم بالذي هممنا به، وقد أخبرنا الله أنه ولينا.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ**﴾... الآية، وذلك يوم أحد، فالطائفتان: بنو سلمة، وبنو حارثة، حيان من الأنصار، فذكر مثل قول قتادة.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا؛ فلما رجع عبد الله بن أبيّ بن سلول في ثلثمائة، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم، فلما غلبوه وقالوا له: ما نعمل قتالاً، ولئن أطعتنا لترجعنّ معنا، وقال: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾ وهم بنو سلمة، وبنو حارثة، هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبيّ، فعصمهم الله، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عكرة: نزلت في بني سلمة من الخزرج، وبنى حارثة من الأوس، ورأسهم عبد الله بن أبيّ بن سلول.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾ فهو بنو حارثة وبنو سلمة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾ والطائفتان: بنو سلمة من جشم بن الخزرج، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس، وهما الجناحان.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾... الآية، قال: هما طائفتان من الأنصار همّا أن يفشلا، فعصمهم الله، وهزم عدوّهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو

بن دينار، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ﴿إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ منكم أَنْ تَفشلا﴾ قال: هم بنو سلمة، وبنو حارثة وما نحبّ أن لو لم تكن همتا[1] لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُما﴾.

حدثني أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول، فذكر نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿إِذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنكُمْ أَنْ تَفشلا﴾ قال: هذا يوم أحد.

وأما قوله ﴿أَنْ تَفْشَلا﴾ فإنه يعني: همّا أن يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوّهما، يقال منه: فشل فلان عن لقاء عدوّه يفشل فشلاً. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: الفشل: الجبن.

وكان همهما الذي همّا به من الفشل: الانصراف عن رسول الله ﷺ والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبيّ بن سلول ابن معه، جبناً منهم، من غير شكّ منهم في الإسلام ولا نفاق؛ فعصمهم الله مما هموا به من ذلك، ومضوا مع رسول الله ﷺ لوجهه الذي مضى له، وتركوا عبد الله بن أبيّ بن سلول والمنافقين معه، فأثنى الله عزّ وجلّ عليهما بثبوتهما على الحقّ، وأخبر أنه وليهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُما﴾: أي الدافع عنهما ما هما به من فشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما من غير شكّ أصابهما في دينهما، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما، ولحقتا بنبيهما ﷺ؛ يقول: ﴿وَعَلى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ أي من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل عليّ، وليستعن بي، أعنه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأقوّيه على نيته.

وذكر أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ: «وَاللَّهُ وَلِيُّهُمْ». وإنما جاز أن يقرأ ذلك كذلك، لأن الطائفتين وإن كانتا في لفظ اثنين، فإنهما في معنى جماع بمنزلة الخصمين والحزبين.

---

(١) قوله «أن لو لم تكن الخ» الظاهر أن لم تكونا همتا أو: وما نحب أن لو لم نكن هممنا ثم تقدم آنفاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإن تصبروا وتتقوا، لا يضرّكم كيدهم شيئاً، وينصركم ربكم، ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّه بِبَدْرٍ**﴾ على أعدائكم ﴿**وأَنْتُمْ**﴾ يومئذٍ ﴿**أذِلَّةٌ**﴾ يعني قليلون، في غير منعة من الناس، حتى أظهركم الله على عدوّكم مع كثرة عددهم، وقلة عددكم، وأنتم اليوم أكثر عدداً منكم حينئذٍ، فإن تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم ﴿**فاتَّقُوا الله**﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه ﴿**لَعلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ يقول: لتشكروه على ما منَّ به عليكم من النصر على أعدائكم، وإظهار دينكم، ولما هداكم له من الحقّ الذي ضلّ عنه مخالفوكم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**ولَقَدْ نَصَركُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وأنْتُمْ أذِلَّةٌ**﴾ يقول: وأنتم أقلّ عدداً، وأضعف قوّة. ﴿**فاتَّقُوا اللّه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ أي فاتقون، فإنه شكر نعمتي.

واختلف في المعنى الذي من أجله سمي بدر بدراً، فقال بعضهم: سمي بذلك لأنه كان ماء لرجل يسمى بدراً، فسمي باسم صاحبه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن زكريا، عن الشعبي، قال: كانت بدر لرجل يقال له بدر، فسميت به.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا زكريا، عن الشعبي أنه قال: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ**﴾ قال: كانت بدر بئراً لرجل يقال له بدر، فسميت به.

وأنكر ذلك آخرون وقالوا: ذلك اسم سميت به البقعة كما سمي سائر البلدان بأسمائها

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحرث بن محمد، قال: ثنا ابن سعد، قال: ثنا محمد بن عمر الواقدي، قال: ثنا منصور، عن أبي الأسود، عن زكريا، عن الشعبي، قال: إنما سمي بدراً لأنه كان ماء لرجل من جهينة يقال له بدر. وقال الحرث: قال ابن سعد: قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح، فأنكراه، وقالا: فلأيّ شيء سميت الصفراء؟ ولأيّ شيء سميت

الحمراء؟ ولأيّ شيء سمي رابغ[1]؟ هذا ليس بشيء، إنما هو اسم الموضع. قال: وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري، فقال: سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون: هو ماؤنا ومنزلنا، وما ملكه أحد قط يقال له بدر، وما هو من بلاد جهينة إنما هي بلاد غفار. قال الواقدي: فهذا المعروف عندنا.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: بدر ماء عن يمين طريق مكة بين مكة والمدينة.

وأما قوله: ﴿**أَذِلَّةٌ**﴾ فإنه جمع ذليل، كما الأعزّة جمع عزيز، والألبّة جمع لبيب. وإنما سماهم الله عزّ وجلّ أذلة لقلة عددهم، لأنهم كانوا ثلثمائة نفس وبضعة عشر، وعدوّهم ما بين التسعمائة إلى الألف، على ما قد بينا فيما مضى، فجعلهم لقلة عددهم أذلة.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ وبدر: ماء بين مكة والمدينة، التقى عليه نبيّ الله ﷺ والمشركون، وكان أوّل قتال قاتله نبيّ الله ﷺ. وذكر لنا أنه قال لأصحابه يومئذٍ: «أَنْتُمُ اليَوْمَ بعدَّةِ أصحَابِ طالُوتَ يَوْمَ لَقِيَ جالُوتَ»: فكانُوا ثَلَثمِائةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، وَالمُشْرِكُونَ يَوْمَئِذٍ أَلْفٌ أَوْ رَاهَقُوا ذَلِكَ.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ قال: يقول: وأنتم أذلة قليل، وهم يومئذٍ بضعة عشر وثلثمائة.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، نحو قول قتادة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**﴾ أقلّ عدداً وأضعف قوّة.

وأما قوله: ﴿**فاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ**﴾ فإن تأويله كالذي قد بينت كما:

---

(١) الصفراء، الحمراء، ورابغ: أعلام أماكن في جزيرة العرب، انظر «**معجم البلدان**» لياقوت. و«**معجم ما استعجم**» للبكري.

حدثنا ابن حميد، قال ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي فاتقوني، فإنه شكر نعمي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

يعني تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَصَركُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك: ﴿أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ وذلك يوم بدر.

ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم، في أيّ يوم وعدوا ذلك؟ فقال بعضهم: إن الله عزّ وجلّ كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدّهم بملائكته إن أتاهم العدوّ من فورهم، فلم يأتوهم، ولم يمدّوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يمدّ المشركين، قال: فشقّ ذلك على المسلمين، فقيل لهم: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلى إنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيأْتوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُم رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال: فبلغت كرزاً الهزيمة[1] فرجع، ولم يمدّهم بالخمسة.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: لما كان يوم بدر، بلغ رسول الله ﷺ، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: ﴿ويأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾: يعني كرزاً وأصحابه، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال: فبلغ كرزاً وأصحابه الهزيمة، فلم يمدّهم، ولم تنزل الخمسة، وأمدّوا بعد ذلك بألف، فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله:

(١) في «الدر المنثور» فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة ويؤيده ما بعده ا هـ.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ﴾... الآية كلها، قال: هذا يوم بدر.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن الشعبي، قال: حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين ببدر، قال: فشقّ ذلك على المسلمين، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال: فبلغته هزيمة المشركين فلم يمدّ أصحابه، ولم يمدّوا بالخمسة.

وقال آخرون: كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر، فصبر المؤمنون واتقوا الله، فأمدّهم بملائكته على ما وعدهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة، قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول: لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأخبرتكم بالشِّعْب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق، وثنى عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدراً أنه قال بعد إذ ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم ببدر، ومعي بصري، لأريتكم الشِّعْبَ الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس، أن ابن عباس، قال: ثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عمّ لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرة، فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقْدِمْ حيزوم! قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وثنى الحسين بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، مولى عبد الله بن الحرث، عن عبد الله بن عباس، قال: لم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق، حدثني أبي إسحاق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني، وكان شهد بدراً، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن قد قتله غيري.

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد: ثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه. وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً. فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعونة، قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم. فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح، وعندي أمّ الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ، حتى جلس على طُنُب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، قد قدم. قال: قال أبو لهب: هلم إليّ يا ابن أخي، فعندك الخبر! قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس! قال لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ما بين السماء والأرض ما يليق لها شيء[١]، ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك الملائكة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سَلِمة، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: «كَيْفَ أَسَرْتَ العَبَّاسَ أبا اليُسْرِ؟» قال: يا رسول الله، لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا، قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أعانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ».

---

(١) أي ما يقف لها ولا يثبت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ أمدّوا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف. ﴿بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ وذلك يوم بدر، أمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، عن الربيع، بنحوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ فإنهم أتوا محمداً ﷺ مسوّمين.

حدثني محمد بن بشار، قال: ثنا سفيان، عن ابن خثيم، عن مجاهد، قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر.

وقال آخرون: إن الله عزّ وجلّ إنما وعدهم يوم بدر أن يمدّهم إن صبروا عند طاعته، وجهاد أعدائه واتقوه باجتناب محارمه، أن يمدّهم في حروبهم كلها، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب، فأمدّهم حين حاصروا قريظة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا سليمان بن زيد أبو آدم المحاربي، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم، فلم يفتح علينا، فرجعنا. فبينما رسول الله ﷺ في بيته يغسل رأسه، إذ جاءه جبريل ﷺ، فقال: يا محمد وضعتم أسلحتكم، ولم تضع الملائكة أوزارها! فدعا رسول الله ﷺ بخرقة، فلفّ بها رأسه ولم يغسله، ثم نادى فينا، فقمنا كالزمعين [1] لا نعبأ بالسير شيئاً، حتى أتينا قريظة والنضير، فيومئذٍ أمدّنا الله عزّ وجلّ بثلاثة آلاف من الملائكة، وفتح الله لنا فتحاً يسيراً، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل.

وقال آخرون بنحو هذا المعنى، غير أنهم قالوا: لم يصبر القوم، ولم يتقوا، ولم يمدّوا بشيء في أُحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ثني عمرو

(١) الزمع: الدهش، والخرق من خوف وجوع، وقد يراد السرعة في الأمر.

بن دينار، عن عكرمة، سمعه يقول: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال: يوم بدر قال: فلم يصبروا ولم يتقوا، فلم يمدّوا يوم أُحُد، ولو مدّوا لم يهزموا يومئذٍ.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت عكرمة يقول: لم يمدّوا يوم أحد ولا بملك واحد ـ أو قال: إلا بملك واحد، أبو جعفر يشكّ.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: سمعت عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ﴾ إلى: ﴿خَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ كان هذا موعداً من الله يوم أحد، عرضه على نبيه محمد ﷺ أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، ففرّ المسلمون يوم أحد، وولوا مدبرين، فلم يمدّهم الله.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾... الآية كلها قالوا لرسول الله ﷺ، وهم ينظرون المشركين: يا رسول الله أليس يمدّنا الله كما أمدّنا يوم بدر؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ، وإنما أمدّكم يوم بدر بألف؟» قال: فجاءت الزيادة من الله على أن يصبروا ويتقوا، قال: بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم... الآية كلها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر عن نبيه محمد ﷺ أنه قال للمؤمنين: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ﴾ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم، واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدّوا بالثلاثة آلاف، ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يمدّوا بهم.

وقد يجوز أن يكون الله عزّ وجلّ أمدّهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدّهم. وقد يجوز أن يكون لم يمدّهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك، ولا خبر عندنا صحّ من الوجه الذي يثبت أنهم أمدّوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف. وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به، ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله، غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدّوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي

﴿مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأما في يوم أُحد، فالدلالة على أنهم لم يمدّوا أبين منها في أنهم أمدّوا، وذلك أنهم لو أمدّوا لم يهزموا وينال منهم ما نيل منهم.

فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره. وقد بينا معنى الإمداد فيما مضى، والمدد، ومعنى الصبر والتقوى.

وأما قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيه، فقال بعضهم: معنى قوله: ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾: من وجههم هذا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن عثمان بن غياث، عن عكرمة، قال: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال: من وجههم هذا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول: من وجههم هذا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾: من وجههم هذا.

حُدثت عن عمار بن الحسن، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول: من وجههم هذا.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول: من وجههم هذا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول: من سفرهم هذا، ويقال: يعني عن غير ابن عباس، بل هو من غضبهم هذا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ من وجههم هذا وقال آخرون: معنى ذلك: من غضبهم هذا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة في قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ﴾ قال: فورهم ذلك كان يوم أُحد، غضبوا ليوم بدر مما لقوا.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا مالك بن مغول، قال: سمعت أبا صالح مولى أمّ هانىء يقول: ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول: من غضبهم هذا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال: غضب لهم، يعني الكفار، فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة، وذلك يوم أُحد.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ قال: من غضبهم هذا.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك في قوله: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يقول: من وجههم وغضبهم.

وأصل الفور: ابتداء الأمر يؤخذ فيه، ثم يوصل بآخر، يقال منه: فارت القدر فهي تفور فوراً وفوراناً: إذا ما ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل؛ ومضيت إلى فلان من فوري ذلك، يراد به: من وجهي الذي ابتدأت فيه.

فالذي قال في هذه الآية: معنى قوله: ﴿مِنْ فَوْرِهِم هَذَا﴾: من وجههم هذا، قصد إلى أن تأويله: ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر، من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين.

وأما الذين قالوا: معنى ذلك: من غضبهم هذا، فإنما عنوا أن تأويل ذلك: ويأتيكم كفار قريش وتُبّاعهم يوم أُحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بها ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ﴾. كذلك من اختلاف تأويلهم في معنى قوله ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ اختلف أهل التأويل في إمداد الله المؤمنين بأحد بملائكته، فقال بعضهم: لم يمدّوا بهم، لأن المؤمنين لم يصبروا لأعدائهم، ولم يتقوا الله عزّ وجلّ بترك من ترك من الرماة طاعة رسول الله ﷺ في ثبوته في الموضع الذي أمره رسول الله ﷺ بالثبوت فيه، ولكنهم أخلوا به

طلباً للغنائم، فقتل من المسلمين، ونال المشركون منهم ما نالوا. وإنما كان الله عزّ وجلّ وعد نبيه ﷺ إمدادهم بهم إن صبروا واتقوا الله.

وأما الذين قالوا: كان ذلك يوم بدر بسبب كرز بن جابر، فإن بعضهم قالوا: لم يأت كرز وأصحابه إخوانهم من المشركين مدداً لهم ببدر، ولم يمدّ الله المؤمنين بملائكته، لأن الله عزّ وجلّ إنما وعدهم أن يمدّهم بملائكته إن أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم، ولم يأتهم المدد.

وأما الذين قالوا: إن الله تعالى ذكره أمدّ المسلمين بالملائكة يوم بدر، فإنهم اعتلوا بقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أنّي مُمِدُّكُمْ بألْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، قال: فالألف منهم قد أتاهم مدداً، وإنما الوعد الذي كانت فيه الشروط فيما زاد على الألف، فأما الألف فقد كانوا أمدّوا به، لأن الله عزّ وجلّ كان قد وعدهم ذلك، ولن يخلف الله وعده.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة: «مُسَوَّمِينَ» بفتح الواو، بمعنى أن الله سوّمها. وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو، بمعنى أن الملائكة سوّمت لنفسها.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو، لتظاهر الأخبار عن [أصحاب] رسول الله ﷺ فأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم، بأن الملائكة هي التي سوّمت أنفسها من غير إضافة تسويمها إلى الله عزّ وجلّ أو إلى غيره من خلقه.

ولا معنى لقول من قال: إنما كان يختار الكسر في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ لو كان في البشر، فأما الملائكة فوصفهم غير ذلك ظناً منه بأن الملائكة غير ممكن فيها تسويم أنفسها إن كانوا ذلك في البشر وذلك أن غير مستحيل أن يكون الله عز وجل مكنها من تسويم أنفسها بحقّ تمكينه البشر من تسويم أنفسهم، فسوموا أنفسهم بحقّ الذي سوّم البشر طلباً منها بذلك طاعة ربها، فأضيف تسويمها أنفسها إليها، وإن كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه، وهي إذا كانت موصوفة بتسويمها أنفسها تقرّباً منها إلى ربها، كان أبلغ في مدحها لاختيارها طاعة الله من أن تكون موصوفة بأن ذلك مفعول بها.

ذكر الأخبار بما ذكرنا من إضافة من أضاف التسويم إلى الملائكة دون إضافة ذلك إلى غيرهم، على نحو ما قلنا فيه:

حدثني يعقوب، قال: أخبرنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن عون، عن عمير بن إسحاق، قال: إن أوّل ما كان الصوف ليومئذٍ، يعني يوم بدر، قال رسول الله ﷺ: «تَسَوَّمُوا فإنَّ المَلائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ[١]».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مختار بن غسان، قال: ثنا عبد الرحمن بن الغسيل، عن الزبير بن المنذر، عن جده أبي أسيد، وكان بدرياً، فكان يقول: لو أن بصري معي ثم ذهبتم معي إلى أُحد، لأخبرتكم بالشّعب الذي خرجت منه الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ يقول: معلمين، مجزوزة أذناب خيلهم ونواصيها، فيها الصوف أو العهن، وذلك التسويم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله: ﴿**بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ قال: مجزوزة أذنابها وأعرافها، فيها الصوف أو العهن، فذلك التسويم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**مُسَوِّمِينَ**﴾ ذكر لنا أن سيماها يومئذٍ الصوف بنواصي خيلهم وأذنابهم، وأنهم على خيل بلق.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**مُسَوِّمِينَ**﴾ قال: كان سيماها صوفاً في نواصيها.

حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن ليث، عن مجاهد، أنه كان يقول: ﴿**مُسَوِّمِينَ**﴾ قال: كانت خيولهم مجزوزة الأعراف، معلمة نواصيها وأذنابها بالصوف والعهن.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: كانوا يومئذٍ على خيل بلق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، وبعض أشياخنا، عن الحسن، نحو حديث معمر، عن قتادة.

---

(١) كذا في «**الدر المنثور**»، وفي «**اللسان**»: سوموا فإن الملائكة سومت. وهو الأقرب للوارد في الآية، وإن كان الذي في الأصل صحيحاً في نفسه، فلعله رواية.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلمين.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الـمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ فإنهم أتوا محمداً ﷺ، مسوّمين بالصوف، فسوّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عباد بن حمزة، قال: نزلت الملائكة في سيما الزبير، عليهم عمائم صفر، وكانت عمامة الزبير صفراء.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: بالصوف في نواصيها وأذنابها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، قال: نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق، عليهم عمائم صفر، وكان على الزبير يومئذٍ عمامة صفراء.

حدثني أحمد بن يحيى الصوفي، قال: ثنا عبد الرحمن بن شريك، قال: ثنا أبي، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة، عن عبد الله بن الزبير: أن الزبير كانت عليه ملاءة صفراء يوم بدر، فاعتمّ بها، فنزلت الملائكة يوم بدر على نبيّ الله ﷺ معممين بعمائم صفر.

فهذه الأخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: «تَسَوَّمُوا فإنَّ المَلائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ» وقول أبي أسيد: خرجت الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم، وقول من قال منهم: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلمين، ينبىء جميع ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها، على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى. وأما الذين قرؤوا ذلك «مسوَّمين» بالفتح، فإنهم أراهم تأوّلوا في ذلك ما:

حدثنا به حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن عثمان بن غياث، عن عكرمة: «بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوَّمِينَ» يقول: عليهم سيما القتال.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: «بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوَّمِينَ» يقول: عليهم سيما القتال، وذلك يوم بدر، أمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة

مسوَّمين، يقول: عليهم سيما القتال.

فقالوا: كان سيما القتال عليهم، لا أنهم كانوا تسوّموا بسيما فيضاف إليهم التسويم، فمن أجل ذلك قرؤوا: «مُسَوَّمِينَ» بمعنى أن الله تعالى أضاف التسويم إلى من سوّمهم تلك السيما. والسيما: العلامة، يقال: هي سيما حسنة، وسيمياء حسنة، كما قال الشاعر:

غُـلامٌ رَمـاهُ الـلّـهُ بـالـحُـسْـنِ يـافِـعـاً لَـهُ سِـيـمـيـاءُ لا تَـشُـقُّ عـلـى الـبَـصَـرْ(١)

يعني بذلك علامة من حسن. فإذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره، قيل: سوّم نفسه، فهو يسوّمها تسويماً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾

يعني تعالى ذكره: وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم إلا بشرى لكم، يعني بشرى يبشركم بها، ﴿ولِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ يقول: وكي تطمئنّ بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبُكم، فتسكن إليه، ولا تجزع من كثرة عدد عدوّكم، وقلة عددكم. ﴿وَما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ﴾: يعني وما ظفركم إن ظفرتم بعدوّكم إلا بعون الله، لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة، يقول: فعلى الله فتوكلوا، وبه فاستعينوا، لا بالجموع وكثرة العدد، فإن نصركم إن كان إنما يكون بالله وبعونه ومعكم من ملائكته خمسة آلاف، فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم على عدوّكم، وإن كان معكم من البشر جموع كثيرة أخرى، فاتقوا الله واصبروا على جهاده عدوّكم، فإن الله ناصركم عليهم. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وما جَعَلَهُ اللّهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ﴾ يقول: إنما جعلهم ليستبشروا بهم، وليطمئنوا

---

(١) البيت في «**اللسان**» (سوم)، ونسبه لأسد بن عنقاء الفزاري، يمدح ابن عمه عميلة حين قاسمه ماله البيت. وبعده:

كـأنَّ الـثُّـرَيّـا عُـلِّـقَـتْ فَـوْقَ نَـحْـرِهِ وفي جيده الشِّعْرَى وفي وجهه القَمَرْ

له سيمياء لا تشق على البصر: أي يفرح به من ينظر إليه، قال ابن بري وحكى علي بن حمزة (الكسائي) أن أبا رياش قال: لا يروى بيت ابن عنقاء الفزاري: «غلام رماه الله بالحسن يافعاً» إلا أعمى البصيرة، لأن الحسن مولود، وإنما هو: «رماه الله بالخير يافعاً». قال: حكاه أبو رياش عن أبي زيد. قلت: والسيما والسيميا: يكونان مقصورين وممدودين.

إليهم، ولم يقاتلوا معهم يومئذٍ، يعني يوم أُحد. قال مجاهد: ولم يقاتلوا معهم يومئذٍ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَما جَعَلَهُ اللّهُ إلاّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ**﴾ لما أعرف من ضعفكم، وما النصر إلا من عندي بسلطاني وقدرتي، وذلك أني أعرف الحكمة التي لا إلى أحد من خلقي.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**وَما النَّصْرُ إلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ**﴾ لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعل العزيز الحكيم.

وأما معنى قوله: ﴿**العَزِيزِ الحَكِيمِ**﴾ فإنه جلّ ثناؤه يعني: العزيز في انتقامه من أهل الكفر بأيدي أوليائه من أهل طاعته، الحكيم في تدبيره لكم أيها المؤمنون على أعدائكم من أهل الكفر، وغير ذلك من أموره. يقول: فأبشروا أيها المؤمنون بتدبيري لكم على أعدائكم، ونصري إياكم عليهم إن أنتم أطعتموني فيما أمرتكم به وصبرتم لجهاد عدوّي وعدوّكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولقد نصركم الله ببدر ﴿**لِيَقْطَع طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ ويعني بالطرف: الطائفة والنفر. يقول تعالى ذكره: ولقد نصركم الله ببدر كما يهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله فجحدوا وحدانية ربهم ونبوّة نبيهم محمد ﷺ. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ فقطع الله يوم بدر طرفاً من الكفار، وقتل صناديدهم ورؤساءهم، وقادتهم في الشرّ.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، نحوه.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾. . . الآية كلها، قال: هذا يوم بدر، قطع الله طائفة منهم، وبقيت طائفة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ أي ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما النصر إلا من عند الله ليقطع طرفاً من الذين كفروا، وقال: إنما عنى بذلك من قتل بأحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: ذكر الله قتلى المشركين، يعني بأُحد، وكانوا ثمانية عشر رجلاً، فقال: **﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** ثم ذكر الشهداء فقال: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾... الآية.**

وأما قوله: **﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾** فإنه يعني بذلك أو يخزيهم بالخيبة بما رجوا من الظفر بكم. وقد قيل: إن معنى قوله: **﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾**: أو يصرعهم لوجوههم، ذكر بعضهم أنه سمع العرب تقول: كَبَتَه الله لوجهه، بمعنى صرعه الله.

فتأويل الكلام: ولقد نصركم الله ببدر، ليهلك فريقاً من الكفار بالسيف، أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر، **﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾** يقول: فيرجعوا عنكم خائبين لم يصيبوا منكم شيئاً ما رجوا أن ينالوه منكم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ﴾** أو يردّهم خائبين، أو يرجع من بقي منهم خائبين، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾** يقول: يخزيهم فينقلبوا خائبين.

حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، فقوله: **﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾** منصوب عطفاً على قوله: **﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾**. وقد يحتمل أن يكون تأويله: ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم، فيكون نصب «يتوب» بمعنى «أو» التي هي في معنى «حتى». والقول الأول أولى بالصواب، لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد

ذلك. وتأويل قوله: ﴿لَيسَ لكَ مِنَ الأمرِ شَيءٌ﴾: ليس إليك يا محمد من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري، وتنتهي فيهم إلى طاعتي، وإنما أمرهم إليّ والقضاء فيهم بيدي دون غيري أقضي فيهم، وأحكم بالذي أشاء من التوبة على من كفر بي وعصاني، وخالف أمري، أو العذاب إما في عاجل الدنيا بالقتل والنقم المبيرة، وإما في آجل الآخرة بما أعددت لأهل الكفر بي. كما:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثم قال لمحمد ﷺ: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾: أي ليس لك من الحكم في شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت. أو أعذبهم بذنوبهم، ﴿فإنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي.

وذكر أن الله عزّ وجلّ إنما أنزل هذه الآية على نبيه محمد ﷺ، لأنه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين، قال كالآيس لهم من الهدى أو من الإنابة إلى الحقّ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بنبيِّهم». ذكر الرواية بذلك.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا حميد، قال: قال أنس: قال النبيّ ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته، وشجّ، فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا نَبِيَّهُمْ بالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى رَبِّهِمْ؟» فأنزلت: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن حميد، عن أنس، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن حميد الطويل، عن أنس، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ حين شجّ في جبهته، وكسرت رباعيته: «لا يُفْلِحُ قَوْمٌ صَنَعُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ» فأوحى الله إليه: ﴿لَيس لَكَ مِنَ الأمرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِم أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾.

حدثني يعقوب عن ابن علية، قال: ثنا ابن عون، عن الحسن أن النبيّ ﷺ قال يوم أُحد: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ أدْمَوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ» فنزلت: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾.

حدثنا يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن حميد، عن أنس، عن النبيّ ﷺ، نحو ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾** ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ يوم أُحد، وقد جرح نبيّ الله ﷺ في وجهه، وأصيب بعض رباعيته، فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى رَبِّهِمْ» فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح،، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن مطر، عن قتادة، قال: أصيب النبيّ ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل، فمرّ به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه، ومسح عن وجهه، فأفاق وهو يقول: «كَيْفَ بِقَوْمٍ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى اللَّهِ» فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾**.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، قوله: **﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ﴾**... الآية، قال: قال الربيع بن أنس، أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ يوم أُحد وقد شجّ رسول الله ﷺ في وجهه، وأصيبت رباعيته، فهمّ رسول الله ﷺ أن يدعو عليهم، فقال: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ أدْمَوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى اللَّهِ وَهُمْ يَدْعُونَهُ إلى الشَّيْطانِ وَيَدْعُوهُمْ إلى الهُدَى وَيَدْعُونَهُ إلى الضَّلالَةِ، ويَدْعُوهُمْ إلى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إلى النَّارِ» فهمّ أن يدعو عليهم، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾** فكفّ رسول الله ﷺ عن الدعاء عليهم.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: **﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ﴾**... الآية كلها، فقال: جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صنع بأصحابه يوم بدر، فقاتل أصحاب محمد ﷺ يوم أُحد قتالاً شديداً، حتى قتل منهم بعدد الأسارى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ كلمة علم الله أنها قد خالطت غضباً: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ» فقال الله عزّ وجلّ: **﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: أن

رباعية النبيّ ﷺ أصيبت يوم أُحد، أصابها عتبة بن أبي وقاص، وشجّه في وجهه، وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبيّ ﷺ الدم، والنبيّ ﷺ يقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ صَنَعُوا بِنَبِيِّهِمْ هَذَا» فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، وعن عثمان الجزري، عن مقسم: أن النبيّ ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته، ووثأ[1] وجهه، فقال: «اللَّهُمّ لا تُحِلْ عَلَيْهِ الحَوْلَ حتى يَمُوتَ كافِراً!» قال: فما حال عليه الحول حتى مات كافراً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: شجّ النبيّ ﷺ في فرق حاجبه، وكسرت رباعيته. قال ابن جريج: ذكر لنا أنه لما جرح، جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه، ورسول الله ﷺ يقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجهَ نَبِيِّهِمْ بالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى اللّهِ». فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ﴾.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية على النبيّ ﷺ، لأنه دعا على قوم، فأنزل الله عزّ وجل: ليس الأمر إليك فيهم. ذكر من الرواية بذلك:

حدثني يحيى بن حبيب بن عربي، قال: ثنا خالد بن الحرث، قال: ثنا محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ، كان يدعو على أربعة نفر، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾ قال: وهداهم الله للإسلام.

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة، قال: ثنا أحمد بن سفيان، عن عمر بن حمزة، عن سالم، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ أبا سُفْيانَ! اللَّهُمَّ الْعَنِ الحَارِثَ ابْنَ هِشام! اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ!» فنزلت: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، عن عبد الله بن كعب، عن أبي بكر

(١) الوثء: وصم يصيب اللحم، ولا يبلغ العظم، فيرم. أو أن يصيب العظم وصم لا يبلغ الكسر.

بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، قال: صلى رسول الله ﷺ الفجر، فلما رفع رأسه من الركعة الثانية، قال: «اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشامٍ وَالوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعفينَ مِنَ المُسْلِمينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطأتَكَ على مُضَرَ، اللَّهُمَّ[1] سِنِينَ كَسِنِينَ آلِ يُوسَفَ!» فأنزل الله: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيهِم﴾... الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، أخبره عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة يقول: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة، ويكبر ويرفع رأسه: «سَمِعَ الله لمن حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ» ثم يقول وهو قائم: «اللَّهُمَّ أَنْجِ الوليدَ بْنَ الوَليدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشامٍ وعَيَّاشَ بْن أبي رَبيعَةَ والمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطأتَكَ على مُضَرَ، وَاجْعَلْها عَلَيْهِمْ كَسِني يُوسُفَ، اللَّهُمَّ الْعَنِ لْحيانَ وَرعلاً وَذَكْوَانَ وعُصَيَّةُ[2] عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل قوله: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَيْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: ليس لك يا محمد من الأمر شيء، ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها دونك ودونهم، يحكم فيهم بما شاء، ويقضي فيهم ما أحبّ، فيتوب على من أحبّ من خلقه العاصين أمره ونهيه، ثم يغفر له ويعاقب من شاء منهم على جرمه، فينتقم منه، وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحبّ أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح، والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلاً على عظيم ما يأتون من المآثم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي يغفر الذنوب، ويرحم العباد على ما فيهم.

---

(١) كذا في الأصل. وفي سائر روايات الحديث: اللهم اجعلها عليهم سنين... الخ، وقد يضمر الفعل في مثل هذا.

(٢) عصية: بطن من بني سليم. وهم بنو عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تأكلوا الربا في إسلامكم، بعد إذ هداكم له، كما كنتم تأكلونه في جاهليتكم. وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخر عني دينك، وأزيدك على مالك! فيفعلان ذلك، فذلك هو الربا أضعافاً مضاعفة، فنهاهم الله عزّ وجلّ في إسلامهم عنه. كما:

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، قال: كانت ثقيف تَداين في بني المغيرة في الجاهلية، فإذا حلّ الأجل، قالوا: نزيدكم وتؤخرون! فنزلت: **﴿لا تَأْكُلُوا الرّبا أضعافاً مُضاعَفَةً﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تأْكُلُوا الرّبا أضعافاً مُضَاعَفَةً﴾**: أي لا تأكلوا في الإسلام إذ هداكم له، ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره مما لا يحلّ لكم في دينكم.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرّبا أضْعافاً مُضاعَفَةً﴾** قال: ربا الجاهلية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال سمعت ابن زيد يقول في قوله: **﴿لاتَأْكُلُوا الرّبا أضْعافاً مُضاعَفَةً﴾** قال: كان أبي يقول: إنما كان الربا في الجاهلية في التضعيف وفي السنّ، يكون للرجل فضل دين، فيأتيه إذا حلّ الأجل، فيقول له: تقضيني أو تزيدني؟ فإن كان عنده شيء يقضيه قضى، وإلا حوّله إلى السنّ التي فوق ذلك، إن كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون في السنة الثانية، ثم حقة، ثم جذعة ثم رباعياً، ثم هكذا إلى فوق. وفي العين يأتيه، فإن لم يكن عنده أضعفه في العام القابل، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً، فتكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين، فإن لم يكن عنده جعلها أربعمائة، يضعفها له كل سنة، أو يقضيه. قال: فهذا قوله: **﴿لا تأْكُلُوا الرّبا أضْعَافاً مُضاعَفَةً﴾**.

وأما قوله: ﴿**واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ فإنه يعني: واتقوا الله أيها المؤمنون في أمر الربا فلا تأكلوه، وفي غيره مما أمركم به، أو نهاكم عنه، وأطيعوه فيه لعلكم تفلحون، يقول: لتنجحوا فتنجوا من عقابه، وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه، والخلود في جنانه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾: أي فأطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما حذّركم من عذابه، وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واتقوا أيها المؤمنون النار أن تصلوها بأكلكم الربا بعد نهيي إياكم عنه التي أعددتها لمن كفر بي، فتدخلوا مداخلهم بعد إيمانكم بي بخلافكم أمري، وترككم طاعتي. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**واتَّقُوا النَّارَ التي أُعدَّتْ للكافِرِينَ**﴾ التي جعلت داراً لمن كفر بي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وأطيعوا الله أيها المؤمنون فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء، وفيما أمركم به الرسول. يقول: وأطيعوا الرسول أيضاً كذلك لعلكم ترحمون، يقول: لترحموا فلا تعذّبوا.

وقد قيل: إن ذلك معاتبة من الله عزّ وجلّ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خالفوا أمره يوم أُحد، فأخلوا بمراكزهم التي أمروا بالثبات عليها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق: ﴿**وأطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ معاتبة للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذي أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره، يعني في يوم أُحد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَسَارِعُوا**﴾ وبادروا وسابقوا إلى مغفرة من ربكم، يعني: إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها ﴿**وَجنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأَرْضُ**﴾ يعنى سارعوا أيضاً إلى جنة عرضها السموات والأرض، ذكر أن معنى ذلك: وجنة عرضها كعرض السموات السبع، والأرضين السبع، إذا ضمّ بعضها إلى بعض.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ قال: قال ابن عباس: تقرن السموات السبع والأرضون السبع، كما تقرن الثياب بعضها إلى بعض، فذاك عرض الجنة.

وإنما قيل: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأَرْضُ**﴾ فوصف عرضها بالسموات والأرضين، والمعنى ما وصفنا من وصف عرضها بعرض السموات والأرض، تشبيهاً به في السعة والعظم، كما قيل: ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ يعني إلا كبعث نفس واحدة، وكما قال الشاعر:

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سِلَّى ... نَعامٌ قَاقَ فَي بَلَدٍ قِفارِ[1]

أي عذير نعام، وكما قال الآخر:

حَسِبْتُ بُغامَ رَاحِلَتي عَناقاً ... وَما هِيَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالْعَناقِ[2]

---

(١) البيت في «اللسان» (سل) ولم ينسبه. قال: والعذير: الحال. وسلى اسم موضوع بالأهواز كثير التمر. قال... البيت.
والقفار: جمع القفر: الخالي من البناء والشجر والساكن. جمعه لاتساع نواحيه وتعددها، كأنها مواضع مختلفة وفي (قاق): قاق النعام: صوت، قال النابغة... البيت. أراد عذير نعام، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، ومعناه: كأن حالهم في الهزيمة حال نعام تغدو مذعورة. وهذا البيت نسبه ابن بري لشقيق بن جزء بن رباح الباهلي.

(٢) البيت في «اللسان» (بغم) قال: وبغام الناقة: صوت لا تفصح به، ومنه قول ذي الخرق.... البيت وأورده أيضاً في (عنق) قال: والعناق: الأنثى من المعز. أنشد ابن الأعرابي لقريط يصف الذئب... البيت نفسه، وبعده بيت آخر وهو:

فلو أني رميتك من قريب ... لعاقك عن دعاء الذئب عاق

يريد صوت عناق. وقد ذكر أن رسول الله ﷺ سئل فقيل له: هذه الجنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال: «هَذَا النَّهارُ إذَا جَاءَ، أيْنَ اللَّيْلُ؟».

ذكر الأخبار عن رسول الله ﷺ وغيره.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مسلم بن خالد، عن ابن خثيم، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى بن مرة، قال: لقيت التنوخيّ رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخاً كبيراً قد أفعد، قال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل، فناول الصحيفة رجلاً عن يساره، قال: قلت من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا هو: إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدّت للمتقين، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «سُبْحانَ اللَّهِ، فأيْنَ اللَّيْلُ إذَا جاءَ النَّهارُ؟».

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب: أن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والأرض، أين النار؟ قال: «أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار؟» فقالوا: اللهمّ نزعتَ[1] مثله من التوراة.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب: أن عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران، فسألوه وعنده أصحابه، فقالوا: أرأيت قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتِ وَالأرْضُ﴾ فأين النار؟ فأحجم الناس، فقال عمر: «أرأيتم إذا جاء الليل، أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار، أين يكون الليل؟» فقالوا: نزعت مثلها من التوراة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا شعبة، عن إبراهيم بن مهاجر، عن طارق بن شهاب، عن عمر، بنحوه في الثلاثة الرهط الذين أتوا عمر، فسألوه عن جنة عرضها كعرض السموات والأرض، بمثل حديث قيس بن مسلم.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر، فقال: تقولون: جنة عرضها السموات والأرض أين تكون النار؟ فقال له عمر: أرأيت النهار إذا جاء، أين يكون

(١) الذي في نهاية ابن الأثير: لقد نزعت بمثل ما في التوراة، أي جئت بما يشبهها.

الليل؟ أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ فقال: إنه لمثلها في التوراة، فقال له صاحبه: لم أخبرته؟ فقال له صاحبه: دعه إنه بكلٍّ موقنٌ.

حدثني أحمد بن حازم، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال: ثنا جعفر بن برقان، قال: ثنا يزيد بن الأصم أن رجلاً من أهل الكتاب أتى ابن عباس، فقال: تقولون جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال ابن عباس: أرأيت الليل إذا جاء، أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار، أين يكون الليل؟

وأما قوله: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ فإنه يعني: إن الجنة التي عرضها كعرض السموات والأرضين السبع أعدها الله للمتقين، الذين اتقوا الله، فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم، فلم يتعدّوا حدوده، ولم يقصروا في واجب حقه عليهم فيضيعوه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾: أي ذلك لمن أطاعني وأطاع رسولي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاءِ**﴾ أُعدت الجنة التي عرضها السموات والأرض للمتقين، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله، إما في صرفه على محتاج، وإما في تقوية مضعف على النهوض للجهاد في سبيل الله.

وأما قوله: ﴿**فِي السَّرَّاء**﴾ فإنه يعني: في حال السرور بكثرة المال، ورخاء العيش والسرّاء: مصدر من قولهم سرّني هذا الأمر مسرّة وسروراً؛ والضراء: مصدر من قولهم: قد ضرّ فلان فهو يضرّ إذا أصابه الضرّ، وذلك إذا أصابه الضيق والجهد في عيشه.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاءِ**﴾ يقول: في العسر واليسر.

فأخبر جلّ ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها لمن اتّقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة وفي حال الضيق والشدة في سبيله.

وقوله: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ يعني: والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، يقال منه: كظم فلان غيظه: إذا تجرّعه فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على إمضائه باستمكانها ممن غاظها وانتصارها ممن ظلمها. وأصل ذلك من كظم القربة، يقال منه: كظمتُ القربة: إذا ملأتها ماء، وفلان كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئاً غمّاً وحزناً، ومنه قول الله عزّ وجلّ، ﴿وابيَضَّتْ عَيناهُ مِنَ الحُزنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يعني ممتلىء من الحزن، ومنه قيل لمجاري المياه الكظائم لامتلائها بالماء، ومن قيل: أخذت بكظمه يعني بمجاري نفسه. والغيظ: مصدر من قول القائل: غاظني فلان فهو يغيظني غيظاً، وذلك إذا أحفظه وأغضبه.

وأما قوله: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ فإنه يعني: والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم، وهم على الانتقام منهم قادرون، فتاركوها لهم.

وأما قوله ﴿واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ فإنه يعني: فإن الله يحبّ من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعدّ للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والأرض. والعاملون بها هم المحسنون، وإحسانهم هو عملهم بها. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾... الآية: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ أي وذلك الإحسان، وأنا أحبّ من عمل به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾: قوم أنفقوا في العسر واليسر، والجهد والرخاء، فمن استطاع أن يغلب الشرّ بالخير فليفعل، ولا قوّة إلا بالله، فنعمت والله يا ابن آدم الجرعة تجترعها من صبر وأنت مغيظ وأنت مظلوم.

حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا محرز أبو رجاء، عن الحسن، قال: يقال يوم القيامة: ليقم من كان له على الله أجر! فما يقوم إلا إنسان عفا. ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا داود بن قيس، عن زيد بن أسلم، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل، عن عمّ له، عن أبي هريرة في قوله: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ﴾ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ على إنْفَاذِهِ مَلأَهُ اللَّهُ أمْناً وإيماناً».

حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ**﴾... إلى الآية: ﴿**واللّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾، فالكاظمين الغيظ كقوله: ﴿**وإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾؛ **يغضبون في الأمر لو وقعوا به كان حراماً فيغفرون ويعفون، يلتمسون بذلك وجه الله**؛ ﴿**وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾ كقوله: ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ**﴾... إلى: ﴿**ألاَ تُحِبُّونَ أن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ**﴾ يقول: لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئاً واعفوا واصفحوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾: أن الجنة التي وصف صفتها أعدت للمتقين، المنفقين في السرّاء والضرّاء، والذين إذا فعلوا فاحشة وجميع هذه النعوت من صفة المتقين الذين قال تعالى ذكره: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾. كما

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾، ثم قرأ: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾... إلى ﴿**أجْرُ العامِلِينَ**﴾ فقال: إن هذين النعتين لنعت رجل واحد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ**﴾ قال: هذان ذنبان: الفاحشة ذنب، وظلموا أنفسهم ذنب.

وأما الفاحشة فهي صفة لمتروك، ومعنى الكلام: والذين إذا فعلوا فعلة فاحشة. ومعنى الفاحشة: الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عزّ وجلّ فيه. وأصل الفحش القبح والخروج عن الحدّ والمقدار في كل شيء، ومنه قيل للطويل المفرط الطول: إنه لفاحش الطول، يراد به: قبيح الطول، خارج عن المقدار المستحسن؛ ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد: كلام فاحش، وقيل للمتكلم به: أفحش في كلامه: إذا نطق بفحش. وقيل: إن الفاحشة في هذا الموضع معني بها الزنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: ثنا حبان، قال: ثنا حماد، عن ثابت، عن جابر: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾** قال: زنى القوم وربِّ الكعبة.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾** أما الفاحشة: فالزنا.

وقوله: **﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** يعني به: فعلوا بأنفسهم غير الذي كان ينبغي لهم أن يفعلوا بها. والذي فعلوا من ذلك ركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لها به عقوبته. كما

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قوله: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾** قال: الظلم من الفاحشة، والفاحشة من الظلم.

وقوله: **﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾** يعني بذلك ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه. **﴿فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾** يقول: فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها. **﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾** يقول: وهل يغفر الذنوب: أي يعفو عن راكبها فيسترها عليه إلا الله؟ **﴿وَلَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا﴾** يقول: ولم يقيموا على ذنوبهم التي أتوها، ومعصيتهم التي ركبوها **﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** يقول: لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها، وهم يعلمون أن الله قد تقدّم بالنهي عنها، وأوعد عليها العقوبة، من ركبها. وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصاً بتخفيفها ويسرها أُمَّتَنا مما كانت بنو إسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء في ذنوبها.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح: أنهم قالوا: يا نبي الله، بنو إسرائيل أكرم على الله منا، كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه: اجدع أذنك، أجدع أنفك، افعل! فسكت رسول الله ﷺ، فنزلت: **﴿وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأَرْض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾**... إلى قوله: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾**، فقال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنَ ذَلِكَ؟» فقرأ هؤلاء الآيات.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني عمر أبي خليفة العبديّ، قال: ثنا عليّ بن

زيد بن جدعان، قال: قال ابن مسعود: كانت بنو إسرائيل إذا أذنبوا، أصبح مكتوباً على بابه الذنب وكفارته، فأعطينا خيراً من ذلك هذه الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، قال: لما نزلت: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سَواءً أوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ**﴾ بكى إبليس فزعاً من هذه الآية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، قال: بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ**﴾ بكى.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت عثمان مولى آل أبي عقيل الثقفي، قال: سمعت عليّ بن ربيعة، يحدث عن رجل من فزارة يقال له أسماء أو ابن أسماء، عن عليّ، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً، نفعني الله بما شاء أن ينفعني، فحدثني أو بكر ـ وصدق أبو بكر ـ عن النبي ﷺ، قال: «ما مِنْ عَبْدٍ» قال شعبة: وأحسبه قال «مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْباً ثم يَتَوَضَّأُ ثم يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثم يَسْتَغْفِرُ الله لِذَلِكَ الذَّنْبِ[1] . . .» وقال شعبة: وقرأ إحدى هاتين الآيتين: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ ﴿**وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، وحدثنا الفضل بن إسحاق، قال: ثنا وكيع، عن مسعر وسفيان، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن عليّ بن ربيعة الوالبي، عن أسماء بن الحكم الفزاري، عن عليّ بن أبي طالب قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيره، استحلفته، فإذا حلف لي صدقته؛ وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ رَجُلٍ يَذْنِبُ ذَنْباً ثُمَّ يَتَوَضَّأُ، ثُمَّ يُصَلِّي»، قال أحدهما: «رَكْعَتَيْنِ» وقال الآخر: «ثُمَّ يُصَلِّي وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ إلاَّ غَفَرَ لَهُ».

حدثنا الزبير بن بكار، قال: ثني سعد بن أبي سعيد المقبري، عن أخيه، عن جده عن عليّ بن أبي طالب أنه قال: ما حدثني أحد عن رسول الله ﷺ إلا سألته أن يقسم لي بالله لهو سمعه من رسول الله ﷺ إلا أبا بكر، فإنه كان لا يكذب. قال عليّ رضي الله عنه: فحدثني أبو

(١) كذا في النسخ، ولعله سقط من قلم الناسخ لفظ: إلا غفر له، كما هو في الروايات بعده.

بكر، أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْباً ثُمَّ يَقُومُ عِنْدَ ذِكْرِ ذَنْبِهِ فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ إلاَّ غَفَرَهُ اللَّهُ لَهُ».

وأما قوله ﴿**ذَكَرُوا اللَّهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**﴾ فإنه كما بينا تأويله؛ وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، ثنا ابن إسحاق: ﴿**وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً**﴾: أي إن أتوا فاحشة ﴿**أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ**﴾ بمعصية ذكروا نهي الله عنها، وما حرّم الله عنها، فاستغفروا لها، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو.

وأما قوله: ﴿**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللَّهُ**﴾ فإن اسم الله مرفوع، ولا جحد قبله، وإنما يرفع ما بعده إلا باتباعه ما قبله إذا كان نكرة ومعه جحد، كقول القائل: ما في الدار أحد إلا أخوك؛ فأما إذا قيل: قام القوم إلا أباك، فإن وجه الكلام في الأب النصب. و «مَنْ» بصلته في قوله: ﴿**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللَّهُ**﴾ معرفة فإن ذلك إنما جاء رفعاً، لأن معنى الكلام: وهل يغفر الذنوب أحد، أو ما يغفر الذنوب أحد إلا الله، فرفع ما بعد إلا من الله على تأويل الكلام، لا على لفظه.

وأما قوله: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويل الإصرار ومعنى الكلمة؛ فقال بعضهم: معنى ذلك: لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب، ولم يقيموا عليه، ولكنهم تابوا واستغفروا، كما وصفهم الله به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ فإياكم والإصرار، فإنما هلك المصرّون الماضون قُدُماً، لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرَّمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه، حتى أتاهم الموت وهم على ذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**وَلَمْ يِصِرُّوا على مَا فعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ قال: قُدُماً قُدُماً في معاصي الله، لا ينهاهم مخافة الله حتى جاءهم أمر الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**لا يَصِرُّوا على ما فَعَلُوا وَهُم يَعْلَمُونَ**﴾: أي لم يقيموا على معصيتي، كفعل من أشرك بي فيما عملوا به من كفر بي.

وقال آخرون: معنى ذلك: لم يواقعوا الذنب إذا هموا به.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿**ولَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا**﴾ قال: إتيان العبد ذنباً إصراراً حتى يتوب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا**﴾ قالوا: لم يواقعوا.

وقال آخرون: معنى الإصرار: السكوت على الذنب، وترك الاستغفار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**ولم يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾: أما يصرّوا: فيسكتوا ولا يستغفروا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: الإصرار الإقامة على الذنب عامداً، أو ترك التوبة منه. ولا معنى لقول من قال: الإصرار على الذنب: هو مواقعته؛ لأن الله عزّ وجلّ مدح بترك الإصرار على الذنب مواقع الذنب، فقال: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾؛ ولو كان المواقع الذنب مصراً بمواقعته إياه، لم يكن للاستغفار وجه مفهوم، لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقعه صاحبه وجه. وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وإنْ عادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً».

حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي، قال: ثنا عبد الحميد الحماني، عن عثمان بن واقد، عن أبي نصيرة، عن مولى لأبي بكر، عن أبي بكر، عن رسول الله ﷺ.

فلو كان مواقع الذنب مصرّا، لم يكن لقوله «ما أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وإنْ عادَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً» معنى، لأن مواقعة الذنب، إذا كانت هي الإصرار، فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره، كما لا يزيل عن الزاني اسم زان، وعن القاتل اسم قاتل توبته منه، ولا معنى غيرها، وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصرّ عليه، فمعلوم بذلك أن الإصرار غير الموقعة، وأنه المقام عليه على ما قلنا قبل.

واختلف أهل التأويل في تأويل قولهم: ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ فقال بعضهم: معناه: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: فيعلمون أنهم قد أذنبوا، ثم أقاموا فلم يستغفروا.

وقال آخرون: معنى ذلك: وهم يعلمون أن الذي أتوا معصية الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال: يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري.

قال أبو جعفر: وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: أولئك الذين ذكر أنه أعدّ لهم الجنة التي عرضها السموات والأرض من المتقين، ووصفهم به، ثم قال: هؤلاء الذين هذه صفتهم ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ يعني ثوابهم من أعمالهم التي وصفهم تعالى ذكره أنهم عملوها، ﴿مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يقول: عفو لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم، ولهم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم بالحسن منها جنات، وهي البساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾ يقول: تجري خلال أشجارها الأنهار، وفي أسافلها جزاء لهم على صالح أعمالهم، ﴿خَالِدِينَ فيها﴾ يعني دائمي المقام في هذه الجنات التي وصفها، ﴿ونِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ يعني ونعم جزاء العاملين لله الجنات التي وصفها كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خالِدِينَ فِيها وَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ﴾: أي ثواب المطيعين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به، من نحو قوم عاد وثمود، وقوم هود، وقوم لوط

وغيرهم من سُلاف الأمم قبلكم سنن، يعني ثلاث سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، بإمهالي أهل التكذيب بهم، واستدراجي إياهم، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم، ثم أحللت بهم عقوبتي، ونزلت بساحتهم نقمتي، فتركتهم لمن بعدهم أمثالاً وعبراً. ﴿فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فانْظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ يقول: فسيروا أيها الظانون أن إدالتي من أدلت من أهل الشرك يوم أحد على محمد وأصحابه لغير استدراج مني لمن أشرك بي، وكفر برسلي، وخالف أمري في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم، ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذّبون برسولي، والجاحدون وحدانيتي، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي، وما الذي آل إليه عن خلافهم أمري، وإنكارهم وحدانيتي، فتعلموا عند ذلك أن إدالتي من أدلت من المشركين على نبي محمد وأصحابه بأحد، إنما هي استدراج وإمهال، ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم، ثم إما أن يئول حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا قبلهم من تعجيل العقوبة عليهم، أو ينيبوا إلى طاعتي واتباع رسولي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأرْضِ فانْظُرُوا كَيفَ كانَ عَاقِبَةُ المُكَذّبين﴾ فقال: ألم تسيروا في الأرض، فتنظروا كيف عذّب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله عزّ وجلّ؟

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ يقول: في الكفار والمؤمنين، والخير والشر.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ في المؤمنين والكفار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ـ يعني بالمسلمين يوم أحد ـ والبلاء الذي أصابهم، والتمحيص لما كان فيهم، واتخاذه الشهداء منهم، فقال تعزية لهم، وتعريفاً لهم فيما صنعوا وما هو صانع بهم: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأرْضِ فانْظُرُوا كَيفَ كَانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ أي قد مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك بي: عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، فسيروا في الأرض تروا مُثلات قد مضت فيهم، ولمن كان على مثل ما هم عليه من ذلك

مني، وإن أمكنت لهم: أي لئلا يظنوا أن نقمتي انقطعت عن عدوّهم وعدّوي للدولة التي أدلتها عليكم بها؛ لأبتليكم بذلك، لأعلم ما عندكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾** يقول: متعهم في الدنيا قليلاً، ثم صيرهم إلى النار.

وأما السنن، فإنها جمع سُنّة، والسنّة، هي المثال المتبع، والإمام المؤتمّ به، يقال منه: سنّ فلان فينا سنة حسنة، وسنّ سنة سيئة: إذا عمل عملاً اتبع عليه من خير وشرّ، ومنه قول لبيد بن ربيعة:

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ ... ولِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وإمامُها[(١)]

وقول سليمان بن قَتّة:

وإنَّ الأُلَى بالطَّفِّ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... تَآسَوْا فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّآسِيا[(٢)]

وقال ابن زيد في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾** قال: أمثال.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بهذا، فقال بعضهم: عَنَى بقوله هذا: القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا: عباد، عن الحسن في قوله: **﴿هَذَا بَيانٌ للنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ للْمُتَّقِينَ﴾** قال: هذا القرآن.

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، رواه الزوزني والتبريزي في معلقته. والمعشر: الجماعة. وسنت لهم آباؤهم: علمتهم طريق كسب المعالي. والسنة: الطريق والأمر الواضح والإمام: القدوة والمثال يقتدي به.

(٢) البيت لسليمان بن قتة العدوي. والطف: موضع قرب الكوفة، سمي طفاً لأنه طرف البر مما يلي الفرات. وهناك الموضع المعروف بكربلاء، الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما. وتآسوا من المؤاساة وهي المشاركة، لا من التأسي بمعنى التصبر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة. قوله: ﴿هَذَا بَيانٌ للنَّاسِ﴾ وهو هذا القرآن جعله الله بياناً للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال في قوله: ﴿هَذَا بَيانٌ للنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن جريج في قوله: ﴿هَذَا بَيانٌ للنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصة.

وقال آخرون: إنما أشير بقوله هذا إلى قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ﴾ ثم قال: هذا الذي عرفتكم يا معشر أصحاب محمد بيان للناس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق بذلك.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: قوله هذا إشارة إلى ما تقدّم هذه الآية من تذكير الله جلّ ثناؤه المؤمنين، وتعريفهم حدوده، وحضهم على لزوم طاعته، والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم، لأن قوله هذا إشارة إلى حاضر، إما مرئي، وإما مسموع، وهو في هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة. فمعنى الكلام: هذا الذي أوضحت لكم وعرّفتكموه، بيان للناس؛ يعني بالبيان: الشرح والتفسير. كما

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿هَذَا بَيانٌ للنَّاسِ﴾ أي هذا تفسير للناس إن قبلوه.

حدثنا أحمد بن حازم والمثنى، قالا: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن بيان، عن الشعبي: ﴿هَذَا بَيانٌ للنَّاسِ﴾ قال: من العَمَى.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الشعبي، مثله.

وأما قوله: ﴿وهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ فإنه يعني بالهدى: الدلالة على سبيل الحقّ ومنهج الدين، وبالموعظة: التذكرة للصواب والرشاد. كما:

حدثنا أحمد بن حازم والمثنى، قالا: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن بيان، عن الشعبي: ﴿وَهُدًى﴾ قال: من الضلالة، ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ من الجهل.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن بيان، عن الشعبي مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي لمن أطاعني وعرف أمري.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لأصحاب رسول الله ﷺ على ما أصابهم من الجراح والقتل بأُحد، قال: ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد، يعني ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوّكم بأُحد من القتل والقروح، عن جهاد عدوكم وحربهم، من قول القائل: وهن فلان في هذا الأمر فهو يهن وهناً: ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾: ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ، فإنكم أنتم الأعلون، يعني الظاهرون عليهم، ولكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم، يقول: إن كنتم مؤمنين، يقول: إن كنتم مصدّقي في نبيي محمد ﷺ فيما يعدكم، وفيما ينبئكم من الخبر عما يئول إليه أمركم وأمرهم. كما:

حدثنا المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، قال: كثر في أصحاب محمد ﷺ القتل والجراح، حتى خلص إلى كل امرىء منهم اليأس، فأنزل الله عزّ وجلّ القرآن، فآسى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية فقال: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وأنتُمُ الأعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مؤمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: يعزّي أصحاب محمد ﷺ كما تسمعون، ويحثهم على قتال عدوّهم، وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوّهم في سبيل الله.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن، في

قوله: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلا تَحزَنُوا وأَنتُمُ الأَعلَوْنَ إنْ كُنتُمْ مُؤمِنِينَ﴾ قال: يأمر محمداً يقول: ولا تهنوا أن تمضوا في سبيل الله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾: ولا تضعفوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، في قوله: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلا تَحزَنُوا﴾ يقول: ولا تضعفوا.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾ قال ابن جريج: ولا تضعفوا في أمر عدوكم، ﴿وَلا تَحزَنُوا وأَنتُمُ الأَعلَوْنَ﴾ قال: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب، فقالوا: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ فنعى بعضهم بعضاً، وتحدثوا أن رسول الله ﷺ قد قتل، فكانوا في همّ وحزن. فبينما هم كذلك، إذ علا خالد بن الوليد الجبل بخيل المشركين فوقهم وهم أسفل في الشعب؛ فلما رأوا النبي ﷺ فرحوا، وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمّ لا قُوَّةَ لَنا إلاَّ بِكَ، ولَيْسَ يَعْبُدُكَ بِهَذِهِ البَلْدَةِ غَيْرُ هَولاءِ النَّفَرِ». قال: وثاب نفر من المسلمين رماة، فصعدوا، فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله، وعلا المسلمون الجبل؛ فذلك قوله: ﴿وأَنتُمُ الأَعلَوْنَ إنْ كُنتُمْ مُؤمِنِينَ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَلاَ تَهِنُوا﴾ أي لا تضعفوا، ﴿وَلا تَحزَنُوا﴾ ولا تأسوا على ما أصابكم، ﴿وأَنتُمُ الأَعلَوْنَ﴾ أي لكم تكون العاقبة والظهور، ﴿إنْ كُنتُمْ مُؤمِنِينَ﴾: إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عني.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لا يَعْلُونَ عَلَيْنا!» فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلا تَحزَنُوا وأَنتُمُ الأَعلَوْنَ إنْ كُنتُمْ مُؤمِنِينَ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة: ﴿إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ كلاهما بفتح القاف، بمعنى: إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد، فقد مسّ القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله. وقرأ عامة قراء الكوفة: «إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ»[١].

وأولى القراءتين بالصواب، قراءة من قرأ: ﴿إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ بفتح القاف في الحرفين لإجماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح، فذلك يدلّ على أن القراءة هي الفتح. وكان بعض أهل العربية يزعم أن القَرْح والقُرْح لغتان بمعنى واحد، والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا. ذكر من قال: إن القرح الجراح والقتل:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ قال: جراح وقتل.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن، في قوله: ﴿إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ قال: إن يقتلوا منكم يوم أُحد، فقد قتلتم منهم يوم بدر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾. والقرح: الجراحة، وذاكم يوم أُحد، فشا في أصحاب نبي الله ﷺ يومئذ القتل والجراحة، فأخبرهم الله عزّ وجلّ أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم، وأن الذي أصابكم عقوبة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ قال: ذلك يوم أُحد، فشا في المسلمين الجراح، وفشا فيهم القتل، فذلك قوله: ﴿إِنْ يَمسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ يقول: إن كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله، يعزّي أصحاب محمد ﷺ ويحثهم على القتال.

---

(١) أي بضم القاف فيهما، ولعله سقط هنا من قلم الناسخ.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ والقرح: هي الجراحات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي جراح، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾: أي جراح مثلها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: نام المسلمون وبهم الكلوم ـ يعني يوم أُحد ـ قال عكرمة: وفيهم أنزلت: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بينَ الناسِ﴾ وفيهم أنزلت: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فإِنَّهُمْ يأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾.

وأما تأويل قوله: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ فإنه: إن يصبكم. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿إن يمْسَسْكُم﴾: إن يصبكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

يعني تعالى ذكره [بقوله]: ﴿وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاسِ﴾ أيام بدر وأُحد، ويعني بقوله: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نجعلها دولاً بين الناس مصرفة، ويعني بالناس: المسلمين والمشركين. وذلك أن الله عزّ وجلّ أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأدال المشركين من المسلمين بأُحد، فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم، يقال منه: أدال الله فلاناً من فلان فهو يديله منه إدالة إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المدال منه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال: جعل الله الأيام دولاً، أدال الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا

بَيْنَ الناسِ﴾: إنه والله لولا الدول ما أوذي المؤمنون، ولكن قد يدال للكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناسِ﴾ فأظهر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ وأصحابه على المشركين يوم بدر، وأظهر عليهم عدوّهم يوم أحد. وقد يدال الكافر من المؤمن، ويبتلى المؤمن بالكافر، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب، وأما من ابتلي منهم من المسلمين يوم أُحد، فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله ﷺ.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناسِ﴾: يوماً لكم، ويوماً عليكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناسِ﴾ قال: أدال المشركين على النبيّ ﷺ يوم أحد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناسِ﴾ فإنه كان يوم أُحد بيوم بدر، قتل المؤمنون يوم أُحد، اتخذ الله منهم شهداء، وغلب رسول الله ﷺ يوم بدر المشركين، فجعل له الدولة عليهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان قتال أُحد، وأصاب المسلمين ما أصاب، صعد النبيّ ﷺ الجبل، فجاء أبو سفيان، فقال: يا محمد، يا محمد، ألا تخرج، ألا تخرج؟ الحرب سجال، يوم لنا، ويوم لكم! فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أَجِيبُوهُ!» فقالوا: لا سواء لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. فقال أبو سفيان: لنا عزّى، ولا عزّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلانا وَلا مَوْلَى لَكُمْ». فقال أبو سفيان: اعل هبل! فقال رسول الله ﷺ، «قُولُوا: اللَّهُ أعلَى وأجَلُّ». فقال أبو سفيان: موعدكم وموعدنا بدر الصغرى. قال عكرمة: وفيهم أنزلت: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناسِ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: ثنا ابن المبارك. عن ابن جريج. عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: فإنه أدال على النبيّ ﷺ يوم أحد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: أي نصرفها للناس بالبلاء والتمحيص.

حدثني إبراهيم بن عبد الله، أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ابن عون، عن محمد في قول الله: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال: يعني الأمراء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس. ولو لم يكن في الكلام واو لكان قوله: «ليعلم» متصلاً بما قبله، وكان: وتلك الأيام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا. ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بأن الكلام متصل بما قبلها، وأن بعدها خبراً مطلوباً للام التي في قوله: «وليعلم»، متعلقة به.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ معرفة، وأنت لا تستجيز في الكلام: قد سألت فعلمت عبد الله، وأنت تريد: علمت شخصه، إلا أن تريد: علمت صفته وما هو؟ قيل: إن ذلك إنما جاز مع الذين، لأن في «الذين» تأويل «مَنْ» و «أيّ»، وكذلك جائز مثله في الألف واللام، كما قال تعالى ذكره: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ﴾ لأن في الألف واللام من تأويل «أيّ»، و «من» مثل الذي في «الذي». ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على «أيّ» جاز، كما يقال: سألت لأعلم عبد الله من عمرو، ويراد بذلك: لأعرف هذا من هذا.

فتأويل الكلام: وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم، نداول بين الناس، فاستغنى بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكم﴾ عن ذكر قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ نافَقُوا﴾ لدلالة الكلام عليه، إذ كان في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تأويل «أيّ» على ما وصفنا. فكأنه قيل: وليعلم الله أيكم المؤمن، كما قال جل ثناؤه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ غير أن الألف واللام والذي ومِن، إذا وضعت مع العلم موضع أيّ نصبت بوقوع العلم عليه، كما قيل: وليعلمنّ الكاذبين، فأما «أيّ» فإنها ترفع.

وأما قوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ فإنه يعني: وليعلم الله الذين آمنوا، وليتخذ منكم شهداء: أي ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها. والشهداء جمع شهيد؛ كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين، وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قال: فإن المسلمين كانوا يسألون ربهم: ربنا أرنا يوماً كيوم بدر، نقاتل فيه المشركين، ونُبْليكَ فيه خيراً، ونلتمس فيه الشهادة! فلقوا المشركين يوم أُحد، فاتخذ منهم شهداء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ فكرّم الله أولياءه بالشهادة بأيدي عدوّهم، ثم تصير حواصل الأمور وعواقبها لأهل طاعة الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قال: قال ابن عباس: كانوا يسألون الشهادة، فلقوا المشركين يوم أُحد، فاتخذ منهم شهداء.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوماً كيوم بدر، يبلون فيه خيراً، ويرزقون فيه الشهادة، ويرزقون الجنة والحياة والرزق. فلقي المسلمون يوم أُحد فاتخذ الله منهم شهداء، وهم الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ، فقال: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾... الآية.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه يعني به: الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي المنافقين الذي يظهرون بألسنتهم الطاعة، وقلوبهم مصرّة على المعصية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: وليختبر الله الذين صدقوا الله

ورسوله فيبتليهم بإدالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الإيمان من المنافق. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله، في قوله: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ قال: ليبتلي.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ قال: ليمحص الله المؤمن حتى يصدق.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ يقول: يبتلي المؤمنين.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ قال: يبتليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ويَمْحَقَ الكافِرِينَ**﴾ فكان تمحيصاً للمؤمنين، ومحقاً للكافرين.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم، وكيف صبرهم ويقينهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ويَمْحَقَ الكافِرِينَ**﴾ قال: يمحق من مُحق في الدنيا، وكان بقية من يمحق في الآخرة في النار.

وأما قوله: ﴿**ويَمْحَقَ الكافِرِينَ**﴾ فإنه يعني به: أنه ينقصهم ويفنيهم، يقال منه: محق فلان هذا الطعام: إذا نقصه أو أفناه، يمحقه محقاً، ومنه قيل لمحاق القمر: مُحاق، وذلك نقصانه وفناؤه. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿**ويَمْحَقَ الكافِرِينَ**﴾ قال: ينقصهم.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: ﴿**ويَمْحَقَ الكافِرِينَ**﴾ قال: يمحق الكافر حتى يكذبه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**ويَمْحَقَ الكافِرِينَ**﴾ أي يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به منكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أم حسبتم يا معشر أصحاب محمد، وظننتم أن تدخلوا الجنة، وتنالوا كرامة ربكم، وشرف المنازل عنده؛ ﴿**وَلَمَّا يَعلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنكُمْ**﴾ يقول: ولما يتبين لعبادي المؤمنين، المجاهد منكم في سبيل الله، على ما أمره به. وقد بينت معنى قوله: ﴿**وَلَمَّا يَعلَم اللَّهُ**﴾: وليعلم الله، وما أشبه ذلك بأدلته فيما مضى بما أغنى عن إعادته وقوله: ﴿**وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ يعني: الصابرين عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكروه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ**﴾ وتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدّة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صدق ذلك منكم الإيمان بي، والصبر على ما أصابكم فيّ.

ونصب ﴿**وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ على الصرف، والصرف[١] أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف، لأنه مصروف عن معنى الأوّل، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام، وذلك كقولهم: لا يسعني شيء ويضيق عنك، لأن «لا»-التي مع «يسعني» لا يحسن إعادتها مع قوله: «ويضيق عنك»، فلذلك نصب. والقرّاء في هذا الحرف على النصب؛ وقد روي

(١) هذا التوجيه النحوي كله مستمد من كلام الفراء في كتابه «**معاني القرآن**» (انظر مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٩) (ص - ٧١).

عن الحسن أنه كان يقرأ: «وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ» فيكسر الميم من «يعلم»، لأنه كان ينوي جزمها على العطف به على قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣)﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾: ولقد كنتم يا معشر أصحاب محمد تمنون الموت يعني أسباب الموت وذلك القتال؛ ﴿فقدْ رَأيتموه﴾ فقد رأيتم ما كنتم تمنونه. والهاء في قوله «رأيتموه»، عائدة على الموت، ومعنى: ﴿وأنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ يعني: قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر: أي بقرب منكم. وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل: ﴿وأنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ على وجه التوكيد للكلام، كما يقال: رأيته عياناً، ورأيته بعيني، وسمعته بأذني؛ وإنما قيل: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ﴾ لأن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ ممن لم يشهد بدراً، كانوا يتمنون قبل أُحد يوماً مثل يوم بدر، فيبلوا الله من أنفسهم خيراً، وينالوا من الأجر مثل ما نال أهل بدر؛ فلما كان يوم أُحد فرّ بعضهم وصبر بعضهم، حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك، فعاتب الله من فرّ منهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ﴾ . . . الآية، وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم.

ذكر الأخبار بما ذكرنا من ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ فقدْ رَأيْتُمُوهُ وأنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ قال: غاب رجال عن بدر، فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه، فيصيبوا من الخير والأجر مثل ما أصاب أهل بدر. فلما كان يوم أُحد ولى من ولى، فعاتبهم الله ـ أو فعابهم، أو فعتبهم ـ على ذلك، شك أبو عاصم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه، إلا أنه قال: فعاتبهم الله على ذلك، ولم يشكّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ فقدْ رَأيْتُمُوهُ وأنْتُم تَنظُرُونَ﴾: أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والأجر، فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالاً فيقاتلوا،

فسيق إليهم القتال حتى كان في ناحية المدينة يوم أُحد، فقال الله عزّ وجلّ كما تسمعون: **﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ﴾** حتى بلغ: **﴿الشَّاكِرِينَ﴾**.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: **﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ﴾** قال: كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم، فلما لقوهم يوم أُحد ولّوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: إن أناساً من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطاهم الله من الفضل، فكانوا يتمنون أن يروا قتالاً فيقاتلوا، فسيق إليهم القتال، حتى كان بناحية المدينة يوم أُحد، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ﴾**... الآية.

حدثني محمد بن بشار، قال: ثنا هوذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رجالاً من أصحاب النبيّ ﷺ كانوا يقولون: لئن لقينا مع النبيّ ﷺ لنفعلنّ ولنفعلنّ! فابتلوا بذلك، فلا والله ما كلهم صدق، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ فقدْ رَأيْتُمُوهُ وأنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾**.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: كان ناس من أصحاب النبيّ ﷺ لم يشهدوا بدراً، فلما رأوا فضيلة أهل بدر، قالوا: اللهمّ إنا نسألك أن ترينا يوماً كيوم بدر، نبليك فيه خيراً! فرأوا أُحداً، فقال لهم: **﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ فَقدْ رأيْتُمُوهُ وأنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ فَقدْ رأيْتُمُوهُ وأنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾**: أي لقد كنتم تمنون الشهادة على الذي أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقوا عدوكم، يعني الذين حملوا رسول الله ﷺ على خروجه بهم إلى عدوّهم لما فاتهم من الحضور في اليوم الذي كان قبله ببدر، رغبة في الشهادة التي قد فاتتهم به يقول: **﴿فقدْ رَأيْتُمُوهُ وأنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾**: أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال، قد حلّ بينكم وبينهم، وأنتم تنظرون إليهم، فصددتم عنهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ

﴿أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: وما محمد إلا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه داعياً إلى الله وإلى طاعته، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه يقول. جلّ ثناؤه: فمحمد ﷺ إنما هو فيما الله به صانع من قبضه إليه عند انقضاء مدة أجله كسائر مدة رسله إلى خلقه الذين مضوا قبله وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم. ثم قال لأصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد: إن محمداً قتل، ومقبحاً إليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوّهم وانهزامه عنهم: ﴿أفإنْ مَاتَ﴾ محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله، أو قتله عدوّكم، ﴿انقَلَبْتُمْ على أعْقَابِكُمْ﴾ يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمداً بالدعاء إليه، ورجعتم عنه كفاراً بالله بعد الإيمان به، وبعد ما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم محمد إليه، وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه. ﴿وَمَنْ يَنقَلِبْ على عَقِبَيْهِ﴾ يعني بذلك: ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه، ﴿فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيئاً﴾ يقول: فلن يوهن ذلك عزّة الله ولا سلطانه، ولا يدخل بذلك نقص في ملكه، بل نفسه يضرّ بردته، وحظ نفسه ينقص بكفره. ﴿وَسَيَجزي اللّهُ الشّاكِرِين﴾ يقول: وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته إياه لدينه بنبوّته على ما جاء به محمد ﷺ إن هو مات أو قتل واستقامته على منهاجه، وتمسكه بدينه وملته بعده. كما:

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن هاشم، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن عليّ في قوله: ﴿وَسَيَجزِي اللّهُ الشّاكِرِين﴾: الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه. فكان عليّ رضي الله عنه يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن العلاء بن بدر، قال: إن أبا بكر أمين الشاكرين. وتلا هذه الآية: ﴿وَسَيَجزِي اللّهُ الشّاكِرِين﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَسَيَجزِي اللّهُ الشّاكِرِين﴾: أي من أطاعه وعمل بأمره.

وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ فيمن انهزم عنه بأحد من أصحابه. ذكر الأخبار الواردة بذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَيَجزِي اللّهُ الشّاكِرِين﴾ ذاكم يوم أحد حين أصابهم

القرح والقتل، ثم تنازعوا نبيّ الله ﷺ بقية ذلك، فقال أناس: لو كان نبياً ما قتل. وقال أناس من علية أصحاب نبيّ الله ﷺ: قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم، حتى يفتح الله لكم، أو تلحقوا به. فقال الله عزّ وجلّ: **﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابِكُمْ﴾** يقول: إن مات نبيكم، أو قتل، ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بنحوه، وزاد فيه: قال الربيع: وذكر لنا والله أعلم أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل، فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم! فأنزل الله عز وجل: **﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابِكُمْ﴾** يقول: ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما برز رسول الله ﷺ يوم أحد إليهم - يعني إلى المشركين - أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجه خيل المشركين، وقال: «لا تَبْرَحُوا مَكانَكُمْ إنْ رأيْتُمُونا قَدْ هَزَمْناهُمْ، فإنَّا لَنْ نَزَالَ غالِبِينَ ما ثَبَتُّمْ مَكانَكُمْ» وأمّر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير. ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين، فهزماهم، وحمل النبي ﷺ وأصحابه، فهزموا أبا سفيان؛ فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين قدم، فرمته الرماة فانقمع. فلما نظر الرماة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهونه، بادروا الغنيمة، فقال بعضهم: لا نترك أمر رسول الله ﷺ! فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر؛ فلما رأى خالد قلة الرماح، صاح في خيله، ثم حمل فقتل الرماة، وحمل على أصحاب النبيّ ﷺ، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل، تبادروا فشدّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم، فأتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة، فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته، وشجّه في وجهه فأثقله، وتفرّق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة، فقاموا عليها، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إليّ عِبادَ اللَّهِ! إليّ عِبادَ اللَّهِ!» فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً، فجعلوا يسيرون بين يديه، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف، فحماه طلحة، فُرمي بسهم في يده فيبست يده، وأقبل أبيّ بن خلف الجمحيّ - وقد حلف ليقتلنّ النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «بَلْ أنا أقْتُلُكَ» - فقال: يا كذّاب أين تفرّ؟ فحمل عليه فطعنه النبيّ ﷺ في جنب الدرع، فجرح جرحاً خفيفاً، فوقع يخور خوران

الثور، فاحتملوه وقالوا: ليس بك جراحة، قال: أليس قال: لأقتلنك؟ لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم. ولم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح. وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ، فنأخذ لنا أمنة من أبي سفيان! يا قوم إن محمداً قد قتل، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم! قال أنس بن النضر: يا قوم إن كان محمد قد قتل، فإنّ ربّ محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ! اللهمّ إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء. ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل. وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة؛ فلما رأوه وضع رجل سهماً في قوسه فأراد أن يرميه، فقال: «أنا رَسُولُ الله»، ففرحوا حين وجدوا رسول الله ﷺ حياً، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمتنع. فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ، ذهب عنهم الحزن، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابه الذين قتلوا، فقال الله عزّ وجلّ للذين قالوا: إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم: **﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين﴾**.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ﴾** قال: يرتد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه؛ وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه: أن رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل؟ فقال الأنصاريّ: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: ثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عبد النجار، قال: انتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قد قتل محمد رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله! واستقبل القوم فقاتل حتى قتل. وبه سمي أنس بن مالك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبوزهير، عن جويبر، عن الضحاك، قال: نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد ﷺ: ألا إن محمداً قد قتل، فارجعوا إلى دينكم الأوّل! فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾**... الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: ألقي في أفواه المسلمين يوم أحد أن النبيّ ﷺ قد قُتِل، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾... الآية.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة، والناس يفرّون، ورجل قائم على الطريق يسألهم: ما فعل رسول الله ﷺ؟ وجعل كلما مرّوا عليه يسألهم، فيقولون: والله ما ندري ما فعل! فقال: والذي نفسي بيده لئن كان النبيّ ﷺ قتل لنعطينهم بأيدينا، إنهم لعشائرنا وإخواننا! وقالوا: إن محمداً إن كان حياً لم يهزم، ولكنه قد قتل، فترخصوا في الفرار حينئذ، فأنزل الله عزّ وجلّ على نبيه ﷺ: ﴿**وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾... الآية.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾... الآية: ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فرّ الناس عن نبيّ الله ﷺ، وشجّ فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأوّل! فذلك قوله: ﴿**أفَئِنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابِكُمْ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**أفَئِنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابِكُمْ**﴾ قال: ما بينكم وبين أن تدعو الإسلام وتنقلبوا على أعقابكم، إلا أن يموت محمد أو يقتل، فسوف يكون أحد هذين، فسوف يموت أو يقتل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَسَيَجزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين**﴾: أي لقول الناس قتل محمد، وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوّهم، أي أفَئِنْ مات نبيكم أو قتل رجعتم عن دينكم كفاراً كما كنتم، وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله، وما قد خلف نبيه من دينه معكم وعندكم؛ وقد بين لكم فيما جاءكم عني أنه ميت ومفارقكم؟ ﴿**وَمَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ**﴾: أي يرجع عن دينه، ﴿**فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئاً**﴾: أي لن ينقص ذلك من عزّ الله ولا ملكه ولا سلطانه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال: أهل المرض والارتياب والنفاق، حين فرّ الناس عن النبيّ ﷺ: قد قتل محمد، فألحقوا بدينكم

الأول! فنزلت هذه الآية.

ومعنى الكلام: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً! فجعل الاستفهام في حرف الجزاء، ومعناه أن يكون في جوابه [خبر] وكذلك كل استفهام دخل على جزاء، فمعناه أن يكون في جوابه [خبر][1] لأن الجواب خبر يقوم بنفسه والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه وهو كذلك، ومعناه الرفع لمجيئه بعد الجزاء، كما قال الشاعر:

حَلَفْتُ لَهُ إنْ تُدلِجِ اللَّيلَ لا يَزلْ   أمامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِيَ سائِرُ[2]

فمعنى «لا يزل» رفع، ولكنه جزم لمجيئه بعد الجزاء فصار كالجواب. ومثله: ﴿أفَئِنْ مُتَّ فَهُمُ الخالدونَ﴾ وفَكيفَ تتقونَ إنْ كفرتم﴾ ولو كان مكان فهم الخالدون يخلدون؛ وقيل: أَفَئِنْ متّ يخلدوا جاز الرفع فيه والجزم، وكذلك لو كان مكان «انقلبتم» «تنقلبوا» جاز الرفع والجزم لما وصفت قبل. وتركت إعادة الاستفهام ثانية مع قوله: «انقلبتم» اكتفاء بالاستفهام في أول الكلام، وأن الاستفهام في أوله دالّ على موضعه ومكانه. وقد كان بعض القراء يختار في قوله: ﴿أئِذا مِتْنَا وكُنَّا تُراباً وعظاماً أئِنَّا لَمْبعُوثُون﴾ ترك إعادة الاستفهام مع «أئنا»، اكتفاء بالاستفهام في قوله: ﴿أئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُراباً﴾، ويستشهد على صحة وجه ذلك باجتماع القراء على تركهم إعادة الاستفهام مع قوله: «انقلبتم»، اكتفاء بالاستفهام في قوله: ﴿أفَئِنْ مات﴾ إذا كان دالاً على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه، وكان يفعل مثل ذلك في جميع القرآن، وسنأتي على الصواب من القول في ذلك إن شاء الله إذا انتهينا إليه.

---

(١) زيادة عن «**معاني القرآن**» للفراء (ص ـ ٧١) من مصورة جامعه القاهرة رقم ٢٤٠٥٩ وقد أورد المؤلف أكثر كلامه بنصه.

(٢) البيت من شواهد النحويين: أورده الفراء في «**معاني القرآن**» عن القاسم بن معن عن العرب، ولم ينسبه لأحد، واستشهد به على جزم لا يزل في ضرورة الشعر بجعله جواب الشرط، وكان القياس أن يرفع، ويجعل جواباً للقسم، فيكون جواب الشرط محذوفاً مدلولاً عليه بجواب القسم. وقال ابن عصفور: وليس حلفت فيه قسماً، كما ذهب إليه الفراء، بل هو خبر محض، غير مراد به معنى القسم، لأن القسم إذا تقدم على الشرط بني الجواب عليه، ولم يبن على الشرط.
وتدلج: تسر الليل كله. وأراد بالبيت جماعة من أقاربه. يقول: إن سافرت بالليل أرسلت جماعة من أهلي يسيرون أمامك يخفرونك إلى أن تصل إلى مأمنك انظر الخزانة (٤/ ٥٤٠ ـ ٥٤١).
ورواه ابن قتيبة في كتاب «**المعاني الكبير**» (ص ـ ٨٠٥) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سن ١٣٦٩ هـ هكذا:

وقلت له إن تدلج الليل لا تزل   أمامك بيت من بيوتي عائر

وفسره بقوله: أي بيت هجاء سائر. ونسبه للراعي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له وأذن له بالموت فحينئذ يموت، فأما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَما كان لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلاَّ بإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُوَجَّلاً﴾**: أي أن لمحمد أجلاً هو بالغه إذا أذن الله له في ذلك كان.

وقد قيل: إن معنى ذلك: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله.

وقد اختلف أهل العربية في معنى الناصب قوله: **﴿كِتاباً مُوَجَّلا﴾**؛ فقال بعض نحويي البصرة: هو توكيد، ونصبه على: كتب الله كتاباً مؤجلاً، قال: وكذلك كل شيء في القرآن من قوله «حقًّا»، إنما هو: أحقّ ذلك حقًّا، وكذلك: **﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾** و**﴿رحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** وَ**﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كلَّ شيءٍ﴾** و**﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيكُمْ﴾** إنما هو: صنع الله هكذا صنعاً، فهكذا تفسير كل شيء في القرآن من نحو هذا، فإنه كثير.

وقال بعض نحويي الكوفة في قوله: **﴿وَما كان لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلاَّ بإِذْنِ اللَّهِ﴾** معناه: كتب الله آجال النفوس، ثم قيل: كتاباً مؤجلاً، فأخرج قوله: كتاباً مؤجلاً، نصباً من المعنى الذي في الكلام، إذ كان قوله: **﴿وَما كان لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلاَّ باذْنِ اللَّهِ﴾** قد أدّى عن معنى «كتب»، قال: وكذلك سائر ما في القرآن من نظائر ذلك، فهو على هذا النحو.

وقال آخرون منهم: قول القائل: زيد قائم حقاً، بمعنى: أقول زيد قائم حقاً، لأن كل كلام قول، فأدّى المقول عن القول، ثم خرج ما بعده منه، كما تقول: أقول قولاً حقًّا، وكذلك ظنًّا ويقيناً، وكذلك وَعْدَ الله، وما أشبهه.

والصواب من القول في ذلك عندي، أن كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذي قبله، لأن في كل ما قبل المصادر التي هي مخالفة ألفاظها ألفاظ ما قبلها من الكلام معاني ألفاظ المصادر وإن خالفها في اللفظ فنصبها من معاني ما قبلها دون ألفاظه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: من يرد منكم أيها المؤمنون بعمله جزاء منه بعض أعراض الدنيا دون ما عند الله من الكرامة، لمن ابتغى بعمله ما عنده **﴿نُؤْتِهِ مِنها﴾** يقول: نعطه منها، يعني: من الدنيا، يعني: أنه يعطيه منها ما قسم له فيها من رزق أيام حياته، ثم لا نصيب له في كرامة الله التي أعدّها لمن أطاعه، وطلب ما عنده في الآخرة. **﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾** يقول: ومن يرد منكم بعمله جزاء منه ثواب الآخرة، يعني ما عند الله من كرامته التي أعدّها للعاملين له في الآخرة، **﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾** يقول: نعطه منها، يعني من الآخرة؛ والمعنى: من كرامة الله التي خصّ بها أهل طاعته في الآخرة. فخرج الكلام على الدنيا والآخرة، والمعنى ما فيهما. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿ومَنْ يُرِدْ ثَواب الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَن يُرِدْ ثَوابَ الآخِرةِ نُؤْتِهِ مِنْها﴾**: أي فمن كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة، نؤته ما قسم له منها من رزق، ولا حظّ له في الآخرة، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وعده مع ما يُجرَى عليه من رزقه في دنياه.

وأما قوله: **﴿وَسَنَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين﴾** يقول: وسأثيب من شكر لي ما أوليته من إحساني إليه بطاعته إياي وانتهائه إلى أمري وتجنبه محارمي في الآخرة، مثل الذي وعدت أوليائي من الكرامة على شكرهم إياي. وقال ابن إسحاق في ذلك بما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَسَنَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِين﴾** أي ذلك جزاء الشاكرين، يعنى بذلك: إعطاء الله إياه ما وعده في الآخرة مع ما يجرى عليه من الرزق في الدنيا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: **﴿وكَأَيِّنْ﴾** بهمز الألف وتشديد الياء وقرأه

آخرون: بمدّ الألف وتخفيف الياء. وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين، ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما، فبأيّ القراءتين قرأ ذلك قارىء فمصيب، لاتفاق معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب. ومعناه: وكم من نبيّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُتِل مَعَهُ رِبِّيون كَثِيرٌ﴾.

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿**قُتِل مَعَهُ رِبِّيون كَثِيرٌ**﴾؛ فقرأ ذلك جماعة من قراء الحجاز والبصرة: «قُتِل» بضم القاف، وقرأه جماعة أخرى بفتح القاف وبالألف، وهي قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة. فأما من قرأ ﴿**قَاتَلَ**﴾ فإنه اختار ذلك لأنه قال: لو قتلوا لم يكن لقوله: ﴿**فمَا وهَنُوا**﴾ وجه معروف، لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا. وأما الذين قرؤوا ذلك: «قتل»، فإنهم قالوا: إنما عنى بالقتل النبيّ وبعض من معه من الربيين دون جميعهم، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل.

وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأ بضمّ القاف: «قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» لأن الله عزّ وجلّ إنما عاتبَ بهذه الآية، والآيات التي قبلها من قوله: ﴿**أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّة ولمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِين جاهَدُوا مِنكُمْ**﴾ الذين انهزموا يوم أُحد، وتركوا القتال، أو سمعوا الصائح يصيح: إن محمداً قد قتل، فعذلهم الله عزّ وجلّ على فرارهم وتركهم القتال، فقال: أفَئِنْ مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم، وانقلبتم على أعقابكم؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم من المضيّ على منهاج نبيهم والقتال على دينه أعداء دين الله على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم، ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم! وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأوّل.

وأما «الرِّبِّيُّون»، فإنهم مرفوعون بقوله: «معه»، لا بقوله: «قتل».

وإنما تأويل الكلام: وكائن من نبيّ قتل ومعه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله. وفي الكلام إضمار واو، لأنها واو تدلّ على معنى حال قتل النبيّ ﷺ، غير أنه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها، وذلك كقول القائل في الكلام: قتل الأمير معه جيش عظيم، بمعنى: قتل ومعه جيش عظيم.

وأما الرِّبِّيُّون، فإن أهل العربية اختلفوا في معناه، فقال بعض نحويي البصرة: هم الذين يعبدون الربّ واحدهم رِبّيّ. وقال بعض نحويي الكوفة: لو كانوا منسوبين إلى عبادة الربّ لكانوا

«رَبّيون» بفتح الراء، ولكنه العلماء والألوف، والرِّبِّيُّونَ عندنا: الجماعة الكثيرة، واحدهم رِبِّي، وهم جماعة.

واختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم مثل ما قلنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله: الربيون: الألوف.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن الثوري، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري وابن عيينة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو بن عاصم، عن زر، عن عبد الله، مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف عمن حدثه، عن ابن عباس في قوله: ﴿**رِبِّيُون كَثِيرٌ**﴾ قال: جموع كثيرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ**﴾ قال: جموع.

حدثني حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا شعبة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال: الألوف.

وقال آخرون بما:

حدثني به سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال: علماء كثير.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عن الحسن في قوله: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال: فقهاء علماء.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية. عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: «وكأيِّنْ مِنْ نبيّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال: الجموع الكثيرة. قال يعقوب: وكذلك قرأها إسماعيل: «قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» يقول: جموع كثيرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: «قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال: علماء كثيرة. وقال قتادة: جموع كثيرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة في قوله: ﴿رِبِّيُون كَثِيرٌ﴾ قال: جموع كثيرة.

حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي، قال: ثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: «قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال: جموع كثيرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: «قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» يقول: جموع كثيرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» يقول: جموع كثيرة قتل نبيهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن جعفر بن حبان، والمبارك عن الحسن في قوله: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيّ قاتَل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال جعفر: علماء صبروا. وقال ابن المبارك: أتقياء صبروا.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» يعني الجموع الكثيرة قتل نبيهم.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ﴾** يقول: جموع كثيرة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» قال: وكأين من نبيٍّ أصابه القتل، ومعه جماعات.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِل مَعَهُ رِبِّيُون كَثِيرٌ» الربيون: الجموع الكثيرة.

وقال آخرون: الربيون: الإتباع.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: «وكأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ» قال: الربيون: الأتباع، والربانيون: الولاة، والربِّيون: الرعية. وبهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه، حين صاح الشيطان إن محمداً قد قتل، قال: كانت الهزيمة عند صياحه في سنينة صاح: أيها الناس إن محمداً رسول الله قد قتل، فارجعوا إلى عشائركم يؤمنوكم.

القول في تأويل قوله:

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَما اسْتَكانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

يعني بقوله تعالى ذكره: **﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم. **﴿وَما ضَعُفُوا﴾** يقول: وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم. **﴿وَما اسْتَكانُوا﴾** يعني: وما ذلوا فيتخشعوا لعدوّهم بالدخول في دينهم، ومداهنتهم فيه، خيفة منهم، ولكن مضوا قدماً على بصائرهم ومنهاج نبيهم، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله، واتباعاً لتنزيله ووحيه. **﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾** يقول: والله يحبّ هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته، وطاعة رسوله، في جهاد عدوّه، لا من فشل ففرّ عن عدوّه، ولا من انقلب على عقبيه فذلّ لعدوّه لأن قتل نبيه أو مات، ولا من دخله وهن عن عدوّه وضعف لفقد نبيه.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَما اسْتَكانُوا**﴾ يقول: ما عجزوا، وما تضعضعوا لقتل نبيهم، ﴿**وما اسْتَكَانُوا**﴾ يقول: ما ارتدّوا عن نصرتهم ولا عن دينهم، بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبيّ الله حتى لحقوا بالله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا**﴾ يقول: ما عجزوا، وما ضعفوا لقتل نبيهم، ﴿**وَما اسْتَكانُوا**﴾ يقول: وما ارتدّوا عن نصرتهم، قاتلوا على ما قاتل عليه نبيّ الله ﷺ حتى لحقوا بالله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَمَا وَهَنُوا**﴾: فما وهن الربيون لما أصابهم في سبيل الله، من قتل النبيّ ﷺ؛ ﴿**وما ضَعُفُوا**﴾ يقول: ما ضعفوا في سبيل الله لقتل النبيّ؛ ﴿**وَما اسْتَكانُوا**﴾ يقول: ما ذلوا حين قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَيسَ لَهُمْ أنْ يَعْلُونا»، ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**فَمَا وَهَنُوا**﴾ لفقد نبيهم، ﴿**وَما ضَعُفُوا**﴾ عن عدوهم، ﴿**وَما اسْتَكانُوا**﴾ لما أصابهم في الجهاد عن الله، وعن دينهم، وذلك الصبر ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِين**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿**وَما اسْتَكانُوا**﴾ قال: تخشعوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**وَما اسْتَكانُوا**﴾ قال: ما استكانوا لعدوّهم؛ ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَما كانَ قَوْلَهُمْ**﴾: وما كان قول الربيين. والهاء والميم من

ذكر أسماء الربيين. ﴿إلاَّ أنْ قالُوا﴾ يعني ما كان لهم قول سوى هذا القول إذ قتل نبيهم. وقوله: ﴿رَبَّنا اغْفِرْ لنا ذُنُوبَنا﴾ يقول: لم يعتصموا إذ قتل نبيهم إلا بالصبر على ما أصابهم، ومجاهدة عدوّهم، وبمسألة ربهم المغفرة والنصر على عدوّهم. ومعنى الكلام: ﴿وَما كانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا﴾. وأما الإسراف: فإنه الإفراط في الشيء، يقال منه: أسرف فلان في هذا الأمر إذا تجاوز مقداره فأفرط، ومعناه ههنا: اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها وما أسرفنا فيه منها فتخطينا إلى العظام. وكان معنى الكلام: اغفر لنا ذنوبنا، الصغائر منها والكبائر. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله: ﴿وَإسْرَافَنا في أمْرِنا﴾ قال: خطايانا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإسْرَافَنا في أمْرِنا﴾: خطايانا وظلمنا أنفسنا.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد الله بن سليمان، قال: سمعت الضحاك في قوله: ﴿وَإسْرَافَنا في أمْرِنا﴾ يعني: الخطايا الكبار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تميلة، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، قال: الكبائر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿وَإسْرَافَنا في أمْرِنا﴾ قال: خطايانا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإسْرَافَنا في أمْرِنا﴾ يقول: خطايانا.

وأما قوله: ﴿وَثَبِّتْ أقْدَامَنا﴾ فإنه يقول: اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوّك وقتالهم، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفرّ منهم، ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم. ﴿وَانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ﴾ يقول: وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوّة نبيك. وإنما هذا تأنيب من الله عزّ وجلّ عباده الذين فرّوا عن العدوّ يوم أحد وتركوا قتالهم، وتأديب لهم، يقول الله عزّ وجلّ: هلا فعلتم إذ قيل لكم: قتل نبيكم، كما فعل هؤلاء الربيون، الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء، إذ قتلت أنبياؤهم، فصبرتم لعدوكم صبرهم، ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم، فتحاولوا الارتداد على أعقابكم، كما لم يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوّهم، وسألتم ربكم النصر والظفر

كما سألوا، فينصركم الله عليهم كما نصروا، فإن الله يحبّ من صبر لأمره وعلى جهاد عدوّه، فيعطيه النصر والظفر على عدوّه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَما كانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإسْرَافَنا في أمْرِنا وَثَبِّتْ أقْدَامَنا وَانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ**﴾: أي فقولوا كما قالوا، واعلموا إنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروا كما استغفروا، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين. فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم، فلم يفعلوا كما فعلتم.

والقراءة التي هي القراءة في قوله: ﴿**وَما كانَ قَوْلَهُمْ**﴾ النصب لإجماع قراء الأمصار على ذلك نقلاً مستفيضاً وراثة عن الحجة. وإنما اختير النصب في القول، لأن «إلا أن» لا تكون إلا معرفة، فكانت أولى بأن تكون هي الاسم دون الأسماء التي قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً، ولذلك اختير النصب في كل اسم ولي «كان» إذا كان بعده «أن» الخفيفة، كقوله: ﴿**فَما كانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلاَّ أنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أوْ حَرِّقُوهُ**﴾ وقوله: ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا**﴾. فأما إذا كان الذي يلي كان اسماً معرفة، والذي بعده مثله، فسواء الرفع والنصب في الذي ولي «كان»، فإن جعلت الذي ولي «كان» هو الاسم رفعته ونصبت الذي بعده، وإن جعلت الذي ولي «كان» هو الخبر نصبته ورفعت الذي بعده، وذلك كقوله جلّ ثناؤه: ﴿**ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أساءُوا السُّوأى**﴾ إن جعلت «العاقبة» الاسم رفعتها، وجعلت «السوأى» هي الخبر منصوبة، وإن جعلت «العاقبة» الخبر نصبت، فقلت: وكان عاقبة الذين أساءوا السوأى، وجعلت السوأى هي الاسم، فكانت مرفوعة، وكما قال الشاعر:

لَـقَـدْ عَـلِـمَ الأقْـوَامُ مـا كـانَ دَاءَهـا ... بِثَهْلانَ إلا الخِزْيُ مِمَّنْ يَقُودُها[1]

رُوى أيضاً: «ما كان داؤها بثهلان إلا الخزيَ»، نصباً ورفعاً، على ما قد بينت، ولو فعل مثل ذلك مع «أن» كان جائزاً، غير أن أفصح الكلام ما وصفت عند العرب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)﴾

(١) البيت أورده المؤلف غفلا ولم ينسبه، ويجوز في داءها الرفع والنصب، وكذا فيما بعد إلا، على ما أوضحه المؤلف المحقق.

يعني بذلك تعالى ذكره: فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم، وعلى جهاد عدوّهم، والاستعانة بالله في أمورهم، واقتفائهم مناهج إمامهم، على ما أبلوا في الله ﴿**ثَوَابَ الدُّنْيا**﴾ يعني: جزاء في الدنيا، وذلك النصر على عدوّهم وعدوّ الله، والظفر والفتح عليهم، والتمكين لهم في البلاد؛ ﴿**وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾ يعني: وخير جزاء الآخرة، على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة، وذلك الجنة ونعيمها. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَما كانَ قَوْلَهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾: أي والله لآتاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوّهم في الدنيا، ﴿**وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾ يقول: حسن الثواب في الآخرة: هي الجنة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿**وَما كانَ قَوْلَهُمْ**﴾ ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: ﴿**فآتاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنيا**﴾ قال: النصر والغنيمة، ﴿**وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾ قال: رضوان الله ورحمته.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**فآتاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيا**﴾: حسن الظهور على عدوّهم، ﴿**وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ**﴾: الجنة، وما أعدّ فيها. وقوله: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: فعل الله ذلك بإحسانهم، فإنه يحب المحسنين، وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ﴿**إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾، يعني: الذين جحدوا نبوّة نبيكم محمد ﷺ من اليهود والنصارى، فيما يأمرونكم به، وفيما ينهونكم عنه، فتقبلوا رأيهم في ذلك، وتنتصحوهم فيما تزعمون أنهم لكم فيه ناصحون، ﴿**يَرُدُّوكُمْ على أعْقابِكُمْ**﴾ يقول: يحملوكم على الردّة بعد الإيمان والكفر بالله

وآياته وبرسوله بعد الإسلام، ﴿**فَتَنقَلِبُوا خاسِرِينَ**﴾ يقول: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين، يعني: هالكين، قد خسرتم أنفسكم، وضللتم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم. ينهي بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم، وينتصحوهم في أديانهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ على أعْقابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خاسِرِينَ**﴾: أي عن دينكم: فتذهب دنياكم وآخرتكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ قال ابن جريج: يقول: لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم، ولا تصدّقوهم بشيءٍ في دينكم.

حدثنا محمد قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ على أعْقابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خاسِرِينَ**﴾ يقول: إن تطيعوا أبا سفيان يردّكم كفاراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: أن الله مسدّدكم أيها المؤمنون، فمنقذكم من طاعة الذين كفروا.

وإنما قيل: ﴿**بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ**﴾ لأن قوله: ﴿**إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ على أعْقابِكُمْ**﴾ نهيٌ لهم عن طاعتهم، فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا، فيردّوكم على أعقابكم، ثم ابتدأ الخبر، فقال: ﴿**بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ**﴾ فأطيعوه دون الذين كفروا فهو خير من نصر، ولذلك رفع اسم الله، ولو كان منصوباً على معنى: بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا، كان وجهاً صحيحاً. ويعني بقوله: ﴿**بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ**﴾: وليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا، ﴿**وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرين**﴾ لا من فررتم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله، فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا وإياه فاستنصروا دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ويرصدكم بالمكاره. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ**﴾ إن كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً في قلوبكم، ﴿**وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**﴾: أي فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: سيلقي الله أيها المؤمنون في قلوب الذين كفروا بربهم، وجحدوا نبوّة محمد ﷺ ممن حاربكم بأُحد الرعب، وهو الجزع والهلع بما أشركوا بالله، يعني بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة، وهي السلطان التي أخبر عزّ وجلّ أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم، وهذا وعد من الله جلّ ثناؤه أصحاب رسول الله ﷺ بالنصر على أعدائهم، والفلج عليهم ما استقاموا على عهده، وتمسكوا بطاعته، ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم إليه، فقال جلّ ثناؤه: ﴿**وَمأْوَاهُمُ النَّارُ**﴾ يعني: ومرجعهم الذي يرجعون إليه يوم القيامة النار ﴿**وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾ يقول: وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله النار. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**سَنُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أشْرَكُوا باللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَمأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾ إني سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب الذي به كنت أنصركم عليهم، بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم به حجة، أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر، ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم واتبعتم أمري، للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم، خالفتم بها أمري، وعصيتم فيها نبيّ الله ﷺ.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أُحد متوجهين نحو مكة، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق، ثم إنهم ندموا فقالوا: بئس ما صنعتم، إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشرّيد تركتموهم، ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله عزّ وجلّ في قلوبهم الرعب، فانهزموا، فلقوا أعرابياً، فجعلوا له جُعْلاً، وقالوا له: إن لقيت محمداً فأخبره بما قد جمعنا لهم! فأخبر الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك، فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع إلى النبيّ ﷺ وما قذف في قلبه من الرعب، فقال: ﴿**سَنُلْقِي في قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أشْرَكُوا باللَّهِ**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)﴾

يعني بقوله تعالى ذكره: ولقد صدقكم الله أيها المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ بأُحد وعده الذي وعدهم على لسان رسوله محمد ﷺ. والوعد الذي كان وعدهم على لسانه بأُحد قوله للرماة: «اثْبُتُوا مَكانَكُمْ وَلا تَبْرَحُوا وَإِنْ رأَيْتُمونا قَدْ هَزَمْناهُمْ، فإنَّا لَنْ نَزَالَ غالبينَ ما ثَبَتُّمْ مَكانَكُمْ»، وكان وعدهم رسول الله ﷺ النصر يومئذ إن انتهوا إلى أمره؛ كالذي:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما برز رسول الله ﷺ إلى المشركين بأُحد، أمر الرماة، فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين، وقال: «لا تَبْرَحُوا مَكانَكُمْ إنْ رأَيْتُمونا قَدْ هَزَمْناهُمْ، فإنَّا لَنْ نَزَالَ غالِبِينَ ما ثَبَتُّمْ مَكانَكُمْ» وأمّر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوّات بن جبير، ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال: يا معشر أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟ فقام إليه عليّ بن أبي طالب، فقال: والذي نفسي بيده، لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار، أو يعجلني بسيفك إلى الجنة! فضربه عليّ، فقطع رجله فسقط، فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم! فكبر رسول الله ﷺ. وقال لعليّ أصحابه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه. ثم شدّ الزبير بن العوّام والمقداد بن الأسود على المشركين، فهزماهم، وحمل النبيّ ﷺ وأصحابه، فهزموا أبا سفيان، فلما رأئ ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل، فرمته الرماة، فانقمع؛ فلما نظر الرماة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه، بادروا الغنيمة، فقال بعضهم: لا نترك أمر رسول الله ﷺ. فانطلق عامتهم، فلحقوا بالعسكر؛ فلما رأى خالد قلة الرماة، صاح في خيله، ثم حمل فقتل الرماة، ثم حمل على أصحاب النبيّ ﷺ؛ فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل، تنادوا، فشدّوا على المسلمين، فهزموهم وقتلوهم.

حدثنا هارون بن إسحاق، قال: ثنا مصعب بن المقدام، قال: ثنا إسرائيل، قال: ثنا

أبو إسحاق، عن البراء، قال: لما كان يوم أُحد ولقينا المشركين، أجلس رسول الله ﷺ رجالاً بإزاء الرماة، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوّات بن جبير، وقال لهم: «لا تَبْرَحُوا مَكانَكُمْ! إنْ رأيْتُمونا ظَهَرْنا عَلَيْهِمْ فَلا تَبْرَحُوا، وَإنْ رأيْتُموهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنا فَلا تُعِينُونا» فلما التقى القوم، هُزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن، وبدت خلاخلهن، فجعلوا يقولون: الغنيمة الغنيمة! قال عبد الله: مهلاً، أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله ﷺ؟ فأبوا، فانطلقوا، فلما أتوهم صرف الله وجوههم، فأصيب من المسلمين سبعون قتيلاً.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي أسحاق، عن البراء، بنحوه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، ابن عباس قوله: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُونَهُمْ بإذْنِهِ**﴾ فإن أبا سفيان أقبل في ثلاث ليال خلون من شوّال، حتى نزل أُحداً، وخرج رسول الله ﷺ، فأذن في الناس، فاجتمعوا، وأمّر على الخيل الزبير بن العوّام، ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندي، وأعطى رسول الله ﷺ اللواء رجلاً من قريش يقال له مصعب بن عمير، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحُسَّر، وبعث حمزة بين يديه، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل، فبعث رسول الله ﷺ الزبير، وقال: «اسْتَقْبِلْ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ فَكُنْ بإزَائِهِ حَتّى أوذِنْكَ!» وأمر بخيل أخرى، فكانوا من جانب آخر، فقال: «لا تَبْرَحُوا حتى أوذِنَكُمْ!» وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزّى، فأرسل النبيّ ﷺ إلى الزبير أن يحمل، فحمل على خالد بن الوليد، فهزمه ومن معه، كما قال: ﴿**لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُونَهُمْ بإذْنِهِ حتى إذَا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ في الأمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ**﴾ وإن الله وعد المؤمنين أن ينصرهم، وأنه معهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري، أن محمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا في قصة ذكرها عن أُحد، ذكر أن كلهم قد حدّث ببعضها، وأن حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث، فكان فيما ذكر في ذلك: أن رسول الله ﷺ نزل الشعب من أحد في عُدْوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: «لا تُقَاتِلُوا حَتَّى نَأْمُرَ بالِقتال»، وقد سرحت قريش الظهر والكُراع في زروع كانت بالصَّمْغة من قناة للمسلمين، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال: أتُرْعى

زروع بني قيلة ولما نُضارب! وصفّنا رسول الله ﷺ للقتال، وهو في سبعمائة رجل، وتصافّ قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جَنَبُوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل. وأمَّر رسولُ الله ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف، وهو يومئذ معلم بثياب بيض، والرماة خمسون رجلاً، وقال: «انْضَحْ عَنَّا الخَيْلَ بالنَّبْلِ لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا! إنْ كَانَتْ لنا أو عَلَيْنَا فاثْبُتْ مَكَانَكَ، لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ!» فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، واقتتلوا حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس، وحمزة بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب في رجال من المسلمين، فأنزل الله عزّ وجلّ نصره، وصدقهم وعده، فحسُّوهم بالسيوف حتى كشفوهم، وكانت الهزيمة لا شك فيها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، قال: قال الزبير: والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم[1] هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوازم، ما دون إحداهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأُتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل! فانكفأنا وأنكفأ علينا القوم بعد أن هزمنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو منه أحد من القوم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: أي لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوّكم.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾، وذلك يوم أُحد، قال لهم: «إنَّكُمْ سَتَظْهَرُونَ فَلاَ تَأْخُذُوا ما أَصَبْتُمْ مِنْ غَنائمِهِمْ شَيْئاً حتى تَفْرُغُوا» فتركوا أمر نبيّ الله ﷺ، وعصوا، ووقعوا في الغنائم، ونسوا عهده الذي عهده إليهم، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله ﷺ بما

(١) الخدم: جمع خدمة، وهي الخلخال، وقد تسمى الساق خدمة حملاً على الخلخال، لكونها في موضعها، والجمع: خدم وخدام.

وعدكم من النصر على عدوّكم بأُحد، حين تحسّونهم، يعني: حين تقتلونهم. يقال منه: حَسَّهُ يَحُسُّهُ حَسًّا: إذا قتله. كما:

حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي، قال: ثنا يعقوب بن عيسى، قال: ثني عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن محمد بن عبد العزيز، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف في قوله: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ قال: الحَسُّ: القتل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، قال: سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ قال: القتل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ قال: تقتلونهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ أي قتلاً بإذنه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ يقول: إذ تقتلونهم.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ والحَسُّ القتل.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ يقول: تقتلونهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ بالسيوف: أي بالقتل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ يعني: القتل.

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ يقول: تقتلونهم.

وأما قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ فإنه يعني: بحكمي وقضائي لكم بذلك وتسليطي إياكم عليهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ بإذني وتسليطي أيديكم عليهم، وكفي أيديهم عنكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: حتى إذا جبنتم وضعفتم، ﴿وتَنازَعتمْ في الأَمرِ﴾ بقول: واختلفتم في أمر الله؛ يقول: وعصيتم وخالفتم بنيكم، فتركتم أمره، وما عهد إليكم. وإنما يعني بذلك الرماة الذين كان أمرهم ﷺ بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب بأُحد، بإزاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبلُ أمرهم.

وأما قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ فإنه يعني بذلك: من بعد الذي أراكم الله أيها المؤمنون بمحمد من النصر والظفر بالمشركين، وذلك هو الهزيمة التي كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التي كان رسول الله ﷺ أقعدهم فيها، وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم.

وبنحو الذي قلنا تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل، وقد مضى ذكر بعض من قال، وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أي اختلفتم في الأمر، ﴿وعصيتمْ مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ وذاكم يوم أُحد، عهد إليهم نبيّ الله ﷺ وأمرهم بأمر، فنسوا العهد وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبيّ الله ﷺ، فانصرف عليهم عدوّهم بعد ما أراهم من عدوّهم ما يحبون.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ بعث ناساً من الناس ـ يعني: يوم أُحد ـ فكانوا من ورائهم، فقال رسول الله ﷺ: «كُونُوا هَهُنا فَرُدُّوا وَجْهَ مَنْ قَدِمَنا، وكُونُوا حَرَساً لَنا مِنْ قِبَلِ ظُهُورِنا» وأن رسول الله ﷺ لما هزم القوم هو وأصحابه، اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم، فقال بعضهم

لبعض لما رأوا النساء مصعدات في الجبل، ورأوا الغنائم، قالوا: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ فأدركوا الغنيمة قبل أن تسبقوا إليها! وقالت طائفة أخرى: بل نطيع رسول الله ﷺ فنثبت مكاننا. فذلك قوله: ﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا﴾ للذين أرادوا الغنيمة، ﴿وِمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ للذين قالوا: نطيع رسول الله ﷺ ونثبت مكاننا. فأتوا محمداً ﷺ، فكان فشلاً حين تنازعوا بينهم؛ يقول: ﴿وَعَصَيتُمْ مِنْ بَعْد مَا أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ يقول: جبنتم عن عدوّكم، ﴿وَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ يقول: اختلفتم وعصيتم، ﴿مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ وذلك يوم أحد، قال لهم: «إنّكم سَتَظْهَرُونَ فلا أعرِفنَّ ما أصَبْتُم مِنْ غَنائمهم شَيْئاً حتى تفرَغُوا»، فتركوا أمر نبيّ الله ﷺ وعصوا، ووقعوا في الغنائم، ونسوا عهده الذي عهده إليهم، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به، فانصرف عليهم عدوّهم من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ قال ابن جريج: قال ابن عباس: الفشل: الجبن.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ من الفتح.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: أي تخاذلتم، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أي اختلفتم في أمري، ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾: أي تركتم أمر نبيكم ﷺ وما عهد إليكم، يعني: الرماة. ﴿مِنْ بَعْد ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ أي الفتح لا شكّ فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن المبارك، عن الحسن: ﴿مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ يعني: من الفتح.

وقيل: معنى قوله: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِن بَعْد ما أَرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون أنه من المقدّم الذي معناه التأخير، وإن الواو دخلت في ذلك، ومعناها: السقوط كما قلنا في: ﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنادَيْناهُ﴾ معناه: ناديناه، وهذا مقول في «حتى إذا» وفي «فلما أنْ»، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ﴾ ثم قال: ﴿وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ﴾ ومعناه: اقترب، وكما قال الشاعر:

حتى إذَا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ ... وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا[(١)]
وَقَلَبْتُمْ ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا ... إنَّ اللَّئِيمَ العَاجِزُ الخَبُّ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾: الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله ﷺ في الشعب من أحد لخيل المشركين، ولحقوا بمعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين ﴿وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ يعني بذلك: الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله ﷺ، واتبعوا أمره، محافظة على عهد رسول الله ﷺ، وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم، والدار الآخرة. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة، هم أصحاب الدنيا والذين بقوا، وقالوا: لا نخالف قول رسول الله ﷺ أرادوا الآخرة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس مثله.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ فإن نبيّ الله ﷺ أمر يوم أُحد طائفة من المسلمين، فقال: «كُونُوا مَسْلَحَةً للنَّاسِ» بمنزلة أمرهم أن يثبتوا بها، وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم، فلما لقي نبيّ الله ﷺ يوم أُحد أبا سفيان ومن معه من المشركين، هزمهم نبيّ الله ﷺ: فلما رأى المسلحةُ أن الله عزّ وجلّ هزم المشركين، انطلق بعضهم وهم يتنادون: الغنيمة الغنيمة لا تفتكم! وثبت بعضهم مكانهم، وقالوا: لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبيّ الله ﷺ. ففي ذلك نزل: ﴿مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ فكان ابن مسعود يقول: ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ كان يريد الدنيا وعَرَضها حتى كان يوم أحد.

---

(١) البيتان في «**اللسان**» غير منسوبين إلى قائلهما (قمل) قال: وقمل القوم: كثروا، قال... البيتين. الواو في: وقلبتم زائدة، وهو جواب إذا، كما قال المؤلف. وقملت بطونكم: كثرة قبائلكم، بهذا فسره أبو العالية. وقمل الرجل: سمن بعد هزال.
وكلام المؤلف في الآية من أول قوله حتى إلى آخر البيتين من كتاب «**معاني القرآن**» للفراء، كما في (ص ـ ٧٢) من مصورة الجامعة رقم (٢٤٠٥٩).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة: أدركوا الناس ونبيّ الله ﷺ لا يسبقوكم إلى الغنائم فتكون لهم دونكم! وقال بعضهم: لا نريم حتى يأذن لنا النبيّ ﷺ، فنزلت: **﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾** قال ابن جريج: قال ابن مسعود: ما علمنا أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن المبارك، عن الحسن: **﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا﴾** هؤلاء الذين يحوزون الغنائم، **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾** الذين يتبعونهم يقتلونهم.

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزيّ، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ عن عبد خير، قال: قال عبد الله: ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا، حتى نزل فينا يوم أُحد: **﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾**.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن عبد خير، قال: قال ابن مسعود: ما كنت أظن أن من أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ أحداً يريد الدنيا حتى قال الله ما قال.

حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا في الغنائم: ما كنت أحسب أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان اليوم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: كان ابن مسعود يقول: ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ كان يريد الدنيا وَعَرَضها حتى كان يومئذٍ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق **﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا﴾** أي الذين أرادوا النهب رغبة في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة، **﴿وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾**: أي الذين جاهدوا في الله لم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة في رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في الآخرة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم، وفي أنفسكم من هزيمتكم إياهم، وظهوركم عليهم، فردّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولي، ومخالفتكم طاعته، وإيثاركم الدنيا على الآخرة، عقوبة لكم على ما فعلتم، ليبتليكم، يقول: ليختبركم، فيتميز المنافق منكم من المخلص، الصادق في إيمانه منكم. كما:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنهُمْ لِيَبْتَليكُمْ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن في قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنهُمْ﴾ قال: صرف القوم عنهم، فقتل من المسلمين بعدّة من أسروا يوم بدر، وقتل عم رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وشجّ في وجهه، وكان يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى رَبِّهِمْ؟»؛ فنزلت: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيْءٌ﴾... **الآية، فقالوا: أليس كان رسول الله ﷺ وعدنا النصر؟ فأنزل الله عزّ وجلّ:** ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنهُمْ لِيَبْتَلِيكُمْ وَلَقدْ عَفا عَنكُمْ﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنهُمْ لِيَبْتَلِيكُمْ﴾: أي صرفكم عنهم ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ عَفا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ على المُؤمِنين﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ عَفا عَنكُمْ﴾: ولقد عفا الله أيها المخالفون أمر رسول الله ﷺ، والتاركون طاعته، فيما تقدم إليكم من لزوم الموضع الذي أمركم بلزومه عنكم، فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم، وصرف وجوهكم عنهم إذ لم يستأصل جمعكم. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَقَد عَفا عَنكُمْ﴾ قال: قال الحسن وصفق بيديه: وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون، وقتل عمّ رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وشجّ في وجهه؟ قال: ثم يقول: قال الله عزّ وجلّ: قد عفوت عنكم إذ عصيتموني أن لا أكون استأصلتكم. قال: ثم يقول الحسن:

هؤلاء مع رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله غضاب لله، يقاتلون أعداء الله، نهوا عن شيء فصنعوه، فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغمّ، فأفسق الفاسقين اليوم يتجرأ على كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويسحب عليها ثيابه، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ**﴾ قال: لم يستأصلكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ**﴾: ولقد عفا الله عن عظيم ذلك لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم، ولكن عُدْت بفضلي عليكم.

وأما قوله: ﴿**وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ على المُؤْمِنِينَ**﴾ فإنه يعني: والله ذو طول على أهل الإيمان به وبرسوله بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم، فإن عاقبهم على بعض ذلك، فذو إحسان إليهم بجميل أياديه عندهم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ على المُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: وكذلك منّ الله على المؤمنين أن عاقبهم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم، لما أصابوا من معصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم لما فيهم من الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون إذ لم يستأصلكم، إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم، وهربكم؛ ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ ولا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ**﴾.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصري: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ**﴾ بضمّ التاء وكسر العين، وبه القراءة عندنا لإجماع الحجة من القراء على القراءة به، واستنكارهم ما خالفه. ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه: «إِذْ تَصْعَدُونَ» بفتح التاء والعين.

حدثني بذلك أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن يونس بن عبيد، عن الحسن.

فأما الذين قرؤوا: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ بضم التاء وكسر العين، فإنهم وجهوا معنى ذلك إلى أن القوم حين انهزموا عن عدوّهم أخذوا في الوادي هاربين. وذكروا أن ذلك في قراءة أبيّ: «إذْ تُصْعِدون في الوادي».

حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا أبو عبيد، قال: ثنا حجاج، عن هارون.

قالوا: الهرب في مستوى الأرض، وبطون الأودية والشعاب، إصعاد لا صعود، قالوا وإنما يكون الصعود على الجبال والسلاليم والدَّرَج، لأن معنى الصعود: الارتقاء والارتفاع على الشيء علوًا. قالوا: فأما الأخذ في مستوى الأرض الهبوط، فإنما هو إصعاد، كما يقال: أصعدنا من مكة، إذا ابتدأت في السفر منها والخروج، وأصعدنا من الكوفة إلى خراسان، بمعنى خرجنا منها سفراً إليها، وابتدأنا منها الخروج إليها. قالوا: وإنما جاء تأويل أكثر أهل التأويل بأن القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوّهم في بطن الوادي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلا تَلْوُونَ على أحَدٍ﴾ ذاكم يوم أُحد أصعدوا في الوادي فراراً، ونبيّ الله ﷺ يدعوهم في أخراهم، قال: «إليّ عِبادَ اللّهِ، إليّ عبادَ اللّهِ».

وأما الحسن فإني أراه ذهب في قراءته: «إذْ تَصْعَدُونَ» بفتح التاء والعين إلى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صَعِدوا الجبل. وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما شدّ المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم، دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة، فقاموا عليها، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس: «إليّ عِبَادَ اللّهِ، إليّ عِبادَ اللّهِ!» فذكر الله صعودهم على الجبل، ثم ذكر دعاء نبيّ الله ﷺ إياهم، فقال: ﴿إذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ على أحَدٍ والرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُمْ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد، قال: انحازوا إلى النبيّ ﷺ، فجعلوا يصعدون في الجبل، والرسول يدعوهم في أخراهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ﴿**إِذْ تُصْعدُونَ وَلا تَلْوُونَ على أحَد**﴾ قال: صعدوا في أُحد فراراً.

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ**﴾ بضم التاء وكسر العين، بمعنى السبق والهرب في مستوى الأرض، أو في المهابط، لإجماع الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة. ففي إجماعها على ذلك الدليل الواضح على أن أولى التأويلين بالآية تأويل من قال: أصعدوا في الوادي، ومضوا فيه، دون قول من قال: صعدوا على الجبل.

وأما قوله: ﴿**وَلا تَلْوُونَ على أحَدٍ**﴾ فإنه يعني: ولا تعطفون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً من عدوّكم مصعدين في الوادي. ويعني بقوله: ﴿**وَالرَّسُولُ يَدعُوكُمْ فِي أُخرَاكُمْ**﴾: ورسول الله ﷺ يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه في أخراكم، يعني أنه يناديكم من خلفكم: «إليَّ عِبادَ اللَّهِ، إليَّ عِبادَ اللَّه!». كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخرَاكُمْ**﴾: إليّ عباد الله ارْجِعُوا، إليَّ عِبَاد اللّهِ ارْجِعُوا!.

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخرَاكُمْ**﴾: رأوا نبيّ الله ﷺ يدعوهم: إليّ عباد الله!

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: أنّبهم الله بالفرار عن نبيهم ﷺ، وهو يدعوهم لا يعطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ على أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخرَاكُمْ**﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ في أُخرَاكُمْ**﴾ هذا يوم أُحد حين انكشف الناس عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمّ﴾ يعني: فجازاكم بفراركم عن نبيكم، وفشلكم عن عدوّكم، ومعصيتكم ربكم غماً بغمّ، يقول: غمًّا على غمّ. وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوّهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثواباً، إذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم، فدلّ بذلك جلّ ثناؤه أن كل عوض كالمعوّض من شيء من العمل، خيراً كان أو شرّاً، أو العوض الذي بذله رجل لرجل أو يد سلفت له إليه، فإنه مستحقّ اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة، ونظير ذلك قول الشاعر:

أخَـافُ زِيـاداً أنْ يَـكُـونَ عَـطـاؤُهُ أداهِـمَ سُـوداً أوْ مُـحَـدْرَجَـةً سُـمْـرا[١]

فجعل العطاء العقوبة، وذلك كقول القائل لآخر سلف إليه منه مكروه: لأجازينك على فعلك، ولأثيبنك ثوابك.

وأما قوله: ﴿غَمًّا بِغَمّ﴾ فإنه قيل: غماً بغمّ، معناه: غماً على غم، كما قيل: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ بمعنى: ولأصلبنكم على جذوع النخل. وإنما جاز ذلك، لأن معنى قول القائل: أثابك الله غماً على غمّ: جزاك الله غماً بعد غمّ تقدّمه، فكان كذلك معنى: فأثابكم غماً بغمّ، لأن معناه: فجزاكم الله غماً بعقب غمّ تقدّمه، وهو نظير قول القائل: نزلت ببني فلان، ونزلت على بني فلان، وضربته بالسيف، وعلى السيف.

واختلف أهل التأويل في الغمّ الذي أثيب القوم على الغمّ، وما كان غمهم الأوّل والثاني، فقال بعضهم: أما الغمّ الأوّل، فكان ما تحدّث به القوم أن نبيهم ﷺ قد قُتِل. وأما الغمّ الآخر، فإنه كان ما نالهم من القتل والجراح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فأثابَكُمْ غَمًّا بِغَمّ﴾ كانوا تحدثوا يومئذٍ أن نبيّ الله ﷺ أصيب، وكان الغمّ الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي أصابتهم؛ قال: وذكر لنا أنه قتل يومئذٍ سبعون رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ستة وستون

---

(١) البيت في «اللسان» (حدرج) ونسبه إلى الفرزدق. قال: يعني بالأداهم: القيود. وبالمحدرجة: السياط. وسوط محدرج: مغار شديد القتل. وفي ديوانه طبعة الصاوي (١/ ٢٢٧): «فلما خشيت أن يكون... الخ» والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (ص - ٧٢).

رجلاً من الأنصار، وأربعة من المهاجرين. وقوله: ﴿لِكَيْلا تَحزَنُوا على ما فاتَكُمْ﴾ يقول: ما فاتكم من غنيمة القوم، ولا ما أصابكم في أنفسكم من القتل والجراحات.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿فَأثابَكُمْ غَمًّا بِغَمّ﴾ قال: فرّة بعد فرّة، الأولى: حين سمعوا الصوت أن محمداً قد قُتِل؛ والثانية: حين رجع الكفار فضربوهم مدبرين، حتى قتلوا منهم سبعين رجلاً، ثم انحازوا إلى النبيّ ﷺ، فجعلوا يصعدون في الجبل، والرسول يدعوهم في أخراهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، نحوه.

وقال آخرون: بل غمهم الأول كان قتل من قُتل منهم، وجرح من جُرح منهم؛ والغمّ الثاني: كان من سماعهم صوت القائل: قُتل محمد ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسين بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿غَمًّا بِغَمّ﴾ قال: الغمّ الأول: الجراح والقتل؛ والغمّ الثاني: حين سمعوا أن نبيّ الله ﷺ قد قُتل. فأنساهم الغمّ الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة، وذلك حين يقول: ﴿لِكَيْلا تَحزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أصَابَكُمْ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿فَأثابَكُمْ غَمًّا بِغَمّ﴾ قال: الغمّ الأوّل: الجراح والقتل؛ والغمّ الآخر: حين سمعوا أن رسول الله ﷺ قد قتل. فأنساهم الغمّ الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل، وما كانوا يرجون من الغنيمة، وذلك حين يقول الله: ﴿لِكَيْلا تَحزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أصَابَكُمْ﴾.

وقال آخرون: بل الغمّ الأوّل ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة؛ والثاني إشراف أبي سفيان عليهم في الشعب. وذلك أن أبا سفيان فيما زعم بعض أهل السير لما أصاب من المسلمين ما أصاب، وهرب المسلمون، جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله ﷺ في شعب أُحد الذي كانوا ولوا إليه عند الهزيمة، فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه. ذكر الخبر بذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: انطلق رسول الله ﷺ يومئذٍ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رأوه، وضع رجل سهماً في قوسه، فأراد أن يرميه، فقال: «أنا رَسُولُ اللّهِ» ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ حياً، وفرح رسول الله حين رأى أن في أصحابه من يمتنع. فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ حين ذهب عنهم الحزن، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا. فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم؛ فلما نظروا إليه، نسوا ذلك الذي كانوا عليه، وهمّهم أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ لَهُمْ أنْ يَعْلُونا، اللَّهُمَّ إنْ تُقْتَلْ هَذِهِ العِصَابَةُ لا تُعْبَدْ» ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم، فقال أبو سفيان يومئذٍ: اعل هبل! حنظلة بحنظلة، ويوم بيوم بدر. وقتلوا يومئذٍ حنظلة بن الراهب وكان جنباً فغسلته الملائكة، وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتل يوم بدر؛ قال أبو سفيان: لنا العزّى، ولا عزّى لكم، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «قُلِ اللّهُ مَوْلانا وَلا مَوْلى لَكُمْ». فقال أبو سفيان: فيكم محمد؟ قالوا: نعم، قال: أما إنها قد كانت فيكم مثلة، ما أمرت بها، ولا نهيت عنها، ولا سرّتني، ولا ساءتني. فذكر الله إشراف أبي سفيان عليهم، فقال: ﴿**فَأثابَكُمْ غَمًّا بِغَمّ لِكَيلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أصَابَكُمْ**﴾ الغمّ الأوّل: ما فاتهم من الغنيمة والفتح؛ والغمّ الثاني: إشراف العدوّ عليهم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة، ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون، فشغلهم أبو سفيان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني ابن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديث أُحد، قالوا: كان المسلمون في ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدّة البلاء أثلاثاً: ثلث قتيل، وثلث جريح، وثلث منهزم، وقد بلغته الحرب حتى ما يدري ما يصنع، وحتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ فدُثّ[1] بالحجارة حتى وقع لشقه، وأصيبت رباعيته، وشُجّ في وجهه، وكلمت شفته، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص. وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل، وكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمداً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فكان أوّل من عرف

(١) دث بالحجارة، مبنياً للمفعول: رمى بها.

رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله ﷺ. كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثنا ابن شهاب الزهري كعب بن مالك أخو بني سلمة، قال: عرفت عينيه تزهران[1] تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ! فأشار إليّ رسول الله أن أنصت. فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض نحو الشعب معه عليّ بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام، والحارث بن الصامت في رهط من المسلمين. قال: فبينا رسول الله ﷺ في الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه، إذ علت عالية من قريش الجبل، فقال رسول الله ﷺ «اللَّهُمَّ إنَّهُ لا يَنْبَغِي لَهُمْ أن يَعْلُونا» فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين، حتى أهبطوهم عن الجبل. ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وكان رسول الله ﷺ قد بدّن، فظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض، فلم يستطع، جلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض حتى استوى عليها ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت فعالِ، إن الحربٓ سجال، يوم بيوم بدر، أعل هبل! أي أظْهِرْ دينك. فقال رسول الله ﷺ لعمر: «قُمْ فأجِبْهُ فَقُلْ: اللَّهُ أعْلَى وأجَلُّ، لا سَوَاءٌ، قَتْلانا في الجَنَّةِ، وقَتْلاكُمْ فِي النَّارِ» فلما أجاب عمر رضي الله عنه أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هلمّ إليّ يا عمر! فقال له رسول الله ﷺ: «ائْتِهِ فانْظُرْ ما شأنُهُ!» فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهمّ لا، وإنه ليسمع كلامك الآن. فقال: أنا أصدق عندي من ابن قميئة، وأشار لقول ابن قميئة لهم: إني قتلت محمداً. ثم نادى أبو سفيان، فقال: إنه قد كان في قتلاكم مثله، والله ما رضيت، ولا سخطت، ولا نهيت، ولا أمرت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق: **﴿فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيلا تَحزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ﴾**: أي كرباً بعد كرب قتلُ من قُتل من إخوانكم، وعلوّ عدوّكم عليكم، وما وقع في أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غماً بغم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوّكم بعد أن رأيتموه بأعينكم، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم؛ حتى فرّجت بذلك الكرب عنكم، والله خبير بما تعلمون. وكان الذي فرّج عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذي أصابهم أن الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ حيّاً بين أظهرهم، هان عليهم ما فاتهم من

(١) تزهران: تلمعان لبياضهما. انظر «اللسان».

القوم، فهان الظهور عليهم والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صرف الله القتل عن نبيهم ﷺ.

حدثنا قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ**﴾ قال ابن جريج: قال مجاهد: أصاب الناس حزن وغمّ على ما أصابهم في أصحابهم الذين قتلوا، فلما تولجوا في الشعب يتصافون وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب، فظنّ المؤمنون أنهم سوف يميلون عليهم فيقتلونهم أيضاً، فأصابهم حزن في ذلك أيضاً أنساهم حزنهم في أصحابهم، فذلك قوله: ﴿**فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ**﴾ قال ابن جريج: قوله: ﴿**على ما فاتَكُمْ**﴾ يقول: على ما فاتكم من غنائم القوم ﴿**ولا مَا أَصَابَكُمْ**﴾ في أنفسكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الله بن كثير، عن عبيد بن عمير، قال: جاء أبو سفيان بن حرب، ومن معه، حتى وقف بالشعب، ثم نادى: أفي القوم ابن أبي كبشة[1]؟ فسكتوا، فقال أبو سفيان: قتل وربّ الكعبة، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فسكتوا، فقال: قتل وربّ الكعبة! ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطاب؟ فسكتوا، فقال: قتل وربّ الكعبة! ثم قال أبو سفيان: اعل هبل، يوم بيوم بدر، وحنظلة بحنظلة، وأنتم واجدون في القوم مُثلاً لم يكن عن رأي سَراتنا وخيارنا، ولم نكرهه حين رأيناه! فقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب: «قُمْ فَنادِ فَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَى وأَجَلُّ، نعم هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا؛ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار».

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني به محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ على أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**﴾ فرجعوا فقالوا: والله لنأتينهم، ثم لنقتلنهم، قد خرجوا منا[2]، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْلاً فَإِنَّمَا أَصَابَكُمْ الَّذِي أَصَابَكُمْ مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ عَصَيْتُمُونِي». فبينما هم كذلك، إذ أتاهم القوم، قد أنسوا، وقد اخترطوا سيوفهم، فكان غمّ الهزيمة وغمهم حين أتوهم؛ ﴿**لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ**﴾

(١) يريد النبي ﷺ. وأبو كبشة: رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأصنام. لعبد الشعري شهوا، النبي به مخالفة قومه في الدين (التاج).

(٢) قوله «قد خرجوا منا» سقطت هذه الجملة من رواية «الدر المنثور»، وهي أوضح.

من القتل ﴿وَلا ما أَصابَكُمْ﴾ من الجراحة ﴿فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا﴾... الآية، وهو يوم أُحد.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: معنى قوله: ﴿فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين، والظفر بهم، والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم ربكم، وخلافكم أمر نبيكم ﷺ، غمّ ظنكم أن نبيكم ﷺ قد قتل، وميل العدوّ عليكم بعد فلولكم منهم.

والذي يدلّ على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه، قوله: ﴿لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ﴾ والفائت لا شك أنه هو ما كانوا رجوا الوصول إليه من غيرهم، إما من ظهور عليهم بغلبهم، وإما من غنيمة يحتازونها، وأن قوله: ﴿وَلا ما أَصابَكُمْ﴾ هو ما أصابهم إما في أبدانهم، وإما في إخوانهم. فإن كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الغمّ الثاني هو معنى غير هذين، لأن الله عزّ وجلّ أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ، أنه ثابهم غماً بغمّ، لئلا يحزنهم ما نالهم من الغمّ الناشىء عما فاتهم من غيرهم، ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم، وهو الغمّ الأول على ما قد بيناه قبل.

وأما قوله: ﴿ لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ﴾ فإن تأويله على ما قد بينت من أنه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم تدركوه مما كنتم ترجون إدراكه من عدوّكم بالظفر عليهم والظهور وحيازة غنائمهم، ولا ما أصابكم في أنفسكم من جرح من جُرح وقَتل من قُتل من إخوانكم.

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل على السبيل التي اختلفوا فيه، كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ﴾ قال: على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون، ﴿وَلا ما أَصابَكُمْ﴾ من الهزيمة.

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فإنه يعني جلّ ثناؤه: والله بالذي تعلمون ـ أيها المؤمنون من إصعادكم في الوادي هرباً من عدوكم، وانهزامكم منهم، وترككم نبيكم وهو يدعوكم في أخراكم، وحزنكم على ما فاتكم من عدوّكم، وما أصابكم في أنفسهم ـ ذو خبرة وعلم، وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، أو يعفو عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغمّ الذي أثابكم ربكم بعد غمّ تقدمه قبله أمنة، وهي الأمان على أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك. ثم بين جلّ ثناؤه عن الأمنة التي أنزلها عليهم ما هي؟ فقال: نعاساً، بنصب النعاس على الإبدال من الأمنة.

ثم اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿يَغْشَى﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء: ﴿يَغْشَى﴾. وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث: ﴿تَغْشَى﴾ بالتاء. وذهب الذين قرؤوا ذلك بالتذكير إلى أن النعاس هو الذي يغشى الطائفة من المؤمنين دون الأمنة، فذكره بتذكير النعاس. وذهب الذين قرؤوا ذلك بالتأنيث إلى أن الأمنة هي التي تغشاهم، فأنثوه لتأنيث الأمنة.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراء الأمصار غير مختلفتين في معنى ولا غيره، لأن الأمنة في هذا الموضع هي النعاس، والنعاس: هو الأمنة. وسواء ذلك، وبأيتهما قرأ القارىء فهو مصيب الحقّ في قراءته، وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طعَامُ الأثِيمِ كالمُهْلِ تَغْلي في البُطُونِ﴾ و ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِي تُمْنَى﴾ ﴿وَهُزّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ﴾.

فإن قال قائل: وما كان السبب الذي من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عزّ وجلّ فيما افترقتا فيه من صفتهما، فآمنت إحداهما بنفسها حتى نعست، وأهمت الأخرى نفسها حتى ظنت بالله غير الحقّ ظنّ الجاهلية؟ قيل: كان سبب ذلك فيما ذكر لنا، كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط، عن السدي: أن المشركين انصرفوا يوم أُحد بعد الذي كان من أمرهم وأمر المسلمين، فواعدوا النبيّ ﷺ بدراً من قابل، فقال لهم: «نعم» فتخوّف المسلمون أن ينزلوا المدينة، فبعث رسول الله ﷺ

رجلاً، فقال: «انْظُر فإنْ رأيتهم قَعدُوا على أثْقَالهم وجَنَبُوا خُيولَهُمْ، فإنَّ القَوْمَ ذَاهِبُونَ، وإنْ رأَيْتُهمْ قد قعدوا على خيولهم وجَنَبُوا على أثقالهم، فإنَّ القَوْم يَنْزِلُونَ المَدِينَةَ، فاتَّقُوا الله واصْبِرُوا!» ووطنهم على القتال؛ فلما أبصرهم الرسول تعدوا على الأثقال سراعاً عجالاً، نادى بأعلى صوته بذهابهم؛ فلما رأى المؤمنون ذلك صدّقوا نبيّ الله ﷺ، فناموا، وبقي أناس من المنافقين يظنون أن القوم يأتونهم، فقال الله جلّ وعزّ يذكر حين أخبرهم النبي ﷺ إن كانوا ركبوا الأثقال فإنهم منطلقون فناموا: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمّ أمَنَةً نُعاساً يَغْشَى طائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ويَظُنُّونَ باللَّهِ غيرَ الحَقّ ظَنَّ الجاهِلِيَّة﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: أمنهم يومئذ بنعاس غشاهم، وإنما ينعس من يأمن؛ **﴿يَغْشَى طائِفَةً مِنْكُمْ وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُم يَظُنُّونَ باللَّهِ غير ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾**.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن حميد، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة، قال: كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أُحد أمنة، حتى سقط من يدي مراراً.

قال أبو جعفر: يعني: سوطه، أو سيفه.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي طلحة، قال: رفعت رأسي يوم أُحد، فجعلت ما أرى أحداً من القوم إلا تحت حجفته يميد من النعاس.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران، عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة قال: كنت فيمن صبّ عليه النعاس يوم أحد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ثنا أنس بن مالك، عن أبي طلحة: أنه كان يومئذٍ ممن غشيه النعاس، قال: كان السيف يسقط من يدي ثم آخذه من النعاس.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ذكر لنا والله أعلم عن أنس أن أبا طلحة حدثهم أنه كان يومئذٍ ممن غشيه النعاس، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه ويسقط، والطائفة الأخرى: المنافقون، ليس لهم همة إلا أنفسهم **﴿يَظُنُّونَ باللَّهِ غيرَ الحَقّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾**... الآية كلها.

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، قال: ثنا ضرار بن صرد، قال: ثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عبد العزيز، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، عن أبيه قال: سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً﴾** قال: ألقي علينا النوم يوم أحد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً﴾**... الآية، وذاكم يوم أحد، كانوا يومئذٍ فريقين؛ فأما المؤمنون فغشاهم الله النعاس أمنة منه ورحمة.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، نحوه.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: **﴿أَمَنَةً نُعاساً﴾** قال: ألقي عليهم النعاس، فكان ذلك أمنة لهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، قال: قال عبد الله: النعاس في القتال أمنة، والنعاس في الصلاة من الشيطان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً﴾** قال: أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به، فهم نيام لا يخافون.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: **﴿أَمَنَةً نُعاساً﴾** قال: ألقى الله عليهم النعاس، فكان أمنة لهم. وذكر أن أبا طلحة قال: ألقي عليّ النعاس يومئذٍ، فكنت أنعس حتى يسقط سيفي من يدي.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا إسحاق بن إدريس، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا ثابت، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة، وهشام بن عروة بن الزبير أنهما قالا: لقد رفعنا رؤوسنا يوم أحد، فجعلنا ننظر، فما منهم من أحد إلا وهو يميل بجنب حجفته قال: وتلا هذه الآية: **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً﴾**.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ باللَّهِ غيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهمتهم أنفسهم، يقول: هم المنافقون

لا همّ لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل، قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظنّ الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكاً في أمر الله، وتكذيباً لنبيه ﷺ، وَمَحْسَبَةً منهم أن الله خاذل نبيه، ومعل عليه أهل الكفر به، يقولون: هل لنا من الأمر شيء. كالذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: والطائفة الأخرى: المنافقون، ليس لهم همّ إلا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق، يظنون بالله غير الحق ظنوناً كاذبة، إنما هم أهل شكّ وريبة في أمر الله، يقولون: **﴿لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هَهُنا قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبرزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمْ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِم﴾**.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: والطائفة الأخرى: المنافقون ليس لهم همة إلا أنفسهم، يظنون بالله غير الحق ظنّ الجاهلية، يقولون: **﴿لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هَهُنا﴾** قال الله عزّ وجلّ: **﴿قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِمْ﴾**... الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾** قال: أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوّف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفسُهُمْ﴾** إلى آخر الآية، قال: هؤلاء المنافقون.

وأما قوله: ﴿ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ﴾ فإنه يعني أهل الشرك. كالذي:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿ظَنَّ الجاهِلِيَّة﴾** قال: ظنّ أهل الشرك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: **﴿ظَنَّ الجاهِلِيَّة﴾** قال: ظنّ أهل الشرك.

وفي رفع قوله: **﴿وَطائِفَةٌ﴾** وجهان: أحدهما أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: **﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾**، والآخر بقوله: **﴿يَظُنُّونَ باللَّهِ غيرَ الحَقّ﴾** ولو كانت منصوبة كان جائزاً، وكانت الواو في قوله: **﴿وطائفةٌ﴾** ظرفاً للفعل، بمعنى: وأهمت طائفة أنفسهم، كما قال: **﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ في أَنفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنَا هَهُنا﴾:

يعني بذلك: الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم، يقولون: ليس لنا من الأمر من شيء، قل إن الأمر كله لله، ولو كان لنا من الأمر شيء ما خرجنا لقتال من قاتلنا فقتلونا. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قيل لعبد الله بن أبيّ: قتل بنو الخزرج اليوم! قال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ قل إن الأمر كله لله.

وهذا أمر مبتدأ من الله عزّ وجلّ، يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين إن الأمر كله لله، يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحبّ، ثم عاد إلى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين، فقال: **﴿يُخفُونَ في أَنفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ﴾** يقول: يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم في أنفسهم من الكفر والشكّ في الله ما لا يبدون لك، ثم أظهر نبيه ﷺ على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم، والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد، فقال مخبراً عن قيلهم الكفر، وإعلانهم النفاق بينهم، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا، يعني بذلك أن هؤلاء المنافقين يقولون: لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا، ما خرجنا إليهم، ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قُتلوا فيه بأُحد. وذكر أن ممن قال هذا القول معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف. ذكر الخبر بذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، قال: والله إني لأسمع قول معتب بن قشير أخي بني عمرو بن عوف، والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم حين قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا.

حدثني سعيد بن يحيى بن الأموي، قال: ثني أبي، عن ابن إسحاق، قال: ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، بمثله.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق: **﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ﴾** بنصب الكلّ على وجه النعت للأمر والصفة له. وقرأه بعض قراء أهل البصرة: **﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾** برفع الكلّ على توجيه الكلّ إلى أنه اسم، وقوله «لله» خبره، كقول القائل: إن الأمر بعضه

لعبد الله. وقد يجوز أن يكون الكلّ في قراءة من قرأه بالنصب منصوباً على البدل. والقراءة التي هي القراءة عندنا النصب في الكلّ لإجماع أكثر القراء عليه، من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ في معنى أو عربية. ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراء، لكانت سواء عندي القراءة بأيّ ذلك قرىء لاتفاق معاني ذلك بأي وجهيه قرىء.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾:

يعني بذلك جلّ ثناؤه: قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين: لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم، وتكتمونه من شرككم في دينكم، لبرز الذين كتب عليهم القتل، يقول: لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم، ويخرج من بيته إليه، حتى يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه.

وأما قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ﴾: فإنه يعني به: وليبتلي الله ما في صدوركم أيها المنافقون كنتم تبرزون من بيوتكم إلى مضاجعكم. ويعني بقوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ ما فِي صُدُورِكُم﴾: وليختبر الله الذي في صدوركم من الشكّ، فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم من المؤمنين.

وقد دللنا فيما مضى على أن معاني نظائر قوله: ﴿لِيَبْتَلَيَ اللّهُ﴾ ﴿ولِيَعْلَمَ اللّهُ﴾ وما أشبه ذلك، وإن كان في ظاهر الكلام مضافاً إلى الله الوصف به، فمراد به أولياؤه وأهل طاعته؛ وأن معنى ذلك: وليختبر أولياء الله، وأهل طاعته، الذي في صدوركم من الشكّ والمرض، فيعرفوكم من أهل الإخلاص واليقين. ﴿وليُمَحِّصَ ما في قُلُوبِكُمْ﴾ يقول: وليتبينوا ما في قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين من العداوة أو الولاية. ﴿وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول: والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشرّ وإيمان وكفر، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، سرائرها وعلانيتها، وهو لجميع ذلك حافظ، حتى يجازي جميعم جزاءهم على قدر استحقاقهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن إسحاق يقول.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة. عن ابن إسحاق، قال: ذكر الله تلاومهم، يعني:

تلاوم المنافقين وحسرتهم على ما أصابهم. ثم قال لنبيه ﷺ: قل لو كنتم في بيوتكم لم تحضروا هذا الموضع الذي أظهر الله جلّ ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم، لأخرج الذي كتب عليهم القتل إلى موطن غيره يصرعون فيه، حتى يبتلي به ما في صدوركم؛ وليمحص ما في قلوبكم، والله عليم بذات الصدور، أي لا يخفي عليه شيء مما في صدورهم مما استخفوا به منكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا الحرث بن مسلم، عن بحر السقاء، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: سئل عن قوله: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**﴾ قال: كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله، وليس كل من يقاتل يقتل، ولكن يقتل من كتب الله عليه القتل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: إن الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد وانهزموا عنهم، وقوله: ﴿**تَوَلَّوْا**﴾: تفَعّلوا، من قولهم: ولّى فلان ظهره. وقوله: ﴿**يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾ يعني: يوم التقى جمع المشركين والمسلمين بأحد، ﴿**إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ**﴾: أي إنما دعاهم إلى الزلة الشيطان. وقوله استزلّ: استفعل، من الزلة، والزلة: هي الخطيئة. ﴿**بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا**﴾ يعني: ببعض ما عملوا من الذنوب. ﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾ يقول: ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه. ﴿**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**﴾ يعني به: مغطٌ على ذنوب من آمن به واتبع رسوله بعفوه عن عقوبته إياهم عليها. ﴿**حَلِيمٌ**﴾ يعني: أنه ذو أناة، لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة.

ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عنوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها كلّ من ولى الدبر عن المشركين بأُحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، قال: ثنا عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: خطب عمر يوم الجمعة، فقرأ آل عمران، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها، فلما

انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ﴾ قال: لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أرْوَى، والناس يقولون: قتل محمد! فقلت: لا أجد أحداً يقول قتل محمد إلا قتلته. حتى اجتمعنا على الجبل، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ﴾... الآية كلها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ﴾... الآية، وذلك يوم أُحد، ناس من أصحاب رسول الله ﷺ تولوا عن القتال وعن نبيّ الله يومئذٍ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه، فأنزل الله عزّ وجلّ ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك، وعفا عنهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ﴾... الآية، فذكر نحو قول قتادة.

وقال آخرون: بل عني بذلك خاصّ ممن ولى الدبر يومئذٍ، قالوا: وإنما عنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما انهزوا يومئذٍ تفرّق عن رسول الله ﷺ أصحابه، فدخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة، فقاموا عليها، فذكر الله عزّ وجلّ الذين انهزموا، فدخلوا المدينة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ﴾... الآية.

وقال آخرون: بل نزل ذلك في رجال بأعيانهم معروفين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عكرمة، قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ﴾ قال: نزلت في رافع بن المعلى وغيره من الأنصار وأبي حذيفة بن عتبة، ورجل آخر. قال ابن جريج: وقوله: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إذ لم يعاقبهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فرّ عثمان بن عفان، وعقبة بن عثمان، وسعد بن عثمان ـ رجلان من الأنصار ـ حتى بلغوا الجَلْعَب، جبل بناحية المدينة

مما يلي الأعوص. فأقاموا به ثلاثاً، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «لقد ذَهَبْتُمْ فيها عَرِيضَةً».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا**﴾... الآية، والذين استزلهم الشيطان: عثمان بن عفان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان الأنصاريان، ثم الزُّرَقِيان[1].

وأما قوله: ﴿**ولَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ**﴾ فإن معناه: ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان، أن يعاقبهم، بتوليهم عن عدوّهم. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قوله: ﴿**وَلَقَدْ عَفا اللّهُ عَنْهُمْ**﴾ يقول: ولقد عفا الله عنهم إذ لم يعاقبهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله في توليهم يوم أُحد: ﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ**﴾ فلا أدري أذلك العفو عن تلك العصابة، أم عفو عن المسلمين كلهم.

وقد بينا تأويل قوله: ﴿**إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ فيما مضى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، وأقرّوا بما جاء به محمد من عند الله، لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله، فجحد نبوّة محمد ﷺ، وقال لإخوانه من أهل الكفر ﴿**إذا ضَرَبُوا في الأَرْضِ**﴾ فخرجوا من بلادهم سفراً في تجارة، ﴿**أو كانُوا غُزًى**﴾ يقول: أو كان خروجهم من بلادهم غزاة، فهلكوا فماتوا في سفرهم، أو قتلوا في غزوهم، ﴿**لو كَانُوا عِنْدَنَا ما مَاتُوا وما قُتِلُوا**﴾ يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار، أنهم يقولون لمن غزا منهم فقتل أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله أو تجارة: لو لم يكونوا خرجوا من عندنا، وكانوا أقاموا في بلادهم ما

(١) منسوبان إلى بني زريق وهم خلق من الأنصار، والنسبة إليهم: زرقي، كجهني (تاج العروس).

ماتوا وما قتلوا. ﴿**لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ**﴾ يعني: أنهم يقولون ذلك، كي يجعل الله قولهم ذلك حزناً في قلوبهم وغمًّا، ويجهلون أن ذلك إلى الله جلّ ثناؤه وبيده. وقد قيل: إن الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله، هم عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول وأصحابه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمنوا لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لإخوَانِهِمْ**﴾... الآية. قال: هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبيّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَقالُوا لإخوَانِهِمْ إذَا ضَرَبُوا فِي الأرْضِ أوْ كانُوا غُزّى**﴾ قول المنافق عبد الله بن أبيّ ابن سَلُول.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون في ذلك: هم جميع المنافقين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد. قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنوا لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لإخوَانِهِمْ**﴾... الآية: أي لا تكونوا كالمنافقين الذي ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضرب في الأرض في طاعة الله، وطاعة رسوله، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا: لو أطاعونا ما ماتوا، وما قتلوا.

وأما قوله: ﴿**إذَا ضَرَبُوا في الأرْضِ**﴾ فإنه اختُلِف في تأويله، فقال بعضهم: هو السفر في التجارة، والسير في الأرض لطلب المعيشة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**إذَا ضَرَبُوا في الأرضِ**﴾ وهي التجارة.

وقال آخرون: بل هو السير في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ**﴾: الضرب في الأرض في طاعة الله وطاعة رسوله.

وأصل الضرب في الأرض: الإبعاد فيها سيراً. وأما قوله: ﴿**أَوْ كَانُوا غُزًّى**﴾ فإنه يعني: أو كانوا غُزاة في سبيل الله. والغُزّى: جمع غاز، جمع على فُعَّل كما يجمع شاهد: شُهَّد، وقائل: قُوَّل. وقد ينشد بيت رؤبة:

فَالْيَوْمَ قَدْ نَهْنَهَنِي تَنَهْنُهِي   وأَوْلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسَفَّهِ
وَقُوَّلٌ إِلاَّ دَهِ فَلاَ دَهِ(١)

وينشد أيضاً:

وقَولُهُمْ إِلاَّ دَهِ فَلاَ دَهِ

وإنما قيل: ﴿**لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وقالُوا لإخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى**﴾ بإصحاب ماضي الفعل الحرف الذي لا يصحب مع الماضي منه إلا المستقبل، فقيل: وقالوا لإخوانهم ثم قيل: إذا ضربوا. وإنما يقال في الكلام: أكرمتك إذ زرتني، ولا يقال: أكرمتك إذا زرتني، لأن القول الذي في قوله: ﴿**وَقالُوا لإخْوَانِهِمْ**﴾ وإن كان في لفظ الماضي فإنه بمعنى المستقبل، وذلك أن العرب تذهب بالذين مذهب الجزاء، وتعاملها في ذلك معاملة «مَنْ» و «ما»، لتقارب معاني ذلك في كثير من الأشياء، وإن جمعهن أشياء مجهولات غير مؤقتات توقيت عمرو وزيد. فلما كان ذلك كذلك، وكان صحيحاً في الكلام فصيحاً أن يقال للرجال: أكرم من أكرمك، وأكرم كل رجل أكرمك، فيكون الكلام خارجاً بلفظ الماضي مع مَن وكل مجهول، ومعناه الاستقبال، إذ كان الموصوف بالفعل غير موقت، وكان «الذين» في قوله: ﴿**لا تَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لإخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ**﴾ غير موقتين، أجريت مجرى «من» و «ما» في ترجمتها التي تذهب مذهب الجزاء وإخراج صلاتها بألفاظ الماضي من الأفعال وهي بمعنى الاستقبال، كما قال الشاعر في «ما»:

---

(١) الأبيات في ديوان رؤبة طبع ليبسج (٢/ ١٦٦) وفي «**اللسان**» (دهده) الأول والثالث منها. قال: وقولهم: إلا ده فلا ده، معناه: إن لم يكن هذا الأمر الآن، فلا يكون بعد الآن، ولا يدري ما أصله؟ قال الجوهري: وإني لأظنها فارية؛ يقول: إن لم تضربه الآن فلا تضربه أبداً، والقول جمع قائل، مثل راكع وركع. وفي حديث الكاهن إلا ده فلا ده (بإسكان الهاء فيهما) هذا مثل من أمثال العرب قديم، معناه: إن لم تنله الآن لم تنله أبداً. وقيل أصله فارسي معرب، أي إن لم تعط الآن لم تعط أبداً. وأول الحلم: رجوعه.

وإنـي لآتِـيـكُـمْ تَـشَـكُّـرَ مـا مَـضَـى ... من الأمْرِ وَاسْتيجابَ ما كان في غَدِ[١]

فقال: ما كان في غد، وهو يريد: ما يكون في غد، ولو كان أراد الماضي لقال: ما كان في أمس، ولم يجز له أن يقول: ما كان في غد. ولو كان الذي موقتاً، لم يجز أن يقال: ذلك خطأ أن يقال لك: من هذا الذي أكرمك إذا زرته؟ لأن الذي ههنا موقت، فقد خرج من معنى الجزاء، ولو لم يكن في الكلام هذا، لكان جائزاً فصيحاً، لأن الذي يصير حينئذٍ مجهولاً غير موقت، ومن ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فردّ «يصدون» على «كفروا»، لأن «الذين» غير موقتة، فقوله: ﴿كَفَرُوا﴾ وإن كان في لفظ ماض، فمعناه الاستقبال، وكذلك قوله: ﴿إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعِمل صَالِحاً﴾، وقوله: ﴿إلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ قَبْلِ أنْ تَقْدِرُوا عَلَيهِمْ﴾ معناه: إلا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم، وإلا من يتوب ويؤمن، ونظائر ذلك في القرآن والكلام كثير؛ والعلة في كل ذلك واحدة. وأما قوله: ﴿لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ﴾ فإنه يعني بذلك: حزناً في قلوبهم. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ قال: يحزنهم قولهم لا ينفعهم شيئاً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لقلة اليقين بربهم جلّ ثناؤه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يُحْيِي ويُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿واللّهُ يُحْيي ويُمِيتُ﴾: والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء، والمميت من يشاء كلما شاء دون غيره من سائر خلقه. وهذا من الله عزّ وجلّ ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوّه، والصبر على قتالهم، وإخراج هيبتهم من صدورهم، وإن قلّ عددهم، وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله، وإعلام منه لهم أن الإماتة والإحياء بيده، وأنه لن يموت أحد ولا يقتل إلا بعد فناء أجله الذي كتب له، ونهي منه لهم إذ كان كذلك أن يجزعوا لموت من مات منهم

(١) البيت في «اللسان» (شكر) أنشده أبو علي (ولعله الفارسي). قال: أي لتشكر ما مضى، وأراد ما يكون في غد، فوضع الماضي (ما كان) موضع الآتي، كما قال المؤلف. ورواية «اللسان» «في الغد» في مكان «في غد».
وأنشده الفراء في «معاني القرآن» (ص ـ ٨٣) من مصورة جامعة القاهرة رقم (٢٤٠٥٩)، وعنه أخذه المؤلف.

أو قتل من قُتل منهم في حرب المشركين. ثم قال جلّ ثناؤه: ﴿**وَاللّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ يقول: إن الله يرى ما تعملون من خير وشرّ، فاتقوه أيها المؤمنون، فإنه محص ذلك كله، حتى يجازي كل عامل بعمله على قدر استحقاقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال ابن إسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَاللّهُ يُحيِي ويُمِيتُ**﴾: أي يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

يخاطب جلّ ثناؤه عباده المؤمنين يقول لهم: لا تكونوا أيها المؤمنون في شكّ من أن الأمور كلها بيد الله، وأن إليه الإحياء والإماتة، كما شكّ المنافقون في ذلك، ولكن جاهدوا في سبيل الله، وقاتلوا أعداء الله على يقين منكم بأنه لا يقتل في حرب، ولا يموت في سفر إلا من بلغ أجله وحانت وفاته. ثم وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمة، وأخبرهم أن موتاً في سبيل الله وقتلاً في الله خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغيد عيشها الذي من أجله يتثاقلون عن الجهاد في سبيل الله ويتأخرون عن لقاء العدوّ. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَلَئِن قُتِلْتُم فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَحمَةٌ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ**﴾: أي إن الموت كائن لا بد منه، فموت في سبيل الله أو قتل خير لو علموا فأيقنوا مما يجمعون في الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد، تخوّفاً من الموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا وزهادة في الآخرة.

وإنما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**لَمَغفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَحمَةٌ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ**﴾ وابتدأ الكلام: «ولئن متم أو قتلتم» بحذف جزاء «لئن» لأن في قوله: ﴿**لَمَغفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَحمَةٌ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ**﴾ معنى جواز للجزاء، وذلك أنه وعد خرج مخرج الخبر.

فتأويل الكلام: ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم، ليغفرنّ الله لكم وليرحمنكم، فدلّ على ذلك بقوله: ﴿**لَمَغفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَحمَةٌ خَيرٌ مِمَّا يَجمَعُونَ**﴾ وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا، وما يجمعون فيها.

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنه إن قيل: كيف يكون: ﴿لَمَغفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ جواباً لقوله: ﴿وَلَئِن قُتِلتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أوْ مُتُّمْ﴾ فإن القول فيه أن يقال فيه[1]: كأنه قال: ولئن متم أو قتلتم، فذكر لهم رحمة من الله ومغفرة، إذ كان ذلك في السبيل، فقال: ﴿لَمَغفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ يقول: لذلك ﴿خَيرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ﴾ يعني لتلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون. ودخلت اللام في قوله: ﴿لَمَغفِرَةٌ مِنَ اللّهِ﴾ لدخولها في قوله: «ولئن»، كما قيل: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنّ الأدْبارَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولئن متم أو قتلتم أيها المؤمنون، فإن إلى الله مرجعكم ومحشركم، فيجازيكم بأعمالكم، فآثِروا ما يقرّبكم من الله، ويوجب لكم رضاه، ويقرّبكم من الجنة، من الجهاد في سبيل الله، والعمل بطاعته على الركون إلى الدنيا، وما تجمعون فيها من حطامها الذي هو غير باق لكم، بل هو زائل عنكم، وعلى ترك طاعة الله والجهاد، فإن ذلك يبعدكم عن ربكم، ويوجب لكم سخطه، ويقرّبكم من النار.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال ابن إسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أوْ قُتِلْتُمْ﴾ أيّ ذلك كان، ﴿لإلِى اللّهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي أن إلى الله المرجع، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا، ولا تغترّوا بها، وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه منه آثر عندكم منها.

وأدخلت اللام في قوله: ﴿لإلِى اللّهِ تُحْشَرُونَ﴾ لدخولها في قوله «ولئن»، ولو كانت اللام مؤخرة، إلى قوله: «تحشرون»، لأحدثت النون الثقيلة فيه، كما تقول في الكلام: لئن أحسنت إليّ لأحسننّ إليك، بنون مثقلة، فكان كذلك قوله: «ولئن متم أو قتلتم لتحشرنّ إلى الله»، ولكن لما حيز بين اللام وبين تحشرون بالصفة أدخلت في الصفة، وسلمت «تحشرون»، فلم تدخلها النون الثقيلة، كما تقول في الكلام: لئن أحسنت إليّ لإليك أحسن، بغير نون مثقلة.

---

(١) قوله أن يقال فيه... إلى آخر العبارة، كذا في الأصول.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ﴾: فبرحمة من الله و «ما» صلة، وقد بينت وجه دخولها في الكلام في قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يستحيي أنْ يَضرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَها﴾ والعرب تجعل «ما» صلة في المعرفة والنكرة، كما قال: ﴿فبِمَا نقضِهِمْ ميثاقهُمْ﴾ والمعنى: فبنقضهم ميثاقهم. وهذا في المعرفة، وقال في النكرة: ﴿عمَّا قليلٍ ليُصبحنَّ نادمينَ﴾ والمعنى: عن قليل. وربما جعلت اسماً وهي في مذهب صلة، فيرفع ما بعدها أحياناً على وجه الصلة، ويخفض على إتباع الصلة ما قبلها، كما قال الشاعر:[(١)]

فكَفَى بِنَا فَضْلاً على مَنْ غيرِنا ... حُبُّ النَّبِيِّ محَمَّدٍ إيَّانا[(٢)]

إذا جعل غير صلة رفعت بإضمار هو، وإن خفضت أتبعت من فأعربته، فذلك حكمة على ما وصفنا مع النكرات، فأما إذا كانت الصلة معرفة، كان الفصيح من الكلام الإتباع، كما قيل: ﴿فبما نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ﴾ والرفع جائز في العربية[(٣)].

وبنحو ما قلنا في قوله: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ يقول: فبرحمة من الله لنت لهم.

---

(١) المراد بالصلة: حرف الجر، وهو اصطلاح نحويي الكوفة، ويميل إليهم المؤلف، لأنه كان معجباً بالفراء من أئمتهم.

(٢) هذا البيت من شواهد النحويين «**الخزانة**» (٢/ ٥٤٥) وهو شاهد على أن (من) نكرة موصوفة بمفرد، وهو قوله (غيرنا) وقد تكون موصولة حذف صدر صلتها. وجعل المؤلف (ما) نظيرة (من) في البيت من بعض الوجوه واستشهد به الفراء في «**معاني القرآن**» (ص ـ ٧٤) من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٧٥ واقتبس المؤلف كلامه. وقائله: حسان، أو كعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة.

(٣) عبارة الفراء في «**معاني القرآن**»: فإذا كانت الصلة معرفة آثروا الرفع، من ذلك: «فبما نقضهم» لم يقرأه أحد برفع ولم تسمعه. ولو قيل جاز.

وأما قوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فإنه يعني بالفظّ: الجافي، وبالغليظ القلب: القاسي القلب غير ذي رحمة ولا رأفة، وكذلك صفته ﷺ، كما وصفه الله: ﴿بالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

فتأويل الكلام: فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك، لنت لهم لتبّاعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه، وأغضبت عن كثير ممن لو جفوت به، وأغلظت عليه، لتركك ففارقك، ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: إي والله، لطهره الله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريباً رحيماً بالمؤمنين رؤوفاً. وذكر لنا أن نعت محمد ﷺ في التوراة: «ليس بفظّ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح».

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق في قوله: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ قال: ذكر لينه لهم، وصبره عليهم لضعفهم، وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه في كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم.

وأما قوله: ﴿لانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فإنه يعني: لتفرّقوا عنك. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: قوله: ﴿لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ قال: انصرفوا عنك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿لا نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي لتركوك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللّهِ إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فاعْفُ عَنْهُمْ﴾: فتجاوز يا محمد عن تباعك وأصحابك من

المؤمنين بك، وبما جئت به من عندي، ما نالك من أذاهم، ومكروه في نفسك. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم، واستحقوا عليه عقوبة منه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿فاعْفُ عَنهُمْ﴾: أي فتجاوز عنهم، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوب من قارف من أهل الإيمان منهم.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله أمر تعالى ذكره نبيه ﷺ أن يشاورهم، وما المعنى الذي أمره أن يشاورهم فيه؟ فقال بعضهم: أمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ﴾ بمشاورة أصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدوّ، تطييباً منه بذلك أنفسهم، وتألفاً لهم على دينهم، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله عزّ وجلّ قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللّهِ إنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في الأمور، وهو يأتيه وحي السماء، لأنه أطيب لأنفس القوم، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً، وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ﴾ قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في الأمور، وهو يأتيه الوحي من السماء لأنه أطيب لأنفسهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ﴾: أي لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وإن كنت عنهم غنياً، تؤلفهم بذلك على دينهم.

وقال آخرون: بل أمره بذلك في ذلك، وإن كان له الرأي وأصوب الأمور في التدبير، لما علم في المشورة تعالى ذكره من الفضل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك بن مزاحم، قوله: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ﴾ قال: ما أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن إياس بن دغفل، عن الحسن: ما شاور قوم قط، إلا هدوا لأرشد أمورهم.

وقال آخرون: إنما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره بمشاورتهم فيه، مع إغنائه بتقويمه إياه، وتدبيره أسبابه عن آرائهم، ليتبعه المؤمنون من بعده، فيما حزبهم من أمر دينهم، ويستنوا بسنته في ذلك، ويحتذوا المثال الذي رأوه يفعله في حياته من مشاورته في أموره مع المنزلة التي هو بها من الله أصحابه وتباعه في الأمر، ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم، فيتشاوروا بينهم، ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملؤهم؛ لأن المؤمنين إذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحقّ في ذلك، لم يخلهم الله عزّ وجلّ من لطفه، وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه. قالوا: وذلك نظير قوله عزّ وجل الذي مدح به أهل الإيمان: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري، قال: قال سفيان بن عيينة في قوله: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ قال: هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبيّ ﷺ فيه أثر.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله عزّ وجلّ أمر نبيه ﷺ وسلم بمشاورة أصحابه، فيما حزبه من أمر عدوّه ومكايد حربه، تألفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان، وتعريفاً منه أمته ما في الأمور التي تحزبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعله. فأما النبيّ ﷺ، فإن الله كان يعرّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صواب ذلك. وأما أمته، فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادق وتأخ للحقّ وإرادة جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حيد عن هدى؛ فالله مسدّدهم وموفقهم.

وأما قوله: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللَّهِ**﴾ فإنه يعني: فإذا صحّ عزمك بتثبيتنا إياك وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها، وتوكل فيما تأتي من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك، فثق به في كل ذلك، وارض بقضائه في جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم، فإن الله يحبّ المتوكلين، وهم الراضون بقضائه، والمستسلمون لحكمه فيهم، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللَّهِ إِنَّ**

اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ﴾ فإذا عزمت: أي على أمر جاءك مني، أو أمر من دينك في جهاد عدوّك، لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك، فامض على ما أمرت به، على خلاف من خالفك، وموافقة من وافقك، وتوكل على الله: أي ارض به من العباد، إن الله يحبّ المتوكلين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللّهِ﴾** أمر الله نبيه ﷺ، إذا عزم على أمر أن يمضي فيه، ويستقيم على أمر الله، ويتوكل على الله.

حُدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: **﴿فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللّهِ﴾**... الآية، أمره الله إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: إن ينصركم الله أيها المؤمنون بالله ورسوله، على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه، والكافرين به، فلا غالب لكم من الناس، يقول: فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد، ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه، فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم، وكثرة عددهم، ما كنتم على أمره، واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله، فإن الغلبة لكم والظفر دونهم. **﴿وَإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾** يعني: إن يخذلكم ربكم، بخلافكم أمره، وترككم طاعته وطاعة رسوله، فيكلكم إلى أنفسكم، فمن ذا الذي ينصركم من بعده، يقول: فأيسوا من نصرة الناس، فإنكم لا تجدوّن أمراً من بعد خذلان الله إياكم أن خذلكم، يقول: فلا تتركوا أمري، وطاعتي وطاعة رسولي، فتهلكوا بخذلاني إياكم. **﴿وَعَلى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾** يعني: ولكن على ربكم أيها المؤمنون فتوكلوا دون سائر خلقه، وبه فارضوا من جميع من دونه، ولقضائه فاستسلموا، وجاهدوا فيه أعداءه، يكفكم بعونه، ويمددكم بنصره. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿إنْ يَنْصُرْكُمُ اللّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعلى اللّهِ فَلْيَتَوكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾**: أي إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس، لن يضرّك خذلان من خذلك، وإن يخذلك، فلن ينصرك الناس، فمن الذي ينصركم من بعده: أي لا تترك أمري للناس، وارفُضْ [أمر] الناس لأمري **﴿وَعَلى اللّهِ﴾** [لا على الناس] **﴿فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾** بمعنى: أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم. واحتجّ بعض قارئي هذه القراءة، أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، في قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر، فقال بعض من كان مع النبيّ ﷺ: لعلّ رسول الله ﷺ أخذها. ورووا في ذلك روايات. فمنها ما:

حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد بن زياد، قال: ثنا خصيف، قال: ثنا مقسم، قال: ثني ابن عباس، أن هذه الآية: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾** نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، قال: فقال بعض الناس: أخذها! قال: فأكثروا في ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ﴾**.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا خصيف، قال: سألت سعيد بن جبير: كيف تقرأ هذه الآية: **﴿وَما كان لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾** أو يُغَلّ؟ قال: لا، بل يَغُلّ، فقد كان النبيّ واللّه يُغَلّ ويُقتل.

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: ثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن مقسم، عن ابن عباس: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أن يَغُلَّ﴾** قال: كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر، فقال من أصحاب النبي ﷺ: فلعلّ النبيّ أخذها، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾** قال سعيد: بل والله إن النبيّ لَيُغَل ويُقتل.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خلاد، عن زهير، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت قطيفة فقدت يوم بدر، فقالوا: أخذها رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾**.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا زهير، قال: ثنا خصيف، عن سعيد بن جبير وعكرمة، في قوله: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾** قالا: يَغُلّ، قال: قال عكرمة أو غيره، عن ابن عباس، قال: كانت قطيفة فقدت يوم بدر، فقالوا: أخذها رسول الله ﷺ، قال: فأنزل الله هذه الآية: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾**.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا قزعة بن سويد الباهلي، عن حميد

الأعرج، عن سعيد بن جبير، قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة.

حدثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: ثنا معتمر، عن أبيه، عن سليمان الأعمش، قال: كان ابن مسعود يقرأ: ﴿مَا كانَ لِنَبِيّ أنْ يُغَلَّ﴾ فقال ابن عباس: بلى، ويُقتل. قال: فذكر ابن عباس أنه إنما كانت في قطيفة، قالوا: إن رسول الله ﷺ، غلَّها يوم بدر، فأنزل الله: ﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾.

وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضمّ الغين: إنما نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله ﷺ وجههم في وجه، ثم غنم النبيّ ﷺ، فلم يقسم للطلائع، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية على نبيه ﷺ، يعلمه فيها أن فعله الذي فعله خطأ، وأن الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم، ويعرّفه الواجب عليه من الحكم فيما أفاء الله عليه من الغنائم، وأنه ليس له أن يخصّ بشيء منها أحداً ممن شهد الوقعة أو ممن كان ردءاً لهم في غزوهم دون أحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القيامَةِ﴾ يقول: ما كان للنبيّ أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم، ولكن يقسم بالعدل، ويأخذ فيه بأمر الله، ويحكم فيه بما أنزل الله. يقول: ما كان الله ليجعل نبياً يغلّ من أصحابه، فإذا فعل ذلك النبيّ ﷺ، استنّوا به.

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، أنه كان يقرأ: ﴿ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾ قال: أن يعطي بعضاً، ويترك بعضاً، إذا أصاب مغنماً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك، قال: بعث رسول الله ﷺ طلائع، فغنم النبيّ ﷺ، فلم يقسم للطلائع، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك: ﴿ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾ يقول: ما كان لنبيّ أن يقسم لطائفة من أصحابه، ويترك طائفة، ولكن يعدل، ويأخذ في ذلك بأمر الله عزّ وجلّ، ويحكم فيه بما أنزل الله.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلّ**﴾ قال: ما كان له إذا أصاب مغنماً أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضاً، ولكن يقسم بينهم بالسوية.

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الياء وضمّ الغين: إنما أنزل ذلك تعريفاً للناس أن النبيّ ﷺ، لا يكتم من وحي الله شيئاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلّ يَوْمَ القِيامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾: أي ما كان لنبيّ أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة، ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة.

فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك: ما ينبغي لنبيّ أن يكون غالاً، بمعنى: أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أممهم. يقال منه: غلّ الرجل فهو يغلّ، إذا خان، غلولاً، ويقال أيضاً منه: أغلّ الرجل فهو يُغِلُّ إغلالاً، كما قال شريح: ليس على المستعير غير المغلّ ضمان، يعني: غير الخائن؛ ويقال منه: أغلّ الجازر: إذا سرق من اللحم شيئاً مع الجلد.

وبما قلنا في ذلك جاء تأويل أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلّ**﴾ يقول: ما كان ينبغي له أن يخون، فكما لا ينبغي له أن يخون فلا تخونوا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلّ**﴾ قال: أن يخون.

وقرأ ذلك آخرون: «ما كانَ لِنَبِيّ أنْ يُغَلّ» بضم الياء وفتح الغين، وهي قراءة عُظْم قراء أهل المدينة والكوفة.

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما كان لنبيّ أن يغله أصحابه. ثم أسقط الأصحاب، فبقي الفعل غير مسمى فاعله؛ وتأويله: وما كان لنبيّ أن يخان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عن الحسن أنه كان يقرأ: «وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يُغَلَّ» قال عوف: قال الحسن: أن يُخان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يُغَلَّ» يقول: وما كان لنبيّ أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين، ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبيّ ﷺ يوم بدر، وقد غلّ طوائف من أصحابه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: «وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يُغَلَّ» قال: أن يغله أصحابه.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: «وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يُغَلَّ» قال الربيع بن أنس، يقول: ما كان لنبيّ أن يغله أصحابه الذين معه، قال: ذكر لنا ـ والله أعلم ـ أن هذه الآية أنزلت على نبيّ الله ﷺ يوم بدر، وقد غلّ طوائف من أصحابه.

وقال آخرون منهم: معنى ذلك: وما كان لنبيّ أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق. وكأن متأوّلي ذلك كذلك وجهوا قوله: «وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يُغَلَّ» إلى أنه مراد به يخلَّل، ثم خففت العين من يُفَعَّل فصارت يفعل، كما قرأ من قرأ قوله: «فإنَّهُمْ لا يُكْذِبُونك» بتأوّل يُكَذِّبُونك.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ: ﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾ بمعنى: ما الغلول من صفات الأنبياء، ولا يكون نبيا من غلّ. وإنما اخترنا ذلك، لأن الله عزّ وجلّ أوعد عقيب قوله: ﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾ أهل الغلول، فقال: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ﴾... الآية، والتي بعدها، فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول، الدليل الواضح على أنه إنما نهى بذلك عن الغلول، وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله: ﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ﴾ لأنه لو كان إنما نهى بذلك أصحاب رسول الله ﷺ أن يتهموا رسول الله ﷺ بالغلول، لعقب ذلك بالوعيد على التهمة، وسوء الظنّ برسول الله ﷺ، لا بالوعيد على الغلول، وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين، أنه إنما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الأنبياء وأخلاقهم، لأن ذلك جرم عظيم، والأنبياء لا تأتي مثله.

فإن قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك: فأولى منه[1]: وَما كان لنبيّ أن يخونه أصحابه إن ذلك

(١) قوله «فأولى منه». لعله فأوله: وما كان.... الخ.

كما ذكرت، ولم يعقب الله قوله: ﴿وما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ﴾ إلا بالوعيد على الغلول، ولكنه إنما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ: «يُغَلَّ» بضم الياء وفتح الغين، لأن معنى ذلك: وما كان للنبيّ أن يغله أصحابه، فيخونوه في الغنائم؛ قيل له: أفكان لهم أن يغلوا غير النبيّ ﷺ فيخونوه، حتى خصوا بالنهي عن خيانة النبيّ ﷺ، فإن قالوا: نعم، خرجوا من قول أهل الإسلام، لأن الله لم يبح خيانة أحد في قول أحد من أهل الإسلام قط.

وإن قال قائل: لم يكن ذلك لهم في نبيّ ولا غيره؟ قيل: فما وجه خصوصهم إذاً بالنهي عن خيانة النبيّ ﷺ وغلوله وغلول بعض اليهود، بمنزلة فيما حرّم الله على الغالّ من أموالهما، وما يلزم المؤتمن من أداء الأمانة إليهما. وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا من أن الله عزّ وجلّ نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه، ناهياً بذلك عباده عن الغلول، وآمراً لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم، كما قال ابن عباس في الرواية التي ذكرناها من رواية عطية[(١)]، ثم عقب تعالى ذكره نهيهم عن الغلول بالوعيد عليه، فقال: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ﴾. . . الآيتين معاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: ومن يخن من غنائم المسلمين شيئاً، وفيئهم، وغير ذلك، يأت به يوم القيامة في المحشر. كما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن يحيى بن سعيد أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: أنه قام خطيباً، فوعظ وذكر، ثم قال: «ألا عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجيءُ يَوْمَ القِيامَةِ على رَقَبَتِهِ شاةٌ لَهَا ثُغاءٌ، يَقُولُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثْنِي، فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ شَيْئاً، قَدْ أبْلَغْتُكَ ألا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجيءُ يَوْمَ القِيامَةِ على رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهَا حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثْنِي، فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أبْلَغْتُكَ. ألا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجيءُ يَوْمَ القِيامَةِ على رَقَبَتِهِ صَامِت، فَيَقُولُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثْنِي، فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أبْلَغْتُكَ. ألا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجيءُ يَوْمَ القِيامَةِ على رَقَبَتِهِ بَقَرَةٌ لَهَا خُوارٌ، يَقُولُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثْنِي فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أبْلَغْتُكَ ألا هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ يَجيءُ يَوْمَ القِيامَةِ على رَقَبَتِهِ رِقاعٌ تَخْفِقُ، يَقُولُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثْنِي، فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أبْلَغْتُكَ».

---

(١) قوله من رواية عطية: لم يتقدم ذكر هذا الراوي.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحمن، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، مثل هذا، زاد فيه: «على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغاءٌ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ على رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِياحٌ».

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أبو حيان، عن أبي زرعة، عن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة، قال: قام رسول الله ﷺ فينا يوماً، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، فقال: «لا أُلْفِينَّ أحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ القِيامَةِ على رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ له رُغاءٌ، يَقُولُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثْنِي» ثم ذكر نحو حديث أبي كريب، عن عبد الرحمن.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حفص بن بشر، عن يعقوب القمي، قال: ثنا حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أعْرِفَنَّ أحَدَكُمْ يَأتي يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلَ شاةً لَهَا ثُغاءٌ، يُنادِي: يا مُحَمَّدُ يا مُحَمَّدُ! فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً قَدْ بَلَّغْتُكَ وَلا أعْرِفَنَّ أحَدَكُمْ يَأتي يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُ جَمَلاً لَهُ رُغاءٌ، يَقُولُ: يا مُحَمَّدُ يا مُحَمَّدُ! فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً قَدْ بَلَّغْتُكَ وَلا أعْرِفَنَّ أحَدَكُمْ يَأتي يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُ فَرَساً لَهُ حَمْحَمَةٌ، يُنادِي: يا مُحَمَّدُ يا مُحَمَّدُ! فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً قَدْ بَلَّغْتُكَ وَلا أعْرِفَنَّ أحَدَكُمْ يَأتي يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُ قِشْعاً مِنْ أدَمٍ يُنادِي: يا مُحَمَّدُ يا مُحَمَّدُ! فَأقُولُ: لا أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً قَدْ بَلَّغْتُكَ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أسباط بن محمد، قال: ثنا أبو إسحاق الشيباني، عن عبد الله بن ذكوان، عن عروة بن الزبير، عن أبي حميد، قال: بعث رسول الله ﷺ مصدّقاً، فجاء بسواد(١) كثير، قال: فبعث رسول الله ﷺ من يقبضه منه؛ فلما أتوه، جعل يقول: هذا لي، وهذا لكم؛ قال: فقالوا: من أين لك هذا؟ قال: أهدي إليّ، فأتوا رسول الله ﷺ، فأخبروه بذلك، فخرج فخطب، فقال: «أيُّها النَّاسُ، ما بالي أبْعَثُ قَوْماً إلى الصَّدَقَةِ، فَيَجِيءُ أحَدُهُمْ بالسَّوَادِ الكَثِيرِ، فإذَا بَعَثْتُ مَنْ يَقْبِضُهُ قالَ: هَذَا لي، وَهَذَا لَكُمْ! فإنْ كانَ صَادِقاً أفَلا أُهْدِيَ لَهُ وَهُوَ فِي بَيْتِ أبِيهِ، أوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ؟» ثُمَّ قالَ: «أيُّها النَّاسُ، مَنْ بَعَثْناهُ على عَمَلٍ فَغَلَّ شَيْئاً، جاءَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ على عُنُقِهِ يَحمِلُهُ، فاتَّقُوا اللَّهَ أنْ يَأتي أحَدُكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ على عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغاءٌ، أوْ بَقَرَةٌ تَخُورُ، أوْ شاةٌ تَثْغُو».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمان، عن هشام بن

---

(١) قال النووي في «**شرح مسلم**»: أي بأشياء كثيرة، وأشخاص بارزة من حيوان وغيره. والسواد: يقع على كل شخص ا هـ.

عروة، عن أبيه، عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد، يقال له ابن الأتبيّة على صدقات بني سليم؛ فلما جاء قال: هذا لكم، وهذا هدية أهديت لي. فقال رسول الله ﷺ: «أفَلاَ يَجْلِسُ أحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ فَتأْتِيهِ هَدِيَّتُهُ!» ثُم حَمِدَ اللَّهَ وأثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: «أمَّا بَعْدُ فإنِّي أسْتَعْمِلُ رِجالاً مِنْكُمْ على أُمُورٍ مِمَّا وَلاَّنِي اللَّهُ، فَيَقُولُ أحَدُهُمْ: هَذَا الَّذِي لَكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أهْدِيَتْ إليّ أفَلاَ يَجْلِسُ فِي بَيْتِ أبِيهِ أوْ بَيْتِ أمِّهِ فتأْتِيهُ هَدِيَّتُهُ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يَأْخُذُ أحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إلاَّ جاءَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ يَحْمِلُهُ على عُنُقِهِ، فَلا أعْرِفَنَّ ما جاء رَجُلٌ يَحْمِلُ بَعِيراً لَهُ رُغاءٌ، أوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أوْ شاةً تَيْعَرُ». ثم رفع يده فقال: «ألا هَلْ بَلَّغْتُ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحيم، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أبي حميد، حدثه بمثل هذا الحديث، قال: «أفَلا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أبِيكَ وأُمِّكَ حتى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ؟» ثم رفع يده حتى إني لأنظر إلى بياض[1] إبطيه، ثم قال «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» قال أبو حميد: بصر عيني، وسمع أذني.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي عبد اللهبن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحرث أن موسى بن جبير، حدّثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري، حدّثه أن عبد الله بن أنيس حدّثه: أنه تذاكر هو وعمر يوماً الصدقة، فقال: ألم تسمع رسول الله ﷺ حين ذكر غلول الصدقة: «مَنْ غَلَّ منها بَعِيراً أو شَاةً فإنَّه يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»؟ قال عبد الله بن أنيس: بلى.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا أبي، قال: ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عبادة مصدّقاً، فقال: «إياكَ يا سَعْدُ أنْ تَجِيء يَوْمَ القِيامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغاء!» قال: لا آخذه ولا أجيء به فأعفاه.

حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصي أبو حميد، قال: ثنا الربيع بن روح، قال: ثنا ابن عياش، قال: ثنا عبيد الله بن عمر بن حفص، عن نافع مولى ابن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن النبيّ ﷺ: أنه استعمل سعد بن عبادة، فأتى النبيّ ﷺ، فسلم عليه، فقال له النبيّ ﷺ: «إيَّاكَ يا سَعْدُ أنْ تَجِيءَ يَوْمَ القِيامَةِ تَحْمِلُ على عُنُقِكَ بَعِيراً لَهُ رُغاءٌ!» فقال سعد: فإن فعلتُ يا

---

(١) في «صحيح مسلم»: عفرتي إبطيه. وفسرها النووي بالبياض غير الخالص.

رسول الله إن ذلك لكائن؟ قال: «نَعَمْ»، قال سعد: قد علمت يا رسول الله أني أُسْأَلُ فأُعْطِي، فأعفني! فأعفاه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا زيد بن حبان، قال: ثنا عبد الرحمن بن الحرث، قال: ثني جدي عبيد بن أبي عبيد، وكان أوّل مولود بالمدينة، قال: استعملت على صدقة دَوْس، فجاءني أبو هريرة في اليوم الذي خرجت فيه، فسلم، فخرجت إليه، فسلمت عليه، فقال: كيف أنت والبعير؟ كيف أنت والبقر؟ كيف أنت والغنم؟ ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ بَعِيراً بغَيْرِ حَقِّهِ جاءَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ لَهُ رُغاءٌ، وَمَنْ أَخَذَ بَقَرَةً بغَيْرِ حَقِّها جاءَ بِها يَوْمَ القِيامَةِ لَهَا خُوَارٌ، وَمَنْ أَخَذَ شاةً بغَيْرِ حَقِّها جاءَ بهَا يَوْمَ القِيامةِ على عُنُقِهِ لَهَا ثُغاءٌ فإيَّاكَ والبَقَرَ فإنَّها أحَدُّ قُرُوناً وأشَدُّ أظْلافاً!».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثني محمد، عن عبد الرحمن بن الحرث، عن جده عبيد بن أبي عبيد، قال: استُعملت على صدقة دوس؛ فلما قضيت العمل قدمت، فجاءني أبو هريرة فسلم عليّ، فقال: أخبرني كيف أنت والإبل؟ ثم ذكر نحو حديثه عن زيد، إلا أنه قال: «جاء بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ على عُنُقِهِ لَهُ رُغاءٌ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿وَما كانَ لِنَبِيّ أنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ﴾** قال قتادة: كان النبيّ ﷺ، إذا غنم مغنماً، بعث منادياً: «ألا لا يغلَّنّ رجل مخيطاً فما دونه! ألا لا يغلنّ رجل بعيراً فيأتي به على ظَهْرِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ له رُغَاءٌ! ألا لا يغلنّ رَجُلٌ فَرَساً، فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حمحمة!».

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: **﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾**: ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت بكسبها وافياً غير منقوص ما استحقه واستوجبه من ذلك: **﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** يقول: لا يفعل بهم إلا الذي ينبغي أن يفعل بهم من غير أن يعتدي عليهم، فينقصوا عما استحقوه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿ثُمَّ تُوَفَّي كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾** ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا معتدى عليه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غلّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن طريف، عن الضحاك في قوله: ﴿**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾ قال: من لم يغلّ. ﴿**كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ**﴾: كمن غلّ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني سفيان بن عيينة، عن مطرف بن مطرف، عن الضحاك قوله: ﴿**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾ قال: من أدّى الخمس. ﴿**كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ**﴾: فاستوجب سخطاً من الله.

وقال آخرون في ذلك بما:

حدثني به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾ على ما أحبّ الناس وسخطوا، ﴿**كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ لرضا الناس وسخطهم؟ يقول: أفمن كان على طاعتي، فثوابه الجنة ورضوان من ربه، كمن باء بسخط من الله، فاستوجب غضبه، وكان مأواه جهنم وبئس المصير؟ أسوأ المثلان؟ أي فاعرفوا.

وأولى التأولين بتأويل الآية عندي، قول الضحاك بن مزاحم؛ لأن ذلك عقيب وعبيد الله على الغلول ونهيه عباده عنه، ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده، أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه، والعاصي له في ذلك: أي أنهما لا يستويان ولا تستوي حالتاهما عنده، لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه: الجنة، ولمن عصاه فيما أمره ونهاه: النار. فمعنى قوله: ﴿**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ إذاً: أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه عن معاصيه وعمل بطاعة الله في تركه ذلك وفي غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه، متبعاً في كل ذلك رضا الله، ومجتنباً سخطه، ﴿**كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ يعني: كمن انصرف متحملاً سخط الله وغضبه، فاستحقّ بذلك سكنى جهنم، يقول: ليسا سواء. وأما قوله: ﴿**وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ فإنه يعني: وبئس المصير الذي يصير إليه ويثوب إليه من باء بسخط من الله جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: أن من اتبع رضوان الله، ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل

عند الله، فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل، ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الأليم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: أي لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار، إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ يقول: بأعمالهم.

وقال آخرون: معنى ذلك لهم درجات عند الله، يعني: لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ قال: هي كقوله لهم درجات عند الله.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ يقول: لهم درجات عند الله.

وقيل قوله: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ كقول القائل: هم طبقات، كما قال ابن هَرْمة:

إنْ حُمَّ المَنُونُ يكُون قَوْمٌ ... لِرَيْبِ الدَّهْرِ أمْ دَرَجَ السُّيُول[1]

وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فإنه يعني: والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، يحصي على الفريقين جميعاً أعمالهم، حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشرّ. كما:

---

(١) البيت في شواهد النحويين «الخزانة» (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤) وهو منسوب لإبراهيم بن هرمة من الخلج من قيس عيلان. وروايته فيها مختلفة شيئاً عن رواية المؤلف:

أنُصْبٌ لِلْمَنِيَّةِ تَعْتَرِيهِمْ ... رِجالي أم هُمُ دَرَجَ السُّيولِ

يبكي قومه لكثرة من فقد منهم. والنصب بالضم: الشيء المنصوب. ودرج السيول: الموضع الذي يمر به السيل، فينزل من موضع إلى موضع حتى يستقر. والدرج: الطريق. يقول: قومي أكانوا غرضاً للمنية فأهلتهم، أم كانوا في ممر السيل فاجترفهم؟ وأنشده في «اللسان» كرواية الخزانة نقلا عن سيبويه. قال ودرج السيل ومدرجه: منحدره وطريقه في معاطف الأودية. وقالوا: هو درج السيل، وإن شئت رفعت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ يقول: إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

يعني بذلك: لقد تطوّل الله على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً، حين أرسل فيهم رسولاً من أنفسهم، نبياً من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول ﴿**يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِهِ**﴾ يقول: يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله. ﴿**ويزكّيهم**﴾ يعني: يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ**﴾ يعني: ويعلمهم كتاب الله الذي أنزل عليه، ويبين لهم تأويله ومعانيه، والحكمة ويعني بالحكمة: السنة التي سنها الله جلّ ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه لهم ﴿**وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ يعني: إن كانوا من قبل أن يمنّ الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته، لفي ضلال مبين، يقول: في جهالة جهلاء، وفي حيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقاً، ولا يبطلون باطلاً. وقد بينا أصل الضلالة فيما مضى، وأنه الأخذ على غير هدى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع والمبين: الذي يبين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه أنه على غير استقامة ولا هدى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ على المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ**﴾ منّ الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة، جعله الله رحمة لهم، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم قوله: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ**﴾ الحكمة: السنة. ﴿**وَإنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾: ليس الله كما تقول أهل حَرُوراء: محنة غالبة من أخطأها أهديق دمه، ولكن الله بعث نبيه ﷺ إلى قوم لا يعلمون فعلمهم، وإلى قوم لا أدب لهم فأدبهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلى المُؤْمِنِينَ**﴾ إلى قوله ﴿**لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾: أي لقد منّ اللّهُ عليكم يا أهل الإيمان إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم، يتلو عليكم آياته، ويزكيكم فيما أخذتم، وفيما علمتم، ويعلمكم الخير

والشرّ، لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشرّ فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذ أطعتموه، لتستكثروا من طاعته، وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، فتتخلصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته. ﴿**وَإِنْ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ أي في عمياء من الجاهلية لا تعرفون حسنة، ولا تستغيثون من سيئة، صمّ عن الحقّ، عمي عن الهدى.

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: أو حين أصابتكم أيها المؤمنون مصيبة، وهي القتلى الذين قتلوا منهم يوم أحد، والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفراً. ﴿**قد أصبتم مثليها**﴾ يقول: قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من المشركين مثلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم، وهي المصيبة التي أصابها المسلمين من المشركين ببدر، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين. ﴿**قُلْتُمْ أنَّى هَذَا**﴾ يعني: قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد: ﴿**أنَّى هَذَا**﴾ من أيّ وجه هذا، ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا، ونحن مسلمون، وهم مشركون، وفينا نبيّ الله ﷺ، يأتيه الوحي من السماء، وعدوّنا أهل كفر بالله وشرك؟ قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك: ﴿**هُوَ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِكُمْ**﴾ يقول: قل لهم: أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم، بخلافكم أمري، وترككم طاعتي، لا من عند غيركم، ولا من قبل أحد سواكم. ﴿**إنَّ اللَّهَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ**﴾ يقول: إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قدير، يعني: ذو قدرة.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِكُمْ**﴾ بعد إجماع جميعهم على أن تأويل سائر الآية على ما قلنا في ذلك من التأويل، فقال بعضهم: تأويل ذلك: قل هو من عند أنفسكم، بخلافكم على نبيّ الله ﷺ، إذ أشار عليكم بترك الخروج إلى عدوّكم والإصحار لهم، حتى يدخلوا عليكم مدينتكم، ويصيروا بين آطامكم، فأبيتم ذلك عليه، وقلتم: أخرج بنا إليهم حتى نُصْحر لهم فنقاتلهم خارج المدينة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أوْ لَمَّا أصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أصَبْتُمْ مِثْلَيها قُلْتُمْ أنَّى هَذَا**﴾ أصيبوا يوم أُحد، قتل منهم سبعون يومئذ، وأصابوا مثليها يوم بدر، قتلوا من المشركين سبعين، وأسروا سبعين. ﴿**قُلْتُمْ أنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِكُمْ**﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال لأصحابه يوم أُحد حين قدم أبو سفيان والمشركون، فقال نبيّ الله ﷺ

لأصحابه: «إِنَّا فِي جُنَّةٍ حَصِينَةٍ» ـ يعني بذلك: المدينة ـ «فَدَعُوا القَوْمَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْنا نُقاتِلْهُمْ» فقال ناس له من أصحابه من الأنصار: يا نبيّ الله: إنا نكره أن نقتل في طرق المدينة، وقد كنا نمتنع في الغزو في الجاهلية، فبالإسلام أحقّ أن نمتنع فيه، فابرز بنا إلى القوم! فانطلق رسول الله ﷺ، فلبس لأمته، فتلاوم القوم، فقالوا عرّض نبيّ الله ﷺ بأمر، وعرّضتم بغيره، اذهب يا حمزة فقل لنبيّ الله ﷺ: أمرنا لأمرك تبع! فأتى حمزة فقال له: يا نبيّ الله إن القوم قد تلاوموا، وقالوا: أمرنا لأمرك تبع. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَها حتى يُناجِزَ، وَإِنَّهُ سَتَكُونُ فِيكُمْ مُصِيبَةٌ» قالوا: يا نبيّ الله خاصة أو عامة؟ قال: «سَتَرَوْنَها». ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ رأى في المنام أن بقراً تنحر، فتأوّلها قتلاً في أصحابه. ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم، فكان قتل عمه حمزة، قُتِل يومئذ، وكان يقال له أسد الله. ورأى أن كبشاً[1] عُتِرَ، فتأوّله كبش الكتيبة عثمان بن أبي طلحة أصيب يومئذ، وكان معه لواء المشركين.

حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بنحوه، غير أنه قال: ﴿**قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيها**﴾ يقول: مثلي ما أصيب منكم، ﴿**قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ يقول: بما عصيتم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: أصيب المسلمون يوم أُحد مصيبة، وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيها**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عمر بن عطاء، عن عكرمة، قال: قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين؛ وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين، فذلك قوله: ﴿**قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيها قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا**﴾ إذ نحن مسلمون نقاتل غضباً لله، وهؤلاء مشركون؛ ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ عقوبة لكم بمعصيتكم النبيّ ﷺ حين قال ما قال.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن: ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيها قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾ قالوا: فإنما أصابنا

(١) الذي في لاسير: ورأيت أني مردف كبشاً، فلعل فيه سقطاً أو زيادة من الناسخ.

هذا، لأنا قبلنا الفداء يوم بدر من الأسارى، وعصينا النبيّ ﷺ يوم أُحد، فمن قتل منا كان شهيداً، ومن بقي منا كان مطهراً، رضينا بالله ربّاً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن مبارك، عن الحسن وابن جريج، قالا: معصيتهم أنه قال لهم: لا تتبعوهم يوم أُحد فاتبعوهم.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين، يعني بأُحد، وقتل منهم سبعون إنساناً؛ **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها﴾** كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلاً وقتلوا سبعين. **﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾**: أي من أين هذا؟ **﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾** أنكم عصيتم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها﴾** يقول: إنكم أصبتم من المشركين يوم بدر، مثلي ما أصابوا منكم يوم أُحد.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم، فقال: **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾**: أي إن تك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم فبذنوبكم قد أصبتم مثليها قتلاً من عدوّكم في اليوم الذي كان قبله ببدر، قتلى وأسرى، ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم ﷺ، إنكم أحللتم ذلك بأنفسكم. **﴿إِنَّ اللَّهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: أي إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها﴾**... الآية، يعني بذلك: أنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلي ما أصابوا منكم يوم أُحد.

وقال بعضهم: بل تأويل ذلك: قل هو من عند أنفسكم بإسارتكم المشركين يوم بدر، وأخذكم منهم الفداء، وترككم قتلهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن فضيل، عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: أسر المسلمون من المشركين سبعين، وقتلوا سبعين، فقال رسول الله ﷺ: «اخْتارُوا أنْ تَأْخُذُوا مِنْهُمُ الفِدَاءَ فَتَتَقَوَّوْا بِهِ على عَدُوِّكُمْ، وَإنْ قَبِلْتُمُوهُ قُتِلَ مِنْكُمْ سَبْعونَ أوْ

تَقْتُلُوهُمْ» فقالوا: بل نأخذ الفدية منهم، ويقتل منا سبعون. قال: فأخذوا الفدية منهم، وقتلوا منهم سبعين؛ قال عبيدة: وطلبوا الخيرتين كلتيهما.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن عون، عن ابن سيرين، عن عبيدة أنه قال في أسارى بدر: قال رسول الله ﷺ: «إنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ، وَإنْ شِئْتُمْ فادَيْتُمُوهُمْ وَاسْتَشْهَدَ مِنْكُمْ بِعِدَّتِهِمْ». قالوا: بل نأخذ الفداء فنستمتع به، ويستشهد منا بعدّتهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني إسماعيل، عن ابن عون، عن محمد، عن عبيدة السلماني؛ وحدثني حجاج عن جرير، عن محمد، عن عبيدة السلماني، عن عليّ، قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ، فقال له: يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين، أن يقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم. قال: فدعا رسول الله ﷺ الناس، فذكر ذلك لهم. فقالوا: يا رسول الله، عشائرنا وإخواننا، لا بل نأخذ فداءهم فنتقوّى به على قتال عدوّنا ويستشهد منا عدتهم، فليس في ذلك ما نكره! قال: فقتل منهم يوم أُحد سبعون رجلاً عدة أسارى أهل بدر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: والذي أصابكم يوم التقى الجمعان، وهو يوم أُحد حين التقى جمع المسلمين والمشركين. ويعني بالذي أصابهم: ما نال من القتل من قُتِل منهم، ومن الجراح من جُرح منهم ﴿فبإذْنِ اللَّه﴾ يقول: فهو بإذن الله كان، يعني: بقضائه وقدره فيكم. وأجاب «ما» بالفاء، لأن «ما» حرف جزاء، وقد بينت نظير ذلك فيما مضى قبل: ﴿وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ وليعلمَ الَّذينَ نافَقُوا﴾ بمعنى: وليعلم الله المؤمنين، وليعلم الذين نافقوا، أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد، ليميز أهل الإيمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم، لا يخفى عليهم أمر الفريقين. وقد بينا تأويل قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ﴾ فيما مضى، وما وجه ذلك، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال ابن إسحاق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَما أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ المؤمِنِينَ**﴾: أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذني، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري وصدقتم وعدي، ليميز بين المنافقين والمؤمنين، ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا**﴾ منكم، أي ليظهرُوا ما فيهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهمْ تَعَالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أو ادْفَعوا قالوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أقْرَبُ مِنهمْ للإِيمَانِ يَقُولُونَ بأفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

يعني تعالى ذكره بذلك: عبد الله بن أبيّ ابن سلول المنافق وأصحابهُ الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، حين سار نبيّ الله ﷺ إلى المشركين بأُحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم، ولكنا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال. فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه، وأبدوا بألسنتهم بقولهم: ﴿**لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ**﴾ غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه، من عداوة رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم، قد حدّث، قال: خرج رسول الله ﷺ - يعني: حين خرج إلى أُحد - في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول بثلث الناس، فقال أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس؛ فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حزام أخو بني سلمة، يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوّهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم! ومضى رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أوِ ادْفَعُوا**﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه، الذين رجعوا عن

رسول الله ﷺ، حين سار إلى عدوّه من المشركين بأحد. وقوله: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ﴾ يقول: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكن لا نظنّ أن يكون قتال، فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ وليس في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: أي يخفون.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: خرج رسول الله ﷺ - يعني: يوم أُحد - في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا؛ فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبيّ ابن سلول في ثلثمائة، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم، فلما غلبوه وقالوا له: ما نعلم قتالاً، ولئن أطعتنا لترجعنّ معنا... قال[1]: فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وقول عبد الله بن جابر بن أبي عبد الله الأنصاري حين دعاهم، فقالوا: ما نعلم قتالاً، ولئن أطعتمونا لترجعنّ معنا، فقال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا ما قُتِلُوا قُلْ فادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج قال: قال ابن جريج: قال عكرمة: ﴿قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن أبيّ ابن سلول. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً﴾ قال: لو نعلم أنا واجدون معكم قتالاً، لو نعلم مكان قتال لاتبعناكم.

واختلفوا في تأويل قوله ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ فقال بعضهم: معناه: أو كثّروا، فإنكم إذا كثرتم دفعتم القوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ يقول: أو كثروا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ قال: بكثرتكم العدوّ وإن لم يكن قتال.

وقال آخرون: معنى ذلك: أو رابطوا إن لم تقاتلوا.

---

(١) الظاهر أن قوله «قال» هو أول رد أبي جابر السلمي على كلام المنافقين، وحذف بقية كلامه اكتفاء بذكره في الحديث الذي قبله، وهو بمعناه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا إسماعيل بن حفص الآملي وعليّ بن سهل الرملي، قالا: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا عتبة بن ضمرة، قال: سمعت أبا عون الأنصاريّ في قوله: **﴿قاتِلوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾** قال: رابطوا.

وأما قوله: **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمونَ﴾** فإنه يعني به: والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون من العداوة والشنآن، وأنهم لو علموا قتالاً ما تبعوهم، ولا دافعوا عنهم، وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك، مطلع عليه، ومحصيه عليهم حتى يهتك أستارهم في عاجل الدنيا، فيفضحهم به، ويصليهم به الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

يعني تعالى ذكره بذلك: وليعلم الله الذين نافقوا، الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا. فموضع «الذين» نصب على الإبدال من «الذين نافقوا»، وقد يجوز أن يكون رفعاً على الترجمة عما في قوله: **﴿يَكْتُمُونَ﴾** من ذكر «الذين نافقوا» فمعنى الآية: وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين بأُحد يوم أُحد، فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم، **﴿وقَعَدُوا﴾** يعني: وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا مما أخبر الله عزّ وجلّ عنهم من قيلهم عن الجهاد مع إخوانهم وعشائرهم في سبيل الله: **﴿لو أطاعُونَا﴾** يعني: لو أطاعنا من قتل بأُحد من إخواننا وعشائرنا **﴿ما قُتِلُوا﴾** يعني: ما قتلوا هنالك. قال الله عزّ وجلّ لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين: فادرؤوا، يعني: فادفعوا من قول القائل: درأت عن فلان القتل، بمعنى: دفعت عنه، أدرؤه درءاً، ومنه قول الشاعر:

تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي أَهَذَا دِينُهُ أَبَداً وَدِينِي[1]

---

(١) أنشد البيت في «**اللسان**» (درأ) ونسبه للمثقب العبدي. قال: ويقال: درأت له وسادة: إذا بسطتها. ودرأت وضين البعير: إذا بسطته على الأرض، ثم أبركته عليه، لتشده به. وقد درأت فلاناً الفوضين على البعير وداريته.

وأنشده في وضن، وقال عن الجوهري: الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب، والتصدير للرحل. والحزام للسرج، وإذا كان مضفوراً من سيور مضاعفاً عريضاً فهو وضين. والجمع: وضن. ودينه: عادته وديدنه. وأنشد بيت المثقب شاهداً عليه يقول: تقول هذه الناقة إذا شددتها بحزامها: هذه عادته معي، لا يزال يتعبني ولا يريحني.

يقول تعالى ذكره: قل لهم: فادفعوا إن كنتم أيها المنافقون صادقين في قيلكم: لو أطاعنا إخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد ﷺ وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش، ما قتلوا هنالك بالسيف، ولكانوا أحياء بقعودهم معكم وتخلفهم عن محمد ﷺ وشهود جهاد أعداء الله معه؛ الموت، فإنكم قد قعدتم عن حربهم، وقد تخلفتم عن جهادهم، وأنتم لا محالة ميتون. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿الَّذِينَ قالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾** الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم: **﴿لَوْ أطاعُونا ما قُتِلُوا﴾**... الآية: أي أنه لا بد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله، حرصاً على البقاء في الدنيا وفراراً من الموت.

ذكر من قال: الذين قالوا لإخوانهم هذا القول هم الذين قال الله فيهم: **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿الَّذِينَ قالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أطاعُونا ما قُتِلُوا﴾**... الآية، ذكر لنا أنها نزلت في عدوّ الله عبد الله بن أبيّ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّيّ، قال: هم عبد الله بن أبيّ وأصحابه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: هو عبد الله بن أبيّ الذي قعد وقال لإخوانه الذين خرجوا مع النبيّ ﷺ يوم أُحد: **﴿لَوْ أطاعُونا ما قُتِلُوا﴾**... الآية. قال ابن جريج عن مجاهد، قال: قال جابر بن عبد الله: هو عبد الله بن أبيّ ابن سلول.

حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: **﴿الَّذِينَ قالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾**... الآية، قال: نزلت في عدوّ الله عبد الله بن أبيّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

يعني تعالى ذكره ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ﴾: ولا تظننّ. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ﴾: ولا تظننّ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: الذين قُتِلوا بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿أمواتاً﴾ يقول: ولا تحسبنهم يا محمد أمواتاً، لا يحسون شيئاً، ولا يلتذون، ولا يتنعمون، فإنهم أحياء عندي، متنعمون في رزقي، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي، وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، وحدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن ابن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إخْوَانُكُم بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أرْوَاحَهُمْ فِي أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجَنَّةِ، وَتأكُلُ مِنِ ثِمَارِها، وَتأوِي إلى قَنادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ؛ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمأكَلِهِمْ وَحُسْنِ مَقِيلِهِمْ، قالوا: يا لَيْتَ إخْوَانَنا يَعْلَمونَ ما صَنَعَ اللَّهُ بِنا! لِئَلاً يَزْهَدُوا فِي الجِهادِ وَلا يَنْكلوا عَنِ الحَرْبِ، فَقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أنا أُبَلِّغُهمْ عَنكمْ» فأنزل الله عز وجل على رسول الله ﷺ هؤلاء الآيات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير بن عبد الحميد، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قالا جميعاً: ثنا محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق بن الأجدع، قال: سألنا عبد الله بن مسعود، عن هذه الآيات: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾... الآية، قال: أما إنا قد سألنا عنها، فقيل لنا: «إنّه لما أُصِيبَ إخْوَانُكُمْ بأُحُدٍ، جَعَلَ الله أرْوَاحَهُمْ في أجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنْهارَ الجَنَّةِ وَتأْكُلُ مِنْ ثمارِهَا وتأوي إلى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ في ظِلِّ العَرْشِ، فيطَّلع الله إليهم اطّلاعَةً، فيقول: يا عبادي ما تَشْتَهُونَ فَأزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنا لا فَوْقَ ما أعْطَيْتَنا الجَنَّةَ، نأكُلُ منها حيث شِئْنا ـ ثلاث مرات ـ ثم يَطَّلِعُ فَيَقُولُ: يا عِبادي ما تَشْتَهُونَ فأزيدكم؟ فيقولون: رَبَّنا لا فَوْقَ ما أعْطَيْتَنا الجَنَّةَ، نَأكُلُ منها حَيْثُ شِئْنا، إلا أنا نَخْتَارُ أن تَرُدَّ أرْوَاحَنا في أجْسَادِنا، ثم تَرُدَّنا إلى الدُّنْيا، فنُقَاتل فيك حتى نُقْتَلَ فيك مرّة أخْرَى».

حدثنا الحسن بن يحيى العبدي، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله، عن هذه الآية، ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: «أنّي قَدْ قَضَيْتُ أنْ لا تُرْجَعُوا».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ـ ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد ـ قال: أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر، في قناديل تحت العرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديلها، فيطلع إليها ربها، فيقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الرحيم بن سليمان، وعبدة بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن الحرث بن فضيل، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشُّهَداءُ على بارِقٍ: نَهرٍ بِبابِ الجَنَّةِ في قُبَّةٍ خَضرَاءَ» وقال عبدة: «فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، يخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

حدثنا أبو كريب، وأنبأنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني الحرث بن فضيل، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ بمثله، إلا أنه قال: «في قُبَّةٍ خَضْرَاء» وقال: «يَخْرُجُ عَلَيهِم فِيها».

حدثنا ابن وكيع، وأنبأنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني الحرث بن فضيل، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: حدثني الحرث بن الفضيل الأنصاريّ عن محمود بن لبيد الأنصاريّ، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشُّهَداءُ على بارِقٍ نَهْرٍ بِبابِ الجَنَّةِ في قُبَّةٍ خَضرَاءَ يَخْرُج عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعشِيًّا».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني أيضاً، يعني: إسماعيل بن عياش، عن ابن إسحاق، عن الحرث بن الفضيل، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: وحدثني بعض أصحابي، عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أُبَشِّرُكَ يا جابِرُ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله! قال: «إنَّ أباكَ حَيْثُ أُصيب بأُحُدٍ أحيَاهُ اللَّهُ، ثُمَّ قالَ لَهُ: ما تُحِبُّ يا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أنْ أفْعَلَ بِكَ؟ قالَ: يا رَبِّ أُحِبُّ أنْ تَرُدَّني إلى الدُّنيا فَأُقاتِلَ فِيكَ فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: يا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قُتِلوا يوم أُحد! فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**. كنا نحدَّث أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة، وأن مساكنهم السدرة.

حُدثت عن عمار، وأنبأنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بنحوه، إلا أنه قال: تعارف في طير خضر وبيض وزاد فيه أيضاً: وذكر لنا عن بعضهم في قوله: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ﴾** قال: هم قتلى بدر وأُحد.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن محمد بن قيس بن مخرمة قال: قالوا: يا ربّ! ألا رسول لنا يخبر النبيّ ﷺ عنا بما أعطيتنا؟ فقال الله تبارك وتعالى: أنا رسولكم، فأمر جبريل عليه السلام أن يأتي بهذه الآية: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**... الآيتين.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآيات: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** قال: أرواح الشهداء عند الله كطير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، قال: فاطّلع إليهم ربك اطلاعة فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ قالوا: ربنا ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا ثم اطّلع عليهم الثالثة، فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ قالوا: تعيد أرواحنا في أجسادنا، فنقاتل في سبيلك مرّة أخرى! فسكت عنهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبيدة، عن عبد الله: أنهم قالوا في الثالثة حين قال لهم: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ قالوا: تقرىء نبينا عنا السلام، وتخبره أن قد رضينا ورُضيَ عنا!

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ يرغّب المؤمنين في ثواب الجنة ويهوّن عليهم القتل: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**: أي قد أحييتهم، فهم عندي يرزقون في روح الجنة وفضلها، مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، قال: كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوماً كيوم بدر، يبلون فيه خيراً، ويرزقون فيه الشهادة، ويرزقون فيه الجنة، والحياة في الرزق. فلقوا المشركين يوم أُحد، فاتخذ الله منهم شهداء، وهم الذين ذكرهم الله فقال: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً﴾**... الآية.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ذكر الشهداء، فقال: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** إلى قوله: **﴿ولا هُمْ يَحزنُون﴾**. زعم أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل من ذهب معلقة بالعرش، فهي ترعى بكرة وعشية في الجنة، تبيت في القناديل، فإذا سرحن نادى مناد: ماذا تريدون؟ ماذا تشتهون؟ فيقولون: ربنا نحن فيما اشتهت أنفسنا! فيسألهم ربهم أيضاً: ماذا تشتهون؟ وماذا تريدون؟ فيقولون: نحن فيما اشتهت أنفسنا! فيسألون الثالثة فيقولون ما قالوا: ولكنا نحبّ أن تردّ أرواحنا في أجسادنا! لما يرون من فضل الثواب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عباد، قال: ثنا إبراهيم بن معمر، عن الحسن، قال: ما زال ابن آدم يتحمَّد حتى صار حيًا ما يموت ثم تلا هذه الآية: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾**.

حدثنا محمد بن مرزوق، قال: ثنا عمر بن يونس، قال: ثنا إسحاق بن أبي طلحة، قال: ثني أنس بن مالك في أصحاب النبيّ ﷺ الذين أرسلهم نبيّ الله ﷺ إلى أهل بئر معونة، قال: لا أدري أربعين، أو سبعين، قال: وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبيّ ﷺ حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء قعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال ـ أراه أبو ملحان الأنصاري ـ: أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ! فخرج حتى أتى حياً منهم، فاحتبى أمام البيوت، ثم قال: يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله ﷺ إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله! فخرج إليه رجل من كِسْر البيت برمح، فضرب به في جنبه حتى خرج من الشقّ الآخر، فقال: الله أكبر، فزت وربّ الكعبة! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل. قال: قال إسحاق: حدثني أنس بن مالك: أن الله تعالى أنزل فيهم قرآناً رفع بعد ما قرأناه زماناً، وأنزل الله: **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾**.

حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك،

قال: لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبيّ ﷺ، لقوا ربهم، فأكرمهم، فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب، قالوا: يا ليت بيننا وبين إخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا! فقال الله تبارك وتعالى: أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم. فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾ إلى قوله: ﴿ولا هُمْ يحْزنُون﴾، فهذا النبأ الذي بلغ الله ورسوله والمؤمنين ما قال الشهداء.

وفي نصب قوله: ﴿فَرِحِين﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون منصوباً على الخروج من قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ والآخر من قوله: ﴿يُرْزَقُون﴾. ولو كان رفعاً بالردّ على قوله: «بل أحياء فرحون» كان جائزاً.

القول في تأويل قوله:

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلفِهِمْ أنْ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: ويفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهمّ، من جهاد أعداء الله مع رسوله، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم، صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه، فهم لذلك مستبشرون بهم، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك، ﴿لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يعني بذلك: لا خوف عليهم لأنهم قد أمنوا عقاب الله، وأيقنوا برضاه عنهم، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا، ونكد عيشها، للخَفْض الذي صاروا إليه والدعة والزُلفة، ونصب أن لا بمعنى: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾... الآية، يقول: لإخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذي أعطاهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾... الآية، قال يقول: إخواننا يقتلون كما قتلنا، يلحقون فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا.

حُدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ذكر لنا عن بعضهم في قوله: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ قال: هم قتلى بدر وأُحد، زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم، وأدخلهم الجنة، جعلت أرواحهم في طير خضر ترعى في الجنة، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش. فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة، قالوا: ليت إخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه! فإذا شهدوا قتالاً تعجلوا إلى ما نحن فيه! فقال الله تعالى: إني منزل على نبيكم ومخبر إخوانكم بالذي أنتم فيه! ففرحوا به واستبشروا، وقالوا: يخبر الله نبيكم وإخوانكم بالذي أنتم فيه، فإذا شهدوا قتالاً أتوكم. قال: فذلك قوله: ﴿**فَرِحِينَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾... إلى قول: ﴿**أَجْرَ المُؤْمِنِينَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ**﴾: أي ويُسَرّون بلحوق من لحق بهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم، وأذهب الله عنهم الخوف والحزن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ قال: هم إخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم، ﴿**لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ حتى بلغ: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ**﴾.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ﴿**يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ**﴾، فإن الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله، فيقال: يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا! فيستبشر حين يقدم عليه، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في ما الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

يقول جل ثناؤه: ﴿**يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ يفرحون، ﴿**بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ يعني بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه، ﴿**وفَضْلٍ**﴾ يقول: وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله ﷺ وجهاد أعدائه. ﴿**وأنَّ الله لا يُضِيع أجْر المُؤْمِنِينَ**﴾. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن أبي إسحاق: ﴿**يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وفَضْلٍ**﴾... الآية، لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿**وأنَّ اللَّه لا يُضِيعُ أجر المُؤْمِنِينَ**﴾، فقرأ ذلك بعضهم بفتح الألف من «أنَّ» بمعنى: يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين. وبكسر الألف على الاستئناف؛ واحتج من قرأ ذلك كذلك بأنها في قراءة عبد الله: «وفَضْلٍ واللَّهُ لا يُضِيعُ أجْر المُؤْمِنِينَ» قالوا: فذلك دليل على أن قوله: «وإنَّ الله» مستأنف غير متصل بالأول.

ومعنى قوله: ﴿**لا يُضِيعُ أجر المُؤْمِنِينَ**﴾: لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله.

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك: ﴿**وأنَّ الله**﴾ بفتح الألف، لإجماع الحجة من القراء على ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، المستجيبين لله والرسول، من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم؛ وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو أبي سفيان، ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد؛ وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله ﷺ في أثره حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، ليري الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم. كالذي:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني حسان بن عبد الله، عن عكرمة، قال: كان يوم أُحد السبت للنصف من شوال؛ فلما كان الغد من يوم أحد، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلف على أخواتك! فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله ﷺ،

فخرج معه. وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو، ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من بني عبد الأشهل كان شهد أُحُداً، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ أُحداً أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين؛ فلما أذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ، قلت لأخي، أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل! فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحاً منه، فكنت إذا غلب حملته عُقْبة ومشى عقبة[1]، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثاً: الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فقال الله تبارك وتعالى: **﴿الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ﴾**: أي الجراح، وهم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أُحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح. **﴿للَّذِينَ أحْسَنُوا مِنْهُمْ واتَّقَوْا أجْرٌ عَظِيمٌ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ﴾**... الآية، وذلك يوم أُحد بعد القتل والجراح، وبعد ما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه، فقال ﷺ: «ألا عِصَابةٌ تَشدُّ لأمْرِ الله تَطْلُبُ عَدُوَّها؟ فإنه أنْكَى للعَدُوّ، وأبْعَدُ للسَّمعِ» فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجهد.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: انطلق أبو سفيان منصرفاً من أُحد حتى بلغ بعض الطريق. ثم إنهم ندموا، وقالوا: بئسما صنعتم إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم، ارجعوا واستأصلوهم! فقذف الله في قلوبهم الرعب، فهزموا. فأخبر الله رسوله، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، ثم رجعوا من حمراء الأسد، فأنزل الله جلّ ثناؤه فيهم: **﴿الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ﴾**.

(١) عقبة: شوطاً النهاية لابن الأثير.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: إن الله جلّ وعزّ قذف في قلب أبي سفيان الرعب - يعني: يوم أحد - بعد ما كان منه ما كان، فرجع إلى مكة، فقال النبيّ ﷺ: «إنَّ أبا سُفْيان قَدْ أصاب مِنْكُمْ طَرفاً وقَدْ رجَع وقَذف اللَّهُ في قَلْبِهِ الرُّعْب». وكانت وقعة أُحد في شوّال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة. وإنهم قدموا بعد وقعة أُحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك إلى نبيّ الله ﷺ، واشتدّ عليهم الذي أصابهم. وإن رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه، ويتبعوا ما كانوا متبعين، وقال: «إنّما يَرْتَحِلُونَ الآنَ فَيَأْتُونَ الحَجَّ ولا يَقْدِرُونَ على مِثْلِها حَتّى عام مُقْبل» فجاء الشيطان فخوّف أولياءه فقال: إن الناس قد جمعوا لكم. فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال: «إني ذَاهِبٌ وإنْ لم يَتْبَعْني أحَدٌ لأُحَضِّضَ النَّاسَ» فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعليّ والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجرّاح في سبعين رجلاً. فساروا في طلب أبي سفيان، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ لِلَّذِين أحْسَنُوا مِنهُمْ واتَّقَوْا أجْرٌ عَظِيمٌ**﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هاشم بن القاسم، قال: ثنا أبو سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنها قالت لعبد الله بن الزبير: يا ابن أختي، أما والله إن أباك وجّدك - تعني: أبا بكر والزبير - ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرت أن أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أُحد قال المسلمون للنبيّ ﷺ: إنهم عامدون إلى المدينة، فقال: «إنْ ركِبُوا الخَيْل وتَركُوا الأثْقال فإنَّهُمْ عامِدُون إلى المَدِينَةِ، وإنْ جَلَسُوا على الأثْقالِ وتَركُوا الخَيْل فَقَدْ أرْعَبَهُمُ اللَّهُ ولَيْسُوا بِعامِدِيها»، فركبوا الأثقال، فرعبهم الله. ثم ندب ناساً يتبعونهم ليُروا أن بهم قوّة، فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثاً، فنزلت: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ**﴾.

حدثني سعيد بن الربيع، قال: ثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قالت لي عائشة: إن كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح. تعني: أبا بكر والزبير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول.

فوعد تعالى ذكره محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابهُمُ القَرْحُ**﴾ إذا اتقى الله فخافه، فأدّى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجراً عظيماً، وذلك الثواب الجزيل، والجزاء العظيم، على ما قدّم من صالح أعماله في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

يعني تعالى ذكره: وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم، والذين في موضع خفض مردود على المؤمنين، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الأول هم قوم فيما ذكر لنا، كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أُحد إلى حمراء الأسد؛ والناس الثاني: هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد، يعني بقوله: ﴿**قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**﴾: قد جمعوا الرجال للقائكم، والكرّة إليكم لحربكم ﴿**فاخْشَوْهُمْ**﴾ يقول: فاحذروهم، واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، ﴿**فَزادهُمْ إيمَاناً**﴾ يقول: فزادهم ذلك من تخويف من خوّفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقيناً إلى يقينهم، وتصديقاً لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا ثقة بالله، وتوكلاً عليه، إذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين ﴿**حَسْبُنا اللَّهُ ونِعْم الوكِيل**﴾ يعني بقوله: حسبنا الله: كفانا الله، يعني: يكفينا الله؛ ونعم الوكيل، يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله؛ وإنما وصف تعالى نفسه بذلك لأن الوكيل في كلام العرب: هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره؛ فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوّضوا أمرهم إلى الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم.

واختلف أهل التأويل في الوقت الذي قال من قال لأصحاب رسول الله ﷺ: ﴿**إنَّ النَّاس قَدْ جَمعُوا لَكُمْ**﴾ فقال بعضهم: قيل ذلك لهم في وجههم الذي خرجوا فيه مع رسول الله ﷺ من أحد إلى حمراء الأسد في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين.

ذكر من قال ذلك، وذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك، ومَن قائله:

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: مرّ به، يعني برسول الله ﷺ معبد الخزاعي بحمراء الأسد، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَةَ نُصْحٍ لرسول الله ﷺ بتهامة صفقتهم معه، لا يخفون عليه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: والله يا محمد، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم! ثم خرج من عند رسول الله ﷺ من حمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا في أُحد أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكرنّ على بقيتهم فلنفرغنّ منهم. فلما رأى أبا سفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرّقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فهم من الحنق عليكم بشيء لم أر مثله قط. قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل. قال: فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك! فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كـادَتْ تُـهَـدُّ مِـنَ الأصْـوَات رَاحِـلَـتِـي ... إذْ سـالَـتِ الأرْضُ بـالـجُـرْدِ الإبـابِـيـلِ
تَـرْدِي بِـأُسْـدٍ كِـرَامٍ لا تَـنـابِـلَـةٍ ... عِـنْـدَ الـلِّـقـاءِ وَلا مِـيـلٍ مَـعـازِيـلِ
فَـظَـلْـتُ عَـدْواً أظُـنُّ الأرْضَ مـائِـلَـةً ... لَـمَّـا سَـمَـوْا بِـرَئِـيـسٍ غَـيْـرِ مَـخْـذُولِ
فَـقُـلْـتُ وَيْـلُ ابنِ حَـرْبٍ مِـنْ لِـقـائِـكُـمُ ... إذَا تَـغَـطْـمَـطَـتِ الـبَـطْـحـاءُ بـالـجِـيـلِ
إنِّـي نَـذِيـرٌ لأهْـلِ الـبَـسْـلِ ضَـاحِـيَـةً ... لِـكُـلِّ ذِي إرْبَـةٍ مِـنْـهُـمْ وَمَـعْـقُـولِ
مِـنْ جَـيْـشِ أحـمَـدَ لا وخْـشٍ تَـنـابِـلَـةٍ ... وَلَـيْـسَ يُـوصَـفُ ما أنْـذَرْتُ بـالـقِـيـلِ[1]

(١) الأبيات في «**سيرة ابن هشام**» (ج ٣ ص - ١٠٩) طبعة الحلبي. وتهد: تسقط لهول ما سمعت من أصوات الجيش وكثرته. والجرد: الخيل العتاق. والأبابيل: الجماعات. وتردى: تسرع والتنابلة: القصار. والميل: جمع أميل، وهو الذي لا رمح معه. وقيل: الذي لا ترس معه. وقيل: الذي لا يثبت على السرج. والمعازيل: الذين لا سلاح معهم. والعدو: مشي سريع. وسموا علوا وارتفعوا. وابن حرب: أبو سفيان. وتغطمطت: اهتزت وارتجت ومنه يقال: بحر غطامط: إذا علت أمواجه. والبطحاء: السهل من الأرض. والجيل: الصنف من الناس. والبسل: الحرام، وأهل البسل: قريش، لأنهم أهل مكة، ومكة حرام. والضاحية: البارزة للمشي. والإربة هنا: العقل وهي بكسر الهمزة. والوخش: رذالة الناس وأخساؤهم يكون للمفرد وغيره بلفظ واحد والتنابل: جمع تنبلة، وهي القطعة من الخيل. والقيل: القول، أو هو اسم للمصدر.

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه؛ ومرّ به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: ولم؟ قالوا: نريد المِيرة. قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها، وأُحَمِّلُ لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا جئتموه، فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بَقِيتهم! فمرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال رسول الله ﷺ: «حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: فقال الله: ﴿**الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهَ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾. والناس الذين قال لهم ما قالوا: النفر من عبد القيس، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال، إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾... الآية.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: لما ندموا ـ يعني: أبا سفيان وأصحابه ـ على الرجوع عن رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا: ارجعوا فاستأصلوهم! فقذف الله في قلوبهم الرعب، فهزموا، فلقوا أعرابياً، فجعلوا له جعلاً: إن لقيت محمداً وأصحابه، فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم. فأخبر الله جلّ ثناؤه رسول الله ﷺ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، فلقوا الأعرابي في الطريق، فأخبرهم الخبر، فقالوا: «حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» ثم رجعوا من حمراء الأسد، فأنزل الله تعالى فيهم وفي الأعرابي الذي لقيهم: ﴿**الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: استقبل أبو سفيان في منصرفه من أُحد عيراً واردة المدينة ببضاعة لهم وبينهم وبين النبيّ ﷺ حبال، فقال: إن لكم عليّ رضاكم إن أنتم رددتم عني محمداً ومن معه إن أنتم وجدتموه في طلبي وأخبرتموه أني قد جمعت له جموعاً كثيرة! فاستقبلت العيرَ رسول الله ﷺ، قالوا له: يا محمد إنا نخبرك أن أبا سفيان قد جمع لك جموعاً كثيرة، وأنه مقبل إلى المدينة، وإن شئت أن ترجع فافعل. ولم يزده ذلك ومن معه إلا يقيناً، ﴿**وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيل**﴾، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**﴾... الآية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: انطلق رسول الله ﷺ وعصابة من أصحابه بعدما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم، حتى كانوا بذي الحليفة، فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم، فيقولون لهم: هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس، فقالوا: ﴿**حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾.

وقال آخرون: بل قال ذلك لرسول الله ﷺ وأصحابه من قال ذلك له في غزوة بدر الصغرى وذلك في مسير النبيّ ﷺ عام قابل من وقعة أُحد للقاء عدوّه أبي سفيان وأصحابه للموعد الذي كان واعده الالتقاء بها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**﴾ قال: هذا أبو سفيان، قال لمحمد: موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا! فقال محمد ﷺ: «عَسَى!» فانطلق رسول الله ﷺ لموعده حتى نزل بدراً، فوافقوا السوق فيها، وابتاعوا؛ فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾ وهي غزوة بدر الصغرى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه، وزاد فيه: وهي بدر الصغرى. قال ابن جريج: لما عمد النبيّ ﷺ لموعد أبي سفيان، فجعلوا يلقون المشركين، ويسألونهم عن قريش، فيقولون: ﴿**قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**﴾ يكيدونهم بذلك، يريدون أن يرعبوهم، فيقول المؤمنون: ﴿**حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾ حتى قدموا بدراً، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد. قال: وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه الصلاة والسلام وقال في ذلك:

نَفَرَتْ قَلُوصِي عَنْ خُيولِ مُحَمَّدِ وَعَجْوَةٍ مَنْثُورَةٍ كالعُنْجُدِ
واتَّخَذَتْ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي(١)

قال أبو جعفر: هكذا أنشدنا القاسم، وهو خطأ، وإنما هو:

قَدْ نَفَرَتْ مِنْ رُفْقَتَيْ مُحَمَّدِ وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرِبٍ كالعُنْجُدِ

---

(١) هذا الرجز لمعبد بن معبد الخزاعي. وهذه الرواية محرفة، وسيرويها المؤلف بعد على وجهها، كما في «سيرة ابن هشام» طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (٢/ ٢٢١).

تَـهْـوِي عـلـى دِيـنِ إبـيـهـا الأتْـلَـدِ   قـدْ جَـعَـلَـتْ مـاءَ قُـدَيْـدِ مَـوْعِـدِي
وَمـاءَ ضَـجْـنـانَ لَـهَـا ضُـحَـى الـغَـدِ[1]

حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، قال: كانت بدر متجراً في الجاهلية، فخرج ناس من المسلمين يريدون، ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم: ﴿**إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ**﴾، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ الأهبة للقتال وأهبة التجارة، ﴿**وَقالُوا حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾، فأتوهم فلم يلقوا أحداً، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿**إنَّ النّاس قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ**﴾. قال ابن يحيى، قال عبد الرزاق، قال ابن عيينة: وأخبرني زكريا عن الشعبي، عن عبد الله بن عمرو قال: هي كلمة إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، فقال: ﴿**حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إن الذي قيل لرسول الله ﷺ وأصحابه من أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، كان في حال خروج رسول الله ﷺ، وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان، ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أُحد إلى حمراء الأسد؛ لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم: ﴿**حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**﴾ لما قيل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم، بقوله: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَالرَّسولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ**﴾ ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله ﷺ من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد. وأما قول الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى، فإنه لم يكن فيهم جريح، إلا جريح قد تقادم اندمال جرحه، وبرأ كلمه، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج إلى بدر الخرجة الثانية إليها لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها بعد سنة من غزوة أُحد في شعبان سنة أربع من الهجرة، وذلك أن وقعة أُحد كانت في النصف من شوّال من سنة ثلاث، وخروج النبيّ ﷺ لغزوة بدر الصغرى إليها في شعبان من سنة أربع، ولم يكن للنبيّ ﷺ بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه، ولكن قد كان قتل في وقعة الرجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى، وكانت وقعة الرجيع فيما بين وقعة أُحد وغزوة النبيّ ﷺ بدر الصغرى.

---

(١) هكذا رويت أبيات معبد بن أبي معبد الخزاعي في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢١) والعنجد: حب الزبيب. ويقال: هو الزبيب الأسود. وتهوي: تسرع. والدين: الدأب والعادة. والأتلد: الأقدم. وقديد: موضع قرب مكة. وضجنان بالفتح وقد يحرك: جبل بناحية تهامة أو على بريد من مكة. والأبيات قالها معبد الخزاعي حين رأى النبي ﷺ مقيماً في غزوة بدر الآخرة ينتظر قدوم أبي سفيان، وقد رأى ناقة رسول الله ﷺ تسرع به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح من وجههم الذي توجهوا فيه، وهو سيرهم في أثر عدوّهم إلى حمراء الأسد. ﴿بنعمةٍ من اللَّهِ﴾ يعني: بعافية من ربهم لم يلقوا بها عدوّاً. ﴿وفضل﴾ يعني: أصابوا فيها من الأرباح بتجارتهم التي اتجروا بها، والأجر الذي اكتسبوه. ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ يعني: لم ينلهم بها مكروه من عدوّهم ولا أذى. ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ يعني بذلك أنهم أرضَوا الله بفعلهم ذلك واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه من اتباع أثر العدوّ وطاعتهم. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: والله ذو إحسان وطول عليهم بصرف عدوّهم الذي كانوا قد هموا بالكرّة إليهم، وغير ذلك من أياديه عندهم، وعلى غيرهم بنعمه، عظيم عند من أنعم به عليه من خلقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال: والفضل: ما أصابوا من التجارة والأجر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: وافقوا السوق فابتاعوا، وذلك قوله: ﴿فانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال: الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر. قال ابن جريج: ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل، أصابوا عفوه وعزّته، لا ينازعهم فيه أحد. قال: وقوله: ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ قال: قتل، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ قال: طاعة النبيّ ﷺ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ لما صرف عنهم من لقاء عدوّهم.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: أطاعوا الله، وابتغوا حاجتهم، ولم يؤذهم أحد. ﴿فانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أعطي رسول الله ﷺ ـ يعني: حين خرج إلى غزوة بدر الصغرى ـ ببدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر، فأصابوا تجارة؛ فذلك قول الله: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾. أما النعمة: فهي العافية، وأما الفضل: فالتجارة، والسوء: القتل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون: إن الناس قد جمعوا لكم، فخوفوكم بجموع عدوكم، ومسيرهم إليكم، من فعل الشيطان، ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم، يخوفكم بأوليائه من المشركين أبي سفيان وأصحابه من قريش، لترهبوهم، وتجبنوا عنهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ**﴾ يخوف والله المؤمن بالكافر، ويرهب المؤمن بالكافر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ**﴾ قال: يخوف المؤمنين بالكفار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ**﴾ يقول: الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ**﴾: أي أولئك الرهط، يعني: النفر من عبد القيس الذين قالوا لرسول الله ﷺ ما قالوا، وما ألقى الشيطان على أفواههم، ﴿**يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ**﴾ أي يرهبكم بأوليائه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا علي بن معبد، عن عتاب بن بشير، مولى قريش، عن سالم الأفطس، في قوله: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ**﴾ قال: يخوفكم بأوليائه.

وقال آخرون: معنى ذلك: إنما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافونه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ذكر أمر المشركين وعظمهم في أعين المنافقين فقال: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾: يعظم أولياءه في صدوركم فتخافونهم.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿**يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾ وهل يخوف الشيطان أولياءه؟ قيل: إن كان معناه يخوفكم بأوليائه يخوف أولياءه. قيل ذلك نظير قوله: ﴿**لِيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً**﴾ بمعنى: لينذركم بأسه الشديد، وذلك أن البأس لا ينذر، وإنما ينذر به. وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى ذلك: يخوّف الناس أولياءه، كقول القائل: هو يعطي الدراهم، ويكسو الثياب، بمعنى: هو يعطي الناس الدراهم، ويكسوهم الثياب، فحذف ذلك للاستغناء عنه. وليس الذي شبه ذلك بمشبه، لأن الدراهم في قول القائل: هو يعطي الدراهم معلوم أن المُعْطَى هي الدراهم، وليس كذلك الأولياء في قوله: ﴿**يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾ مخوفين، بل التخويف من الأولياء لغيرهم، فلذلك افترقا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

يقول: فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين، ولا يعظمنّ عليكم أمرهم، ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم إياي، ما أطعتموني، واتبعتم أمري، وإني متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافون، واتقوا أن تعصوني وتخالفوا أمري، فتهلكوا إن كنتم مؤمنين. يقول: ولكن خافوني دون المشركين، ودون جميع خلقي أن تخالفوا أمري إن كنتم مصدّقي رسولي وما جاءكم به من عندي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

يقول جلّ ثناؤه: ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر مرتدّين على أعقابهم

---

(١) في عبارة المؤلف شيء من التكرار في الجمل أو رئها غموضاً.

(٢) هذا التخريج الذي ارتضاه المؤلف هو من كلام الفراء في «**معاني القرآن**» مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ (ص - ٧٤) قال: ومثل ذلك قوله «لينذر يوم التلاق» معناه: لينذركم يوم التلاق، وقوله «لينذر بأساً شديداً» لينذركم بأساً شديداً البأس لا ينذر، إنما ينذر به.

من أهل النفاق، فإنهم لن يضرّوا الله بمسارعتهم في الكفر شيئاً، كما أن مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بنافعته، كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارّته. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَلا يَحزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الكُفرِ**﴾ يعني: هم المنافقون.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**وَلا يَحزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الكُفرِ**﴾ أي المنافقون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيباً في ثواب الآخرة، فلذلك خذلهم، فسارعوا فيه. ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة، لهم عذاب عظيم في الآخرة، وذلك عذاب النار. وقال ابن إسحاق في ذلك بما:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ**﴾: أن يحبط أعمالهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: المنافقين الذين تقدم إلى نبيه ﷺ فيهم، أن لا يحزنه مسارعتهم إلى الكفر، فقال لنبيه ﷺ: إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم، فارتدّوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه، ورضوا بالكفر بالله وبرسوله، عوضاً من الإيمان، لن يضرّوا الله بكفرهم وارتدادهم، عن إيمانهم شيئاً، بل إنما يضرّون بذلك أنفسهم بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قبل لها به.

وإنما حثّ الله جلّ ثناؤه بهذه الآيات من قوله: ﴿**وَما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ إلى هذه الآية عباده المؤمنين على إخلاص اليقين، والانقطاع إليه في أمورهم، والرضا به ناصراً وحده دون غيره من سائر خلقه، ورغب بها في جهاد أعدائه وأعداء دينه، وشجع بها قلوبهم، وأعلمهم أن منْ وليه بنصره فلن يخذل ولو اجتمع عليه جميع من خالفه وحاده، وأن من خذله فلن ينصره ناصر ينفعه نصره ولو كثرت أعوانه أو نصراؤه. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الكُفرَ بالإِيمَانِ﴾**: أي المنافقين **﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**: أي موجع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: هم المنافقون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: ولا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله، أن إملاءنا لهم خير لأنفسهم. ويعني بالإملاء: الإطالة في العمر والإنساء في الأجل؛ ومنه قوله جل ثناؤه: **﴿وَاهجُرْنِي مَلِيًّا﴾**: أي حيناً طويلاً؛ ومنه قيل: عشت طويلاً وتمليت حيناً والملا نفسه: الدهر، والملوان: الليل والنهار، ومنه قول تميم بن مقبل:

ألا يا دِيارَ الحَيِّ بالسَّبُعانِ أَمَلَّ عَلَيها بالبِلَى المَلَوَانِ[(١)]

يعني بالملوان: الليل والنهار.

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: «وَلا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُملِيَ لهُمْ خَيرٌ لأَنفُسِهِمْ» فقرأ ذلك جماعة منهم: **﴿وَلا يَحسَبَنَّ﴾** بالياء وفتح الألف من قوله **﴿أَنَّمَا﴾** على المعنى الذي وصفت من تأويله. وقرأه آخرون: «وَلا تَحسَبَنَّ» بالتاء و**﴿أَنَّمَا﴾** أيضاً بفتح الألف من «أنما»، بمعنى: ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم.

فإن قال قائل: فما الذي من أجله فتحت الألف من قوله: **﴿أَنَّمَا﴾** في قراءة من قرأ بالتاء، وقد علمت أن ذلك إذا قرىء بالتاء فقد أعلمت تحسبنَّ في الذين كفروا، وإذا أعملتها في ذلك لم

---

(١) البيت من شواهد النحويين «**الخزانة**» (٣/ ٢٧٥) على أن السبعان مجرور بالحركة على النون مع لزوم الألف. والسبعان: جبل قبل الفلج، في طريق البصرة إلى مكة. والشطر الأول وهو من المطلع في قصيدة لتميم بن أبي مقبل، وهو شاعر إسلامي مخضرم وجاء أيضاً صدر المطلع في قصيدة جاهلي من بني عقيل كما قال الحصري في زهر الآداب، وياقوت في «**معجم البلدان**»، والمطلع بتمامه وهو:

ألا يا ديارَ الحيِّ بالسَّبُعانِ عَفَتْ حِجَجا بَعدي وهُنَّ ثَمَانِي

وأمل: ألح ودأب. والملوان: الليل والنهار، أو الغداة والعشي. يتأسف على ديار قومه بهذا المكان، ويخبر أن الملوين وهما الليل والنهار أبلياها ودرسا.

يجز لها أن تقع على «أنما» لأن «أنَّما» إنما يعمل فيها عامل يعمل في شيئين نصباً؟ قيل: أما الصواب في العربية ووجه الكلام المعروف من كلام العرب كسر إن قرئت تحسبن بالتاء، لأن تحسبن إذا إذا قرئت بالتاء، فإنها قد نصبت الذين كفروا، فلا يجوز أن تعمل وقد نصبت اسماً في أن، ولكني أظن أن من قرأ ذلك بالتاء في تحسبن وفتح الألف من أنما، إنما أراد تكرير تحسبن على أنما، كأنه قصد إلى أن معنى الكلام: ولا تحسبن يا محمد أنت الذين كفروا، لا تحسبن أنما نملي لهم خير لأنفسهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ السَّاعَةَ أنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ بتأويل: هل ينظرون إلا الساعة، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة؟ وذلك وإن كان وجهاً جائزاً في العربية، فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ: ﴿وَلا يَحسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالياء من «يحسبن»، وبفتح الألف من «أنما»، على معنى الحسبان للذين كفروا دون غيرهم، ثم يعمل في «أنما» نصباً؛ لأن «يحسبن» حينئذ لم يشغل بشيء عمل فيه، وهي تطلب منصوبين. وإنما اخترنا ذلك لإجماع القراء على فتح الألف من «أنما» الأولى، فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة في «يحسبن» بالياء لما وصفنا؛ وأما ألف «إنما» الثانية فالكسر على الابتداء بالإجماع من القراء عليه.

وتأويل قوله: ﴿إنَّمَا نُملِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْماً﴾: إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثماً، يقول: يكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول: ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة.

وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الأثر.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن خيثمة، عن الأسود، قال: قال عبد الله: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها، وقرأ: ﴿وَلا يَحسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّمَا نُملِي لَهُمْ خَيرٌ لأنْفُسِهِمْ إنَّمَا نُملِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْماً﴾ وقرأ: ﴿نُزُلاً مِنْ عِندِ الله وما عِندَ اللَّهِ خَيرٌ للأبْرَارِ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

يعني بقوله: ﴿ما كانَ الله لِيَذَرَ المُؤمِنِينَ﴾ ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من

التباس المؤمن منكم بالمنافق، فلا يعرف هذا من هذا ﴿حَتَّى يَمَيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يعني بذلك: حتى يميز الخبيث، وهو المنافق المستسر للكفر، من الطيب، وهو المؤمن المخلص الصادقِ الإيمان بالمحن والاختبار، كما ميز بينهم يوم أُحد عند لقاءِ العدو عند خروجهم إليه.

واختلف أهل التأويل في الخبيث الذي عنى الله بهذه الآية، فقال بعضهم فيه مثل قولنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال: ميز بينهم يوم أُحد، المنافق من المؤمن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال ابن جريج: يقول: ليبين الصادق بإيمانه من الكاذب. قال: ابن جريج: قال مجاهد: يوم أُحد ميز بعضهم عن بعض، المنافق عن المؤمن.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: أي المنافق.

وقال آخرون: معنى ذلك: حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يعني: الكفار. يقول: لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة، ﴿حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: يميز بينهم في الجهاد والهجرة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قال: حتى يميز الفاجر من المؤمن.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ قالوا: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر! فأنزل الله: ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ

حتى يَميزَ الخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾: حتى يخرج المؤمن من الكافر.

والتأويل الأوّل أولى بتأويل الآية، لأن الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقتها، فكونها بأن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَما كانَ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم بما:

حدثنا به محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: **﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ﴾** وما كان الله ليطلع محمداً على الغيب، ولكن الله اجتباه فجعله رسولاً.

وقال آخرون بما:

حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: **﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ﴾** أي فيما يريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾** يعلمه.

وأولى الأقوال في ذلك بتأويله: وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده، فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر، ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء كما ميز بينهم بالبأساء يوم أُحد، وجهاد عدوّه، وما أشبه ذلك من صنوف المحن، حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم. غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء، فيصطفيه، فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحيه ذلك إليه ورسالته. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾** قال: يخلصهم لنفسه.

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية، ابتداءها خبر من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده، يعني بغير محن، حتى يفرّق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم. ثم عقب ذلك بقوله: **﴿وَما كانَ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ﴾**، فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر، دلالة واضحة على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم إلا بالذي ذكر أنه مميز به نعتهم إلا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أجرٌ عَظِيمٌ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾: وإن تصدّقوا من اجتبيته من رسلي بعلمي، وأطلعته على المنافقين منكم، وتتقوا ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد ﷺ وفيما نهاكم عنه، ﴿فَلَكُمْ أجرٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: فلكم بذلك من إيمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿فَآمِنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾: أي ترجعوا وتتوبوا، ﴿فَلَكُمْ أجرٌ عَظِيمٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق: ﴿وَلا يحسَبنَّ الَّذِينَ يبخَلونَ﴾ بالياء من يحسبنّ وقرأته جماعة أخر: «وَلا تَحسَبَنَّ» بالتاء.

ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك، فقال بعض نحويي الكوفة: معنى ذلك: لا يحسبنّ الباخلون البخل هو خيراً لهم. فاكتفى بذكر يبخلون من البخل، كما تقول: قدم فلان فسررت به، وأنت تريد فسررت بقدومه، وهو عماد. وقال بعض نحويي أهل البصرة: إنما أراد بقوله: «وَلا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ يَبخَلونَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ» لا تحسبن البخل هو خيراً لهم، فألقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان به وهو البخل، لأنه قد ذكر الحسبان، وذكر ما آتاهم الله من فضله، فأضمرهما إذ ذكرهما[1]، قال: وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا، قال: ﴿لا يَستَوِي مِنكُمْ مَنْ انفَقَ مِنْ قَبْل الفَتْحِ وَقاتَلَ﴾ ولم يقل: ومن أنفق من بعد الفتح، لأنه لما قال: ﴿أُولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾ كان فيه دليل على أنه قد عناهم.

وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة، أن «من» في قوله: ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ﴾ في معنى جمع. ومعنى الكلام: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم، فكيف من أنفق من بعد الفتح، فالأول مكتف. وقال في قوله: ﴿لا يَحْسَبنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ﴾ محذوف، غير أنه لم يحذف إلا

(١) في العبارة غموض، ولعله قد كشفه قوله بعد «وقال بعض... الخ» ففيه بيان وتوضيح.

وفي الكلام ما قام مقام المحذوف، لأن «هو» عائد البخل، و «خيراً لهم» عائد الأسماء، فقد دلّ هذان العائدان على أن قبلهما اسمين، واكتفى بقوله: يبخلون، من البخل. قال: وهذا إذا قرىء بالتاء، فالبخل قبل الذين، وإذا قرىء بالياء، فالبخل بعد الذين، وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل، كما قال الشاعر:

إذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إلَيْهِ ... وخالَفَ وَالسَّفِيهُ إلى خِلافِ[1]

كأنه قال: جرى إلى السفه، فاكتفى عن السفه بالسفيه، كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي، قراءة من قرأ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بالتاء بتأويل: ولا تحسبنّ أنت يا محمد بخل الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله، هو خيراً لهم، ثم ترك ذكر البخل، إذ كان في قوله هو خيراً لهم، دلالة على أنه مراد في الكلام، إذ كان قد تقدّمه قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضلِهِ﴾.

وإنما قلنا قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء، لأن المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر، فإذا قرىء قوله: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله: ﴿هُوَ خَيْراً لَهُمْ﴾ خبراً عنه، وإذا قرىء ذلك بالتاء كان قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ اسماً له، قد أدّى عن معنى البخل الذي هو اسم المحسبة المتروك، وكان قوله: ﴿هُوَ خَيْراً لَهُمْ﴾ خبراً لها، فكان جارياً مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح. فلذلك اخترنا القراءة بالتاء في ذلك على ما بيناه، وإن كانت القراءة بالياء غير خطأ، ولكنه ليس بالأفصح ولا الأشهر من كلام العرب.

وأما تأويل الآية الذي هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة في ذلك: ولا تحسبنّ يا محمد، بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال، فلا يخرجون منه حقّ الله الذي فرضه عليهم فيه من الزكوات هو خيراً لهم عند الله يوم القيامة، بل هو شرّ لهم عنده في الآخرة. كما:

---

(١) البيت من شواهد النحويين «**الخزانة**» (٢/ ٣٨٣) و «**معاني القرآن**» للفراء، عند قوله تعالى: ﴿ولكن البرّ من آمن﴾ [البقرة: ١٧٧] على أن الضمير في إليه راجع على المصدر المدلول عليه بالوصف، أي إلى السفه. ومثله قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾. فهو كناية عن البخل. وله نظائر كثير في القرآن وكلام العرب. ويروى: «إذا زجر» في مكان «إذا نهى». وانظره أيضاً في «**معاني القرآن**» للفراء عند هذه الآية (ص ـ ٧٥) من نسخة الجامعة المصورة رقم ٢٤٠٥٩.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُو شَرّ لَهُمْ»: هم الذين آتاهم الله من فضله، فبخلوا أن ينفقوها في سبيل الله، ولم يؤدّوا زكاتها.

وقال آخرون: بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله في التوراة من أمر محمد ﷺ ونعته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني عمي، ثني أبي، قال: قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ»... إلى **﴿سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ﴾** يعني بذلك: أهل الكتاب أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ» قال: هم يهود، إلى قوله: **﴿وَالكتاب المُنِير﴾**.

وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الأوّل وهو أنه معنيّ بالبخل في هذا الموضع: منع الزكاة لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه تأوّل قوله: **﴿سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ﴾** قال: البخيل الذي منع حقّ الله منه أنه يصير ثعباناً في عنقه، ولقول الله عقيب هذه الآية: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أغْنِياءُ﴾** فوصف جلّ ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة أن الله فقير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: **﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾**: سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقاً في أعناقهم، كهيئة الأطواق المعروفة. كالذي:

حدثني الحسن بن قزعة، قال: ثنا مسلمة بن علقمة، قال: ثنا داود، عن أبي قزعة، عن أبي مالك العبدي، قال: ما من عبد يأتيه ذو رحم له يسأله من فضل عنده فيبخل عليه إلا أخرج له الذي بخل به عليه شجاعاً أقرع. وقال: وقرأ: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ»... إلى آخر الآية.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن أبي قزعة، عن رجل،

عن النبيّ ﷺ، قال: «ما مِنْ ذِي رَحِم يَأْتِيَ ذَا رَحِمِهِ فَيَسألُهُ فَضْلٍ جَعَلَهُ الله عِنْدَهُ فَيَبْخَل بِهِ عَلَيْهِ إلاَّ أُخْرِجَ مِنْ لَهُ مِنْ جَهَنَّمَ شُجاعٌ يَتَلَمَّظُ حتى يُطَوِّقَهُ».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو معاوية محمد بن خازم، قال: ثنا داود، عن أبي قزعة حجر بن بيان، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ ذِي رَحِم يَأْتِي ذَا رَحِمِهِ فَيَسألَهُ مِنْ فَضْلٍ أعْطاهُ اللَّهُ إيَّاهُ فَيَبْخَلَ بِهِ عَلَيْهِ، إلاَّ أُخْرِجَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعٌ مِنَ النَّارِ يَتَلَمَّظُ حتى يُطَوِّقَهُ» ثم قرأ: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» حتى انتهى إلى قوله: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾.

حدثني زياد بن عبيد الله المرّي، قال: ثنا مروان بن معاوية، وحدثني محمد بن عبد الله الكلابي، قال: ثنا عبد الله بن بكر السهمي، وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد، واللفظ ليعقوب جميعاً، عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت نبيّ الله ﷺ يقول: «لا يَأْتِي رَجُلٌ مَوْلاهُ فَيَسألَهُ مِنْ فَضْل مالٍ عِنْدَهُ فَيَمْنَعُهُ إيَّاهُ إلاَّ دَعا لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعاً يَتَلَمَّظُ فَضْلَهُ الَّذِين مَنَعَ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: ثعبان ينقر رأس أحدهم، يقول: أنا مالك الذي بخلت به.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت أبا وائل يحدّث أنه سمع عبد الله، قال في هذه الآية: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: شجاع يلتوي برأس أحدهم.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، قال: ثنا خلاد بن أسلم، قال أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي وائل، عن عبد الله، بمثله، إلا أنهما قالا: قال شجاع أسود.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: يجيء ماله يوم القيامة ثعباناً، فينقر رأسه فيقول: أنا مالك الذي بخلت به، فينطوي على عنقه.

حُدثت عن سفيان بن عيينة، قال: ثنا جامع بن شداد وعبد الملك بن أعين، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ أحَدٍ لا يُؤَدّي زَكاةَ مالِهِ إلاَّ مُثِّلَ لَهُ

شُجاعٌ أَقْرَعُ يُطَوِّقُهُ» ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ: «وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ». . . الآية.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ﴿**سَيُطَوَّقون ما بَخِلُوا بِهِ**﴾ فإنه يجعل ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع يطوّقه، فيأخذ بعنقه، فيتبعه حتى يقذفه في النار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا خلف بن خليفة، عن أبي هاشم، عن أبي وائل، قال: هو الرجل الذي يرزقه الله مالاً، فيمنع قرابته الحقّ الذي جعل الله لهم في ماله، فيجعل حية فيطوّقها، فيقول: مالي ولك؟ فيقول: أنا مالك.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو غسان، قال: ثنا إسرائيل، عن حكيم بن جبير، عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق، قال: سألت ابن مسعود عن قوله: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: يطوّقون شجاعاً أقرع، ينهش رأسه.

وقال آخرون: معنى ذلك: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ فيجعل في أعناقهم طوقاً من نار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: طوقاً من النار.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم أنه قال في هذه الآية: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: طوقاً من نار.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، في قوله: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ**﴾ قال: طوقاً من نار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: طوق من نار.

وقال آخرون: معنى ذلك: سيحمل الذين كتموا نبوّة محمد ﷺ من أحبار اليهود ما كتموا من ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، قوله: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ ألم تسمع أنه قال: ﴿**يَبْخَلُونَ ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ**﴾ يعني: أهل الكتاب، يقول: يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان.

وقال آخرون: معنى ذلك: سيكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به، إلى قوله: ﴿**وَالكِتابِ المُنِيرِ**﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**سَيُطَوَّقونَ**﴾ سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة.

وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذي قلناه في ذلك في مبدإ قوله: ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ**﴾ للأخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله ﷺ، ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه الصلاة والسلام.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وِللّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ والأرضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: أنه الحيّ الذي لا يموت، والباقي بعد فناء جميع خلقه.

فإن قال قائل: فما معنى قوله: ﴿**لَهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ والميراث المعروف: هو ما انتقل من ملك مالك إلى وارثه بموته ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده؟ قيل: إن معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء، وإعلام خلقه أنه كتب عليهم الفناء. وذلك أن ملك المالك إنما يصير ميراثاً بعد وفاته، فإنما قال جلّ ثناؤه: ﴿**وِللّهِ مِيراثُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ إعلاماً بذلك منه عباده أن أملاك جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم، وأنه لاأحد إلا وهو فان سواء، فإنه الذي إذا هلك جميع خلقه، فزالت أملاكهم عنهم لم يبق أحد يكون له ما كانوا يملكونه غيره.

وإنما معنى الآية: لا تحسبن الذي يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة، بعد ما يهلكون، وتزول عنهم أملاكهم في الحين الذي لا يملكون شيئاً، وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه. ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء

الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل، وغيرهم من سائر خلقه، ذو خبرة وعلم، محيط بذلك كله، حتى يجازي كلاً منهم على قدر استحقاقه، المحسن بالإحسان، والمسيء على ما يرى تعالى ذكره.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾

ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت في بعض اليهود، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ. ذكر الآثار بذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أنه حدثه، عن ابن عباس، قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدارس، فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له: أشيع. فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم! فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل! قال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنا ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين! فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك! فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟» فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً، زعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر: **﴿لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنحْنُ أغنِياءُ سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمُ الأنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾** وفي قول أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: **﴿لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أشْرَكُوا أذًى كَثِيراً وَإنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فإنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: دخل أبو بكر، فذكر نحوه، غير أنه قال: وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغنيّ، ولو كان غنياً؛ ثم ذكر سائر الحديث نحوه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أغْنِيَاءُ**﴾ قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد، لقيه أبو بكر فكلمه، فقال له: يا فنحاص، اتق الله وآمن وصدق، وأقرض الله قرضاً حسناً! فقال فنحاص: يا أبا بكر، تزعم أن ربنا فقير، يستقرضنا أموالنا، وما يستقرض إلا الفقير من الغني، إن كان ما تقول حقاً، فإن الله إذاً لفقير. فأنزل الله عزّ وجلّ هذا، فقال أبو بكر: فلولا هدنة كانت بين النبيّ ﷺ وبين بني مرثد لقتلته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: صكّ أبو بكر رجلاً منهم الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء لَم يستقرضنا وهو غنيّ وهم يهود.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، قال الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، لم يستقرضنا وهو غنيّ؟ قال شبل: بلغني أنه فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: إن الله ثالث ثلاثة، ويد الله مغلولة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثني يحيى بن واضح، قال: حدثت عن عطاء، عن الحسن، قال: لما نزلت: ﴿**مَنْ الَّذِي يُقرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ قالت اليهود: إن ربكم يستقرض منكم! فأنزل الله: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنحْنُ أغْنِياء**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن الحسن البصري، قال: لما نزلت: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾ قال: عجبت اليهود فقالت: إن الله فقير يستقرض، فنزلت: ﴿**لَقَدَ سَمِعَ اللّهُ قوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنحْنُ أغْنِياءُ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ ونحْنُ أغْنِياءُ**﴾ ذكر لنا أنها نزلت في حيي بن أخطب لما أنزل الله: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أضْعافاً كَثِيرَةً**﴾ قال: يستقرضنا ربنا، إنما يستقرض الفقير الغنيّ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة،

قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغنيّ، قال: فأنزل الله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنحنُ أغْنِياءُ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ ونحْنُ أغْنِياءُ﴾ قال: هؤلاء اليهود.

فتأويل الآية إذاً: لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود: إن الله فقير إلينا ونحن أغنياء عنه، سنكتب ما قالوا من الإفك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق.

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَقَتْلَهُمْ﴾ فقرأ ذلك قراء الحجاز وعامة قراء العراق: ﴿سَنَكْتُبُ ما قَالُوا﴾ بالنون، ﴿وَقَتْلَهُمْ الأنْبِياءَ بِغَيْر حَقٍّ﴾ بنصب القتل. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين: «سَيُكْتَبُ ما قالُوا وَقَتْلُهُمُ الأنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقّ» بالياء من سيكتب، وبضمها ورفع القتل على مذهب ما لم يسمّ فاعله، اعتباراً بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله في قوله: «ونقول ذوقوا»، يذكر أنها في قراءة عبد الله: «ويقال»؛ فأغفل قارىء ذلك وجه الصواب فيما قصد إليه من تأويل القراءة التي تنسب إلى عبد الله، وخالف الحجة من قراء الإسلام. وذلك أن الذي ينبغي لمن قرأ: «سيُكْتَبُ ما قالوا وَقَتْلُهُمُ الأنْبِياء» على وجه ما لم يسمّ فاعله، أن يقرأ: ويقال، لأن قوله: «ونقول» عطف على قوله: «سنكتب».

فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بأن يقرأ جميعاً على مذهب ما لم يسمّ فاعله، أو على مذهب ما يسمى فاعله، فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسمّ فاعله، والآخر على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى ألجأه على ذلك، فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ بالنون ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب لقوله: «ونقول»، ولو كانت القراءة في «سَيُكْتَبُ» بالياء وضمها، لقيل: «ويقال»، على ما قد بينا.

فإن قال قائل: كيف قيل: ﴿وَقَتْلَهُمُ الأنبِياءَ بِغَيْرِ حَقّ﴾ وقد ذكرت الآثار التي رويت، أن الذين عنوا بقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ﴾ بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد ﷺ، ولم يكن من أولئك أحد قتل نبياً من الأنبياء، لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما قيل ذلك كذلك لأن الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من

الأنبياء، وكانوا منهم، وعلى منهاجهم، من استحلال ذلك واستجازته. فأضاف جلّ ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته إلى جميعهم، إذ كانوا أهل ملة واحدة، ونحلة واحدة، وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله:

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظلاَّمٍ للْعَبِيدِ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ونقول للقائلين بأن الله فقير ونحن أغنياء، القاتلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة: ذوقوا عذاب الحريق، يعني بذلك: عذاب نار محرقة ملتهبة، والنار اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة، وإنما الحريق صفة لها، يراد أنها محرقة، كما قيل: «عَذَاب أَلِيمٌ» يعني: مؤلم، و «وجيع» يعني: موجع.

وأما قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي قولنا لهم يوم القيامة: ذوقوا عذاب الحريق بما أسلفت أيديكم، واكتسبتها أيام حياتكم في الدنيا، وبأن الله عدل لا يجور، فيعاقب عبداً له بغير استحقاق منه العقوبة، ولكنه يجازي كلّ نفس بما كسبت، ويوفي كل عامل جزاء ما عمل، فجازى الذين قال لهم يوم القيامة من اليهود الذين وصف صفتهم، فأخبر عنهم أنهم قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقتلوا الأنبياء بغير حقّ، بما جازاهم به من عذاب الحريق، بما اكتسبوا من الآثام، واجترحوا من السيئات، وكذبوا على الله بعد الإعذار إليهم بالإنذار، فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من إذاقتهم عذاب الحريق ظالماً ولا واضعاً عقوبته في غير أهلها، وكذلك هو جلّ ثناؤه غير ظلام أحداً من خلقه، ولكنه العادل بينهم، والمتفضل على جميعهم بما أحبّ من فواضله ونعمه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللَّهَ عَهِدَ إلَيْنا أنْ لا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ. وقوله: ﴿الَّذِينَ قالوا إنَّ اللَّهَ﴾ في موضع خفص ردّاً على قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ ويعني بقوله: ﴿قالُوا إنَّ الله عَهِدَ إلَيْنَا أن لا نُؤْمِنَ لرَسُولٍ﴾ أوصانا وتقدّم إلينا في كتبه وعلى ألسن أنبيائه، أن لا نؤمن لرسول. يقول: أن لا نصدّق رسولاً فيما يقول إنه جاء به من عند الله، من أمر

ونهي وغير ذلك ﴿حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ يقول: حتى يجيئنا بقربان، وهو ما تقرّب به العبد إلى ربه من صدقة، وهو مصدر مثل العدوان والخسران من قولك: قرّبت قرباناً. وإنما قال: «تأكله النار»، لأن أكل النار ما قرّبه أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلاً على قبول الله منه ما قرّب له، ودلالة على صدق المقرب فيما ادّعى أنه محقّ فيما نازع أو قال. كما:

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبيّ، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿حتى يأتينا بقُربانٍ تأكُلُهُ النَّارُ﴾ كان الرجل يتصدّق، فإذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿بُقْربَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ كان الرجل إذا تصدق بصدقة، فتقبلت منه بعث الله ناراً من السماء، فنزلت على القربان فأكلته.

فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿أن لا نُؤمِنَ لِرَسُولٍ حتى يَأْتِينَا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جاءَكُم رُسُلٌ مِنْ قَبْلي بالبَيِّنَاتِ﴾ يعني: بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم؛ ﴿وَبالَّذِي قُلْتُمْ﴾ يعني: وبالذي ادّعيتم أنه إذا جاء به لزمكم تصديقه، والإقرار بنبوّته من أكل النار قربانه إذا قرّب لله دلالة على صدقه؛ ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول له: قل لهم: قد جاءتكم الرسل الذي كانوا من قبلي بالذي زعمتم أنه حجة لهم عليكم، فقتلتموهم، فلم قتلتموهم وأنتم مقرّون بأن الذي جاءوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم إن كنتم صادقين في أن الله عهد إليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته؟

وإنما أعلم الله عباده بهذه الآية، أن الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، لن يفرّوا، وأن يكونوا في كذبهم على الله، وافترائهم على ربهم، وتكذيبهم محمداً ﷺ وهم يعلمونه صادقاً محقاً، وجحودهم نبوّته، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في عهد الله تعالى إليهم أنه رسوله إلى خلقه، مفروضة طاعته إلا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم الله بها، والأدلة التي أبان صدقهم بها، افتراءً على الله، واستخفافاً بحقوقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

وهذا تعزية من الله جلّ ثناؤه نبيه محمداً ﷺ على الأذى الذي كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل. يقول الله تعالى له: لا يحزنك يا محمد كذب هؤلاء الذين قالوا: إن الله فقير، وقالوا: إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وافتراؤهم على ربهم اغتراراً بإمهال الله إياهم، ولا يعظمنّ عليك تكذيبهم إياك، وادّعاؤهم الأباطيل من عهود الله إليهم، فإنهم إن فعلوا ذلك بك فكذّبوك، كذبوا على الله، فقد كذبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذر، والأدلة الباهرة العقل، والآيات المعجزة الخلق، وذلك هو البينات. وأما الزبر: فإنه جمع زبور: وهو الكتاب، وكل كتاب فهو زبور، ومنه قول امرىء القيس:

لِـمَـنْ طَـلَـلٌ أَبْـصَـرْتُـهُ فَـشَـجَـانِـي كَـخَـطِّ زَبُـورٍ فِـي عَـسِـيـبٍ يَـمَـانِـي[1]

ويعني بالكتاب: التوراة والإنجيل، وذلك أن اليهود كذّبت عيسى وما جاء به وحرّفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد ﷺ، وبدلت عهده إليهم فيه، وأن النصارى جحدت ما في الإنجيل من نعته وغيرت ما أمرهم به في أمره.

وأما قوله: ﴿الْمُنِيرِ﴾ فإنه يعني: الذي ينير فيبين الحقّ لمن التبس عليه ويوضحه، وإنما هو من النور والإضاءة، يقال: قد أنار لك هذا الأمر، بمعنى: أضاء لك وتبين، فهو ينير إنارة، والشيء المنير. وقد:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿فَإِنْ كَذَّبوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال: يعزّى نبيه ﷺ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال: يعزّي نبيه ﷺ.

وهذا الحرف في مصاحف أهل الحجاز والعراق: «والزُّبُرِ» بغير باء، وهو في مصاحف أهل الشام: «وبالزبر» بالباء مثل الذي في سورة فاطر.

---

(١) البيت لامرىء القيس «**مختار الشعر الجاهلي**» طبعة الحلبي (ص ـ ٧٠) والطلل: ما شخص من آثار الديار. وشجاني: حزني والزبور: الكتاب. والعسيب: جريدة النخل التي جرد عنها الخوص، وكان أهل اليمن يكتبون قبل الإسلام العهود ونحوها في العسب، وكتب المسلمون أيضاً القرآن أول الأمر في العسب، وفي اللخاف، وهي حجارة بيض عريضة رقيقة، وفي الأكتاف، وهي عظام ألواح الحيوان. يقول سائلاً متجاهلاً أو متحيراً: لمن هذا الطلل الذي حين أبصرته شجاني وحزنني. وقد أصبح كخط كتاب يكتبه الرجل اليماني في عسيب النخلة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله، الذين وصف صفتهم، وأخبر عن جراءتهم على ربهم، ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره، ومرجع جميعهم إليه، لأنه قد حتم الموت على جميعهم، فقال لنبيه ﷺ: لا يحزنك تكذيب من كذّبك يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم، وافتراء من افترى عليّ، فقد كذّب قبلك رسل جاءوا من الآيات والحجج من أرسلوا إليه بمثل الذي جئت من أرسلت إليه، فلك فيهم أسوة تتعزّى بهم، ومصير من كذّبك، وافترى عليّ وغيرهم، ومرجعهم إليّ، فأوفي كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**وإنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ يعني أجور أعمالكم إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ. ﴿**فمنْ زُحزِحَ عن النارِ**﴾، يقول: فمن نحي عن النار وأبعد منها، ﴿**فقدْ فازَ**﴾ يقول: فقد نجا وظفر بحاجته، يقال منه: فاز فلان بطلبته يفوز فوزاً ومفازاً ومفازة: إذا ظفر بها.

وإنما معنى ذلك: فمن نُحّي عن النار فأبعد منها، وأدخل الجنة، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة. ﴿**وَما الحَياةُ الدُّنيا إلاَّ مَتاعُ الغُرُورِ**﴾ يقول: وما لذات الدنيا وشهواتها، وما فيها من زينتها وزخارفها، إلا متاع الغرور، يقول: إلا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل، الذي لا حقيقة له عند الامتحان، ولا صحة له عند الاختبار، فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره، يقول تعالى ذكره: لا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها، فإنما أنتم منها في غرور تمتعون، ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون. وقد رُوي في تأويل ذلك ما:

حدثني به المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن بكير بن الأخنس، عن عبد الرحمن بن سابط في قوله: ﴿**وَما الحَياةُ الدُّنيا إلاَّ مَتاعُ الغُرُورِ**﴾ قال: كزاد الراعي، تزوده الكف من التمر، أو الشيء من الدقيق، أو الشيء يشرب عليه اللبن.

فكأن ابن سابط ذهب في تأويله هذا إلى أن معنى الآية: وما الحياة الدنيا إلا متاع قليل، لا يبلغ من تمتعه ولا يكفيه لسفره.

وهذا التأويل وإن كان وجهاً من وجوه التأويل، فإن الصحيح من القول فيه هو ما قلنا، لأن

الغرور إنما هو الخداع في كلام العرب، وإذ كان ذلك كذلك فلا وجه لصرفه إلى معنى القلة، لأن الشيء قد يكون قليلاً وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور؛ وأما الذي هو في غرور فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو منه في غرور. والغرور مصدر من قول القائل: غرني فلان، فهو يغرني غروراً بضم الغين؛ وأما إذا فتحت الغين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته. وقد:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبدة وعبد الرحيم، قالا: ثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَوْضعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّة خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَما فِيها، وَاقْرَءُوا إنْ شِئتُمْ ﴿وَما الحَياةُ الدُّنيا إلاَّ مَتاعُ الغرُورِ﴾»

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ لتختبرن بالمصائب في أموالكم وأنفسكم، يعني: وبهلاك الأقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملتكم، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: من اليهود وقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنحنُ أغْنِياءُ﴾ وقولهم ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وما أشبه ذلك من افترائهم على الله. ﴿وَمِنَ الَّذِين أَشْرَكُوا﴾ يعني النصارى، ﴿أذَى كَثِيراً﴾ والأذى من اليهود ما ذكرنا، ومن النصارى قولهم: المسيح ابن الله، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله. ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ يقول: وإن تصبروا لأمر الله الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته وتتقوا، يقول: وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم، فتعملوا في ذلك بطاعته. ﴿فإنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ يقول: فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به. وقيل إن ذلك كله نزل في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع. كالذي:

حدثنا به القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عكرمة في قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيراً﴾ قال: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وفي أبي بكر رضوان الله عليه، وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع، قال: بعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق رحمه الله إلى فنحاص يستمدُّه، وكتب إليه بكتاب، وقال لأبي بكر: «لا تَفْتَاتَنَّ عليَّ بِشَيْءٍ حتى

تَرْجِعَ» فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف، فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربكم أن نمده! فهمّ أبو بكر أن يضربه بالسيف، ثم ذكر قول النبي ﷺ: «لا تَفْتاتَنَّ عَليَّ بِشَيْءٍ حتى تَرْجعَ» فكف؛ ونزلت: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ وما بين الآيتين إلى قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ﴾ نزلت هذه الآيات في بني قينقاع، إلى قوله: ﴿فإنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾. قال ابن جريج: يعزي نبيه ﷺ، قال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ﴾ قال: أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم، ثم قال: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم: عزير ابن الله، ومن النصارى: المسيح ابن الله، فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب، ويسمعون إشراكهم، فقال الله: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فإنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ يقول: من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به.

وقال آخرون: بل نزلت في كعب بن الأشرف، وذلك أنه كان يهجو رسول الله ﷺ ويتشبب بنساء المسلمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري في قوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ قال: هو كعب بن الأشرف، وكان يحرض المشركين على النبي ﷺ وأصحابه في شعره، ويهجو النبي ﷺ، فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار فيهم محمد بن مسلمة، ورجل يقال له أبو عبس. فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي؛ فلما رآهم ذعر منهم، فأنكر شأنهم، وقالوا: جئناك لحاجة، قال: فليدن إليّ بعضكم، فليحدثني بحاجته! فجاءه رجل منهم فقال: جئناك لنبيعك أدراعاً عندنا لنستنفق بها، فقال: والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل! فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدأ عنهم الناس. فأتوه، فنادوه، فقالت امرأته: ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشيء مما تحب! قال: إنهم حدثوني بحديثهم وشأنهم. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه أشرف عليهم فكلمهم، فقال: أترهنوني أبناءكم؟ وأرادوا أن يبيعهم تمراً، قال: فقالوا إنا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وَسْق، وهذا رهينة وسقين! فقال: أترهنوني نسائكم؟ قالوا: أنت أجمل الناس، ولا نأمنك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك؟ ولكنا نرهنك سلاحنا، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم. فقال: ائتوني بسلاحكم، واحتملوا ما شئتم! قالوا: فانزل إلينا نأخذ عليك، وتأخذ علينا. فذهب ينزل، فتعلقت به امرأته وقالت: أرسل إلى

أمثالهم من قومك يكونوا معك. قال: لو وجدني هؤلاء نائماً ما أيقظوني. قالت: فكلمهم من فوق البيت، فأبى عليها، فنزل إليهم يفوح ريحه، قالوا: ما هذه الريح يا فلان؟ قال: هذا عطر أم فلان! امرأته. فدنا إليه بعضهم يشم رائحته، ثم اعتنقه، ثم قال: اقتلوا عدو الله! فطعنه أبو عبس في خاصرته، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف، فقتلوه، ثم رجعوا. فأصبحت اليهود مذعورين، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: قتل سيدنا غيلة! فذكرهم النبي ﷺ صنيعه، وما كان يحض عليهم، ويحرض في قتالهم، ويؤذيهم، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً، فقال: فكان ذلك الكتاب مع عليّ رضوان الله عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: واذكر أيضاً من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد إذ أخذ الله ميثاقهم، ليبيننّ للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم، وهو التوراة والإنجيل، وأنك لله رسول مرسل بالحقّ، ولا يكتمونه، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يقول: فتركوا أمر الله وضيعوه، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك، فكتموا أمرك، وكذبوا بك، ﴿واشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ يقول: وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوّتك، عوضاً منه، خسيساً قليلاً من عرض الدنيا. ثم ذمّ جلّ ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك، فقال: ﴿فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ﴾.

واختلف أهل التأويل فيمن عُني بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها اليهود خاصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أنه حدثه، عن ابن عباس: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ**﴾ إلى قوله: ﴿**عَذَابٌ ألِيمٌ**﴾ يعني: فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،

عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَه فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهورِهِمْ﴾ كان أمرهم أن يتبعوا النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته، وقال: ﴿اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. فلما بعث الله محمداً ﷺ قال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ عاهدهم على ذلك، فقال حين بعث محمداً: صدّقوه، وتلقون الذي أحببتم عندي.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ﴾... الآية، قال: إن الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس محمداً ﷺ، ولا يكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي الجحاف، عن مسلم البطين، قال: سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ فقام رجل إلى سعيد بن جبير فسأله، فقال: وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود، «لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ» محمداً ﷺ ولا يكتمونه، فنبذوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ﴾ قال: وكان فيه إن الإسلام دين الله الذي افترضه على عباده، وإن محمداً يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

وقال آخرون: عني بذلك كلُّ من أوتي علماً بأمر الدين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾... الآية، هذا ميثاق أخذ الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلمه وإياكم، وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفنّ رجل ما لا علم له به، فيخرج من دين الله، فيكون من المتكلفين، كان يقال: مثل علم لا يقال به: كمثل كنز لا ينفق منه، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب. وكان يقال: طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع. هذا رجل علم علماً فعلمه وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيراً فحفظه ووعاه، وانتفع به.

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، قال: جاء رجل إلى قوم في المسجد وفيه عبد

الله بن مسعود فقال: إن أخاكم كعباً يقرئكم السلام، ويبشركم أن هذه الآية ليس فيكم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ﴾ فقال له عبد الله: وأنت فأقرئه السلام، وأخبره أنها نزلت وهو يهودي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة بنحوه، عن عبد الله وكعب.

وقال آخرون: معنى ذلك: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، قال: ثني يحيى بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن أصحاب عبد الله يقرؤون: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِيثاقَهُمْ﴾ قال: من النبيين على قومهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا قبيصة، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد، قال: قلت لابن عباس: إن أصحاب عبد الله يقرؤون ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّين» قال: فقال: أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم. وأما قوله: «لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ». فإنه كما:

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثني أبي، قال: ثنا محمد بن ذكوان، قال: ثنا أبو نعامة السعدي، قال: كان الحسن يفسر قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ﴾ ليتكلمن بالحق وليصدقنه بالعمل.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ بالتاء، وهي قراءة عُظْم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب، بمعنى: قال لهم: لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقرأ ذلك آخرون: «لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ» بالياء جميعاً على وجه الخبر عن الغائب، لأنهم في قوّت إخبار الله نبيه ﷺ بذلك عنهم كانوا غير موجودين، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب. والقول في ذلك عندنا: أنهما قراءتان صحيحة وجوههما، مستفيضتان في قراءة الإسلام، غير مختلفتي المعاني، فبأيتهما قرأ القارىء فقد أصاب الحق والصواب في ذلك. غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك، فإن أحب القراءتين إليّ أن أقرأ بها: «لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ» بالياء جميعاً استدلالاً بقوله: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أنه إذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد ومثال واحد، ولو كان الأول بمعنى الخطاب لكان أن يقال: فنبذتموه وراء ظهوركم، أولى من أن يقال: فنبذوه وراء ظهورهم.

وأما قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فإنه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق، وتركهم العمل به. وقد بينا المعنى الذي من أجله قبل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا، فكرهنا إعادته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب البجلي، عن الشعبي في قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال: إنهم قد كانوا يقرؤونه إنما نبذوا العمل به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال: نبذوا الميثاق.

حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: ثنا مالك بن مغول، قال: نبئت عن الشعبي في هذه الآية: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال: قذفوه بين أيديهم، وتركوا العمل به.

وأما قوله: ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ فإن معناه ما قلنا من أخذهم ما أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب. كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ أخذوا طمعاً، وكتموا اسم محمد ﷺ.

وقوله: ﴿فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ﴾ يقول: فبئس الشراء يشترون في تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ﴾ قال: تبديل اليهود التوراة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عُنِيَ بذلك قوم من أهل النفاق كانوا

يقعدون خلاف رسول الله ﷺ إذا غزا العدو، فإذا انصرف رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقي، قالا: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير، قال: ثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: أن رجالاً من المنافقين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، وإذا قدم النبي ﷺ من السفر اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أتوا﴾**... الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ويُحِبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾** قال: هؤلاء المنافقون يقولون النبي ﷺ: لو قد خرجت لخرجنا معك، فإذا خرج النبي ﷺ تخلفوا وكذبوا، ويفرحون بذلك، ويرون أنها حيلة احتالوا بها.

وقال آخرون: عُنِي بذلك قوم من أحْبار اليهود كانوا يفرحون بإضلالهم الناس، ونسبة الناس إياهم إلى العلم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، ثنا قال: سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾** إلى قوله **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** يعني: فنحاصاً وأشيع وأشباههما من الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة **﴿ويُحبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بما لم يَفْعَلُوا﴾** أن يقول لهم الناس علماء وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى ولا خير، ويحبون أن يقول لهم الناس: قد فعلوا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك، إلا أنه قال: وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد ﷺ، ويحبون أن يحمدوا بأن يقال لهم أهل صلاة وصيام.

ذكر من قال ذلك:

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم، يقول في قوله: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا**﴾ فإنهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد ﷺ، وقالوا: قد جمع الله كلمتنا، ولم يخالف أحد منا أحداً أنه نبيّ، وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أهل الصلاة والصيام. وكذبوا، بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله، قال الله: ﴿**يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿**لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾ قال: كانت اليهود أمر بعضكم بعضاً، فكتب بعضهم إلى بعض أن محمداً ليس بنبيّ، فاجمعوا كلمتكم، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم. ففعلوا وفرحوا بذلك، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد ﷺ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: كتموا اسم محمد ﷺ، ففرحوا بذلك، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد ﷺ.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: كتموا اسم محمد ﷺ، وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه، وكانوا يزكون أنفسهم، فيقولون: نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة، ونحن على دين إبراهيم ﷺ. فأنزل الله فيهم: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا**﴾ من كتمان محمد ﷺ: ﴿**وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾ أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم، وليسوا كذلك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن أبي الجَحَّاف، عن مسلم البطين، قال: سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِيَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا**﴾ قال سعيد بن جبير: بكتمانهم محمداً، ﴿**وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾ قال: هو قولهم: نحن على دين إبراهيم عليه السلام.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا**﴾: هم أهل الكتاب أنزل عليهم الكتاب، فحكموا بغير الحق، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وفرحوا

بذلك، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فرحوا بأنهم كفروا بمحمد ﷺ، وما أنزل الله، وهم يزعمون أنهم يعبدون الله، ويصومون، ويصلون، ويطيعون الله؛ فقال الله جلّ ثناؤه لمحمد ﷺ: **﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾** كفروا بالله وكفروا بمحمد ﷺ، **﴿ويُحِبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾** من الصلاة والصوم، فقال الله جلّ وعزّ لمحمد ﷺ: **﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ العَذَابِ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله، ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: **﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾** قال: يهود، فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، ولا تملك يهود ذلك.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي المعلى، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية: **﴿ويُحِبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾** قال: اليهود يفرحون بما آتى الله إبراهيم عليه السلام.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن أبي المعلى العطار، عن سعيد بن جبير، قال: هم اليهود، فرحوا بما أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله ﷺ عن شيء، فكتموه، ففرحوا بكتمانهم ذلك إياه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة بن أبي وقاص أخبره: أن مروان قال لرافع: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً، ليعذبنا الله أجمعين! فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود، فسألهم عن

شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه. ثم قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾... الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني عبد الله بن أبي مليكة، أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بن الحكم قال لبوابه: يا رافع اذهب إلى ابن عباس، فقل له: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذّباً، لنعذبن جميعاً فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب. ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفعَلُوا﴾ قال ابن عباس: سألهم النبيّ ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه، فاستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه.

وقال آخرون: بل عني بذلك قوم من يهود أظهروا النفاق للنبيّ ﷺ محبة منهم للحمد، والله عالم منهم خلاف ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن أعداء الله اليهود يهود خيبر أتوا نبيّ الله ﷺ، فزعموا أنهم راضون بالذي جاء به، وأنهم متابعوه وهم متمسكون بضلالتهم، وأرادوا أن يحمدهم نبيّ الله ﷺ بما لم يفعلوا، فأنزل الله تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَا أَتَوا ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفعَلُوا﴾... الآية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: إن أهل خيبر أتوا النبيّ ﷺ وأصحابه، فقالوا: إنا على رأيكم وهيئتكم، وإنا لكم ردء، فأكذبهم الله، فقال: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾... الآيتين.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، قال: جاء رجل إلى عبد الله، فقال: إن كعباً يقرأ عليك السلام، ويقول: إن هذه الآية لم تنزل فيكم: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَا أَتَوا ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفعَلُوا﴾ قال: أخبروه أنها نزلت وهو يهوديّ.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾... الآية، قول من قال: عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جلّ وعزّ أنه أخذ ميثاقهم، ليبيننّ للناس أمر محمد ﷺ، ولا يكتمونه، لأن قوله: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾... الآية

في سياق الخبر عنهم، وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك، وأنك لي رسول مرسل بالحقّ، وهم يجدونك مكتوباً عندهم في كتبهم، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوّتك، وبيان أمرك للناس، وأن لا يكتموهم ذلك، وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك، يفرحون بمعصيتهم إياي في ذلك، ومخالفتهم أمري، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم، واتباع لوحيه، وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه، وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله، ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم، لم يفعلوا شيئاً مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب، ولهم عذاب أليم. وقوله: ﴿**فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ العَذَابِ**﴾ فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعدّه لأعدائه في الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل، وما أشبه ذلك من عقاب الله، ولا هم ببعيد منه. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ العَذَابِ**﴾ قال: بمنجاة من العذاب.

قال أبو جعفر: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ يقول: ولهم عذاب في الآخرة أيضاً مؤلم، مع الذي لهم في الدنيا معجل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

وهذا تكذيب من الله جلّ ثناؤه الذين قالوا: ﴿**إنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنحنُ أغنِياءُ**﴾ يقول تعالى ذكره مكذّباً لهم: لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض، فكيف يكون أيها المفترون على الله من كان ملك ذلك له فقيراً! ثم أخبر جلّ ثناؤه أنه القادر على تعجيل العقوبة لقائلي ذلك ولكلّ مكذب به ومفتر عليه وعلى غير ذلك مما أراد وأحبّ، ولكنه تفضل بحلمه على خلقه، فقال: ﴿**وَاللّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ يعني: من إهلاك قائل ذلك، وتعجيل عقوبته لهم، وغير ذلك من الأمور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك وعلى سائر خلقه بأنه المدبر المصرف

الأشياء، والمسخر ما أحب، وإن الإغناء والإفقار إليه وبيده، فقال جل ثناؤه: تدبروا أيها الناس، واعتبروا ففيما أنشأته فخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفيما عقبت بينه من الليل والنهار، فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم، تتصرفون في هذا لمعاشكم، وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم، معتبرٌ ومذَّكر، وآيات وعظات. فمن كان منكم ذا لب وعقل، يعلم أن من نسبني إلى أني فقير وهو غني كاذب مفتر، فإن ذلك كله بيدي أقلبه وأصرفه، ولو أبطلت ذلك لهلكتم، فكيف ينسب فقر إلى من كان كل ما به عيش ما في السموات والأرض بيده وإليه! أم كيف يكون غنياً من كان رزقه بيد غيره، إذا شاء رزقه، وإذا شاء حرمه! فاعتبروا يا أولي الألباب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١)﴾

وقوله: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً**﴾ من نعت «أولي الألباب»، و «الذين» في موضع خفض ردّاً على قوله: «لأولي الألباب».

ومعنى الآية: إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، يعني بذلك: قياماً في صلاتهم وقعوداً في تشهدهم وفي غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياماً. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً**﴾... الآية، قال: هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة، وقراءة القرآن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُون الله قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ**﴾ وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم، فاذكره وأنت على جنبك يسراً من الله وتخفيفاً.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿**وَعَلى جُنُوبِهِمْ**﴾ فعطف بـ «على»، وهي صفة على القيام والقعود وهما اسمان؟ قيل: لأن قوله: ﴿**وَعَلى جُنُوبِهِمْ**﴾ في معنى الاسم، ومعناه: ونياماً أو

مضطجعين على جنوبهم؛ فحسن عطف ذلك على القيام والقعود لذلك المعنى، كما قيل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أوْ قاعِداً أو قائماً﴾ فعطف بقوله: ﴿أوْ قاعِداً أوْ قائماً﴾ على قوله: ﴿لِجَنْبِهِ﴾، لأن معنى قوله: لجنبه مضطجعاً، فعطف بالقاعد والقائم على معناه، فكذلك ذلك في قوله: ﴿وَعَلى جُنُوبِهِمْ﴾.

وأما قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ والأرْضِ﴾ فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثله شيء، ومن هو مالك كل شيء ورازقه، وخالق كل شيء ومدبره، من هو على كل شيء قدير، وبيده الإغناء والإفقار، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والشقاء والسعادة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنا ما خَلَقْتَ هَذَا باطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنا عَذَابِ النَّارِ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: ويتفكرون في خلق السموات والأرض، قائلين: ﴿رَبَّنا ما خَلَقْتَ هَذَا باطِلاً﴾ فترك ذكر قائلين، إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه؛ وقوله: ﴿ما خَلَقْتَ هَذَا باطِلاً﴾ يقول: لم تخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً، لم تخلقه إلا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة، وإنما قال: ما خلقت هذا باطلاً، ولم يقل: ما خلقت هذه، ولا هؤلاء، لأنه أراد بهذا الخلق الذي في السموات والأرض، يدل على ذلك قوله: ﴿سُبْحانَكَ فَقِنا عَذَابَ النَّارِ﴾ ورغبتهم إلى ربهم في أن يقيهم عذاب الجحيم، ولو كان المعنيّ بقوله: ﴿ما خَلَقْتَ هَذَا باطِلاً﴾ السموات والأرض، لما كان لقول عقيب ذلك: ﴿فَقِنا عَذَابَ النَّارِ﴾ معنى مفهوم، لأن السموات والأرض أدلة على بارئها، لا على الثواب والعقاب، وإنما الدليل على الثواب والعقاب: الأمر والنهي؛ وإنما وصف جل ثناؤه أولي الألباب الذين ذكرهم في هذه الآية، أنهم إذا رأوا المأمورين المنهيين، قالوا: يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلاً عبثاً سبحانك، يعني: تنزيهاً لك من أن تفعل شيئاً عبثاً، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر، لجنة أو نار. ثم فزعوا إلى ربهم بالمسألة أن يجيرهم من عذاب النار، وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره، فيكونوا من أهل جهنم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾

اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته، قال: ولا يخزي مؤمن مصيره إلى الجنة وإن عذّب بالنار بعض العذاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حفص الجبيري ومحمد بن بشار، قال: أخبرنا المؤمل، أخبرنا أبو هلال، عن قتادة، عن أنس، في قوله: ﴿رَبَّنا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أخْزَيْتَهُ﴾ قال: من تُخلد.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن رجل، عن ابن المسيب: ﴿رَبَّنا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أخْزَيْتَهُ﴾ قال: هي خاصة لمن لا يخرج منها.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو النعمان عارم، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا قبيصة بن مروان، عن الأشعث الحملي، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو؟ قال: نعم حق. قال: قلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله تعالى: ﴿رَبَّنا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أخْزَيْتَهُ﴾ و﴿يُرِيدُون أنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ ومَا هُمْ بَخارِجِينَ مِنْها﴾؟ قال: فقال لي: إنك والله لا تستطيع على شيء، إن للنار أهلاً لا يخرجون منها كما قال الله. قال: قلت يا أبا سعيد: فيمن دخلوا ثم خرجوا؟ قال: كانوا أصابوا ذنوباً في الدنيا، فأخذهم الله بها فأدخلهم بها، ثم أخرجهم بما يعلم في قلوبهم من الإيمان والتصديق به.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أخْزَيْتَهُ﴾ قال: هو من يخلد فيها.

وقال آخرون: معنى ذلك: ربنا إنك من تدخل النار من مخلد فيها وغير مخلد فيها، فقد أخزي بالعذاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا الحرث بن مسلم، عن يحيى بن عمرو بن دينار، قال: قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة، فانتهيت إليه أنا وعطاء، فقلت: ﴿رَبَّنا إنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أخْزَيْتَهُ﴾؟ قال: وما إخزاؤه حين أحرقه بالنار! وإن دون ذلك لخزياً.

وأولى القولين بالصواب عندي قول جابر: إن من أدخل النار فقد أخزي بدخوله إياها، وإن أخرج منها. وذلك أن الخزي إنما هو هتك ستر المخزي وفضيحته، ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه، فقد فضحه بعقابه إياه، وذلك هو الخزي.

وأما قوله: ﴿وَمَا للظَّالِمِينَ مِنْ أنْصَارٍ﴾ يقول: وما لمن خالف أمر الله فعصاه من ذي نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه أو ينقذه من عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل المنادي الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية، فقال بعضهم: المنادي في هذا الموضع القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عقبة، ثنا سفيان، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب: **﴿إنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي للإِيمَانِ﴾** قال: هو الكتاب، ليس كلهم لقي النبي ﷺ.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا منصور بن حكيم، عن خارجة، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي، في قوله: **﴿رَبَّنا إنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي للإيمَانِ﴾** قال: ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، ولكن المنادي: القرآن.

وقال آخرون: بل هو محمد ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿إنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي للإِيمَانِ﴾** قال: هو محمد ﷺ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿رَبَّنا إنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي للإِيمَانِ﴾** قال: ذلك رسول الله ﷺ.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول محمد بن كعب، وهو أن يكون المنادي القرآن؛ لأن كثيراً ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي ﷺ ولا عاينه، فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه، ولكنه القرآن. وهو نظير قوله جلّ ثناؤه مخبراً عن الجن إذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم أنهم قالوا: **﴿إنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إلى الرُّشْدِ﴾**. وبنحو ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿رَبَّنا إنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي للإِيمانِ﴾** إلى قوله: **﴿وَتَوَفَّنا مَعَ الأبْرَارِ﴾** سمعوا دعوة من الله فأجابوها، فأحسنوا الإجابة

فيها، وصبروا عليها، يُنَبِّئكُمُ الله عن مؤمن الإنس كيف قال، وعن مؤمن الجنّ كيف قال. فأما مؤمن الجنّ، فقال: ﴿**إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً**﴾؛ **وأما مؤمن الإنس، فقال**: ﴿**إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا**﴾... الآية.

وقيل: ﴿**إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي للإِيمَانِ**﴾ يعني: ينادي إلى الإيمان، كما قال تعالى ذكره: ﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانا لِهَذَا**﴾ بمعنى: هدانا إلى هذا، وكما قال الراجز.

أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ[1]

بمعنى: أوحى إليها، ومنه قوله: ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾.

وقيل: يحتمل أن يكون معناه: إننا سمعنا منادياً للإيمان ينادي أن آمنوا بربكم.

فتأويل الآية إذاً: ربنا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان يقول إلى التصديق بك، والإقرار بوحدانيتك، واتباع رسولك وطاعته، فيما أمرنا به، ونهانا عنه، مما جاء به من عندك فآمنا ربنا، يقول: فصدقنا بذلك يا ربنا، فاغفر لنا ذنوبنا، يقول: فاستر علينا خطايانا، ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤوس الأشهاد، بعقوبتك إيانا عليها، ولكن كفرها عنا، وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك إيانا، وتَوفنا مع الأبرار، يعني بذلك: واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك في عداد الأبرار، واحشرنا محشرهم ومعهم؛ والأبرار جمع برّ، وهم الذين بروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له، حتى أرضوه فرضي عنهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

إن قال لنا قائل: وما وجه مسألة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ما وعدهم، وقد علموا أن الله منجز وعده، وغير جائز أن يكون منه إخلاف موعد؟ قيل: اختلف في ذلك أهل البحث، فقال بعضهم: ذلك قول خرج مخرج المسألة، ومعناه الخبر، قالوا: وإنما تأويل الكلام: ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة، قالوا: وليس ذلك على أنهم

(١) البيت للعجاج أنشده «اللسان» (وحى). وهو في ديوانه طبع ليبسج (ص ـ ٥)، وروايته فيهما (وحى) بدون همز قبل الواو. والضمير في لها: راجع إلى الأرض في البيت قبله، يريد أوحى إليها. يريد: أمرها. وقال ابن بري: ووحى: بمعنى كتب.

قالوا: إن توفيتنا مع الأبرار فانجز لنا ما وعدتنا لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد، وأن ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء، ولكنه تفضل بإيتائه، ثم ينجزه.

وقال آخرون: بل ذلك قول من قائله على معنى المسألة والدعاء لله، بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله، لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم، ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم، فيكون ذلك منهم مسألة لربهم أن لا يخلف وعده، قالوا: ولو كان القوم إنما سألوا ربهم أن يؤتيهم ما وعد الأبرار، لكانوا قد زكوا أنفسهم، وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه، قالوا: وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين.

وقال آخرون: بل قالوا هذا القول على وجه المسألة، والرغبة منهم إلى الله أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر، والظفر بهم، وإعلاء كلمة الحق على الباطل، فيعجل ذلك لهم، قالوا: ومحال أن يكون القوم مع وصف الله إياهم بما وصفهم به كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد، فيرغبوا إلى الله جل ثناؤه في ذلك، ولكنهم كانوا وعدوا النصر، ولم يوقت لهم في تعجيل ذلك لهم، لما في تعجله من سرور الظفر وراحة الجسد.

والذي هو أولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي: أن هذه الصفة، صفة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ من وطنه وداره، مفارقاً لأهل الشرك بالله إلى الله ورسوله، وغيرهم من تباع رسول الله ﷺ الذين رغبوا إلى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم، فقالوا: ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلاً، فإنك لا تخلف الميعاد، ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم، فعجل حربهم، ولنا الظفر عليهم. يدل على صحة ذلك آخر الآيَة الأخرى، وهو قوله: **﴿فاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فالَّذِينَ هاجَرُوا وأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وأُوذُوا في سَبِيلي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾**... الآيات بعدها. وليس ذلك مما ذهب إليه الذين حكيت قولهم في شيء، وذلك أنه غير موجود في كلام العرب أن يقال: افعل بنا يا رب كذا وكذا، بمعنى: افعل بنا لكذا الذي ولو جاز ذلك، لجاز أن يقول القائل لآخر: أقبل إليّ وكلمني، بمعنى: أقبل إليّ لتكلمني، وذلك غير موجود في الكلام، ولا معروف جوازه، وكذلك أيضاً غير معروف في الكلام: آتنا ما وعدتنا، بمعنى: اجعلنا ممن آتيته ذلك وإن كان كلّ من أعطى شيئاً سنياً فقد صير نظيراً لمن كان مثله في المعنى الذي أعطيه، ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك، وإن كان قد يؤول معناه إليه.

فتأويل الكلام إذًا: ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسن رسلك أنك تعلي كلمتك كلمة الحق، بتأييدنا على من كفر بك وحادّك وعبد غيرك، وعجِّل لنا ذلك، فإنا قد علمنا أنك لا تخلف ميعادك، ولا تخزنا يوم القيامة، فتفضحنا بذنوبنا التي سلكت منا، ولكن كفّرها عنا واغفرها لنا. وقد:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا على رُسُلِكَ﴾** قال: يستنجز موعود الله على رسله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

يعني تعالى ذكره: فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم، بأني لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيراً ذكراً كان العامل أو أنثى، وذكر أنه قيل لرسول الله ﷺ: ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة؟ فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله، تذكر الرجال في الهجرة ولا نذكر؟ فنزلت: **﴿أني لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾**... الآية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت رجلاً من ولد أم سلمة زوج النبي ﷺ، يقول: قالت أم سلمة: يا رسول الله لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشيء! فأنزل الله تبارك وتعالى: **﴿فاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أني لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾**.

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: ثنا أسد بن موسى، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن رجل من ولد أم سلمة، عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء! فأنزل الله تعالى: **﴿فاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أني لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾**.

وقيل: فاستجاب لهم، بمعنى: فأجابهم، كما قال الشاعر:

وَدَاعٍ دَعا يا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى　　فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

بمعنى: فلم يجبه عند ذاك مجيب.

وأدخلت «من» في قوله: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ على الترجمة والتفسير عن قوله «منكم»، بمعنى: لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والإناث وليست «من» هذه بالتي يجوز إسقاطها وحذفها من الكلام في الجحد، لأنها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام إلا به. وزعم بعض نحويي البصرة أنها دخلت في هذا الموضع، كما تدخل في قولهم: «قد كان من حديث» قال: «ومن» ههنا أحسن، لأن النهي قد دخل في قوله: لا أضيع. وأنكر ذلك بعض نحويي الكوفة وقال: لا تدخل «من» وتخرج إلا في موضع الجحد؛ وقال: قوله: ﴿لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ﴾ لم يدركه الجحد، لأنك لا تقول: لا أضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت فيدخل، ولا لأنه لم ينله الجحد، ولكن «مِنْ» مفسرة.

وأما قوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فإنه يعني: بعضكم أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، مِنْ بعض، في النصرة والمسألة والدين، وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل على حكم أحدكم في أني لا أضيع عمل ذكر منكم ولا أنثى.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فالَّذِينَ هاجَرُوا وأُخرِجوا مِنْ دِيارِهِمْ وأُوذُوا فِي سَبِيلي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا ولأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾.

يعني بقوله جل ثناؤه: فالذين هاجروا قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله، والتصديق برسوله، وأخرجوا من ديارهم، وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة، وأوذوا في سبيلي، يعني: وأوذوا في طاعتهم ربهم،

(١) البيت من مرثية لكعب بن سعد الغنوي، رواها القالي في أماليه رثى بها أخاه. والداعي هنا: السائل. ويجيب: أي يرد الجواب. وقوله «فلم يستجبه»: أورده ابن قتيبة في الأفعال التي تتعدى تارة بنفسها، وتارة باللام في أدب الكاتب. قال يقال: استجبتك واستجبت لك. وقال شارحه ابن السيد: كذلك يعقوب ومن كتابه نقل ابن قتيبة؛ وقد يمكن أن يريد: فلم يجبه، ويدل عليه أنه قال مجيب، ولم يقل: مستجيب، فيكون الشاعر أجرى استفعل مرجى أفعل، مثل استوقد بمعنى أوقد. وأورده صاحب «الكشاف» عند قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ على أن الاستجابة تتعدى بنفسها، كما في البيت، وباللام كما في الآية، واستجاب له أكثر شيوعاً. «خزانة الأدب» للبغدادي (٤/ ٣٧٥).

وعبادتهم إياه، مخلصين له الدين، وذلك هو سبيل الله التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله ﷺ من أهلها؛ وقتلوا، يعني: وقتلوا في سبيل الله وقاتلوا فيها، لأكفرن عنهم سيئاتهم، يعني: لأمحونها عنهم، ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي، ولأغفرنها لهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ثوابها، يعني: جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله؛ من عند الله: يعني: من قِبَل الله لهم؛ والله عنده حسن الثواب، يعني: أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه، وذلك ما لا يبلغه وصف واصف، لأنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. كما:

حدثنا عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: ثني عمرو بن الحارث: أن أبا عشانة المعافري(١)، حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: لقد سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين، الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير عذاب، ولا حساب، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون: ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار، ونقدّس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا، فيقول الرب جل ثناؤه: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب: **﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾**».

واختلفت القراء في قراءة قوله: **﴿وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾** فقرأه بعضهم: «وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا» بالتخفيف، بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين وقرأ ذلك آخرون: «وَقاتَلُوا وَقُتِّلُوا» بتشديد قتّلوا، بمعنى: أنهم قاتلوا المشركين، وقتلهم المشركون بعضاً بعد بعض وقتلاً بعد قتل. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين: «وَقاتَلُوا وَقَتَلُوا» بالتخفيف، بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: **﴿وَقُتِلُوا﴾** بالتخفيف **﴿وَقاتَلُوا﴾** بمعنى: أن بعضهم قُتل، وقاتل من بقي منهم.

والقراءة التي لا أستجيز أن أعدوها إحدى هاتين القراءتين، وهي: «وَقاتَلُوا وقَتَلُوا» بالتخفيف، أو **﴿وقُتِلُوا﴾** بالتخفيف **﴿وَقاتَلُوا﴾** لأنها القراءة المنقولة نقل وراثة، وما عداهما

(١) في «**الخلاصة**» للخزرجي، في باب الكنى، أو عشانة: حي بن يؤمن.

فشاذ. وبأي هاتين القراءتين التي ذكرت أني لا أستجيز أن أعدوهما قرأ قارىء فمصيب في ذلك الصواب من القراءة، لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراء الإسلام مع اتفاق معنييهما.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: ولا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في البلاد، يعني: تصرفهم في الأرض وضربهم فيها. كما:

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادَ**﴾ يقول: ضربهم في البلاد.

فنهى الله تعالى ذكره نبيه ﷺ عن الاغترار بضربهم في البِلاد، وإمهال الله إياهم مع شركهم وجحودهم نعمه، وعبادتهم غيره. وخرج الخطاب بذلك للنبي ﷺ، والمعنيّ به غيره من أتباعه وأصحابه، كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله، ولكن كان بأمر الله صادعاً، وإلى الحق داعياً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادَ**﴾ والله ما غروا نبي الله، ولا وكل إليهم شيئاً من أمر الله، حتى قبضه الله على ذلك.

وأما قوله: ﴿**مَتاعٌ قَلِيلٌ**﴾ فإنه يعني: أن تقلبهم في البلاد وتصرفهم فيها متعة يمتعون بها قليلاً، حتى يبلغوا آجالهم، فتخترمهم منياتهم، ثم مأواهم جهنم بعد مماتهم، والمأوى: المصير الذي يأوون إليه يوم القيامة، فيصيرون فيه. ويعني بقوله: ﴿**وَبِئْسَ المِهادُ**﴾ وبئس الفراش والمضجع جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨)﴾

يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: لكن الذين اتقوا الله بطاعته، واتباع مرضاته، في العمل بما أمرهم به، واجتناب ما نهاهم عنه. ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ يعني: بساتين، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خالِدِينَ فِيها﴾ يقول: باقين فيها أبداً، ﴿نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: إنزالاً من الله إياهم فيها أنزلهموها؛ ونصب «نُزُلاً» على التفسير، من قوله: لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، كما يقال: لك عند الله جّنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً، وكما يقال: هو لك صدقة، وهو لك هبة. وقوله: ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: من قبل الله، ومن كرامة الله إياهم، وعطاياه لهم. وقوله: ﴿وَما عِنْدَ اللَّهِ خيرٌ للأَبْرَارِ﴾ يقول: وما عند الله من الحياة والكرامة، وحسن المآب خير للأبرار، مما يتقلب فيه الذين كفروا فإن الذي يتقلبون فيه زائل فان، وهو قليل من المتاع خسيس، وما عند الله خير من كرامته للأبرار، وهم أهل طاعته، باق غير فانٍ ولا زائل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: ﴿وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيرٌ للأَبْرَارِ﴾ قال: لمن يطيع الله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن خيثمة عن الأسود، عن عبد الله، قال: ما من نفس برّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها. ثم قرأ عبد الله: ﴿وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيرٌ للأَبْرَارِ﴾ وقرأ هذه الآية: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيرٌ لأَنْفُسِهِمْ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن فرج بن فضالة، عن لقمان، عن أبي الدرداء أنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له. ومن لم يصدقني، فإن الله يقول: ﴿وَما عِنْدَ اللَّهِ خَيرٌ للأَبْرَارِ﴾ ويقول: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها أصحمة النجاشي، وفيه أنزلت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا أبو بكر الهذلي، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «اخْرُجُوا فَصَلُّوا على أخٍ لَكُمْ!» فصلى بنا، فكبر أربع تكبيرات، فقال: «هَذَا النَّجاشِي أصْحمةُ»، فقال المنافقون: انظروا هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط! فأنزل الله: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن قتادة: أن النبي ﷺ قال: «إنَّ أخاكُمْ النَّجاشِيَّ قَدْ ماتَ فَصَلُّوا عَلَيْهِ!» قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ قال: فنزلت: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ وَما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ خاشِعِينَ للَّهِ**﴾ قال قتادة: فقالوا: فإنه كان لا يصلي إلى القبلة. فأنزل الله: ﴿**ولِلَّهِ المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ وَما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ**﴾ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشي وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله ﷺ، وصدقوا به. قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ استغفر للنجاشي، وصلى عليه حين بلغه موته، قال لأصحابه: «صَلُّوا على أخٍ لَكُمْ قَدْ ماتَ بِغَيْرِ بِلادِكُمْ!» فقال أناس من أهل النفاق: يصلي على رجل مات ليس من أهل دينه! فأنزل الله هذه الآية: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ وَما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ خاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ وَما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ**﴾ قال: نزلت في النجاشي وأصحابه ممن آمن بالنبي ﷺ، واسم النجاشي أصحمة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: قال عبد الرزاق، وقال ابن عيينة: اسم النجاشي بالعربية عطية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: لما صلى النبي ﷺ على النجاشي، طعن في ذلك المنافقون، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ**﴾... إلا آخر الآية.

وقال آخرون: بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ومن معه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: نزلت ـ يعني هذه الآية ـ في عبد الله بن سلام ومن معه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن زيد في قوله: **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ وَما أُنْزِلَ إلَيْهِمْ﴾**... الآية كلها، قال: هؤلاء يهود.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: مسلمة أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ﴾** من اليهود والنصارى، وهم مسلمة أهل الكتاب.

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد، وذلك أن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ﴾** أهل الكتاب جميعاً، فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود، ولا اليهود دون النصارى، وإنما أخبر أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله، وكلا الفريقين، أعني اليهود والنصارى، من أهل الكتاب.

فإن قال قائل: فما أنت قائل في الخبر الذي رويت عن جابر وغيره أنها نزلت في النجاشي وأصحابه؟ قيل: ذلك خبر في إسناده نظر، ولو كان صحيحاً لا شكّ فيه لم يكن لما قلنا في معنى الآية بخلاف، وذلك أن جابراً ومن قال بقوله إنما قالوا: نزلت في النجاشي، وقد تنزل الآية في الشيء ثم يعمّ بها كلّ من كان في معناه. فالآية وإن كانت نزلت في النجاشي، فإن الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشي حكماً لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشي في اتباعهم رسول الله ﷺ والتصديق بما جاءهم به من عند الله، بعد الذي كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده في الكتابين: التوراة والإنجيل. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: وإن من أهل الكتاب التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله، فيقرّ بوحدانيته، وما أنزل إليكم أيها المؤمنون، يقول: وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه، على لسان رسوله محمد ﷺ، وما أنزل إليهم، يعني: وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب، وذلك التوراة والإنجيل والزبور، خاشعين لله، يعني: خاضعين لله بالطاعة، مستكينين له بها متذللين. كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن زيد في قوله: ﴿**خاشِعِينَ لِلَّهِ**﴾ قال: الخاشع: المتذلل لله الخائف.

ونصب قوله: ﴿**خاشِعِينَ لِلَّهِ**﴾ على الحال من قوله: ﴿**لَمَنْ يُؤمِنُ باللَّهِ**﴾ وهو حال مّما في «يؤمن» من ذكر «من».

﴿**لا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً**﴾ يقول: لا يحرّفون ما أنزل إليهم في كتبه من نعت محمد ﷺ فيبدلونه، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه، لعرض من الدنيا خسيس، يعطونه على ذلك التبديل، وابتغاء الرياسة على الجهال، ولكن ينقادون للحقّ، فيعملون بما أمرهم الله به، فيما أنزل إليهم من كتبه، وينتهون عما نهاهم عنه فيها، ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم.

القول في تأويل قوله: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ أجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿**أولَئِكَ لَهُمْ أجْرُهُمْ**﴾: هؤلاء الذين يؤمنون بالله، وما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم، لهم أجرهم عند ربهم؛ يعني: لهم عوض أعمالهم التي عملوها، وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم، يعني: مذخور ذلك لهم لديه، حتى يصيروا إليه في القيامة، فيوفيهم ذلك ﴿**إنَّ اللَّهَ سريعُ الحسابِ**﴾ وسرعة حسابه تعالى ذكره، أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها، وبعد ما عملوها، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك، فيقع في الإحصاء إبطاء، فلذلك قال: ﴿**إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: اصبروا على دينكم، وصابروا الكفار ورابطوهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن أنه سمعه يقول في قول الله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾ قال: أمرهم أن يصبروا على دينهم، ولا يدعوه لشدّة ولا رخاء، ولا سرّاء ولا ضرّاء، وأمرهم أن يصابروا الكفار، وأن يرابطوا المشركين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾: أي اصبروا على طاعة الله، وصابروا أهل الضلالة، ورابطوا في سبيل الله، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾ يقول: صابروا المشركين، ورابطوا في سبيل الله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج: ﴿**اصْبِرُوا**﴾ على الطاعة، ﴿**وَصَابِرُوا**﴾ أعداء الله، ﴿**وَرَابِطُوا**﴾ في سبيل الله.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾ قال: اصبروا على ما أمرتم به، وصابروا العدوّ ورابطوهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: اصبروا على دينكم، وصابروا وعدي إياكم على طاعتكم لي، ورابطوا أعداءكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظي، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾ يقول: اصبروا على دينكم، وصابروا الوعد الذي وعدتكم، ورابطوا عدوّي وعدوّكم، حتى يترك دينه لدينكم.

وقال آخرون: معنى ذلك: اصبروا على الجهاد، وصابروا عدوّكم ورابطوهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾ قال: اصبروا على الجهاد، وصابروا عدوّكم، ورابطوا على عدوّكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا مطرف بن عبد الله المرّي، قال: ثنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب، فذكر له جموعاً من الروم وما يتخوّف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة يجعل

الله بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله يقول في كتابه: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

وقال آخرون: معنى: ﴿**وَرَابِطُوا**﴾: أي رابطوا على الصلوات: أي انتظروها واحدة بعد واحدة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، قال: ثني داود بن صالح، قال: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي هل تدري في أيّ شيء نزلت هذه الآية ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾؟ قال: قلت لا. قال: إنه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبيّ ﷺ غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن جدّه، عن شرحبيل عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدُلُّكُمْ على ما يُكَفِّرُ اللّهُ بِهِ الذُّنُوبَ والخَطايا؟ إسْباغُ الوُضُوءِ على المَكارِهِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكَ الرّباطُ».

حدثنا موسى بن سهل الرملي، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا محمد بن مهاجر، قال: ثني يحيى بن زيد، عن زيد بن أبي أنيسة، عن شرحبيل، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللَّهَ بِهِ الخطايا ويُكَفِّرُ بِهِ الذُّنُوبَ؟» قال: قلنا بلى يا رسول الله! قال: «إسْباغُ الوضُوءِ فِي أماكِنِها، وكَثْرَةُ الخَطا إلى المَساجِدِ، وَانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرّباطُ».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدُلُّكُمْ على ما يَحُطُّ اللَّهُ بِهِ الخَطايا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجاتِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسْباغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ المَكارِهِ، وكَثْرَةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وَانْتِظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرّباطُ فَذَلِكُمُ الرّباطُ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، بنحوه.

وأولى التأويلات بتأويل الآية، قول من قال في ذلك: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا**﴾: يا أيها الذين

صدّقوا الله ورسوله، اصبروا على دينكم، وطاعة ربكم، وذلك أن الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئاً فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل. فلذلك قلنا إنه عنى بقوله: ﴿اصْبِرُوا﴾ الأمر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى، صعبها وشديدها، وسهلها وخفيفها. ﴿وَصَابِرُوا﴾ يعني: وصابروا أعداءكم من المشركين.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن المعروف من كلام العرب في المفاعلة، أن تكون من فريقين، أو اثنين فصاعداً، ولا تكون من واحد إلا قليلاً في أحرف معدودة، وإذ كان ذلك كذلك، فإنما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم، حتى يظفرهم الله بهم، ويعلي كلمته، ويخزي أعداءهم، وأن لا يكن عدوّهم أصبر منهم. وكذلك قوله ﴿وَرَابِطُوا﴾ معناه: ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك في سبيل الله. وأرى أنّ أصل الرباط: ارتباط الخيل للعدوّ، كما ارتبط عدوّهم لهم خيلهم، ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر، يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء، ويحمي عنهم من بينه وبينهم، ممن بغاهم بشرّ كان ذا خيل قد ارتبطها، أو ذا رُجلة لا مركب له.

وإنما قلنا: معنى ﴿وَرَابِطُوا﴾: ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم، لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط. وإنما توجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفيّ، حتى يأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه إلى الخفيّ من معانيه حجةٌ يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول ﷺ، أو إجماع من أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: واتقوا الله أيها المؤمنون، واحذروه أن تخالفوا أمره، أو تتقدّموا نهيه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول: لتفلحوا فتبقوا في نعيم الأبد، وتنجحوا في طلباتكم عنده. كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتموني.

آخر تفسير سورة آل عمران.

(٤) سورة النساء مدنية

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾

قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿**يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم، وفيما نهاكم، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قِبَل لكم به. ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، وعرّف عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأمّ واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حقّ بعضهم على بعض واجب وجوب حقّ الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة. وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حقّ بعض، وإن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى. وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض، ليتناصفوا، ولا يتظالموا، وليبذل القويّ من نفسه للضعيف حقه بالمعروف، على ما ألزمه الله له، فقال: ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ يعني من آدم. كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾: فمن آدم ﷺ.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ يعني: آدم ﷺ.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ قال: آدم.

ونظير قوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ والمعنيّ به رجل، قول الشاعر:

أبوكَ خليفةٌ وَلَدتْهُ أُخْرَى   وأنتَ خليفةٌ ذاكَ الكَمالُ(١)

فقال: «ولدته أخرى»، وهو يريد الرجل، فأنث للفظ الخليفة. وقال تعالى ذكره: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ لتأنيث «النفس» والمعنى. «من رجل واحد» ولو قيل: «من نفس واحد»، وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى كان صواباً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَخَلَقَ مِنها زَوْجَها﴾ وخلق من النفس الواحدة زوجها؛ يعني بـ «الزوج» الثاني لها وهو فيما قال أهل التأويل: امرأتها، حوّاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنها زَوْجَها﴾ قال: حوّاء من قُصَيْرَى آدم وهو نائم، فاستيقظ فقال: «أثا» بالنبطية امرأة.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَخَلَقَ مِنها زَوْجَها﴾ يعني حوّاء خلقت من آدم، من ضلع من أضلاعه.

حدثني موسى بن هارون، قال: أخبرنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وَحِشاً ليس له زوج يسكن إليها؛ فنام نومة، فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها ما أنتِ؟ قالت امرأة، قال: ولم خلقتِ؟ قالت: لتسكن إلي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ألقي على آدم ﷺ السِّنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن عبد الله بن العباس

---

(١) البيت أنشده في «اللسان» (خلف) وقال: الخليفة: السلطان الأعظم، وقد يؤنث، وأنشد الفراء... البيت. قال: ولدته أخرى لتأنيث اسم الخليفة، الوجه أن يكون ولده آخر وقد تقدم الكلام على هذا البيت في (ص ٢٤٨ ج ٣).

وغيره، ثم أخذ ضِلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأم مكانه، وآدم نائم لم يهبّ من نومته، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حوّاء، فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كُشفت عنه السِّنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه، فقال فيما يزعمون والله أعلم: لحمي ودمي وزوجتي! فسكن إليها.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدّي: ﴿وَخَلَقَ مِنها زَوْجَها﴾ جعل من آدم حوّاء.

وأما قوله: ﴿وَبَثَّ مِنهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساء﴾ فإنه يعني ونشر منهما يعني من آدم وحواء ﴿رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ قد رآهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿كالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾. يقال منه: بثّ الله الخلق وأبثهم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَبَثَّ مِنهما رِجالاً كَثِيراً وَنساءً﴾ وبثّ: خَلَق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأَرْحام﴾.

اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة: «تَسَّاءَلُونَ» بالتشديد، بمعنى: تتساءلون، ثم أدغم إحدى التاءين في السين، فجعلهما سيناً مشددة. وقرأه بعض قراء الكوفة: ﴿تَسَاءَلُونَ﴾ بالتخفيف على مثال «تَفَاعَلُونَ»، وهما قراءتان معروفتان، ولغتان فصيحتان، أعني التخفيف والتشديد في قوله: ﴿تساءَلُونَ بِهِ﴾، وبأيّ ذلك قرأ القارىء أصاب الصواب فيه، لأن معنى ذلك بأيّ وجهيه قرىء غير مختلف.

وأما تأويله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها الناس، الذي إذا سأل بعضكم بعضاً سأل به، فقال السائل للمسؤول: أسألك بالله، وأنشدك بالله، وأعزم عليك بالله، وما أشبه ذلك. يقول تعالى ذكره: فكما تعظّمون أيها الناس ربكم بألسنتكم، حتى تروا أن من أعطاكم عهده فأخفركموه، فقد أتى عظيماً، فكذلك فعظموه بطاعتكم إياه فيما أمركم، واجتنابكم ما نهاكم عنه، واحذروا عقابه من مخالفتكم إياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ﴾ قال: يقول: اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ﴾ يقول: اتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: أخبرنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿تَساءَلُونَ بِهِ﴾ قال: تعاطفون به.

وأما قوله: ﴿والأرْحامَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: واتقوا الله الذي إذا سألتم بينكم، قال السائل للمسؤول: أسألك به وبالرحم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ يقول: اتقوا الله الذي تعاطفون به والأرحام. يقول: الرجل يسأل بالله وبالرحم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: هو كقول الرجل: أسألك بالله، أسألك بالرحم. يعني قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ الأرْحامَ﴾ قال: يقول: أسألك بالله وبالرحم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، هو كقول الرجل: أسألك بالرحم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ قال: يقول: أسألك بالله وبالرحم.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن منصور أو مغيرة، عن إبراهيم في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ وَالأرْحامَ﴾ قال: هو قول الرجل: أسألك بالله والرحم.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن الحسن، قال: هو قول الرجل: أنشدك بالله والرحم.

قال محمد: وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله: «والأرْحامِ» بالخفض عطفاً بالأرحام على الهاء التي في قوله «به»، كأنه أراد: واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام، فعطف بظاهر على مكنيّ مخفوض. وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لأنها لا تنسق بظاهر على مكني في الخفض إلا في ضرورة شعر، وذلك لضيق الشعر؛ وأما الكلام فلا شيء يضطرّ المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق والرديء في الإعراب منه. ومما جاء في الشعر من ردّ ظاهر على مكنيّ في حال الخفض قول الشاعر:

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفَنا ... وَما بينها وَالكَعْبِ غُوطٌ نَفانِفُ

فعطف «الكعب» وهو ظاهر على الهاء والألف في قوله «بينها» وهي مكنية.

وقال آخرون: تأويل ذلك: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ﴾ واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ وَالأرْحامَ﴾ يقول: اتقوا الله، واتقوا الأرحام لا تقطعوها.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ إنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «اتَّقُوا اللَّهَ وَصِلُوا الأرْحامَ، فإنَّهُ أبْقَى لَكُمْ فِي الدُّنيا، وَخَيْرٌ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ».

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن

(١) البيت من شواهد النحويين، أنشده الفراء ولم يعزه إلى أحد، وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: هو لمسكين الدارمي، أورد بعضه العيني في المقاصد النحوية «هامش خزانة الأدب» (٤/ ١٦٤، ١٦٦) قال العيني: والغوط بضم الغين: جمع غائط، وهو المطمئن من الأرض. والنفانف: بنونين وفاءين: جمع نفنف. وهي المفازة. قلت: يريد بعد ما بين السيف وكعب صاحبه. ويروى: «وما بينها والكعب مهوي نفانف». ونعلق بالنون، ويروى بالتاء مبنيا للمجهول. والشاهد فيه أنه عطف الكعب بالجر على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، والبصريون يمنعونه، والكوفيون يجيزونه، وكذلك أبو حيان من المتأخرين لكثرة وروده في الشعر انظر تفسير «**البحر المحيط**» لأبي حيان الأندلسي.

عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قول الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ يقول: اتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الله في الأرحام فصلوها.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا هشيم، عن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ قال: اتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوه في الأرحام.

حدثنا سفيان، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة في قول الله: ﴿الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ قال: اتقوا الأرحام أن تقطعوها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ قال: هو قول الرجل: أنشدك بالله والرحم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: أن النبيّ ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّهَ وَصِلُوا الأرْحامَ».

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ قال: اتقوا الأرحام أن تقطعوها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثني أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ قال: يقول: اتقوا الله في الأرحام فصِلوها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ قال: يقول: واتقوا الله في الأرحام فصِلوها.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، عن عبد الرحمن بن أبي حماد، وأخبرنا أبو جعفر الخزاز، عن جويبر، عن الضحاك، أن ابن عباس كان يقرأ: ﴿والأرْحامَ﴾ يقول: اتقوا الله لا تقطعوها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: اتقوا الأرحام.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأرْحامَ﴾ أن تقطعوها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ**﴾ واتقوا الأرحام أن تقطعوها. وقرأ: ﴿**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**﴾.

قال أبو جعفر: وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصباً، بمعنى: واتقوا الله الذي تساءلون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، عطفاً بالأرحام في إعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره. قال: والقراءة التي لا نستجيز للقارىء أن يقرأ غيرها في ذلك النصب: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ والأَرْحامَ**﴾ بمعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على مكنيّ في حال الخفض، إلا في ضرورة شعر، على ما قد وصفت قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: إن الله لم يزل عليكم رقيباً. ويعني بقوله: ﴿**عَلَيْكُمْ**﴾: على الناس الذين قال لهم جلّ ثناؤه: يا أيها الناس اتقوا ربكم والمخاطب والغائب إذا اجتمعا في الخبر، فإن العرب تخرج الكلام على الخطاب، فتقول إذا خاطبت رجلاً واحداً أو جماعة فعلتْ هي وآخرون غيّب معهم فعلاً: فعلتم كذا، وصنعتم. كذا ويعني بقوله: ﴿**رَقِيباً**﴾: حفيظاً، محصياً عليكم أعمالكم، متفقداً رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم إياها، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾: حفيظاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ على أعمالكم، يعلمها ويعرفها.

ومنه قول أبي دؤاد الإيادي:

كَمَقاعِدِ الرُّقَباءِ لِلضُّرَباءِ أَيْدِيهِمْ نَواهِدْ[1]

---

(١) أورد البيت صاحب «**اللسان**» في (رقب) والرقيب: الموكل بالضريب، وهو أمين أصحاب الميسر. والضرباء جمع ضريب، وهو الموكل بالقداح يضرب بها. نواهد: جمع ناهد أو ناهدة: أي مرتفعة يصف حال الرقباء بأنهم يرفعون أيديهم عندما يجيل الضرباء قداح في الخريطة، ليمنعوهم من غش إن ظهر لهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾

قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى، يقول لهم: وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى أموالهم، إذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد. **﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ﴾** يقول: ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم. كما:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: **﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ﴾** قال: الحلال بالحرام.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني سفيان، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ﴾** قال: الحرام مكان الحلال.

قال أبو جعفر: ثم اختلف أهل التأويل في صفة تبديلهم الخبيث بالطيب الذي نهوا عنه ومعناه، فقال بعضهم: كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفيع منه، ويجعلون مكانه لليتيم الرديء والخسيس، فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم: **﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ﴾** قال: لا تعط زيفاً وتأخذ جيداً.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن السديّ، وعن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب ومعمر، عن الزهري، قالوا: يعطي مهزولاً ويأخذ سميناً.

وبه عن سفيان، عن رجل، عن الضحاك، قال: لا تعط فاسداً وتأخذ جيداً.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ﴾** كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها الشاة المهزولة، ويقول: شاة بشاة. ويأخذ الدرهم الجيد، ويطرح مكانه الزيف، ويقول: درهم بدرهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تستعجل الرزق الحرام فتأكله قبل أن يأتيك الذي قدّر لك من الحلال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ**﴾ قال: لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذي قدّر لك.

وبه عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك كالذي:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ**﴾ قال: كان أهل الجاهلية لا يورّثون النساء، ولا يورّثون الصغار يأخذه الأكبر. وقرأ: ﴿**وَتَرْغَبُونَ أنْ تَنكِحُوهُنَّ**﴾ قال: إذا لم يكن لهم شيء، ﴿**والمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الوِلْدَانِ**﴾ لا يورثوهم، قال، فنصيبه من الميراث طيب، وهذا الذي أخذه خبيث.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويل ذلك: ولا تتبدّلوا أموال أيتامكم أيها الأوصياء الحرام عليكم الخبيث لكم، فتأخذوا رفائعها وخيارها وجيادها «بالطيب الحلال لكم من أموالكم[1]» ﴿**وتجعلوا**﴾[2] الرديء الخسيس بدلاً منه. وذلك أن تَبدّل الشيء بالشيء في كلام العرب أخذ شيء مكان آخر غيره، يعطيه المأخوذ منه، أو يجعله مكان الذي أخذ. فإذا كان ذلك معنى التبديل والاستبدال، فمعلوم أن الذي قاله ابن زيد من أن معنى ذلك: هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميته ووالده دون صغارهم إلى ماله، قول لا معنى له، لأنه إذا أخذ الأكبر من ولده جميع ماله دون الأصاغر منهم، فلم يستبدل مما أخذ شيئاً. فما التبدّل الذي قال جلّ ثناؤه: ﴿**وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ**﴾ ولم يبدّل الآخذ مكان المأخوذ بدلاً؟ وأما الذي قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجيء الحلال، فإنهما أيضاً إن لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذي روي عن ابن مسعود أنه قال: إن الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها، ففساده نظير فساد قول ابن زيد، لأن من استعجل الحرام فأكله، ثم

---

(١) لعل العبارة التي بين هذه الأقواس «» زيادة من قلم الناسخ.

(٢) (وتجعلوا) هذه زيادة زدناها يستقيم بها وجه العبارة وقد سبق مثلها في كلام المؤلف (السطر السابع من هذه الصفحة).

آتاه الله رزقه الحلال فلم يبدّل شيئاً مكان شيء، وإن كانا أرادا بذلك أن الله جلّ ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجيء الحلال، فيكون أكلهم ذلك سبباً لحرمان الطيب منه، فذلك وجه معروف، ومذهب معقول يحتمله التأويل، غير أن الأشبه في ذلك بتأويل الآية ما قلنا، لأن ذلك هو الأظهر من معانيه، لأن الله جلّ ثناؤه إنما ذكر ذلك في قصة أموال اليتامى وأحكامها، فلا يكون ذلك من جنس حكم أوّل الآية، فأخرجها من أن يكون من غير جنسه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إلى أَمْوَالِكُمْ﴾.

قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: ولا تخلطوا أموالهم - يعني: أموال اليتامى بأموالكم - فتأكلوها مع أموالكم. كما:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إلى أَمْوَالِكُمْ﴾** يقول: لا تأكلوا أموالكم وأموالهم، تخلطوها فتأكلوها جميعاً.

حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن مبارك، عن الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى، كرهوا أن يخالطوهم، وجعل وليّ اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله، فشكوا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فأنزل الله: **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إصْلاحٌ لَهُمْ خَيرٌ وَإنْ تُخالِطُوهُمْ فاِخْوَانُكُمْ﴾** قال: فخالطوهم واتّقوا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً﴾.

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره [بقوله]: **﴿إنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً﴾** إن أكلكم أموال أيتامكم مع أموالكم حوب كبير. والهاء في قوله «إنَّهُ» دالة على اسم الفعل، أعني الأكل. وأما الحُوب: فإنه الإثم، يقال منه: حاب الرجل يحوب حَوْباً وَحُوباً وحيابة، ويقال منه: قد تحوّب الرجل من كذا، إذا تأثم منه. ومنه قول أمية بن الأسكر الليثي:

وإنَّ مُهاجِرَيْنِ تَكَنَّفاهُ غَدَاتَئِذٍ لقَدْ خَطِئا وَحابا[1]

(١) هذا البيت لأمية بن الأسكر الجندعي الليثي من مقطوعة له، يشكو فيها فراق ابنه «كلاب» بن أمية في كبره وهرمه، ذكرت في «حسن الصحابة» في «**شرح أشعار الصحابة**» (١/ ٥٢، ٥٥) طبعة دار السعادة سنة ١٣٢٤ ورواية البيت فيه.

أتاهُ مُهاجِرانِ تَكَنَّفاهُ فَفارَقَ شَيْخَه خَطِئا وخابا

تكنفاه: أحاطا به أو أخذاه في كنفهما وحمايتهما. وشيخه: أي أباه. والرواية فيه وخابا، بالخاء المعجمة، لا بالحاء كما رواه المؤلف، من الجوب، وهو الإثم ورواية المؤلف أصح معنى.

ومنه قيل: نزلنا بَحوْبة من الأرض وبحيبة من الأرض: إذا نزلوا بموضع سَوْ منها. والكبير: العظيم، فمعنى ذلك: إن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم، إثم عند الله عظيم.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو وعمرو بن عليّ، قالا: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿**حُوباً كَبِيراً**﴾ قال: إثماً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ قال: إثماً عظيماً.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**كانَ حُوباً**﴾ أما حوباً: فإثماً.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**حُوباً**﴾ قال: إثماً.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ يقول: ظلماً كبيراً.

٧٣٩ ـ **حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد، يقول في قوله: ﴿**إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ قال: ذنباً كبيراً، وهي لأهل الإسلام.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا قرة بن خالد، قال: سمعت الحسن يقول: ﴿**حُوباً كَبِيراً**﴾ قال: إثماً والله عظيماً.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: وإن خفتم

يا معشر أولياء اليتامى ألا تقسطوا في صداقهنّ فتعدلوا فيه، وتبلغوا بصداقهنّ صدقات أمثالهنّ، فلا تنكحوهنّ، ولكن انكحوا غيرهنّ من الغرائب اللواتي أحلهنّ الله لكم وطيبهنّ من واحدة إلى أربع. وإن خفتم أن تجوروا إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة، فلا تعدلوا، فانكحوا منهنّ واحدة، أو ما ملكت أيمانكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ فقالت: يا ابن أختي، هي اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في مالها وجمالها، ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة صداقها، فنهوا أن ينكحوهنّ إلا أن يقسطوا لهنّ في إكمال الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما سواهنّ من النساء.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة زوج النبيّ ﷺ، عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهنّ، ويبلغوا بهنّ أعلى سنتهنّ في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال يونس بن يزيد: قال ربيعة في قول الله: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى**﴾ قال: يقول: اتركوهنّ فقد أحللت لكم أربعاً.

حدثنا الحسن بن الجنيد وأبو سعيد بن مسلمة، قالا: أنبأنا إسماعيل بن أمية، عن ابن شهاب، عن عروة، قال: سألت عائشة أمّ المؤمنين، فقلت: يا أمّ المؤمنين أرأيت قول الله: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**﴾؟ قالت: يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريد أن يتزوّجها بأدنى من سنة صداق نسائها، فنهوا عن ذلك أن ينكحوهنّ إلا أن يقسطوا فيكملوا لهنّ الصداق، ثم أمروا أن ينكحوا سواهنّ من النساء إن لم يكملوا لهنّ الصداق.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني الليث، قال: ثني يونس، عن ابن شهاب، قال: ثني عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة زوج النبيّ ﷺ، فذكر مثل حديث يونس، عن ابن وهب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، مثل حديث ابن حميد، عن ابن المبارك.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزل، يعني قوله: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتامَى﴾**... الآية، في اليتيمة تكون عند الرجل، وهي ذات مال، فلعله ينكحها لمالها، وهي لا تعجبه، ثم يضرّ بها، ويسيء صحبتها، فوعظ في ذلك.

قال أبو جعفر: فعلى هذا التأويل جواب قوله: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا﴾** قوله: **﴿فانْكِحُوا﴾**.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: النهي عن نكاح ما فوق الأربع، حذراً على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم، وذلك أن قريشاً، كان الرجل منهم يتزوّج العشر من النساء، والأكثر، والأقلّ، فإذا صار معدماً، مال على مال يتيمه الذي في حجره، فأنفقه، أو تزوّج به، فنهوا عن ذلك؛ وقيل لهم: إن أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها، فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم إليها، لما يلزمكم من مؤن نسائكم، فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على[1] أربع، وإن خفتم أيضاً من الأربع ألا تعدلوا في أموالهم[2] فاقتصروا على الواحدة، أو على ما ملكت أيمانكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، قال: سمعت عكرمة يقول في هذه الآية: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتامَى﴾** قال: كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة، ويكون عنده الأيتام، فيذهب ماله، فيميل على مال الأيتام. قال: فنزلت هذه الآية: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾**.

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة في قوله: **﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ فإنْ**

---

(١) كذا في الأصول. ولعله ضمن «تجاوزوا» معنى تزيدوا، فعداه بعلى.

(٢) الضمير في «أموالهم»: راجع إلى اليتامى. أي إن كان زواجكم أربعاً يؤدي إلى الجور على أموال اليتامى... الخ.

خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أوْ ما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾ قال: كان الرجل يتزوّج الأربع والخمس والستّ والعشر، فيقول الرجل: ما يمنعني أن أتزوّج كما تزوّج فلان، فيأخذ مال يتيمه فيتزوّج به، فنهوا أن يتزوّجوا فوق الأربع.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبيّ، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: **﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى﴾** فإن الرجل كان يتزوّج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى، فنهى الله عن ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن القوم كانوا يتحوّبون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها، ولا يتحوّبون في النساء ألا يعدلوا فيهنّ، فقيل لهم: كما خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى، فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهنّ، ولا تنكحوا منهنّ إلا من واحدة إلى الأربع، ولا تزيدوا على ذلك، وأن خفتم ألا تعدلوا أيضاً في الزيادة على الواحدة، فلا تنكحوا إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيهنّ من واحدة أو ما مَلكت أيمانكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: كان الناس على جاهليتهم، إلا أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه. قال: فذكروا اليتامى، فنزلت: **﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أوْ ما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾** قال: فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى، فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في النساء.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى﴾** إلى: **﴿أيمَانُكُمْ﴾** كانوا يشدّدون في اليتامى، ولا يشدّدون في النساء، ينكح أحدهم النسوة، فلا يعدل بينهنّ؛ فقال الله تبارك وتعالى: كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى فخافوا في النساء، فانكحوا واحدة إلى الأربع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾** حتى بلغ: **﴿أدْنَى ألاَّ تَعُولُوا﴾**

يقول: كما خفتم الجور في اليتامى وهمّكم ذلك، فكذلك فخافوا في جمع النساء. وكان الرجل في الجاهلية يتزوّج العشرة فما دون ذلك، فأحلّ الله جلّ ثناؤه أربعاً، ثم الذي صيرهنّ إلى أربع قوله: ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ فإنْ خِفْتُمْ ألاّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ يقول: إن خفت ألا تعدل في أربع فثلاث، وإلا فثنتين، وإلا فواحدة؛ وإن خفت ألا تعدل في واحدة، فما ملكت يمينك.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قوله: ﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ يقول: ما أحل لكم من النساء، ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ فخافوا في النساء مثل الذي خفتم في اليتامى ألا تقسطوا فيهن.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال جاء الإسلام، والناس على جاهليتهم، إلا أن يؤمروا بشيء فيتبعوه أو ينهوا عن شيء فيجتنبوه، حتى سألوا عن اليتامى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو النعمان عارم[1]، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: بعث الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ، والناس على أمر جاهليتهم، إلا أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه، وكانوا يسألونه عن اليتامى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ قال: فكما تخافون ألا تقسطوا في اليتامى فخافوا ألا تقسطوا وتعدلوا في النساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله: ﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى﴾ قال: كانوا في الجاهلية ينكحون عشراً من النساء الأيامى، وكانوا يعظمون شأن اليتيم، فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم، وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية، فقال: ﴿وَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان،

(١) في «خلاصة» الخزرجي: محمد بن الفضل السدوسي، أبو النعمان البصري الحافظ الملقب بعارم.

قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ كانوا في جاهليتهم لا يرزؤون من مال اليتيم شيئاً[١]، وهم ينكحون عشراً من النساء، وينكحون نساء آبائهم، فتفقدوا من دينهم شأن النساء، فوعظهم الله في اليتامى وفي النساء، فقال في اليتامى: ﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ﴾... إلى: ﴿إنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً﴾ ووعظهم في شأن النساء، فقال: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾... الآية، وقال: ﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾.

حُدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى﴾... إلى: ﴿ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ﴾ يقول: فإن خفتم الجور في اليتامى وغمكم ذلك، فكذلك فخافوا في جمع النساء. قال: وكان الرجل يتزوّج العشر في الجاهلية فما دون ذلك، وأحلّ الله أربعاً وصيرهم إلى أربع، يقول: ﴿فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وإن خفت ألا تعدل في واحدة، فما ملكت يمينك.

وقال آخرون: معنى ذلك: فكما خفتم في اليتامى، فكذلك فتخوفوا في النساء أن تزنوا بهنّ، ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: أخبرنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى﴾ يقول: إن تحرّجتم في ولاية اليتامى وأكل أموالهم إيماناً وتصديقاً، فكذلك فتحرّجوا من الزنا، وانكحوا النساء نكاحاً طيباً: ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أنتم ولاتهن، فلا تنكحوهنّ، وانكحوا أنتم ما أحلّ لكم منهنّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا أبي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة:

---

(١) لا يرزؤون: لا يأخذون منه شيئاً.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى﴾ قال: نزلت في اليتيمة تكون عند الرجل هو وليها، ليس لها وليّ غيره، وليس أحد ينازعه فيها، ولا ينكحها لمالها، فيضرّ بها، ويسيء صحبتها.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا يونس، عن الحسن في هذه الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ﴾: أي ما حلّ لكم من يتاماكم من قراباتكم ﴿مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ فإنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية قول من قال: تأويلها: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، فكذلك فخافوا في النساء، فلا تنكحوا منهنّ إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهنّ من واحدة إلا الأربع، فإن خفتم الجور في الواحدة أيضاً فلا تنكحوها، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم، فإنه أحرى أن لا تجوروا عليهنّ.

وإنما قلنا: إن ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الله جلّ ثناؤه افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حقها، وخلطها بغيرها من الأموال، فقال تعالى ذكره: ﴿وآتوا اليَتامَى أمْوَالَهمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أمْوَالَهمْ إلى أمْوَالِكُمْ إنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً﴾. ثم أعلمهم أنهم إن اتقوا الله في ذلك فتحرّجوا فيه، فالواجب عليهم من اتقاء الله، والتحرّج في أمر النساء مثل الذي عليهم ظن التحرّج في أمر اليتامى، وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيهنّ، كما عرّفهم المخلص من الجور في أموال اليتامى، فقال: انكحوا إن أمنتم الجور في النساء على أنفسكم، ما أبحت لكم منهنّ وحللته، مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم أيضاً الجور على أنفسكم في أمر الواحدة بأن تقدروا على إنصافها، فلا تنكحوها، ولكن تسرّوا من المماليك، فإنكم أحرى أن لا تجوروا عليهنّ، لأنهنّ أملاككم وأموالكم، ولا يلزمكم لهنّ من الحقوق كالذي يلزمكم للحرائر، فيكون ذلك أقرب لكم إلى السلامة من الإثم والجور، ففي الكلام إذ كان المعنى ما قلنا، متروك استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره. وذلك أن معنى الكلام: وإن خفتم ألا تقسطوا في أموال اليتامى فتعدّلوا فيها، فكذلك فخافوا ألا تقسطوا في حقوق النساء التي أوجبها الله عليكم، فلا تتزوّجوا منهنّ إلا ما أمنتم معه الجور، مثنى وثلاث ورباع، وإن خفتم أيضاً في ذلك فواحدة، وإن خفتم في الواحدة فما ملكت أيمانكم فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا أن تقسطوا في حقوق النساء بدلالة ما ظهر من قوله تعالى: ﴿فإنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾.

فإن قال قائل: فأين جواب قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتامَى﴾؟ قيل: قوله: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ﴾ غير أن المعنى الذي يدلّ على أن المراد بذلك ما قلنا: قوله: ﴿فإنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾.

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى الإقساط في كلام العرب: العدل والإنصاف، وأن القسط: الجور والحيف، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وأما اليتامى، فإنها جمع لذكران الأيتام وإناثهم في هذا الموضع. وأما قوله: ﴿**فانكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ**﴾ فإنه يعني: فانكحوا ما حلّ لكم منهنّ دون ما حرّم عليكم منهنّ. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك، قوله: ﴿**فانكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ**﴾: ما حلّ لكم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿**فانكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ**﴾ يقول: ما حَلّ لكم.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿**فانكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ**﴾ ولم يقل: فانكحوا من طاب لكم، وإنما يقال ما في غير الناس؟ قيل: معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه، وإنما معناه: فانكحوا نكاحاً طيباً. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فانكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ**﴾ فانكحوا النساء نكاحاً طيباً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

فالمعنيّ بقوله: ﴿**ما طابَ لَكُمْ**﴾ الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهنّ، فلذلك قيل «ما» ولم يقل «من»، كما يقال: خذ من رقيقي ما أردت إذا عنيت، خذ منهم إرادتك، ولو أردت خذ الذي تريد منهم لقلت: خذ من رقيقي من أردت منهم. وكذلك قوله: ﴿**أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ**﴾ بمعنى: أو ملك أيمانكم. وإنما معنى قوله: ﴿**فانكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ**﴾ فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع، كما قيل: ﴿**وَالّذِينَ يَرْمونَ المحْصَناتِ ثُمّ لَمْ يأْتوا بأرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُم ثَمانِينَ جَلْدَةً**﴾. وأما قوله ﴿**مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ**﴾ فإنما ترك إجراؤهنّ لأنهنّ معدولات عن اثنين وثلاث وأربع، كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك إجراؤه، وكذلك أحاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع، لا يجري ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن وجوهه. ومما يدلّ على أن ذلك كذلك، وأن الذكر والأنثى فيه سواء، ما قيل في هذه السورة وسورة فاطر: مثنى وثلاث ورباع، يراد به الجناح، والجناح ذكر، وأنه أيضاً لا يضاف إلى ما يضاف إليه الثلاثة والثلاث، وأن الألف واللام لا تدخله، فكان في ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة، ولو كان نكرة لدخله الألف واللام وأضيف كما يضاف الثلاثة والأربعة، ومما يبين

في ذلك قول تميم بن أبي مقبل:

تَرَى النُّعَرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ ... أُحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتْها صَوَاهِلُهْ(١)

فردّ أحاد ومثنى على النعرات وهي معرفة. وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها، كما قال الشاعر:

قَتَلْنا بِهِ مِنْ بَيْنِ مَثْنًى وَمَوْحَدٍ ... بأَرْبَعَةٍ مِنْكُمْ وآخَرَ خامِسِ(٢)

ومما يبين أن ثناء وأحاد غير جارية قول الشاعر:

ولَقَدْ قَتَلْتُكُمُ ثُناءَ وَمَوْحَداً ... وتركتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ(٣)

وقول الشاعر:

مَنَتْ لَكَ أن تلاقِيَنِي المَنايَا ... أُحادَ أُحادَ في شَهْرٍ حَلالِ(٤)

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته، لم يسمع منها خماس ولا المخمس، ولا السباع ولا المسبع وكذلك ما فوق الرباع، إلا في بيت للكميت، فإنه يروي له في العشرة عشار وهو قوله:

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حتى رَمَيْـ ... ـتَ فَوْقَ الرِّجالِ خِصالاً عُشارَا(٥)

---

(١) أورده في «اللسان» (نعر). وفيه «الخضر» في مكان «الزرق» قال الجوهري: النعرة مثال الهمزة (بضم النون وفتح العين): ذباب ضخم، أزرق العين، أخضر، له إبرة في طرف ذنبه، يلسع بها ذوات الحافر خاصة، وربما دخل في أنف الحمار. واللبان: الصدر، وأصعقتها صواهله: أي قتلها صهيله.

(٢) أورد المؤلف البيت شاهداً على أن مثنى وموحد قد يستعملان مصروفين إذا نكرا. والبصريون يقولون: إن موحد ومثنى ومثلث، ومربع وأحاد وثناء وثلاث ورباع ممنوعة من الصرف للوصفية والعدل، وهو مذهب سيبويه أو للتأنيث والعدل، وهو مذهب الزجاج، أو لتكرر العدل فيه، وهو مذهب ثالث لغيرهما من البصريين، كما ذكر صاحب «اللسان» في (ثلث).

(٣) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمي (ص ـ ٤٦٦) كما في «لسان العرب» (دبر). وقال ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب: كذا وقع في النسخ. وكذا رويناه عن أبي نصر عن أبي علي (يريد) القالي والصوالب: «المدبر»، كذا أنشده أبو عبيدة. يقوله صخر لبني مرة بن سعد بن ذبيان.

(٤) منت لك المنايا: أي قدرت لك الأقدار والبيت في «اللسان» (منى) والرواية فيه «في الشهر الحلال». ولم ينسبه لقائله.
ونسبه ابن قتيبة في كتاب «المعاني الكبير» (ص ـ ٨٤٠) لعمرو ذي الكلب. وفسره بقوله: هذا دعاء. منت لك: أي قدرت لك الأقدار لقائي وحدين في الشهر الحلال. قلت: يتمنى لقاءه في الشهر الحلال، ليريه كيف يكون لقاء الأبطال.

(٥) البيت للكميت «اللسان» (عشر) وهو من شواهد النحاة، على أنه لم يسمع صيغة فعال (بالضم) من العدد مما فوق رباع، إلا في قول الكميت... وقاسه الكوفيون من الواحد إلى العشرة.

يريد عشراً عشراً، يقال: إنه لم يسمع غير ذلك.

وأما قوله: ﴿فإنْ خِفتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فإن نصب واحدة، بمعنى: فإن خفتم ألا تعدلوا فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح فيما أوجبه الله لهنّ عليكم، فانكحوا واحدة منهنّ، ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع كان جائزاً بمعنى: فواحدة كافية، أو فواحدة مجزئة، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فإنْ لَمْ يَكونَا رَجُلَيْنِ فَرَجلٌ وَامْرأتانِ﴾ وإن قال لنا قائل: قد علمت أن الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاح أربع، فكيف قيل: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثلاثَ وَرُباعَ﴾ وذلك في العدد تسع؟ قيل: إن تأويل ذلك: فانكحوا ما طاب لكم من النساء، إما مثنى إن أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم؛ وإما ثلاث إن لم تخافوا ذلك؛ وإما أربع إن أمنتم ذلك فيهنّ، يدلّ على صحة ذلك قوله: ﴿فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ لأن المعنى: فإن خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة، ثم قال: وإن خفتم ألا تعدلوا أيضاً في الواحدة، فما ملكت أيمانكم.

فإن قال قائل: فإن أمر الله ونهيه على الإيجاب والإلزام حتى تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والإرشاد والإعلام، وقد قال تعالى ذكره: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ وذلك أمر، فهل من دليل على أنه من الأمر الذي هو على غير وجه الإلزام والإيجاب؟ قيل: نعم، والدليل على ذلك قوله: ﴿فإنْ خِفتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فكان معلوماً بذلك أن قوله: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ وإن كان مخرجه مخرج الأمر، فإنه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء، لا بمعنى الأمر بالنكاح. فإن المعنيّ به: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فتحرّجتم فيهنّ، فكذلك فتحرّجوا في النساء، فلا تنكحوا إلا ما أمنتم الجور فيه منهنّ، ما أحللته لكم من الواحدة إلى الأربع. وقد بينا في غير هذا الموضع بأن العرب تخرّج الكلام بلفظ الأمر، ومعناها فيه النهي أو التهديد والوعيد، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وكما قال: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْناهمْ فَتَمَتَّعوا فَسَوْفَ تَعْلَمونَ﴾ فخرج ذلك مخرج الأمر، والمقصود به التهديد والوعيد، والزجر والنهي، فكذلك قوله: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ بمعنى النهي، فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء. وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ﴾ قال أهل التأويل.

= واستراثه: استبطأه. ورواه ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب، وقال في شرحه: ومعنى يستريثوك: يجدونك رائثاً، أي بطيئاً. ورميت: زدت. يقال: رمى على الخمسين وأرمى: إذا زاد. يقول: لما نشأت نشأ الرجال، أسرعت في بلوغ الغاية التي يبلغها طلاب المعالي، ولم يقنعك ذلك حتى زدت عليه بعشر خصال فقت بها السابقين، وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ**﴾ يقول: فإن خفت ألا تعدل في واحدة، فما ملكت يمينك.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ**﴾: السراري.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿**فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أوْ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ**﴾ فإن خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: حدثنا يزيد، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك، قوله: ﴿**فإنْ خِفتمْ ألاَّ تَعْدِلُوا**﴾ قال: في المجامعة والحبّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أدْنَى أنْ لا تَعولوا﴾.

يعني بقوله تعالى ذكره: وإن خفتم ألا تعدلوا في مثنى أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة، أو خفتم ألا تعدلوا في الواحدة فتسرّرتم ملك أيمانكم؛ فهو أدنى، يعني: أقرب ألا تعولوا، يقول: أن لا تجوروا ولا تَميلوا، يقال منه: عال الرجل فهو يَعُول عَوْلاً وعِيالة، إذا مال وجار، ومنه عَوْل الفرائض، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص؛ وأما من الحاجة، فإنما يقال: عالَ الرجل عَيْلَةً، وذلك إذا احتاج، كما قال الشاعر:

وَمـا يَـدْرِي الـفَـقِـيـرُ مـتـى غِـنـاهُ ... ومـا يَـدْرِي الـغَـنِـيُّ مـتـى يَـعِـيـلُ(١)

بمعنى يفتقر. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا يونس، عن الحسن: ﴿**ذَلِكَ أدْنَى أنْ لا تَعولوا**﴾ قال: العول: الميل في النساء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثني حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد في قوله: ﴿**ذَلِكَ أدْنَى ألاَّ تَعولوا**﴾ يقول: لا تميلوا.

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح من أربعة أبيات ذكرها «**اللسان**» في (عيل). وعال يعيل من باب ضرب عيلة وعيولاً افتقر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعولوا﴾: أن لا تميلوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن عكرمة: ﴿أَلاَّ تَعولوا﴾ قال: أن لا تميلوا، ثم قال: أما سمعت إلى قول أبي طالب:

بِمِيزَانِ قِسْطٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عائِلِ

حدثني المثنى، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد بن زيد، عن الزبير، عن حريث، عن عكرمة في هذه الآية: ﴿أَلاَّ تَعولوا﴾ قال: أن لا تميلوا، قال: وأنشد بيتاً من شعر زعم أن أبا طالب قاله:

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ شَعِيرَةً وَوَازِنِ صِدْقٍ وَزْنُهُ غيرُ عائِلِ[1]

قال أبو جعفر: ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية:

بِمِيزَانِ صِدْقٍ لا يُغِلُّ شَعِيرَةً لَهُ شاهِدٌ مِنْ نفسِهِ غيُر عائِلِ

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم في قوله: ﴿أَلاَّ تَعولوا﴾ قال: ألا تميلوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن أبي إسحاق الكوفيّ، قال: كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه فيه: «إنّي لست بميزان لا أعول».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثام بن عليّ، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي

---

(١) البيت في لامية أبي طالب الطويلة يدافع بها عن ابن أخيه سيدنا رسول الله ﷺ **«السيرة لابن هشام»** طبعة الحلبي، (١/ ٢٩٦) و **«لسان العرب»** عيل (وفي رواية السيرة) «لا بخس»: أي لا ينقص، وفي شرح أبي ذر للسيرة (ص - ٩٠)، ويروى: «لا يخيس» من قولهم: خاس بالعهد إذا نقضه وأفسده، وعائل: جائر.

مالك في قوله: ﴿أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ قال: لا تميلوا.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾: أدنى أن لا تميلوا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿أَلاَّ تَعولوا﴾ قال: تميلوا.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ يقول: ألا تميلوا.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ يقول: تميلوا.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس. قوله: ﴿أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ يعني: ألا تميلوا.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ يقول: ذلك أدنى ألا تميلوا.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن أبي مالك في قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ قال: ألا تجوروا.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون وعارم أبو النعمان[1]، قالا: ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن يونس، عن أبي إسحاق، عن مجاهد: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ قال: تميلوا.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ ذلك أقلّ لنفقتك الواحدة، أقلّ من ثنتين وثلاث وأربع، وجاريتك أهون نفقة من حرّة؛ ﴿أَنْ لا تَعُولُوا﴾: أهون عليك في العيال.

---

(١) تقدم ذكره والتعريف به في (ص ـ ٢٣٤) من هذا الجزء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾

قال أبو جعفر: يعني بذلك تعالى ذكره: وأعطوا النساء مهورهنّ عطية واجبة، وفريضة لازمة؛ يقال منه: نحل فلان فلاناً كذا، فهو يَنْحَلُه نِحْلَةً ونُحْلاً. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نحْلَةً﴾** يقول: فريضة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: أخبرني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نحْلَةً﴾** يعني بالنحلة: المهر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: **﴿وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نحْلَةً﴾** قال: فريضة مسماة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: **﴿وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نحْلَةً﴾** قال: النحلة في كلام العرب: الواجب، يقول: لا ينكحها إلا بشيء واجب لها صدقة، يسميها لها واجبة، وليس ينبغي لأحد أن ينكح امرأة بعد النبيّ[1] ﷺ إلا بصداق واجب، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذباً بغير حقّ.

وقال آخرون: بل عنى بقوله: **﴿وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نحْلَةً﴾** أولياء النساء، وذلك أنهم كانوا يأخذون صدقاتهن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن سيار، عن أبي صالح، قال: كان الرجل إذا زوّج أيمة أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك، وَنزلت: **﴿وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾**.

وقال آخرون: بل كان ذلك من أولياء النساء، بأن يعطي الرجل أخته الرجل، على أن يعطيه الآخر أخته، على أن لا كثير مهر بينهما، فنهوا عن ذلك.

(١) أي بعد مجيئه بالشريعة السمحة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أن أناساً كانوا يعطي هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل، ولا يأخذون كثير مهر، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿**وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً**﴾.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك التأويل الذي قلناه، وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهنّ والجور عليهنّ، وعرفهم سبيلَ النجاة من ظلمهنّ؛ ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم. فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قيل لهم: ﴿**فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ**﴾ هم الذين قيل لهم: ﴿**وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ**﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهنّ نحلة، لأنه قال في الأوّل: ﴿**فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ**﴾ ولم يقل: فانكحوا، فيكون قوله: ﴿**وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ**﴾ مصروفاً إلى أنه معنيّ به أولياء النساء دون أزواجهنّ، وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهنّ والمسمى لهنّ الصداق أن يؤتوهنّ صدقاتهنّ دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسمّ لها في عقد النكاح صداق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: فإن وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئاً من صدقاتهنّ، طيبة بذلك أنفسهنّ، فكلوه هنيئاً مريئاً. كما:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا عمارة، عن عكرمة: ﴿**فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً**﴾ قال: المهر.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني حرمي بن عمارة، قال: ثنا شعبة، عن عمارة، عن عكرمة، عن عمارة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً**﴾ قال: الصدقات.

حدثني المثنى، قال: ثني الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿**فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً**﴾ قال: الأزواج.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن عبيدة، قال: قال لي إبراهيم: أكلتَ من الهنيء المريء! قلت: ما ذاك؟ قال: امرأتك أعطتك من صداقها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قال: دخل رجل على

علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه، من شيء أعطته امرأته من صداقها أو غيره، فقال له علقمة: اذنُ، فكل من الهنيء المريء!

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ يقول: إذا كان غير إضرار ولا خديعة، فهو هنيء مريء كما قال الله جلّ ثناؤه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ قال: الصداق، ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أن أناساً كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ يقول: ما طابت به نفساً في غير كره أو هوان، فقد أحلّ الله لك ذلك أن تأكله هنيئاً مريئاً.

وقال آخرون: بل عُني بهذا القول: أولياء النساء، فقيل لهم: إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهنّ بصدقاتهنّ نفساً، فكلوه هنيئاً مريئاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا سيار، عن أبي صالح في قوله: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ قال: كان الرجل إذا زوّج ابنته عمد إلى صداقها فأخذه، قال: فنزلت هذه الآية في الأولياء: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، التأويل الذي قلنا وأن الآية مخاطب بها الأزواج؛ لأن افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم، وقوله: ﴿فإن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ في سياقه.

وإن قال قائل: فكيف قيل: فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً، وقد علمت أن معنى الكلام: فإن طابت لكم أنفسهن بشيء؟ وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع، وذلك أنه تعالى ذكره قال: ﴿وآتوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نحْلَةً﴾؟ قيل: أما نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس، فإن ذلك المستفيض في كلام العرب من كلامها المعروف: ضِقْتُ بهذا الأمر ذراعاً وذرعاً، وَقَرِرْت بهذا الأمر عيناً، والمعنى: ضاق به ذرعي، وقرّت به عيني، كما قال الشاعر:

إذا التَّيَّازُ ذُو العَضَلاتِ قُلْنا ... إلَيكَ إلَيكَ ضَاقَ بِها ذِرَاعا[(١)]

فنقل صفة الذراع إلى ربّ الذراع، ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل. وكذلك وحد النفس في قوله: ﴿فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ إذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر. وأما توحيد النفس من النفوس، لأنه إنما أراد الهوى، والهوى يكون جماعة، كما قال الشاعر:

بِها جِيَفُ الحَسْرَى فَأمَّا عِظامُها ... فَبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فَصَلِيبُ[(٢)]

وكما قال الآخر:

فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقد شَجِينَا[(٣)]

وقال بعض نحويي الكوفة: جائز في النفس في هذا الموضع الجمع والتوحيد؛ فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً وأنفساً، وضقت به ذراعاً وذرعاً وأذرعاً، لأنه منسوب إليك، وإلى من تخبر عنه، فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك، ولم يذهب الوهم إلى أنه ليس بمعنى جمع لأن قبله جمعاً.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن النفس وقع موقع الأسماء التي تأتي

---

(١) البيت للقطامي يصف بكرة اقتضبها، وقد أحسن القيام عليها إلى أن قويت وسمنت، وصارت بحيث لا يقدر على ركوبها، لقوتها وعزة نفسها، قال ابن بري: هكذا أنشده الجوهري، وفسر في شعره أن إليك: خذها لتركبها وتروضها. قال: وهذا فيه إشكال، لأن سيبويه وجميع البصريين ذهبوا إلى أن إليك بمعنى تنح، وأنها غير متعدية إلى مفعول، وعلى ما فسروه في البيت يقضي أنها متعدية لأنهم جعلوها بمعنى خذها. قال: ورواه أبو عمرو الشيباني: لديك لديك، عوضاً من «إليك إليك» قال: وهذا أشبه بكلام العرب وقول النحويين، لأن لديك بمعنى عندك، وعندك في الإغراء تكون متعدية، كقولك: عندك زيداً أي خذ زيداً من عندك. وقد تكون أيضاً غير متعدية، بمعنى تأخر. وقوله ذو العضلات: أي ذو اللحمات الغليظة الشديدة. والتياز: الرجل الكثير العضل، وهو يتيز في مشيته: يتقلع من الأرض تقلعاً «اللسان» تيز.

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة التميمي، من قصيدة الطويلة المشهورة. «مختار الشعر الجاهلي» طبعة الحلبي (ص - ٤٢١) والحسرى: جمع حسير، وهي الدواب التي كلت من السير فماتت إعياء، وصليب: يابس. والهاء في «بها»: راجعة إلى المغازة التي وصفها.

(٣) هذا عجز بيت للمسيب بن زيد مناة، وصدره «لا تنكروا القتل وقد سبينا» وقد أنشده في «اللسان» (شجا).

بلفظ الواحد مؤدّية معناه إذا ذكر بلفظ الواحد، وأنه بمعنى الجمع عن الجمع. وأما قوله: ﴿هَنِيئاً﴾ فإنه مأخوذ من هنأت البعير بالقطران: إذا جرب فعولج به، كما قال الشاعر:

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ(١)

فكان معنى قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾: فكلوه دواء شافياً، يقال منه: هنأني الطعام ومرأني: أي صار لي دواء وعلاجاً شافياً، وهنئني ومرئني بالكسر، وهي قليلة، والذين يقولون هذا القول يقولون يهنأني ويمرأني، والذين يقولون هنأني، يقولون: يهنئني ويمرئني، فإذا أفردوا، قالوا: قد أمرأني هذا الطعام إمراء، ويقال: هنأت القوم: إذا عُلتهم، سمع من العرب من يقول: إنما سميت هانئاً لتهنأ، بمعنى: لتعول وتكفى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في السفهاء الذين نهى الله جلّ ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم، فقال بعضهم: هم النساء والصبيان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا إسرائيل، عن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير، قال: اليتامى والنساء.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن يونس، عن الحسن في قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ قال: لا تعطوا الصغار والنساء.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن الحسن، قال: المرأة والصبيّ.

---

(١) البيت لدريد بن الصة الفارس المشهور من مقطوعة قالها يصف الخنساء حين ذهب ليخطبها من أبيها عمرو بن الشريد السلمي، فرآها وكانت في ثياب عملها تهنأ بالقطران إبلا لهم جربى. والمتبذل: الذي اتخذ بذلة أو مبذلة، وهي ثوب يمتهن للعمل والهناء: القطران. والنقب بضم النون وبسكون القاف وبفتحها: جمع نقبة: القطع المتفرقة من الجرب. وقيل: أول ما يبدو منه وقبله:

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أينق جرب

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن شريك، عن أبي حمزة، عن الحسن قال: النساء والصغار، والنساء أسفه السفهاء.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكمْ﴾ قال: السفهاء: ابنك السفيه وامرأتك السفيهة، وقد ذكر أن رسول الله ﷺ، قال: «اتَّقوا اللّهَ في الضَّعِيفَيْنِ: اليتيم، والمرأة».

حدثنا المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا حميد، عن عبد الرحمن الرؤاسي، عن السديّ ـ قال: يردّه إلى عبد الله ـ قال: النساء والصبيان.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكمْ﴾ أما السفهاء: فالولد والمرأة.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَموَالَكمْ﴾ يعني بذلك: ولد الرجل وامرأته، وهي أسفه السفهاء.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكم﴾ قال: السفهاء: الولد والنساء أسفه السفهاء، فيكونوا عليكم أرباباً.

حدثنا أحمد بن حازم الغفاريّ، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك، قال: أولادكم ونساؤكم.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا أبي، عن سلمة، عن الضحاك، قال: النساء والصبيان.

حدثنا أحمد بن حازم، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾ قال: النساء والولدان.

حدثنا أحمد، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا ابن أبي عنبسة، عن الحكم: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أموالكم﴾ قال: النساء والولدان.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكُم الَّتي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً﴾ أمر الله بهذا المال أن يخزن فيحسن خزانته، ولا يملكه المرأة السفيهة والغلام السفيه.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا ابن المبارك، عن إسماعيل، عن أبي مالك، قال: النساء والصبيان.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: **﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمْ﴾** قال: امرأتك وبنيك، وقال: السفهاء: الولدان والنساء أسفه السفهاء.

وقال آخرون: بل السفهاء: الصبيان خاصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، في قوله: **﴿ولاَ تؤتوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمُ﴾** قال: هم اليتامى.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن شريك، عن سالم، عن سعيد، قال: **﴿السفهاء﴾**: اليتامى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، في قوله: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكمْ﴾** يقول: لا تنحلوا الصغار.

وقال آخرون: بل عنى بذلك السفهاء من ولد الرجل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك، قوله: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمْ﴾** قال: لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذي هو قوامك بعد الله تعالى.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمْ﴾** يقول: لا تسلط السفيه من ولدك. فكان ابن عباس يقول: نزل ذلك في السفهاء، وليسوا اليتامى من ذلك في شيء.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن فراس، عن الشعبي، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري أنه قال: ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم: رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيهاً وقد قال الله: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمُ﴾**، ورجل كان له على رجل دين، فلم يُشهد عليه.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد: ﴿وَلا تُؤْتوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمُ﴾... الآية، قال: لا تعط السفيه من ولدك رأساً ولا حائطاً ولا شيئاً هو لك قيماً من مالك.

وقال آخرون: بل السفهاء في هذا الموضع: النساء خاصة دون غيرهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أن رجلاً عمد فدفع ماله إلى امرأته فوضعته في غير الحقّ، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُؤتُوا السُّفَهاء أمْوَالَكُمْ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حميد، عن مجاهد: ﴿وَلا تؤتوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكمْ﴾ قال: النساء.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا سفيان، عن الثوري، عن حميد، عن قيس، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلا تُؤتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمْ﴾ قال: هنّ النساء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلا تُؤتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً﴾ قال: نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم، وهن سفهاء مَنْ كُنَّ أزواجاً أو أمهات أو بنات.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا هشام، عن الحسن، قال: المرأة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: النساء من أسفه السفهاء.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن أبي عوانة، عن عاصم، عن مورق قال: مرّت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة، فقال لها ابن عمر: ﴿وَلا تؤتوا السّفَهاءَ أمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً﴾.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا أن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: ﴿**وَلا تؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكُمْ**﴾ فلم يخصص سفيهاً دون سفيه، فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيهاً ماله صبياً صغيراً كان أو رجلاً كبيراً ذكراً كان أو أنثى، والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله، هو المستحقّ الحجر بتضييعه ماله وفساده وإفساده وسوء تدبيره ذلك.

وإنا قلنا ما قلنا من أن المعنيّ بقوله: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ**﴾ هو من وصفنا دون غيره، لأن الله جلّ ثناؤه قال في الآية التي تتلوها: ﴿**وَابْتَلُوا اليَتَامى حتى إذَا بَلَغُوا النّكاحَ فإنْ آنَسْتُمْ مِنهمْ رُشْداً فادْفَعوا إلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد، وقد يدخل في اليتامى الذكور والإناث، فلم يخصص بالأمر يدفع مالهم من الأموال الذكور دون الإناث، ولا الإناث دون الذكور. وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم إليهم، وأجيز للمسلمين مبايعتهم، ومعاملتهم غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم، وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم، فإذ كان ذلك كذلك، فبين أن السفهاء الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم، هم المستحقون الحجر، والمستوجبون أن يولى عليهم أموالهم، وهم من وصفنا صفتهم قبل، وأن من عدا ذلك، فغير سفيه، لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ، وأونس رشده. وأما قول من قال: عنى بالسفهاء النساء خاصة، فإنه جعل اللغة على غير وجهها، وذلك أن العرب لا تكاد تجمع فعيلاً على فعلاء، إلا في جمع الذكور، أو الذكور والإناث؛ وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم، جمعوه على فعائل وفعيلات، مثل غريبة تجمع غرائب وغريبات؛ فأما الغرباء فجمع غريب.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**أَمْوَالَكُمْ الّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً وَارزُقُوهُم فِيها وَاكْسُوهُمْ**﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك: لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان على ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل أيها الرشداء أموالكم التي تملكونها، فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها، ولكن ارزقوهم أنتم منها، إن كانوا ممن تلزمكم نفقته، واكسوهم، وقولوا لهم قولاً معروفاً. وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك: منهم أبو موسى الأشعري، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، قتادة، وحضرميّ، وسنذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكُمْ الّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً وَارْزُقوهُمْ فِيها**﴾ يقول: لا تعط امرأتك وولدك مالك، فيكونوا هم الذين يقومون عليك، وأطعمهم من مالك واكسهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه،

عن ابن عباس: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً وَارْزُقُوهُمْ فِيها وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ يقول: لا تسلط السفيه من ولدك على مالك، وأمره أن يرزقه منه ويكسوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السفهاءَ أَمْوالَكُمْ﴾ قال: لا تعط السفيه من مالك شيئاً هو لك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا تؤتوا السفهاء أموالهم؛ ولكنه أضيف إلى الولاة لأنهم قُوّامها ومدبّروها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: ثنا ابن المبارك، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمْ﴾[(١)].

وقد يدخل في قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السفهاءَ أَمْوالَكُمْ﴾ أموال المنهيين عن أن يؤتوهم ذلك، وأموال السفهاء، لأن قوله: ﴿أَمْوالَكُمْ﴾ غير مخصوص منها بعض الأموال دون بعض، ولا تمنع العرب أن تخاطب قوماً خطاباً، فيخرّج الكلام بعضه خبر عنهم وبعضه عن غيب، وذلك نحو أن يقولوا: أكلتم يا فلان أموالكم بالباطل فيخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى: أنك وأصحابك، أو وقومك أكلتم أموالكم، فكذلك قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ﴾ معناه: لا تؤتوا أيها الناس سفهاءكم أموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم، فتضيعوها. وإذ كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد عمّ بالنهي عن إيتاء السفهاء الأموال كلها، ولم يخصص منها شيئاً دون شيء، كان بيناً بذلك أن معنى قوله: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً﴾ إنما هو التي جعل الله لكم ولهم قياماً، ولكن السفهاء دخل ذكرهم في ذكر المخاطبين بقوله: «لكم».

وأما قوله: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً﴾ فإن قياماً وقيماً وقواماً في معنى واحد، وإنما القيام أصله القوام، غير أن القاف التي قبل الواو لما كانت مكسورة، جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها، كما يقال: صمت صياماً، وحلت حيالاً، ويقال منه: فلان قوّام أهل بيته، وقيام أهل بيته.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأ بعضهم: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَماً﴾ بكسر القاف وفتح الياء بغير ألف. وقرأه آخرون: ﴿قِياماً﴾ بألف. قال محمد: والقراءة التي نختارها:

---

(١) كذا بالنسخ، والذي في الدر عن سعيد بن جبير في قوله: «ولا تؤتوا السفهاء» قال: هم اليتامى «أموالكم» قال: أموالهم، بمنزلة قوله «ولا تقتلوا أنفسكم» ا هـ، وبه يتم دليل الدعوى.

﴿قِياماً﴾ بالألف، لأنها القراءة المعروفة في قراءة أمصار الإسلام، وإن كانت الأخرى غير خطأ ولا فاسد. وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك، لأن القراءات إذا اختلفت في الألفاظ واتفقت في المعاني، فأعجبها إلينا ما كان أظهر وأشهر في قراءة أمصار الإسلام.

وبنحو الذي قلناه في تأويل قوله: ﴿قِياماً﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا ابن المبارك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك: ﴿أمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِياماً﴾: التي هي قوامك بعد الله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكِمْ قِياماً﴾ فإن المال هو قيام الناس قوام معايشهم، يقول: كنت أنت قيم أهلك، فلا تعط امرأتك مالك، فيكونوا هم الذين يقومون عليك.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكمْ قِياماً﴾ يقول الله سبحانه: لا تعمد إلى مالك وما خوّلك الله وجعله لك معيشة، فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم ومؤنتهم. قال: وقوله: ﴿قِياماً﴾ بمعنى: قوامكم في معايشكم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن قوله: ﴿قِياماً﴾ قال: قيام عيشك.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا بكر بن شرود، عن ابن مجاهد أنه قرأ: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً﴾ بالألف، يقول: قيام عيشك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً﴾ قال: لا تعط السفيه من ولدك شيئاً هو لك قيم من مالك.

وأما قوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيها وَاكْسُوهُمْ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله؛ فأما الذين قالوا: إنما عنى الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَلا تُؤْتوا السُّفَهاءَ أمْوَالَكُمْ﴾ أولياء السفهاء، لا أموال السفهاء، فإنهم قالوا: معنى ذلك: وارزقوا أيها الناس سفهاءكم من نسائكم وأولادكم من أموالكم طعامهم، وما لا بدّ لهم منه من مؤنهم وكسوتهم. وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى، وسنذكر من لم يذكر من قائليه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: أمروا أن يرزقوا سفهاءهم من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم من أموالهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ**﴾ قال: يقول: أنفقوا عليهم.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيها وَاكْسُوهُمْ**﴾ يقول: أطعمهم من مالك واكسهم.

وأما الذين قالوا: إنما عنى بقوله: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السفهاءَ أمْوالَكُمُ**﴾ أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم، فإنهم قالوا: معنى قوله: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيها وَاكْسُوهُمْ**﴾: وارزقوا أيها الولاة ولاة أموال سفهاءكم من أموالهم، طعامهم وما لا بدّ لهم من مُؤَنِهِم وكسوتهم. وقد مضى ذكر ذلك.

قال أبو جعفر: وأما الذي نراه صواباً في قوله: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السفَهاءَ أمْوَالَكُمْ**﴾ من التأويل، فقد ذكرناه، ودللنا على صحة ما قلنا في ذلك بما أغنى عن إعادته.

فتأويل قوله: ﴿**وَارْزُقُوهُمْ فِيها وَاكْسُوهُمْ**﴾ على التأويل الذي قلنا في قوله: ﴿**وَلا تؤْتُوا السفَهاءَ أمْوَالَكُمُ**﴾ وألفوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم في أموالكم، ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها، وعلى سفهائكم منهم ممن لا تجب عليكم نفقته، ومن غيرهم الذين تلون أنتم أمورهم من أموالهم فيما لا بدّ لهم من مؤنهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم، لأن ذلك هو الواجب من الحكم في قول جميع الحجة، لا خلاف بينهم في ذلك مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُولوا لَهمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: عِدُهُمْ عِدَةً جميلة من البر والصلة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن

مجاهد: ﴿وَقولوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ قال: أمروا أن يقولوا لهم قولاً معروفاً في البرّ والصلة. يعني النساء، وهن السفهاء عنده.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَقولوا لَهمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ قال: عِدَةً تعدوهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ادعوا لهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَقولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ إن كان ليس من ولدك، ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه، فقل لهم قولاً معروفاً، قل لهم: عافانا الله وإياك، وبارك الله فيك.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصحة، ما قاله ابن جريج، وهو أن معنى قوله: ﴿وَقولوا لَهمْ قَوْلاً معْرُوفاً﴾: أي قولوا يا معشر ولاة السفهاء قولاً معروفاً للسفهاء، إنْ صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وخلينا بينكم وبينها، فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم. وما أشبه ذلك من القول الذي فيه حثّ على طاعة الله ونهي عن معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَابْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامى﴾: واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم، وصلاحهم في أديانهم، وإصلاحهم أموالهم. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن في قوله: ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامى﴾ قالا: يقول: اختبروا اليتامى.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ابتلوا اليتامى: فجرّبوا عقولهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامى﴾ قال: عقولهم.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامَى﴾ قال: اختبروهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامَى حتى إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ﴾ قال: اختبروه في رأيه وفي عقله كيف هو إذا عرف أنه قد أُنس منه رشد دفع إليه ماله. قال: وذلك بعد الاحتلام.

قال أبو جعفر: وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الابتلاء: الاختبار، بما فيه الكفاية عن إعادته.

وأما قوله: ﴿إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ﴾ فإنه يعني: إذا بلغوا الحلم. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿حتى إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ﴾: حتى إذا احتلموا.

حدثني عليّ بن داود قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿حتى إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ﴾ قال: عند الحلم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿حتى إذَا بَلَغُوا النكاحَ﴾ قال: الحلم.

القول في تأويل قوله: ﴿فإنْ آنَسْتُمْ مِنهُمْ رُشْداً﴾.

يعني قوله: ﴿فإنْ آنَسْتُمْ مِنهُمْ رُشْداً﴾: فإن وجدتم منهم وعرفتم. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فإنْ آنَسْتُمْ مِنهُمْ رُشْداً﴾ قال: عرفتم منهم.

يقال: آنست من فلان خيراً وبِرًّا بمدّ الألف إيناساً، وأنست به آنسُ أُنساً بقصر ألفها: إذا ألفه. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله: «فإنْ أحَسَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً» بمعنى: أحسستم: أي وجدتم.

واختلف أهل التأويل في معنى الرشد الذي ذكره الله في هذه الآية، فقال بعضهم: معنى الرشد في هذا الموضع: العقل والصلاح في الدين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فإن آنستم منهم رُشداً﴾ عقولاً وصلاحاً.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فإن آنستم منهم رُشداً﴾ يقول: صلاحاً في عقله ودينه.

وقال آخرون: معنى ذلك: صلاحاً في دينهم، وإصلاحاً لأموالهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن مبارك، عن الحسن، قال: رشداً في الدين وصلاحاً وحفظاً للمال.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿فإن آنستم منهم رُشداً﴾ في حالهم، والإصلاح في أموالهم.

وقال آخرون: بل ذلك العقل خاصة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: لا ندفع إلى اليتيم ماله، وإن أخذ بلحيته، وإن كان شيخاً، حتى يؤنس منه رشده: العقل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿فإن آنستم منهم رُشداً﴾ قال: العقل.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو شبرمة، عن الشعبي، قال: سمعته يقول: إن الرجل ليأخذ بلحيته وما بلغ رشده.

وقال آخرون: بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿فإن آنستم منهم رُشداً﴾ قال: صلاحاً وعلماً بما يصلحه.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى الرشد في هذا الموضع: العقل وإصلاح المال؛ لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك لم يكن ممن يستحقّ الحجر عليه في ماله، وحوز ما في يده عنه، وإن كان فاجراً في دينه. وإذ كان ذلك إجماعاً من الجميع، فكذلك حكمه إذا بلغ وله مال في يدي وصي أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته، واجب عليه تسليم ماله إليه، إذا كان عاقلاً بالغاً، مصلحاً لماله، غير مفسد؛ لأن المعنى الذي به يستحقّ أن يولي على ماله الذي هو في يده، هو المعنى الذي به يستحقّ أن يمنع يده من ماله الذي هو في يد وليّ، فإنه لا فرق بين ذلك. وفي إجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما في يده في حال صحة عقله وإصلاح ما في يده، الدليلُ الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له في مثل ذلك الحال، وإن كان قبل ذلك في يد غيره لا فرق بينهما. ومن فرق بين ذلك عكس عليه القول في ذلك، وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير، فلن يقول في أحدهما قولاً إلا ألزم في الآخر مثله. فإن كان ما وصفنا من الجميع إجماعاً، فبين أن الرشد الذي به يستحقّ اليتيم إذا بلغ فأونس منه دفع ماله إليه، ما قلنا من صحة عقله وإصلاح ماله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فادْفَعُوا إلَيْهِمْ أمْوالَهُمْ وَلا تَأكُلُوها إسْرَافاً﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: ولاة أموال اليتامى، يقول الله لهم: فإذا بلغ أيتامكم الحلم، فآنستم منهم عقلاً وإصلاحاً لأموالهم، فادفعوا إليهم أموالهم، ولا تحبسوها عنهم.

وأما قوله: ﴿وَلا تأْكُلُوها إسْرَافاً﴾ يعني: بغير ما أباحه الله لكم. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن: ﴿وَلا تأْكُلُوها إسْرَافاً﴾ يقول: لا تسرف فيها.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَلا تَأْكُلُوها إسْرَافاً﴾ قال: يسرف في الأكل.

وأصل الإسراف: تجاوز الحدّ المباح إلى ما لم يبح، وربما كان ذلك في الإفراط، وربما كان في التقصير، غير أنه إذا كان في الإفراط، فاللغة المستعملة فيه أن يقال: أسرف يُسرف إسرافاً، وإذا كان كذلك في التقصير، فالكلام منه: سَرِفَ يَسْرَفُ سَرَفاً، يقال: مررت بكم فسرفتكم، يراد منه: فسهوت عنكم وأخطأتكم، كما قال الشاعر:

أعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمانِيَةٌ ... ما فِي عَطائِهِمْ مَنٌّ وَلا سَرَفُ[(١)]

يعني بقوله: ولا سرف: لا خطأ فيه، يراد به: أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئونها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَبِداراً﴾ ومبادرة؛ وهو مصدر من قول القائل: بادرت هذا الأمر مبادرة وبداراً. وإنما يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولاة أموال اليتامى، يقول لهم: لا تأكلوا أموالهم إسرافاً، يعني: ما أباح الله لكم أكله، ولا مبادرة منكم بلوغهم، وإيناس الرشد منهم حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم. كما:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿إسْرافاً وَبِدَاراً﴾ يعني: أكل مال اليتيم مبادراً أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والحسن: ﴿وَلا تَأْكُلُوها إِسْرَافاً وَبِدَاراً﴾ يقول: لا تسرف فيها، ولا تبادر.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَبِدَاراً﴾ تبادراً أن يكبروا، فيأخذوا أموالهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد في قوله: ﴿إِسْرَافاً وَبِدَاراً﴾ قال: هذه لوليّ اليتيم خاصة، جعل له أن يأكل معه إذا لم يجد شيئاً يضع يده معه، فيذهب بوجهه، يقول: لا أدفع إليه ماله، وجعلتَ تأكله تشتهي أكله، لأنك إن لم تدفعه إليه لك فيه نصيب، وإذا دفعته إليه فليس لك فيه نصيب.

وموضع «أن» في قوله: «أن يكبروا» نصبٌ بالمبادرة، لأن معنى الكلام: لا تأكلوها مبادرة كبرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ كانَ غَنِيًّا﴾ من ولاة أموال اليتامى على أموالهم، ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ بماله عن أكلها بغير الإسراف والبدار أن يكبروا، بما أباح الله له أكلها به. كما:

---

(١) البيت لجرير كما في «**لسان العرب**» هند والهنيدة: اسم للمائة من الإبل. ويحدوها: يسوقها ثمانية أعبد. والمن: التذكير بالطاء على جهة الفخر به. والسرف: مجاوزة الحد في الإنفاق. أو الخطأ في الإنفاق، ووضع الشيء في غير موضعه وانظر ديوان جرير طبعة الصاوي (ص ـ ٣٨٩).

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش وابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنِيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ**﴾ قال: لغناه من ماله، حتى يستغني عن مال اليتيم.

وبه قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنِيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ**﴾ بغناه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ليث، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنِيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ قال: من مال نفسه، ومن كان فقيراً منهم إليها محتاجاً فليأكل بالمعروف.

قال أبو جعفر: ثم اختلف أهل التأويل في المعروف الذي أذن الله جلّ ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها، فقال بعضهم: ذلك هو القرض يستقرضه من ماله ثم يقضيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرّب، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت مال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرت قضيت.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن عطية، عن زهير، عن العلاء بن المسيب، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ قال: هو القرض.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت يونس، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني، أنه قال في هذه الآية: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ قال: الذي ينفق من مال اليتيم يكون عليه قرضاً.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا سلمة بن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال: سألت عبيدة عن قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ قال: إنما هو قرض، ألا ترى أنه قال: ﴿**فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ**﴾؟قال: فظننت أنه قالها برأيه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا هشام، عن محمد، عن عبيدة في قوله: **﴿وَمَنْ كانَ فَقيراً فَلْيَأكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾** وهو عليه قرض.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن سلمة بن علقمة، عن ابن سيرين، عن عبيدة في قوله: **﴿وَمَنْ كانَ فَقيراً فَلْيَأكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾** قال: المعروف: القرض، ألا ترى إلى قوله: **﴿فإذَا دَفَعْتُمْ إلَيهِمْ أمْوالَهُمْ فأشْهِدُوا عَلَيهِمْ﴾**؟

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة، مثل حديث هشام.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: **﴿وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾** يعني: القرض.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَمَنْ كانَ غَنِياً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأكُلْ بالمعروف﴾** يقول: إن كان غنياً فلا يحلّ له من مال اليتيم أن يأكل منه شيئاً، وإن كان فقيراً فليستقرض منه، فإذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه؛ فذلك أكله بالمعروف.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي يذكر عن حماد، عن سعيد بن جبير، قال: يأكل قرضاً بالمعروف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حجاج، عن سعيد بن جبير، قال: هو القرض ما أصاب منه من شيء قضاه إذا أيسر، يعني قوله: **﴿وَمَنْ كانَ غَنِيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾**.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن هشام الدسوائي، قال: ثنا حماد، قال: سألت سعيد بن جبير، عن هذه الآية: **﴿وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾** قال: إن أخذ من ماله قدر قوته قرضاً، فإن أيسر بعد قضاه، وإن حضره الموت ولم يوسر تحلله من اليتيم، وإن كان صغيراً تحلله من وليه.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا شعبة، عن حماد، عن سعيد بن جبير: فليأكل قرضاً.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن حماد، عن سعيد بن جبير: **﴿وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَيأكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾** قال: هو القرض.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو بن أبي قيس، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي: ﴿وَمَنْ كانَ غَنيًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ قال: لا يأكله إلا أن يضطرّ إليه كما يضطرّ إلى الميتة، فإن أكل منه شيئاً قضاه.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ قال: قرضاً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَلْيأكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ قال: سلفاً من مال يتيمه.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وعن حماد، عن سعيد بن جبير: ﴿فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ قالا: هو القرض. قال الثوري: وقاله الحكم أيضاً، ألا ترى أنه قال: ﴿فإذَا دَفَعْتُمْ إلَيهِمْ أمْوَالَهُمْ فأشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾؟

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا حجاج، عن مجاهد، قال: هو القرض ما أصاب منه من شيء قضاه إذا أيسر، يعني: ﴿وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿فَلْيأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ قال: القرض، ألا ترى إلى قوله: ﴿فإذَا دَفَعْتُمْ إلَيهِمْ أمْوَالَهُمْ﴾؟.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي وائل، قال: قرضاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، قال: إذا احتاج الوليّ أو افتقر فلم يجد شيئاً، أكل من مال اليتيم، وكتبه، فإن أيسر قضاه، وإن لم يوسر حتى تحضره الوفاة دعا اليتيم فاستحلّ منه ما أكل.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ من مال اليتيم بغير إسراف ولا قضاء عليه فيما أكل منه.

واختلف قائلو هذا القول في معنى أكل ذلك بالمعروف، فقال بعضهم: أن يأكل من طعامه بأطراف الأصابع، ولا يلبس منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، قال: أخبرني من سمع ابن عباس يقول: ﴿وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ قال: بأطراف أصابعه.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبيد الله الأشجعي، عن سفيان، عن السديّ، عمن سمع ابن عباس يقول؛ فذكر مثله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ﴾ يقول: فمن كان غنياً من ولي مال اليتيم فليستعفف عن ماله، ومن كان فقيراً من ولي مال اليتيم فليأكل معه بأصابعه، لا يسرف في الأكل، ولا يلبس.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا حرمي بن عمارة، قال: ثنا شعبة، عن عمارة، عن عكرمة في مال اليتيم: يَدُك مع أيديهم، ولا تتخذ منه قَلَنْسُوَة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء وعكرمة، قالا: تضع يدك مع يده.

وقال آخرون: بل المعروف في ذلك، أن يأكل ما يسدّ جوعه ويلبس ما وارى العورة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة عن إبراهيم، قال: إن المعروف ليس يلبس الكتان ولا الحلل، ولكن ما سدّ الجوع ووارى العورة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: كان يقال: ليس المعروف يلبس الكتان والحلل، ولكن المعروف ما سدّ الجوع ووارى العورة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن مغيرة، عن إبراهيم نحوه.

حدثنا عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو معبد، قال: سئل مكحول عن وليّ اليتيم، ما أكله بالمعروف إذا كان فقيراً؟ قال: يده مع يده. قيل له: فالكسوة؟ قال: يلبس من ثيابه، فأما أن يتخذ من ماله مالاً لنفسه فلا.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم في قوله: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال: ما سدّ الجوع، ووارى العورة، أما أنه ليس لبوس الكتان والحلل.

وقال آخرون: بل ذلك المعروف أكل تمره وشرب رِسْل ماشيته بقيامه على ذلك، فأما الذهب والفضة فليس له أخذ شيء منهما إلا على وجه القرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن القاسم بن محمد، قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إن في حجري أموال أيتام؟ وهو يستأذنه أن يصيب منها. فقال ابن عباس: ألست تبغي ضالتها؟ قال: بلى. قال: ألست تهنأ جرباها؟ قال: بلى. قال: ألست تليط[1] حياضها؟ قال: بلى. قال: ألست تَفْرِطُ عليها يوم ورودها؟ قال: بلى. قال: فأصب من رِسْلها، يعني: من لبنها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، قال: جاء أعرابيّ إلى ابن عباس، فقال: إن في حجري أيتاماً، وإن لهم إبلاً ولي إبل، وأنا أمنح من إبلي فقراء، فماذا يحلّ لي من ألبانها؟ قال: إن كنت تبغي ضالتها، وتهنأ جرباها، وتلوط حوضها، وتسعى عليها، فاشرب غير مضرّ بنسل، ولا ناهك في الحلب.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن أبي العالية في هذه الآية: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال: من فضل الرسل والثمرة.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن أبي العالية في والي مال اليتيم، قال: يأكل من رسل الماشية، ومن الثمرة لقيامه عليه، ولا يأكل من المال، وقال: ألا ترى أنه قال: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾؟.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت داود، عن رُفَيْع أبي العالية[2]، قال: رخص لوليّ اليتيم أن يصيب من الرسل، ويأكل من الثمرة؛ وأما الذهب والفضة فلا بدّ أن تردّ. ثم قرأ: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ ألا ترى أنه قال: لا بد من أن يدفع؟.

(١) لاط الحوض يلوطه وفي رواية يليطه: أصلحه ومسله بالطين.
(٢) رفيع بن مهران، كنيته أبو العالية. وفي الأصل: عن أبي العالية.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عن الحسن أنه قال: إنما كانت أموالهم أدخال النخل والماشية، فرخص لهم إذا كان أحدهم محتاجاً أن يصيب من الرسل.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا إسماعيل بن سالم، عن الشعبي في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ قال: إذا كان فقيراً أكل من التمر، وشرب من اللبن وأصاب من الرسل.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ ذكر لنا أن عمّ ثابت بن رفاعة ـ وثابت يومئذٍ يتيم في حجره ـ من الأنصار، أتى نبيّ الله ﷺ، فقال: يا نبيّ الله، إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحلّ لي من ماله؟ قال: «أنْ تأكُلَ بالمَعْرُوف مِنْ غَيْرِ أنْ تَقِيَ مالَكَ بمالِهِ، وَلا تَتَّخِذَ مِنْ مالِهِ وَفْراً» وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل، فيقوم وليه على صلاحه وسقيه، فيصيب من ثمرته. أو تكون له الماشية، فيقوم وليه على صلاحها، أو يلي علاجها ومؤنتها فيصيب من جُزَازها وعوارضها ورِسْلها، فأما رقاب المال وأصول المال، فليس له أن يستهلكه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْروفِ**﴾ يعني: ركوب الدابة وخدمه الخادم، فإن أخذ من ماله قرضاً في غنى، فعليه أن يؤدّيه، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً.

وقال آخرون منهم: له أن يأكل من جميع المال إذا كان يلي ذلك وإن أتى على المال ولا قضاء عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا إسماعيل بن صبيح، عن أبي إدريس، عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعاً، عن القاسم بن محمد، قال: سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عما يصلح لوليّ اليتيم؟ قال: إن كان غنياً فليستعفف، وإن كان فقيراً فليأكل بالمعروف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يحيى بن أيوب، عن محمد بن عجلان، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب كان يقول: يحلّ لوليّ الأمر ما يحلّ لوليّ اليتيم، من كان غنياً فليستعفف، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا الفضل بن عطية، عن عطاء بن أبي رباح في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوف**﴾ قال: إذا احتاج فليأكل بالمعروف، فإن أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري، قالا: ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى، فقال: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنِيّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ ومعروف ذلك: أن يتقي الله في يتيمه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن إبراهيم: أنه كان لا يرى قضاء على وليّ اليتيم إذا أكل وهو محتاج.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مغيرة، عن حماد، عن إبراهيم: ﴿**فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ في الوصيّ قال: لا قضاء عليه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم أنه قال في هذه الآية: ﴿**وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ قال: إذا عمل فيه وليّ اليتيم أكل بالمعروف.

حدثنا بشر بن محمد، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: إذا احتاج أكل بالمعروف من المال، طُعْمَةًمن الله له.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن البصري، قال: قال رجل للنبيّ ﷺ: إن في حجري يتيماً أأضربه؟ قال: «فِيما كُنْتَ ضَارِباً مِنْهُ وَلَدَكَ»؟ قال: أفأصيب من ماله؟ قال: «بالمَعْرُوفِ غيرَ مُتأثِّلٍ مالاً، وَلا وَاقٍ مَالكَ بِمَالِهِ».

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن الزبير بن موسى، عن الحسن البصري، مثله.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء أنه قال: يضع يده مع أيديهم، فيأكل معهم. كقدر خدمته وقدر عمله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن

هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: وليّ اليتيم إذا كان محتاجاً يأكل بالمعروف لقيامه بماله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وسألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ومَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ قال: إن استغنى كفّ، وإن كان فقيراً أكل بالمعروف. قال: أكل بيده معهم لقيامه على أموالهم وحفظه إياها، يأكل مما يأكلون منه، وإن استغنى كفّ عنه ولم يأكل منه شيئاً.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال بالمعروف الذي عناه الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿**وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾: أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه على وجه الاستقراض منه، فأما على غير ذلك الوجه، فغير جائز له أكله. وذلك أن الجميع مجمعون على أن والي اليتيم لا يملك من مال يتيمه إلا القيام بمصلحته. فلما كان إجماعاً منهم أنه غير مالكه، وكان غير جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره، يتيماً كان ربّ المال أو مدركاً رشيداً، وكان عليه إن تعدّى فاستهلكه بأكل أو غيره ضمانه لمن استهلكه عليه بإجماع من الجميع، وكان والي اليتيم سبيله سبيل غيره في أنه لا يملك مال يتيمه، كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه إذا أكل منه سبيله سبيل غيره وإن فارقه في أن له الاستقراض منه عند الحاجة إليه كما له الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه إذا كان قيماً بما فيه مصلحته، ولا معنى لقول من قال: إنما عنى بالمعروف في هذا الموضع أكل والي اليتيم، من مال اليتيم؛ لقيامه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه، لأن الوالي اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره إذا كان اليتيم محتاجاً إلى ذلك بأجرة معلومة، كما يستأجر له غيره من الأجراء، وكما يشتري له من نصيبه غنياً كان الوالي أو فقيراً. وإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد دلّ بقوله: ﴿**وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾ على أنه أكل مال اليتيم إنما أذن لمن أذن له من ولاته في حال الفقر والحاجة، وكانت الحال التي للولاة أن يؤجروا أنفسهم من الأيتام مع حاجة الأيتام إلى الأجراء، غير مخصوص بها حال غنى ولا حال فقر، كان معلوماً أن المعنى الذي أبيح لهم من أموال أيتامهم في كلّ أحوالهم، غير المعنى الذي أبيح لهم ذلك فيه في حال دون حال. ومن أبى ما قلنا ممن زعم أن لوليّ اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته إليه على غير وجه القرض استدلالاً بهذه الآية، قيل له: أمجمع على أن الذي قلت تأويل قوله: ﴿**وَمَن كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بالمَعْرُوفِ**﴾؟ فإن قال لا، قيل له: فما برهانك على أن ذلك تأويله، وقد علمت أنه غير مالك مال يتيمه؟ فإن قال: لأن الله أذن له بأكله، قيل له: أذن له بأكله مطلقاً، أم بشرط؟ فإن قال بشرط، وهو أن يأكله بالمعروف، قيل له: وما ذلك المعروف

وقد علمت القائلين من الصحابة والتابيعن ومن بعدهم من الخالفين إن ذلك هو أكله قرضاً وسلفاً؟ ويقال لهم أيضاً مع ذلك: أرأيت المولى عليهم في أموالهم من المجانين والمعاتيه ألولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم إليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها، كما قلتم ذلك في أموال اليتامى فأبحتموها لهم؟ فإن قالوا ذلك لهم، خرجوا من قول جميع الحجة، وإن قالوا ليس ذلك لهم، قيل لهم: فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى وحكم ولاتهم واحد في أنهم ولاة أموال غيرهم؟ فلن يقولوا في أحدهما شيئاً إلا ألزموا في الآخر مثله. ويسألون كذلك عن المحجور عليه، هل لمن يلي ماله أن يأكل ماله عند حاجته إليه؟ نحو سؤالنا عن أموال المجانين والمعاتيه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ فأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ﴾.

قال أبو جعفر: يعني بذلك جلّ ثناؤه: وإذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى إلى اليتامى أموالهم، فأشهدوا عليهم، يقول: فأشهدوا على الأيتام باستيفائهم ذلك مُنكم ودفعكموه إليهم. كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿فإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيهِمْ أَمْوَالَهُمْ فأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ﴾** يقول: إذا دفع إلى اليتيم ماله، فليدفعه إليه بالشهود، كما أمره الله تعالى.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وكَفَى باللَّهِ حَسِيباً﴾.

يقول تعالى ذكره: وكفى بالله كافياً من الشهود الذي يُشهدهم والي اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه. كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وكَفَى باللَّهِ حَسِيباً﴾** يقول: شهيداً.

يقال منه: قد أحسبني الذي عندي، يراد به: كفاني. وسمع من العرب: لأُحْسِبَنَّكم من الأسودين، يعني به: من الماء والتمر، والمُحْسِبُ من الرجال: المرتفع الحسب، والمُحْسَبُ: المكفيّ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللإناث منهم حصة منه، من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة. وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: كانوا لايورثون النساء، فنزلت: **﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: نزلت في أم كُحة وابنة كحة وثعلبة وأوس بن سويد، وهم من الأنصار، كان أحدهم زوجها، والآخر عمّ ولدها، فقالت: يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته، فلم نورّث، فقال عمّ ولدها: يا رسول الله لا تركب فرساً، ولا تحمل كلاً، ولا تنكأ[1] عدوّاً يكسب عليها، ولا تكتسب. فنزلت: **﴿للرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وللنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿للرِجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ﴾** قال: كان النساء لا يرثن في الجاهلية من الآباء، وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وإن كان ذكراً، فقال الله تبارك وتعالى: **﴿للرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾** إلى قوله: **﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾**.

قال أبو جعفر: ونصب قوله: **﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾** وهو نعت للنكرة لخروجه مخرج المصدر، كقول القائل: لك عليّ حقّ واجباً، ولو كان مكان قوله: **﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾** اسم صحيح لم يجز نصبه، لا يقال: لك عندي حقّ درهماً، فقوله: **﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾** كقوله: نصيباً فريضة وفرضاً، كما يقال: عندي درهم هبة مقبوضة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية، هل هو محكم، أو منسوخ؟ فقال بعضهم: هو محكم.

(١) نكأت العدو أنكؤهم، من باب فتح: لغة في نكيتهم: أكثرت فيهم الجراح والقتل، فوهنوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال محكمة، وليست منسوخة، يعني قوله: ﴿**وإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى**﴾... الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن الشيباني، عن عكرمة عن ابن عباس، مثله.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم والشعبي قالا: هي محكمة.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: واجب، ما طابت به أنفس أهل الميراث.

وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتامَى والمَساكِينُ**﴾ قال: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم والشعبي، قالا: هي محكمة ليست بمنسوخة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن عبد الرحمن، عن سفيان، وثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، أنه سئل عن قوله: ﴿**وَإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى واليَتامَى وَالَمساكِينُ فارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً**﴾ فقال سعيد: هذه الآية يتهاون بها الناس. قال: وهما وليان: أحدهما يرث والآخر لا يرث، والذي يرث هو الذي أمر أن يرزقهم، قال: يعطيهم؛ قال: والذي لا يرث هو الذي أمر أن يقول لهم قولاً معروفاً. وهي محكمة وليست بمنسوخة.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم بنحو ذلك، وقال: هي محكمة وليس بمنسوخة.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن مطرف، عن الحسن، قال: هي ثابتة، ولكن الناس بخلواً وشحّوا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا منصور والحسن، قالا: هي محكمة وليست بمنسوخة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عباد بن العوّام، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: هي قائمة يعمل بها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿وإذا حَضَرَ القِسمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى والمَساكِينُ فارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾** ما طابت به الأنفس حقاً واجباً.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الحسن والزهري، قالا في قوله: **﴿وإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى واليتامى والمَساكينُ فارزُقُوهُمْ مِنهُ﴾** قال: هي محكمة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا منصور، عن قتادة، عن يحيى بن يعمر، قال: ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس: هذه الآية: وآية الاستئذان: **﴿يا أيُها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ﴾**، وهذه الآية: **﴿يا أيُها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُم مِنْ ذكَرٍ وأُنثى﴾**.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول: هي ثابتة.

وقال آخرون: منسوخة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد أنه قال في هذه الآية: **﴿وَإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَساكِينُ﴾** قال: كانت هذه الآية قسمة قبل المواريث، فلما أنزل الله المواريث لأهلها جعلت الوصية لذوي القرابة الذين يحزنون ولا يرثون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا قرة بن خالد، عن قتادة، قال:

سألت سعيد بن المسيب، عن هذه الآية: **﴿وإذَ احَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القرْبَى واليَتَامَى والمَساكِينُ﴾** قال: هي منسوخة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث، فلما كانت الفرائض والمواريث نسخت.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك، قال: نسختها آية الميراث.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك، مثله.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وإذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولوا القُرْبَى واليَتامى﴾**... الآية، إلى قوله: **﴿قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾**، وذلك قبل أن تنزل الفرائض، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض، فأعطى كلّ ذي حقّ حقه، فجعلت الصدقة فيما سمَّى المتوفَى.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك، قال: نسختها المواريث.

وقال آخرون: هي محكمة وليست بمنسوخة، غير أن معنى ذلك: وإذا حضر القسمة، يعني بها: قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصي له به. قالوا: وأمر بأن يجعل وصيته في ماله لمن سماه الله تعالى في هذه الآية.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد: أن عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه وعائشة حية، فلم يدع في الدار أحداً إلا أعطاه. وتلا هذه الآية: **﴿وإذا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولوا القُرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ فارْزُقُوهُمْ مِنهُ﴾** قال القاسم: فذكرت ذلك لابن عباس، فقال: ما أصاب إنما هذه الوصية. يريد الميت، أن يوصي لقرابته.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن القاسم بن محمد أخبره أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم، فذكر نحوه.

حدثنا عمران بن موسى الصفار، قال: ثنا عبد الوار ث بن سعيد، قال: ثنا داود، عن سعيد بن المسيب في قوله: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ﴾** قال: أمر أن يوصي بثلثه في قرابته.

حدثنا ابن المبارك، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن سعيد بن المسيب، قال: إنما ذلك عند الوصية في ثلثه.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن سعيد بن المسيب: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أولوا القرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ فارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾** قال: هي الوصية من الناس.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ﴾** قال: القسمة: الوصية، كان الرجل إذا أوصى قالوا: فلان يقسم ماله، فقال: ارزقوهم منه، يقول: أوصوا لهم، يقول للذي يوصي: **﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَولاً مَعْرُوفاً﴾** فإن لم توصوا لهم، فقولوا لهم خيراً.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: هذه الآية محكمة غير منسوخة، وإنما عنى بها: الوصية لأولي قربى الموصي، وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره، أن شيئاً من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتها في كتابه أو بينها على لسان رسوله ﷺ غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر، أو منسوخ بحكم آخر، إلا والحكمان اللذان قضى لأحدهما بأنه ناسخ، والآخر بأنه منسوخ ناف كل واحد منهما صاحبه، غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه، وإن كان جائزاً صرفه إلى غير النسخ، أو يقوم بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ، حجة يجب التسليم لها. وإذ كان ذلك كذلك لما قد دللنا في غير موضع، وكان قوله تعالى ذكره: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولوا القُرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ فارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾** محتملاً أن يكون مراداً به: وإذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية، أولو قرابته واليتامى والمساكين، فارزقوهم منه، يراد: فأوصوا لأولي قرابتكم الذين لا يرثونكم منه، وقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفاً، كما قال في موضع آخر: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ إنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِين بالمَعْرُوفِ حَقًّا على المُتَّقِينَ﴾** ولا يكون منسوخاً بآية الميراث لم يكن لأحد صرفه إلى أنه منسوخ بآية الميراث، إذ كان لا دلالة على أنه منسوخ بها من كتاب أو سنة

ثابتة، وهو محتمل من التأويل ما بينا. وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ قسمة الموصي ماله بالوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين، فارزقوهم منه، يقول: فاقسموا لهم منه بالوصية، يعني: فأوصوا لأولي القربى من أموالكم، وقولوا لهم، يعني الآخرين وهم اليتامى والمساكين، قولاً معروفاً، يعني: يدعى لهم بخير، كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قوله قبل. وأما الذين قالوا: إن الآية منسوخة بآية المواريث، والذين قالوا: هي محكمة والمأمور بها ورثة الميت، فإنهم وجهوا قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ يقول: فأعطوهم منه، وقولوا لهم قولاً معروفاً. وقد ذكرنا بعض من قال ذلك، وسنذكر بقية من قال ذلك ممن لم نذكره.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ﴾ أمر الله جلّ ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم ويتاماهم من الوصية إن كان أوصى، وإن لم تكن وصية وصل إليهم من مواريثهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى﴾... الآية، يعني: عند قسمة الميراث.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة: أن أباه أعطاه من ميراث المصعب حين قسم ماله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عن ابن سيرين، قال: كانوا يرضخون[1] لهم عند القسمة.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن مطر، عن الحسن، عن حطان: أن أبا موسى أمر أن يعطوا إذا حضر قسمة الميراث أولو القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، وابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، قال: قسم أبو موسى بهذه الآية: ﴿وإذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ﴾.

---

(١) يرضخون لهم: يعطونهم عطاء يسيراً.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد ويحيى بن سعيد، عن شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن حطان، عن أبي موسى في هذه الآية: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ**﴾... الآية، قال: قضى بها أبو موسى.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن العلاء بن بدر في الميراث إذا قسم، قال: كانوا يعطون منه التابوت، والشيء الذي يستحيا من قسمته.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن الحسن وسعيد بن جبير، كانا يقولان: ذاك عند قسمة الميراث.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي العالية والحسن، قالا: يرضخون ويقولون قولاً معروفاً في هذه الآية: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ**﴾.

ثم اختلف الذين قالوا: هذه الآية محكمة، وإن القسمة لأولي القربى واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث إن كان بعض أهل الميراث صغيراً فقسم عليه الميراث وليّ ماله. فقال بعضهم: ليس لوليّ ماله أن يقسم من ماله ووصيته شيئاً، لأنه لا يملك من المال شيئاً، ولكنه يقول لهم قولاً معروفاً. قالوا: والذي أمره الله بأن يقول لهم معروفاً هو وليّ مال اليتيم إذا قسم مال اليتيم بينه وبين شركاء اليتيم، إلا أن يكون وليّ ماله أحد الورثة، فيعطيهم من نصيبه ويعطيهم من يجوز أمره في ماله من أنصبائهم. قالوا: فأما من مال الصغير الذي يولي على ماله لا يجوز لوليّ أن يعطيهم منه شيئاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي سعيد، قال: سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ**﴾ قال: إن كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم، وإن كان الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانوا صغاراً قال وليهم إني لست أملك هذا المال وليس لي وإنما هو للصغار، فذلك قوله: ﴿**وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً**﴾ قال: هما وليان: وليّ يرث، ووليّ لا يرث، فأما الذي يرث فيعطى، وأما الذي لا يرث، فقولوا له قولاً معروفاً.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا ابن داود، عن الحسن وسعيد بن جبير، كانا يقولان: ذلك عند قسمة الميراث، إن كان الميراث لمن قد أدرك، فله أن يكسو منه، وأن يطعم الفقراء والمساكين، وإن كان الميراث ليتامى صغار، فيقول الوليّ: إنه ليتامى صغار، ويقول لهم قولاً معروفاً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي سعيد، عن سعيد بن جبير قال: إن كانوا كباراً رضخوا، وإن كانوا صغاراً اعتذروا إليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن سليمان الشيباني، عن عكرمة: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى﴾** قال: كان ابن عباس يقول: إذا ولي شيئاً من ذلك يرضخ لأقرباء الميت، وإن لم يفعل اعتذر إليهم وقال لهم قولاً معروفاً.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ فارْزُقُوهمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾** هذه تكون على ثلاثة أوجه: أما الأول: فيوصي لهم وصية فيحضرون ويأخذون وصيتهم. وأما الثاني: فإنهم يحضرون فيقتسمون إذا كانوا رجالاً فينبغي لهم أن يعطوهم. وأما الثالث: فتكون الورثة صغاراً، فيقوم وليهم إذا قسم بينهم، فيقول للذين حضروا: حقكم حقّ وقرابتكم قرابة ولو كان لي في الميراث نصيب لأعطيتكم، ولكنهم صغار، فإن يكبروا فسيعرفون حقكم. فهذا القول المعروف.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن رجل، عن سعيد أنه قال: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أولوا القرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ فارْزُقوهمْ مِنهُ وَقولوا لَهمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾** قال: إذا كان الوارث عند القسمة، فكان الإناء والشيء الذي لا يستطاع أن يقسم فليرضخ لهم، وإن كان الميراث لليتامى، فليقل لهم قولاً معروفاً.

وقال آخرون منهم: ذلك واجب في أموال الصغار والكبار لأولي القربى واليتامى والمساكين، فإن كان الورثة كباراً، تولوا عند القسمة إعطاءهم ذلك، وإن كانوا صغاراً تولى إعطاء ذلك منهم وليّ مالهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن يونس في قوله: **﴿وإذا حَضَر القِسْمَة أوَلوا القرْبَى واليَتامى والمَساكِين فارْزُقوهمْ مِنْهُ﴾** فحدّث عن محمد، عن عبيدة: أنه ولي وصية، فأمر بشاة فذبحت، وصنع طعاماً لأجل هذه الآية، وقال: لولا هذه الآية لكان هذا من

مالي. قال: وقال الحسن: لم تنسخ، كانوا يحضرون فيعطون الشيء والثوب الخلق. قال يونس: إن محمد بن سيرين ولي وصية ـ أو قال أيتاماً ـ فأمر بشاة فذبحت، فصنع طعاماً، كما صنع عبيدة.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا هشام بن حسان، عن محمد: أن عبيدة قسم ميراث أيتام، فأمر بشاة فاشتريت من مالهم، وبطعام فصنع، وقال: لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي. ثم قرأ هذه الآية: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾**... الآية.

فكأن من ذهب من القائلين القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير، ومن قال: يرضخ عند قسمة الميراث لأولي القربى واليتامى والمساكين تأوّل قوله: **﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾**: فأعطوهم منه. وكأن الذين ذهبوا إلى ما قال عبيدة وابن سيرين، تأوّلوا قوله: **﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾**: فأطعموهم منه.

واختلفوا في تأويل قوله: **﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾** فقال بعضهم: هو أمر من الله تعالى ذكره ولاة اليتامى أن يقولوا لأولي قرابتهم ولليتامى والمساكين إذا حضروا قسمتهم مال من ولوا عليه ماله من الأموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيها أن يعتذروا إليهم على نحو ما قد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار. كما:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير: **﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾** قال: هو الذي لا يرث أمر أن يقول لهم قولاً معروفاً. قال: يقول: إن هذا المال لقوم غيب، أو ليتامى صغار ولكن فيه حقّ، ولسنا نملك أن نعطيكم منه شيئاً. قال: فهذا القول المعروف.

وقال آخرون: بل المأمور بالقول المعروف الذي أمر جلّ ثناؤه أن يقال له هو الرجل الذي يوصي في ماله، والقول المعروف هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير. وقد ذكرنا قائلي ذلك أيضاً فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: **﴿وَلْيَخْشَ﴾**: ليخف الذين يحضرون

موصياً يوصي في ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية به فيمن لا يرثه، ولكن ليأمره أن يبقي ماله لولده، كما لو كان هو الموصي، يسرّه أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده، وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتيال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ**﴾... إلى آخر الآية. فهذا في الرجل يحضره الموت فيسمعه يوصي بوصية تضرّ بورثته، فأمر الله سبحانه الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه ويسدّده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته إذا خشي عليهم الضيعة.

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ**﴾ يعني: الذي يحضره الموت، فيقال له: تصدّق من مالك، وأعتق، وأعط منه في سبيل الله، فنهوا أن يأمروه بذلك. يعني: أن من حضر منكم مريضاً عند الموت، فلا يأمره أن ينفق ماله في العتق أو الصدقة أو في سبيل الله، ولكن يأمره أن يبين ماله، وما عليه من دين، ويوصي في ماله لذوي قرابته الذين لا يرثون، ويوصي لهم بالخمس أو الربع. يقول: أليس يكره أحدكم إذا مات وله ولد ضعاف ـ يعني صغار ـ أن يتركهم بغير مال، فيكونوا عيالاً على الناس؟ فلا ينبغي أن تأمروه بما لا ترضون به لأنفسكم ولا أولادكم ولكن قولوا الحقّ من ذلك.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً**﴾ قال: يقول: من حضر ميتاً فليأمره بالعدل والإحسان، ولينهه عن الحيف والجور في وصيته، وليخش على عياله ما كان خائفاً على عياله لو نزل به الموت.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**وليخشَى الَّذِينَ لَوْ تَركُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً**﴾ قال: إذا حَضَرْتَ وصية ميت، فمره بما كنت آمراً نفسك بما تتقرّب به إلى الله، وخف في ذلك ما كنت خائفاً على ضعفتك لو تركتهم بعدك. يقول: فاتق الله وقل قولاً سديداً، إنْ هو زاغ.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**ولْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَركُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّة ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ ولْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾

الرجل يحضره الموت، فيحضره القوم عند الوصية، فلا ينبغي لهم أن يقولوا له: أوص بمالك كله وقدم لنفسك، فإن الله سيرزق عيالك، ولا يتركوه يوصي بماله كله، يقول للذين حضروا: ﴿ولْيَخْش الَّذِينَ لَوْ تَركُوا مِنْ خَلفِهِمْ ذُرّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيهِمْ﴾ فيقول كما يخاف أحدكم على عياله لو مات ـ إذ يتركهم صغاراً ضعافاً لا شيء لهم ـ الضيعة بعده، فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم، فيقول له القول السديد.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، قال: ذهبت أنا والحكم بن عيينة إلى سعيد بن جبير، فسألناه عن قوله: ﴿ولْيَخْش الَّذِين لَوْ تَركُوا مِنْ خَلفِهِمْ ذُرّيَّةً ضِعافاً﴾... الآية، قال: قال الرجل يحضره الموت، فيقول له من يحضره: اتق الله، صلهم، أعطهم، برّهم، ولو كانوا هم الذين يأمرهم بالوصية لأحبوا أن يبقوا لأولاهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ولْيَخْش الَّذِين لَوْ تَركُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرّيَّةً ضِعافاً﴾ قال: يحرضهم اليتامى فيقولون: اتق الله وصلهم وأعطهم، فلو كانوا هم لأحبوا أن يبقوا لأولادهم.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوَ تَركُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرّيَّةً ضِعافاً﴾... الآية، يقول: إذا حضر أحدكم من حضره الموت عند وصيته، فلا يقل: أعتق من مالك وتصدّق، فيفرّق ماله ويدع أهله عُيَّلاً، ولكن مروه فليكتب ماله من دين وما عليه، ويجعل من ماله لذوي قرابته خمس ماله، ويدع سائره لورثته.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَركُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيهِمْ﴾... الآية. قال: هذا يفرق المال حين يقسم، فيقول الذين يحضرون: أقللت زد فلاناً! فيقول الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فليخش أولئك وليقولوا فيهم مثل ما يحبّ أحدهم أن يقال في ولده بالعدل إذا أكثر: أبق على ولدك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وليخش الذين يحضرون الموصي وهو يوصي، الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً فخافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطفولتهم، أن ينهوه عن الوصية لأقربائه، وأن يأمره بإمساك ماله والتحفظ به لولده، وهم لو كانوا من أقرباء الموصي لسرّهم أن يوصي لهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، قال: ذهبت أنا والحكم بن عيينة، فأتينا مقسماً، فسألناه، يعني عن قوله: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً**﴾... الآية، فقال: ما قال سعيد بن جبير؟ فقلنا: كذا وكذا. فقال: ولكنه الرجل يحضره الموت، فيقول له من يحضره: اتق الله وأمسك عليك مالك، فليس أحد أحقّ بمالك من ولدك! ولو كان الذي يوصي ذا قرابة لهم، لأحبوا أن يوصي لهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت قال: قال مقسم: هم الذين يقولون: اتق الله وأمسك عليك مالك، فلو كان ذا قرابة لهم لأحبوا أن يوصي لهم.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ، وقرأ: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً**﴾ قال: قالوا حقيق أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لأهلها، كما أن لو كانت ذرّية نفسه بتلك المنزلة لأحبّ أن يوصي لهم، وإن كان هو الوارث فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذي يحقّ عليه، فإن ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحبّ أن يحثّ عليه، فليتق الله هو، فليأمره بالوصية وإن كان هو الوارث، أو نحواً من ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أمر من الله ولاة اليتامى أن يلوهم بالإحسان إليهم في أنفسهم وأموالهم، ولا يأكلوا أموالهم إسرافاً وبداراً أن يكبروا، وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاة ولده الصغار بعدهم لهم بالإحسان إليهم لو كانوا هم الذين ماتوا وتركوا أولادهم يتامى صغاراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ**﴾ يعني بذلك: الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف يخاف عليهم العيلة والضيعة، ويخاف بعده أن لا يحسن إليه من يليهم، يقول: فإن ولي مثل ذريته ضعافاً يتامى، فليحسن إليهم، ولا يأكل أموالهم إسرافاً وبداراً خشية أن يكبروا، فليتقوا الله، وليقولوا قولاً سديداً.

وقال آخرون: معنى ذلك: وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً، يكفيهم الله أمر ذرّيتهم بعدهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا إبراهيم بن عطية بن دريج بن عطية، قال: ثني عمي محمد بن دريج[١]، عن أبيه، عن الشيباني، قال: كنا بالقسطنطينية أيام مسلمة بن عبد الملك، وفينا ابن محيريز وابن الديلمي وهانىء بن كلثوم، قال: فجعلنا نتذاكر ما يكون في آخر الزمان، قال: فضقت ذرعاً بما سمعت، قال: فقلت لابن الديلمي: يا أبا بشر بودّي أنه لا يولد لي ولد أبداً! قال: فضرب بيده على منكبي وقال: يا ابن أخي لا تفعل، فإنه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل، إلا وهي خارجة إن شاء وإن أبى. قال: ألا أدلك على أمر إن أنت أدركته نجاك الله منه، وإن تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك؟ قال: قلت بلى، قال: فتلا عند ذلك هذه الآية: **﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾**.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات بالآية قول من قال: تأويل ذلك: وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم العيلة لو كانوا فرّقوا أمولهم في حياتهم، أو قسموها وصية منهم بها لأولي قرابتهم وأهل اليتم والمسكنة، فأبقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم بعدهم مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب، فليأمروا من حضروه، وهو يوصي لذوي قرابته ـ وفي اليتامى والمساكين وفي غير ذلك ـ بماله بالعدل، وليتقوا الله، وليقولوا قولاً سديداً، وهو أن يعرّفوه ما أباح الله له من الوصية وما اختاره المؤمنون من أهل الإيمان بالله وبكتابه وسنته.

وإنما قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات لما قد ذكرنا فيما مضى قبل، من أن معنى قوله: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتامَى وَالمَساكِينُ فارْزُقُوهُمْ منه وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾** وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فأوصوا لهم، بما قد دللنا عليه من الأدلة. فإذا كان ذلك تأويل قوله: **﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامى وَالمَساكِينُ﴾**... الآية، فالواجب أن يكون قوله تعالى ذكره: **﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ﴾** تأديباً منه عباده في أمر الوصية بما أذنهم فيه، إذ كان ذلك عقيب الآية التي قبلها في حكم الوصية، وكان أظهر معانيه ما قلنا، فإلحاق حكمه بحكم ما قبله أولى مع اشتباه معانيهما من صرف حكمه إلى غيره بما هو له غير مشبه.

---

(١) لم أجد أحداً من رجال هذا السند إلى دريج، في «**خلاصة تهذيب الهذيب**» الكمال للخزرجي.

وبمعنى ما قلنا في تأويل قوله: ﴿ولْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ قال من ذكرنا قوله في مبتدأ تأويل هذه الآية، وبه كان ابن زيد يقول.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ولْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ ولْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ قال: يقول قولاً سديداً، يذكر هذا المسكين وينفعه، ولا يجحف بهذا اليتيم وارث المؤدّي ولا يضرّ به، لأنه صغير لا يدفع عن نفسه، فانظر له كما تنظر إلى ولدك لو كانوا صغاراً.

والسديد من الكلام: هو العدل والصواب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿إنَّ الَّذِينَ يأْكُلُونَ أمْوالَ اليَتامى ظُلْماً﴾ يقول: بغير حقّ، ﴿إنـمَا يأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾ يوم القيامة، بأكلهم أموال اليتامى ظلماً في الدنيا، نارَ جهنم. ﴿وسَيَصْلَوْنَ﴾ بأكلهم ﴿سَعِيراً﴾. كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يأْكُلُونَ أمْوالَ اليَتامى ظُلْماً إنَّمَا يأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً﴾ قال: إذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلماً، يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه، يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرني أبو هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: ثنا النبيّ ﷺ عن ليلة أُسْرِيَ به، قال: «نَظَرْتُ فإذا أنا بِقَوْمٍ لَهُمْ مَشافِرُ كمَشافِرِ الإبِلِ وقَدْ وُكِّلِ بِهِمْ مِنْ يأْخُذُ بِمَشافِرِهِمْ، ثُمَّ يجْعَل فِي أفْواهِهِمْ صخْراً مِنْ نارٍ يخْرُجُ مِنْ أسافِلِهِمْ، قُلْتُ: يا جِبريلُ مَنْ هَؤُلاءِ؟ قال: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يأكُلُونَ أمْوال اليَتامى ظُلْماً إنَّمَا يأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ يأْكُلُون أمْوالَ اليَتَامى ظُلْماً إنَّمَا يأْكُلُون في بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ قال: قال أبي: إن هذه لأهل الشرك حين كانوا لايورثونهم ويأكلون أموالهم.

وأما قوله: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ فإنه مأخوذ من الصَّلا، والصَّلا: الاصطلاء بالنار، وذلك التسخن بها، كما قال الفرزدق:

وَقاتَلَ كَلْبُ الحَيِّ عَنْ نارِ أهْلِهِ لِيَرْبِضَ فِيها وَالصَّلا مُتَكَنَّفُ(١)

وكما قال العجاج:

وَصَالِيَانِ لِلصَّلاَ صُلِيُّ

ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمراً من الأمور، من حرب أو قتال أو خصومة أو غير ذلك، كما قال الشاعر:

لَمْ أكُنْ مِنْ جُناتِها عَلِمَ اللَّـ ـهُ وإنِّي بِحَرِّها اليَوْمَ صَالِي(٢)

فجعل ما باشر من شدّة الحرب وإجراء القتال، بمنزلة مباشرة أذى النار وحرّها.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والعراق: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ بفتح الياء على التأويل الذي قلنا. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين: ﴿وَسَيُصْلَوْنَ سَعِير﴾ بضم الياء، بمعنى يحرقون من قولهم: شاة مَصْلِيّة، يعني: مشوية.

قال أبو جعفر: والفتح بذلك أولى من الضمّ لإجماع جميع القرّاء على فتح الياء في قوله: ﴿لا يَصْلاها إلاّ الأشقى﴾ ولدلالة قوله: ﴿إلاّ مَنْ هُوَ صالِ الجَحِيم﴾ على أن الفتح بها أولى من الضم. وأما السعير: فإنه شدة حرّ جهنم، ومنه قيل: استعرت الحرب: إذا اشتدت، وإنما هو مسعور، ثم صرف إلى سعير، قيل: كف خضيب، ولحية دهين، وإنما هي مخضوبة صرفت إلى فعيل.

فتأويل الكلام إذًا: وسيصلون ناراً مسعرة: أي موقودة مشعلة، شديداً حرّها.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن الله جلّ ثناؤه قال: ﴿وَإذَا الجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ فوصفها بأنها مسعورة، ثم أخبر جلّ ثناؤه أن إكلة أموال اليتامى يصلونها، وهي كذلك، فالسعير إذًا في هذا الموضع صفة للجحيم على ما وصفنا.

---

(١) البيت للفرزدق (ديوان طبعة الطاوي ص ـ ٥٦٠) يقول: قاتل الكلب أهله عن النار من شدة البرد، والصلا بفتح الصاد مقصور الصلاء بكسرها: مقاساة حر النار. قال في «اللسان» إذا كسرت مددت، وإذا فتحت قصرت. وأنشد بيت الفرزدق، ونسبه إلى امرىء القيس خطأ (انظر: صلى).

(٢) البيت للحارث بن عباد البكري من قصيدة قالها في حرب وائل «**مجموع أشعار العرب**» (١/ ٥٩) والنعامة: اسم فرسه التي يحارب عليها. وجناتها: الذين شبوا نارها وأوقدوها. وصالي: محترق بنارها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**يُوصِيكُمُ اللّهُ**﴾: بعهد الله إليكم، ﴿**فِي أَوْلاَدِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ يقول يعهد إليكم ربكم إذا مات الميت منكم، وخلف أولاداً ذكوراً وإناثاً، فلولده الذكور والإناث ميراثه أجمع بينهم، للذكر منهم مثل حظّ الأنثيين، إذا لم يكن له وارث غيرهم، سواء فيه صغار ولده وكبارهم وإناثهم في أن جميع ذلك بينهم للذكر مثل حظّ الأنثيين ورفع قوله: «مثل»، بالصفة، وهي اللام التي في قوله: ﴿**للذَّكَرِ**﴾ ولم ينصب بقوله: ﴿**يُوصِيكُمُ اللّهُ**﴾ لأن الوصية في هذا الموضع عهد وإعلام بمعنى القول، والقول لا يقع على الأسماء المخبر عنها، فكأنه قيل: يقول الله تعالى ذكره: لكم في أولادكم للذكر منهم مثل حظّ الأنثيين. وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على النبيّ ﷺ تبييناً من الله الواجب من الحكم في ميراث من مات وخلف ورثة على ما بيّن، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقي العدوّ ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده، ولا للنساء منهم، وكانو يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية، فأخبر الله جلّ ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمي وفرض له ميراثاً في هذه الآية وفي آخر هذه السورة، فقال في صغار ولد الميت وكبارهم وإناثهم: لهم ميراث أبيهم إذا لم يكن له وارث غيرهم، للذكر مثل حظّ الأنثيين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**يُوصِيكُمُ اللّهُ في أوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ كان أهل الجاهلية لا يورّثون الجواري، ولا الصغار من الغلمان، لا يرث الرجلَ من ولده إلا من أطاق القتال. فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر، وترك امرأة يقال لها أم كُحة[1] وترك خمس أخوت، فجاءت الورثة يأخذون

---

(١) في تاج العروس، أم كحة، بالضم: امرأة نزلت في شأنها الفرائض.

ماله، فشكت أم كحة ذلك إلى النبيّ ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: ﴿فإنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَينِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وإنْ كانَتْ واحِدةً فَلَها النِّصْفُ﴾ ثم قال في أم كحة: ﴿ولَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إنْ لَمْ يَكنْ لَكُمْ ولَدٌ فإنْ كان لَكُمْ ولَدٌ فَلَهُنَّ الثمنُ﴾.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ في أوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَينِ﴾ وذلك أنه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو بعضهم، وقالوا: تعطى المرأة الربع والثمن، وتعطى الابنة النصف، ويعطى الغلام الصغير، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة! اسكتوا عن هذا الحديث، لعلّ رسول الله ﷺ ينساه، أو نقول له فيغيره! فقال بعضهم: يا رسول الله، أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها، وليست تركب الفرس، ولا تقاتل القوم، ونعطي الصبيّ الميراث، وليس يغني شيئاً؟ وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية، لا يعطون الميراث إلا من قاتل، ويعطونه الأكبر فالأكبر.

وقال آخرون: بل نزل ذلك من أجل أن المال كان للولد قبل نزوله، وللوالدين الوصية، فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أو عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ في أوْلادِكُمْ﴾ قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين والأقربين، فنسخ الله من ذلك ما أحبّ، فجعل للذكر مثل حظّ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس مع الولد، وللزوج الشطر والربع، وللزوجة الربع والثمن.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ في أوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَينِ﴾ قال: كان ابن عباس يقول: كان المال وكانت الوصية للوالدين والأقربين، فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحبّ، فجعل للذكر مثل حظّ الأنثيين، ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس مثله. ورُوي عن جابر بن عبد الله ما:

حدثنا به محمد بن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن محمد بن

المنكدر، قال: سمعت جابر بن عبد الله، قال: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا مريض، فتوضأ ونضح عليّ من وَضوئه فأفقت، فقلت: يا رسول الله إنما يرثني كلالةٌ، فكيف بالميراث؟ فنزلت آية الفرائض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ثني محمد بن المنكدر عن جابر، قال: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة يمشيان، فوجداني لا أعقل، فدعا بوضوء فتوضأ، ثم رشّ عليّ فأفقت، فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ فنزلت ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾... الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فإنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ﴾.

يعني بقوله: ﴿**فإنْ كُنَّ**﴾ فإن كان المتروكات نساء فوق اثنتين. ويعني بقول نِساء: بنات الميت فوق اثنتين، يقول: أكثر في العدد من اثنتين. ﴿**فَلَهُنّ ثُلُثا ما تَرَكَ**﴾ يقول: فلبناته الثلثان مما ترك بعده من ميراثه دون سائر ورثته إذا لم يكن الميت خلف ولداً ذكراً معهن.

واختلف أهل العربية في المعنيّ بقوله: ﴿**فإنْ كُنَّ نِساءً**﴾ فقال بعض نحويي البصرة بنحو الذي قلنا: فإن كان المتروكات نساء، وهو أيضاً قول بعض نحويي الكوفة.

وقال آخرون منهم: بل معنى ذلك: فإن كان الأولاد نساء. وقال: إنما ذكر الله الأولاد، فقال: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾ ثم قسم الوصية، فقال: ﴿**فإنْ كُنَّ نِساءً**﴾ وإن كان الأولاد واحدة ترجمة منه بذلك عن الأولاد.

قال أبو جعفر: والقول الأوّل الذي حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي، لأن قوله: «وإن كنّ»، لو كان معنياً به الأولاد، لقيل: وإن كانوا، لأن الأولاد تجمع الذكور والإناث، وإذا كان كذلك، فإنما يقال: كانوا لا كنّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَها النِّصْفُ ولأَبَوَيْهِ لِكُلّ واحِدٍ مِنْهُما السُّدُسُ مِمَّا تَرَك إنْ كان لَهُ وَلَدٌ﴾.

يعني بقوله: وإن كانت المتروكة ابنة واحدة، فلها النصف، يقول: فلتلك الواحدة نصف ما ترك الميت من ميراثه إذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكر ولا أنثى.

فإن قال قائل: فهذا فرض الواحدة من النساء، وما فوق الاثنتين، فأين فريضة الاثنتين؟ قيل: فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التي لا يجوز فيها الشكّ. وأما قوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ فإنه يعني: ولأبوي الميت لكل واحد منهما السدس من تركته وما خلف من ماله سواء فيه الوالدة والوالد، لا يزداد واحد منهما على السدس إن كان له ولد ذكراً كان الولد أو أنثى، واحداً كان أو جماعة.

فإن قال قائل: فإذ كان كذلك التأويل، فقد يجب أن لا يزاد الوالد مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت، وذلك إن قلته قول خلاف لما عليه الأمة مجمعون من تصييرهم باقي تركة الميت مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها منها لوالده أجمع؟ قيل: ليس الأمر في ذلك كالذي ظننت، وإنما لكلّ واحد من أبوي الميت السدس من تركته مع ولده ذكراً كان الولد أو أنثى، واحداً كان أو جماعة، فريضة من الله له مسماة، فإن زيد على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة إذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة فإنما زيدها ثانياً لقرب عصبة الميت إليه، إذ كان حكم كل ما أبقته سهام الفرائض، فلأولي عصبة الميت وأقربهم إليه بحكم ذلك لها على لسان رسول الله ﷺ، وكان الأب أقرب عصبة ابنة وأولاها به إذا لم يكن لابنه الميت ابن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ﴾: فإن لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى، وورثه أبواه دون غيرهما من ولد وارث؛ ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ يقول: فلأمه من تركته وما خلف بعده ثلث جميع ذلك.

فإن قال قائل: فمن الذي له الثلثان الآخران؟ قيل له الأب. فإن قال قائل: بماذا؟ قلت: بأنه أقرب أهل الميت إليه، ولذلك ترك ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان، إذ كان قد بين على لسان رسول الله ﷺ لعباده أن كل ميت فأقرب عصبته به أولى بميراثه بعد إعطاء ذوي السهام المفروضة سهامهم من ميراثه. وهذه العلة هي العلة التي من أجلها سمي للأم ما سمى لها، إذا لم يكن الميت خلف وارثاً غير أبويه، لأن الأم ليست بعصبة في حال للميت، فبين الله جلّ ثناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت، وترك ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها، إذ كان قد عرّفهم في جملة بيانه لهم من له بقايا تركة الأموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم، وكان بيانه ذلك معيناً لهم على تكرير حكمه مع كل من قسم له حقاً من ميراث ميت وسمّى له منه سهماً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾.

إن قال قائل: وما المعنى الذي من أجله ذكر حكم الأبوين مع الإخوة، وترك ذكر حكمهما مع الأخ الواحد؟ قلت: اختلاف حكمهما مع الإخوة الجماعة والأخ الواحد، فكان في إبانة الله جلّ ثناؤه لعباده حكمهما فيما يرثان من ولدهما الميت مع إخوته غنى، وكفاية عن أن حكمهما فيما ورثا منه غير متغير عما كان لهما، ولا أخ للميت، ولا وارث غيرهما، إذ كان معلوماً عندهم أن كل مستحق حقاً بقضاء الله ذلك له، لا ينتقل حقه الذي قضى به له ربه جلّ ثناؤه، عما قضى به له إلى غيره، إلا بنقل الله ذلك عنه إلى من نقله إليه من خلقه، فكان في فرضه تعالى ذكره للأم ما فرض، إذا لم يكن لولدها الميت وارث غيرها وغير والده، لوائح الدلالة الواضحة للخلق أن ذلك المفروض هو ثلث مال ولدها الميت حقّ لها واجب، حتى يغير ذلك الفرض من فرض لها، فلما غير تعالى ذكره ما فرض لها من ذلك مع الإخوة الجماعة وترك تغييره مع الأخ الواحد، علم بذلك أن فرضها غير متغير عما فرض لها إلا في الحال التي غيره فيها من لزم العباد طاعته دون غيرها من الأحوال.

ثم اختلف أهل التأويل في عدد الإخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله: ﴿**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ**﴾ فقال جماعة أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم من علماء أهل الإسلام في كل زمان: عنى الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾ اثنين كان الإخوة أو أكثر منهما، أنثيين كانتا أو كنّ إناثاً، أو ذكرين كانا أو كانوا ذكوراً، أو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى. واعتلّ كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قالته الأمة عن بيان الله جلّ ثناؤه على لسان رسوله ﷺ، فنقلته أمة نبيه نقلاً مستفيضاً قطع العذر مجيئه، ودفع الشكّ فيه عن قلوب الخلق وروده.

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: بل عنى الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ**﴾: جماعة أقلها ثلاثة. وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجب الأم عن ثلثها مع الأب بأقل من ثلاثة إخوة، فكان يقول في أبوين وأخوين: للأم الثلث وما بقي فللأب، كما قال أهل العلم في أبوين وأخ واحد. ذكر الرواية عنه بذلك:

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا ابن أبي فديك، قال: ثني ابن أبي ذئب، عن شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس: أنه دخل على عثمان رضي الله عنه، فقال: لم صار الأخوان يردّان الأم إلى السدس، وإنما قال الله: ﴿**فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ**﴾ والأخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا بإخوة؟ فقال عثمان رضي الله عنه: هل أستطيع نقض أمر كان قبلي، وتوارثه الناس، ومضى في الأمصار؟.

قل أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن المعني بقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ اثنان من إخوة الميت فصاعداً، على ما قاله أصحاب رسول الله ﷺ دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، لنقل الأمة وراثة صحة ما قالوه من ذلك عن الحجة وإنكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك.

فإن قال قائل: وكيف قيل في الأخوين إخوة، وقد علمت أن للأخوين في منطق العرب مثالاً لا يشبه مثال الإخوة في منطقها؟ قيل: إن ذلك وإن كان كذلك، فإن من شأنها التأليف بين الكلامين بتقارب معنييهما وإن اختلفا في بعض وجوههما. فلما كان ذلك كذلك، وكان مستفيضاً في منطقها منتشراً مستعملاً في كلامها: ضربت من عبد الله وعمرو رؤوسهما، وأوجعت منهما ظهورهما، وكان ذلك أشدّ استفاضة في منطها من أن يقال: أوجعت منهما ظهرهما، وإن كان مقولاً: أوجعت ظهرهما كما قال الفرزدق:

بِمَا في فُؤَادَيْنَا مِنَ الحُبِّ والهَوَى ... فَيَبْرَأُ مِنْهَاضُ الفُؤَادِ المَشْغَّفُ[1]

غير أن ذلك وإن كان مقولاً، فأفصح منه: بما في أفئدتنا، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. فلما كان ما وصفت من إخراج كل ما كان في الإنسان واحداً إذا ضمّ إلى الواحد منه آخر من إنسان آخر، فصار اثنين من اثنين، فلفظ الجمع أفصح في منطقها وأشهر في كلامها، وكان الأخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان في الإنسان من أعضائه واحداً لا ثاني له، فأخرج أنثييهما بلفظ أنثى العضوين اللذين وصفت، فقيل إخوة في معنى الأخوين، كما قيل ظهور في معنى الظهرين، وأفواه في معنى فموين، وقلوب في معنى قلبين. وقد قال بعض النحويين: إنما قيل إخوة، لأن أقلّ الجمع اثنان، وذلك أنه إذا ضمّ شيء إلى شيء صارا جميعاً بعد أن كانا فردين فجمعاً، ليعلم أن الاثنين جمع. وهذا وإن كان كذلك في المعنى، فليس بعلة تنبيء عن جواز إخراج ما قد جرى

---

(١) البيت للفرزدق ديوانه (ص ـ ٥٥٤) طبعة الطاوي وهو مرتبط ببيتين قبله، وهما:

دعَوْتُ الذي سَوَّى السَّمواتِ أَيْسدُهُ ... ولَلَّهُ أدنى من وريديَّ وألْطَفُ

لِيَشْغَلَ عنى بَعْلَها بِزَمانَةٍ ... تُدَلِّهُهُ عني وعَنْها فَتُشْعِفُ

بِما في فُؤَادِينا من الهَمّ والهَوَى ... فيبرأ مُنْهاضُ الفُؤَادِ المُسَقَّفُ

والمنهاض: الذي هيض بتشديد الياء: أي هيج مرة بعد مرة، ويروى من الشوق في موضع من الحب. والمسقف في موضع المشغف كما في الأبيات. والمسقف: الذي وضع عليه خشب الجبائر. والمشغف الذي أحرق الحب شغافه. وهذه الرواية أليق، لأن القلب لا توضع عليه الجبائر. والمشعف بالعين بدل الغين. أصوب وأجمل، وهو الذي احترق بنار الحب.

الكلام مستعملاً مستفيضاً على ألسن العرب لاثنينه بمثال، وصورة غير مثال ثلاثة فصاعداً منه، وصورتها، لأن من قال أخواك قاماً، فلا شكّ أنه قد علم أن كل واحد من الأخوين فرد ضمّ أحدهما إلى الآخر، فصارا جميعاً بعد أن كانا شتى عنوان الأمر. وإن كان كذلك فلا تستجيز العرب في كلامها أن يقال: أخواك قاموا، فيخرج قولهم: قاموا، وهو لفظ للخبر عن الجميع خبراً عن الأخوين وهما بلفظ الاثنين، لأن لكل ما جرى به الكلام على ألسنتهم مثالاً معروفاً عندهم، وصورة إذا غير مغير ما قد عرفوه فيهم أنكروه، فكذلك الأخوان وإن كان مجموعين ضمّ أحدهما إلى صاحبه، فلهما مثال في المنطق، وصورة غير مثال الثلاثة منهم فصاعداً وصورتهم، فغير جائز أن يغير أحدهما إلى الآخر إلا بمعنى مفهوم. وإذا كان ذلك كذلك فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل.

فإن قال قائل: ولم نقصت الأم عن ثلثها بمصير إخوة الميت معها اثنين فصاعداً؟ قيل: اختلفت العلماء في ذلك، فقال بعضهم: نقصت الأم عن ذلك دون الأب، لأن على الأب مؤنهم دون أمهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ**﴾ أنزلوا الأم ولا يرثون، ولا يحجبها الأخ الواحد من الثلث، ويحجبها ما فوق ذلك. وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم من الثلث، لأن أباهم يلي نكاحهم، والنفقة عليهم دون أمهم.

وقال آخرون: بل نقصت الأم السدس وقصر بها على سدس واحد معونة لإخوة الميت بالسدس الذي حجبوا أمهم عنه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: السدس الذي حجبته الإخوة الأم لهم إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أمهم. وقد روي عن ابن عباس خلاف هذا القول، وذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن ابن عباس، قال: الكلالة: من لا ولد له ولا والد.

قال أبو جعفر: وأولى ذلك بالصواب أن يقال في ذلك: إن الله تعالى ذكره فرض للأم مع

الإخوة السدس لما هو أعلم به من مصلحة خلقه. وقد يجوز أن يكون ذلك كان لما ألزم الآباء لأولادهم، وقد يجوز أن يكون ذلك لغير ذلك، وليس ذلك مما كلفنا علمه، وإنما أمرنا بالعمل بما علمنا. وأما الذي روي عن طاووس عن ابن عباس، فقول لما عليه الأمة مخالف، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن لا ميراث لأخي ميت مع والده، فكفى إجماعهم على خلافه شاهداً على فساده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ أن الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والإناث ولأبويه من تركته من بعد وفاته، إنما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها، بعد قضاء دينه كله. فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ولا لأحد ممن أوصى له بشيء إلا من بعد قضاء دينه من جميع تركته، وإن أحاط بجميع ذلك. ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه، فإن جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في إجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو ردّه إلى ورثته، إن أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك، وإن شاءوا ردّوه؛ فأما ما كان من ذلك إلى الثلث فهو ماض عليهم. وعلى كل ما قلنا من ذلك الأمة مجمعة. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ بذلك خبر، وهو ما:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحرث الأعور، عن عليّ رضي الله عنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ إن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: ثنا زكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ رضوان الله عليه، عن النبيّ ﷺ، بمثله.

حدثنا أبو السائب، قال: ثنا حفص بن غياث، قال: ثنا أشعث، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن عليّ، عن رسول الله ﷺ، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن ابن مجاهد، عن أبيه: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ قال: يبدأ بالدين قبل الوصية.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق: ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة: «يُوصَى بِهَا» على معنى ما لم يسمّ فاعله.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بها أوْ دَيْنٍ﴾ على مذهب ما قد سمي فاعله، لأن الآية كلها خبر عمن قد سمي فاعله، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلأبَوَيْهِ لِكُلّ وَاحِدٍ مِنْهُما السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ﴾؟ فكذلك الذي هو أولى بقوله: ﴿يُوصِي بِها أوْ دَيْنٍ﴾ أن يكون خبراً عمن قد سمي فاعله؛ لأن تأويل الكلام: ولأبويه لكلّ واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد، من بعد وصية يوصي بها، أو دين يُقْضَى عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إباؤُكُمْ وأبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أيُّهُمْ أقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿آباؤُكُمْ وأبْناؤُكُمْ﴾ هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم ـ من قسمة ميراث ميتكم فيهم على ما سمَّى لكم وبينه في هذه الآية ـ ﴿آباؤُكُمْ وأبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أيُّهُمْ أقْرَبُ لَكُمْ نَفعاً﴾ يقول: أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذي أوصيتكم أن تعطوهموها، فإنكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشدّ نفعاً لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لا تَدْرُون أيُّهُمْ أقْربُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ فقال بعضهم: يعني بذلك: أيهم أقرب لكم نفعاً في الآخرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس، قوله: ﴿آباؤُكمْ وأبْناؤُكمْ لا تَدْرُونَ أيُهمْ أقْرَب لَكمْ نَفْعاً﴾ يقول: أطوعكم لله من الأباء والأبناء، أرفعكم درجة يوم القيامة، لأن الله سبحانه يشفِّع المؤمنين بعضهم في بعض.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿أيُّهُمْ أقْربُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ في الدنيا.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن

السدي، قوله: ﴿لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ قال بعضهم: في نفع الآخرة، وقال بعضهم: في نفع الدنيا.

وقال آخرون في ذلك بما قلنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لا تَدْرُون أيُّهُمْ أقْربُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ قال: أيهم خير لكم في الدين والدنيا الوالد أو الولد الذين يرثونكم لم يدخل عليكم غيرهم، فرضي لهم المواريث لم يأت بآخرين يشركونهم في أموالكم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَرِيضةً مِنَ اللّهِ إنَّ اللّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللّهِ﴾ وإن كان له إخوة فلأمه السدس، فريضةً، يقول: سهاماً معلومة موقتة بينها الله لهم. ونصب قوله: «فريضة» على المصدر من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ في أوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظّ الأنْثَيَيْنِ فَرِيضةً﴾ فأخرج فريضة من معنى الكلام، إذ كان معناه ما وصفت. وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله: فإن كان له إخوة فلأمه السدس فريضة، فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله: ﴿فإنْ كان لَهُ إخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ كما تقول: هو لك هبة، وهو لك صدقة مني عليك.

وأما قوله: ﴿إنَّ اللّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ فإنه يعني جلّ ثناؤه: إن الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه أيها الناس، فانتهوا إلى ما يأمركم يُصلح لكم أموركم. ﴿حَكِيماً﴾ يقول: لم يزل ذا حكمة في تدبيره وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض وفيما يقضي بينكم من الأحكام، لا يدخل حكمه خلل ولا زلل، لأن قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ

امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولكم أيها الناس نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن من مال وميراث إن لم يكن لهنّ ولد يوم يحدث لهنّ الموت لا ذكر ولا أنثى. ﴿فإنْ كَانَ لهُنَّ وَلَدٌ﴾ أي فإن كان لأزواجكم يوم يحدث لهنّ الموت ولد ذكر أو أنثى، فلكم الربع مما تركن من مال وميراث، ميراثاً لكم عنهنّ، ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بها أو دَيْنٍ﴾ يقول: ذلكم لكم ميراثاً عنهنّ مما يبقى من تركاتهنّ وأموالهنّ من بعد قضاء ديونهنّ التي يمتن وهي عليهن، ومن بعد إنفاذ وصاياهنّ الجائزة إن كنّ أوصين بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَركْتُم إنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ ولَدٌ فإنْ كانَ لَكُمْ ولَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَركْتُم مِن بَعْدِ وِصَّيةٍ تُوصُون بِها أوْ دينٍ﴾:

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ولهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَركْتُم إنْ لم يَكُنْ لَكُمْ ولَدٌ﴾: ولأزواجكم أيها الناس ربع ما تركتم بعد وفاتكم من مال وميراث إن حدث بأحدكم حدث الوفاة ولا ولد له ذكر ولا أنثى. ﴿فإنْ كانَ لَكُمْ ولَدٌ﴾ يقول: فإن حدث بأحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى، واحداً كان الولد أو جماعة، ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَركْتُمْ﴾ يقول: فلأزواجكم حينئذ من أموالكم وتركتكم التي تخلفونها بعد وفاتكم الثمن من بعد قضاء ديونكم التي حدث بكم حدث الوفاة وهي عليكم، ومن بعد إنفاذ وصاياكم الجائزة التي توصون بها. وإنما قيل: ﴿مِنْ بَعْدِ وِصَّيةٍ تُوصُون بِها أوْ دينٍ﴾ فقدّم ذكر الوصية على ذكر الدين، لأن معنى الكلام: إن الذي فرضت لمن فرضت له منكم في هذه الآيات إنما هو له من بعد إخراج أيّ هذين كان في مال الميت منكم، من وصية أو دين. فلذلك كان سواء تقديم ذكر الوصية قبل ذِكر الدين، وتقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية، لأنه لم يرد من معنى ذلك إخراج أحد الشيئين: الدين والوصية من ماله، فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإنْ كان رجُلٌ يُورثُ كَلالَةً أوِ امْرأةٌ﴾.

يعني بذلك جل ثناؤه: وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة.

ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأ ذلك عامة قراء أهل الإسلام: ﴿وإنْ كان رجُلٌ يُورثُ كَلالَةً﴾ يعني: وإن كان رجل يورَث متكلل النسب. فالكلالة على هذا القول مصدر من قولهم:

تكلله النسب تكللاً وكلالة، بمعنى: تعطف عليه النسب. وقرأه بعضهم: «وإنْ كان رجُلٌ يُورِثُ كَلالَةً» بمعنى: وإن كان رجل يورث من يتكلله، بمعنى: من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت.

واختلف أهل التأويل في الكلالة، فقال بعضهم: هي ما خلا الوالد والولد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الوليد بن شجاع السكوني، قال: ثني عليّ بن مسهر، عن عاصم، عن الشعبي، قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: إني قد رأيت في الكلالة رأياً، فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له، وإن يكن خطأً فمني والشيطان، والله منه بريءٌ؛ إنّ الكلالة ما خلا الولد والوالد. فلما استخلف عمر رضي الله عنه، قال: إني لأستحيي من الله تبارك وتعالى أن أخالف أبا بكر في رأي رآه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عاصم الأحول، قال: ثنا الشعبي: أن أبا بكر رضي الله عنه، قال في الكلالة: أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله: هو ما دون الولد والوالد. قال: فلما كان عمر رضي الله عنه، قال: إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر.

حدثنا أبو بشر بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا سفيان، عن عاصم الأحول، عن الشعبي: أن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قالا: الكلالة من لا ولد له ولا والد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن عمران بن حدير، عن السميط، قال: كان عمر رجلاً أيسر، فخرج يوماً وهو يقول بيده هكذا، يديرها، إلا أنه قال: أتى عليّ حينٌ ولست أدري ما الكلالة، ألا وإن الكلالة: ما خلا الولد والوالد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن جابر، عن عامر، عن أبي بكر، قال: الكلالة ما خلا الولد والوالد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن ابن عباس، قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن جريج يحدّث عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن ابن عباس، قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد ابن الحنفية، عن ابن عباس، قال: الكلالة: ما خلا الولد والوالد.

حدثنا ابن بشار وابن وكيع، قالا: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سليم بن عبد، عن ابن عباس، بمثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سليم بن عبد السلولي، عن ابن عباس، قال: الكلالة: ما خلا الولد والوالد.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وإنْ كان رجُلٌ يُورثُ كَلالَةً أوِ امْرأةٌ**﴾ قال: الكلالة: من لم يترك ولداً ولا والداً.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن سليم بن عبد، قال: ما رأيتهم إلا قد اتفقوا أن ما مات ولم يدع ولداً ولا والداً أنه كلالة.

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: ثنا إسحاق بن يوسف، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن سليم بن عبد، قال: ما رأيتهم إلا قد أجمعوا أن الكلالة: الذي ليس له ولد ولا والد.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن سليم بن عبد، قال: الكلالة: ما خلا الولد والوالد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن سليم بن عبد، قال: أدركتهم وهم يقولون: إذا لم يدع الرجل ولداً ولا والداً وُرِثَ كلالة.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وإنْ كان رجُلٌ يُورثُ كَلالَةً أوِ امْرأةٌ**﴾ والكلالة: الذي لا ولد له ولا والد، لا أب ولا جدّ ولا ابن ولا ابنة، فهولاء الإخوة من الأم.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، قال في الكلالة: ما دون الولد والوالد.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الكلالة كل من لا يرثه والد

ولا ولد، وكل من لا ولد له ولا والد فهو يورث كلالة من رجالهم ونسائهم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة والزهري وأبي إسحاق، قال: الكلالة: من ليس له ولد ولا والد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن محمد، عن معمر، عن الزهري وقتادة وأبي إسحاق، مثله.

وقال آخرون: الكلالة: ما دون الولد. وهذا قول عن ابن عباس، وهو الخبر الذي ذكرناه قبل من رواية طاووس عنه أنه وَرَّثَ الإخوة من الأم السدس مع الأبوين.

وقال آخرون: الكلالة: ما خلا الوالد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا سهل بن يوسف، عن شعبة، قال: سألت الحكم عن الكلالة؟ قال: فهو ما دون الأب.

واختلف أهل العربية في الناصب للكلالة؛ فقال بعض البصريين: إن شئت نصبت كلالة على خبر كان، وجعلت «يورث» من صفة الرجل، وإن شئت جعلت «كان» تستغني عن الخبر نحو: وقع، وجعلت نصب كلالة على الحال: أي يورث كلالة، كما يقال: يضرب قائماً. وقال بعضهم: قوله «كلالة»، خبر «كان»، لا يكون الموروث كلالة، وإنما الوارث الكلالة[1].

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي: أن الكلالة منصوب على الخروج من قوله ﴿يُورَثُ﴾ وخبر «كان» «يورث». والكلالة وإن كانت منصوبة بالخروج من يورث، فليست منصوبة على الحال، ولكن على المصدر من معنى الكلام، لأن معنى الكلام وإن كان رجل يورث متكلله النسب كلالة، ثم ترك ذكر متكلله اكتفاء بدلالة قوله: «يورث» عليه.

واختلف أهل العلم في المسمى كلالة، فقال بعضهم: الكلالة: الموروث، وهو الميت نفسه، سمي بذلك إذا ورثه غير والده وولده.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ

---

(١) قوله «وإنما الوارث الكلالة» أي على جعل الرجل هو الوارث على قراءة الفعل مبنيا للمجهول كما في «الكشاف».

قولهم في الكلالة، قال: الذي لا يدع والداً ولا ولداً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: كنت آخر الناس عهداً بعمر رضي الله عنه، فسمعته يقول ما قلت، قلت: وما قلت؟ قال: الكلالة: من لا ولد له.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي ويحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سليم بن عبد، عن ابن عباس، قال: الكلالة: من لا ولد له ولا والد.

وقال آخرون: الكلالة: هي الورثة الذين يرثون الميت إذا كانوا إخوة أو أخوات أو غيرهم إذا لم يكونوا ولداً ولا والداً على ما قد ذكرنا من اختلافهم في ذلك.

وقال آخرون: بل الكلالة: الميت والحيّ جميعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الكلالة: الميت الذي لا ولد له ولا والد، والحيّ كلهم كلالة، هذا يرث بالكلالة، وهذا يورث بالكلالة.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله هؤلاء، وهو أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده، وذلك لصحة الخبر الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أنه قال: قلت يا رسول الله، إنما يرثني كلالة، فكيف بالميراث؟ وبما:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، عن عمرو بن سعيد، قال: كنا مع حميد بن عبد الرحمن في سوق الرقيق، قال: فقام من عندنا ثم رجع، فقال: هذا آخر ثلاثة من بني سعد حدثوني هذا الحديث، قالوا: مرض سعد بمكة مرضاً شديداً، قال: فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، فقال: يا رسول الله لي مال كثير، وليس لي وارث إلا كلالة، فأوصي بمالي كله؟ فقال: «لا».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا إسحاق بن سويد، عن العلاء بن زياد، قال: جاء شيخ إلى عمر رضي الله عنه، فقال: إني شيخ وليس لي وارث إلا كلالةُ أعرابٍ متراخٍ نَسَبهم، أفأوصي بثلث مالي؟ قال: لا.

فقد أنبأت هذه الأخبار عن صحة ما قلنا في معنى الكلالة وأنها ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُما السُّدُسُ فإنْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَهُ أَخٌ أو أُخْتٌ﴾ وللرجل الذي يورث كلالة أخ أو أخت يعني أخاً أو أختاً من أمه. كما:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن يعلى بن عطاء، عن القاسم، عن سعد، أنه كان يقرأ: ﴿وإنْ كان رجُلٌ يُورثُ كَلالَةً أوِ امْرأةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُختٌ﴾ قال سعد: لأمه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، قال: سمعت القاسم بن ربيعة يقول: قرأت على سعد: ﴿وإنْ كان رجُلٌ يُورثُ كَلالَةً أوِ امْرأةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُختٌ﴾ قال سعد: لأمه.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن القاسم بن ربيعة بن قانف، قال: قرأت على سعد، فذكر نحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا هشيم، قال: أخبرنا يعلى بن عطاء، عن القاسم بن ربيعة، قال: سمعت سعد بن أبي وقاص قرأ: «وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت» من أمه.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ فهؤلاء الإخوة من الأم إن كان واحداً فله السدس، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وإنْ كان رجُلٌ يُورثُ كَلالَةً أوِ امْرأةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ فهؤلاء الإخوة من الأم، فهم شركاء في الثلث، سواء الذكر والأنثى.

وقوله: ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُما السُّدُسُ﴾ إذا انفرد الأخ وحده أو الأخت وحدها، ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لأمه، فإن اجتمع أخ وأخت أو أخوان لا ثالث معهما لأمهما، أو أختان كذلك، أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما، فلكلّ واحد منهما من ميراث أخيهما لأمهما السدس. ﴿وَإنْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ يعني: فإن كان الإخوة والأخوات لأمّ الميت الموروث كلالة أكثر من اثنين، ﴿فَهُمْ شُرَكاءَ فِي الثُّلُثِ﴾ يقول: فالثلث الذي فرضت لاثنيهم إذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثاً لهما من أخيهما الميت الموروث كلالة شركة بينهم إذا

كانوا أكثر من اثنين إلى ما بلغ عددهم على عدد رؤوسهم، لا يفضل ذكر منهم على أنثى في ذلك، ولكنه بينهم بالسوية.

فإن قال قائل: وكيف قيل وله أخ أو أخت، ولم يقل لهما أخ أو أخت، وقد ذكر قبل ذلك «رجل أو امرأة»، فقيل: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة؟ قيل: إن من شأن العرب إذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر فعطفت أحدهما على الآخر بأو ثم أتت بالخبر أضافت الخبر إليهما أحياناً وأحياناً إلى أحدهما، وإذا أضافت إلى أحدهما، كان سواء عندها إضافة ذلك إلى أيّ الأسمين اللذين ذكرتهما إضافته، فتقول: من كان عنده غلام أو جارية فليحسنْ إليه، يعني: فليحسن إلى الغلام، وفليحسن إليها، يعني: فليحسن إلى الجارية، وفليحسن إليهما. وأما قوله: ﴿**فَلِكُلّ وَاحِدٍ مِنهما السُّدُسُ**﴾ وقد تقدم ذكر الأخ والأخت بعطف أحدهما على الآخر، والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما في قوله: ﴿**وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ**﴾ فإن ذلك إنما جاز لأن معنى الكلام: فلكل واحد من المذكورين السدس.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضارّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّة يُوصَى بِها**﴾: أي هذا الذي فرضت لأخي الميت الموروث كلالة وأخته أو إخوته وأخواته من ميراثه وتركته، إنما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذي كان عليه يوم حدث به حدث الموت من تركته، وبعد إنفاذ وصاياه الجائزة التي يوصي بها في حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته. كما:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِها أوْ دَيْنٍ**﴾ والدين أحقّ ما بدىء به من جميع المال، فيؤدى عن أمانة الميت، ثم الوصية، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم.

وأما قوله: ﴿**غَيْرَ مُضَارٌ**﴾ فإنه يعني تعالى ذكره: من بعد وصية يوصي بها غير مضارّ ورثته في ميراثهم عنه. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابنْ أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**غَيْرَ مُضَارٌ**﴾ قال: في ميراث أهله.

حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: ﴿**غَيْرَ مُضَارٌ**﴾ قال: في ميراث أهله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثني يزيد، قال: ثني سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ إن الله تبارك وتعالى كره الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه، فلا تصلح مضارّة في حياة ولا موت.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، قال: ثنا عبيدة بن حميد، وثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية جميعاً، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ قال: الضرار في الوصية من الكبائر.

حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الضرار في الوصية من الكبائر.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الحيف في الوصية من الكبائر.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ وعبد الأعلى، قالا: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الضرار والحيف في الوصية من الكبائر.

حدثني موسى بن سهل الرملي، قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النصر، قال: ثنا عمر بن المغيرة، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ، قال: «الضِّرَارُ في الوَصِيَّةِ مِنَ الكَبَائِرِ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو عمرو التيمي، عن أبي الضحى، قال: دخلت مع مسروق على مريض، فإذا هو يوصي، قال: فقال له مسروق: اعدل لا تضلل!

ونصبت «غيرَ مضارّ» على الخروج من قوله: ﴿يُوصَى بِها﴾. وأما قوله: ﴿وَصِيَّةً﴾ فإن نصبه من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ وسائر ما أوصى به في الاثنين، ثم قال: ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدراً من قوله: ﴿يُوصِيكُمْ﴾. وقد قال بعض أهل العربية: ذلك منصوب من قوله: ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُما السُّدُسُ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ قال: هو مثل قولك: لك درهمان نفقة إلى أهلك.

والذي قلناه بالصواب أولى، لأن الله جلّ ثناؤه افتتح ذكر قسمة المواريث في هاتين الآيتين

بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ ثم ختم ذلك بقوله: ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ أخبر أن جميع ذلك وصية منه به عباده، فنصب قوله: ﴿وَصِيَّةً﴾ على المصدر من قوله: ﴿يُوصِيكُمْ﴾ أولى من نصبه على التفسير من قوله: ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُما السُّدُسُ﴾ لما ذكرنا. ويعني بقوله تعالى ذكره: ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾: عهداً من الله إليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يقول: ذو علم بمصالح خلقه ومضارّهم، ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وأنسبائه من ميراثه، ومن يحرم ذلك منهم، ومبلغ ما يستحق به كلّ من استحقّ منهم قسماً، وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم. ﴿حَلِيمٌ﴾ يقول: ذو حلم على خلقه، وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضاً في إعطائهم الميراث لأهل الجلد والقوّة من ولد الميت وأهل الغناء والبأس منهم، دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وإناثهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)﴾

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، فقال بعضهم: يعني به: تلك شروط الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يقول: شروط الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تلك طاعة الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: طاعة الله، يعني: المواريث التي سمّى الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: تلك سنة الله وأمره.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تلك فرائض الله.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما نحن مبيّنوه، وهو أن حدّ كلّ شيء ما

فصل بينه وبين غيره، ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الأرضين: حدود، لفصولها بين ما حدّ بها وبين غيره، فكذلك قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ معناه: هذه القسمة التي قسمها لكم ربكم، والفرائض التي فرضها لأحيائكم من موتاكم في هذه الآية على ما فرض وُبُين في هاتين الآيتين حدود الله، يعني: فصول ما بين طاعة الله ومعصيته في قسمكم مواريث موتاكم، كما قال ابن عباس. وإنما ترك طاعة الله، والمعنيّ بذلك حدود طاعة الله اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها. والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾... والآية التي بعدها: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

فتأويل الآية إذاً: هذه القسمة التي قسم بينكم أيها الناس عليها ربكم مواريث موتاكم، فصول فصل بها لكم بين طاعته ومعصيته، وحدود لكم تنتهون إليها فلا تتعدّوها، وفصل منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم، وفيما نهاكم عنه منها. ثم أخبر جلّ ثناؤه عما أعدّ لكلّ فريق منهم، فقال لفريق أهل طاعته في ذلك: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في العمل بما أمره به والانتهاء إلى ما حدّه له في قسمة المواريث وغيرها، ويجتنب ما نهاه عنه في ذلك وغيره؛ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ﴾، فقوله: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ يعني: بساتين تجري من تحت غروسها وأشجارها الأنهار. ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ يقول: باقين فيها أبداً، لا يموتون فيها، ولا يفنون، ولا يخرجون منها. ﴿وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ يقول: وإدخال الله إياهم الجنان التي وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعني: الفَلَح العظيم.

وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾... الآية، قال: في شأن المواريث التي ذكر قبل.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ التي حدّ لخلقه وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة، فانتهوا إليها ولا تعدوها إلى غيرها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في العمل بما أمراه به من قسمة المواريث على ما أمراه بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من فرائض الله مخالفاً أمرهما إلى ما نهياه عنه، ﴿ويتعدَّ حدودهُ﴾ يقول: ويتجاوز فصول طاعته التي جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته إلى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثته، وغير ذلك من حدوده. ﴿يدخلهُ ناراً خالداً فيهَا﴾ يقول: باقياً فيها أبداً لا يموت ولا يخرج منها أبداً. ﴿ولهُ عذابٌ مهينٌ﴾ يعني: وله عذاب مذلّ من عُذّب به مخز له.

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾... الآية في شأن المواريث التي ذكر قبل. قال ابن جريج: ومن يعص الله ورسوله، قال: من أصاب من الذنوب ما يعذّب الله عليه.

فإن قال قائل: أَوَ يُخَلَّد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث؟ قيل: نعم، إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكا في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين، أو علم ذلك، فحاد الله ورسوله في أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله ﷺ قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾... إلى تمام الآيتين: أيورث من لا يركب الفرس، ولا يقاتل العدوّ، ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال؟ استنكاراً منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه وإناث ولده، ممن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم، على ما قسمه في كتابه، وخالف حكمه في ذلك وحكم رسوله، استنكاراً منه حكمهما، كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله ﷺ من المنافقين الذين فيهم نزلت وفي أشكالهم هذه الآية، فهو من أهل الخلود في النار، لأنه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله كافراً ومن ملة الإسلام خارجاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ﴾ والنساء اللاتي يأتين بالزنا: أي يزنين. ﴿مِنْ نِسائِكُمْ﴾ وهن محصنات ذوات أزواج، أو غير ذوات أزواج. ﴿فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ يقول: فاستشهدوا عليهنّ بما أتين من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم، يعني: من المسلمين. ﴿فإنْ شَهِدُوا﴾ عليهن، ﴿فَأمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ﴾ يقول: فاحبسوهنّ في البيوت، ﴿حتى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ﴾ يقول: حتى يمتن، ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ يعني: أو يجعل الله لهنّ مخرجاً وطريقاً إلى النجاة مما أتين به من الفاحشة.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي محمد بن يزيد، قال: ثنا يحيى بن أبي زائدة، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِنْكُمْ فإنْ شَهِدُوا فَأمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ﴾ أمر بحبسهن في البيوت حتى يمتن ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ قال: الحدّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ﴾ قال: الزنا، كان أمر بحبسهنّ حين يشهد عليهن أربعة حتى يمتن؛ ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ والسبيل: الحدّ.

حدثنا المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ﴾ إلى: ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ فكانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ فإن كانا محصنين رُجما، فهذه سبيلهما الذي جعل الله لهما.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ فقد جعل الله لهنّ، وهو الجلد والرجم.

حدثني بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ﴾ حتى بلغ: ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ كان هذا من قبل الحدود، فكانا يؤذيان بالقول جميعاً، وبحبس المرأة. ثم جعل الله لهنّ سبيلاً، فكان سبيل من أحصن جلد مائة ثم رمي بالحجارة، وسبيل من لم يحصن جلد مائة ونفي سنة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي رباح وعبد الله بن كثير: الفاحشة: الزنا، والسبيل: الرجم والجلد.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فاسْتَشْهِدُوا عَلَيهِنَّ أرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ إلى: ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ هؤلاء اللاتي قد نكحن وأحصن، إذا زنت المرأة فإنها كانت تحبس في البيت ويأخذ زوجها مهرها فهو له، فذلك قوله: ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أنْ تَأْخُذوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ﴾ حتى جاءت الحدود فنسختها، فجلدت ورجمت، وكان مهرهَا ميراثاً، فكان السبيل هو الجلد.

حُدثت، عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سلمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ قال: الحد، نسخ الحد هذه الآية.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا يحيى، عن إسرائيل، عن خصيف، عن مجاهد: ﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ قال: جلد مائة، الفاعل والفاعلة.

حدثنا الرفاعي، قال: ثنا يحيى، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الجلد.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثنا أبي، عن قتادة، عن الحسن، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن عبادة بن الصامت: أن النبيّ ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي نكس رأسه، ونكس أصحابه رؤوسهم؛ فلما سُرِّيَ عنه رفع رأسه، فقال: «قَدْ جَعَلَ الله لَهُنَّ سَبِيلاً، الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ، والبِكْرُ بالبِكْرِ؛ أما الثَّيِّبُ فتُجْلَدُ ثم تُرْجَمُ؛ وأما البِكْرُ فتُجْلَدُ ثم تُنْفَى».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن حطان بن عبد الله، عن عبادة بن الصامت، قال: قال نبيّ الله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً؛ الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ تُجْلَدُ مِائَةً وَتُرْجَمُ بالحِجارَةِ، وَالبِكْرُ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن حطان بن عبد الله أخي بني رقاش، عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربّد له وجهه، فأنزل الله عليه ذات يوم، فلقي ذلك فلما سُري عنه قال: «خُذُوا

عَنِّي قَد جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً؛ الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ ثُمَّ رَجْمٌ بالحِجارَةِ، وَالبِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ ثُمَّ نَفْيُ سَنَةٍ».

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال: ابن زيد في قوله: **﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ، فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أرْبَعَةً مِنْكُمْ فإنْ شَهِدُوا فَأمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حتى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾** قال: يقول: لا تنكحوهنّ حتى يتوفاهنّ الموت، ولم يخرجهن من الإسلام. ثم نسخ هذا، وجعل السبيل التي ذكر أن يجعل لهن سبيلاً، قال: فجعل لها السبيل إذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت، وجعل السبيل للبكر جلد مائة.

حدثني يحيى بن أبي طالب، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: **﴿حتى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾** قال: الجلد والرجم.

حدثنا المثنى، قال: ثنا محمد بن أبي جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن الحسن، عن حطان بن عبد الله الرقاشي، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً: الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ وَالبِكْرُ بالبِكْرِ، الثَّيِّبُ تُجْلَدُ وَتُرْجَمُ والبِكْرُ تُجْلَدُ وَتُنْفَى».

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن إسماعيل بن مسلم البصري، عن الحسن، عن عبادة بن الصامت، قال: كنا جلوساً عند النبيّ ﷺ إذ احمّر وجهه، وكان يفعل ذلك إذا نزل عليه الوحي، فأخذه كهيئة الغَشْي لما يجد من ثِقل ذلك، فلما أفاق قال: «خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً، والبِكْرَانِ يُجْلَدَانِ ويُنْفَيانِ سَنَةً، والثَّيِّبانِ يُجْلَدَانِ وَيُرْجَمانِ».

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: **﴿أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾** قول من قال السبيل التي جعلها الله جلّ ثناؤه للثيبين المحصنين الرجم بالحجارة، وللبكرين جلد مائة، ونفي سنة لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه رجم ولم يجلد؛ وإجماع الحجة التي لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعة عليه الخطأ والسهو والكذب؛ وصحة الخبر عنه، أنه قضى في البكرين بجلد مائة، ونفي سنة، فكان في الذي صحّ عنه من تركه، جلد من رجم من الزناة في عصره دليل واضح على [وهي] الخبر الذي روي عن الحسن عن حطان عن عبادة عن النبيّ ﷺ أنه قال: السبيل للثيب المحصن: الجلد والرجم. وقد ذكر أن هذه الآية في قراءة عبد الله: واللاتي يأتين بالفاحشة من نسائكم، والعرب تقول: أتيت أمراً عظيماً، وبأمر عظيم، وتكلمت بكلام قبيح، وكلاماً قبيحاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**واللَّذَانِ يأتِيانها مِنْكُمْ**﴾: والرجل والمرأة اللذان يأتيانها، يقول: يأتيان الفاحشة والهاء والألف في قوله: ﴿**يأتِيانها**﴾ عائدة على الفاحشة التي في قوله: ﴿**وَاللاتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ**﴾ والمعنى: واللذان يأتيان منكم الفاحشة فآذوهما.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ فآذُوهُما**﴾ فقال بعضهم: هما البكران اللذان لم يحصنا، وهما غير اللاتي عنين بالآية قبلها. وقالوا: قوله: ﴿**وَاللاتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ**﴾ معنيّ به الثيبات المحصنات بالأزواج، وقوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ**﴾ يعني به: البكران غير المحصنين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ذكر الجواري والفتيان اللذين لم ينكحوا، فقال: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ**﴾ البكران فآذوهما.

وقال آخرون: بل عُني بقوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ**﴾ الرجلان الزانيان.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا يحيى، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾ قال: الرجلان الفاعلان لا يكني.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ**﴾: الزانيان.

وقال آخرون: بل عني بذلك الرجل والمرأة، إلا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا يحيى، عن ابن جريج، عن عطاء: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾ قال: الرجل والمرأة.

حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد النحويّ، عن عكرمة والحسن البصريّ، قالا: ﴿**وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**أوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**﴾ فذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما جميعاً، فقال: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فإنْ تَابا وأصْلَحا فأعْرِضُوا عَنْهُما إنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء وعبد الله بن كثير، قوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ**﴾ قال: هذه للرجل والمرأة جميعاً.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ**﴾ قول من قال: عني به البكران غير المحصنين إذا زنيا وكان أحدهما رجلاً والآخر امرأة، لأنه لو كان مقصود بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصوداً بقوله: ﴿**وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ**﴾ قصد البيان عن حكم الزواني، لقيل: والذين يأتونها منكم فآذوهم، أو قيل: والذي يأتيها منكم، كما قيل في التي قبلها: ﴿**وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ**﴾ فأخرج ذكرهنّ على الجمع، ولم يقل: واللتان يأتيان الفاحشة. وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه، أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد، وذلك أن الواحد يدلّ على جنسه، ولا تخرجها بذكر اثنين، فتقول: الذين يفعلون كذا فلهم كذا، والذي يفعل كذا فله كذا، ولا تقول: اللذان يفعلان كذا فلهما كذا، إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون إلا من زان وزانية. فإذا كان ذلك كذلك، قيل بذكر الاثنين، يراد بذلك الفاعل والمفعول به، فإما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كلّ واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين فذلك ما لا يعرف في كلامها. وإذا كان ذلك كذلك، فبيِّن فساد قول من قال: عُني بقوله: ﴿**واللَّذَانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ**﴾ الرجلان، وصحة قول من قال: عني به الرجل والمرأة وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهنّ في قوله: ﴿**وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الفاحِشَةَ**﴾ لأن هذين اثنان وأولئك جماعة. وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهنّ سبيلاً، لأنه أغلظ في العقوبة من الأذى الذي هو تعنيف وتوبيخ أو سبّ وتعيير، كما كان السبيل التي جعلت لهنّ من الرجم أغلظ من السبيل التي جعلت للأبكار من جلد المائة ونفي السنة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَآذُوهُما فإنْ تابا وأصْلَحا فأعْرِضُوا عَنْهُما إنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾.

اختلف أهل التأويل في الأذى الذي كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتيان الفاحشة من قبل أن يجعل لهما سبيلاً منه، فقال بعضهم: ذلك الأذى، أذى بالقول واللسان، كالتعيير والتوبيخ على ما أتيا من الفاحشة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**فَآذُوهُما**﴾ قال: كانا يؤذيان بالقول جميعاً.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**فَآذُوهُما فإنْ تابا وأصْلَحا فأعْرِضُوا عَنْهُما**﴾ فكانت الجارية والفتى إذا زنيا يعنفان ويعيران حتى يتركا ذلك.

وقال آخرون: كان ذلك الأذى، أذى اللسان، غير أنه كان سبّاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فَآذُوهُما**﴾ يعني: سبّاً.

وقال آخرون: بل كان ذلك الأذى باللسان واليد.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**واللَّذَّانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾ فكان الرجل إذا زنى أوذي بالتعيير، وضرب بالنعال.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين بأذى الزانيين المذكورين إذا أتيا ذلك وهما من أهل الإسلام، والأذى قد يقع بكل مكروه نال الإنسان من قول سيىء باللسان أو فعل، وليس في الآية بيان أن ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ، ولا خبر به عن رسول الله ﷺ من نقل الواحد ولا نقل الجماعة الموجب مجيئها قطع العذر. وأهل التأويل في ذلك مختلفون، وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد، وجائز أن يكون كان أذى بأيهما، وليس في العلم بأيّ ذلك كان من أيّ نفعٌ في دين ولا دنيا ولا في الجهل به مضرّة، إذ كان الله جلّ ثناؤه قد نسخ ذلك من محكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفي اللاتي قبلهما؛ فأما الذي أوجب من الحكم عليهم فيهما فما أوجب في سورة النور بقوله: ﴿**الزَّانِيَةُ والزَّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ**﴾ وأما الذي أوجب في اللاتي قبلهما، فالرجم الذي قضى به رسول الله ﷺ فيهما وأجمع أهل التأويل جميعاً على أن الله تعالى ذكره قد جعل لأهل الفاحشة من الزناة والزواني سبيلاً بالحدود التي حكم بها فيهم.

وقال جماعة من أهل التأويل: إن الله سبحانه نسخ بقوله: ﴿**الزَّانِيَةُ والزَّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدةٍ**﴾ قوله: ﴿**واللَّذَّانِ يأتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**واللَّذَّانِ يأتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾ قال: كل ذلك نسخته الآية التي في النور بالحدّ المفروض.

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا يحيى، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿**واللَّذَّانِ يأتِيانها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾... الآية، قال: هذا نسخته الآية في سورة النور بالحد المفروض.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تميلة، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن البصري، قالا في قوله: ﴿**واللَّذَّانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾... الآية، نسخ ذلك بآية الجلد، فقال: ﴿**الزَّانِيَةُ والزَّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدةٍ**﴾.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**واللَّذَّانِ يأْتِيانها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾ فأنزل الله بعد هذا: ﴿**الزَّانِيَةُ والزَّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدةٍ**﴾ فإن كانا محصنين رجما في سنة رسول الله ﷺ.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**واللاَّتِي يأْتِينَ الفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ**﴾... الآية؛ جاءت الحدود فنسختها.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: نسخ الحدّ هذه الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: ﴿**فأمْسِكُوهُنَّ في البُيُوتِ**﴾... الآية، قال: نسختها الحدود، وقوله: ﴿**واللَّذَّانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ**﴾ نسختها الحدود.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**واللَّذَّانِ يأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما**﴾... الآية، ثم نسخ هذا وجعل السبيل لها إذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت، وجعل السبيل للذكر جلد مائة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حتى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ**﴾ قال: نسختها الحدود.

وأما قوله: ﴿**فإنْ تابا وأصْلَحا فَأعْرِضُوا عَنهُما**﴾ فإنه يعني به جلّ ثناؤه: فإن تابا من الفاحشة التي أتيا، فراجعا طاعة الله بينهما وأصلحا، يقول: وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما والعمل بما يرضي الله، فأعرضوا عنهما، يقول: فاصفحوا عنهما، وكفوا عنهما الأذى الذي كنت أمرتكم أن تؤذوهما به، عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة، ولا تؤذوهما بعد توبتهما.

وأما قوله: ﴿**إنَّ اللّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾ فإنه يعني: أن الله لم يزل راجعاً لعبيده إلى ما يحبون إذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته رحيماً بهم، يعني: ذا رحمة ورأفة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾

يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿**إنَّمَا التَّوْبَةُ على اللّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾: ما التوبة على الله لأحد من خلقه، إلا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة. ﴿**ثُمَّ يَتُوبُون مِنْ قَرِيبٍ**﴾ يقول: ما الله براجع لأحد من خلقه إلى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه، إلا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون، ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منه إلى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود إلى مثله من قبل نزول الموت بهم. وذلك هو القريب الذي ذكره الله تعالى ذكره، فقال: ﴿**ثُمَّ يَتُوبُون مِنْ قَرِيبٍ**﴾.

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا في معنى قوله: ﴿**بِجَهالَةٍ**﴾ فقال بعضهم في ذلك بنحو ما قلنا فيه، وذهب إلى أن عمله السوء هو الجهالة التي عناها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي العالية: أنه كان يحدّث أن أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قوله: ﴿**لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾ قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ، فرأوا أن كل شيء عصي به فهو جهالة، عمداً كان أو غيره.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾ قال: كل من عصى ربه فهو جاهل، حتى ينزع عن معصيته.

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾ قال: كل من عمل بمعصية الله فذاك منه بجهل حتى يرجع عنه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾ ما دام يعصي الله فهو جاهل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن أبي النضر، عن أبي صالح عن ابن عباس: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾ قال: من عمل السوء فهو جاهل، من جهالته عمل السوء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثظني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: من عصى الله فهو جاهل، حتى ينزع عن معصيته. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها. قال ابن جريج: وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله: ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُون مِنْ قَرِيبٍ**﴾ قال: الجهالة: كل امرىء عمل شيئاً من معاصي الله فهو جاهل أبداً حتى ينزع عنها. وقرأ: ﴿**هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وأخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُون**﴾ وقرأ: ﴿**وإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيدهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وأكُنْ مِنَ الجاهِلِينَ**﴾ قال: من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته.

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿**لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾: يعملون ذلك على عمد منهم له.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن مجاهد: ﴿**يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ**﴾ قال: الجهالة: العمد.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد، مثله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ﴾** قال: الجهالة: العمد.

وقال آخرون: معنى ذلك: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، قوله: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ﴾** قال: الدنيا كلها جهالة.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويلها: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء، وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للإثم، أو جاهلين بما أعدّ الله لأهلها. وذلك أنه غير موجود في كلام العرب، تسمية العامد للشيء الجاهل به، إلا أن يكون معنياً به أنه جاهل بقدر منفعته ومضرّته، فيقال: هو به جاهل، على معنى جهله بمعنى: نفعه وضرّه؛ فأما إذا كان عالماً بقدر مبلغ نفعه وضرّه قاصداً إليه، فغير جائز من غير قصده إليه أن يقال هو به جاهل؛ لأن الجاهل بالشيء هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه، أو يعلمه فيشبه فاعله، إذ كان خطأً ما فعله بالجاهل الذي يأتي الأمر وهو به جاهل فيخطىء موضع الإصابة منه، فيقال: إنه لجاهل به، وإن كان به عالماً لإتيانه الأمر الذي لا يأتي مثله إلا أهل الجهل به. وكذلك معنى قوله: **﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ﴾** قيل فيهم: يعملون السوء بجهالة وإن أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله، عامدين إتيانه، مع معرفتهم بأنه عليهم حرام، لأن فعلهم ذلك كان من الأفعال التي لا يأتي مثله إلا من جهل عظيم عقاب الله عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة، فقيل لمن أتاه وهو به عالم: أتاه بجهالة، بمعنى: أنه فعل فعل الجهال به، لا أنه كان جاهلاً.

وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه: أنهم جهلوا كنه ما فيه من العقاب، فلم يعلموه كعلم العالم، وإن علموه ذنباً، فلذلك قيل: **﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ﴾**. ولو كان الأمر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنه ما فيه. وذلك أنه جلّ ثناؤه قال: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾** دون غيرهم. فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوءاً على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب؛ توبة، وذلك خلاف الثابت عن رسول الله ﷺ من أن كل تائب عسى الله أن يتوب عليه، وقوله: «بابُ التَّوبَةِ مَفْتُوحٌ ما لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»، وخلاف قول الله عزّ وجلّ: **﴿إلاَّ مَنْ تابَ وآمَنَ وَعمِلَ عَمَلاً صَالِحاً﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾.

أختلف أهل التأويل في معنى القريب في هذا الموضع، فقال بعضهم: معنى ذلك: ثم يتوبون في صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ والقريب قبل الموت ما دام في صحته.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن أبي النضر، عن أبي صالح، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال: في الحياة والصحة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم يتوبون من قبل معاينة ملك الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ والقريب فيما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران بن حدير، قال: قال أبو مجلز: لا يزال الرجل في توبة حتى يعاين الملائكة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس، قال: القريب: ما لم تنزل به آية من آيات الله تعالى وينزل به الموت.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت، فإذا تاب حين ينظر إلى ملك الموت فليس له ذاك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم يتوبون من قبل الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن رجل، عن الضحاك: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال: كل شيء قبل الموت فهو قريب.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان،

عن عكرمة: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قال: الدنيا كلها قريب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قبل الموت.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن أبي قلابة، قال: ذكر لنا أن إبليس لما لعن وأُنْظِرَ، قال: وعزّتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح! فقال تبارك وتعالى: وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران، عن قتادة، قال: كنا عند أنس بن مالك وثَمَّ أبو قلابة، فحدّث أبو قلابة قال: إن الله تبارك وتعالى لما لعن إبليس سأله النَّظِرَة، فقال: وعزّتك لا أخرج من قلب ابن آدم! فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا أيوب، عن أبي قلابة، قال: إن الله تبارك وتعالى لما لعن إبليس سأله النَّظِرَة، فأنظره إلى يوم الدين، فقال: وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح! قال: وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح.

حدثني ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ إبْلِيسَ لَمَّا رأى آدَمَ أجْوَفَ، قالَ: وعِزَّتِكَ لا أَخْرُجُ مِنْ جَوْفِهِ ما دَام فِيهِ الرُّوحُ! فَقالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى: وعِزَّتِي لا أحُولُ بَيْنَهُ وبَينَ التَّوْبَةِ ما دَامَ فِيهِ الرُّوحُ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، قتادة، عن العلاء بن زياد، عن أبي أيوب بُشَيْر بن كعب، أن نبيّ الله ﷺ، قال: «إنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ، قال؛ فذكر مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ الله تَبارك وتَعالى يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِرْ».

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: تأويله: ثم يتوبون قبل مماتهم في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه، وقبل أن يغلبوا على أنفسهم

وعقولهم، وقبل حال اشتغالهم بكرب الحشرجة وغمّ الغرغرة، فلا يعرفوا أمر الله ونهيه، ولا يعقلوا التوبة، لأن التوبة لا تكون توبة إلا ممن ندم على ما سلف منه، وعزم فيه على ترك المعاودة، وهو يعقل الندم، ويختار ترك المعاودة، فأما إذا كان بكرب الموت مشغولاً، وبغمّ الحشرجة مغموراً، فلا إخاله إلا عن الندم على ذنوبه مغلوباً، ولذلك قال من قال: إن التوبة مقبولة ما لم يغرغر العبد بنفسه، فإن كان المرء في تلك الحال يعقل عقل الصحيح، ويفهم فهم العاقل الأريب، فأحدث إنابة من ذنوبه، ورجعة من شروده عن ربه إلى طاعته كان إن شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين إليه من إجرامهم من قريب بقوله: **﴿إنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوء بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِمْ وكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

يعني بقوله جلّ ثناؤه: **﴿فَأُولَئِكَ﴾** فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب **﴿يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِمْ﴾** دون من لم يتب، حتى غلب على عقله وغمرته حشرجة ميتته، فقال: وهو لا يفقه ما يقول: **﴿إنِّي تبتُ الآنَ﴾** خداعاً لربه ونفاقاً في دينه، ومعنى قوله: **﴿يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِمْ﴾**: يرزقهم إنابة إلى طاعته، ويتقبل منهم أوبتهم إليه، وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم.

وأما قوله: **﴿وكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾** فإنه يعني: ولم يزل الله جلّ ثناؤه عليماً بالناس من عباده المنيبين إليه بالطاعة بعد إدبارهم عنه، المقبلين إليه بعد التولية، وبغير ذلك من أمور خلقه، حكيم في توبته على من تاب منهم من معصيته، وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره، ولا يدخل أفعاله خلل، ولا يخلطه خطأ ولا زلل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه: وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الإصرار على معاصي الله، حتى إذا حضر أحدهم الموت، يقول: إذا حشرج أحدهم بنفسه، وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا إليه لقبض روحه قال: وقد غلب على نفسه، وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغرغرته: إني تبت الآن، يقول فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة، لأنه قال ما قال في غير حال توبة. كما:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن يعلى بن نعمان، قال: أخبرني من سمع ابن عمر يقول: التوبة مبسوطة ما لم يَسُقْ. ثم قرأ ابن عمر: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيِّئاتِ حتى إذَا حَضَرَ أَحَدُهمُ المَوْتُ قالَ إنِّي تبتُ الآنَ﴾** ثم قال: وهل الحضور إلا السَّوْق.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيِّئاتِ حتى إذَا حَضَرَ أَحَدُهمُ المَوْتُ قالَ إنِّي تبتُ الآنَ﴾** قال: إذا تبين الموت فيه لم يقبل الله له توبة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن أبي النضر، عن أبي صالح، عن ابن عباس: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيِّئاتِ حتى إذَا حَضَرَ أَحَدُهمُ المَوْتُ قالَ إنِّي تبتُ الآنَ﴾** فليس لهذا عند الله توبة.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت إبراهيم بن ميمون، يحدّث عن رجل من بني الحارث، قال: ثنا رجل منا، عن عبد الله بن عمرو، أنه قال: «مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بعَامٍ تِيبَ عَلَيْهِ»، حتى ذكر شهراً، حتى ذكر ساعة، حتى ذكر فُواقاً، قال: فقال رجل: كيف يكونُ هذا والله تعالى يقول: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيِّئاتِ حتى إذَا حَضَرَ أَحَدُهمُ المَوْتُ قالَ إنِّي تبتُ الآنَ﴾** فقال عبد الله: أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله ﷺ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم، قال: كان يقال: التوبة مبسوطة ما لم يؤخذ بكَظَمِه.

واختلف أهل التأويل فيمن عُني بقوله: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيِّئاتِ حتى إذَا حَضَرَ أَحَدُهمُ المَوْتُ قالَ إنِّي تبتُ الآنَ﴾** فقال بعضهم: عُني به أهل النفاق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: **﴿إنَّمَا التَّوْبَةُ على اللَّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُوء بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾** قال: نزلت الأولى في المؤمنين، ونزلت الوسطى في المنافقين، يعني: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيِّئاتِ﴾** والأخرى في الكفار، يعني: **﴿وَلا الَّذِينَ يَموتونَ وَهمْ كفَّارٌ﴾**.

وقال آخرون: بل عني بذلك أهل الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، قال: بلغنا في هذه الآية: ﴿**وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيّئاتِ حتى إذَا حَضَرَ أحَدُهمُ المَوْتُ قالَ إنّي تبْتُ الآنَ**﴾ قال: هم المسلمون، ألا ترى أنه قال: ﴿**وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾؟

وقال آخرون: بل هذه الآية كانت نزلت في أهل الإيمان، غير أنها نسخت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيّئاتِ حتى إذَا حَضَرَ أحَدُهمُ المَوْتُ قالَ إنّي تبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾ فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿**إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشاءُ**﴾ فحرّم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته، فلم يؤيسهم من المغفرة.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ما ذكره الثوري أنه بلغه أنه في الإسلام، وذلك أن المنافقين كفار، فلو كان معنياً به أهل النفاق لم يكن لقوله: ﴿**وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كفَّارٌ**﴾ معنى مفهوم، لأنهم إن كانوا هم والذين قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار، فلا وجه لتفريق أحد منهم في المعنى الذي من أجله بطل أن تكون توبة واحد مقبولة. وفي تفرقة الله جلّ ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم بأن سمى أحد الصنفين كافراً، ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات، ولم يسمهم كفاراً ما دلّ على افتراق معانيهم، وفي صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا، وفساد ما خالفه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كفَّارٌ أُولَئِكَ أعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً ألِيماً﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار فموضع «الذين» خفض، لأنه معطوف على قوله: ﴿**لِلَّذِينَ يَعْمَلونَ السَّيّئاتِ**﴾. وقوله: ﴿**أُولَئِكَ أعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً ألِيماً**﴾ يقول: هؤلاء الذين يموتون وهم كفار، أعتدنا لهم عذاباً أليماً، لأنهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن أبي النضر، عن أبي صالح، عن ابن عباس: ﴿**وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كفَّارٌ**﴾ أولئك أبعد من التوبة.

واختلف أهل العربية في معنى: ﴿**أعْتَدْنا لَهُمْ**﴾ فقال بعض البصريين: معنى: ﴿**أعْتَدْنا**﴾:

أفعلنا من العتاد، قال: ومعناها: أعددنا. وقال بعض الكوفيين: أعددنا وأعتدنا معناهما واحد، فمعنى قوله: ﴿أَعْتَدْنا لَهُمْ﴾ أعددنا لهم ﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾ يقول: مؤلماً موجعاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

يعني تبارك وتعالى [بقوله:] ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثوا النِّساءَ كَرْهاً﴾ يقول: لا يحلّ لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرهاً.

فإن قال قائل: كيف كانوا يرثونهن، وما وجه تحريم وراثتهن، فقد علمت أن النساء مورّثات كما الرجال مورثون؟ قيل: إن ذلك ليس من معنى وراثتهنّ إذا هنّ متن فتركن مالاً، وإنما ذلك أنهن في الجاهلية كانت إحداهنّ إذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها، إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوّجها حتى تموت، فحرّم الله تعالى ذلك على عباده، وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم، ونهاهم عن عضلهنّ عن النكاح.

وبنحو القول الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أسباط بن محمد، قال: ثنا أبو إسحاق، يعني الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يحِلّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقّ بامرأته، إن شاء بعضهم تزوّجها، وإن شاءوا زوّجوها، وإن شاءوا لم يزوّجوها، وهم أحقّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك.

وحدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: ثني محمد بن فضيل، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوّج امرأته، وكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثوا النِّساءَ كَرْهاً﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد

النحويّ، عن عكرمة والحسن البصري قالا في قوله: ﴿لاَ يحِلّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنّ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾، وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته، فيعضلها حتى تموت أو تردّ إليه صداقها، فأحكم[1] الله عن ذلك، يعني أن الله نهاكم عن ذلك.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يحِلّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾ قال: كانت الأنصار تفعل ذلك كان الرجل إذا مات حميمه ورث حميمه امرأته، فيكون أولى بها من وليّ نفسها.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يحِلّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾... الآية، قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه، فهو أحقّ بامرأته، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها. قال ابن جريج: فأخبرني عطاء بن أبي رباح أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل، فترك امرأة، حبسها أهله على الصبيّ يكون فيهم، فنزلت: ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾... الآية. قال ابن جريج، وقال مجاهد: كان الرجل إذا توفي أبوه كان أحقّ بامرأته، ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها، أو ينكحها إن شاء أخاه أو ابن أخيه. قال ابن جريج: وقال عكرمة: نزلت في كبيشة بنت معن بن عاصم من الأوس، توفي عنها أبو قيس بن الأسلت، فجنح عليها ابنه، فجاءت النبيّ ﷺ، فقالت: يا نبيّ الله، لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فأنكح! فنزلت هذه الآية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يحِلّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾ قال: كان إذا توفي الرجل كان ابنه الأكبر هو أحقّ بامرأته ينكحها إذا شاء إذا لم يكن ابنها، أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن عمرو بن دينار مثل قول مجاهد.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، قال: سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك.

---

(١) أحكم الله عن ذلك: منع منه ونهى عنه «النهاية» لابن الأثير.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي: أما قوله: ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾، فإن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فإذا مات وترك امرأته، فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحقّ بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهم أحقّ بنفسها.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾ كانوا بالمدينة إذا مات حميم الرجل وترك امرأة، ألقى الرجل عليها ثوبه، فورث نكاحها، وكان أحقّ بها، وكان ذلك عندهم نكاحاً، فإن شاء أمسكها حتى تفتدي منه، وكان هذا في الشرك.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾ قال: كانت الوراثة في أهل يثرب بالمدينة ههنا، فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه، كما يرث أمه لا يستطيع أن يمنع، فإن أحبّ أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها، وإن كره فارقها، وإن كان صغيراً حبست عليه حتى يكبر، فإن شاء أصابها وإن شاء فارقها، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾ وذلك أن رجالاً من أهل المدينة كان إذا مات حميم أحدهم، ألقى ثوبه على امرأته، فورث نكاحها، فلم ينكحها أحد غيرها، وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾.

حدثني ابن وكيع، قال: ثني أبي، قال: ثنا سفيان، عن عليّ بن بذيمة، عن مقسم، قال: كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها، فجاء رجل فألقى عليها ثوبه كان أحقّ الناس بها، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿لاَ يحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾.

فتأويل الآية على هذا التأويل: يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكن أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرهاً، فترك ذلك الآباء والأقارب والنكاح، ووجّه الكلام إلى النهي عن وراثة النساء، اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام، إذ كان مفهوماً معناه عندهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يحلّ لكم أيها الناس أن ترثوا النساء تركاتهن كرهاً، قال: وإنما قيل ذلك لأنهم كانوا يعضلون أيامهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن أموالهن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾** قال: كان الرجل إذا مات وترك جارية، ألقى عليها حميمه ثوبه، فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوّجها، وإن كانت قبيحة حبسها حتى تموت، فيرثها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري في قوله: **﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾** قال: نزلت في ناس من الأنصار كانوا إذا مات الرجل منهم فأملك الناس بامرأته وليه، فيمسكها حتى تموت فيرثها، فنزلت فيهم.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية، القول الذي ذكرناه عمن قال معناه: لا يحلّ لكن أن ترثوا النساء كرهاً أقاربكم، لأن الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث، فذلك لأهله نحو وراثتهم إياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء. فقد علم بذلك أنه جلّ ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثاً عنهن، وأنه إنما حظر أن يكرهن موروثات بمعنى حظر وراثة نكاحهن إذا كان ميتهم الذي ورثوه قد كان مالكاً عليهن أمرهن في النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والأرضين وسائر ما له منافع، فأبان الله جل ثناؤه لعباده أن الذي يملكه الرجل منهم من بضع زوجته، معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التي تجوز إجارتها، فإن المالك بضع زوجته إذا هو مات لم يكن ما كان له ملكاً من زوجته بالنكاح لورثته بعده، كما لهم من الأشياء التي كان يملكها بشراء أو هبة أو إجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه.

وأما قوله تعالى: **﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: **﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾**: أي ولا تحبسوا يا معشر ورثة من مات من الرجال أزواجهم عن نكاح من أردن نكاحه من الرجال كيما يمتن فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن؛ أي فتأخذوا من أموالهم إذا متن ما كان موتاكم الذين ورثتموهن ساقوا إليهنّ من صدقاتهنّ. وممن قال ذلك جماعة قد ذكرنا بعضهم، منهم ابن عباس، والحسن البصري، وعكرمة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا تعضلوا أيها الناس نساءكم فتحبسوهنّ ضراراً، ولا حاجة لكم إليهن فتضروا بهن ليفتدين منكم بما آتيتموهنّ من صدقاتهن.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلا تَعْضُلُوهُنَّ**﴾ يقول: لا تقهروهن، ﴿**لِتَذْهَبوا بِبَعْضِ ما آتَيتمُوهُنَّ**﴾ يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها، ولها عليه مهر، فيُضِرُّ بها لتفتدي.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿**وَلا تَعْضُلُوهُنَّ**﴾ يقول: لا يحلّ لك أن تحبس امرأتك ضراراً حتى تفتدي منك. قال: أخبرنا معمر، قال: وأخبرني سماك بن الفضل عن ابن البيلماني، قال: نزلت هاتان الآيتان، إحداهما في أمر الجاهلية، والأخرى في أمر الإسلام.

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، قال: أخبرنا سماك بن الفضل، عن عبد الرحمن بن البيلماني في قوله: ﴿**لا يَحِلُّ لَكمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ**﴾، قال: نزلت هاتان الآيتان، إحداهما في الجاهلية، والأخرى في الإسلام، قال عبد الله لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء في الجاهلية، ولا تعضلوهنّ في الإسلام.

حدثني المثنى، قال: ثنا الحماني، قال: ثنا شريك، عن سالم، عن سعيد: ﴿**وَلا تَعْضُلوهُنَّ**﴾ قال: لا تحبسوهنّ.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿**وَلا تَعْضُلوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾ أما تعضلوهنّ، فيقول: تضارّوهنّ ليفتدين منكم.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَلا تَعْضُلوهُنَّ**﴾ قال: العضل: أن يكره الرجل امرأته، فيضرّ بها حتى تفتدي منه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أفْضَى بَعْضُكمْ إلى بَعْضٍ**﴾.

وقال آخرون: المعنيّ بالنهي عن عضل النساء في هذه الآية: أولياؤهنّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ أنْ يَنْكِحْنَ أزْوَاجَهُنَّ**﴾ كالعضل في سورة البقرة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وقال آخرون: بل المنهيّ عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه إياها، وقالوا: ذلك كان من فعل الجاهلية، فنهوا عنه في الإسلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان العضل في قريش بمكة، ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه، فيفارقها على أن لا تتزوّج إلا بإذنه، فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد، فإذا خطبها خاطب، فإن أعطته وأرضته أذن لها، وإلا عضلها. قال: فهذا قول الله: ﴿**وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾... الآية.

قال أبو جعفر: قد بينا فيما مضى معنى العضل وما أصله بشواهد ذلك من الأدلة.

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله: ﴿**وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾ قول من قال: نهى الله جلّ ثناؤه زوج المرأة عن التضييق عليها والإضرار بها، وهو لصحبتها كاره، ولفراقها محبّ، لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة، لأنه لا سبيل لأحد إلى عضل امرأة، إلا لأحد رجلين: إما لزوجها بالتضييق عليها وحبسها على نفسه، وهو لها كاره، مضارّة منه لها بذلك، ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك، أو لوليها الذي إليها إنكاحها، وإذا كان لا سبيل إلى عضلها لأحد غيرهما، وكان الوليّ معلوماً أنه ليس ممن آتاها شيئاً، فيقال: إن عضلها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها، كان معلوماً أن الذي عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها، هو زوجها الذي له السبيل إلى عضلها ضراراً لتفتدي منه.

وإذا صحّ ذلك، وكان معلوماً أن الله تعالى ذكره لم يجعل لأحد السبيل على زوجته بعد فراقه إياها وبينونتها منه، فيكون له إلى عضلها سبيل لتفتدي منه من عضله إياها، أتت بفاحشة أم

لم تأت بها، وكان الله جلّ ثناؤه قد أباح للأزواج عضلهنّ إذا أتين بفاحشة مبينة، حتى يفتدين منه، كان بيناً بذلك خطأ التأويل الذي تأوّله ابن زيد، وتأويل من قال: عنى بالنهي عن العضل في هذه الآية: أولياء الأيامى، وصحة ما قلنا فيه. ﴿ولا تعْضُلوهُنّ﴾ في موضع نصب عطفاً على قوله: ﴿أنْ تَرِثوا النّساءَ كَرْهاً﴾ ومعناه: لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً، ولا تعضلوهن، وكذلك هي فيما ذكر في حرف ابن مسعود، ولو قيل: هو في موضع جزم على وجه النهي لم يكن خطأ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إلاّ أنْ يأتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيّنَةٍ﴾.

يعني بذلك جلّ ثناؤه: لا يحلّ لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضراراً منكم لهن، وأنتم لصحبتهن كارهون، وهن لكم طائعات، لتذهبوا ببعض مّا آتيتموهنّ من صدقاتهن، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فيحلّ لكن حينئذٍ الضرار بهنّ ليفتدين منكم.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرها الله جلّ ثناؤه في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناها: الزنا، وقال إذا زنت امرأة الرجل حلّ له عضلها والضرار بها لتفتدي منه بما آتاها من صداقها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا أشعث، عن الحسن في البكر تفجر، قال: تضرب مائة، وتُنفى سنة، وتردّ إلى زوجها ما أخذت منه. وتأوّل هذه الآية: ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْمُوهُنَّ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عطاء الخراساني في الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة: أخذ ما ساق إليها وأخرجها؛ فنسخ ذلك الحدود.

حدثنا أحمد بن منيع، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة قال: إذا رأى الرجل من امرأته فاحشة، فلا بأس أن يضارّها، ويشقّ عليها حتى تختلع منه.

حدثنا ابن حميد، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرني معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة في الرجل يطلع من امرأته على فاحشة، فذكر نحوه.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبيِّنَةٍ﴾** وهو الزنا، فإذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عبد الكريم أنه سمع الحسن البصريّ: **﴿إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ﴾** قال: الزنا. قال: وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان: فإن فعلت حلّ لزوجها أن يكون هو يسألها الخلع لتفتدي.

وقال آخرون: الفاحشة المبينة في هذا الموضع: النشوز.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: **﴿إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبيِّنَةٍ﴾** وهو البغض والنشوز، فإذا فعلت ذلك، فقد حلّ له منها الفدية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن عليّ بن بذيمة، عن مقسم في قوله: «وَلاَ تَعْضُلوهُنَّ لِتَذْهَبوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إلاَّ أنْ يَفْحُشْنَ» في قراءة ابن مسعود. قال: إذا عضلت وآذتك فقد حلّ لك أخذ ما أخذت منك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مطرف بن طريف، عن خالد، عن الضحاك بن مزاحم: **﴿إلاَّ أنْ يأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبيِّنَةٍ﴾** قال: الفاحشة ههنا النشوز، فإذا نشزت حلّ له أن يأخذ خلعها منها.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: **﴿إلاَّ أنْ يأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبيِّنَةٍ﴾** قال: هو النشوز.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال عطاء بن أبي رباح: **﴿إلاَّ أنْ يأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾** فإن فعلن إن شئتم أمسكتموهنّ، وإن شئتم أرسلتموهن.

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: **﴿إلاَّ أنْ يأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾** قال: عدل ربنا تبارك وتعالى في القضاء فرجع إلى النساء، فقال: **﴿إلاَّ أنْ يأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾** والفاحشة:

العصيان والنشوز؛ فإذا كان ذلك من قبلها، فإن الله أمره أن يضربها، وأمره بالهجر، فإن لم تدع العصيان والنشوز فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية.

قال أبو جعفر: وأولى ما قيل في تأويل قوله: ﴿إلاَّ أن يأتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾ أنه معنيّ به كل فاحشة من بذاءة باللسان على زوجها، وأذى له وزنا بفرجها. وذلك أن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله: ﴿إلاَّ أن يأتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾ كل فاحشة مبينة ظاهرة، فكلّ زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التي هي زنا أو نشوز، فله عضلها على ما بين الله في كتابه، والتضييق عليها حتى تفتدي منه بأيّ معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى، وصحة الخبر عن رسول الله ﷺ. كالذي:

حدثني يونس بن سليمان البصريّ، قال: ثنا حاتم بن إسماعيل، قال: ثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر أن رسول الله ﷺ، قال: «اتَّقوا اللّهَ فِي النِّساءِ، فانَّكمْ أخَذْتُموهُنَّ بأمانَةِ اللّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهنَّ بِكَلِمَةِ اللّهِ، وَإنَّ لَكمْ عَلَيْهِنَّ أن لا يُوطِئنَ فُرشَكُمْ أحَداً تَكْرَهونَهُ، فإنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فاضرِبوهنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرّحٍ وَلهُنَّ عَلَيْكم رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمَعْرُوفِ».

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا زيد بن الحباب، قال: ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال: ثنا صدقة بن يسار، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ، قال: «أيُّها النّاسُ إنَّ النِّساءَ عِنْدَكمْ عَوَانٌ، أخَذْتُموهُنَّ بأمانَةِ اللّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللّهِ، وَلَكمْ عَلَيهِنَّ حَقٌ، وَلهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌ، ومِنْ حَقِّكمْ عَلَيْهِنَّ أنْ لا يُوطِئنَ فُرُشَكمْ أحَدًا وَلا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ، فإذَا فَعَلْنَ ذَلِكَ فَلَهنَّ رِزْقُهنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمَعْرُوفِ».

فأخبر ﷺ، أن من حقّ الزوج على المرأة أن لا توطىء فراشه أحداً، وأن لا تعصيه في معروف وأن الذي يجب لها من الرزق والكسوة عليه، وإنما هو واجب عليه، إذا أدّت هي إليه ما يجب عليها من الحقّ بتركها إيطاء فراشه غيره، وتركها معصيته في معروف. ومعلوم أن معنى قول النبيّ ﷺ: «مِنْ حَقِّكمْ عَلَيْهِنَّ أنْ لا يُوطِئنَ فُرُشَكُمْ أحَداً» إنما هو أن لا يمكنَّ أنفسهنّ من أحد سواكم. وإذا كان ما روينا في ذلك صحيحاً عن رسول الله ﷺ، فبين أن لزوج المرأة إذا أوطأت امرأته نفسها غيره، وأمكنت من جماعها سواه، أن له منعها من الكسوة والرزق بالمعروف، مثل الذي له من منعها ذلك إذا هي عصته في المعروف. وإذا كان ذلك له فمعلوم أنه غير مانع لها بمنعه إياها ماله منعها حقاً لها واجباً عليه. وإذا كان ذلك كذلك فبيِّن أنها إذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها فأخذ منها زوجها ما أعطته أنه لم يأخذ ذلك عن عضل منهيّ عنه، بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح. وإذ كان ذلك كذلك كان بيناً أنه داخل في استثناء الله تبارك وتعالى

الذي استثناه من العاضلين بقوله: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾. وإذ صحّ ذلك، فبين فساد قول من قال: ﴿إلاَّ أنْ يأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مبَيِّنَةٍ﴾ منسوخ بالحدود، لأن الحدّ حقّ الله تعالى على من أتى بالفاحشة التي هي زنا. وأما العضل لتفتدي المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحقّ لزوجها كما عضله إياها وتضييقه عليها إذا هي نشزت عليه لتفتدي منه حقّ له، وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر.

فمعنى الآية: ولا يحلّ لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم، فتضيقوا عليهنّ، وتمنعوهنّ رزقهنّ وكسوتهن بالمعروف، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صَدُقاتكم، ﴿إلاَّ أنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ من زنا أو بذاء عليكم، وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم مبينة ظاهره، فيحلّ لكم حينئذٍ عضلهنّ، والتضييق عليهنّ، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ من صداق، إن هنّ افتدين منكم به.

واختلفت القراء في قراءة قوله: «مبَيِّنَةً» فقرأه بعضهم: «مُبَيَّنَةٍ» بفتح الياء، بمعنى أنها قد بينت لكم وأعلنت وأظهرت. وقرأه بعضهم: «مبَيِّنَةٍ» بكسر الياء، بمعنى أنها ظاهرة بينة للناس أنها فاحشة. وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة أمصار الإسلام، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب في قراءته الصواب، لأن الفاحشة إذا أظهرها صاحبها فهي ظاهرة بينة، وإذا ظهرت فبإظهار صاحبها إياها ظهرت، فلا تكون ظاهرة بينة إلا وهي مبينة ولا مبينة إلا وهي مبينة، فلذلك رأيت القراءة بأيهما قرأ القارىء صواباً.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ﴾: وخالقوا أيها الرجال نساءكم، وصاحبوهنّ بالمعروف، يعني بما أمرتم به من المصاحبة، وذلك إمساكهنّ بأداء حقوقهنّ التي فرض الله جلّ ثناؤه لهنّ عليكم إليهنّ، أو تسريح منكم لهن بإحسان. كما:

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿وَعاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ﴾ يقول: وخالطوهنّ. كذا قال محمد بن الحسين، وإنما هو خالقوهنّ من العشرة وهي المصاحبة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فإنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾.

يعني بذلك تعالى ذكره: لا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ من غير ريبة، ولا نشوز، كان منهنّ، ولكن عاشروهنّ بالمعروف وإن كرهتموهن، فلعلكم أن تكرهوهنّ،

فتمسكوهنّ، فيجعل الله لكم في إمساككم إياهنّ على كره منكم لهنّ خيراً كثيراً من ولد يرزقكم منهنّ، أو عطفكم عليهنّ بعد كراهتكم إياهن. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: **﴿فإن كَرِهتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً﴾** يقال: فعسى الله أن يجعل في الكراهة خيراً كثيراً.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: **﴿وَيجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً﴾** قال: الولد.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس: **﴿وَيجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً﴾** والخير الكثير: أن يعطف عليها، فيرزق الرجل ولدها، ويجعل الله في ولدها خيراً كثيراً.

والهاء في قوله: **﴿وَيجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً﴾** على قول مجاهد الذي ذكرناه كناية عن مصدر تكرهوا، كأن معنى الكلام عنده: فإن كرهتموهنّ، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً. ولو كان تأويل الكلام: فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه خيراً كثيراً، كان جائزاً صحيحاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠)﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: **﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زوجٍ مَكانَ زَوْجٍ﴾** وإن أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها **﴿وآتيتمْ إحْداهنَّ﴾** يقول: وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من المهر قنطاراً، والقنطار: المال الكثير. وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل في مبلغه والصواب من القول في ذلك عندنا. **﴿فلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾** يقول: فلا تضرّوا بهنّ إذا أردتم طلاقهنّ ليفتدين منكم بما آتيتموهن. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ**﴾: طلاق امرأة مكان أخرى، فلا يحلّ له من مال المطلقة شيء وإن كثر.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أتأخُذونَهُ بُهتاناً وإثماً مبيناً﴾.

يعني بقوله تعالى: ﴿**أتأخُذُونَهُ**﴾: أتأخذون ما آتيتموهنّ من مهورهنّ، ﴿**بُهتاناً**﴾ يقول: ظلماً بغير حقّ، ﴿**وإثماً مُبيناً**﴾ يعني: وإثماً قد أبان أمر آخذه أنه بأخذه إياه لمن أخذه منه ظالم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٢١)﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**وكَيفَ تَأْخُذُونَهُ**﴾: وعلى أيّ وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهنّ من صدقاتهنّ إذا أردتم طلاقهنّ واستبدال غيرهنّ بهنّ أزواجاً، وقد أفضى بعضكم إلى بعضكم فتباشرتم وتلامستم. وهذا كلام وإن كان مخرجه مخرج الاستفهام فإنه في معنى النكير والتغليظ، كما يقول الرجل لآخر: كيف تفعل كذا وكذا وأنا غير راض به؟ على معنى التهديد والوعيد. وأما الإفضاء إلى الشيء فإنه الوصول إليه بالمباشرة له، كما قال الشاعر:

بَلَىٰ... أَفْضَىٰ إِلَىٰ كُتْبَةٍ بَدَا سَيْرُهَا مِنْ بَاطِنٍ بَعْدَ ظَاهِرِ[(١)]

يعني بذلك: أن الفساد والبلى وصل إلى الخُرَز. والذي عُني به الإفضاء في هذا الموضع: الجماع في الفرج.

فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه: وكيف تأخذون ما آتيتموهنّ وقد أفضى بعضكم إلى بعض بالجماع؟.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

---

(١) كذا في الأصول: ولم نعثر على البيت في «**معاني القرآن**» الفراء ولا في «**معاجم اللغة**»، والكتبة بالضم كما في «**اللسان**»: الخرزة التي ضم السير كلا وجهيها. وقال اللحياني: الكتبة: السير الذي تخرز به المزادة والقربة، والجمع كتب، بالفتح التاء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الحميد بن بيان القناد، قال: ثنا إسحاق، عن سفيان، عن عاصم، عن بكر بن عبد الله، عن ابن عباس، قال: الإفضاء: المباشرة، ولكن الله كريم يكني عما يشاء.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن بكر، عن ابن عباس قال: الإفضاء: الجماع، ولكن الله يكني.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عاصم بن بكر بن عبد الله المزني، عن ابن عباس، قال: الإفضاء: هو الجماع.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ﴾** قال: مجامعة النساء.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: **﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكمْ إلى بَعْضٍ﴾** يعني: المجامعة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾.

أما ما وثقت به لهنّ على أنفسكم من عهد، وإقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم، من إمساكهنّ بمعروف، أو تسريحهنّ بإحسان، وكان في عقد المسلمين النكاح قديماً، فيما بلغنا أن يقال للناكح: آلله عليك لتمسكنّ بمعروف أو لتسرحنّ بإحسان.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾** والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. وقد كان في عهد المسلمين عند إنكاحهم: آللهِ عليك لتمسكنّ بمعروف أو لتسرحنّ بإحسان.

واختلف أهل التأويل في الميثاق الذي عنى الله جلّ ثناؤه بقوله: **﴿وأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾**. فقال بعضهم: هو إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وأخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: ثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وأخَذْن مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. قال: وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح.

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ﴿وأخَذْنَ مِنْكُمْ ميثاقاً غَلِيظاً﴾ فهو أن ينكح المرأة فيقول وليها: أنكحناكها بأمانة الله، على أن تمسكها بالمعروف أو تسرّحها بإحسان.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿وأخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: الميثاق الغليظ الذي أخذه الله للنساء: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وكان في عقدة المسلمين عند نكاحهنّ: أيم الله عليك لتمسكنّ بمعروف، ولتسرحنّ بإحسان.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو قتيبة، قال: ثنا أبو بكر الهذلي، عن الحسن، ومحمد بن سيرين في قوله: ﴿وأخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: إمساك بمعروف. أو تسريح بإحسان.

وقال آخرون: هو كلمة النكاح التي استحلّ بها الفرج.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿وأخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: كلمة النكاح التي استحلّ بها فروجهنّ.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم

المكي، عن مجاهد في قوله: ﴿وأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: قوله نكحت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عنبسة، عن محمد بن كعب القرضي: ﴿وأخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: هو قولهم: قد ملكت النكاح.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا سفيان، عن سالم الأفطس، عن مجاهد: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: كلمة النكاح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: فقال ابن زيد في قوله: ﴿وأخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: الميثاق: النكاح.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، قال: ثني سالم الأفطس، عن مجاهد: ﴿وأخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: كلمة النكاح قوله نكحت.

وقال آخرون: بل عنى قول النبيّ ﷺ: «أَخَذْتُمُوهُنَّ بأمانَةِ اللّهِ، واسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللّهِ».

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر وعكرمة: ﴿وأخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قالا: أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وأخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ والميثاق الغليظ: أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: الميثاق الذي عني به في هذه الآية، هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح، من عهد على إمساكها بمعروف، أو تسريحها بإحسان، فأقرّ به الرجل، لأن الله جلّ ثناؤه بذلك أوصى الرجال في نسائهم وقد بينا معنى الميثاق فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

واختلف في حكم هذه الآية، أمحكم أم منسوخ؟ فقال بعضهم: محكم، وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها إذا أراد طلاقها، إلا أن تكون هي المريدة الطلاق.

وقال آخرون: هي محكمة، غير جائز له أخذ شيء مما آتاها منها بحال، كانت هي المريدة للطلاق أو هو. وممن حكي عنه هذا القول بكر بن عبد الله بن المزني.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا عقبة بن أبي المهنا، قال: سألت بكراً عن المختلعة أيأخذ منها شيئاً؟ قال: لا **﴿وأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾**.

وقال آخرون: بل هي منسوخة نسخها قوله: **﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مما آتيتُمُوهُنَّ شَيْئاً إلاَّ أنْ يَخافا أَنْ لا يُقِيما حُدُودَ اللهِ﴾**

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَإنْ أرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ﴾** إلى قوله: **﴿وأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾** قال: ثم رخص بعد، فقال: **﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إلاَّ أنْ يَخافا ألاَّ يُقِيما حُدُودَ اللّهِ فَإنْ خِفْتُمْ ألاَّ يُقِيمَا حُدودَ اللّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيما افْتَدَتْ بِهِ﴾** قال: فنسخت هذه تلك.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: إنها محكمة غير منسوخة، وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها إذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها، ولا ريبة أتت بها. وذلك أن الناسخ من الأحكام، ما نفى خلافه من الأحكام، على ما قد بينا في سائر كتبنا، وليس قوله: **﴿وَإنْ أَرَدْتُم اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ﴾** نفي حكم قوله: **﴿فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ يُقِيما حُدُودَ اللّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيما افْتَدَتْ بِهِ﴾** لأن الذي حرّم الله على الرجل بقوله: **﴿وَإنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَآتَيتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾** أخذ ما آتاها منها إذا كان هو المريد طلاقها.

وأما الذي أباح له أخذه منها بقوله: **﴿فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيما افْتَدَتْ بِهِ﴾** فهو إذا كانت هي المريدة طلاقه، وهو كاره له ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع، وليس في حكم إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى، وإذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم لإحداهما بأنها ناسخة، وللأخرى بأنها منسوخة، إلا بحجة يجب التسليم لها.

وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزني من أنه ليس لزوج المختلعة أخذ ما أعطته على فراقه إياها إذا كانت هي الطالبة الفرقة وهو الكاره، فليس بصواب لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ بأنه أمر ثابت بن قيس بن شماس بأخذ ما كان ساق إلى زوجته وفراقها إن طلبت فراقه، وكان النشوز من قبلها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

قد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم، فجاء الإسلام وهم على ذلك، فحرّم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن، وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك لم يؤاخذهم به إن هم اتقوا الله في إسلامهم وأطاعوه فيه. ذكر الأخبار التي رويت في ذلك:

حدثني محمد بن عبد الله المخرمي، قال: ثنا قراد، قال: ثنا ابن عيينة وعمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان أهل الجاهلية يحرّمون ما يحرّم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، قال: فأنزل الله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾ ﴿وأنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾**.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النساءِ﴾**... الآية، قال: كان أهل الجاهلية يحرّمون ما حرّم الله، إلا أن الرجل كان يخلف على حليلة أبيه، ويجمعون بين الأختين، فمن ثم قال الله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾**.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة في قوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾** قال: نزلت في أبي قيس بن الأسلت خلف على أم عبيد بنت ضمرة، كانت تحت الأسلت أبيه، وفي الأسود بن خلف، وكان خلف على بنت أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار، وكانت عند أبيه خلف، وفي فاختة بنت الأسود بن المطلب بن أسد، وكانت عند أمية بن خلف، فخلف عليها صفوان بن أمية، وفي منظور بن رباب، وكان خلف على مليكة ابنة خارجة، وكانت عند أبيه رباب بن سيار.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء بن أبي رباح: الرجل ينكح المرأة ثم لا يراها حتى يطلقها، أتحلّ لابنه؟ قال: هي مرسلة، قال الله تعالى: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾** قال: قلت لعطاء: ما قوله: **﴿إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾**؟ قال: كان الأبناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية.

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾**... الآية، يقول: كل امرأة تزوّجها أبوك وابنك دخل أو لم يدخل فهي عليك حرام.

واختلف في معنى قوله: **﴿إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾** فقال بعضهم: معناه: لكن ما قد سلف فدعوه، وقالوا هو من الاستثناء المنقطع.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تنكحوا نكاح آبائكم، بمعنى: ولا تنكحوا كنكاحهم كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الإسلام، **﴿إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾** يعني: أن نكاح آبائكم الذي كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً، إلا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الإسلام، فإنه معفوّ لكم عنه.

وقالوا: قوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾** كقول القائل للرجل: لا تفعل ما فعلت، ولا تأكل ما أكلت بمعنى: ولا تأكل كما أكلت، ولا تفعل كما فعلت.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقده بينهم، إلا ما قد سلف منهم من وجوه الزنا عندهم، فإن نكاحهنّ لكم حلال كان لأنهنّ لم يكنّ لهم حلائل، وإنما ما كان من آبائكم منهنّ من ذلك فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾**... الآية، قال: الزنا، إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً. فزاد ههنا المقت.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب على ما قاله أهل التأويل في تأويله، أن يكون معناه: ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم إلا ما قد سلف منكم، فمضى في الجاهلية، فإنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً، فيكون قوله: **﴿مِنَ النِّساءِ﴾** من صلة قوله: **﴿وَلا تَنْكِحُوا﴾** ويكون قوله: **﴿ما نَكَحَ آباؤُكُمْ﴾** بمعنى المصدر، ويكون قوله: **﴿إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾** بمعنى الاستثناء المنقطع، لأنه يحسن في موضعه: لكن ما قد سلف فمضى، إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً.

فإن قال قائل: وكيف يكون هذا القول موافقاً قول من ذكرت قوله من أهل التأويل، وقد

علمت أن الذين ذكرت قولهم في ذلك، إنما قالوا: أنزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء، وأنت تذكر أنهم إنما نهوا أن ينكحوا نكاحهم؟ قيل له: وإن قلنا إن ذلك هو التأويل الموافق لظاهر التنزيل، إذ كانت ما في كلام العرب لغير بني آدم، وإنه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراماً، ابتدىء مثله في الإسلام، بنهي الله جلّ ثناؤه عنه، لقيل: ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، إذ كان «من» لبني آدم و «ما» لغيرهم، ولا تقل: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء، فإنه يدخل في «ما» ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم، فحرم عليهم في الإسلام بهذه الآية نكاح حلائل الآباء، وكل نكاح سواه، نهى الله تعالى ذكره ابتداء مثله في الإسلام، مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه في شِرْكِهم.

ومعنى قوله: ﴿**إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ**﴾: إلا ما قد مضى، ﴿**إنَّهُ كان فاحِشَةً**﴾ يقول: إن نكاحكم الذي سلف منكم، كنكاح آبائكم المحرّم عليكم ابتداء مثله في الإسلام بعد تحريمي ذلك عليكم فاحشة، يقول: معصية ﴿**وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً**﴾: أي بئس طريقاً ومنهجاً ما كنتم تفعلون في جاهليتكم من المناكح التي كنتم تتناكحونها.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

يعني بذلك تعالى ذكره: حرّم عليكم نكاح أمهاتكم، فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

وكان ابن عباس يقول في ذلك، ما:

حدثنا به أبو كريب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن الثوري، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: حرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع. ثم قرأ: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمَّهاتُكُمْ**﴾ حتى بلغ: ﴿**وأنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأخْتَيْنِ إلاَّ**

ما قَدْ سَلَفَ﴾ قال: والسابعة ﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: يحرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع، ثم قرأ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ﴾... إلى قوله: ﴿والمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾.

حدثنا ابن بشار مرة أخرى، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن عمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس، مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري بنحوه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: حرم عليكم سبع نسباً وسبع صهراً. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ﴾... الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال ثنا أبي، عن عليّ بن صالح، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وأخَوَاتُكُمْ﴾ قال: حرّم الله من النسب سبعاً، ومن الصهر سبعاً، ثم قرأ: ﴿وأُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَرَبائِبُكُمْ﴾... الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مطرف، عن عمرو بن سالم مولى الأنصار، قال: حرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع: حرمت عليكم أمهاتكم، وبناتكم، وأخواتكم، وعماتكم، وخالاتكم، وبنات الأخ، وبنات الأخت. ومن الصهر: أمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم، وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنّ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن، فلا جناح عليكم، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف. ثم قال: ﴿والمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ﴾، ﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾.

فكل هؤلاء اللواتي سماهنّ الله تعالى وبين تحريمهنّ في هذه الآية محرّمات غير جائز نكاحهنّ لمن حرّم الله ذلك عليه من الرجال، بإجماع جميع الأمة، لا اختلاف بينهم في ذلك، إلا في أمهات نسائنا اللواتي لم يدخل بهنّ أزواجهنّ، فإن في نكاحهنّ اختلافاً بين بعض المتقدمين من الصحابة إذا بانت الابنة قبل الدخول بها من زوجها، هل هنّ من المبهات، أم هنّ من

المشروط فيهنّ الدخول ببناتهنّ. فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم: من المبهمات، وحرام على من تزوّج امرأة أمها دخل بامرأته التي نكحها أو لم يدخل بها، وقالوا: شرط الدخول في الربيبة دون الأم، فأما أم المرأة فمطلقة بالتحريم. قالوا: ولو جاز أن يكون شرط الدخول في قوله: ﴿وَرَبائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فوضع موصولاً به قوله: ﴿وأُمَّهاتُ نِسائِكُمْ﴾ جاز أن يكون الاستثناء في قوله: ﴿وَالمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ﴾ من جميع المحرّمات بقوله: ﴿حُرِمَتْ عَلَيْكُمْ﴾... الآية، قالوا: وفي إجماع الجميع على أن الاستثناء في ذلك إنما هو مما وليه من قوله: ﴿والمُحْصَناتُ﴾ أبين الدلالة على أن الشرط في قوله: ﴿مِنْ نِسائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ مما وليه من قوله: ﴿وَرَبائِبُكُمُ اللاَّتِي في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ دون أمهات نسائنا. وروي عن بعض المتقدمين أنه كان يقول: حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتي لم ندخل بهنّ، وإن حكمهنّ في ذلك حكم الربائب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدّي وعبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، عن عليّ رضي الله عنه في رجل تزوّج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها، أيتزوّج أمها؟ قال: هي بمنزلة الربيبة.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، قال: ثنا قتادة، عن خلاس، عن عليّ رضي الله عنه، قال: هي بمنزلة الربيبة.

حدثنا حميد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، قال: ثنا قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن زيد بن ثابت أنه كان يقول: إذا ماتت عنده، وأخذ ميراثها، كره أن يخلف على أمها، وإذا طلقها قبل أن يدخل بها، فإن شاء فعل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن زيد بن ثابت، قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوّج أمها.

حدثنا القاسم، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج، أخبرني عكرمة بن خالد، أن مجاهداً قال له: ﴿وأُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَرَبائِبُكُمُ اللاَّتِي في حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمْ﴾ أريد بهما الدخول جميعاً.

قال أبو جعفر: والقول الأوّل أولى بالصواب، أعني قول من قال: الأم من المبهمات، لأن

الله لم يشرط معهنّ الدخول ببناتهنّ، كما شرط ذلك مع أمهات الربائب، مع أن ذلك أيضاً إجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه.

وقد رُوي بذلك أيضاً عن النبيّ ﷺ خبر، غير أن في إسناده نظراً، وهو ما:

حدثنا به المثنى، قال: ثنا حبان بن موسى، قال: أخبرنا ابن المبارك، قال: أخبرنا المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبيّ ﷺ، قال: «إِذَا نَكَحَ الرَّجُلُ المَرأةَ فَلا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّها، دَخَلَ بالابْنَةِ أمْ لَمْ يَدْخُلْ، وَإذَا تَزَوَّجَ الأُمَّ فَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا ثُمَّ طَلَّقَها، فإنْ شاءَ تَزَوَّجَ الابْنَة».

قال أبو جعفر: وهذا خبر وإن كان في إسناده ما فيه، فإن في إجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال لعطاء: الرجل ينكح المرأة لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها، أيحلّ له أمها؟ قال: لا، هي مرسلة. قلت لعطاء: أكان ابن عباس يقرأ: ﴿**وأُمَّهاتُ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ**﴾؟ قال: لا تبرأ؛ قال حجاج: قلت لابن جريج: ما تبرأ؟ قال: كأنه قال: لا لا.

وأم الربائب فإنه جمع ربيبة وهي ابنة امرأة الرجل، قيل لها ربيبة لتربيته إياها، وإنما هي مربوبة صرفت إلى ربيبة، كما يقال: هي قبيلة من مقبولة، وقد يقال لزوج المرأة: هو ربيب ابن امرأته، يعني به: هو رابُّه، كما يقال: هو جابر وجبير، وشاهد وشهيد.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ**﴾ فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع: الجماع.

ذكر من قال ذلك:

حدثني المثنى، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿**مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ**﴾ والدخول: النكاح.

وقال آخرون: الدخول في هذا الموضع: هو التجريد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قلت لعطاء، قوله: ﴿**اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ**﴾ ما الدخول بهنّ؟ قال: أن تهدى إليه فيكشف ويعتسّ،

ويجلس بين رجليها. قلت: أرأيت إن فعل ذلك في بيت أهلها؟ قال: هو سواء، وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها. قلت: تحرم الربيبة ممن يصنع هذا بأمها إلا ما يحرم عليّ من أمتي إن صنعته بأمها؟ قال: نعم سواء. قال عطاء: إذا كشف الرجل أمته وجلس بين رجليها أنهاه عن أمها وابنتها.

قال أبو جعفر: وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك، ما قاله ابن عباس، من أن معنى الدخول: الجماع والنكاح، لأن ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين: إما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس، وهو الوصول إليها بالخلوة بها، أو يكون بمعنى الجماع، وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرّم عليه ابنتها إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها، أو قبل النظر إلى فرجها بالشهوة ما يدلّ على أن معنى ذلك: هو الوصول إليها بالجماع. وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الصحيح من التأويل في ذلك ما قلناه.

وأما قوله: **﴿فإنْ لَمْ تَكُونُوا دخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناح عَلَيْكُمْ﴾** فإنه يقول: فإن لم تكونوا أيها الناس دخلتم بأمهات ربائبكم اللاتي في حجوركم، فجامعتموهنَّ حتى طلقتموهنّ، **﴿فلا جُنَاحَ عَلَيْكُم﴾** يقول: فلا حرج عليكم في نكاح من كان من ربائبكم كذلك.

وأما قوله: **﴿وَحَلائِلُ أبنائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾** فإنه يعني: وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم، وهي جمع حليلة وهي امرأته، وقيل: سميت امرأة الرجل حليلته، لأنها تحلّ معه في فراش واحد. ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن حليلة ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح، دخل بها أو لم يدخل بها.

فإن قال قائل: فما أنت قائل في حلائل الأبناء من الرضاع، فإن الله تعالى إنما حرّم حلائل أبنائنا من أصلابنا؟ قيل: إن حلائل الأبناء من الرضاع، وحلائل الأبناء من الأصلاب سواء في التحريم، وإنما قال: **﴿وَحَلائِلُ أَبنائِكُمْ الَّذِين مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾** لأن معناه: وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتوهم. كما:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء، قوله: **﴿وَحَلائِلُ أبنائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾** قال: كنا نُحَدَّث والله أعلم أنها نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة زيد بن حارثة، قال المشركون في ذلك، فنزلت: **﴿وَحَلائِلُ أبنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾**، ونزلت: **﴿وَما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ﴾**، ونزلت: **﴿ما كانَ مُحَمَّد أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ﴾**.

وأما قوله: ﴿وأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ فإن معناه: وحرّم عليكم أن تجمعوا بين الأختين عندكم بنكاح، ف «أن» في موضع رفع، كأنه قيل: والجمع بين الأختين. ﴿إلاَّ ما قَدْ سلفَ﴾ لكن ما قد مضى منكم. ﴿فإنَّ اللّهَ كانَ غفوراً﴾ لذنوب عباده إذا تابوا إليه منها. ﴿رَحِيماً﴾ بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم. يخبر بذلك جلّ ثناؤه أنه غفور لمن كان جمع بين الأختين بنكاح في جاهليته وقبل تحريمه ذلك، إذا اتقى الله تبارك وتعالى بعد تحريمه ذلك عليه فأطاعه باجتنابه، رحيم به وبغيره من أهل طاعته من خلقه.

تمّ الجزء الرابع من تفسير ابن جرير الطبري

ويليه الجزء الخامس

وأوله القول في تأويل قوله ﴿والمُحْصنات من النساء﴾

محتوى الجزء الرابع من تفسير الطبري

سورة آل عمران

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٩٣	﴿كلّ الطعام كان حلا لبني إسرائيل﴾	٥
٩٤	﴿فمن افترى على اللّه الكذب﴾	١١
٩٥	﴿قل صدق اللّه فاتبعوا ملة إبراهيم﴾	١١
٩٦	﴿إن أوّل بيت وضع للناس﴾	١٢
٩٧	﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾	١٧
٩٨	﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون﴾	٣١
٩٩	﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدّون﴾	٣٢
١٠٠	﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً﴾	٣٥
١٠١	﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم﴾	٣٦
١٠٢	﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّه حقّ تقاته﴾	٣٨
١٠٣	﴿واعتصموا بحبل اللّه جميعاً﴾	٤٢
١٠٤	﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾	٥١
١٠٥	﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا﴾	٥٢
١٠٦	﴿يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه﴾	٥٣
١٠٧	﴿وأما الذين ابيضت وجوههم﴾	٥٣
١٠٨	﴿تلك آيات اللّه نتلوها عليك بالحقّ﴾	٥٥
١٠٩	﴿وللّه ما في السموات وما في الأرض﴾	٥٦
١١٠	﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾	٥٧
١١١	﴿لين يضرّوكم إلا أذى﴾	٦١
١١٢	﴿ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا﴾	٦٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١١٣	﴿ليسوا سواء﴾	٦٧
١١٤	﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾	٧٣
١١٥	﴿وما يفعلون من خير فلن يكفروه﴾	٧٤
١١٦	﴿إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم﴾	٧٥
١١٧	﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا﴾	٧٦
١١٨	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة﴾	٧٨
١١٩	﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم﴾	٨٣
١٢٠	﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم﴾	٨٧
١٢١	﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين﴾	٨٩
١٢٢	﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾	٩٣
١٢٣	﴿ولقد نصركم اللّه ببدر وأنتم أذلة﴾	٩٦
١٢٤	﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم﴾	٩٨
١٢٥	﴿بل إن تصبروا وتتقوا﴾	٩٨
١٢٦	﴿وما جعله اللّه إلا بشرى لكم﴾	١٠٨
١٢٧	﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا﴾	١٠٩
١٢٨	﴿ليس لك من الأمر شيء﴾	١١٠
١٢٩	﴿وللّه ما في السموات وما في الأرض﴾	١١٤
١٣٠	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا﴾	١١٥
١٣١	﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾	١١٦
١٣٢	﴿وأطيعوا اللّه والرسول لعلكم ترحمون﴾	١١٦
١٣٣	﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾	١١٧
١٣٤	﴿الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء﴾	١١٩
١٣٥	﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾	١٢١
١٣٦	﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم﴾	١٢٦
١٣٧	﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾	١٢٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٣٨	﴿هذا بيان للناس﴾	١٢٨
١٣٩	﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾	١٣٠
١٤٠	﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم﴾	١٣١
١٤١	﴿وليمحص اللّه الذين آمنوا﴾	١٣٦
١٤٢	﴿أم حسبتم أن تدخلوا﴾	١٣٨
١٤٣	﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل﴾	١٣٩
١٤٤	﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبل﴾	١٤٠
١٤٥	﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن اللّه﴾	١٤٧
١٤٦	﴿وكأين من نبيّ قاتل معه﴾	١٤٧
١٤٧	﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا﴾	١٥٢
١٤٨	﴿فآتاهم اللّه ثواب الدنيا﴾	١٥٤
١٤٩	﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا﴾	١٥٥
١٥٠	﴿بل اللّه مولاكم وهو خير الناصرين﴾	١٥٦
١٥١	﴿سنلقى في قلوب الذين كفروا﴾	١٥٧
١٥٢	﴿ولقد صدقكم اللّه وعده﴾	١٥٨
١٥٣	﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد﴾	١٦٧
١٥٤	﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنة﴾	١٧٦
١٥٥	﴿إن الذين تولوا منكم﴾	١٨٢
١٥٦	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا﴾	١٨٤
١٥٧	﴿ولئن قتلتم في سبيل اللّه أو متم﴾	١٨٨
١٥٨	﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى اللّه تحشرون﴾	١٨٩
١٥٩	﴿فبما رحمة من اللّه لنت لهم﴾	١٩٠
١٦٠	﴿إن ينصركم اللّه فلا غالب لكم﴾	١٩٤
١٦١	﴿وما كان لنبي أن يغلّ﴾	١٩٥
١٦٢	﴿أفمن اتبع رضوان اللّه﴾	٢٠٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٦٣	﴿هم درجات عند اللّه﴾	٢٠٣
١٦٤	﴿لقد منّ اللّه على المؤمنين﴾	٢٠٥
١٦٥	﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾	٢٠٦
١٦٦	﴿وما أصابكم يوم القتى الجمعان﴾	٢٠٩
١٦٧	﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا﴾	٢٠٩
١٦٨	﴿الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا﴾	٢١٢
١٦٩	﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا﴾	٢١٣
١٧٠	﴿فرحين بما آتاهم اللّه من فضله﴾	٢١٣
١٧١	﴿يستبشرون بنعمة من اللّه وفضله﴾	٢١٩
١٧٢	﴿الذين استجابوا للّه والرسول﴾	٢٢٠
١٧٣	﴿الذين قال لهم الناس إنّ الناس﴾	٢٢٣
١٧٤	﴿فانقلبوا بنعمة من اللّه وفضل﴾	٢٢٨
١٧٥	﴿إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه﴾	٢٢٩
١٧٦	﴿ولا يحزنك الذين يسارعون﴾	٢٣٠
١٧٧	﴿إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان﴾	٢٣١
١٧٨	﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا﴾	٢٣٢
١٧٩	﴿ماك ان اللّه ليذر المؤمنين﴾	٢٣٣
١٨٠	﴿ولا يحسبنّ الذين يبخلون﴾	٢٣٦
١٨١	﴿لقد سمع اللّه قول الذين قالوا﴾	٢٤٢
١٨٢	﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾	٢٤٢
١٨٣	﴿الذين قالوا إن اللّه عهد إلينا﴾	٢٤٥
١٨٤	﴿فإن كذبوك فقد كذب رسل﴾	٢٤٦
١٨٥	﴿كل نفس دائقة الموت﴾	٢٤٨
١٨٦	﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم﴾	٢٤٩
١٨٧	﴿وإذ أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا﴾	٢٥١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٨٨	﴿ولا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا﴾	٢٥٤
١٨٩	﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	٢٥٩
١٩٠	﴿إن في خلق السموات والأرض﴾	٢٥٩
١٩١	﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً﴾	٢٦٠
١٩٢	﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾	٢٦١
١٩٣	﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي﴾	٢٦٣
١٩٤	﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾	٢٦٤
١٩٥	﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع﴾	٢٦٦
١٩٦	﴿لا يغرّنك تقلب الذين كفروا﴾	٢٦٩
١٩٧	﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم﴾	٢٦٩
١٩٨	﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات﴾	٢٦٩
١٩٩	﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾	٢٧٠
٢٠٠	﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا﴾	٢٧٣

سورة النساء

١	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾	٢٧٧
٢	﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾	٢٨٤
٣	﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾	٢٨٧
٤	﴿وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة﴾	٣٠٠
٥	﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾	٣٠٤
٦	﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح﴾	٣١٢
٧	﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان﴾	٣٢٥
٨	﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى﴾	٣٢٦
٩	﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم﴾	٣٣٤
١٠	﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾	٣٣٩
١١	﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾	٣٤١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٢	﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾	٣٥٠
١٣	﴿تلك حدود الله﴾	٣٥٩
١٤	﴿ومن يعص الله ورسوله﴾	٣٦٠
١٥	﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾	٣٦١
١٦	﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾	٣٦٥
١٧	﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء﴾	٣٦٩
١٨	﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾	٣٧٤
١٩	﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحلّ لكم﴾	٣٧٧
٢٠	﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾	٣٨٧
٢١	﴿وكيد تأخذونه وقد أفضى بعضكم﴾	٣٨٨
٢٢	﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾	٣٩٣
٢٣	﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾	٣٩٥